فهرست الموضوعات

صفحة

ذِكْرُ قـاهِرَة المُعِـزّ

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا الله المستعان

ذكر فسطاط مصر

قال الجَوْهَرِيُّ : الفُسطاطُ بَيْتٌ من شَعْر . قال : ومنه فُسطاطُ مَدينَة مِصْر [1] .

اعْلَم أنَّ فُسطاطَ مصر اخْتُطَّ في الإسْلام بعدما فُتِحَت أرْضُ مصر ، وصارَت دارَ إسْلام ، وقد كانت بيد الرُّوم والقِبْط وهم نَصارَىٰ مَلْكانية ويَعْقُوبية ومنانية [a]. وحين اخْتَطَّ المسلمون الفُسْطاط ، انتقل كُرْسيُّ المملكة من مَدينَة «الإسْكَنْدَرِيَّة» ، بعد ما كانت مَنْزِلَ المُـلْك ودار الإمارَة زيادَة على تسع مائة سنة ، وصارَ من حينئذٍ «الفُسْطاطُ» دارَ إمارَة ينزل به أُمَرَاءُ مصر . فلم يَزَلْ على/ ذلك حتى بُنِيَ «العَسْكَرُ» بظاهِر الفُسْطاط ، فنَزَلَ فيه أُمَرَاءُ مصر وسَكَنُوه ، ورُبَّما سَكَن بَعْضُهم الفُسْطاط . ٢

فلمَّا أَنْشَأ الأَميرُ أبو العَبَّاس أحمد بن طُولون «القَطائِع» بجانِب العَسْكَر ، سَكَنَ فيها ، واتَّخَذَها الأُمَرَاءُ من بعده مَنْزِلًا إلى أن انقرَضَت دَوْلَةُ بني طُولون ، فصارَ أُمَرَاءُ مصر من بعد ذلك يَنْزِلون بالعَسْكَر خارِجَ الفُسْطاط . وما زالُوا على ذلك ، حتى قَدِمَت عَساكِرُ الإمام المُعِزّ لدين الله أبي تَميم مَعَدّ الفاطِمِي مع كاتِبِه جَوْهَر القائِد ، فبَنَى «القاهِرَة» [b]ونَزَلَ فيها بمَن معه من العَساكِر ثم قَدِمَ المُعِزُّ فنَزَلَ في قَصْرِه من القاهِرَة وصارَت دارَ خِلافَةٍ[b].

---

a) بولاق : ميانية . b-b) ساقطة من بولاق .

---

[1] الجوهري : الصحاح ٣: ١١٥٠.

واستمرَّ سُكْنَى الرَّعِيَّة بالفُسْطاط ، وبَلَغَ من وُفورِ العِمارَة وكَثْرَة الخَلائِق ما أَرْبَى على عامَّة مُدُن المعمور ـ حاشا بَغْداد[1] ـ ومازال على ذلك حتى تَغَلَّب الفِرِنْجُ على سَواحِل البلاد الشَّامِيَّة ، ونَزَلَ مُرِّي [Amaury] مَلِكُ الفِرِنْج بجُموعِه الكثيرة على بِرْكَة الحَبَش يُريدُ الاسْتيلاء على مَمْلَكَة مِصر وأَخْذ الفُسْطاط والقاهِرَة . فعَجَزَ الوَزيرُ شاوَرُ بن مُجير السَّعْدي عن حِفْظ البَلَدَيْن معًا ، فأَمَرَ النَّاس بإخْلاء مَدينَة الفُسْطاط واللَّحاق بالقاهِرَة للامْتِناع من الفِرِنْج ـ وكانت القاهِرَةُ إذ ذاك من الحَصانَة والامْتِناع بحيث لا تُرام ـ فارْتَحَلَ النَّاسُ من الفُسْطاط ، وساروا بأَسْرِهم إلى القاهِرَة ، وأَمَرَ شاوَرُ فأَلْقَى العَبيدُ النَّار في الفُسْطاط ، فلم تَزَلْ به بضعًا وخمسين يومًا حتى احْتَرَقَت أَكْثَرُ مساكِنِه[2].

فلمَّا رَحَلَ مُرِّي [Amaury] عن القاهِرَة ، واستولَى شِيرْكوه على الوَزارَة ، تراجَعَ النَّاسُ إلى الفُسْطاط ورَمُّوا بعض شَعْثِه ، ولم يزل في نَقْصٍ وخَرابٍ إلى يومنا هذا .

وقد صارَ الفُسْطاطُ يُعْرَف في زَمَنِنا بـ «مَدينَة مِصْر» ، والله أَعْلَم .

ذِكْرُ ما كان عليه مَوْضِعُ الفُسْطاط قبل الإسْلام إلى أن اخْتَطَّه المُسْلِمونَ مَدينَةً

اعْلَم أنَّ مَوْضِعَ «الفُسْطاط» ـ الذي يُقالُ له اليوم «مَدينَة مِصْر» ـ كان فَضَاءً ومَزارِعَ فيما بين النِّيل والجَبَل الشَّرْقي الذي يُعْرَف بالجَبَلِ المُقَطَّم ، ليس فيه من البِناء والعِمارَة سِوى حِصْن ، يُعْرَف اليوم بعضُه بـ «قَصْر الشَّمْع» وبـ «المُعَلَّقَة» ، ينزل به شِحْنَةُ الرُّوم المُتَوَلِّي على مصر من قِبَل القَياصِرَة مُلوك الرُّوم ، عند مَسيره من مَدينَة الإسْكَنْدَرية ، ويُقيمُ فيه ما شاءَ ، ثم يَعودُ إلى دار الإمارَة ومَنْزِل المُلْك من الإسْكَنْدَرية .

وكان هذا الحِصْنُ مُطِلًّا على النِّيل ، وتَصلُ السُّفُنُ في النِّيل إلى بابِه الغربي الذي كان يُعْرَف بباب الحَديد ، ومنه رَكِبَ المُقَوْقِسُ في السُّفُن[a] حين غَلَبَه المسلمون على الحِصْن المذكور ، وصارَ

---

a) بعد ذلك في بولاق : في النيل من بابه الغربي !

---

[1] ذكر الرحالة المقدسي البشاري الذي زار مصر في نهاية القرن الرابع الهجري بعد تأسيس الفاطميين لدولتهم في مصر في حديثه عن الفسطاط أنّه «مصر مصر وناسخ بغداد ومفخر الإسلام ومتجر الأنام ، وأجل من مدينة السلام ... ليس في الأمصار آهل منه ...» (المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ١٩٧) ، وانظر فيما يلي ٢٠٧.

[2] فيما يلي ١٤٢ - ١٤٦ .

فيه إلى الجَزِيرَة التي تجاه الحِصْن ، وهي التي تُعْرَف اليوم بـ «الرَّوْضَة» قُبالَة مصر .

وكان مِقْياسُ النِّيل بجانب الحِصْن . قال ابنُ المُتَوَّج : وعَمُودُ المِقْياس مَوْجودٌ في زُقاق مَسْجِد ابن النُّعْمان ؛ قُلْتُ : وهو باقٍ إلى يومِنا هذا ، أَعْني سنة عشرين وثمان مائة [1] .

وكان هذا الحِصْنُ لا يزال مَشْحُونًا بالمُقَاتِلَة ، وسيرد في هذا الكتاب خَبَرُه إن شاءَ الله .

وكان بجوار هذا الحِصْن من بَحْريه ـ وهي الجِهَة الشمالية ـ أَشْجارٌ وكُرومٌ صارَ مَوْضِعَها الجامِعُ العَتيق . وفيما بين الحِصْن والجَبَل عِدَّةُ كَنائِس وديارات للنَّصارَىٰ ، أَكْثَرُها[a] في المَوْضِع الذي يُعْرَف اليوم بِرَاشِدَة .

وبجانب الحِصْن ـ فيما بين الكُروم التي كانت بجانِبه وبين الجُرْف الذي يُعْرَف اليوم بجَبَل يَشْكُر حيث جامِع ابن طُولون والكَبْش ـ عِدَّةُ كَنائِس وديارات للنَّصارَىٰ ، في المَوْضِع الذي كان يُعْرَف في أَوائِل الإسْلام بالحَمْرَاء ، وعُرِفَ الآن بخُطّ قَناطِر السِّبَاع والسَّبْع سِقايات . وبقي بالحَمْراء[b] عِدَّةٌ من الدِّيارات إلى أن هُدِمَت في سَلْطَنَة المَلِك النَّاصِر محمد بن قَلاوون ، على ما ذُكِرَ في هذا الكتاب عند ذِكْر كَنائِس النَّصارَىٰ [2] .

فلمَّا افْتَتح عَمْرو بن العَاص مَدينَةَ الإسْكَنْدرية الفَتْحَ الأَوَّل ، نَزَلَ بجوار هذا الحِصْن ، واخْتَطَّ الجامِعَ المعروف بالجامِع العَتيق وبجامِع عَمْرو بن العَاص ، واخْتَطَّت قَبائِلُ العرب من حَوْله ، فصارَت مَدينَةً عُرِفَت بـ «الفُسْطاط» ، ونَزَلَ النَّاسُ بها .

فانْحَسَرَ بعد الفَتْح بأَعْوامٍ ماءُ النِّيل عن أرضٍ تجاه الحِصْن والجامِع العَتيق ، فصارَ المسلمون يُعرِقُون[3][c] هناك دَوابَّهم ، ثم اخْتَطُّوا فيه المساكِن شيئًا بعد شيءٍ . وصارَ ساحِلُ البَلَد حَيْثُ المَوْضِع الذي يُقالُ له اليوم في مصر المَعَارِيج ، مارًّا إلى الكُوم الذي على يَسْرَة الداخِل من باب مصر بحَدِّ الكَبارَة ، وفي مَوْضِع هذا الكُوْم كانت الدُّور المطلَّة على النِّيل . ويَمُرُّ السَّاحِلُ من باب مصر المذكور إلى حيث بُسْتان ابن كَيْسان ، الذي يُعْرَف اليوم بِبُسْتان الطَّواشي ، في أَوَّل مَراغَة مصر .

---

a) ساقطة من بولاق . b) ساقطة من ظ . c) بولاق : يوقفون .

---

[1] فيما يلي ٢ : ٥١٠ ، وهذه التواريخ تفيدنا في التعرّف على الفترات المختلفة التي كان يدون فيها المقريزي فصول كتابه .

[2] انظر فيما يلي ٢:٥١٢- ٥١٣.

[3] حاشية بخط المؤلّف : «أعرقت الفرس وعرقته ، أجريته ليعرق ، ويقول أعرق الفرس يريد أعدّه لأنه إذا أعد أعرق فيكتفي بذكر العرق من ذكر الفرس » .

وجَميعُ الأماكِن التي تُعْرَف اليوم بمَراغَة مصر وبالجُرُف إلى الخَليج عَرْضًا ، ومن حيث قَنْطَرة السَّدّ إلى سُوق المَعَاريج طُولًا ، كان غامِرًا بماء النّيل ، إلى أن انْحَسَرَ عنه ماءُ النّيل بعد سنة ستّ مائة من سني الهجرة ، فصارَ رَمْلَةً . ثم اخْتَطَّ فيه الأُمَرَاءُ ممّا يلي النّيل آدرًا عندما عَمَّرَ الملكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدين أيّوب قَلْعَةَ الرَّوْضَة [١]، واخْتُطَّ بعضُه شَوَنًا إلى أن أنشأ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون جامِعَه المعروف بالجامِع / الجَديد النَّاصِرِيّ ، ظاهِر مصر ، فعَمُرَ ما حَوْلَه [٢]. ٢٨٧:١

وقد كان عند فَتْح مصر سائِرُ المواضِع التي من مُنْشَأة المَهْراني إلى بِرْكَة الحَبَش طُولًا ، ومن ساحِل النّيل بمَوْرَدَة الحَلْفاء ، وتجاه الجامِع الجَديد إلى سُوق المَعَاريج ، وما على سَمْته إلى تجاه المَشْهَد الذي يُقالُ له مَشْهَدُ الرَّأس ـ وتُسَمِّيه العامَّةُ اليوم مَشْهَدَ زَيْن العابِدين ـ كلُّها بَحْرًا لا يَحُول بين الحِصْن والجامِع ، وما على سَمْتِهما إلى الحَمْراء الدُّنْيا التي منها اليوم خُطّ قَناطِر السِّباع ، وبين جَزيرَة مصر التي تُعْرَف اليوم بالرَّوْضَة ، شيءٌ سوى ماءِ النّيل . وجَميعُ ما في هذه المَواضِع من الأَبْنِيَة ، انْكَشَفَ عنه النّيلُ قَليلًا قليلًا [٣]، واخْتُطَّ على ما يَتَبَيَّنُ لك في هذا الكتاب .

ذِكْرُ الحِصْن الذي يُعْرَفُ بقَصْر الشَّمْع

اعْلَم أنَّ هذا القَصْر أُحْدِث بعد خَراب مصر على يد بُخْت نَصَّر ، وقد اخْتُلِفَ في الوَقْت الذي بُنِيَ فيه ومَنْ أَنْشأه من الملوك ، (aفذَكَرَ الوَاقِدِيُّ أنَّ الذي بَناه اسْمه الرَّيَّانُ بن الوَليد بن أَرْسِلاوَس [٤].

وكان هذا القَصْرُ يُوقَد عليه الشَّمْعُ في رأس كلّ شهر ، وذلك أنّه إذا حلَّت الشَّمْسُ في بُرْج من البُروج ، أُوْقِدَ في تلك الليلة الشَّمْعُ على رأس ذلك القصر ، فيَعْلَم النَّاسُ بوَقود الشَّمْع أنَّ الشَّمْس انتقلت من البُرْج الذي كانت فيه إلى بُرْج آخر غيره .

فلمb) يَزَل القَصْرُ على حالِه إلى أن خَرِبتْ مصرُ زَمَن بُخْت نَصَّر بن نَيْروز الكِلْداني ، فأقامَ خَرابًا خمس مائة سنة ، ولم يَبْق منه إلّا أَثَرُه فقط ؛ فلمّا غَلَبَ الرُّومُ على مصر ومَلَكوها من أَيْدي

---

a-a) غير موجود في ظ . b) بولاق : ولم .

---

[١] انظر فيما يلي ٢ : ١٨٣ – ١٨٥ . – ١٦٣ .

[٢] انظر فيما يلي ٢ : ٣٠٤ .

[٣] عن انحسار ماء النيل وانتقاله غربا انظر فيما يلي ١٥٨

[٤] الواقدي : فتوح مصر والإسكندرية ٤١ .

اليُونانيين، وَلِيَ مصرَ من قِبَلِهم رجلٌ يُقالُ له أرجاليس بن مقراطيس، فبَنَى القصر على ما وَجَدَ من أساسِه[a)][١].

وقال ابنُ سَعيد: وصارَت مصرُ والشَّامُ بعد بُخْت نَصَّر في مملكة الفُرْس، فوَلِيَها منهم كشَرْجُوش الفارسي باني قَصْر الشَّمْع، وبعده طخارست الطويل الولاية، وتوالَت بعده نُوّابُ الفُرْس إلى ظهور الإسْكَنْدَر.

وقال غيرُه: إنَّ الذي بَنَاه طَخْشَاشت، أَحَدُ مُلوك الفُرْس، عندما سارَ لمحارَبَة أهل مصر، فلمَّا غَلَبَ قَسْطَرا[b)] ملك مصر الذي يُعْرَف بفِرْعَوْن ساباَن، وفَرَّ منه إلى مَقْدونية، غَلَبَ على مُلْك مصر، واستولى عليها، وبَنَى للفُرْس قَصْرًا، وجَعَلَ فيه بَيْت نار على شاطئ النِّيل الشرقي، وعُرِفَ بقَصْر الشَّمْع لأنَّه كان له بابٌ يُقالُ له بابُ الشَّمْع، وجَعَلَ في القصر بَيْت نار، وهو باقٍ.

وقال ابنُ عبد الحَكَم، عن اللَّيْث بن سَعْد: وكانت الفُرْسُ قد أَسَّسَتْ بناءَ الحِصْن الذي يُقالُ له باب أليون، وهو الحِصْن الذي بفُسْطاط مصر اليوم، فلمَّا انكَشَفَت[c)] جُموعُ فارِس عن الرُّوم، وأَخْرَجَتْهم الرُّومُ من الشَّام، أَتَمَّت بِناءَ ذلك الحِصْن وأقامَت به. فلم تَزَل مصرُ في مُلْك الرُّوم حتى فَتَحَها الله تعالى على المسلمين[٢].

قال: وكان أبو الأَسْوَدُ نَضر بن عبد الجَبَّار[٣] يقولها بالميم - يعني باب اليوم -

---

a-a) غير موجودة في ظ. b) بولاق: قسطو. c) بولاق: انكشف.

---

[١] لا نعرف على وجه الدقة إن كان قصر الشمع الذي يتحدَّث عنه المقريزي هو نفسه الأثر الموجود الآن ويطلق عليه «قصر الشمع» في مصر القديمة، ولتفاصيل أكثر راجع، ياقوت: معجم البلدان ٤: ٣٥٧-٣٥٨؛ Abbate, W., «Les origines du Caire . Esquisse historique sur Babylone et Fostat», *BIE* 3ᵉ série I (1890), pp. 5-18; Butler, A.J., *The Arab Conquest of Egypt*, Oxford 1902, pp. 238-48 (بتلر، الفريد ج: فتح العرب لمصر، القاهرة ١٩٣٣، ٢٠٩-٢١٧)؛ id., *Babylon of Egypt, a study in the History of Old Cairo*, Oxford 1914; Herz, M., «Babylon und Qasr eš-Šamʿ», *Der Islam* VIII (1918), pp. 1-14, 136-37; Monneret de Villard, U., «Richerche sulls topographia di Qasr eš-Šam», *BSRGE* XII (1923-24), pp. 205-32; Toy, S., «Babylone of Egypt», *JBAA* 3ᵉ Dérie (1937); Loukianoff, E., «La forteresse romaine du Vieux-Caire», *BIE* XXXIII)1950-51), pp. 285-93; Becker, C.H., *EI*[2] art. *Babalyun* I, pp. 867-68; Fu'âd Sayyid, A., *La Capitale de l'Égypte jusøu'à l'époque fatimide*, pp. 6-8.

[٢] ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ٣٤- ٣٥.

[٣] أبو الأسود النَّضْر بن عبد الجبار بن نضير المرادي =

[a]ويقول[b] إنَّما سُمِّيَ كذا لأنَّهم كانوا يقولون: من يُقاتِل اليوم[a] [1]؟

وقال القُضاعِيُّ: ذِكْرُ الحِصْن المعروف بقَصْر الشَّمْع: يُقالُ إنَّ فارِسَ لمَّا ظَهَرَت على الرُّوم، ومَلَكَت عليهم الشَّام ومَلَكَت مصر، بدأت ببناء هذا القَصْر، وبَنَت فيه هَيْكلًا لبيت النار، ولم يتم بناؤه على أيْديهم إلى أن ظَهَرَت الرُّومُ عليهم، فتَمَّمَت بناءَه وحَصَّنَتْه، ولم تَزَل فيه إلى حين الفَتْح. وهَيْكَلُ النَّار هو القُبَّة المعروفة اليوم بقُبَّة الدُّخَان، وبحضرتها مَسْجِدٌ مُعَلَّق أَحْدَثَه المسلمون.

[a]وقال أبو عُبَيْد البَكْري: باب ألْيُون بمصر إن كان عَرَبيًّا فإنَّه مثل يَوْم ويَوْح ممَّا فاؤه ياء وعَيْنه واو، وقد يَجُوز أن يكون فُعْلًا من بَيْن، وهو اسم مَوْضِع على مَذْهَب أبي الحَسَن في «فُعْل» من البيع بُوع. قال: ولَيْسَت الألف واللام فيه للتعريف، فعلى هذا يجب أن تُثْبَت في الرَّسْم.

وقال أبو صَخْر [2]:

[الطويل]

جَلَوْا من[c] تَهَامِ أَرْضِنا وتَبَدَّلوا بمَكَّة بابَ الْيُونَ، والرَّيْط بالعَصْبِ

والرِّواية في شِعْر كُثَيِّر عَزَّة في قَوْله [3]:

[الطويل]

جَرَى بين بابِ الْيُون والهَضْب[d] دونه رياحٌ أَسَفَّت بالنَّقا وأَشَمَّتِ

بالباء وبفَتْح النون غير مَجْرور للعُجْمَة، على أنَّ هَمْزَتَه مقطوعة وَصَلَها للضرورة [4].

وقال الحازِمي [5]: باب أليون ـ بالياء ـ اسم مَدينَة مصر، فَتَحَها المسلمون وسَمُّوها الفُسْطاط [a].

---

a-a) ساقطة من ظ. b) بولاق: يقال. c) ساقطة من بولاق. d) بولاق: العصب.

= البصري، كاتب الحكم لقاضي مصر لهيعة بن عيسى بن لهيعة المتوفى سنة ٢١٩هـ/٨٣٤م (الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٠: ٥٦٧-٥٦٨).

[1] ابن عبد الحكم: فتوح مصر ٢٨٠.

[2] أي أبو صَخْر الهُذَلي.

[3] البيت في ديوان كُثَيِّر عَزَّة، تحقيق إحسان عباس، بيروت - دار الثقافة ١٩٧١، ٣٢٦، وهو من قصيدة يرثي فيها عبد العزيز بن مروان؛ وورد عند ياقوت: معجم البلدان ١: ٣١١.

[4] أبو عبيد البكري: معجم ما استعجم ١٨٩ وأيضًا ٢١٨، ١٤٠٣.

[5] هو الحافظ النَّسَّابة أبو بكر محمد موسىٰ بن عثمان الحازمي الهَمَذَاني الشافعي المتوفى سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م (المنذري: التكملة لوفيات النقلة ١: ٨٩- ٩٢؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤: ٢٩٤- ٢٩٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢١: ١٦٧- ١٧٢؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٥: ٨٨؛=

(a)وقال عبدُ الملك بن هِشام : بابِلْيون المَنْسوب إليه مصر ، هو بابِلْيون بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان ، وإنَّ من وَلَدِه عَمْرو بن امْرئ القَيْس بن بابِلْيون بن سَبَأ ، وهو الملك على مصر لمَّا قَدِمَ إليها إبراهيمُ خَليلُ الرَّحْمَٰن صَلواتُ الله عليه . والقِبْطُ تُسَمِّي عَمْرًا هذا طُوطيس ، ومن وَلَدِه حُلْوان بن بابِلْيون بن عَمْرو بن امْرئ القَيْس ، وبه سُمِّيَت حُلْوان(a) [١] .

وقال القاضي القُضَاعيُّ : في ظاهِر الفُسْطاط القصرُ المعروف بباب ليون بالشَّرَف ـ ليون اسْمُ بَلَد مصر بلغة السُّودان والرُّوم ـ وقد بقيت من بنائِه بقيَّة مبنية بالحِجارَة/ ٢ على طَرَف الجبَل بالشَّرَف ، وعليه اليوم مَسْجِدٌ .

قال كاتِبُه (b): فهذا ـ كما تَرَى ـ صَريحٌ في أنَّ قَصْر باب أليون غير قَصْر الشَّمْع ، فإنَّ قَصْرَ الشَّمْع في داخِل الفُسْطاط ، وقَصْر باب أُليون هذا ـ عند القُضَاعِي ـ على الجبَل المعروف بالشَّرَف ، والشَّرَفُ خارج الفُسْطاط ، وهو خِلافُ ما قاله ابنُ عبد الحَكَم في كِتاب «فُتُوح مصر» والله أَعْلَم .

ويُقالُ إنَّ في زَمَن ناحور بن شاروع ـ وهو الثامِن عشر من آدَم ـ مَلَكَ مصر رَجُلٌ اسمه أَفطوطس مُدَّة اثنتين وثلاثين سنة ، وإنَّه أوَّلُ من أَظْهَرَ عِلْم الحِساب والسِّحْر ، وحَمَلَ كُتُبَ ذلك من بلاد الكِلْدانيين إلى مصر . وفي ذلك الزَّمان بُنِيَت بابِلْيون على بحر النِّيل بمصر ، وذلك لتمام ثلاثة آلاف وثلاث مائة وتسعين للعالَم .

وقال ابنُ سعيد في كتاب «المُغْرِب» : وأمَّا فُسْطاطُ مصر فإنَّ مَبانِيها كانت في القَديم مُتَّصِلَة بمَباني مَدينَة عَيْن شَمْس ، وجاءَ الإسلامُ وبها بناءٌ يُعْرَف بالقَصْر حوله مساكِن ، وعليه نَزَلَ عَمْرو ابن العَاص ، وضَرَبَ فُسْطاطَه حيث المَسْجِد الجامِع المَنْسوب إليه [٢].

وهذا وَهْمٌ من ابن سَعيد ، فإنَّ فُسْطَاطَ عَمْرو إنَّما كان مَضْروبًا عند دَرْب حمَّام شَمول بخُطِّ الجامِع [٣]، كذا(c) هو بخَط الشَّريف محمد بن أَسْعَد الجَوَّاني النَّسَّابَة ، وهو أَقْعَدُ بخِطط مصر وأَعْرَفُ من ابن سَعيد .

---

a-a) ساقط من ظ .   b) بولاق : المؤلف .   c) بولاق : هكذا .

= السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ٧: ١٣-١٤) .

[١] ابن هشام : التيجان في ملوك حمير ٥٣، ٥٧؛ وفيما تقدم ١: ٥١.

[٢] ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب (قسم مصر) ١ (نقلًا عن كتاب الكمائم للبيهقي) .

[٣] انظر فيما يلي ٣١ وأبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١: ٦٥.

وأمّا مَوْضِعُ الجامِع فكان كُرومًا وجِنانًا، وحازَ مَوْضِعَه قَيْسَبَة التُّجيبي ثم تَصَدَّق به على المسلمين، فعُمِلَ المَسْجِد. وستَقِف على هذا إن شاءَ الله تعالى في ذِكْر جامِع عَمْرو، عند ذِكْر الجَوامِع من هذا الكتاب [١].

وقال ابنُ المُتَوَّج: خُطُّ قَصْر الشَّمْع، هذا الخُطُّ يُعْرَف بقَصْر الشَّمْع، وفيه قَصْرُ الرُّوم، وفيه أَزِقَّةٌ ودُور[a] ودُرُوب؛ قالَ: وكَنيسَةُ المُعَلَّقَة بمصر بباب القَصْر، وهو قَصْرُ الرُّوم.

وقال ابنُ عبد الحكَم: وأَقَرَّ عَمْرو بن العَاص القَصْر لم يَقْسِمه ووَقَفَه [٢].

وقال أبو عُمَر الكِنْديُّ في كتاب «الأُمَراء»، وقد ذَكَر قِيام عليّ بن محمد بن عبد الله ابن الحَسَن بن عليّ بن أبي طالِب وطروق المَسْجِد، في إمارة يَزيد بن حاتِم بن قَبيصَة بن المُهَلَّب بن أبي صُفْرَة على مصر: ووَرَدَ كِتابُ أبي جَعْفَر المَنْصور على يَزيد بن حاتِم يأمره بالتَّحَوُّل من العَسْكَر إلى الفُسْطاط، وأن يَجْعَل الدِّيوان في كَنائِس القصر، وذلك في سنة ستٍّ وأربعين ومائة [٣].

ذِكْرُ حِصَارِ المُسْلِمِين للقَصْرِ وفَتْحِ مِصْر

اخْتَلَف النَّاسُ في فَتْح مصر، فقال محمد بن إسْحاق وأبو مَعْشَر ومحمد بن عُمَر الواقِدي ويَزيد بن أبي حَبيب وأبو عُمَر الكِنْدي: فُتِحَت سنة عشرين؛ وقال سَيْفُ بن عُمَر: فُتِحَت سنة ستّ عشرة؛ وقيل فُتِحَت سنة ستٍّ وعشرين، وقيل سنة إحدى وعشرين، وقيل سنة اثنتين وعشرين؛ والأَوَّلُ أَصَحّ وأَشْهَر [٤].

---

a) زيادة من ظ.

---

[١] انظر فيما يلي ٢: ٢٤٦.

[٢] ابن عبد الحكم: فتوح مصر ١١٤.

[٣] الكندي: ولاة مصر ١٣٧؛ وانظر فيما يلي ٦٢.

[٤] يعد كتاب عبد الرحمن بن عبد الحكم «فتوح مصر وأخبارها» المصدر الرئيس الذي تناول تفاصيل فتح العرب المسلمين لمصر، واعتمد عليه كل المؤرخين اللاحقين الذين بنوا روايتهم للفتح عليه (وانظر فيما تقدم ١: ٤٤١-٤٥١ فتح الإسكندرية). أمّا أهم الدراسات الحديثة التي درست موضوع الفتح فأهمها كتاب الفرد بتلر Butler, A.J., *The Arab Conquest of Egypt and the Last Thirty Years of Roman Domination*, Oxford 1902، وقدم له P.M. Fraser نشرة مراجعة ضمنها دراسات أخرى =

قال ابنُ عبد الحَكَم : لمَّا قَدِمَ عُمَرُ بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ الجابِيَة ، قامَ إليه عَمْرو بن العَاص فخَلا به ، فقال : يا أميرَ المُؤْمنين ائْذَن لي أن أَسير إلى مصر وحَرَّضَه عليها وقال : إنَّك إن فَتَحْتَها كانت قُوَّةً للمسلمين وعَوْنًا لهم ، وهي أكثرُ الأرض أمْوالًا ، وأَعْجَزُها[a] عن القِتال والحَرْبِ . فتخَوَّف عُمَر بن الخَطَّاب وكَرِهَ ذلك ، فلم يَزَل عَمْرو يُعَظِّم أَمْرَها عند عُمَر بن الخَطَّاب ويُخْبِره بحالِها ، ويُهَوِّن عليه فَتْحَها حتى رَكَنَ لذلك . فعَقَد له على أربعة آلاف رَجُل كلّهم من عَكّ ، ويُقال بل ثلاثة آلاف وخمس مائة . وقال له عُمَر : سِر وأنا مُسْتَخير الله في مَسيرك ، وسيأتيك كِتابي سَريعًا إن شاءَ الله تعالى ، فإن أَدْرَكَكَ كِتابي آمُرُك فيه بالانْصِراف عن مصر قَبْل أن تَدْخُلها أو شيئًا من أَرْضها فانْصَرف ، وإن أنت دَخَلْتَها قبل أن يَأْتيك كتابي فامْضِ لوَجْهك ، واسْتَعِن بالله واسْتَنْصِره . فسارَ عَمْرو بن العَاص من جَوْف اللَّيْل ، ولم يَشْعُر به أَحَدٌ من النَّاس .

واستخارَ عُمَر الله ، فكأنَّه تَخَوَّف على المسلمين في وَجْههم ذلك ، فكَتَب إلى عَمْرو بن العَاص أن يَنْصَرف بمن مَعَه من المسلمين ، فأَدْرَكَ عَمْرًا الكتابُ إذ هو برَفَح ؛ فتَخَوَّف عَمْرو إن هو أَخَذَ الكِتابَ وفَتَحه أن يَجِدَ فيه الانْصِراف كما عَهِدَ إليه عُمَر ، فلم يأْخُذ الكتابَ من الرَّسول[1] ودافَعَه ، وسارَ كما هو حتى نَزَل قَرْيةً فيما بين رَفَح والعَريش ، فسأَل عنها ، فقيل إنَّها من مصر . فدَعا بالكِتاب فقَرَأَه على المسلمين ، فقال عَمْرو لمن معه : أَلَسْتُم تَعْلَمون أنَّ هذه القرية من مصر ؟ قالوا : بَلَى . قال : فإنَّ أميرَ المؤمنين عَهِدَ إليَّ ، وأَمَرني إن لَحِقَني كتابُه ولم أَدْخُل أَرْضَ مصر أن أَرْجع ، ولم يَلْحَقْني كتابُه حتى دَخَلْنا أرض مصر ، فسيروا وامْضُوا على بَرَكَة الله .

ويُقالُ بل كان عَمْرو بفِلَسْطين ، فتقدَّم عَمْرو بأَصْحابِه إلى مصر بغير إذْن ، فكُتِبَ فيه إلى عُمَر ـ رضي الله عنه ـ فكَتَبَ إليه عُمَر وهو دون العَريش ، فحَبَسَ الكِتابَ فلم يَقْرَأه حتى بَلَغَ العَريش فقَرَأَه ، فإذا فيه :

---

a) النسخ . وأعجز والتصويب من ابن عبد الحكم .

= لبتلر حول موضوع الفتح ظهرت في أكسفورد سنة ١٩٧٨ (نقله إلى العربية عن الطبعة الأولى محمد فريد أبو حديد بعنوان : فتح العرب لمصر ، القاهرة ١٩٣٣) ؛ وانظر كذلك سيدة إسماعيل كاشف : مصر في فجر الإسلام ، القاهرة ١٩٤٧، بيروت ١٩٨٦؛ Jarry, J., «L'Égypte et l'invasion musulmane», *An. Isl.* 6 (1966), pp. 1-29; Cristidis, V., *EI*[2] art. *Misr* VII, pp. 154-55; Kaegi, W., «Egypte on the Eve of the Muslim Conquest» in *The Cambridge History of Egypt*, I, pp. 34-61.

[1] هو عُقْبَة بن عامِر الجُهَني (فيما يلي ٣٠؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١ : ٢٢) .

«من عُمَر بن الخَطَّاب إلى العَاصي ابن العَاصي . أمَّا بَعْدُ ، فإنَّك سِرْت إلى مصر ومن/ مَعَك ، وبها جُموعُ الرُّوم ، وإنَّما مَعَك نَفَرٌ يَسير ، ولعَمْري لو كان ثكل أمك[a] ما سِرْت بهم ، [فإذا جاءَكَ كتابي هذا][b] فإن لم تكن بَلَغْتَ مصر فارْجع» . ٢٨٩:١

فقال عَمْرو : الحَمْدُ لله أيَّةُ أرضٍ هذه ؟ قالوا : من مصر ، فتَقَدَّم كما هو [1] .

ويُقالُ بل كان عَمْرو في جُنْده على قَيسارِيَّة مع مَنْ كان بها من أجْناد المسلمين وعُمَرُ بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ إذ ذاك بالجابِيَة ، فكَتَبَ سِرًّا فاستأذن أن يَسيرَ إلى مصر ، وأمَرَ أصْحابَه ، فتَنَحَّوا كالقَوْم الذين يُريدون أن يَتَنَحَّوا من مَنْزِلٍ إلى مَنْزِلٍ قَريب ، ثم سارَ بهم ليلًا . فلمَّا فَقَدَه أُمَراءُ الأَجْناد ، اسْتَنْكَروا الذي فَعَل ، ورأوا أن قد غَرَّرَ[c]، فرَفَعوا ذلك إلى عُمَر بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ فكَتَبَ إليه عُمَر :

«إلى العَاصي ابن العَاصي أمَّا بَعْد ، فإنَّك قد غَرَّرْت بمن مَعَك ، فإن أدْرَكَك كتابي ولم تَدْخُل مصر فارْجع ، وإن أدْرَكَكَ وقد دَخَلْت فامْض ، واعْلَم أنّي مُمِدّك» .

ويُقالُ إنَّ عُمَر بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ كَتَب إلى عَمْرو بن العَاص بعدما فَتَحَ الشَّام : أن انْدُب النَّاسَ إلى المسير معك إلى مصر ، فمَنْ خَفَّ معك فسِر به ؛ وبَعَثَ به مع شَريك بن عَبْدَة ؛ فنَدَبَهم عَمْرو ، فأسْرَعوا إلى الخُروج مع عَمْرو .

ثم إنَّ عُثْمانَ بن عَفَّان ـ رضي الله عنه ـ دَخَلَ على عُمَر بن الخَطَّاب ، فقال عُمَر : كَتَبْتُ إلى عَمْرو ابن العاص يَسير إلى مصر من الشَّام ؛ فقال عُثْمان : يا أميرَ المُؤمنين ، إنَّ عَمْرًا لمُجَرّؤ فيه[d] إقْدامٌ وحُبٌّ للإمارَة ، فأخْشَى أن يَخْرُج في غير ثِقَةٍ ولا جَماعَة ، فيُعَرِّض المسلمين للهَلَكَة رَجاءَ فُرْصَة لا يَدْري تكون أم لا ؛ فنَدِمَ عُمَر على كِتابِه إلى عَمْرو ، وإشْفاقًا[e] ممَّا قال عُثْمان ، فكَتَبَ إليه : «إن أدْرَكَك كِتابي هذا[f]) قبْل أن تَدْخُل إلى مصر فارْجع إلى مَوْضِعك ، وإن كنت دَخَلْت فامْض لوَجْهك» .

---

a) بولاق : لو نكل بك ، ظ : ثكلت أمك . فتوح : كانوا ثكل أمك ، الكندي : لو كان ثكل أمك . b) زيادة من الكندي . c) بولاق : غدر . d) بولاق : لجرئ وفيه . e) بولاق : أشفق . f) زيادة من ظ .

---

[1] ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٥٦- ٥٧؛ الكندي : ولاة مصر ٣٠- ٣١؛ ابن سعيد : المغرب ١٩- ٢٠؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١: ٥- ٤٦؛ وفيما تقدم ١: ٤٣٠ .

فلمَّا بَلَغَ المُقَوْقِسَ قُدومُ عَمْرو بن العَاص إلى مصر، تَوَجَّه إلى مَوْضِع الفُسْطاط، فكان يُجَهِّز على عَمْرو الجُيوش، وكان على القَصْر رَجُلٌ من الرُّوم يُقالُ له الأُعَيْرِج والِيًا عليه، وكان تحت يَدَيِ[a] المُقَوْقِس. وأقْبَلَ عَمْرو حتى إذا كان بجَبَل الحَلال نَفَرَت معه راشِدَةُ وقَبائِلُ من لَخْم، فتَوَجَّه عَمْرو حتى إذا كان بالعَرِيش أدْرَكه النَّحْر، فضَحَّى عن أصْحابه يومئذٍ بكَبْش. وتقدَّم فكان أوَّلُ مَوْضِعٍ قُوتِل فيه الفَرَما، قاتَلَته الرُّومُ قِتالًا شديدًا نحوًا من شهر، ثم فَتَحَ الله عليه. وكان عبدُ الله بن سَعْدٍ على مَيْمَنَة عَمْرو منذ تَوَجَّه من قَيْسارِيَّة إلى أن فَرَغَ من حَرْبه. وكان بالإسْكَنْدَرية أُسْقُف للقِبْط يُقالُ له أبو مَيامين[b]، فلمَّا بَلَغَه قُدُوم عَمْرو إلى مصر، كَتَبَ إلى القِبْط يُعْلِمُهم أنَّه لا يكون للرُّوم دَوْلَة، وأنَّ مُلْكَهُم قد انْقَطَع، ويأمُرُهم بتلقِّي عَمْرو، فيُقالُ إنَّ القِبْطَ الذين كانوا بالفَرَمَا كانوا يومئذٍ لعَمْرو أعْوانًا.

ثم تَوَجَّه عَمْرو لا يُدافَع إلَّا بالأَمْر الخَفيف[c]، حتى نَزَل القَواصِر، فسَمِعَ رَجُلٌ من لَخْم نَفَرًا من القِبْط يقول بعضُهم لبعض: ألَا تَعْجَبُون من هؤلاء القَوْم، يُقْدِمون على جُموع الرُّوم وإنَّما هم في قِلَّة من النَّاس؟! فأجابَه رَجُلٌ منهم فقال: إنَّ هؤلاء القَوْم لا يتوجَّهون إلى أحَدٍ إلَّا ظَهَرُوا عليه، حتى يَقْتُلوا خَيْرَهُم. وتقدَّم عَمْرو لا يُدافَع إلَّا بالأمر الخَفيف حتى أتى بِلْبَيْس، فقاتَلوه بها نحوًا من الشهر حتى فَتَحَ الله عليه. ثم مَضَى لا يُدافَع إلَّا بالأَمْر الخَفيف حتى أَتَى أُمّ دُنَيْن، فقاتَلوه بها قِتالًا شديدًا.

وأبطأ عليه الفَتْح، فكَتَبَ إلى عُمَر يَسْتَمِدّه، فأمَدَّه بأربعة آلاف تمام ثمانية آلاف، وقيل بل أمَدَّه باثني عشر ألفًا، فوَصَلوا إليه أرْسالًا يَتْبَع بعضُهم بعضًا، فكان فيهم أربعة آلاف[1] عليهم أربعة: الزُّبَيْر بن العَوّام، والمِقْداد بن الأَسْوَد، وعُبادَة بن الصَّامِت، ومَسْلَمَة بن مَخْلَد؛ وقيل إنَّ الرابع خارِجَة بن حُذافَة دون مَسْلَمَة.

ثم أحاطَ المسلمون بالحِصْن، وأَميرُه يومئذٍ المَنْدَقُور[d] ـ الذي يُقال له الأُعَيْرِج ـ من قِبَل المُقَوْقِس بن قُرْقُب اليوناني، وكان المُقَوْقِسُ ينزل الإسْكَنْدَرِية وهو في سُلْطان هِرَقْل، غير أنَّه كان

a) بولاق: يد. b) كذا في جميع النسخ وهو المعروف عند الأقباط باسم بنيامين. c) ظ: الأخف. d) بولاق: المندفور.

[1] ابن عبد الحكم: فتوح مصر ٥٧–٥٩، ابن سعيد: المغرب (قسم مصر) ٢٠–٢١؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١: ٥–٨.

حاضِرَ الحِصْن حين حاصَرَه المسلمون ، فقاتَلَ عَمْرو بن العَاص مَنْ بالحِصْن [١] .

وجاءَ رَجُلٌ إلى عَمْرو فقال : انْدُب معي خَيْلًا حتى آتي من وَرائهم[a] عند القِتال . فأَخْرَجَ معه خمس مائة فارِس ، عليهم خارِجَة بن حُذافَة في قَوْلٍ ، فساروا من وَراءِ الجَبَل حتى دَخَلوا مَغار بني وائِل قبل الصُّبْح . وكانت الرُّومُ قد خَنْدَقُوا خَنْدَقًا ، وجَعَلوا له أبوابًا ، وبَثُّوا في أَفْنِيَتها حَسَك الحَديد ، فالتقى القومُ حين أَصْبَحُوا ، وخَرَجَ خارِجَةُ من وَرائِهم ، فانْهَزَموا حتى دَخَلوا الحِصْن ، وكانوا قد خَنْدَقوا حَوْلَه [٢] .

فنَزَلَ عَمْرو على الحِصْن ، وقاتَلَهم قِتالًا شَديدًا يُصْبِحهم ويُمْسيهم . وقيل إنَّه لمَّا أَبْطَأَ الفَتْحُ على عَمْرو ، كَتَبَ إلى عُمَر بن الخَطَّاب يستمدّه ويُعْلِمه بذلك ، فأَمَدَّه بأربعة آلاف رجل ، على كلِّ ألف رجل منهم رجلٌ[b] مَقام الألف : الزُّبَيْر بن العَوَّام ، والمِقْداد بن عَمْرو ، وعُبادَة بن الصَّامِت ، ومَسْلَمَة بن مَخْلَد ، وقيل بل خارِجَة بن حُذافَة لا يعدون مَسْلَمَة ؛ وقال عُمَر : اعْلَم أنَّ مَعَكَ اثني عشر ألفًا ، ولا تُغْلَب اثنا عشر ألفًا من قِلَّة [٣] .

وقيل قَدِمَ الزُّبَيْر في اثني عشر ألفًا ؛ وإنَّ عمرًا لمَّا قَدِمَ من الشَّام كان في عِدَّةٍ قليلة ، فكان يُفَرِّق أصحابَه ليرى العَدُوُّ أنَّهم أكثر ممَّا هم . فلمَّا انتهى إلى الخَنْدَق نادوه : أنْ قد رَأَيْنا ما صَنَعْت ، وإنَّما معك من أصْحابِك كذا وكذا ؛ فلم يُخْطِئوا برَجُلٍ واحِدٍ . فأقامَ عَمْرو على ذلك أيَّامًا ، يَغْدو في السَّحر فيَصُفّ أصحابَه على أفْواه الخَنْدَق عليهم السِّلاح ، فبينا هو على ذلك إذ جاءَه خَبَرُ الزُّبَيْر ابن العَوَّام أنَّه قَدِمَ/ في اثني عشر ألفا ، فتلقَّاه عَمْرو ، ثم أَقْبلا يَسيران . ثم لم يَلْبَث الزُّبَيْر أن رَكِب ، ثم ٢٩٠:١
طافَ بالخَنْدَق ، ثم فَرَّق الرِّجال حَوْل الخَنْدَق ، وأَلَحَّ عَمْرو على القصر ، ووَضَعَ عليه المَنْجَنيق .

ودَخَلَ عَمْرو إلى صاحِب الحِصْن ، فتناظَرَا في شيءٍ ممَّا هم فيه ، فقال عَمْرو : أَخْرُجُ وأَسْتَشير أصْحابي ؛ وقد كان صاحِبُ الحِصْن أَوْصَى الذي على الباب إذا مَرَّ به عَمْرو أن يُلْقي عليه صَخْرَة

a) بولاق : دياراتهم . b) ساقطة من بولاق .

[١] الكندي : ولاة مصر ٣١ وانظر حول شخصية المُقَوْقِس الذي دارت معه المفاوضة من المسلمين الفاتحين والخلاف حولها Öhrenberg, K., *EI* [2] art. *al-Mukawkis* VII, pp. 511-13؛ أحمد فؤاد : تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، القاهرة ١٩٩٧، ٦٤٢- ٧٦٣.

[٢] ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٥٩؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١ : ٨.

[٣] ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٦١؛ أبو المحاسن : النجوم ١ : ٨.

فيَقْتُله، فمَرَّ عَمْرو وهو يُريد الخُروج برَجُلٍ من العَرَب فقال له: قد دَخَلْتَ، فانظر كيف تَخْرُج. فرَجَعَ عَمْرو إلى صاحِب الحِصْن فقال له: إنّي أريد أن آتيك بنَفرٍ من أَصْحابي حتى يَسْمَعوا منك مثل الذي سَمِعْتُ. فقال العِلْجُ في نفسه: قَتْلُ جَماعَةٍ أحَبُّ إليَّ من قَتْلِ واحِدٍ. وأَرْسَلَ إلى الذي كان أَمَرَه بما أَمَره به من قَتْل عَمْرو: ألَّا يَتَعَرَّض له، رَجاءَ أن يأتيه بأَصْحابِه فيَقْتُلهم [1].

فخَرَجَ عَمْرو، وعُبادَة بن الصَّامِت في ناحِيَةٍ يُصَلِّي وفَرَسُه عنده، فرآه قَوْمٌ من الرُّوم، فخَرَجُوا إليه وعليهم حِلْيَة وبِزَّة، فلمَّا دَنَوا منه سَلَّم من صَلاتِه، ووَثَبَ على فَرَسِه، ثم حَمَلَ عليهم. فلمَّا رَأَوْه وَلَّوا راجِعين، فاتَّبَعَهم فجَعَلَوا يُلْقون مَناطِقَهم ومَتاعَهم ليَشْغَلوه بذلك عن طَلَبِهم، وهو لا يَلْتَفِت إليه، حتى دَخَلوا الحِصْن، ورُمِيَ عُبادَة من فَوْق الحِصْن بالحِجارَة، فرَجَعَ ولم يتعرَّض لشيءٍ ممَّا طَرَحوا من مَتاعِهم، حتى رَجَع إلى مَوْضِعه الذي كان به فاستقبل الصَّلاة، وخَرَجَ الرُّومُ إلى مَتاعِهم يجمعونه [2].

فلمَّا أبطأ الفَتْحُ على عَمْرو، قال الزُّبَيْر: إنّي أَهِبُ نَفْسي لله[a] أَرْجُو أن يَفْتَح الله بذلك على المسلمين؛ فوَضَعَ سُلَّمًا[3] إلى جانِب الحِصْن من ناحية سُوق الحَمَّام، ثم صَعِدَ فأَمَرَهم إذا سَمِعُوا تكبيرَه أن يجيبوه جَميعًا، فما شَعَروا إلَّا والزُّبَيْر على رأس الحِصْن يُكَبِّر ومعه السَّيف، وتحامَل النَّاسُ على السُّلَّم حتى نَهاهُم عَمْرو خَوْفًا من أن يَنْكَسِر. وكَبَّرَ الزُّبَيْر، فكَبَّرَت النَّاسُ معه، وأَجابَهم المسلمون من خارِج، فلم يَشُكّ أَهْلُ الحِصْن أنَّ العَرَبَ قد اقْتَحَموا جميعًا، فهَرَبُوا. وعَمَدَ الزُّبَيْر وأَصحابُه إلى باب الحِصْن ففَتَحُوه، واقْتَحَم المسلمون الحِصْن. فخافَ المُقَوْقِسُ على نَفْسه ومن معه، فحينئذٍ سأل عَمْرو بن العَاص الصُّلْحَ ودَعاه إليه، على أن يَفْرِضَ للعرب على القِبْط دينارين على كلِّ رجلٍ منهم، فأجابَه عَمْرو إلى ذلك. وكان مُكْثُهم على باب القَصْر حتى فَتَحُوه سبعة أشهر [4].

---

a) بولاق: أهب الله نفسي.

---

[1] ابن سعيد: المغرب ٢٢.

[2] ابن عبد الحكم: فتوح مصر ٦١–٦٢.

[3] حاشية بخط المؤلِّف: «هذا السُّلَّم أُحرق بعضه ثم احترق ما بقي منه بعد سنة تسعين وثلاث مائة، قاله القضاعي».

[4] ابن عبد الحكم: فتوح مصر ٦٣؛ ابن سعيد: المغرب ٢٣–٢٤؛ أبو المحاسن: النجوم ١: ٩–١٠.

قالَ : وقد سَمِعْتُ في فَتْح القَصْر وَجْهًا آخَر ، هو أنَّ المسلمين لمَّا حاصَروا[a] باب أليون ، كان به جَماعَةٌ من الرُّوم وأكابِر القِبْط ورُؤسائِهم وعليهم المُقَوْقِسُ ، فقاتَلُوهم شَهْرًا . فلمَّا رأى القَوْمُ الجِدَّ من العَرَبِ على فَتْحه والحِرْص ، ورأوا من صَبْرِهم على القِتال ورغبتهم فيه ، خافُوا أن يَظْهَروا عليهم ، فتَنَحَّى المُقَوْقِسُ وجماعَةٌ من أكابِر القِبْط ، وخَرَجوا من باب القصر القِبْلي ودونهم جماعَة يُقاتِلون العَرَب ، فلَحِقوا بالجَزيرَة[1] - مَوْضِع الصِّناعَة اليوم - وأَمَروا بقَطْع الجِسْر وذلك في جَرْيِ النِّيل . ويُقالُ إنَّ الأُعَيْرِجَ تَخَلَّف في الحِصْن بعد المُقَوْقِس ، وقيل خَرَجَ معهم ، فلمَّا خافَ فَتْحَ الحِصْن رَكِبَ هو وأَهْلُ القُوَّة والشَّرَف ، وكانت سُفُنُهم ملصقة بالحِصْن ، ثم لَحِقوا بالمُقَوْقِس بالجَزيرَة[2] .

فأَرْسَلَ المُقَوْقِسُ إلى عَمْرو :

«إنَّكم قَوْمٌ قد وَلَجْتُم في بلادِنا ، وأَلْحَحْتُم على قِتالِنا ، وطالَ مقامُكم في أرضنا ، وإنَّما أنتم عُصْبَة يسيرة ، وقد أَظَلَّتْكم الرُّوم ، وجَهَّزوا إليكم ومعهم من العُدَّة والسِّلاح ، وقد أحاطَ بكم هذا النِّيلُ ، وإنَّما أنتم أُسارَى في أيدينا ، فابْعَثُوا إلينا رِجالًا منكم نَسْمَع من كَلامِهم ، فلعلَّه أن يأتيَ الأَمْرُ فيما بينَنا وبينَكُم على ما تُحِبُّون ونُحِبّ ، ويَنْقَطِع عَنَّا وعنكم القِتال قبل أن تَغْشاكم جُموعُ الرُّوم ، فلا يَنْفَعُنا الكلامُ ولا نَقْدِر عليه ، ولعَلَّكم أن تَنْدَموا إن كان الأَمْرُ مُخالِفًا لطَلِبَتكم ورَجائِكم ، فابْعَثُوا إلينا رِجالًا من أصْحابِكم نُعامِلهم على ما نَرْضَى نحن وهم به من شيء» .

فلمَّا أَتَت عَمْرو بن العَاص رُسُلُ المُقَوْقِس ، حَبَسَهم عنده يومين وليلتين حتى خافَ عليهم المُقَوْقِسُ ، فقال لأصْحابِه : أَتَرَوْن أنَّهم يَقْتُلُون الرُّسُل ، ويَسْتَحِلُّون ذلك في دينهم ؟ وإنَّما أَرادَ عَمْرو بذلك أن يَرَوْا حالَ المسلمين . فَرَدَّ عليهم عَمْرو مع رُسُله :

«إنَّه ليس بَيْني وبينكم إلَّا إحدى ثلاث خِصال : إمَّا أن دَخَلْتُم في الإسلام فكنتم إخوانَنا وكان لكم ما لَنا ، وإن أبيتم فأَعْطَيْتُم الجِزْيَة عن يدٍ

---

a) بولاق : حصروا .

---

[1] حاشية بخط المؤلِّف : «هذه الجزيرة هي الرَّوْضَة ، والصناعة كانت في القديم بها وقد ذُكِرَت في موضعه من هذا الكتاب» .

[2] ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٦٤.

وأَنْتُم صاغِرون ، وإمَّا أن جاهَدْناكم بالصَّبْر والقِتال حتى يَحْكُم الله بيننَا وبينكم ، وهو خَيْرُ الحاكِمين» .

فلمَّا جاءَت رُسُلُ المُقَوْقِس إليه قال : كيف رأيتم هؤلاء ؟ قالوا : رأينا قَوْمًا المَوْتُ أَحَبُّ إلى أَحَدِهم من الحياة ، والتواضُع أَحَبُّ إلى أحَدِهم من الرِّفْعَةِ ، ليس لأَحَدِهم في الدنيا رَغْبَة ولا نَهْمة ، إنَّما جُلوسهم على التُّراب ، وأَكْلهم على رُكَبهم ، وأَميرُهم كواحِدٍ منهم ، ما يُعْرَف رَفيعُهم من وَضيعهم ، ولا السَّيِّدُ منهم من العَبْد ، وإذا حَضَرَت الصَّلاةُ لم يَتَخلَّف عنها منهم أَحَدٌ ، يَغْسلون أَطْرافَهُم بالماء ، ويَخْشَعون في صَلاتِهم . فقال عند ذلك المُقَوْقِسُ : والذي يُحْلَف به ، لو أنَّ هؤلاء اسْتَقْبَلوا الجبال لأزالوها ، وما يَقْوَى على قِتالِ هؤلاء أَحَدٌ ، ولئِن لم نَغْتَنِم صُلْحهم اليوم وهم مَحْصورون بهذا النِّيل ، لم يُجيبوا بعد اليوم إذا أَمْكَنَتْهم الأَرضُ ، وقووا/ على الخُروج من مَوْضِعهم . فَرَدَّ إليهم المُقَوْقِسُ رُسُلَه : ابْعَثوا إلينا رُسُلًا منكم نُعامِلهم ، ونتداعَى نحن وهم إلى ما عَساه أن يكون فيه صَلاحٌ لنا ولكم .

فبَعَثَ عَمْرو بن العَاص عَشْرَةَ نَفَرٍ ، أَحَدُهم عُبادَة بن الصَّامِت ، وكان طولُه عشرة أشبار ، وأَمَرَه أن يكون مُتَكَلِّم القَوْم ، ولا يُجيبهم إلى شيءٍ دَعَوه إليه إلَّا إحدى هذه الثَّلاث خِصال ، فإنَّ أَميرَ المؤمنين قد تَقَدَّم إليَّ في ذلك ، وأَمَرَني ألَّا أَقْبَلَ شيئًا سِوى خَصْلَة من هذه الثلاث خِصَال .

وكان عُبادَة أَسْوَد ، فلمَّا رَكِبوا السُّفُن إلى المُقَوْقِس ودَخَلوا عليه ، تَقَدَّم عُبادَة ، فهابَه المُقَوْقِسُ لسَوادِه ، وقال : نَحُّوا عَنِّي هذا الأَسْوَد ، وقَدِّموا غيره يُكَلِّمني . فقالوا جميعًا : إنَّ هذا الأَسْوَدَ أَفْضَلُنا رأيًا وعِلْمًا ، وهو سَيِّدُنا وخَيْرُنا والمُقَدَّمُ علينا ، وإنَّما نَرْجع جميعًا إلى قَوْله ورَأْيه ، وقد أَمَرَه الأَميرُ دوننا بما أَمَرَه ، وأَمَرَنا ألَّا نُخالِفُ رأيَه وقَوْلَه ؛ قال : وكيف رَضِيتم أن يكونَ هذا الأَسْوَد أَفْضَلَكم ، وإنَّما ينبغي أن يكون هو دُونكم ؟ قالوا : كَلَّا ، إنَّه وإن كان أَسْوَد كما تَرَى ، فإنَّه من أَفْضَلِنا مَوْضِعًا وأَفْضَلنا سابِقَةً وعَقْلًا ورأيًا ، وليس يُنْكَر السَّوادُ فينا ؛ فقال المُقَوْقِسُ لعُبادَة : تَقَدَّم يا أَسْوَد وكَلِّمني برِفْق ، فإنِّي أَهابُ سَوادَك ، وإن اشْتَدَّ كلامُك عليّ ، ازددت لك هَيْبَة .

فتَقَدَّم عليه عُبادَة فقال : قد سَمِعْت مقالَتَك ، وإنَّ فيمن خَلَّفْت من أصحابي ألف رجل أَسْود كلهم أَشَدّ سَوادًا مِنِّي وأَفْظَع مَنْظَرًا ، ولو رأيتهم لكنت أَهْيَبَ لهم منك لي ، وأنا قد وَلَّيت وأَدْبَر شَبابي ، وإنِّي مع ذلك ـ بحَمْد الله ـ ما أَهابُ مائة رَجُل من عَدُوِّي لو اسْتَقْبَلوني جَميعًا ، وكذلك أَصْحابي ؛ وذلك إنَّما رَغْبَتنا وهِمَّتنا الجِهادُ في الله واتِّباع رِضْوانه ، وليس غَزْوُنا عَدُوًّا ممن

حارَب الله لرَغْبَة في دُنْيا ولا طَلَبٍ للاستكثار منها ، إلَّا أنَّ الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ قد أَحَلَّ لنا ذلك ، وجَعَلَ ما غَنِمْنا من ذلك حَلالًا ؛ وما يُبالي أَحَدُنا إن كان له قِنْطارٌ من ذَهَب أم كان لا يَمْلِك إلَّا دِرْهَمًا ، لأنَّ غاية أَحَدِنا من الدنيا أَكْلَة يأكُلها يَسُدّ بها جُوعَه لليله ونهاره ، وشَمْلَة يَلْتَحِفها ، فإن كان أَحَدُنا لا يَمْلك إلَّا ذلك كَفاه ، وإن كان له قِنْطَارٌ من ذَهَب أَنْفَقه في طاعة الله ، واقْتَصر على هذا الذي بيده ويُبَلِّغُه ما كان في الدنيا ، لأنَّ نَعيمَ الدُّنْيا ليس بنَعيم ورَخاءَها ليس برَخاءٍ ، إنَّما النَّعيمُ والرَّخاءُ في الآخِرَة . وبذلك أَمَرَنا الله [a]، وأَمَرَنا به نَبِيُّنا وعَهِدَ إلينا أَلَّا تكون هِمَّةُ أَحَدِنا من الدنيا إلَّا ما يُمْسِك جَوْعَتَه ويَسْتُر عَوْرَتَه ، وتكون هِمَّتُه وشُغْلُه في رِضاء رَبِّه وجِهادِ عَدُوِّه .

فلمَّا سَمِعَ المُقَوْقِسُ ذلك منه ، قال لمن حَوْلَه : هل سَمِعْتُم مثل كلام هذا الرَّجُل قَطّ ؟ لقد هِبْتُ مَنْظَرَه ، وإنَّ قَوْلَه لأَهْيَب عندي من مَنْظَره ، إنَّ هذا وأَصْحَابَه أَخْرَجَهُم الله لخَراب الأرض ، ما أَظُنّ مُلْكَهم إلَّا سَيَغْلب على الأرض كلِّها .

ثم أَقْبَلَ المُقَوْقِسُ على عُبادَة بن الصَّامِت فقال له : أيُّها الرَّجُل الصَّالِح ، قد سَمِعْت مَقالَتَك وما ذَكَرْت عنك وعن أَصْحابِك . ولعَمْري ما بَلَغْتُم ما بَلَغْتُم إلَّا بما ذَكَرْت ، وما ظَهَرْتُم على من ظَهَرْتُم عليه إلَّا لحُبِّهم الدُّنيا ورَغْبتهم فيها . وقد تَوَجَّه إلينا لقِتالِكم من جَمْع الرُّوم ما لا يُحْصَى عددُه ، قَوْمٌ معروفون بالنَّجدَة والشِّدَّة ، ما يُبالي أَحَدُهم مَنْ لَقِي ولا مَنْ قاتَل ، وإنَّا لنعلم أنَّكم لم تَقْدِروا عليهم ، ولن تُطيقوهم لضَعْفِكم وقِلَّتِكم . وقد أَقَمْتُم بين أَظْهُرنا أَشْهُرًا وأنتم في ضِيقٍ وشِدَّة من مَعاشِكم وحالِكم ، ونحن نَرِقُّ عليكم لضَعْفكم وقِلَّتِكم وقِلَّة ما بين أَيْديكم ، ونحن تَطيبُ أَنْفُسُنا أن نُصالِحَكُم على أن نَفْرِض لكلِّ رَجُلٍ منكم دينارين دينارين ، ولأميركم مائة دينار ، ولخَليفَتكم ألف دينار ، فتَقْبضونها وتَنْصَرفون إلى بلادِكم قَبْل أن يَغْشاكُم ما لا قِوامَ لكم به .

فقال عُبادَةُ بن الصَّامِت : يا هذا لا تَغُرَّن نَفْسَك ولا أَصْحابَك ، أمَّا ما تُخَوِّفُنا به من جَمْع الرُّوم وعَدَدِهم وكَثْرَتهم وأنَّا لا نَقْوَى عليهم ، فلَعَمْري ما هذا بالذي تُخَوِّفنا به ، ولا بالذي يَكْسِرُنا عَمَّا نحن فيه . وإن كان ما قُلْتُم حَقًّا فذلك والله أَرْغَب ما يكون في قِتالهم ، وأَشَدّ لحِرْصِنا عليهم ، لأنَّ ذلك أَعْذَرُ لنا عند رَبِّنا إذا قَدِمْنا عليه ؛ إن قُتِلْنا عن آخِرنا ، كان أَمْكَن لنا في رِضْوانه وجَنَّتِه ، وما شيء أَقَرّ لأَعْيُننا ، ولا أَحَبُّ لنا من ذلك . وإنَّا منكم حينئذٍ لعلى إحدى

a) فتوح مصر : ربُّنا .

الحُسْنَيَيْن : إمَّا أن تَعْظُم لنا بذلك غَنيمَةُ الدُّنْيا إن ظَفِرْنا بكم ، أو غَنيمَةُ الآخِرة إن ظَفِرْتُم بنا ، وإنَّها[a] لأَحَبُّ الخَصْلَتَيْن إلينا بعد الاجْتهاد مِنَّا ؛ وإن الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ قال لنا في كِتابه : ﴿كَمْ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ واللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الآية ١٤٩ سورة البقرة] ؛ وما مِنَّا رَجُلٌ إلَّا وهو يَدْعو رَبَّه صَباحًا ومَساءً أن يَرْزُقَه الشَّهادَة ، وألَّا يُرَدّ إلى بلده ولا إلى أرْضه ولا إلى أَهْله ووَلَدِه ، وليس لأَحَدٍ مِنَّا هَمٌّ فيما خَلَّفَه ، وقد اسْتَوْدَعَ كلُّ واحِدٍ مِنَّا رَبَّه أَهْلَه ووَلَدَه ، وإنَّما هَمُّنا ما أمامَنا .

وأمَّا قَوْلُك إنَّا في ضِيقٍ وشِدَّة من مَعاشِنا وحالِنا ، فنحن في أَوْسَع السَّعَة ، لو كانت الدُّنْيا كلُّها لنا ، ما أَرَدْنا منها لأَنْفُسنا أكثر مِمَّا نحن عليه . فانْظُر الذي تُريد فبَيِّنه لنا ، فليس بَيْنَنا وبينك خَصْلَةٌ نَقْبَلُها منك ولا نُجيبك إليها ، إلَّا خَصْلَة من ثَلاث ، فاخْتَرْ أَيَّتُها شِئْتَ ، ولا تُطْمِع نَفْسك في الباطِل ، بذلك أَمَرَني/ الأميرُ ، وبها أَمَرَه أميرُ المؤمنين ، وهو عَهْدُ رَسُول الله لله من قَبْل إلينا . ٢٩٢:

إمَّا أَجَبْتُم[b] إلى الإسْلام الذي هو الدينُ القَيِّم الذي لا يَقْبَل الله غَيْرَه ، وهو دِيْن أنْبيائه ورُسُله ومَلائِكته ، أَمَرَنا الله تعالى أن نُقاتِل من خَالَفَه ورَغِبَ عنه حتى يدخُل فيه ، فإن فَعَلَ كان له ما لنا وعليه ما عَلَيْنا ، وكان أَخانا في دينِ الله ؛ فإن قَبِلْتَ ذلك أنت وأَصْحابُك ، فقد سَعِدتم في الدنيا والآخِرة ، ورَجَعْنا عن قِتالِكم ، ولم نَسْتَحِلّ أذاكم ولا التَّعَرُّض لكم ؛ وإن أَبَيْتُم إلَّا الجِزْيَة ، فأَدُّوا إلينا الجِزْيَة عن يَدٍ وأنتم صاغِرون ، وأن نُعامِلَكم على شيءٍ نَرْضَى به نحن وأنتم في كلِّ عام أبدًا ما بَقينا وبَقيتم ، ونُقاتِلَ عَنْكم من ناوَأَكم وعَرَضَ لكم في شيءٍ من أرْضِكم ودِمائِكم وأمْوالِكم ، ونَقُوم بذلك عنكم إذ كنتم في ذِمَّتنا ، وكان لكم به عَهْدٌ علينا ؛ وإن أَبَيْتُم فلَيْسَ بيننا وبينكم إلَّا المُحاكَمَة بالسَّيْف حتى نَموت من آخِرنا ، أو نُصيبَ ما نُريد منكم . هذا دينُنا الذي نَدينُ الله تعالى به ، ولا يَجوز لنا فيما بَيْنَنا وبَيْنَه غيره ، فانْظُروا لأَنْفُسِكم .

فقال المُقَوْقِسُ : هذا ما لا يكون أبدًا ، ما تُريدون إلَّا أن تَتَّخِذونا عَبيدًا ما كانت الدنيا ؛ فقال له عُبادَة : هو ذاك ، فاخْتَرْ لنَفْسك ما شِئْتَ ؛ فقال المُقَوْقِسُ : أفَلا تُجيبونا إلى خَصْلَةٍ غير هذه الثلاث خِصال ؟ فرَفَعَ عُبادَةُ يَدَيْه إلى السَّماء فقال : لا ورَبِّ هذه السَّماء ورَبِّ هذه الأَرض ورَبِّ كلِّ شيءٍ ، ما لكم عندنا خَصْلَة غيرها ، فاخْتاروا لأنفسكم .

فالْتَفَت المُقَوْقِسُ عند ذلك إلى أصحابِه فقال : قد فَرَغَ القَوْمُ فما تَرَوْن ؟ فقالوا : أو يَرْضَى أَحَدٌ بهذا الذُّلّ ! أمَّا ما أرادوا من دُخولِنا في دِينِهم ، فهذا لا يكون أبدًا أن نترك دِينَ المَسيح بن مَرْيَم

---

a) بولاق : ولأنها . b) بولاق : إما إن أجبتم .

ونَدْخُل في دينٍ غيره لا نَعْرِفَه ؛ وأمَّا ما أَرادوا أن يَسْبُونا ويَجْعَلونا عَبيدًا ، فالموتُ أَيْسَر من ذلك ، لو رَضَوا مِنَّا أن نَضْعُف لهم ما أعْطيناهم مِرارًا كان أَهْوَنَ علينا .

فقال المُقَوْقِسُ لعُبادَة : قد أَبَى القَوْمُ فما تَرَى ، فراجِع صاحِبَك على أن نُعْطيكم في مَرَّتكم هذه ما تَمَنَّيتم وتَنْصَرفون ؛ فقال عُبادَةُ وأصحابُه : لا .

فقال المُقَوْقِسُ عند ذلك : أَطيعوني وأَجيبوا القَوْمَ إلى خَصْلَة من هذه الثَّلاث ، فوالله ما لَكُم بهم طاقَة ، ولِئن لم تُجيبُوا إليها طائِعِين لتجُيبنَّهم إلى ما هو أَعْظَمُ كارِهِين ؛ فقالوا : وأيّ خَصْلَة نُجيبهم إليها ؟ قال : إذن أُخْبِركم ، أمَّا دُخولُكم في غير دينكم فلا آمُرُكُم به ، وأمَّا قِتالُهم فأنا أَعْلَم أنَّكم لن تَقْوَوا عليهم ولن تَصْبروا صَبْرَهم ، ولابُدَّ من الثالثة ؛ قالوا : فنكون لهم عَبيدًا أبدًا . قال : نعم تكونون عَبيدًا مُسَلَّطِين في بلادِكم ، آمِنِين على أنْفُسِكم وأمْوالِكم وذَراريكم ، خَيْرٌ لكم من أن تَموتوا من آخِركم ، وتكونوا عَبيدًا تُباعوا وتُمَزَّقوا في البلاد ، مُسْتَعْبَدين أبدًا أنتم وأَهْليكم وذَراريكم ؛ قالوا : فالمَوْتُ أَهْوَنُ علينا . وأَمَروا بقَطْع الجِسْر من الفُسْطاط وبالجَزيرَة وبالقَصْر من جَمْع القِبْط والرُّوم كثير .

فأَلَحّ المسلمون عند ذلك بالقِتال على مَنْ بالقصر حتى ظَفِروا بهم ، وأَمْكَنَ الله منهم ، فقُتِلَ منهم خَلْقٌ كثير ، وأُسِرَ من أُسِر ، وانجرَّت السُّفُنُ كلّها إلى الجَزيرَة ، وصارَ المسلمون يُراقِبونَهم ، وقد أَحْدَق بهم الماءُ من كلِّ وجه ، لا يَقْدرون على أن يَنْفُذوا نحو الصَّعيد ، ولا إلى غير ذلك من المُدُن والقُرَى . والمُقَوْقِسُ يقول لأصْحابِه : أَلَم أُعْلِمْكم هذا[a] وأَخافَه عليكم ، ما تَنْتَظِرون ؟ فوالله لتجيبُنّهم إلى ما أرادوا طَوْعًا ، أو لتُجيبنَّهم إلى ما هو أَعظمُ منه كُرْهًا ، فأَطيعُوني من قَبْل أن تَنْدَمُوا . فلمَّا رأَوْا منهم ما رأَوْا ، وقال لهم المُقَوْقِسُ ما قال ، أَذْعَنوا بالجِزْيَة ، ورَضَوا بذلك على صُلْحٍ يكون بينهم يَعْرِفونه .

وأَرْسَلَ المُقَوْقِسُ إلى عَمْرو بن العَاص : إنِّي لم أَزَل حَريصًا على إجابَتِكم إلى خَصْلَةٍ من تلك الخِصال التي أَرْسَلْت إليّ بها ، فأَبَى عليَّ من حَضَرَني من الرُّوم والقِبْط ، فلم يكن لي أن أَفْتات عليهم في أمْوالِهم ، وقد عَرَفُوا نُصْحي لهم وحُبِّي صَلاحَهم ، ورَجَعُوا إلى قَوْلي ، فأَعْطِني أَمانًا أَجْتَمِع أنا وأنت : أنا في نَفَرٍ من أصْحابي ، وأنت في نَفَرٍ من أصْحابِك ، فإن اسْتَقام الأَمْرُ بيننا تَمَّ ذلك جميعًا ، وإن لم يتمّ رَجَعْنا إلى ما كُنَّا عليه .

---

a) ساقطة من بولاق .

فاستشار عَمْرو أصْحابَه في ذلك ، فقالوا : لا نُجيبهم إلى شيءٍ من الصُّلْح ولا الجِزْيَة حتى يَفْتَح الله علينا ، وتَصير الأرضُ كُلُّها لنا فَيْئًا وغَنيمَةً ، كما صارَ لنا القَصْرُ وما فيه . فقال عَمْرو : قد عَلِمْتُم ما عَهِدَ إليَّ أميرُ المؤمنين في عَهْده ، فإن أجابوا إلى خَصْلَةٍ من الخِصال الثلاث التي عَهِد إليّ فيها ، أَجَبْتُهم إليها وقَبِلْت منهم ، مع ما قد حالَ هذا الماء بيننا وبين ما نُريد من قِتالهم .

فاجْتَمَعوا على عَهْدٍ بينهم ، واصْطَلَحوا على أن يُفْرَضَ لهم على جَميع من بمصر ، أعْلاها وأسْفَلها ، من القِبْط : ديناران ديناران عن كلّ نَفْسٍ ، شَريفُهم ووَضيعُهم ، ممَّن بَلَغَ منهم الحُلُم ، ليس على الشَّيْخ الفاني ، ولا على الصَّغير الذي لم يَبْلُغ الحُلُم ، ولا على النِّساء شيءٌ [1] . وعلى أنَّ للمُسْلمين عليهم النُّزُل بجماعَتهم حيث نَزَلوا ، ومن نَزَل عليه ضَيْفٌ واحِدٌ من المسلمين أو أكثر من ذلك ، كانت لهم ضِيافَة ثلاثة أيام مُفْتَرَضَة عليهم ، وأنَّ لهم أرْضَهم وأموالَهم ، لا يُعْرَض لهم في شيءٍ منها ؛ فشُرِطَ ذلك كلّه على القِبْط خاصَّةً .

٢ وأَحْصوا عَدَدَ القِبْط يومئذٍ ، خاصَّةً من بَلَغَ منهم الجِزْيَة وفُرِض/ عليهم الديناران ـ رَفَعَ ذلك عُرَفاؤهم بالأَيْمان المؤَكَّدة ـ فكان جميعُ من أُحْصِيَ يومئذٍ بمصر ـ أعْلاها وأسْفَلها ـ من جميع القِبْط ، فيما أَحْصَوا وكَتَبوا ورَفَعُوا ، أكثر من ستة آلاف ألف نَفْس ، فكانت فَريضَتُهم يومئذٍ اثني عشر ألف ألف دينار في كلِّ سنة [2] .

وقال ابنُ لَهيعَة ، عن يحيى بن مَيْمُون الحَضْرَمي : لمَّا فَتَحَ عَمْرو مصر ، صالَح عن جَميع مَنْ فيها من الرِّجال من القِبْط ، ممَّن راهَقَ الحُلُم إلى ما فَوْق ذلك ، ليس فيهم امرأة ولا شَيْخ ولا صَبي ، فأُحْصُوا بذلك على دينارين دينارين ، فبَلَغَت عِدَّتُهم ثمانية آلاف ألف .

قال : وشَرَطَ المُقَوْقِسُ للرُّوم أن يُخَيَّروا : فمن أَحَبَّ منهم أن يُقيم على مِثْل هذا ، أقامَ على ذلك لازِمًا له مُفْتَرَضًا عليه ، ممَّن أقامَ بالإسْكَنْدَرية وما حَوْلَها من أرض مصر كلّها ، ومَنْ أراد الخُروج منها إلى أرْض الرُّوم ، خَرَجَ ؛ وعلى أنَّ للمُقَوْقِسِ الخيار في الرُّوم خاصَّةً ، حتى يكتب إلى ملك الرُّوم ويُعْلِمه ما فَعَل ، فإن قَبِلَ ذلك ورَضِيَه ، جازَ عليهم ، وإلَّا كانوا جميعًا على ما كانوا عليه [3] .

---

[1] انظر عن الجزية (الجالية جـ. الجوالي) فيما تقدم المغرب ٢٤- ٢٩؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١: ١٠- ١٩.

[2] ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٦٤- ٧٠؛ ابن سعيد : ١: ٢٠٧.

[3] نفسه ٧٠- ٧١.

وكَتَبُوا به كِتابًا، وكَتَبَ المُقَوْقِسُ إلى ملك الرُّوم كِتابًا يُعْلِمه بالأَمْر كُلِّه. فكَتَبَ إليه ملكُ الرُّوم يُقَبِّح رَأْيَه ويعجزه، ويرد عليه ما فَعَل، ويقول في كتابه:

«إنَّما أتاكَ من العَرَب اثنا عشر ألفًا، وبمصر مَنْ بها من كثرة عَدَد القِبْط ما لا يُحْصى، فإن كان القِبْطُ كَرِهُوا القِتال وأَحَبُّوا أداء الجِزْيَة إلى العَرَب واخْتاروهم علينا، فإنَّ عندكَ بمصر من الرُّوم، وبالإسْكَنْدَرية ومن مَعَكَ، أكثر من مائة ألف معهم العُدَّة والقُوَّة، والعَرَبُ وحالُهم وضَعْفُهم على ما قد رأيت، فعَجَزْت عن قِتالِهم، ورَضيتَ أن تكون أنت ومن مَعَكَ من الرُّوم في حال القِبْط أذِلَّاء، فقَاتِلهم أنت ومن معك من الرُّوم حتى تَموت أو تَظْهَر عليهم، فإنَّهم فيكم، على قَدْر كَثْرَتكم وقُوَّتِكم وعلى قَدْر قِلَّتهم وضَعْفهم، كأَكَلَة، ناهِضْهُم القِتال، ولا يَكُن لك رأيٌ غير ذلك».

وكَتَبَ مَلِكُ الرُّوم بمثل ذلك كِتابًا إلى جَماعَة الرُّوم؛ فقال المُقَوْقِسُ لمَّا أَتَاه كِتابُ مَلك الرُّوم: والله أَعْلَم أنَّهم على قِلَّتهم وضَعْفِهم أَقْوَى وأَشَدّ مِنَّا على قُوَّتنا وكَثْرَتِنا؛ إنَّ الرَّجُلَ الواحِد منهم ليَعْدل مائة رجل مِنَّا، وذلك أنَّهم قَوْمٌ الموتُ أَحَبُّ إلى أَحَدِهم من الحياة، يُقاتِلُ الرجلُ منهم وهو مُسْتَقْبل يتمنَّى أَلَّا يَرْجِع إلى أهْله ولا بَلَدِه ولا وَلَدِه، ويرون أنَّ لهم أجْرًا عَظيمًا فيمن قَتَلوه مِنَّا، ويقولون إنَّهم إن قُتِلُوا دَخَلوا الجنَّة، وليس لهم رَغْبَةٌ في الدنيا ولا لَذَّة إلَّا قَدْر بُلْغَة العَيْش من الطَّعام واللِّباس؛ ونحن قَوْمٌ نَكْرَه المَوْت، ونحبّ الحيَاة ولَذَّتها، فكيف نَسْتَقيم نحن وهؤلاء، وكيف صَبْرُنا معهم؟

واعْلَموا مَعْشَرَ الرُّوم، والله إنِّي لا أَخْرُج ممَّا دَخَلْتُ فيه، ولا صالَحْت العَرَب عليه، وإنِّي لأَعْلم أنَّكم ستَرْجِعون غَدًا إلى قَوْلي ورأيي، وتَتَمَنَّون أن لو كنتم أَطَعْتُموني، وذلك أنِّي قد عايَنْت ورأيت وعَرَفْت ما لم يُعاين المَلِك ولم يره ولم يَعْرفه، أما يُرْضي أحَدَكم أن يكون آمِنًا في دَهْره على نَفْسه ومالِه ووَلَدِه بدينارين في السنة.

ثم أَقْبَل المُقَوْقِسُ إلى عَمْرو فقال له: إنَّ الملكَ قد كَرِه ما فَعَلْت وعَجَّزَني، وكَتَبَ إليَّ وإلى جَماعَة الرُّوم إلَّا نَرْضَى بمُصالَحَتك، وأَمَرَهم بقِتالِك حتى يَظْفَروا بك أو تَظْفَرَ بهم، ولم أكن لأَخْرج ممَّا دَخَلْت فيه وعاقَدْتك عليه، وإنَّما سُلْطاني على نَفْسي ومَنْ أطاعَني. وقد تَمَّ صُلْحُ القِبْط فيما بينك وبينهم ولم يأْت من قِبَلهم نَقْضٌ، وأنا متمٌّ لك على نفسي، والقِبْط متمُّون لك على الصُّلْح الذي صالَحْتهم عليه وعاقَدْتهم، وأمَّا الرُّومُ فأنا منهم بريء. وأنا أَطْلُب إليك أن تُعْطيني

ثَلاث خِصال : لا تَنْقُض بالقِبْط وأَدْخِلْني معهم وأَلْزِمْني ما لَزِمَهم ، وقد اجْتَمَعَت كلمتي وكلمَتهم على ما عاقَدْتك عليه فهم مُتِمُّون لك على ما تُحِبّ . وأمَّا الثانية إن سأَلَك الرُّومُ بعد اليوم أن تُصالِحَهم فلا تُصالِحْهم حتى تَجْعَلَهم فَيْئًا وعَبيدًا ، فإنَّهم أهلُ ذلك لأنِّي نَصَحْتُهم فاسْتَغَشُّوني ، ونَظَرْت لهم فاتَّهموني . وأمَّا الثالثة أَطْلُب إليك إن أنا متّ أن تَأْمُرَهم أن يدفِنوني في أبي يُحَنّس بالإسكندرية [a].

فأَنْعَمَ له عَمْرو بذلك ، وأجابَه إلى ما طَلَب ، على أن يَضْمَنوا له الجِسْرَيْن جميعًا ، ويُقيمُوا لهم الأَنْزال والضِّيافَة والأَسْواق والجُسور ، ما بين الفُسْطاط إلى الإسْكَنْدَرية . ففَعَلوا ، وصارَت لهم القِبْطُ أعْوانًا كما جاء في الحَديث [1].

وقال ابنُ وَهْب في حَديثه عن عبد الرَّحْمَن بن شُرَيْح : فسارَ عَمْرو بمن مَعَه حتى نَزَلَ على الحِصْن ، فحَاصَرَهم حتى سألوه أن يَسيرَ منهم بِضعةُ عشر أهْل بَيْت ويَفْتَحُوا له الحِصْن ، ففَعَلَ ذلك ، ففَرَضَ عليهم عَمْرو لكلِّ رَجُلٍ من أصْحابِه دينارًا وجُبَّة وبُرْنُسًا وعِمامَة وخُفَّيْن . وسألوه أن يأْذَنَ لهم أن يُهَيِّئُوا له ولأصْحابِه صَنيعًا ، ففَعَلَ ، وأَمَرَ عَمْرو أصْحابَه فتهيَّئوا ولَبِسوا البُرود ثم أَقْبَلَوا .

فلمَّا فَرَغُوا من طَعامِهم سأَلَهُم عَمْرو : كم أَنْفَقْتُم ؟ قالوا : عشرين ألف دينار ؛ قال عَمْرو : لا حاجَة لنا بصَنيعِكم بعد اليوم ، أَدُّوا إلينا عشرين ألف دينار . فجاءَه النَّفَرُ من القِبْط ، فاسْتَأْذنوه إلى قُراهم وأَهْليهم ، فقال لهم عَمْرو : كيف رأيتم أَمْرَنا ؛ قالوا : لم نَرَ إلَّا حَسَنًا ؛ فقال الرَّجُلُ الذي قال في المَرَّة الأولى [ما قال لهم] [b]: إنَّكم لن تَزالوا تَظْهَرون على كلِّ من لَقيتُم حتى تَقْتُلوا خَيْرَكم رجلًا . فغَضِبَ عَمْرو وأَمَرَ به ، فطَلَبَ إليه أصحابَه وأَخْبَروه/ أنَّه لا يدْري ما يقول حتى خَلَّصوه .

فلمَّا بَلَغَ عَمْرًا قَتْل عُمَر بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ أَرْسَلَ في طلب ذلك القِبْطيّ فوَجَدوه قد هَلَكَ ، فعَجِب عَمْرو من قَوْله . ويُقالُ إنَّ عَمْرو بن العَاص قال : فلمَّا طُعِنَ عُمَر بن الخَطَّاب ، قُلْت : هو ما قالَ القِبْطيُّ ، فلمَّا حُدِّثت أنَّه إنَّما قَتَلَه أبو لُؤْلُؤَة رَجُلٌ نَصْرانيّ ، قلت :

---

a) بولاق : يدفنوني بجسر الإسكندرية . b) زيادة من فتوح مصر .

---

[1] ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٧١- ٧٢؛ ابن سعيد : المغرب ٢٩- ٣١.

لم يَعْنِ هذا إنّما عنى من قَتَلَه المسلمون. فلمّا قُتِلَ عُثْمان، عَرَفْتُ أنَّ ما قال الرجلُ حَقّ.

فلمّا فَرَغَ القِبْطُ من صَنيعِهم، أَمَرَ عَمْرو بن العاص بطَعامٍ فصُنِعَ لهم، وأَمَرَهُم أن يَحْضُروا لذلك، فصَنَع لهم الثَّريد والعُراق، وأَمَرَ أصحابَه بلِباس الأَكْسية واشتمال الصَّمَّاء والقُعود على الرُّكَب. فلمّا حَضَرَت الرُّومُ، وَضَعوا كَراسي الدِّيباج فجَلَسوا عليها، وجَلَسَت العربُ إلى جَوانِبهم، فجَعَلَ الرجلُ من العَرَب يلتقم اللُّقْمَة العَظيمة من الثَّريد، ويَنْهَش من ذلك اللَّحْم، فيتطايَر على من إلى جنبه من الرُّوم. فبَشِعَت الرُّومُ بذلك وقالت: أين أُولَئِك الذين كانوا أَتَوْنا قبل؟ فقيل لهم أولَئِك أصْحاب المَشورَة، وهؤلاء أصحاب الحَرْب[1].

وقال الكِنْدِيُّ: وذَكَرَ يزيدُ بن أبي حَبيب أَنَّ عَدَدَ الجَيْش الذين كانوا مع عَمْرو بن العَاص خمسة عشر ألفا وخمس مائة. وذَكَرَ عبد الرَّحْمَن بن سَعيد بن مِقْلاص أنَّ الذين جَرَت سِهامُهم في الحِصْن من المسلمين اثنا عشر ألفا وثلاث مائة، بعد من أُصِيبَ منهم في الحِصار بالقَتْل والمَوْت[2].

ويُقالُ إنَّ الذين قُتِلُوا في هذا الحِصَار من المسلمين دُفِنوا في أَصْل الحِصْن.

وذَكَرَ القُضَاعِيُّ أنَّ مصر فُتِحَت يوم الجُمُعَة مستهلّ المحرّم سنة عشرين، وقيل فُتِحَت سنة ستّ عشرة، وهو قَوْلُ الواقِدي، وقيل فُتِحَت والإسْكَنْدَريةُ سنة خمس وعشرين، والأَكثرُ على أنّها فُتِحَت قبل عام الرَّمادَة، وكانت الرَّمادَةُ في آخر سنة سبع عشرة وأوّل ثمان عشرة[3].

ذِكْرُ مَا قِيلَ فِي مِصْرَ هَلْ فُتِحَتْ بِصُلْحٍ أَوْ عَنْوَة

وقد اخْتُلِفَ في فَتْح مصر فقال قَوْمٌ: فُتِحَت صُلْحًا، وقال آخرون: إنّما فُتِحَت عَنْوَة. فأمّا الذين قالوا: كان فَتْحُ مصر بصُلْحٍ، فإنَّ حُسَيْنَ بن شَفَيّ قال: لمّا فَتَحَ عَمْرو بن العَاص الإسْكَنْدَرية بقي من الأَسارَى بها، مِمَّن بَلَغَ الخَراج وأُحْصِي يومئذٍ، ستّ مائة ألف سوى النِّساء والصِّبْيان؛ فاخْتَلَفَ الناسُ على عَمْرو في قِسَمِهم، فكان أكثرُ المسلمين يُريد قَسْمها. فقال عَمْرو: لا أقدر على قَسْمها حتى أَكْتُب إلى أمير المؤمنين؛ فكَتَبَ إليه يُعْلمه بفَتْحِها وشأْنِها وأنَّ المسلمين طَلَبوا قَسْمَها؛ فكَتَبَ إليه عُمَرَ - رضي الله عنه -: لا تَقْسِمها، وذَرْهم يكون خَراجهم

[1] ابن عبد الحكم: فتوح مصر ٦٠؛ ابن سعيد: المغرب ٢١-٢٢.

[2] الكندي: ولاة مصر ٣٢.

[3] انظر فيما تقدم ١٠.

فَيْئًا للمسلمين، وقُوَّةً لهم على جِهاد عَدُوِّهم. فأَقَرَّها عَمْرو، وأَحْصَى أَهْلَها، وفَرَضَ عليهم الخَراج.

فكانت مصرُ كلُّها صُلْحًا بفَرِيضَة دينارين دينارين، إلَّا أنَّه يلزم بقَدْر ما يتوسَّع فيه من الأرض والزَّرْع، إلَّا الإسْكَنْدَرية، فإنَّهم كانوا يُؤَدُّون الخَراج والجِزْيَة على قدر ما يَرَى مَنْ وَلِيَهم، لأنَّ الإسْكَنْدَرية فُتِحَت عَنْوَة بغير عَهْدٍ ولا عَقْدٍ، ولم يكن لهم صُلْحٌ ولا ذِمَّة [1].

وقال اللَّيْثُ عن يَزِيد بن أبي حَبِيب: مصرُ كلّها صُلْح، إلَّا الإسْكَنْدَرية فإنَّها فُتِحَت عَنْوَة.

وقال عُبَيْدُ الله[a] بن أبي جَعْفر: حَدَّثني رَجُلٌ ممَّن أدرك عَمْرو بن العَاص قال: للقِبْطِ عَهْدٌ عند فُلان، وعَهْدٌ عند فُلان، فسَمَّى ثلاثة نَفَر. وفي رِوايَة: أنَّ عَهْدَ أَهْل مصر كان عند كُبَرائِهم.

وفي رِوايَة: سألت شَيْخًا من القُدَماء عن فَتْح مصر قلت له: فإنَّ ناسًا يذكرون أنَّه لم يَكُن لهم عَهْد؛ فقال: ما يُبالي أَلَّا يُصَلِّي من قال إنَّه ليس لهم عَهْد؛ فقلت: فهل كان لهم كِتابٌ؟ فقال: نعم، كُتُبٌ ثَلاثَة: كتابٌ عند طَلْمـا صاحِب إخْنا[b]، وكتابٌ عند قُزْمان صاحِب رَشيد، وكتابٌ عند يُحَنِّس صاحِب البُرُلُّس. قلت: كيف كان صُلْحُهم؟ قال: دينارين على كلِّ إنسان جِزْيَة، وأرْزاق المسلمين؛ قلت: فتَعْلَم ما كان من الشُّروط؟ قال: نَعَم، سِتَّة شُروط: لا يُخْرَجون من دِيارِهم، ولا تُنْزَع نِساؤهم، ولا كُفُورهم، ولا أراضيهم، ولا يُزاد عليهم [2].

وقال يَزِيدُ بن أبي حَبِيب، عن أبي جُمْعَة مَوْلَى عُقْبَة، قال: كَتَبَ عُقْبَةُ بن عامِرٍ إلى مُعاوية ابن أبي سُفْيان ـ رضي الله عنه ـ يَسْأله أرْضًا يَسْتَرْفِق بها عند قرية عُقْبَة؛ فكَتَبَ له مُعاوية بألف ذراع في ألف ذراع؛ فقال له مَوْلَى له كان عنده: انْظُر ـ أَصْلَحَك الله ـ أَرْضًا صالِحَة. فقال له عُقْبَة: ليس لنا ذلك، إنَّ في عَهْدِهم شُروطًا ستة: لا يُؤْخَذ من أَنْفُسهم شيءٌ، ولا من نِسائِهم، ولا من أَوْلادِهم، ولا يُزادُ عليهم، ويُدْفَع عنهم مَوْضِعُ الخَوْف من عَدُوِّهم، وأنا شاهِدٌ لهم بذلك.

---

a) بولاق: عبد الله. b) بولاق: إخنا.

---

[1] انظر فيما تقدم ١: ٤٥٠؛ وقارن مع ابن عبد الحكم: فتوح مصر ٨٨- ٩٠.

[2] أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١: ١٩- ٢٠.

وعن يَزيد بن أبي حَبيب، عن عَوْف بن حَطَّان، أنَّه كان لقَرْيات من مصر - منهن أمُّ دُنَيْن وبَلْهَيْب - عَهْدٌ، وأنَّ عُمَرَ بن الخَطّاب - رضي الله عنه - لمَّا سَمِعَ بذلك، كَتَبَ إلى عَمْرو يأمره أن يُخَيِّرهم: فإن دَخَلُوا في الإسْلام فذاك، وإن كَرِهُوا فارْدُدْهم إلى قُراهم [1].

وقال يحيى بن أيُّوب وخالِد بن حُميد: ففَتَحَ الله أرْضَ مصر كلّها بصُلْح غير الإسْكَنْدَرية، وثلاث قَرْيات ظاهَرَت الرُّوم على المسلمين - سَلْطيس، ومَصيل، وبَلْهَيْب - فإنَّه كان للرُّوم جَمْعٌ، فظاهَروا الرُّومَ على المسلمين. فلمَّا ظَهَرَ عليها المسلمون اسْتَحَلُّوها، وقالوا: هؤلاء لنا فَيْءٌ مع الإسْكَنْدَرية.

فكَتَبَ / عَمْرو بن العَاص بذلك إلى عُمَر بن الخَطَّاب - رضي الله عنه -، فكَتَبَ إليه عُمَر أن ١:٢٩٥ يَجْعل الإسْكَنْدَرية وهؤلاء الثلاث قَرْيات ذِمَّة للمسلمين، ويَضْرِبون عليهم الخَراج، ويكون خَراجُهم وما صالَحَ عليه القِبْط كلّه قُوَّة للمسلمين، لا يُجْعلون فَيْئًا ولا عَبيدًا، فَفَعَلوا ذلك إلى اليوم [2].

وقال آخَرون: بل فُتِحَت مصر عَنْوَةً بلا عَهْد ولا عَقْد. قال سُفْيانُ بن وَهْب الخَوْلاني: لمَّا افْتَتَحْنا مصر بغير عَهْدٍ ولا عَقْد، قامَ الزُّبَيرُ بن العَوّام فقال: اقْسِمْها يا عَمْرو بن العَاص؛ فقال عَمْرو: والله لا أَقْسِمها؛ فقال الزُّبَيْرُ: والله لتَقْسِمنَّها كما قَسَمَ رَسولُ الله ﷺ خَيْبَر؛ فقال عَمْرو: والله لا أَقْسِمها حتى أَكْتُب إلى أمير المؤمنين. فكَتَبَ إلى عُمَر، فكَتَبَ إليه عُمَرُ: أَقِرَّها حتى يَغْزو منها حَبَلُ الحَبَلَة. وصُولِحَ الزُّبَيْر على شيءٍ أُرْضِيَ به [3].

وقال ابنُ لَهيعَة عن عبد الله بن هُبَيْرَة: إنَّ مصرَ فُتِحَت عَنْوَة. وعن عبد الرَّحْمَن بن زِياد بن أَنْعَم قال: سَمِعْت أشْياخَنا يقولون إنَّ مصرَ فُتِحَت عَنْوَة بغير عَهْد ولا عَقْد، منهم أبي يُحَدِّثنا عن أبيه، وكان فيمن شَهِدَ فَتْح مصر. وعن أبي الأَسْوَد، عن عُرْوَة، أنَّ مصر فُتِحَت عَنْوَة [4].

وعن عَمْرو بن العَاص أنَّه قال: لقد قَعَدْتُ مَقْعَدي هذا وما لأَحَدٍ من قِبْط مصر عليّ عَهْدٌ ولا عَقْدٌ إلَّا أهل أنْطَابُلُس، كان لهم عَهْدٌ يُوَفَّى به: إن شِئْت قَتَلْت، وإن شِئْتُ خَمَّسْت، وإن شِئْتُ بِعْت.

---

[1] ابن عبد الحكم: فتوح مصر ٨٦.

[2] نفسه ٨٧- ٨٨.

[3] نفسه ٨٨ وفيما تقدم ١: ٤٥٠، ٢: ٢٤- ٢٥.

[4] نفسه ٨٨- ٨٩.

وعن رَبيعَة بن أبي عبد الرَّحْمن أنَّ عَمْرو بن العَاص فَتَحَ مِصْرَ بغير عَهْدٍ ولا عَقْدٍ ، وأنَّ عُمَرَ ابن الخَطَّاب - رضي الله عنه - حَبَسَ دَرَّها وضَرْعَها أن يَخْرُج منه شيءٌ ، نَظَرًا للإسْلام وأهْله .

وعن زَيْد بن أَسْلَم قال : كان تابوتٌ لعمر بن الخَطَّاب فيه كلّ عَهْد كان بينه وبين أَحَدٍ ممن عاهَدَه ، فلم يُوجَد فيه لأَهْلِ مصر عَهْدٌ فمن أَسْلَم منهم فأُمَّة[a]، ومن أقامَ منهم فَذِمَّة .

وكَتَبَ حَيَّانُ بن شُرَيْح إلى عُمَر بن عبد العَزيز يسأله أن يَجْعَل جِزْيَة مَوْتَى القِبْط على أحْيائِهم . فسَأَلَ عُمَرُ عِراكَ بن مالِك ، فقال عِراكُ : ما سَمِعْتُ لهم بعَهْدٍ ولا عَقْدٍ ، وإنَّما أُخِذُوا عَنْوَة بمنزلة العَبيد . فكَتَبَ عُمَر إلى حَيَّان أن يَجْعَل جِزْيَة مَوْتَى القِبْط على أَحْيائهم [1].

وقال يحيى بن عبد الله بن بُكَيْر : خَرَجَ أبو سَلَمَة بن عبد الرَّحْمَن يُريد الإسْكَنْدَرية في سَفينَة ، فاحْتاجَ إلى رَجُلٍ يُجذِّف ، فتَسَخَّرَ[b] رَجُلًا من القِبْط ، فكُلِّم في ذلك ، فقال : إنَّما هم بمنزلة العَبيد إن احْتَجْنا إليهم .

وقال ابنُ لَهيعَة عن الصَّلْت بن أبي عاصِم : إنَّه قرأ كِتابَ عُمَر بن عبد العَزيز إلى حَيَّان بن شُرَيْح أنَّ مصر فُتِحت عَنْوَةً بغير عَهْدٍ ولا عَقْدٍ .

وعن عبيد الله بن أبي جَعْفَر أنَّ كاتِبَ حَيَّان حَدَّثه أنَّه احْتيج إلى خَشَبٍ لصِناعَة الجَزيرَة ، فكَتَب حَيَّان إلى عُمَر بن عبد العَزيز يَذْكُر ذلك له ، وأنَّه وَجَدَ خَشَبًا عند بعض أهْل الذِّمَّة ، وأنَّه كَرِهَ أن يأْخذ[c] منهم حتى يُعْلمه . فكَتَب إليه عُمَر : خُذْها منهم بقيمةِ عَدْلٍ ، فإنِّي لم أَجِد لأَهْل مصر عَهْدًا أفي لهم به .

وقال عُمَر بن عبد العَزيز لسالِم : أنت تَقُول لَيْسَ لأَهْل مصر عَهْدٌ ؟ قال : نعم .

وعن عَمْرو بن شُعَيْب ، عن أَبيه عن جَدِّه أنَّ عَمْرو بن العَاص كَتَبَ إلى عُمَر بن الخَطَّاب في رُهْبان يَتَرَهَّبون بمصر ، فيَمُوت أَحَدُهم وليس له وَارِث . فكَتَب إليه عُمَر : «إنَّ من كان منهم له عَقِب فادْفَعْ ميراثَه إلى عَقِبِه ، فإنْ لم يكُن له عَقِب فاجْعَل مالَه في بَيْت مال المسلمين ، فإنَّ وَلاءَه للمُسْلمين» .

---

a) بولاق : أقامه . b) بولاق : فسخر . c) بولاق : يأخذها .

---

[1] ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٨٩.

وقال ابنُ شِهاب : كان فَتْحُ مصر بعَضها بعَهْدٍ وذِمَّة ، وبعضها عَنْوَة ، فجَعَلَها عُمَر بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ جَميعَها ذِمَّة ، وحَمَلَهم على ذلك ، فمَضَى ذلك فيهم إلى اليوم [1] .

و[a]قال القُضاعيُّ : فلمَّا رأى المُقَوْقِسُ أنَّ العَرَبَ قد ظفروا بالحِصْن جَلَسُوا في سفينة هو وأهل القُوَّة فلحقوا بالجَزيرَة ، وسأل المُقَوْقِس في الصُّلْح فبَعَثَ إليه عَمْرو بعُبادَة بن الصَّامِت فصالحه المُقَوْقِس عن القِبْط والرُّوم على أنَّ للرُّوم الخيار في الصُّلْح إلى أن يوافي كتاب ملكهم ، فإن رضي تمَّ ذلك وإن سَخِط انْتَقض الصُّلْح ما بينه وبين الرُّوم ، وأمَّا القِبْط فبغير خيار . فمن قال إنَّ مصر فُتِحَت صُلْحًا تَعَلَّق بهذا الصُّلْح . وقال : إنَّ الأَمْرَ لم يتمّ إلَّا بما جرى بين عُبادَة بن الصَّامِت وبين المُقَوْقِس وعلى ذلك أكثر عُلَماء أهل مصر مهم : عُقْبَة بن عامِر ويزيد بن أبي حَبيب واللَّيْثُ بن سعد وغيرهم .

وذَهَبَ الذين قالوا إنَّها فُتِحَت عَنْوَة إلى أنَّ الحِصْنَ فُتِحَ عَنْوَة فكان حُكْم جميع الأرض كذلك . وممَّن قال إنَّها فُتِحَت عَنْوَة : عبيد الله بن المغيرة النَّسائي وعبد الله بن وَهْب ومالِك بن أَنَس وغيرهم .

وذَهَبَ قَوْمٌ إلى أنَّ بعضها فُتِحَ عَنْوَة وبعضها فُتِحَ صُلْحًا منهم ابن شهاب وابن لهيعَة . وكان منها يوم الجمعة مستهلَّ المحرَّم سنة عشرين ، وعن عبد الله بن عَمْرو بن العَاص أنَّه قال : اشْتَبَه على النَّاس أَمْر مصر والصلح في أمرها : إن أبي قَدِمَها فقاتله أهل أليون ففَتَحَها قَهْرًا ودَخَلَها المسلمون . وكان الزُّبَيْر أوَّل من عَلا حِصْنها فقال صاحبها لأبي : إنَّه قد بلغني فعلكم بالشَّام ووضعكم الجِزْيَة على النَّصارىٰ واليهود وإقراركم الأرض في الأيدي أهلها يعمرونها ويؤدُّون خَراجها وإن فعلتم بنا مثل ذلك كان أَرَدّ عليكم من قبلنا وسبينا واحلاينا فاستشار أبي المسلمين فأشاروا عليه بأن يفعل ذلك إلَّا نفر منهم سألوا أن يَقْسم الأرض بينهم فوضع على كلِّ رجل حالم دينارين جِزْيَة إلَّا أن يكون فقيرًا وألزم كل ذي أرض مع الدينارين ثلاثة أرادب حِنْطَة وقِسْطَيّ زَيْت وقِسْطَيّ عَسَل وقِسْطِيّ خَلّ رِزْقًا للمسلمين يجمع في دار الرِّزْق ويقسم فيهم وأَحْصَى المسلمين فألزم جميع أهل مصر لكُلِّ رجل منهم جبّة صوف وبُرْنُسًا وعمامة وسراويل وخُفَّيْنِ في كلِّ عام أو عدل الجبة الصوف سويا قبطيًّا وكَتَب بذلك إلى عُمَر بن الخَطَّاب فأجاز ذلك ، وصارَت الأَرْضُ أَرْضَ خَراجٍ ، إلَّا أنَّه لمَّا وَقَعَ هذا الشَّرْط والكِتاب ظَنَّ بعضُ النَّاس أنَّها فُتِحَت صُلْحًا . وقال ابنُ عبد البَرّ : إنَّ عُمرَ بن الخَطَّاب لم يَقْسم أَرض السَّواد ومصر والشَّام وجعلها

---

a-a) هذه الفقرة حتى بداية الصفحة التالية من النُّسَخ المنقولة من خط المؤلِّف ، وساقطة من بولاق .

---

[1] ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٩٠ .

مادَّة للمسلمين ولمن يجيء بعد العالمين واحْتَجّ بالآية في سورة الحَشْر ، ولا أعْلَم أحَدًا من الصَّحابَة رَوَي عنه ـ بعد عُمَر ـ إنْكار لفِعْل عمر ، وروى مالِك عن زَيْد بن أَسْلَم ، عن أبيه عن عُمَر بن الخَطَّاب ، قال : لولا آخِر الناس ما فتحت قَرْيَةٌ إلا قَسَمْتَها كما قَسَم رَسُولُ الله ﷺ خَيْبَر[a] [١].

و[b]اشْتَرَى اللَّيْثُ بن سَعْد شيئًا من أرض مصر لأنَّه كان يُحَدِّث عن يَزيد بن أبي حَبيب أنَّ مِصْرَ صُلْحٌ . وكان مالِكُ بن أَنَس يُنْكِر على اللَّيْث ذلك ، وأَنْكَرَ عليه أيضًا عبدُ الله بن لَهيعَة ونافِعُ بن يَزيد لأنَّ مصرَ عندهم كانت عَنْوَة[b].

ذِكْرُ مَنْ شَهِدَ فَتْحَ مِصْر مِنَ الصَّحَابَة رَضِيَ الله عنهم

قال ابنُ عبدَ الحكَم : وكان مَنْ حُفِظَ من الذين شَهِدوا فَتْحَ مصر ، من أصْحابِ رَسُول الله ﷺ من قُرَيْشٍ وغيرهم ، وممَّن لم يكن له برَسُول الله ﷺ صُحْبَة : الزُّبَيْرُ بن العَوَّام ، وسَعْد بن أبي وَقَّاص ، وعَمْرو بن العَاص ـ وكان أَميرَ القَوْم ـ وعبدُ الله بن عَمْرو ، وخارِجَة بن حُذافَة العَدَوِيّ ، وعبدُ الله بن عُمَر بن الخَطَّاب ، وقَيْس بن أبي العَاص السَّهْمي ، والمِقْداد بن الأَسْوَد ، وعبدُ الله بن أبي سَعْد بن أبي سَرْح العامِريّ ، ونافِعُ بن عبد قَيْس الفِهْري ـ ويُقالُ بل هو عُقْبَة بن نافِع ـ وأبو عبد الرَّحْمَن يَزيد بن أَنَسٍ الفِهْري ، وأبو رافِع مَوْلى رَسُول الله ﷺ ، وابنُ عَبْدَة ، وعبدُ الرَّحْمَن ورَبيعَةُ ابنا شُرَحْبيل بن حَسَنَة ، ووَرْدانُ مَوْلَى عَمْرو بن العَاص ، وكان حامِلَ لِواء عَمْرو بن العَاص . وقد اخْتُلِفَ في سَعْد بن أبي وَقَّاص ، فقيل إنَّما دَخَلَها بعد الفَتْح .

وشَهِدَ الفَتْحَ من الأنْصار : عُبادَة بن الصَّامِت ، وقد شَهِدَ بَدْرًا وبَيْعَة العَقَبَة ، ومحمد بن مَسْلَمَة الأنصاري ـ وقد شَهِدَ بَدْرًا وهو الذي بَعَثَه عُمَر بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ إلى مصر ، فقاسَم عَمْرو ابن العَاص مالَه ، وهو أَحَدُ من كان صَعِد الحِصْن مع الزُّبَيْر بن/ العَوّام ـ ومَسْلَمَة بن مَخْلَد الأنصاري يُقالُ له صُحْبَة ، وأبو أَيُّوب خالِد بن زَيْد الأنصاري ، وأبو الدَّرْداء عُوَيْمِر بن عامِر ، وقيل عُوَيْمِر بن زَيْد .

ومن أَفْناء[c] القَبائِل : أبو بَصْرَة[d] حُمَيل بن بَصْرَة الغِفاري ، وأبو ذَرّ جُنْدُب بن جُنادَة الغِفاري وشَهِدَ الفَتْح مع عَمْرو بن العَاص ، وهُبَيْب بن مُغْفِل[e] ـ وإليه يُنْسَب وادي هُبَيْب الذي بالمغرب ـ

a) نهاية الفقرة الساقطة من بولاق . b-b) هذه الفقرة ساقطة من آياصوفيا . c) بولاق : أحياء . d) بولاق : نصرة . e) بولاق : معقل .

[١] هذا النص الطويل المنقول عن القضاعي ساقط من بولاق ومن نشرة G. Wiet.

وعبد الله بن الحارث بن جَزْء الزُّبَيْدي، وكَعْب بن ضَبَّة العَبْسي ـ ويقال كعب بن يَسار بن ضِنَّة[a] ـ وعُقْبَة بن عامِر الجُهَنيّ ـ وهو كان رَسولَ عُمَر بن الخَطَّاب إلى عَمْرو بن العَاص حين كَتَبَ إليه يَأْمُرُه أن يرجع إن لم يكن دَخَلَ أرض مصر ـ وأبو زَمْعَة البَلَوي، وبِرْح بن حُسْكُل ـ ويُقال بِرْح بن عُسْكُر ـ وشَهِدَ فَتْح مصر واخْتَطَّ بها، وجُنادَة بن أُمَيَّة الأَزْدي، وسُفْيان بن وَهْب الخَوْلاني وله صُحْبَة، ومُعاوِيَة بن حُدَيْج الكِنْدي ـ وهو كان رَسولَ عَمْرو بن العاص إلى عُمَر بن الخَطَّاب بفَتْح الإسْكَنْدَرية وقد اخْتُلِفَ فيه: فقال قومٌ له صُحْبَة، وقال آخرون: ليست له صُحْبَة ـ وعامِر مَوْلَى جَمَل، الذي يُقال له عامِر جَمَل، شَهِدَ الفَتْح وهو مملوك، وعَمَّار بن ياسِر، ولكن دَخَلَ بعد الفَتْح في أيام عُثْمان، وَجَّهَه إليها في بعض أُموره[1].

قال ابنُ عبد الحَكَم: منهم من اختطَّ بالبَلَد فذَكَرْنا خِطَّته، ومنهم من لم يُذْكَر له خِطَّة؛ قال: فاخْتَطَّ عَمْرو بن العَاص دارَه التي عند باب المَسْجِد بينهما الطريق، ودارَه الأخرى اللاصقة إلى جنبها، وفيها دَفْنُ عبد الله بن عَمْرو ـ فيما زَعَمَ بعض مَشايخ البَلَد ـ لحَدَثٍ كان يومئذٍ في البلد، والحَمَّام الذي يُقالُ له حَمَّام الفَأر ـ وإنَّما قيل له حَمَّام الفأر، لأنَّ حَمَّامات الرُّوم كانت دِيماسات كِبارًا، فلمَّا بُنِيَ هذا الحَمَّام ورأوا صِغَره، قالوا: من يَدْخُل هذا؟ هذا حَمَّامُ الفأر[2].

ذِكْرُ السَّبَب في تَسْمِيَة مَدينَة مِصْر بالفُسْطاط

قال ابنُ عبد الحَكَم، عن يَزيد بن أبي حَبيب: إنَّ عَمْرو بن العَاص لمَّا فَتَحَ الإسْكَنْدَرية، ورَأَى بيوتَها وبِناءَها مَفْروغًا منها، هَمَّ أن يسكُنَها وقال: مَساكِنَ قد كُفِيناها. فكَتَبَ إلى عُمَر بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ يستأذنه في ذلك، فسأل عُمَر الرَّسُول: هل يَحولُ بيني وبين المسلمين ماءٌ؟ قال: نَعَم يا أمير المؤمنين إذا جَرَى النِّيل.

فكَتَبَ عُمَر إلى عَمْرو: «إنِّي لا أُحِبُّ أن تُنْزِلَ المسلمين[b] مَنْزِلًا يَحُول الماءُ بيني وبينهم في شِتاءٍ ولا صَيْف». فتَحَوَّل عَمْرو من الإسْكَنْدَرية إلى الفُسْطاط.

---

a) بولاق: ضبة. b) النسخ: تنزل بالمسلمين والمثبت من فتوح مصر.

---

[1] ابن عبد الحكم: فتوح مصر ٩٢-٩٥؛ وانظر كتاب «دَرّ السّحابة في من دَخَل مصر من الصحابة» لجلال الدين السيوطي الذي أورد فيه زيادة على ثلاث مائة ترجمة لمن دخل مصر من الصحابة (السيوطي: حسن المحاضرة ١:١٦٦-٢٥٤).

[2] نفسه ٩٦.

قَالَ: وكَتَبَ عُمَر بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ إلى سَعْد بن أبي وَقَّاص وهو نازِل بمَدائِن كِسْرَى، وإلى عامِلِه بالبَصْرَة، وإلى عَمْرو بن العَاص وهو نازِل بالإسْكَنْدَرية: «ألَّا تَجْعَلُوا بيني وبينكم ماءً، متى أردت أن أرْكَب إليكم راحِلَتي حتى أَقْدِمَ عليكم قَدِمْتُ». فتَحَوَّل سَعْدٌ من مَدائِن كِسْرَى إلى الكُوفَة، وتَحَوَّل صاحِبُ البَصْرَة من المكان الذي كان فيه فنَزَلَ البَصْرَة، وتَحَوَّل عَمْرو بن العَاص من الإسْكَنْدَرية إلى الفُسْطاط [1].

قَالَ: وإنَّما سُمِّيت الفُسْطاطُ لأنَّ عَمْرو بن العَاص لمَّا أرادَ التَّوَجُّه إلى الإسْكَنْدَرية لِقِتال مَن بها مِن الرُّوم، أَمَرَ بنَزْع فُسْطاطِه فإذا فيه يَمامٌ قد فَرَّخَ، فقال عَمْرو: لقد تَحَرَّم مِنَّا بمُتَحَرَّم، فأَمَرَ به فأُقِرّ كما هو، وأَوْصَى به صاحِب القصر. فلمَّا قَفَلَ المسلمون من الإسْكَنْدَرية قالوا: أين نَنْزِل؟ قالوا: الفُسْطاط، لفُسْطاط عَمْرو الذي كان خَلَّفَه، وكان مَضْروبًا في مَوْضِع الدار التي تُعْرَف اليوم بدار الحَصَا[a] عند دار عَمْرو الصغيرة [2].

قال الشَّريفُ محمد بن أَسْعَد الجَوَّاني: كان فُسْطاطُ عَمْرو عند دَرْب حَمَّام شَمول بخُطّ الجامِع [3].

وقال ابنُ قُتَيْبَة في كِتاب «غَرِيب الحَدِيث» في حَدِيث النبيّ ﷺ، إنَّه قال: «عليكم بالجَماعَة، فإنَّ يَدَ الله على الفُسْطاط» يَرْوِيه سُوَيْد بن عبد العَزِيز، عن النُّعْمان بن المُنْذِر، عن مَكْحول، عن أبي هُرَيْرَة، عن النَّبِيّ ﷺ.

الفُسْطاطُ المَدِينَة، وكُلُّ مَدِينَةٍ فُسْطاط، ولذلك قيل لمصر فُسْطاط.

[b]وأَخْبَرَني أبو حَاتِم، عن الأَصْمَعي، أنَّه قال: حَدَّثَني رَجُلٌ من بني تَمِيم قال: قَرَأْتُ في كِتابِ رَجُل من قُرَيْش: هذا ما اشْتَرَى فُلانُ بن فُلان من عَجْلان مَوْلى زِياد، اشْتَرَى منه خمس مائة جَرِيب حيال الفُسْطاط، يُرِيد البَصْرَة.

ومنه قَوْلُ الشَّعْبي في الآبِق: إذا أَخَذَ في الفُسْطاط عشرة، وإذا أَخَذَ خارِجًا عن

---

a) بولاق: دار الحصار. b-b) هذه الفقرة – وهي بقية رواية ابن قتيبة، وردت في بولاق في آخر الفصل، وهي – مَرَّةً أخرى – نتيجة إساءة نقل الطَّيَّارات التي كان يستخدمها المقريزي في نسخته.

---

[1] فيما تقدم ١: ٤٥٢.

[2] ابن عبد الحكم: فتوح مصر ٩١؛ ابن سعيد: المغرب ٣٩– ٤٠؛ ابن دقماق: الانتصار ٤: ٢؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١: ٦٤– ٦٥.

[3] انظر فيما تقدم ٩؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١: ٦٥.

الفُسْطاط أربعون. وأرادَ أنَّ يَدَ الله على أهْل الأمْصار، وأنَّ مَنْ شَذَّ عنهم، وفارَقَهم في الرَّأْي، فقد خَرَجَ عن يد الله. وفي ذلك آثارٌ[b] [١].

وقال البَكْرِيُّ: الفُسْطاطُ ـ بضَمِّ أوَّله وكَسْره وإسكان ثانيه ـ اسمٌ لمصر. ويُقالُ فُسْطاطٌ وبُسْطاطٌ. قال المُطَرِّزي: وفِصْطاطٌ وفِسْتاطٌ، وبكسر أوائِل جميعها، فهي عَشْر لُغات. وقال ابنُ قُتَيْبَة: كلُّ مَدينَةٍ فُسْطاط، وذَكَرَ حَديثَ «عليكم بالجَماعَة، فإنَّ يدَ الله على الفُسْطاط» [٢].

ذِكرُ الخِطَط التي كانَت بمدينة الفُسْطاط

اعْلَم أنَّ الخِطَطَ التي كانت بمَدينَة فُسْطاط مصر، بمَنْزِلَة الحارَات التي هي اليوم بالقاهِرَة، فقيل لتلك في مصر خِطَّة /، وقيل لها في القاهِرَة حارَة [٣]. ٢٩٧:١

قال القُضَاعِيُّ: ولمَّا رَجَع عَمْرو من الإسْكَنْدَرية، ونَزَلَ مَوْضِع فُسْطاطِه، انْضَمَّت القَبائِلُ بعضها إلى بعض، وتَنافَسُوا في المواضِع. فوَلَّى عَمْرو على الخِطَط مُعاوِيَة بن حُدَيْج التُّجيبي، وشَرِيك بن سُمَيّ الغُطَيْفي، وعَمْرو بن قَحْزَم الخَوْلاني، وحَيْويل بن ناشِرَة

---

[١] ابن قتيبة: غريب الحديث ١: ٣١٨؛ وانظر الزمخشري: الفائق في غريب الحديث ٣: ١١٦؛ ياقوت: معجم البلدان ٤: ٢٦٣–٢٦٤.

[٢] مادة «فسطاط» ساقطة من نشرة معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري؛ وانظر كذلك Bosworth, C.E., *EI*² art. *Misr* VII, p. 148.

[٣] قامت دراسات عديدة حول إعادة تخطيط مدينة الفُسْطاط اعتمادًا على المصادر الأدبية وعلى الحفائر المتعدِّدة التي تمَّت في موقع الفُسْطاط أهمها: Guest, R., «The Foundation of Fustat and the Khittahs of that Town», *JRAS* (1907), pp. 49-83; Casanova, P., *Essai de reconstitution topographique de la ville d'al-Foustât ou Misr*, Le Caire - MIFAO 35, 1913-19; Bahgat, ʿA. & Gabriel. A., *Les fouilles d'al-Foustât*, Le Caire - Paris 1921 (نَقَلَه إلى العربية علي بهجت ومحمود عكوش بعنوان «حفريات الفسطاط»، القاهرة – دار الآثار العربية ١٩٢٨)؛ Gabriel, A., *Les fouilles d'al-Foustât et les origines de la maison arabe en Égypte*, Paris 1921; Kubiak, W., «The Circulation Tracks of al-Fustat. One Aspect of the Physionomy of a Mediaeval Arab City», *Africana Bulletin* XXV (1976), pp. 51-64; id., *Al-Fustat. Its Foundation and Early Urban Development*, Cairo - AUC 1987; Denoix, S., *Décrire le Caire, Fusât Misr d'après Ibn Duqmâq et Maqrîzî*, Le Caire - IFAO 1992; Fu'âd Sayyid, A., *La Capitale de l'Égypte jusqu'à l'époque fatimide*, Beirut 1998, pp. 591-664; Becker, C.H., *EI*² art. *Misr* VII, pp. 149-50.

وعن معنى الخِطَّة والمصطلحات الخاصة بالمدينة الإسلامية في الفسطاط والقاهرة، انظر دراسة جارسان الهامة Garcin, J.-Cl., «Toponymie et topographie urbaines médiévales à Foustât et au Caire», *JESHO* XXXII (1984), pp. 116-17, 122; Fu'âd Sayyid, A., *op. cit.*, pp. 24-25.

المَعافِري، وكانوا هم الذين أَنْزَلوا النَّاس وفَصَلوا بين القَبائِل، وذلك في سنة إحدى وعشرين [1].

خِطَّةُ أهْل الرَّايَة ـ أَهْلُ الرَّايَة جَماعَةٌ من قُرَيْش والأَنْصار وخُزاعَة وأَسْلَم وغِفار ومُزَيْنَة وأَشْجَع وجُهَيْنَة وثَقِيف ودَوْس وعَبْس بن بَغيض وجَرْش من بني كِنانَة ولَيْث بن بَكْر، والعُتَقاء منهم، إلَّا أنَّ مَنْزِلَ العُتَقَاء في غير الرَّايَة [2]. وإنَّما سُمُّوا أَهْلَ الرَّايَة، ونُسِبَت الخِطَّةُ إليهم، لأنَّهم جَماعَةٌ لم يكن لكلِّ بَطْنٍ منهم العَدَد ما يَنْفَرِد بدَعْوَة من الدِّيوان، فكَرِه كلُّ بَطْنٍ منهم أن يُدْعَى باسم قَبيلَةٍ غير قبيلته؛ فجَعَلَ لهم عَمْرو بن العَاص رَايَةً ولم يَنْسِبْها إلى أَحَدٍ، فقال: يكون مَوْقِفُكم تحتها، فكانت لهم كالنَّسَب الجامِع، وكان ديوانُهم عليها. وكان اجتماعُ هذه القَبائِل لما عَقَدَه رَسُولُ الله ﷺ من الوِلايَة بينهم.

وهذه الخِطَّةُ مُحيطَةٌ بالجَامِع من جَميع جَوانِبِه، ابتدأوا من المَصَفّ الذي كانوا عليه في حِصارِهم الحِصْن ـ وهو باب الحِصْن الذي يُقالُ له باب الشَّمْع ـ ثم مَضَوا بخِطَّتِهم إلى حَمَّام الفَأْر، وشَرَعُوا بغربيها إلى النِّيل، فإذا بَلَغْتَ إلى النَّحَّاسين، فالجانِبان لأهل الرَّايَة إلى باب المَسْجِد الجامِع، المعروف بباب الوَرَّاقين، ثم يَسْلُك على حَمَّام شَمول.

وفي هذه الخِطَّة زُقاقُ القَنادِيل إلى تُرْبَة عَفَّان، إلى سُوق الحَمَام، إلى باب القصر الذي بدأنا بذكره.

خِطَّةُ مَهْرَة بن حيدان بن عَمْرو بن إلْحاف بن قُضَاعَة بن مالِك بن حِمْيَر [3] ـ وخِطَّة مَهْرَة هذه قِبْليّ خِطَّة الرَّايَة. واختطت مَهْرَة أيضًا على سَفْح الجَبَل الذي يُقالُ له جَبَلَ يَشْكُر ممَّا يلي الخَنْدَق، إلى شرقيّ العَسْكَر، إلى جِنان بني مِسْكين. ومن جُمْلَة خِطَّة مَهْرَة المَوْضِع الذي يُعْرَف اليوم بمَساطِب الطَّبَّاخ، واسمه حَمَد.

ويُقالُ إنَّ الخِطَّةَ التي لهم قِبْليّ الرَّايَة، كانت حَوْزًا لهم يَرْبطون فيها خَيْلَهم إذا رجعوا إلى الجُمُعَة، ثم انْقَطَعوا إليها وتَرَكوا منازِلَهم بيَشْكُر.

خِطَّةُ تُجيب ـ وتُجيب هم بنو عَدِيّ وسَعْد ابني الأَشْرَس بن شَبيب بن السَّكَن بن الأَشْرس بن كِنْدَة [4]، فمن كان من وَلَد عَدِيّ وسَعْد يُقالُ لهم تُجيب. وتُجيب أُمُّهم: وهذه الخِطَّة تلي خِطَّة مَهْرَة، وفيها دَرْبُ المَمْصُوصَة، آخره حائِط من الحِصْن الشَّرْقي.

---

[1] ابن دقماق: الانتصار ٤: ٣؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١: ٦٥.   [2] نفسه ٤: ٣.   [3] نفسه ٤: ٣.
[4] نفسه ٤: ٣.

وخِطَط لَخْـــم في موضعين ـ فمنها خِطَّة لَخْم بن عَدِيّ بن مُرَّة بن أَدَد ومن خالَطَها من جُذام [١]، فابتدأت لَخْم بخِطَّتِها من الذي انتهت إليه خِطَّة الرَّايَة، وأَصْعَدَت ذات الشّمال. وفي هذه الخِطَّة سُوقُ بَرْبَر، وشارِعه مُخْتَلَط فيما بين لَخْم والرَّايَة.

ولهم خِطَّتان أُخْريان: إحْداهما منسوبة إلى بني رَيَّـــة بن عَمْرو بن الحارِث بن وائِل ابن راشِدَة من لَخْم، وأوَّلها شَرْقيّ الكَنيسَة المعروفة بميكائيل التي عند خَليج بني وَائِل [٢]. وهذا المَوْضِعُ اليوم وَرَّاقات يُعْمَل فيها الوَرَقُ بالقُرْب من باب القَنْطَرَة خارِج مصر.

والخِطَّةُ الثانية خِطَّةُ راشِـدَة بن أَذَبَ بن جُزَيْلَة من لَخْم [٣]، وهي مُتاخِمَة للخِطَّة التي قَبْلَها. وفي هذه الخِطَّة جامِعُ رَاشِدَة [٤]، وجِنان كَهْمَس بن مَعْمَر الذي عُرِفَ بالماذَرائي، ثم عُرِفَ بجنان الأَمير تَميم، وهو اليوم يُقالُ له المَعْشُوق [٥]، بجوار رِباط[a] الآثار النَّبَوِيَّة. ولهم مَواضِع مع اللَّفيف، وخِطَط بالحَمْراء أيضًا[b].

خِطَطُ اللَّفيـــف ـ إنَّما سُمُّوا بذلك لالْتِفاف بَعْضهم ببَعْض، وسَبَبُ ذلك أنَّ عَمْرو بن العَاص لمَّا فَتَحَ الإسْكَنْدرية، أُخْبِر أنَّ مَراكِبَ الرُّوم قد تَوَجَّهت إلى الإسْكَنْدَرية لِقتال المسلمين، فبَعَثَ عَمْرو بعَمْرو بن جمالة الأزْدي الحَجَرِيّ ليأتيه بالخَبَر، فمَضَى. وتَسَرَّعَت[c] هذه القبائِل التي تُدْعَى اللَّفيف، وتعاقَدوا على اللَّحاق به، واسْتَأْذَنوا عَمْرو بن العَاص في ذلك، فأذِن لهم، وهم جَمْعٌ كَثير، فلمَّا رآهم عَمْرو بن جَمالَة استكثرهم، وقال: تالله ما رأيتُ قومًا قد سَدُّوا الأُفُق مثلكم، وإنَّكم كما قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الآية ١٠٤ سورة الإسراء]، فبذلك سُمُّوا من يومئذٍ اللَّفيف. وسألوا عَمْرو بن العَاص أن يُفْرِدَ لهم دَعْوَةً، فامْتَنَعَت عَشائِرُهم من ذلك، فقالوا لعَمْرو: فإنَّا نَجْتَمِع في المنزل حيث كُنَّا؛ فأجابَهم إلى ذلك. فكانوا مُجْتَمِعين في المنزل متفرِّقين في الدِّيوان، إذا دُعِيَ كلُّ بَطْن منهم انْضَمَّ إلى بني أَبيه. قال قَتادَة ومُجاهِد والضَّحَّاك بن مُزاحِم في قَوْله: ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ قال: جَميعًا.

---

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: أيضًا بالحمراء. c) بولاق: وأسرعت.

---

[١] ابن دقماق: الانتصار ٤: ٣.

[٢] انظر فيما يلي ٢: ٥١٧.

[٣] ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٤٢٣، ٤٧٧.

[٤] انظر فيما يلي ٢: ٢٨٢.

[٥] انظر فيما يلي ٢: ١٥٩ - ١٦٠.

وكان عامَّتُهُم من الأَزْد من الحجر ومن غَسَّان ومن شُجاعَة ، والتفّ بهم نَفَرٌ من جُذام ولَخْم والوَحَاف[a] وتَنُوخ من قُضاعَة ، فهم مجتمعون في المنزل ، متفرِّقون في الدِّيوان [١].

وهذه الخِطَّةُ أَوَّلها مِمَّا يلي الرَّايَة ، سالِكًا ذات الشمال إلى نَقَّاشي البَلاط ، وفيها دارُ ابن عَشْرات إلى نحوٍ من سُوق وَرْدان .

خِطَطُ أهْل الظَّاهر ـ إنَّما سُمِّيَ هذا المنزل بالظَّاهِر ، لأنَّ القَبَائِلَ التي نَزَلَتْه كانت بالإسْكَنْدَرية ، ثم قَفَلَت بعد قُفُول عَمْرو بن العَاص ، وبعد أن اخْتَطّ النَّاسُ خِطَطَهم . فخاصَمَت إلى عَمْرو ، فقال لهم مُعاويةُ بن حُدَيْج ، وكان مِمَّن يتولَّى الخِطَط يومئذٍ : أرَى لكم أن تَظْهَروا على أهْل هذه القَبائِل ، فتتَّخذوا مَنْزِلًا ، فسُمِّيَ الظَّاهِرُ بذلك .

٢ وكانت القَبَائِلُ التي نَزَلت الظَّاهِر/ العُتَقَاء ، وهم جُماعٌ من القَبائِل كانوا يَقْطَعون الطَّريق[b] على أيَّام النَّبِيّ ﷺ ، فبَعَثَ إليهم ، فأُتِي بهم أَسْرَى فأَعْتَقَهُم ، فقيل لهم العُتَقَاء [٢]؛ ودِيوانُهم مع أهْل الرَّايَة ، وخِطَّتُهم بالظَّاهِر متوسِّطة فيه ، وكان منهم[c] طَوائِفُ من الأَزْد وفَهْم .

وأوَّلُ هذه الخِطَّة من شَرْقي خِطَّة لَخْم ، وتتَّصل بمَوْضِع العَسْكَر . ومن هذه الخِطَّة سُوَيْقَة العِراقِيين ، وعُرِفَت بذلك لأنَّ زِيادًا لمَّا وَلَّاه مُعاوية بن أبي سُفْيان البَصْرَة ، غَرَّبَ جماعةً من الأَزْد إلى مصر ، ـ وبها مَسْلَمَة بن مَخْلَد ـ في سنة ثلاثٍ وخمسين ، فنَزَل منهم هنا نحو من مائة وثلاثين ، فقيل لموضِعِهم من خِطَّة الظَّاهِر سُوَيْقَة العِراقيين [٣].

خِطَط غــافِق ـ هو غافِق بن الحارِث بن عَكّ بن عَدْثان بن عبد الله بن الأَزْد [٤]. وهذه الخِطَّة تلي خِطَّة لَخْم إلى خِطَّة الظَّاهِر ، بجوار دَرْب الأَعْلام .

خِطَطُ الصَّــدف ـ واسْمُه مالِك بن سَهْل بن عَمْرو بن قَيْس بن حِمْيَر ، ودَعْوَتُهم مع كِنْدَة [٥].

و[d]**خِطَط خَوْلان** بن عَمْرو بن مالِك بن يزيد بن عَرِيب . وهذه الخِطَّةُ تتَّصلُ بالقَطائِع[d].

---

a) بولاق : الزحاف . b) ساقطة من بولاق . c) بولاق : فيهم . d-d) ساقطة من بولاق .

---

[١] ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٣-٤، والوحاف هو الوحاف بن العتيك من لَخْم ينسب إليه سوق الوحاف والعامة يقولون سوق لحاف (نفسه ٤ : ٣٤ عن القضاعي) .

[٢] نفسه ٤ : ٤ .

[٣] نفسه ٤ : ٣٤.

[٤] نفسه ٤ : ٤ وفيه : والغفق الهجوم على الشيء فجأة .

[٥] نفسه ٤ : ٤ وأضاف أنه سميَ الصدف لأنّه صدف بوجهه عن قومه حين أتاهم سيل القَرِم فأجمعوا على ردمه فصدف عنهم بوجهه تلقاء حضرموت فسمي الصدف .....

خِطَطُ الفارِسِـــيين ـ واسْتَنَدَ لخِطَّة خَوْلان من حَضَرَ فَتْح مصر من الفارِسيين، وهم بَقايا جُنْد باذان عامِل كِسْرَى على اليَمَن قبل الإسلام، أَسْلَمُوا بالشَّام، ورَغِبوا في الجِهاد؛ فنَفَروا مع عَمْرو ابن العَاص إلى مصر، فاخْتَطُّوا بها [١]، وأَخَذُوا في سَفْح الجَبَل الذي يُقالُ له جَبَل باب أَليون. وهذا الجبَل اليوم شرفٌ[a] من وَرَاء خِطَّة جامِع ابن طُولون، تُعْرَف أَرْضُه بالأَرْض الصَّفْراء، وهي من جملة العَسْكَر.

خِطَّةُ مَذْحِجْ ـ بالحاء قبل الجيم ـ وهو مالِك بن مُرَّة بن أَدَد بن زَيْد بن كَهْلان [بن عبد الله بن ناجية][b] [٢].

خِطَّةُ غَطيف بن مُراد [٣].

خِطَّةُ وَعْلان بن قَرْن بن ناجِيَة بن مُراد، وكُلُّهم من مَذْحِج [٤]، فاخْتَطَّت وَعْلان من الزُّقاق الذي فيه الصَّنَم المعروف بسَرِيَّة فِرْعَوْن، وهذا الزُّقاق أَوَّله باب السُّوق الكبير، واخْتَطَّت أيضًا بخَوْلان.

ثم انْفَرَدَت وَعْلان بخِطَطِها مُقابِل المَسْجد المعروف بالدِّيَنَوَري، وأَسْنَدَت إلى خَوْلانَ.

وهذه الخِطَّة اليوم كِيمان تَطِلّ على قَبْر القاضي بَكَّار.

خِطَّةُ يَحْصُب [وهو حيّ من اليمن وإذا نَسَبْتَ إليه قلت يَحْصُبي مثل تَغْلَبي، وهو يَحْصُب][b] [٥] ابن مالِك بن أَسْلَم بن زَيْد بن غَوْث، وهذه الخِطَّةُ مَوْضِعها كِيمان، وهي تتَّصل بالشَّرَف الذي يُعْرَف اليوم بالرَّصْد، المُطِلّ على راشِدَة.

خِطَّةُ رُعَيْن بن زَيْد بن سَهْل [بن عَمْرو بن قَيْس بن مُعاوية بن جُشَم بن عَبْد شَمْس، من حِمْيَر وخِطَّتهم قِبْلي مَذْحِج][b] [٦].

خِطَّة ذي الكِلاع بن شُرَحْبيل بن سَعْد من حِمْيَر [وخِطَّة الكِلاع مُتَّصلة بخِطَّة رُعَيْن إلى بَحْري مسجِد الأَقْدام][b] [٧].

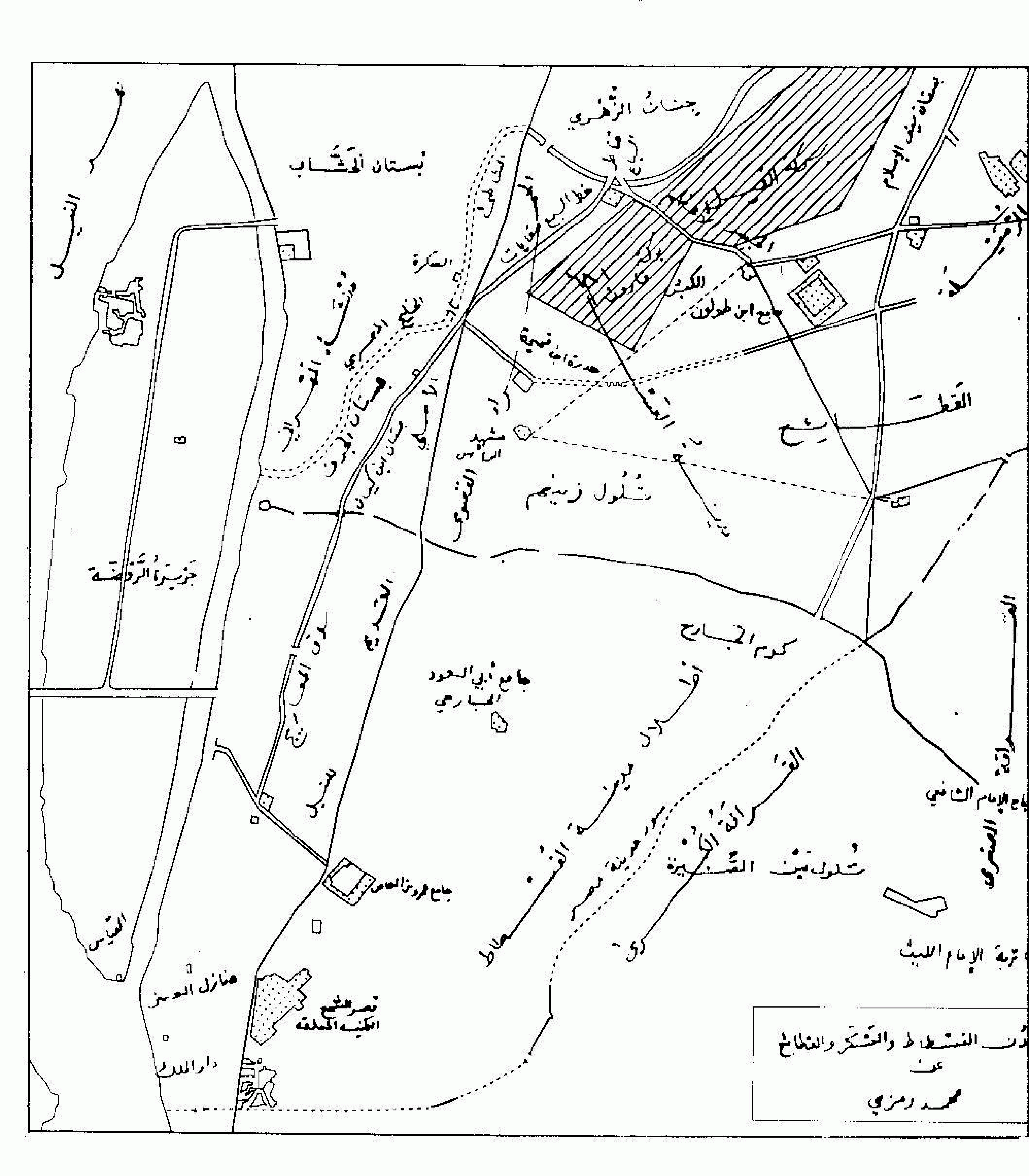
خِطَّةُ المَعَـــافِر بن يَعْفُر بن مُرَّة بن أَدَد ـ وهذه الخِطَّة من الرَّصْد إلى سِقايَة ابن طُولون. وهي القَناطِر التي تُطلّ على عَفْصَة، وتَفْصِل بين القَرافَتَيْن. والقَناطِر للمَعَافِر، ولهم إلى مُصَلَّى خَوْلان، وإلى الكُوم المُشْرف على المُصَلَّى.

---

a) بولاق: شرقي. b) زيادة من ابن دقماق.

---

[١] ابن دقماق: الانتصار ٤: ٤. [٢] نفسه ٤: ٤. [٣] نفسه ٤: ٤. [٤] نفسه ٤: ٤.
[٥] نفسه ٤: ٤. [٦] نفسه ٤: ٤. [٧] نفسه ٤: ٤.


جنانُ الزُّهري
بستان الخشاب
النيل
جزيرة الروضة
جامع ابن طولون
الكبش
القطائع
شلول زينهم
كوم الجارح
جامع أبي السعود الجارحي
جامع عمرو بن العاص
قصر الشمع
الكنيسة المعلقة
منازل العز
دار الملك
المقياس
القرافة الكبرى
شلول تين القصيرة
جامع الإمام الشافعي
تربة الإمام الليث
حدرة ابن قميحة
سور مدينة مصر
أطلال مدينة الفسطاط
محمد رمزي

خِطَّةُ سَبَأ وخِطَّة الرَّجْبَة بن زُرْعَة بن كَعْب [1].

خِطَّةُ السَّلف بن سَعْد[2] ـ فيما بين الكوم المُطِلّ على قَبْر القاضي بَكّار وبين المَعَافِر.

خِطَّةُ بني وَائِل بن زَيْد مَنَاة بن أَقْصى بن إياس بن حَرام بن جُذام بن عَدِيّ[3] ـ وهي من سَفْح الشَّرَف المعروف بالرَّصْد إلى خِطَّة خَوْلان.

خِطَّةُ القَبَض (بالتحريك) ابن مُرْثِد[4] ـ وهي بجانِب خِطَّة بني وائِل إلى نحو بِرْكَة الحَبَش.

قال: وكان سَبَبُ نُزول بني وائِل والقَبَض ورَيَّة وراشِدَة والفارِسيين هذه المواضِع، أنَّهم كانوا في طوالِع عَمْرو بن العَاص، فنَزَلوا في مُقَدِّمَة النَّاس، وحازُوا هذه المَواضِع قبل الفَتْح.

خِطَطُ الحَمْراوات الثّلاث ـ قال الكِنْديُّ: وكانت الحَمْراءُ على ثلاثة قُوَّاد[a]: بنو يَنَّه[b]، ورُوبيل، والأَزْرَق، وكانوا ممَّن سارَ مع عَمْرو بن العَاص من الشَّام إلى مصر من عَجَم الشَّام، ممَّن كان رَغِبَ في الإسْلام من قبل اليَرْمُوك، ومن أَهْل قَيْسارِيَّة وغيرهم.

وقال القُضاعِيُّ: وإنَّما قيل لها الحَمْراءُ لنزولِ الرُّوم بها؛ وهي خِطَطُ بَلِيّ بن عَمْرو بن إلحاف بن قُضاعَة، وفَهْم، وعَدْوان، وبعض الأَزْد وهم ثُراد، وبني بَحْر، وبني سَلامان، ويَشْكُر من[c] لَخْم، وهُذَيْل بن مُدْرِكَة ابن إِلْياس من[c] مُضَر، وبني يَنَّه[b]، وبني الأَزْرَق وهم من الرُّوم، وبني رُوبيل وكان يهوديًّا فأَسْلَم[5].

فأوَّل ذلك: الحَمْرَاء الدُّنْيا خِطَّة بليّ بن عَمْرو بن إلحاف بن قُضاعَة، ومنها خِطَّة ثُراد من الأَزْد، وخِطَّة فَهْم بن عَمْرو بن قَيْس عِيلان، ومنها خِطَّة بني بَحْر بن سَوادَة من الأَزْد.

ومن ذلك: الحَمْرَاء الوُسْطَى: منها خِطَّةُ بني يَنَّه[b] وهم قَوْمٌ من الرُّوم حَضَرَ الفَتْح منهم مائة رجل، ومنها خِطَّة هُذَيْل بن مُدْرِكَة بن إلْياس من مُضَر، ومنها خِطَّة بني سَلامان من الأَزْد، ومنها خِطَّة عدْوان.

ومن ذلك: الحَمْراءُ القُصْوَى، وهي خِطَّةُ بني الأَزْرَق، وكان رُوميًّا، حَضَرَ الفَتْح منهم أربع مائة، وخِطَّة بني رُوبيل، وكان يَهوديًّا فأَسْلم، وحَضَرَ الفَتْح منهم ألف رجل، وخِطَّة بني يَشْكُر ابن جُزَيْلَة من[c] لَخْم. وكانت مَنازِلُ يَشْكُر مُفَرَّقَة في الجَبَل [d]الذي عليه الآن جَامِع أحمد بن طُولون[d]، فدُثِرَت قَديمًا وعادَت صَحْرَاء، حتى جاءَت المُسَوِّدَة ـ يعني جُيوش بني العَبَّاس ـ فعَمَّروها، وهي الآن خَراب[6].

---

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: نبه. c) بولاق: بن والتصويب من مسودة الخطط. d-d) زيادة من المسودة.

---

[1] ابن دقماق: الانتصار ٤: ٤. [2] نفسه ٤: ٤. [3] نفسه ٤: ٤. [4] نفسه ٤: ٤. [5] نفسه ٤: ٤؛ مسودة الخطط ٥١ظ. [6] مسودة الخطط ٤٦ظ، ٥١ظ.

وقال ابنُ المُتوَّج : الحَمْرَاواتُ ثَلاث : أُولىٰ ، ووُسْطَىٰ ، وقُصْوَىٰ : فأمّا الأُولىٰ فتجمَع حائِز الإِوَزّ وعَقَبَة العَدَّاسين ، وسُوق وَرْدان ، وخِطَّة الزُّبَيْر ، إلى نَقَّاشين[a] البَلاط ، طُولًا وعَرْضًا ، على قَدْر ذلك ؛ وأمّا الوُسْطَىٰ ، فمن دَرْب نَقَّاشين[a] البَلاط إلى دَرْب مَعاني ، طُولًا وعَرْضًا على قَدْره ؛ وأمّا القُصْوَىٰ فمن دَرْب مَعاني إلى القَنْطَرَة[b] الظَّاهِريَّة ـ يعني قَناطِر السِّبَاع ـ ، وهي حَدّ وُلاية مصر من القاهِرَة .

وكانت هذه الحَمْرَاوات جُلّ عِمارَة مصر في زَمَن الرُّوم . فإذا الحَمْرَاءُ الأُولىٰ والوُسْطَىٰ هما الآن خَراب ،
٢١ ومَوْضعهما فيما بين سُوق المَعارِيج ، وحَمّام طَنّ[c] من شَرْقيهما/ إلى ما يُقابِل المَراغَة في الشَّرْق [١] .

وأمّا الحَمْرَاءُ الدُّنْيا فهي الآن تُعْرَف بخُطِّ قَناطِر السِّبَاع ، وبخُطِّ السَّبْع سِقايات ، وبحِكْر الخَليلي وحِكْر آقْبُغا ، والكُوم حيث الأَسْرى ، ومنها أيضًا خُطّ الكَبْش ، وخُطّ الجامِع الطُّولوني والعَسْكَر ، ومنها حَدْرَةُ ابن قَميحَة إلى حيث قَنْطَرَة السَّدّ ، وبُسْتانُ الطَّواشي وما في شَرْقيه إلى مَشْهَد الرَّأْس المعروف بزَيْن العابِدين . وسيأتي لذلك مَزيدُ بَيان ، إن شاءَ الله تعالى ، عند ذِكْر العَسْكَر .

وكانت مَدينَةُ الفُسْطاط على قِسْمَيْن : هما «عَمَلُ فَوْق» ، و«عَمَلُ أَسْفَل» . فـ عَمَلُ فَوْق[٢] له طَرَفان : غربيٌّ ، وشرقيٌّ . فالغربيُّ من شاطِئ النِّيل في الجِهَة القِبْلية وأنت مارٌّ في الشَّرَف ، المعروف اليوم بالرَّصْد ، إلى القَرافَة الكُبْرَىٰ . والشَّرْقيُّ من القَرافَة الكُبْرَىٰ إلى العَسْكَر . وعَمَلُ أَسْفَل[٣] ما عَدا ذلك إلى حَدّ القاهِرَة .

---

a) بولاق : نقاشي ، والتصويب من المسودة . b) بولاق : القناطر . c) بولاق : حمام طن .

---

[١] انظر فيما يلي ١٥٨ ؛ المسودة ٥٠ظ .

[٢] عَمَل فَوْق . هو جزءُ مدينة الفُسْطاط الشرقي الممتد حتى المقابر القديمة في سفح المقطم . وتمثل بركة الحبش الحَدّ الجنوبي الطبيعي لهذا الجزء حيث توجد اليوم ضاحية القاهرة الجنوبية البساتين . أمّا الحَدُّ الشمالي لهذا القسم فكان يمتدُّ إلى ما يلي الخليج في منطقة يصعب تحديدها تُعادل ميدان السيدة زينب الحالي وهي تشغل أرضًا غير متساوية تتكوّن أساسًا من هَضَبة صخرية تنحدر بميل تجاه النيل وتُحيط بها مجموعة من التلال يحدّها من الجنوب الشَّرَف المعروف بالرَّصْد . ونظرًا لأنّها كانت أكثر ارتفاعًا من المنطقة الغربية أُطْلِق عليها «المَوْقِف» أو «عَمَل فَوْق» . وكانت أكثر اتّساعًا من المنطقة الغربية وتمثل حيًّا سكنيًّا خاليًا من المراكز التجارية والحرفية التي تركزت في الجانب الآخر من المدينة . وقد دُمِّر هذا القسم من المدينة تمامًا منذ الشِّدَّة العُظْمىٰ في زمن المستنصر بالله في منتصف القرن الخامس الهجري ولم يُعَدْ سكنه بعد ذلك بسبب الأوبئة ، ولكن أعيد استخدام أنقاضه في بناء مناطق أخرى خاصَّةً منطقة المشاهد بين المَشْهد النَّفيسي جنوبًا وباب زويلة شمالًا (انظر فيما تقدم ٩:١ وفيما يلي ٥٨، ١٤٦، ١٥٢، ١٥٦-١٥٧، ١٦٧-٢٢٤؛ ٢: ١٠٠، ٢٦٥؛ Fu'âd Sayyid, A., *op. cit.*, pp. 595-96; Kubiak, F., *al- Fustât* p. 36) .

[٣] عمل أَسْفَل هو الجزء الغربي للفُسْطاط الواقع على=

ذِكرُ أُمَـراء الفُسْطاط

من حـين فُتِحَتْ مِصْـر إلى أن بُنِيَ العَسْكَر

اعْلَم أنَّ عِدَّةَ مَنْ وَلِيَ مصر من الأُمَرَاء في الإسْلام - منذ فُتِحَت وسُكِنَ الفُسْطاط إلى أن بُنِيَ العَسْكَر - تسعة وعشرون أميرًا في مُدَّة مائة وثلاث عشرة سنة وسبعة أشهر. أوَّلُها يوم الجُمُعَة مستهلّ المحرَّم سنة عشرين من الهجرة النَّبَوِيَّة - وهو يَوْمُ فَتْح مصر - وآخرها سَلْخ شهر رَجَب سنة ثلاثٍ وثلاثين ومائة، آخر وِلايَة صالِح بن عليّ بن عبد الله بن عَبَّاس على مصر، وأوَّل وِلايَة أبي عَوْن عبد الملك، وهو أوَّلُ من سَكَنَ العَسْكَر من أُمَراء مصر.

وأَوَّلُ أُمَرَاء الفُسْطاط بعد الفَتْح - على ما ذَكَرَ الكِنْدِيُّ وغيره[1] - عَمْرو بن العَاص بن وائِل ابن هاشِم بن سُعَيْد بن سَهْم بن عَمْرو بن هُصَيْص بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالِب بن فِهْر بن مالِك، أبو عبد الله. كان تاجِرًا في الجاهِلِيَّة، وكان يَخْتَلف بتِجارَته إلى مصر - وهي الأَدَمُ والعِطْر - ثم ضَرَبَ الدَّهْرُ ضَرَباتِه حتى فَتَح المسلمون الشَّام، فخَلا بعُمَر بن الخَطَّاب - رضي الله عنه - فاسْتَأْذَنه في المَسير إلى مصر، فسارَ في سنة تسع عشرة، وأَتَى الحِصْنَ فحَاصَرَه سبعة أشهر، إلى أن فَتَحَه في يوم الجُمُعَة مستهلّ المحرَّم سنة عشرين[2].

وقيل كان فَتْحُ مصر في ثاني عشر بَؤُونَة سنة سبعٍ وخمسين وثلاث مائة لدِقْلطيانوس، فعلى هذا يكونُ فَتْحُ مصر في سنة تسع عشرة من الهجرة.

= شاطئ النيل، ورغم أنّه أكثر رطوبة وأقل صحية عن الجزء الآخر إلّا أنه يشتمل على أهم منشآت المدينة: المسجد الجامع ودار الضرب والأسواق والقياسر. وهذا الجزء الغربي هو الشّاهد على جميع الأحداث التي مرّت بها الفسطاط (Fu'âd Sayyid, A., *op. cit.*, p. 594; Kubiak, F., *op. cit.* pp. 34-36).

[1] اعتمد المقريزي في سَرْد أسماء ولاة وأُمَراء مصر حتى العصر الإخشيدي على كتاب «ولاة مصر» للكندي والتزم بنص عباراته (انظر المُقَدِّمَة)، وراجع كذلك أبا المحاسن: النجوم الزاهرة الأجزاء من الأول إلى الثالث. ولاشك أن كتاب «عقد جواهر الأسفاط» الذي خَصَّصه المقريزي لتاريخ مصر في القرون الثلاثة الأولى للإسلام - لو كان وصل إلينا - لأَمَدَّنا فيه المقريزي بتفاصيل أكثر عن هذه الفترة. وانظر كذلك، سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عصر الولاة من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، القاهرة د.ت، Kennedy, H., «Egypt as a province in the Islamic Caliphate, 641-868», *The Cambridge History of Egypt*, pp. 62-85; Cristidies, V. & Kennedy, H., *EI*² art. *Misr* VII, pp. 155-63.

[2] الكندي: ولاة مصر ٢٩، ٣٠.

وتَحْرِيرُ ذلك أنَّ الذي بين يوم الجُمُعَة ، أوَّل يوم من مُلْك دِقْلطيانوس ، وبين يوم الخَميس أوَّل سنة الهجرة ، ثمانٌ وثلاثون وثلاث مائة سنة فارِسية وتسعة وثلاثون يومًا .

فإذا أَلْغَيْنا ذلك من تاريخ مِصْر في ثاني عشر بَئُونَة سنة سبعٍ وخمسين وثلاث مائة ، بقي ثمان عشرة سنة وثمانية أشهر وثلاثة أيام . وهذه سُنُون شَمْسية ، عنها من سني القَمَر تسع عشرة سنة وشهر وثلاثة عشر يومًا ، فيكون ذلك في ثالث عشر رَبيع الأوَّل سنة عشرين ، فلعلَّ الوَهْمُ وَقَعَ في الشهر القِبْطي .

وحازَ الحِصْنَ بما فيه ، وسارَ إلى الإسْكَنْدَرية في رَبيع الأوَّل منها ، فحاصَرَها ثلاثة أشهر ، ثم فَتَحَها عَنْوَةً ـ وهو الفَتْحُ الأوَّل ـ ويُقالُ بل فَتَحَها مستهلّ سنة إحدى وعشرين ، ثم سارَ عنها إلى بَرْقَة ، فافْتَتَحَها [a]بصُلْحٍ في آخِرِ سنة إحدى وعشرين ومَضَى منها إلى أَطْرابُلُس ففَتَحَها[a] عَنْوَةً في سنة اثْنتين وعشرين ، وقيل في سنة ثلاثٍ وعشرين .

وقَدِمَ على أمير المؤمنين عُمَر بن الخَطَّاب ـ رضي الله عنه ـ قَدْمَتَيْن : اسْتَخْلَف في إحداهما زكريا بن جَهْم العَبْدَري ، وفي الثانية ابنه عبد الله .

وتُوُفِّي عُمَرُ ـ رضي الله عنه ـ في ذي الحجَّة سنة ثلاثٍ وعشرين ، وبُويعَ أميرُ المؤمنين عُثْمانُ بن عَفَّان ـ رضي الله عنه ـ فوَفَدَ عليه عَمْرو ، وسأله عَزْل عبد الله بن سَعْد بن أبي سَرْح عن صَعيد مصر ـ وكان عُمَر وَلَّاه الصَّعيد ـ فامْتَنَعَ من ذلك عُثْمانُ ، وعَقَدَ لعبد الله بن سَعْد على مصر كلِّها . فكانت وُلايَةُ عَمْرو على مصر ، صَلاتِها وخَراجِها ، منذ افْتَتَحَها إلى أن صُرِفَ عنها ، أربع سنين وأشهرًا [1] .

عبدُ الله بن سَعْد بن أبي سَرْح ، واسْمُه الحُسَام بن الحارِث بن حُبَيِّب بن جَذِيمَة بن نَصْر ابن مالِك بن حِسْل بن عامِر بن لُؤَيّ ، وَلِيَ من قِبَل أمير المؤمنين عُثْمان ـ رضي الله عنه ـ فجاءَه الكتابُ بالفَيُّوم ، فجَعَلَ لأَهْل أَطْواب[b] جُعْلًا ، فقَدِموا به الفُسْطاط [2] .

ثم إنَّ مَنْويل الخَصِيّ سارَ إلى الإسْكَنْدَرية في سنة أربعٍ وعشرين ، فسأل أَهْلُ مصر عُثْمان أن يَرُدَّ عَمْرو بن العَاص لمحارَبَته ، فرَدَّه واليًا على الإسْكَنْدَرية ، فحارَبَ الرُّوم بها حتى افْتَتَحها ، وعبد

---

a-a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : أطواف .

---

[1] الكندي : ولاة مصر ٣٣، وانظر كذلك عن عمرو بن العاص : حسن إبراهيم حسن : تاريخ عمرو بن العاص ، القاهرة ١٩٢٦؛ Wensinck, A.J., *EI*² art. *Amr b. al-ʿĀs* I pp. 464؛ عباس محمود العقاد : عمرو بن العاص ، القاهرة ١٩٥٠.

[2] نفسه ٣٤.

الله بن سَعْد مُقيمٌ بالفُسْطاط، حتى فُتِحَت الإسْكَنْدَرية الفَتْحَ الثاني عَنْوَةً في سنة خمسٍ وعشرين [١].

ثم جُمِعَ لعبد الله بن سَعْد أَمْر[a] مصر، صَلاتُها وخَراجُها، ومَكَثَ أميرًا مُدَّة ولاية عُثْمان ـ رضي الله عنه ـ كلّها، محمودًا في ولايته. وغَزا ثلاث غَزْوات كلّها لها شأْنٌ: غَزا إفْريقيَّة سنة سبعٍ وعشرين، وقَتَلَ مَلِكَها جُرْجير. وغَزا غَزْوَةَ الأَساوِد حتى بَلَغَ دُمْقُلَة في سنة إحدى وثلاثين. وغَزَا ذا الصَّواري في سنة أربعٍ وثلاثين، فلقيهم قُسْطَنْطين بن هِرَقْل في ألف مَرْكِب، وقيل في سبعِ مائة مركب والمسلمون في مائتي مَرْكب، فهَزَمَ الله الرُّوم؛ وإنَّما سُمِّيَت غَزْوَة ذي الصَّواري لكَثْرَة صَواري المَراكِب واجْتِماعها [٢].

ووَفَدَ على عُثْمان/ حين تكلَّم النَّاسُ بالطَّعْن على عُثْمان، واسْتَخْلَفَ عُقْبَة بن عامِر الجُهَنيّ ـ ٦:٠
وقيل السَّائِب بن هِشام العامِريّ ـ وجَعَلَ على خَراجِها سَليم[b] بن عِتْر التُّجيبي، وكان ذلك سنة خمسٍ وثلاثين في رَجَب [٣].

مُحَمَّد بن أبي حُذَيْفَة بن عُتْبَة بن رَبيعَة بن عَبْد شَمْس بن عَبْد مَناف: انْتَزَى[c] في شوَّال سنة خمسٍ وثلاثين، على عُقْبَة بن عامِر خَليفَة عبد الله بن سَعْد، فأَخْرَجَه من الفُسْطاط، ودَعَا إلى خَلْع عُثْمان، وأَسْعَرَ البلاد، وحَرَّضَ على عُثْمان بكلّ شَرٍّ يَقْدر عليه [٤]. فاعْتَزَلَه شِيعَةُ عُثْمان ونابَذوه ـ وهم مُعاوية بن حُدَيْج، وخارِجَة بن حُذافَة، وبُسْر بن أبي[d] أَرْطاة، ومَسْلَمَة بن مَخْلَد، في جَمْعٍ كثيرٍ ـ وبَعَثُوا إلى عُثْمان بأَمْرِهم وبصَنيع ابن أبي حُذَيْفَة [٥].

فبَعَثَ سَعْد بن أبي وَقَّاص ليُصْلِح أَمْرَهم، فخَرَجَ إليه جماعَةٌ، فقَلَبوا عليه فُسْطاطَه وشَجُّوه وسَبُّوه، فرَكِبَ وعادَ راجِعًا، ودَعَا عليهم.

وأَقْبَلَ عبدُ الله بن سَعْد، فمَنَعُوه أن يَدْخُل، فانْصَرَف إلى عَسْقَلان. وقُتِلَ عُثْمانُ ـ رضي الله عنه ـ وسَعْد[e] بعَسْقَلان.

---

a) بولاق: أمير. b) بولاق: سليمان. c) بولاق: أمر. d) ساقطة من بولاق. e) بولاق: ابن سعد.

---

[١] الكندي: ولاة مصر ٣٥؛ وانظر فيما تقدم ١: ٤٤٨.
[٢] نفسه ٣٥ - ٣٧، وانظر فيما تقدم ١: ٤٥٦ - ٤٥٨.
[٣] نفسه ٣٧.
[٤] نفسه ٣٨.
[٥] نفسه ٣٩.

ثم أَجْمَعَ ابن أبي حُذَيْفَة على بَعْث جَيْشٍ إلى عُثْمان ، فجَهَّزَ إليه ستّ مائة رَجُل عليهم عبد الرَّحْمَٰن بن عُدَيْس البَلَوي [١].

ثم قُتِلَ عُثْمان في ذي الحجَّة منها [٢]، فثارَ شِيعَةُ عُثْمان بمصر ، وعَقَدُوا لمعاوية بن حُدَيْج ، وبايَعوه على الطَّلَب بدَم عُثْمان ، وساروا إلى الصَّعيد ، فبَعَثَ إليهم ابن أبي حُذَيْفَة خيْلًا فهُزِمَت .

ومَضَى ابن حُدَيْج إلى بَرْقَة ، ثم رَجَعَ إلى الإسْكَنْدَرية ، فبَعَثَ إليه ابنُ أبي حُذَيْفَة بجَيشٍ آخر ، فاقْتَتَلوا بخَرِبْتًا في أوَّل شهر رَمَضَان سنة ستٍّ وثلاثين ، فانْهَزَمَ الجَيْشُ ، وأقامَت شِيعَةُ عُثْمان بخَرِبْتًا [٣].

وقَدِمَ مُعاوِيَة بن أبي سُفْيان يُريد الفُسطاط ، فنَزَلَ سَلَمْنْت في شَوَّال ، فخَرَجَ إليه ابن أبي حُذَيْفَة في أهل مصر فمَنَعُوه ، ثم اتَّفَقا على أن يَجْعَلا رَهْنًا ويَتْرُكا الحرب . فاسْتَخْلَف ابن أبي حُذَيْفَة على مصر الحكَم بن الصَّلْت ، وخَرَجَ في الرَّهْن هو وابن عُدَيْس وعِدَّة من قَتَلَة عُثْمان ، فلمَّا بَلَغُوا لُدًّا سَجَنَهم مُعاوِيَة بها وسارَ إلى دِمَشْق ، فهَرَبوا من السِّجْن ، وتَبِعَهم أميرُ فِلَسْطين فقَتَلَهم في ذي الحجَّة سنة ستٍّ وثلاثين [٤].

قَيْسُ بن سَعْد بن عُبادَة الأَنْصَاري ، وَلَّاهُ أميرُ المؤمنين عليُّ بن أبي طالِب ـ رضي الله عنه ـ لمَّا بَلَغَه مُصاب ابن أبي حُذَيْفَة ، وجَمَعَ له الخَراج والصَّلاة . فدَخَلَ مصر مستهلّ رَبيع الأوَّل سنة سبع وثلاثين ، فاسْتَمال الخارِجيَّة بخَرِبْتًا شِيعَة عُثْمان ، وبَعَثَ إليهم أُعْطياتهم ، ووَفَدَ عليه وَفْدُهم فأكْرَمَهُم . وكان من ذوي الرَّأْي ، فجَهِدَ عَمْرو بن العَاص ومُعاوية بن أبي سُفْيان على أن يُخْرِجاه من مصر ليَغْلِبا على أَمْرِها ، فإنَّها كانت من جَيْش عليّ ـ رضي الله عنه ـ فامْتَنَع منهما بالدَّهاء والمكَايَدَة ، فلم يَقْدِرا على مصر ، حتَّى كادَ معاوية قَيْسًا من قِبَل عليّ ـ رضي الله عنه ـ فأشاعَ أنَّ قَيْسًا من شِيعَته ، وأنَّه يَبْعَث إليه بالكُتُب والنَّصيحَة سِرًّا [٥].

---

[١] الكندي : ولاة مصر ٣٩ - ٤١.

[٢] انظر حول مقتل عثمان والفتنة : Hinds, G. M., «The Murder of the Caliph ʿUthmân», *IJMES* 3 (1972), pp. 450-69 ودراسة هشام جعيط المتميزة Djaït, H., *La grande discorde. Religion et politique dans l'Islam des origines*, Paris - Gallimard 1989 نقلها إلى العربية خليل أحمد خليل بعنوان : الفِتْنَة – جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر ، بيروت – دار الطليعة ١٩٩٢.

[٣] الكندي : ولاة مصر ٤١ – ٤٢.

[٤] نفسه ٤٢ – ٤٣.

[٥] نفسه ٤٤ – ٤٥.

فسَمِعَ ذلك جَواسيسُ عليّ - رضي الله عنه - وما زال به محمد بن أبي بَكْر وعبد الله بن جَعْفَر، حتّى كَتَبَ إلى قَيْس بن سَعْد يأمُره بالقُدوم إليه؛ فوَليهَا إلى أن عُزِلَ أربعة أشهر وخمسة أيام، وصُرِفَ لخمسٍ خَلَوْن من رَجَب سنة سبعٍ وثلاثين [1].

فوَلِيَها الأَشْتَرُ مالِك بن الحارِث بن خَالِد النَّخْعي، من قِبَل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالِب، فلمَّا قَدِمَ القُلْزُم شَرِبَ عَسَلًا فماتَ، فبَلَغَ ذلك عَمْرًا ومُعاوية، فقال عَمْرو: إنَّ لله جُنودًا من عَسَل [2].

ثم وَلِيَها مُحَمَّدُ بن أبي بَكْر الصِّدّيق من قِبَل عليّ - رضي الله عنه - وجَمَعَ له صَلاتَها وخَراجَها، فدَخَلَها للنصف من رَمَضَان سنة سبعٍ وثلاثين، فهَدَمَ دُور شِيعَة عُثْمان، ونَهَبَ أَمْوالَهم، وسَجَنَ ذَراريهم، فنَصَبُوا له الحَرْب، ثم صالَحَهم على أن يُسَيِّرهُم إلى مُعاوَيَة، فلَحِقُوا بمُعاوية بالشَّام [3].

فبَعَثَ مُعاويَة عَمْرو بن العَاص في جُيوشِ أَهْل الشَّام إلى الفُسْطاط، وتَغَيَّبَ ابن أبي بَكْر، فظَفِر به مُعاوِيَة بن حُدَيْج فقَتَلَه، ثم جَعَلَه في جِيفَة حِمار مَيِّت، وأَحْرَقَه بالنَّار لأربع عشرة خَلَت من صَفَر سنة ثمانٍ وثلاثين. فكانَت ولايَتُه خمسة أشهر [4].

ثم وَليها عَمْرو بن العَاص وِلايَته الثانية، من قِبَل مُعاوية بن أبي سُفْيان - رضي الله عنه - فاسْتَقْبَل بولايته شهر رَبيع الأوَّل سنة ثمانٍ وثلاثين، وجَعَلَ إليه الصَّلاة والخَراج جَميعًا، وجُعِلَت مصر له طُعْمَةً بعد عَطَاء جُنْدها والنَّفَقَة في مَصْلَحتها.

ثم خَرَجَ عَمْرو للحُكُومَة، واسْتَخْلَف على مصر ابنه عبد الله، وقيل بل خارِجَة بن حُذافَة، ورَجَعَ إلى مصر.

وتَعاقَد بنو مُلْجِم [a]: عبد الرَّحْمَن وقَيْس ويَزيد على قَتْل عليّ ومُعاوِيَة وعَمْرو، وتَواعَدوا لَيْلَةً من رَمَضَان سنة أربعين، فمَضَى كلٌّ منهم إلى صاحِبِه، وكان يَزيدُ هو صاحِب عَمْرو، فعَرَضَت لعَمْرو عِلَّة مَنَعَتْه من حُضُور المَسْجد، فصَلَّى خارِجَة بالنَّاس، فشَدَّ عليه يَزيدُ فضَرَبَه حتى قَتَلَه؛ فدُخِلَ به

---

a) بولاق: بنو لحم.

---

[1] الكندي: ولاة مصر ٤٥، ٤٦.
[2] نفسه ٤٦، ٤٧.
[3] نفسه ٥٠، ٥١.
[4] نفسه ٥٢.

على عَمْرو ، فقال : أما والله ما أَرَدْتُ غيرَك يا عَمْرو ؛ قال عَمْرو : ولكن الله أرادَ خارِجَة [١] .

ولله دَرُّ القائِل :

[البسيط]

وَلَيْتَها إذْ فَدَت عَمْرًا بخارِجَةٍ   فَدَت عَلِيًّا بمَن شاءَت من البَشَرِ

[الدَّوْلَةُ الأُمَوِيَّة]

وعَقَدَ عَمْرو لشَرِيك بن سُمَيّ على غَزْو لَواتَة من البَرْبَر ، فغَزاهم في سنة أربعين وصالَحَهم . ثم انْتَقَضُوا ، فبَعَثَ إليهم عُقْبَة بن نافِع ، في سنة إحدى وأربعين ، فغَزاهم حتى هَزَمَهُم . وعَقَدَ لعُقْبَة
٣ أيضًا على غَزْو هَوّارَة ، وعَقَدَ لشَرِيك/ بن سُمَيّ على غَزْو لَبْدَة ، فغَزواهُما في سنة ثلاثٍ وأربعين ، فقَفَلا وعَمْرو شَديد الدَّنَف في مَرَض مَوْته [٢] .

وتوفيّ لَيْلَة الفِطْر ، فغَسَّلَه عبدُ الله بن عَمْرو ، وأَخْرَجه إلى المُصَلَّىٰ وصَلَّى عليه ؛ فلم يَبْق أَحَدٌ شَهِد العيد إلَّا صَلَّى عليه ، ثم صَلَّى بالنَّاس صَلاة العيد ، وكان أبوه اسْتَخْلَفَه [٣] .

وخَلَّفَ عَمْرو بن العَاص سبعين بَهارًا دَنانير (والبَهار جلد ثَوْر ، ومبلغه إرْدَبّان بالمصري) ، فلمَّا حَضَرَته الوَفاةُ أَخْرَجَه ، وقال : من يَأْخُذه بما فيه؟ فأَبَى وَلَداه أَخْذَه وقالا : حتى نَرُدّ إلى كلِّ ذي حَقٍّ حَقَّه . فقال : والله ما أَجْمَع بَيْنَ اثنين منهم . فبَلَغَ مُعاوِيَة ، فقال : نحن نَأْخُذُه بما فيه .

ثم وَلِيها عُتْبَة بن أبي سُفْيان من قِبَل أخيه مُعاوِيَة بن أبي سُفْيان ، على صَلاتِها ، فقَدِمَ في ذي القعدة سنة ثلاثٍ وأربعين ، وأقامَ أشهرًا [a] . ثم وَفَدَ على أخيه ، واسْتَخْلَف عبد الله بن قَيْس ابن الحارِث ـ وكان فيه شِدَّة ـ فكَرِه النَّاسُ ولايته ، وامْتَنَعُوا منها . فبَلَغَ ذلك عُتْبَة ، فرَجَعَ إلى مصر وصَعِدَ المِنْبَر فقال : «يا أَهْلَ مصر ! قد كُنْتُم تَعْذِرون ببعض المَنْع منكم لبَعْض الجَوْر عليكم ، وقد وَلِيَكُم من إن[b] قال فَعَل ، فإن أَبَيْتُم دَرَأَكم بيده ، فإن أَبَيْتُم دَرَأَكم بسَيْفه ، ثم رَجا[c] في الأخير ما أَدْرَاك في الأوَّل ، إنَّ البَيْعَة شائِعَةٌ ، لنا عليكم السَّمْع ، ولكم علينا العَدْل ، وأَيُّنا غَدَر فلا

---

a) بولاق : شهرا والكندي : بها أشهرا .   b) بولاق : إذا .   c) الكندي : ثم جاء .

---

[١] الكندي : ولاة مصر ٥٤- ٥٥.   [٢] نفسه ٥٥- ٥٦.   [٣] نفسه ٥٦- ٥٧.

ذِمَّة له عند صاحِبِه» ؛ فناداه المصريون من جَنَبات المَسْجد : سَمْعًا سَمْعًا ، فناداهم : عَدْلًا عَدْلًا ، ثم نَزَل [١].

ثم جَمَعَ له مُعاوِيَة الصَّلاة والخَرَاج .

وعَقَدَ عُتْبة لعَلْقَمَة بن يَزِيد على الإسْكَنْدَرِية في اثني عشر ألفا من أهْل الدِّيوان تكون لها رابِطَة . ثم خَرَجَ إليها مُرابِطًا في ذي الحجَّة سنة أربعٍ وأربعين ، فماتَ بها ، واستخلف على مصر عُقْبَة بن عامِر الجُهَني . فكانت ولايته ستَّة أشهر [٢].

ثم وَلِيها عُقْبَة بن عامِر بن عَبْس الجُهَنيّ ، من قِبَل مُعاوِيَة ، وَجَعَل له صَلاتَها وخَراجها ، وكان قارِئًا فَقيهًا مُفْرِضًا شاعِرًا ، له الهِجْرَة والصُّحْبَة والسَّابِقَة [٣].

ثم وَفَدَ مَسْلَمَة بن مَخْلَد[a] الأنْصاري على مُعاوِيَة ، فوَلَّاه مصر وأَمَرَه أن يَكْتُم ذلك عن عُقْبَة ابن عامِر ، وجَعَلَ عُقْبَة على البَحْر ، وأَمَرَه أن يَسيرَ إلى رُودِس .

فقَدِمَ مَسْلَمَة فلم يَعْلَم بإمارَته ، وخَرَجَ مع عُقْبَة إلى الإسْكَنْدَرِية ، فلمَّا تَوَجَّه سائِرًا استوى مَسْلَمَة على سَرير إمارَته ، فبَلَغَ ذلك عُقْبَة فقال : أَخُلْعَانًا وغُرْبَة [b]؟! وكان صَرْفُه لعَشْرٍ بقِين من رَبيع الأوَّل سنة سبعٍ وأربعين ، وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر [٤].

فوَلِيَ مَسْلَمَةُ بن مَخْلَد بن صامِت بن نِيار الأَنْصاري ، من قِبَل مُعاوِية ، وجَمَع له الصَّلاة والخَرَاج والغَزْو ، فانْتَظَمَت غَزَواتُه في البَرّ والبَحْر . وفي إمارَته نَزَلَت الرُّومُ البُرُلُّس في سنة ثلاث وخمسين ، فاسْتُشْهِد يَوْمئذٍ وَرْدان مَوْلَى عَمْرو بن العَاص في جَمْعٍ من المسلمين [٥].

وهَدَمَ ما كان عَمْرو بن العَاص بَنَاه من المَسْجِد وبَناه ، وأَمَرَ بابْتِناء مَنارات المَساجِد كلّها إلَّا خَوْلان وتُجيب . وَخَرَجَ إلى الإسْكَنْدَرِية في سنة ستين ، واسْتَخْلَف عابِس بن سَعيد [٦].

وماتَ مُعاوِيَة بن أبي سُفْيان في رَجَب منها ، واسْتُخْلِف ابنه يَزِيد بن مُعاوية ، فأَقَرَّ مَسْلَمَة ، وكَتَب إليه بأَخْذ البَيْعَة ، فبايَعَه الجُنْدُ إلَّا عبد الله بن عَمْرو بن العَاص ، فدَعَا عابِس بالنَّار ليَحْرق عليه بابَه ، فحينئذٍ بايَع ليَزيد [٧].

---

a) بولاق : محمد بن .   b) بولاق : أخلعا وغربة .

---

[١] الكندي : ولاة مصر ٥٧– ٥٨. [٢] نفسه ٥٩. [٣] نفسه ٥٩– ٦٠. [٤] نفسه ٦٠– ٦١. [٥] نفسه ٦١.
[٦] نفسه ٦١. [٧] نفسه ٦٢.

وقَدِمَ مَسْلَمَة من الإسْكَنْدَرية ، فجَمَع لعابِس مع الشُّرَط القَضَاء في سنة إحدى وستين [١] .

وقال مُجاهِدٌ : صَلَّيْت خَلْفَ مَسْلَمَة بن مَخْلَد ، فقَرأ سورة البَقَرَة فما تَرَكَ ألفًا ولا واوًا . وقال ابنُ لَهيعَة عن الحارِث بن يَزيد : كان مَسْلَمَة بن مَخْلَد يُصَلِّي بنا ، فيقوم في الظُّهْر ، فربَّما قَرأ الرجل البَقَرَة .

وتُوفِّيَ مَسْلَمَة وهو والٍ لخمسٍ بقين من رَجَب سنة اثنتين وستين ، فكانت ولايتُه خمس عشرة سنة وأربعة أشهر ، واسْتَخْلَف عابِس بن سعيد [٢] .

ثم وَلِيَها سَعيد بن يَزيد بن عَلْقَمَة بن يَزيد بن عَوْف الأَزْدي من أهْل فِلَسْطين ، فقَدِمَ مستهلّ رَمَضان سنة اثنتين وستين ، فتلقَّاه عَمْرو بن قَحْزَم الخَوْلاني فقال : يَغْفِر الله لأَمير المؤمنين ، أما كان فينا مائة شاب كلُّهم مِثْلك يولِّي علينا أَحَدَهم ! ولم تَزَل أهلُ مصر على الشَّنَآن له ، والإعْراض عنه ، والتَّكَبُّر عليه حتى تُوفي يَزيدُ بن مُعاوية . ودَعَا عبدُ الله بن الزُّبَيْر – رضي الله عنه – إلى نَفْسه ، فقامَت الخَوارِجُ الذين بمصر وأَظْهَروا دَعْوَتَه ، وسارَ منهم إليه ، فبَعَثَ لعبد الرَّحْمَن بن جَحْدَم فقَدِم .

واعْتَزَلَ سعيدًا ، فكانت ولايتُه سنتين غير شهر [٣] .

ثم وَلِيَها عبد الرَّحْمَن بن عُتْبَة بن جَحْدَم ، من قِبَل عبد الله بن الزُّبَيْر ، فدَخَلَ في شَعْبان سنة أربعٍ وستين في جَمْعٍ كثيرٍ من الخَوارِج ، فأَظْهَروا التَّحْكيم ودَعَوا إليه ، فاسْتَعْظَم الجندُ ذلك ، وبايَعَه النَّاسُ على غِلٍّ في قُلوب شِيعَة بني أُمَيَّة .

ثم بُويع مَرْوان بن الحكَم بالخِلافَة في أهْل الشَّام ، وأَهْلُ مصر معه في الباطِن ، فسارَ إليها ، وبَعَثَ ابنه عبدَ العَزيز في جَيْشٍ إلى أَيْلَة ليَدْخُل مصر من هناك .

وأَجْمَعَ ابن جَحْدَم على حَرْبِه ، وحَفَرَ الخَنْدَق في شهرٍ ، وهو الذي في شرقي القَرافَة[a] [٤] .

وقَدِمَ مَرْوان فحارَبَه ابنُ جَحْدَم ، وقُتِلَ بينهما كثيرٌ من النَّاس ، ثم اصْطَلَحا ، ودَخَلَ مَرْوان لغُرَّة[b] جُمادَىٰ الأولى سنة خمسٍ وستين . فكانت مُدَّةُ ابن جَحْدَم تسعة أشهر [٥] .

---

a) الكندي : في مقبرة الفسطاط اليوم . b) بولاق : لعشرين .

---

[١] الكندي : ولاة مصر ٦٢. [٢] نفسه ٦٢– ٦٣. [٣] نفسه ٦٣– ٦٤. [٤] نفسه ٦٤– ٦٥.

[٥] نفسه ٦٧.

ووَضَعَ مَرْوان العَطَاء، فبايَعَه النَّاسُ، إلّا نَفَرٌ من المَعَافِر قالوا: لا نَخْلَع بَيْعَة ابن الزُّبَيْر، فضَرَب أعْناقَهُم - وكانوا ثمانين رجلًا - وذلك للنصف من جُمادَىٰ الآخرةِ [1].

ويومئذٍ ماتَ عبدُ الله بن عَمْرو بن العَاص /، فلم يُسْتَطع أن يُخْرَج بجَنازَته إلى المقبرة لشَغَبِ الجُنْد على مَرْوان [2]. ١:١

وجَعَلَ مَرْوان صَلاة مصر وخَراجَها إلى ابنه عبد العَزيز وسارَ، وقد أقامَ بها شهرين لِهلال رَجَبَ[a] [3].

عَبْدُ العَزيز بن مَرْوان بن الحَكَم بن أبي العَاص أبو الأَصْبَغ، وَلي من قِبَل أبيه، لِهلال رَجَب سنة خمسٍ وستين، على الصَّلاة والخَراج. وماتَ أبوه، وبُويعَ من بعده عبدُ الملك بن مَرْوان، فأَقَرَّ أخاه عبد العَزيز [4].

ووَقَعَ الطَّاعُون بمصر سنة سبعين، فخَرَجَ عبدُ العَزيز منها، ونَزَلَ حُلْوان فاتَّخَذَها دارًا وسَكَنَها، وجَعَلَ بها [b]الحَرَس و[b] الأعْوان، وبَنَى بها الدُّور والمَساجِدَ، وعَمَّرَها أَحْسَن عِمَارَة، وغَرَسَ نَخْلها وكَرْمَها [5].

وعرَّف بمصر - وهو أوَّل من عَرَّف بها - في سنة إحدى وسبعين [6].

وجَهَّزَ البَعْثَ في البَحْر لقِتال ابن الزُّبير في سنة اثنتين وسبعين [7].

ثم ماتَ لثلاث عشرة خَلَت من جُمادَىٰ الأولى سنة ستٍّ وثمانين، فكانت ولايتُه عشرين سنة وعشرة أشهر وثلاثة عشر يومًا [8].

فَوَلِيَ عبدُ الله بن عبد المَلِك بن مَرْوان من قِبَل أَبيه على صَلاتِها وخَراجِها، فدَخَلَ يوم الاثنين لإحدى عشرة خَلَت من جُمادَىٰ الآخرة سنة ستٍّ وثمانين، وهو ابنُ سَبعٍ[c] وعشرين سنة، وقد تقدَّم إليه أبوه أن يُعَفِّي[d] آثارَ عَمِّه عبد العزيز، فاستَبْدَل بالعُمَّال وبالأَصْحاب [9].

---

a) بولاق: رمضان. b-b) ساقطة من بولاق. c) بولاق: تسع. d) بولاق: يقتفي.

---

[1] الكندي: ولاة مصر ٦٧. [2] نفسه ٦٨، ٧٠. [3] نفسه ٦٨. [4] نفسه ٧٠، وقد فَصَّل المقريزي ترجمة عبد العزيز بن مروان فيما تقدم ١: ٥٦٩- ٥٧٢. [5] نفسه ٧١. [6] نفسه ٧٢ وفيما تقدم ١: ٥٧٠.

[7] نفسه ٧٢. [8] نفسه ٧٧. [9] نفسه ٧٩.

وماتَ عبدُ المَلِك ، وبُويِع ابنُه الوَليدُ بن عبد الملك ، فأَقَرَّ أخاه عبد الله [١] .

وأَمَرَ عبدُ الله فنُسِخَت دَواوينُ مصر بالعَرَبيَّة ، وكانت بالقِبْطِيَّة [٢] .

وفي ولايته غَلَت الأسعارُ ، فتشاءَم الناسُ به ـ وهي أوَّل شِدَّة رَأَوْها بمصر ـ وكان يَرْتَشِي . ثم وَفَد على أَخيه في صَفَر سنة ثمانٍ وثمانين ، واسْتَخْلَفَ عبد الرَّحْمَن بن عَمْرو بن قَحْزَم الخَوْلاني ، وأهل مصر في شِدَّةٍ عَظيمَة [٣] .

ورَفَعَ سَقْفَ المَسْجِد الجامِع في سنة تسعٍ وثمانين ، ثم صُرِفَ ، فكانت ولايتُه ثلاث سنين وعشرة أشهر [٤] .

فوَلِيَ قُرَّة بن شَرِيك بن مَرْثَد بن الحارِث العَبْسِيّ للوَليد بن عبد الملك [٥] ، على صَلاةِ مصر وخَراجِها ، فقَدِمَها يوم الاثنين لثلاث عشرة خَلَت من رَبيع الأوَّل سنة تسعين [٦] .

وخَرَجَ عبدُ الله بن عبد الملك من مصر بكلِّ ما مَلَكَه ، فأُحيط به في الأُرْدُن ، وأُخِذَ سائِرُ ما مَعَه ، وحُمِل إلى أَخيه [٧] .

وأَمَرَ الوَليدُ بهَدْم ما بَناه عبد العَزيز في المَسْجِد ، فهُدِمَ أوَّل سنة اثنتين وتسعين وبُنِيَ .

واسْتَنْبَط قُرَّة[a] بِرْكَة الحَبَش من المَوَات وأَحياها ، وغَرَسَ فيها القَصَب ، فقيل لها إصْطَبْل قُرَّة وإصْطَبْل القَاش [٨] .

---

a) بولاق : قرة بن شريك .

---

[١] الكندي : ولاة مصر ٧٩- ٨٠.

[٢] نفسه ٨٠، وفيما تقدم ١:٢٦٤ .

[٣] نفسه ٨٠.   [٤] نفسه ٨١، ٨٢.

[٥] صَوَّرت المصادر العربية قُرَّة بن شريك على أنّه مثال للقسوة والجور (ابن الأثير : الكامل ٤:٥٨٣- ٥٨٤؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١:٢١٧-٢١٨) . ولكن أوراق البردي التي كشفت في مستهل القرن العشرين في قرية كوم أشقاو بمحافظة سوهاج بصعيد مصر ، صَحَّحت الكثير من المعلومات التي وردت في كتابات المؤرخين المسلمين ، وكانت محطّ دراسات متعدِّدة من العلماء انظر Lammens, H., «Un gouverneur omayyade d'Égypte Qorra b. Sharik d'après les papyrus arabes», dans *Études sur le siècle des Omayyades*, Beyrouth 1930, pp. 305-23; Abbot, N., *The Kurra Papyri from Aphrodito in the Oriental Institute, Studies in Ancient Oriental Civilisation* XX, Chicago 1938؛ إبراهيم أحمد العدوي : «ولاية قُرَّة ابن شريك على مصر في ضوء الأوراق البردية» ، المجلة التاريخية المصرية ١١ (١٩٦٣) ، ٤٩- ٦٤؛ Râgib, Y., «Lettres nouvelles de Qurra b. Sharik», *JNES* 40 (1981), pp. 173-88; Bosworth, C.E., *EI*² art. *Kurra b. Sharik* V, pp. 503-504.

[٦] الكندي : ولاة مصر ٨٤ .

[٧] نفسه ٨٥ .   [٨] نفسه ٨٦ .

ثم ماتَ وهو والٍ ليلة الخميس لستٍّ بقين من رَبيع الأوَّل سنة ستٍّ وتسعين، واسْتَخْلَف على الجُنْد والخَراج عبد الملك بن رِفاعَة، فكانَت ولايته ستّ سنين إلَّا[a] أيَّامًا [1].

ثم وَلِيَ عَبْدُ المَلِك بن رِفاعَة بن خالِد بن ثابِت الفَهْمي، من قِبَل الوَليد بن عبد الملك، على صَلاتِها. وتوفِّي الوَليدُ، واسْتُخْلِف سُلَيْمان بن عبد الملك، فأقَرَّ ابن رِفاعَة.

وتُوفِّي سُلَيْمان، وبُويعَ عُمر بن عبد العَزيز فعَزل ابن رِفاعَة، فكانت ولايتُه ثلاث سنين.

ثم وَلِيَ أَيُّوب بن شُرَحْبيل بن أُكْسُوم بن أَبْرَهَة بن الصَّبَّاح، من قِبَل عُمَر بن عبد العَزيز، على صَلاتِها في رَبيع الأوَّل سنة تسعٍ وتسعين. فوَرَدَ كِتابُ أمير المؤمنين عُمَر بن عبد العَزيز بالزِّيادَة في أُعْطيات النَّاس عامَّة، وحُرِّمَت[b] الخَمْرُ وكُسِّرَت وعُطِّلت حاناتُها، وقُسِم للغارِمين بخمسة وعشرين ألف دينار، ونُزِعَت مَواريثُ القِبْط عن الكُوَر واسْتُعْمِل المسلمون عليها، ومُنِعَ النِّساء[c] الحَمَّامات [2].

وتُوفِّي عُمَر بن عبد العَزيز، واسْتُخْلِف يَزيدُ بن عبد الملك، فأَقَرَّ أَيُّوب على الصَّلاة، إلى أن ماتَ لإحدى عشرة، وقيل لسبع عشرة، خَلَت من رَمَضان سنة إحدى ومائة، فكانت ولايته سنتين ونصفًا [3].

فوَلِيَ بِشْرُ بن صَفْوان الكَلْبي، من قِبَل يَزيد بن عبد الملك، قَدِمَها لسبع عشرة خَلَت من رَمَضان سنة إحدى ومائة.

وفي إمْرَتِه نَزَلَ الرُّومُ تِنِّيس [4].

ثم وَلَّاه يَزيدُ على إفْريقيَّة، فخَرَجَ إليها في شوَّال سنة اثنتين ومائة، واسْتَخْلَف أخاه حَنْظَلَة [5].

فوَلِي حَنْظَلَة بن صَفْوان باسْتِخْلاف أَخيه، فأَقَرَّه يَزيدُ بن عبد الملك، وخَرَجَ إلى الإسْكَنْدَرية في سنة ثلاثٍ ومائة، واسْتَخْلَف عُقْبَة بن مُسْلِم[d] التُّجيبي.

وكَتَبَ يزيدُ بن عبد الملك، في سنة أربعٍ ومائة، بكَسْر الأَصْنام والتَّماثيل، فكُسِرَت كلّها ومُحِيَت التَّماثيل.

---

a) بولاق: و. b) بولاق: خمرت. c) بولاق: الناس. d) بولاق: مسلمة.

---

[1] الكندي: ولاة مصر ٨٨. [2] نفسه ٨٩. [3] نفسه ٩٠. [4] نفسه ٩١.
[5] نفسه ٩٢.

وماتَ يَزيدُ بن عبد الملك ، وبُويِعَ هِشامُ بن عبد الملك ، فصَرَفَ حَنْظَلَة في شَوَّال سنة خمسٍ ومائة ، فكانت ولايته ثلاث سنين [١].

ووَلِيَ مُحَمَّد بن عبد الملك بن مَرْوان بن الحَكَم ، من قِبَل أَخيه هِشام بن عبد الملك ، على الصَّلاة ، فدَخَلَ مصر لإحدى عشرة خَلَت من شَوَّال سنة خمسٍ ومائة . ووَقَع وَباءٌ شَديدٌ بمصر ، فتَرَفَّع محمد إلى الصَّعيد هارِبًا من الوَباء أيامًا ، ثم قَدِمَ وخَرَجَ عن مصر لم يَلِها إلَّا نحوًا من شهر ، وانْصَرَف إلى الأُرْدُنّ [٢].

فوَلِيَ الحُرّ بن يُوسُف بن يَحْيىٰ بن الحَكَم ، من قِبَل هِشَام بن عبد الملك ، على صَلاتِها ، فدَخَل لثلاثٍ خَلَوْن من ذي الحِجَّة سنة خمسٍ ومائة .

وفي إمْرَته كان أوَّلُ انْتِقاض القِبْط في سنة سبعٍ ومائة ، ورابَطَ بدِمْياط ثلاثة أشهر ، ثم وَفَدَ إلى هِشَام بن عبد الملك ، فاسْتَخْلَف حَفْص بن الوَليد . وقَدِمَ في ذي القِعْدَة من سنة سبعٍ ، وانْكَشَفَ النِّيلُ عن أَرْضٍ[a] فبَنَى فيها [٣].

وصُرِفَ في ذي القِعْدَة سنة ثمانٍ ومائة باسْتِعْفائه ، لمُغاضَبَةٍ كانت بينه وبين عُبَيْد الله/[b] بن الحَبْحاب مُتَوَلِّي خَراج مصر ، فكانت ولايته ثلاث سنين سَواء [٤].

ووَلِيَ حَفْصُ بن الوَليد بن سَيْف بن عبد الله ، من قِبَل هِشَام بن عبد الملك ، ثم صُرِفَ بعد جُمْعَتَيْن يوم الأَضْحَى بشَكْوَى ابن الحَبْحَاب منه ، وقيل صُرِفَ سَلْخ سنة[c] ثمان ومائة [٥].

فوَلِيَ عبدُ الملك بن رِفاعَة ثانيًا على الصَّلاة ، فقَدِمَ من الشَّام عَليلًا لثنتي عشرة بقيت من المحرَّم سنة تسعٍ ومائة ، وكان أخوه الوَليدُ يَخْلفُه من أوَّل المحرَّم . وقيل بل وَلِيَ أوَّل المحرَّم ، وماتَ للنصف منه . وكانت ولايتُه خمس عشرة ليلة [٦].

---

a) بولاق : الأرض . b) بولاق : عبد الله . c) ساقطة من بولاق .

---

[١] الكندي : ولاة مصر ٩٣.

[٢] نفسه ٩٤.

[٣] نفسه ٩٥؛ وفيما تقدم ١: ٢١٣.

[٤] نفسه ٩٦، وانظر عن إدارة عبد الله بن الحَبْحاب للخَراج في مصر Abbot, N., «A New Papyrus and a Review of the Administration of ʿUbaid Allâh ibn al- Habhab»in George Makdisi (ed.), *Arabic and Islamic Studies in honour of Hamilton A.R. Gibb*, Leiden 1965, pp. 21-35.

[٥] الكندي : ولاة مصر ٩٦، ٩٧.

[٦] نفسه ٩٧.

ثم وَلِيَ أخوه الوَلِيدُ بن رِفاعَة باسْتِخْلاف أخيه، فأقَرَّه هِشامُ بن عبد الملك على الصَّلاة. وفي ولايته نُقِلَت قَيْسُ إلى مصر ولم يكُن بها أَحَدٌ منهم، وخَرَجَ وُهَيْبُ اليَحْصُبي شارِدًا في سنة سبعَ عشرة ومائة من أجْل أنَّ الوَليدَ أَذِنَ للنَّصارَىٰ في ابْتِناء كَنِيسَة بُومِينا[a] بالحَمْراء[1].

وتُوُفِّيَ وهو والٍ أوَّل جُمادَىٰ الآخرة سنة سبع عشرة، واسْتَخْلَف عبد الرَّحْمَن بن خالِد، فكانت إمْرَتُه تسع سنين وخمسة أشهر[2].

فوَلِيَ عبدُ الرَّحْمَن بن خالِد بن مُسَافِر الفَهْمي أبو الوَليد، من قِبَل هِشَام بن عبد الملك، على صَلاتِها[3].

وفي إمْرَته نَزَل الروم على تِرُّوجَة فحاصَروها ثم اقْتَتلوا فأسَروا، فصَرَفَه هِشَام، فكانَت ولايته سبعة أشهر[4].

ووَلِيَ حَنْظَلَة بن صَفْوان ثانِيًا، فقَدِمَ لخمسٍ خَلَوْن من المحرَّم سنة تسعٍ ومائة، فانْتَقَضَ القِبْطُ، وحارَبَهم في سنة إحدى وعشرين ومائة[5].

وقَدِمَ رَأْسُ زَيْد بن عَليّ إلى مصر في سنة اثنتين وعشرين ومائة[6].

ثم وَلَّاه هِشَامُ إفْرِيقِيَّة، فاسْتَخْلَف حَفْص بن الوَليد بأمْر[b] هِشَام. وخَرَجَ لسبعٍ خَلَوْن من رَبيع الآخر سنة أربعٍ وعشرين ومائة، فكانت ولايتُه هذه خمس سنين وثلاثة أشهر[7].

ووَلِيَ حَفْصُ بن الوَليد الحَضْرَمي ثانِيًا، باستخلاف حَنْظَلَة له، على صَلاتِها، فأَقَرَّه هِشامُ ابن عبد الملك إلى ليلة الجُمُعَة لثلاث عشرة خَلَت من شَعْبان سنة أربعٍ وعشرين، فجَمَعَ له الصَّلاة والخَرَاج جَميعًا، واسْتَسْقَى بالنَّاس[c] وخَطَبَ ودَعَا، ثم صَلَّى بهم[8].

وماتَ هِشامُ بن عبد الملك، واسْتُخْلِف من بعده الوَليد بن يَزيد، فأَقَرَّ حَفْصًا على الصَّلاة والخَرَاج. ثم صُرِفَ عن الخَرَاج بعيسَىٰ بن أبي عَطَاء، لسبعٍ بقين من شوَّال سنة خمسٍ وعشرين ومائة، وانْفَرَدَ بالصَّلاة، ووَفَدَ على الوَليد بن يَزيد، واسْتَخْلَف عُقْبَة بن نُعَيْم الرُّعَيْني.

---

a) بولاق: بومنا، والكندي: أبو مينا. b) بولاق: بإمرة. c) بولاق: الناس.

---

[1] الكندي: ولاة مصر ٩٨، ١٠٠. [2] نفسه ١٠١. [3] نفسه ١٠١. [4] نفسه ١٠٢.
[5] نفسه ١٠٣. [6] نفسه ١٠٣، وفيما يلي ٢: ٤٣٦. [7] نفسه ١٠٤. [8] نفسه ١٠٤، ١٠٥.

وقُتِلَ الوَليدُ بن يَزيد وحَفْص بالشَّام ، وبُويعَ يَزيدُ بن الوَليد بن عبْد الملك ، فأَمَرَ حَفْصًا باللَّحاق بجُنْده ، وأمَرَه بفَرْضٍ[a] ثلاثين ألفًا ، فقَدِمَ[b] وفَرَضَ الفُرُوض ، وبَعَثَ ببَيْعَة[c] أهْل مصر إلى يَزيد بن الوَليد [١].

ثم تُوفِّيَ يَزيدُ ، وبُويعَ إبراهيمُ بن الوَليد ، وخَلَعَه مَرْوان بن محمد الجَعْدي ، فكَتَبَ حَفْص يَسْتَعْفيه من ولاية مصر ، فأَعْفَاه مَرْوان ؛ فكانَت ولايةُ حَفْص هذه ثلاث سنين إلَّا شهرًا [٢].

ووَلِيَ حَسَّانُ بنَ عَتاهِيَة بن عبد الرَّحْمَن التُّجيبي وهو بالشَّام ، فكَتَب إلى خير بن نُعَيْم باسْتِخْلافه ، فسَلَّم حَفْص إلى خَيْر .

ثم قَدِمَ حَسَّان لثنتي عشرة خَلَت من جُمادَىٰ الآخرة سنة سبعٍ وعشرين ومائة على الصَّلاة ، وعيسَىٰ بن أبي عَطَاء على الخَرَاج ، فأَسْقَطَ حَسَّان فُرُوضَ حَفْص كلَّها . فوَثَبُوا به وقالوا : لا نَرْضَى إلَّا بحَفْص . ورَكِبُوا إلى المَسْجد ، ودَعَوا إلى خَلْع مَرْوان ، وحَصَرُوا حَسَّان في دارِه ، وقالوا له : اخْرُج عَنَّا ، فإنَّك لا تُقيم مَعَنا ببَلَد [٣].

وأَخْرَجُوا عيسَىٰ بن أبي عَطَاء صاحِب الخَرَاج وذلك في آخر جُمادَى الآخرة ، وأَقامُوا حَفْصًا ، فكانت ولايةُ حَسَّان ستة عشر يومًا [٤].

فوَلِيَ حَفْصُ بن الوَليد الثالثة كَرْهًا ، أَخَذَه قُوَّادُ الفُروض بذلك ، فأقامَ على مصر رَجَب وشَعْبان ، ولَحِقَ حَسَّان بمَرْوان .

وقَدِمَ حَنْظَلَة بن صَفْوان من إفْريقيَّة ـ وقد أَخْرَجه أهلُها ـ فنَزَلَ الجِيزةَ ، وكَتَبَ مَرْوان بولايته على مصر .

فامْتَنَعَ المصريون من وِلايَة حَنْظَلة ، وأَظْهَرُوا الخَلْع ، وأَخْرَجوا حَنْظَلَة إلى الحَوْف الشَّرْقي ، ومَنَعُوه من المُقام بالفُسْطَاط .

وهَرَبَ ثابِتُ بن نُعَيْم من فِلَسْطين يُريد الفُسْطاط ، فحارَبوه وهَزَموه [٥].

وسَكَتَ مَرْوان عن مصر بقيَّة سنة سبعٍ وعشرين ومائةٍ ، ثم عَزَلَ حَفْصًا مستهلّ سنة ثمانٍ وعشرين [٦].

---

a) بولاق : وأمره على . b) ساقطة من بولاق .. c) بولاق : بيعة .

---

[١] الكندي : ولاة مصر ١٠٥. [٢] نفسه ١٠٦. [٣] نفسه ١٠٧. [٤] نفسه ١٠٨.
[٥] نفسه ١٠٩. [٦] نفسه ١١٠.

ووَلِيَ الحَوْثَرَةُ بن سُهَيْل بن العَجْلان البَاهِلي ، فسارَ إليها في آلاف ، وقَدِمَ أَوَّل المحرَّم وقد اجْتَمَعَ الجُنْدُ على مَنْعِه ، فأبى عليهم حَفْص ، فخافوا حَوْثَرَة وسألوه الأمان ، فأَمَّنَهم . ونَزَلَ ظاهِرَ الفُسْطاط وقد اطْمأنُّوا إليه ، فخَرَجَ إليه حَفْصُ ووُجوه الجُنْد ، فقَبَضَ عليهم وقَيَّدَهم ، فانْهَزَم الجُنْد [١] .

ودَخَلَ ومعه[a] عيسَىٰ بن أبي عَطَاء على الخَرَاج لثنتي عشرة خَلَت من المحرَّم ، وبَعَثَ في طَلَب رُؤساء الفِتْنَة ، فجُمِعُوا له وضَرَبَ أعْناقَهم ، وقَتَلَ حَفْص بن الوَليد [٢] .

ثم صُرِفَ في جُمادَى الأولى سنة إحدى وثلاثين ومائة ، وبَعَثَه مَرْوان إلى العِراق فقُتِل ، واسْتَخْلَفَ على مصر حَسَّانَ بن عَتاهِيَة ، وقيل أبا الجَرَّاح[b] بِشْر بن أَوْس [٣] ، وخَرَجَ لعشرٍ خَلَوْن من رَجَب . وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر [٤] .

ثم وَلِيَ المُغِيرَة بن عُبَيْدَ الله بن المُغِيرَة الفَزَارِيّ على الصَّلاة من قِبَل مَرْوان ، فقَدِمَ لستٍّ بقين من رَجَب سنة إحدى وثلاثين ، وخَرَجَ إلى الإسْكَنْدَرية ، واسْتَخْلَفَ أبا الجَرَّاح الجَرَشي . وتوفي لثنتي عشرة خَلَت من جُمادَى الأُولى/ سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، فكانت ولايَتُه عشرة أشهر . ١:
واسْتَخْلَفَ ابنه الوَليد بن المُغيرَة ، ثم صُرِفَ الوَليدُ في النصف من جُمادَى الآخرة [٥] .

ووَلِيَ عبد الملك بن مَرْوان بن مُوسَىٰ بن نُصَيْر ، من قِبَل مَرْوان ، على الصَّلاة والخَرَاج - وكان والِيًا على الخَرَاج قبل أن يُوَلَّى الصَّلاة - في جُمادَى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، فأَمَرَ باتِّخاذ المَنابِر في الكُوَر ولم تَكُن قَبْله ، وإنَّما كانت وُلاةُ الكُور يَخْطُبون على العصي إلى جانب القِبْلَة [٦] .

وخَرَجَ القِبْطُ فحارَبَهم ، وقَتَلَ كثيرًا منهم [٧] .

وخالَفَ عَمْرو بن سُهَيْل بن عبد العَزيز بن مَرْوان على مَرْوان ، فاجْتَمَعَ[c] عليه جَمْعٌ من قَيْس في الحَوْف الشَّرْقي ، فبَعَثَ إليهم عبد الملك بجَيْشٍ ، فلم تكن حَرْب [٨] .

---

a) بولاق : ودخل معه . b) آياصوفيا : أبا الخراج . c) بولاق : واجتمع .

---

[١] الكندي : ولاة مصر ١١٠، ١١١. [٢] نفسه ١١١. [٣] انظر ترجمته عند المقريزي : المقفى الكبير ٢: ٤٣٤.
[٤] الكندي : ولاة مصر ١١٤. [٥] نفسه ١١٥. [٦] نفسه ١١٦. [٧] نفسه ١١٦. [٨] نفسه ١١٦.

وسارَ مَرْوان بن محمد إلى مصر مُنْهَزِمًا من بني العَبَّاس ، فقَدِم يوم الثلاثاء لثمانٍ بقين من شَوَّال سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وقد سَوَّدَ أهْلُ الحَوْف الشَّرْقي وأهْلُ الإسْكَنْدَرية وأهْلُ الصَّعيد وأُسْوان . فعَزَم مَرْوانِ على تَغْدِيَة النِّيل ، وأَحْرَقَ وأزالَ[a] دارَ آل مَرْوان المُذَهَّبَة ، ثم رَحَلَ إلى الجِيزَة وحَرَقَ الجِسْرَيْن ، وبَعَثَ بجَيْشٍ إلى الإسْكَنْدَرية ، فاقْتَتَلوا بالكِرْيون . وخالَفَت القِبْطُ بِرَشيد ، فبَعَثَ إليهم وهَزَمَهم ، وبَعَثَ إلى الصَّعيد [1] .

فقَدِمَ صالِحُ بن عليّ بن عبد الله بن عَبَّاس في طَلَب مَرْوان ، هو وأبو عَوْن عبد الملك بن يَزيد ، يوم الثلاثاء للنصف من ذي الحِجَّة ، فأَدْرَكَ صالِحٌ مَرْوان ببُوصير من الجِيزَة ـ بعد ما اسْتَخْلَف على الفُسْطاط مُعاوِيَةَ[b] بن بَحير[c] بن رَيْسان ـ فحارَب مَرْوان حتى قُتِلَ ببُوصير يوم الجُمُعةِ لسبع بقين من ذي الحِجَّة . ودَخَلَ صالِحٌ إلى الفُسْطاط يوم الأَحد لثمانٍ خَلَوْن من المحرَّم سنة ثلاثٍ وثلاثين ومائة ، وبَعَثَ برَأْس مَرْوان إلى العِراق [2] .

وانْقَضَت أيّامُ بني أُمَيَّة .

[الدَّوْلَةُ العَبَّاسِيَّة]

فوَلِيَ صالِحُ بن عليّ بن عبد الله بن عَبَّاس ، وَلِيَ من قِبَل أمير المؤمنين أبي العَبَّاس عبد الله بن محمد السَّفَّاح ، فاسْتَقْبَل بولايته المحرَّم سنة ثلاثٍ وثلاثين ومائة ، وبَعَثَ بوَفْد أهْلِ مصر إلى أبي العَبَّاس السَّفَّاح ببَيْعَة أهل مصر ، وأَسَرَ عبدالملك [بن مَرْوان][d] بن مُوسَىٰ بن نُصَيْر وجَماعَة ، وقَتَلَ كثيرًا من شِيعَة بني أُمَيَّة ، وحَمَلَ طائِفَةً منهم إلى العراق [3] ، فقُتِلوا بقَلَنْسُوَة من أرض فِلَسْطين .

وأَمَرَ للنَّاس بأُعْطياتهم للمُقاتلة والعِيال ، وقُسِمَت الصَّدَقاتُ على اليَتامَىٰ والمساكين ، وزادَ صالِح في [مُؤَخَّر][d] المَسْجِد [الجامع بالفُسْطاط أربعة أساطين][d] [4] .

ووَرَدَ عليه كِتابُ أمير المؤمنين السَّفَّاح بإمارَتِه على فِلَسْطين والاسْتِخْلاف على مصر ، فاسْتَخْلَف أبا عَوْن مستهلّ شَعْبان سنة ثلاثٍ وثلاثين ، وسارَ ومعه عبد الملك [بن مَرْوان ابن موسىٰ][d] بن نُصَيْر مُلْزما وعِدَّة من أهْل مصر صَحابَةً لأمير المؤمنين ، وأَقْطَعَ الذين

---

a) ساقطة من بولاق . b) عند الكندي : محمد بن معاوية . c) بولاق : بحيرة . d) إضافة من الكندي .

---

[1] الكندي : ولاة مصر ١١٦، ١١٧. [2] نفسه ١١٨. [3] نفسه ١١٩. [4] نفسه ١٢٢.

سَوَّدُوا قَطائِعَ، منها مُنْيَة بُولاق[a] وقُرَى أَهْناس وغيرها[١].

ثم من بعد صالِح بن عليّ، سَكَن أُمراءُ مصر العَسْكَر، وأوَّل من سَكَنَه أبو عَوْن.

ذِكْرُ العَسْكَر الذي بُنِيَ بظَاهِر مَدينَة فُسْطاط مِصْرَ

اعْلَم أنَّ مَوْضِعَ العَسْكَر كان[b] يُعْرَف في صَدْر الإسْلام بالحَمْرَاء القُصْوَىٰ. وقد تقدَّم أنَّ الحَمْرَاءَ القُصْوَى كانت خِطَّةَ بني الأَزْرَق وبني روبيل وبني يَشْكُر بن جُزَيْلَة، ثم دَثَرَت هذه الخِطَطُ بعد العِمارَة بتلك القَبائِل حتى صارَت صَحْراء. فلمَّا قَدِمَ مَرْوان بن محمد ـ آخِر خُلَفَاء بني أُمَيَّة ـ إلى مصر مُنْهَزِمًا من بني العَبَّاس، نَزَلَت عَساكِرُ صالح بن عليّ وأَبي عَوْن عبد الملك بن يَزِيد في هذه الصَّحْراء ـ حيث جَبَلُ يَشْكُر ـ حتى ملأوا الفَضَاء، وأَمَرَ أبو عَوْن أَصْحابَه بالبِناء فيه، فبَنَوا وذلك في سنة ثلاثٍ وثلاثين ومائة.

فلمَّا خَرَجَ صالِحُ بن عليّ من مصر، خَرِبَ أكثر ما بُنِيَ فيه إلى زَمَن موسَىٰ بن عيسَىٰ الهاشِمِي، فابْتَنَى فيه دارًا أَنْزَلَ فيها حَشَمَه وعَبيدَه، وعَمَّرَ النَّاسُ.

ثم وَلِيَ السَّرِيُّ بن الحَكَم، فأَذِنَ للنَّاس في البناء، فابْتَنوا فيه وصارَ مَمْلوكًا بأيديهم، واتَّصَلَ بناؤه ببناء الفُسْطاط، وبُنِيَت فيه دارُ الإمارة ومَسْجِدٌ جامِع عُرِف بـ«جامع العَسْكَر»، ثم عُرِفَ بـ«جامِع سَاحِل الغَلَّة».

وعُمِلَت الشُّرْطَة أيضًا في العَسْكَر، وقيل لها «الشُّرْطَة العُلْيا»، وإلى جانبها بَنَى أحمد بن طُولون جامِعَه الموجود الآن. وسُمِّيَ من حينئذٍ ذلك الفَضَاء بـ«العَسْكَر»، وصارَ أُمَرَاءُ مصر إذا وُلُّوا ينزلون به من بعد أبي عَوْن، فقال النَّاسُ من يومئذٍ: «كُنَّا بالعَسْكَر، وخَرَجْنا إلى العَسْكَر[٢]، وكُتِبَ من العَسْكَر»، وصارَ مَدينَةً ذات مَحالَّ وأَسْواقٍ ودُورٍ عَظيمَة.

وفيه بَنَى أحمد بن طُولون مارِسْتانَه، فأَنْفَقَ عليه وعلى مُسْتَغَله ستين ألف دينار، وكان بالقُرْب من بِرْكَة قارون التي صارَت كيمانًا، وبعضها بِرْكَة على يَسْرَة من سارَ من حَدْرَة ابن

a) الكندي: قطائع بالميمون وهي في الواحات الخارجة. b) بولاق: قد كان.

[١] الكندي: ولاة مصر ١٢٢. وفيما يلي ٢: ٢٦٤– ٢٦٥.

[٢] انظر Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 28-34؛

قَميحَة يُريد قَنْطَرَة السَّدّ. وعلى بِرْكَة قارون هذه كانت جِنانُ بني مِسْكين، وبَنَى كافور الإخْشيدي دارًا أَنْفَقَ عليها مائة ألف دينار، وسَكَنَها في رَجَب سنة ستٍّ وأربعين وثلاث مائة، وانْتَقَلَ منها بعد أيَّام لَوَباءٍ وَقَعَ في غِلْمانِه من بُخار البِرْكَة.

وعَظُمت العِمارَةُ في العَسْكَر جِدًّا، إلى أن قَدِمَ أحمد بن طُولون من العِراق إلى مصر، فنَزَل بدار الإمَارَة من العَسْكَر، وكان لها بابٌ إلى جامِع العَسْكَر، وتنزلها الأُمَرَاءُ منذ بَناها صالِحُ بن عليّ بعد قَتْله مَرْوان. /ومازالَ بها أحمدُ بن طُولون إلى أن بَنَى القَصْرَ والمَيْدانَ بالقَطائِع، فتَحَوَّل من العَسْكَر وسَكَن قَصْرَه بالقَطائِع.

فلمَّا وَلِيَ أبو الجَيْش خُمارَوَيْه بن أحمد بن طُولون بعد أبيه، جَعَلَ دارَ الإمارة ديوان الخَراج، ثم فُرِّقَت حُجَرًا بعد دُخول محمد بن سُلَيْمان الكاتِب إلى مصر وزَوال دَوْلَة بني طُولون، فسَكَن محمد بن سُلَيْمان بدارٍ[a][1] في العَسْكَر عند المُصَلَّىٰ القَديم، وكان المُصَلَّى القَديم حيث الكُوم المطلّ الآن على قَبْر القاضي بَكّار. ومازالَت الأُمَرَاءُ تنزل بالعَسْكَر، إلى أن قَدِم القائِدُ جَوْهَرُ من المغرب، وبَنَى «القَاهِرَة المُعِزِّيَّة».

ولمَّا بَنَى أحمد بن طُولون القَطائِع، اتَّصَلَت مَبانيها بالعَسْكَر، وبَنى جامِعَه على جَبَل يَشْكُر، فعَمُرَ ما هنالك عِمارَةً عَظيمَةً تَخْرُج عن الحَدّ في الكثرة. وقَدِمَ جَوْهَرُ القائِدُ بعَساكِر مَوْلاه المُعِزّ لدين الله في سنة ثمانٍ وخمسين وثلاث مائة، والعَسْكَرُ عامِرٌ، إلَّا أنَّه مُنْذ بُنِيَت القَطائِعُ هُجِر اسْمُ العَسْكَر، وصارَ يُقالُ «مَدينَةُ الفُسْطاط والقَطائِع»، ورُبَّما قيل «والعَسْكَر» أحيانًا. فلمَّا خَرَّب محمد بن سُلَيْمان قَصْر ابن طُولون ومَيْدانَه، بَقِيَ في القَطائِع مَساكِنُ جَليلَة حيث كان العَسْكَر.

وأَنْزَلَ المُعِزّ لدين الله عَمَّه أبا عليّ في دارِ الإمارَة، فلم يزل أَهْلُه بها إلى أن خَرِبَت القَطائِعُ في الشِّدَّة العُظْمَىٰ التي كانت في خِلافَة المُسْتَنْصِر، أعوامَ بِضعٍ وخمسين وأربع مائة. فيُقالُ إنَّه كان هناك زيادة على مائة ألف دار سوى البَساتين[2]؛ وما هذا ببعيد، فإنَّ ذلك كان ما بين سَفْح الشَّرَف الذي عليه الآن قَلْعَةُ الجَبَل، وبين ساحِل مصر القَديم حيث الآن الكَبارَة خارِج مصر، وما

---

a) بولاق: بدار الإمارة.

---

[1] أضافت نشرة بولاق أن محمد بن سليمان الكاتب سكن بدار الإمارة في العسكر، وهي إضافة لم ترد في النسخ التي اعتمدت عليها، فيكون محمد بن سليمان قد نزل في دارٍ عند المصلى القديم في العسكر حيث الكوم المطل على قبر القاضي بكار لا في دار إمارة العسكر.

[2] فيما يلي ١١٢.

على سَمْتِها إلى كُوم الجارِح، ومن كُوم الجارِح إلى جامِع ابن طُولون وخُطّ قَناطِر السّباع وخُطّ السَّبْع سِقايات، إلى قَنْطَرَة السَّدّ ومَراغَة مصر، إلى المَعاريج بمصر، وإلى كُوم الجَارِح؛ ففي هذه المَواضِع كان العَسْكَرُ والقَطائِعُ.

ويَخُصّ العَسْكَر من ذلك ما بين قَناطِر السّباع وحَذْرَة ابن قَميحَة إلى كُوم الجارِح، حيث الفَضاء الذي يَتَوَسَّطُ ما بين قَنْطَرَة السّدّ وبين سُور القَرافَة الذي يُعْرَف بباب المَجْدَم؛ فهذا هو العَسْكَر.

ولمَّا اسْتَوْلَى الخَرابُ في المِحْنَة، أُمِرَ ببِناء حائِطٍ يَسْتُر الخَراب عن نَظَر الخَليفَة إذا سارَ من القاهِرَة إلى مصر، فيما بين العَسْكَر والقَطائِع وبين الطَّريق، وأُمِرَ بِبناء حائِطٍ آخر عند جامِع ابن طُولون.

فلمَّا كان في خِلافَة الآمِر بأحْكام الله أبي عليّ مَنْصور بن المُسْتَعْلي، أَمَرَ وَزيرُه أبو عبد الله محمد بن فاتِك المنعوت بالأَجَلّ المأْمُون بن البَطائِحي فنُودِيَ مُدَّة ثلاثة أيام في القاهِرَة ومصر: بأنَّ مَنْ كانَ له دارٌ في الخَراب أو مَكانٌ فلْيَعْمُرْه، ومن عَجَزَ عن عِمارَته يَبيعه أو يُؤَجِّره من غير نَقْل شيءٍ من أنْقاضِه، ومن تأخَّرَ بعد ذلك فلا حَقَّ له ولا حِكْر يَلْزَمه، وأباحَ تَعْمير جَميع ذلك بغير طَلَب حَقّ[1].

وكان سَبَبُ هذا النِّداء أنَّه لمَّا قَدِمَ أَميرُ الجُيوش بَدْرُ الجَمالي في آخِر الشِّدَّة العُظْمَىٰ وقام بعِمارَة إقليم مصر، أَخَذَ النَّاسُ في نَقْل ما كان بالقَطائِع والعَسْكَر من أنْقاضِ المساكِن، حتى أتى على مُعْظَم ما هنالِك الهَدْمُ، فصارَ مُوحِشًا، وخَرِبَ ما بين القاهِرَة ومصر من المساكِن، ولـم يَبْقَ هنالك إلَّا بعضُ البَساتين.

فلمَّا نادَى الوَزيرُ المأْمُون، عَمَّرَ النَّاسُ ما كان من ذلك مِمَّا يلي القاهِرَة من جهة المَشْهَد النَّفيسي إلى ظاهِر باب زَوِيلَة ـ كما يرد خَبَرُ ذلك في مَوْضِعه من هذا الكتاب إن شاءَ الله[2] ـ ونُقِلَت أنقاضُ العَسْكَر كما تَقَدَّم؛ فصارَ هذا الفَضاءُ الذي يُتَوَصَّل إليه من مَشْهَد السَّيِّدَة نَفيسَة ومن الجامِع الطُّولوني ومن قَنْطَرَة السَّدّ ومن باب المَجْدَم في سُور القَرافَة، ويُسْلَك في هذا الفَضاء إلى كوم الجارِح.

---

[1] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٣٤– ١٣٥، وفيما يلي ٢: ٢٠، ١٠٠، ٢٦٥.

[2] فيما يلي ٢: ٢٠، ١٠٠؛ وأيضًا ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٣٤– ١٣٥.

ولم يَبْقَ الآن من العَسْكَر ما هو عامِرٌ سِوَى جَبل يَشْكُر الذي عليه جامِعُ ابن طُولون ، وما حَوْله من الكَبْش وحَدْرَة ابن قَميحَة ، إلى خُطِّ السَّبْع سِقايات وخُطِّ قَناطِر السِّباع إلى جَامِع ابن طُولون .

وأمَّا سُوقُ الجامِع من قِبْليه ، وما وَراءَ ذلك إلى المَشْهَد النَّفيسي وإلى القُبَيْبات والرُّمَيْلَة تحت القَلْعَة ، فإنَّما هو من القَطائِع ، كما ستقف عليه عند ذِكْر القَطائِع ، وعند ذِكْر هذه الخِطَط إن شاءَ الله .

وطال ما سَلَكْتُ هذا الفَضَاء الذي بين جَامِع ابن طُولون وكُوم الجارِح حيث كان العَسْكَرُ ، وتذكَّرت ما كان هنالك من الدُّور الجَليلَة والمَنَازِلِ العَظيمَة والمَساجِد والأَسْواق والحَمَّامات والبَساتين والبِرْكَة البديعة والمارِسْتان العَجيب ، وكيف بادَت حتى لم يَبْق لشيءٍ منها أَثَرٌ ألبتَّة ، فأَنْشَدْتُ أقول :

[المتقارب]

وبادُوا فلا مُخْبِرٌ عنهمُ ... وماتُوا جَميعًا وهذا الخَبَر

فمَنْ كان ذا عِبْرَةٍ فليَكُن ... فَطِينًا ففي مَنْ مَضَى مُعْتَبَر

وكان لَهُم أَثَرٌ صالِحٌ ... فأين هم ثُمَّ أين الأَثَر؟

وسيأتي لذلك مَزيدُ بيان عند ذِكْر القَطائِع ، وعند ذِكْر خُطِّ قَناطِر السِّباع وغيره من هذا الكتاب إن شاءَ الله تعالى [1] .

٣٠ ذِكْرُ مَن نَزَلَ العَسْكَرَ مِن أُمَراءِ مِصْرَ مِن حِين بُنِيَ إلى أن بُنِيَت القَطَائِع

اعْلَم أنَّ أُمَراءَ مصر ما بَرِحُوا ينزلون فُسْطاطَ مصر ، منذ اخْتُطَّ بعد الفَتْح إلى أن بَنَى أبو عَوْن العَسْكَر ، فصارَت أُمَراءُ مصر من عَهْد أبي عَوْن إنَّما ينزلون بالعَسْكَر . وما بَرِحُوا على ذلك إلى أن أَنْشَأ الأمير أبو العَبَّاس أحمد بن طُولون القَصْر والمَيْدان والقَطائِع ، فتَحَوَّلَ من العَسْكَر إلى القَصْر وسَكَنَ فيه ، وسَكَنه الأُمَراءُ من أَوْلاده بعده إلى أن زالَت دولتُهم . فسَكَن الأُمَراءُ بعد ذلك العَسْكَر إلى أن زالَت دولةُ الإخْشيدية ، بقُدوم جَوْهَر القائِد من المغرب .

وأوَّلُ من سَكَنَ العَسْكَر من أُمَراء مصر أبو عَوْن عبد المَلِك بن يَزيد ، من أَهْل جُرْجان ، وَلِيَ صَلاة مصر وخَراجَها باسْتِخْلاف صالِح بن عليّ له في مستهلّ شَعْبان سنة ثلاثٍ وثلاثين ومائة [2] .

---

[1] انظر فيما يلي ٢: ١٣٥- ١٣٦، وانظر وصفه للقطائع فيما يلي ٨٠- ٩٤.

[2] الكندي : ولاة مصر ١٢٣.

ووَقَعَ الوَباءُ بمصر ، فهَرَب أبو عَوْن إلى يَشْكُر ، واسْتَخْلَف صاحِب شُرْطَته عِكْرِمَة بن عبد الله ابن عَمْرو بن قَحْزَم . وخَرَجَ إلى دِمْياط في سنة خمسٍ وثلاثين ومائة ، واسْتَخْلَف عِكْرِمَة ، وجَعَلَ على الخَرَاج عَطاءَ بن شُرَحْبيل . وخَرَجَ القِبْطُ بسَمَنُّود ، فبَعَثَ إليهم وقَتَلَهم [1] .

ووَرَدَ الكِتابُ بولاية صالِح بن عليّ على مصر وفِلَسْطين والمغرب ، جُمِعَت له ، ووَرَدَت الجُيوش من قِبَل أمير المؤمنين السَّفَّاح لغَزْو المغرب [2] .

فوَلِيَ صالِحُ بن عليّ الثانية على الصَّلاة والخَرَاج ، فدَخَلَ لخمسٍ خَلَوْن من رَبيع الآخر سنة ستٍّ وثلاثين ومائة ، فأَقَرَّ عِكْرِمَة على شُرْطَة الفُسْطاط ، وجَعَلَ على شُرْطته بالعَسْكَر يَزيد بن هانئ الكِنْدي ، ووَلَّى أبا عَوْن جُيوش المغرب ، وقَدَّم أمامَه دُعاةً لأَهْل إفْريقِيَّة . وخَرَجَ أبو عَوْن في جُمادَى الآخرة ، وجُهِّزَت المَراكِبُ من الإسْكَنْدَرية إلى بَرْقَة [3] .

فماتَ السَّفَّاحُ في ذي الحِجَّة ، واسْتُخْلِفَ أبو جَعْفَر عبد الله بن محمد المَنْصور ، فأَقَرَّ صالِح ، وكَتَبَ إلى أبي عَوْن بالرُّجوع ، ورَدَّ الدُّعاة وقد بَلَغوا سُرْت [a] . وبَلَغَ أبو عَوْن بَرْقَة ، فأقامَ بها أَحَدَ عشر يومًا ، ثم عادَ إلى مصر في جَيْشه ، فجَهَّزَه صالِحُ إلى فِلَسْطين لحَرْبه ، فغَلَبَ وسَيَّر إلى مصر ثلاثة آلاف رأْس . ثم خَرَجَ صالِحُ إلى فِلَسْطين ، واسْتَخْلَف ابنه الفَضْل ، فبَلَغَ بِلْبَيْس ورَجَع [4] .

ثم خَرَجَ لأَرْبعِ خَلَوْن من رَمَضان سنة سبعٍ وثلاثين ، فلقي أبا عَوْن بالفَرَمَا ، فأَمَّرَه على مصر صَلاتها وخَراجها ومَضَى ؛ فدَخَلَ أبو عَوْن الفُسْطاط لأَربعٍ بقين من رَمَضان [5] .

فوَلِيَ أبو عَوْن وِلايته الثانية من قِبَل صالِح بن عليّ ، ثم أَفْرَدَه أبو جَعْفَر بولايتها . وقَدِمَ أبو جَعْفَر بَيْت المَقْدس ، وكَتَبَ إلى أبي عَوْن بأن يَسْتَخْلف على مصر ويَخْرُج إليه ، فاسْتَخْلَف عِكْرِمَة على الصَّلاة وعَطَاء على الخَرَاج ، وخَرَجَ للنصف من رَبيع الأوَّل سنة إحدى وأربعين ومائة . فلمَّا صارَ إلى أبي جَعْفَر ببَيْت المَقْدس ، بَعَثَ أبو جَعْفَر مُوسَىٰ بن كَعْب ، فكانت وِلاية أبي عَوْن هذه ثلاث سنين وستة أشهر [6] .

---

a) بولاق : شبرت .

---

[1] الكندي : ولاة مصر ١٢٣. [2] نفسه ١٢٣. [3] نفسه ١٢٣–١٢٤. [4] نفسه ١٢٤–١٢٥. [5] نفسه ١٢٦. [6] نفسه ١٢٧.

فوَلِيَها مُوسَى بن كَعْب بن عُيَيْنَة ابن عائِشَة أبو عُيَيْنَة من تَميم ، من قِبَل أبي جَعْفَر المَنْصور ـ وكان أحَد نُقَباء بني العَبَّاس ـ فدَخَلَها لأربع عشرة بقيت من رَبيع الآخر سنة إحدى وأربعين ومائة ، على صَلاتِها وخَراجِها . ونَزَلَ العَسْكَر وبها النَّاس من الجُنْد يَغْدون ويروحُون إليه كما كانوا يَفْعَلون بالأُمَراء قبله ، فانْتَهَوا عنه حتى لم يكن أَحَدٌ يلزم بابَه [1].

وكان قد اتُّهِم في خُراسان بأَمْر أبي مُسْلِم ، فأَمَرَ به أَسَدَ بن عبد الله البَجَلي ، والي خُراسان ، فأُلْجِمَ بِلِجَام ، ثم كُسِرَت أسْنانُه ، فكان يقول بمصر : كانت لنا أَسْنانٌ وليس عندنا خُبْزٌ ، فلمَّا جاءَ الخُبْزُ ذَهَبَت الأسنانُ .

وكَتَب إليه أبو جَعْفَر : «إنّي عَزَلْتُك من غَيْر سَخْط [a]، ولكن بَلَغَني أنَّ عامِلاً [b] يُقْتَل بمصر يُقالُ له مُوسَىٰ ، فكَرِهْت أن تكونَه» ، فكان ذَلك مُوسَىٰ بن مُصْعَب زَمَن المَهْدي ، كما يأتي إن شاءَ الله تعالىٰ . فوَلِيَ مُوسَىٰ بن كَعْب سبعة أشهر ، وصُرِفَ في ذي القعدة ، واسْتَخْلَف على الجُنْد خالِد [c] بن حَبيب ، وعلى الخَراج نَوْفَل بن الفُرات ، وخَرَجَ لستٍّ بقين منه [2].

فوَلِيَ مُحَمَّد بن الأَشْعَث بن عُقْبَة الخُزاعيّ من قِبَل أبي جَعْفَر ، على الصَّلاة والخَراج ، وقَدِمَ لخمسٍ خَلَوْن من ذي الحِجَّة سنة إحدى وأربعين ومائة . وبَعَثَ أبو جَعْفَر إلى نَوْفَل بن الفُرات «أن اعْرِض على محمد بن الأَشْعَث ضَمَان خَراج مصر ، فإن ضَمِنَه فأَشْهِد عليه وأَشْخِص إليَّ ، وإن أَبَىٰ فاعْمَلَ على الخَرَاج» . فعَرَضَ عليه ذلك فأَبَى ، فانْتَقَل نَوْفَلُ بالدَّواوين [إلى دار الرَّمْل] [d]، فافْتَقَد ابن الأَشْعَث النَّاس ، فقيل له «هم عند صاحِب الخَرَاج» ، فنَدِم على تَسْليمه ؛ وعَقَدَ على جَيْشٍ بَعَثَ به إلى المغرب لحَرْبٍ [e] فانْهَزَم [3].

وخَرَجَ ابنُ الأَشْعَث يوم الأَضْحَىٰ سنة اثنتين وأربعين ، وتوجَّه إلى الإسْكَنْدَرية ، واسْتَخْلَف محمد بن مُعاوية بن بَحير بن رَيْسَان [f] صاحِب شُرْطَته . ثم صُرِفَ ابنُ الأَشْعَث ، فكانَت ولايته سنة وشهرا [4].

---

a) بولاق : سخطة . b) بولاق : غلامًا . c) بولاق : ابن خاله . d) بولاق والأصل : الدواوين والمثبت من الكندي . e) بولاق : لحربه . f) بولاق : بجير بن رسان .

---

[1] الكندي : ولاة مصر ١٢٨. [2] نفسه ١٢٩. [3] نفسه ١٣٠–١٣١. [4] نفسه ١٣١.

ووَلِيَ حُمَيْد بن قَحْطَبَة بن شَبِيب بن خالِد بن مَعْدان[a] الطَّائي من قِبَل أبي جَعْفَر، على الصَّلاة والخَراج، فدَخَلَ في عشرين ألفًا من الجُنْد لخمسٍ خَلَوْن من رَمَضان سنة ثلاثٍ وأربعين ومائة، ثم قَدِمَ عَسْكَرٌ آخَر في شوَّال [١].

وقَدِمَ عليٌّ بن محمد بن عبد الله بن حَسَن بن الحَسَن داعِيَة لأبيه وعَمِّه، فدَسَّ إليه حُمَيْد فتغَيَّب، فكَتَبَ بذلك إلى أبي جَعْفَر، فَصَرَفَه/ في ذي القعدة، وخَرَجَ لثمانٍ بقين من ذي القعدة سنة أربعٍ وأربعين [٢]. ١:٧

فوَلِيَ يَزِيدُ بن حاتِم بن قَبِيصَة بن المُهَلَّب بن أبي صُفْرَة، من قِبَل أبي جَعْفَر، على الصَّلاة والخَرَاج، فقَدِمَ على البَرِيد للنصف من ذي القعدة، فاسْتَخْلَف على الخَراج مُعاوِيَة بن مَرْوان بن مُوسَىٰ بن نُصَيْر [٣].

وفي إمْرَته ظَهَرَت دَعْوَةُ بني الحَسَن بن عليّ بمصر، وتكلَّم بها النَّاسُ، وبايَعَ كثيرٌ منهم لعَليّ ابن محمد بن عَبْد الله. وطُرِقَ المَسْجِدُ لعشرٍ خَلَوْن من شوَّال سنة خمسٍ وأربعين، كما يُذْكر في مَوْضعه من هذا الكِتاب إن شاءَ الله تعالىٰ [٤].

ثم قَدِمَت الخُطَبَاءُ برأْس إبْرَاهيم بن عبد الله بن حَسَن بن الحَسَن بن عليّ في ذي الحجَّة فنُصِبَت في المَسْجِد [٥].

ووَرَدَ كِتابُ أبي جَعْفَر بأَمْر يَزِيد بن حاتِم بالتَّحَوُّل من العَسْكَر إلى الفُسْطَاط، وأن يَجْعَل الدِّيوان في كَنائِس القَصْر، وذلك في سنة ستٍّ وأربعين ومائة، من أَجْل ليلة المَسْجِد [٦].

ومَنَعَ يَزِيدُ أهْلَ مصر من الحَجّ سنة خمسٍ وأربعين، فلم يَحُج أَحَدٌ منهم ولا من أهْل الشَّام، لما كان بالحِجَاز من الاضْطِراب بأَمْر بني حَسَن. ثم حَجَّ يَزِيدُ في سنة سبعٍ وأربعين، واسْتَخْلَف عبد الله بن عبد الرَّحْمَن بن مُعاوِيَة بن حُدَيْج صاحِب شُرْطَته [٧].

---

a) بولاق: سعدان.

---

[١] الكندي: ولاة مصر ١٣٢. [٢] نفسه ١٣٢–١٣٣. [٣] نفسه ١٣٣. [٤] نفسه ١٣٣ وفيما يلي ٢: .

[٥] نفسه ١٣٦. [٦] نفسه ١٣٧ وفيما تقدم ١٠ . [٧] نفسه ١٣٧.

وبَعَثَ جَيْشًا لغَزْو الحَبَشَة من أَجْل خارِجيّ ظَهَرَ هناك ، فظَفِرَ به الجَيْشُ ، وقَدِمَ رأسُه في عِدَّة رؤوس ، فحُمِلَت إلى بَغْداد [١].

وضَمَّ يزيدُ بَرْقَة إلى عَمَل مصر - وهو أوَّل من ضَمَّها إلى مصر - وذلك في سنة ثمانٍ وأربعين [٢].

وخَرَجَ القِبْطُ بسَخَا ، في سنة خمسين ومائة ، فبَعَثَ إليهم جَيْشًا ، فشَتَّته القِبْطُ ورَجَعَ مُنْهَزِمًا . فصَرَفَه أبو جَعْفَر في رَبِيع الآخر سنة اثنتين وخمسين ومائة ، فكانَت ولايته سبع سنين وأربعة أشهر [٣].

ووَلِيَ عبد الله بن عبد الرَّحْمن بن مُعاوِيَة بن حُدَيْج ، من قِبَل أبي جَعْفَر ، على الصَّلاة لثنتي عشرة بقيت من رَبِيع الآخر ، وهو أوَّل من خَطَب بالسَّواد . وخَرَجَ إلى أبي جَعْفَر لعشرٍ بقين من رَمَضَان سنة أربعٍ وخمسين ومائة ، واسْتَخْلَف أخاه محمدًا ، ورَجَع في آخرها [٤].

وماتَ وهو والٍ مستهلّ صَفَر سنة خمسٍ وخمسين ومائة ، واسْتَخْلَف أخاه محمدًا ، فكانت ولايته سنتين وشهرين [٥].

فوَلِيَ محمد بن عبد الرَّحْمَن بن مُعاوِيَة بن حُدَيْج باسْتِخْلاف أَخيه ، فأَقَرَّه أبو جَعْفَر على الصَّلاة . وماتَ وهو والٍ للنصف من شوَّال ، فكانَت ولايتُه ثمانية أشهر ونصفًا ، واسْتَخْلَف مُوسَىٰ بن عليّ [٦].

فوَلِيَ مُوسَىٰ بن عليّ بن رَبَاح باسْتِخْلاف محمد بن حُدَيْج ، فأَقَرَّه أبو جَعْفَر على الصَّلاة . وخَرَجَ القِبْطُ ببِلْهيب[a] في سنة ستٍّ وخمسين فبَعَثَ إليهم وهَزَمَهُم . وكان يَرُوح إلى المَسْجِد ماشِيًا وصاحِبُ شُرْطَته بين يَدَيْه يحمل الحَرْبَة . وإذا أَقامَ صاحِبُ الشُّرْطَة الحُدُود يقول له : «ارْحَم أَهْل البَلاء[b]» ، فيقول : «أيُّها الأَمير ما يُصْلِح النَّاسَ إلَّا ما يُفْعَل بهم» ، وكان يُحَدِّث فيَكْتُب النَّاسُ عنه [٧].

---

a) بولاق : بهبيب . b) بولاق : البلاد .

---

[١] الكندي : ولاة مصر ١٣٧. [٢] نفسه . ١٣٧ [٣] نفسه ١٣٧، ١٣٨. [٤] نفسه . ١٣٩ [٥] نفسه ١٤٠.
[٦] نفسه . ١٤٠ [٧] نفسه ١٤١؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٢: ٢٦.

وماتَ أبو جَعْفَر لستٍّ خَلَوْن من ذي الحجَّة سنة ثمانٍ وخمسين ومائة ، وبُويعَ ابنه محمد المَهْدي ، فأَقَرَّ مُوسَىٰ بن عليّ إلى سابع عشر ذي الحجَّة سنة إحدى وستين ومائة ، فكانَت ولايته سِتَّ سنين وشهرين [1].

ووَلِيَ عِيسَىٰ بن لُقْمَان بن مُحَمَّد الجُمَحيّ ، من قِبَل المَهْدي ، على الصَّلاة والخَرَاج ، فقَدِم لثلاث عشرة بقيت من ذي الحجَّة سنة إحدى وستين ومائة ، وصُرِفَ لثنتي عشرة بَقيت من جُمادَىٰ الأولىٰ سنة اثنتين وستين ومائة ، فوَلِيَها أربعة أشهر [2].

ثم وَلِيَ وَاضِحُ مَوْلى أبي جَعْفَر ، من قِبَل المَهْدِي ، على الصَّلاة والخَرَاج ، فدَخَلَ لستٍّ بَقِين من جُمادَى الأولى ، وصُرِفَ في رَمَضان [3].

فوَلِيَ مَنْصُور بن يَزيد بن مَنْصُور الرُّعَيْني - وهو ابن خال المَهْدي - [a]من قِبَل المَهْدي[a] على الصَّلاة ، فقَدِمَ لإحدى عشرة خَلَت من رَمَضَان سنة اثنتين وستين ومائة ، وصُرِفَ للنصف من ذي الحجَّة ، فكان مُقامُه شهرين وثلاثة أيام [4].

ثم وَلِيَ يَحْيَىٰ بن دَاود أبو صَالِح من أهْل خُراسَان ، من قِبَل المَهْدي ، على الصَّلاة والخَرَاج . فقَدِمَ في ذي الحِجَّة ، وكان أبوه تُرْكيًّا ، وهو من أَشَدّ النّاس وأَعْظَمِهم هَيْبَة وأَقْدَمِهم على الدَّم ، وأَكْثَرهم عُقوبَة [5].

فمَنَعَ من غَلْق الدُّروب باللَّيْل ومن غَلْق الحَوانيت ، حتى جَعَلوا عليها شَرائجَ[b][6] القَصَب لمَنْع الكِلاب . ومَنَعَ حُرَّاس الحَمَّامات أن يَجْلسوا فيها ، وقال : من ضَاعَ له شيءٌ فعَليَّ أداؤه . وكان الرَّجُلُ يَدْخُل الحَمَّام ، فيَضَعُ ثيابَه ويقول : يا أَبا صالِح احْرُسْها ؛ فكانت الأُمورُ على هذا مُدَّة ولايته [7].

وأَمَرَ الأَشْرافَ والفُقَهاءَ وأَهْلَ النَّوْبات بلبْس القَلانِس الطِّوال ، والدُّخُول بها على السُّلْطان يوم الاثنين والخميس بلا أَرْدِيَة . وكان أبو جَعْفَر المَنْصُور إذا ذَكَرَه قال : «هو

---

a-a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : شرائح .

---

[1] الكندي : ولاة مصر ١٤٢. [2] نفسه ١٤٢، ١٤٣.

[3] نفسه ١٤٣ وورد اسمه عند أبي المحاسن : واضح بن عبد الله المنصوري الخِصيّ (النجوم الزاهرة ٢ : ٤٠).

[4] نفسه ١٤٤.

[5] نفسه ١٤٤، ١٤٥.

[6] الشُّرائج جـ. شريجة ، وهي باب من القَصَب يُعْمَل للدكاكين .

[7] الكندي : ولاة مصر ١٤٥.

رَجُلٌ يَخافُني ولا يَخاف الله» ، فوَلِيَ إلى المحرَّم سنة أربعٍ وستين [١] .

وقَدِمَ سالِم بن سَوادَة التَّميمِي ، من قِبَل المَهْدي ، على الصَّلاة ، ومعه أبو قَطيفَة[a] إسْماعيل ابن إبراهيم على الخَرَاج لثنتي عشرة خَلَت من المحرَّم [٢] .

ثم وَلِي إبْراهيمُ بن صَالِح بن عليّ بن عبد الله بن عَبّاس ، من قِبَل المَهْدي ، على الصَّلاة والخَرَاج ، فقَدِم لإحدى عشرة خَلَت من المحرَّم سنة خمسٍ وستين ، وابْتَنَى دارًا عَظيمَة بالمَوْقِف من العَسْكَر [٣] .

وخَرَجَ دِحْيَة بن المُعْصَب بن الأَصْبَغ بن عبد العَزيز بن مَرْوان بالصَّعيد ، ونابَذَ ودَعَا إلى نَفْسه ٣ بالخِلافَة ، فتَراخَى عنه / إبراهيم ، ولم يَحْفِل بأَمْره حتى مَلَكَ عامَّة الصَّعيد ؛ فسَخِط المَهْديُّ لذلك ، وعَزَلَه عَزْلًا قَبيحًا لسبعٍ خَلَوْن من ذي الحجَّة سنة سبعٍ وستين ، فوَلِيَها ثلاث سنين [٤] .

ثم وَلِيَ مُوسَىٰ بن مُصْعَب بن الرَّبيع من أَهْل المَوْصِل ، على الصَّلاة والخَرَاج ، من قِبَل المَهْدي ، فقَدِم لسَبْعٍ خَلَوْن من ذي الحِجَّة المذكور ، فرَدَّ إبْراهيم ، وأَخَذَ منه ومن عُمَّالِه ثلاث مائة ألف دينار ، ثم سَيَّره إلى بَغْداد .

وتَشَدَّد[b] مُوسَىٰ في اسْتِخْراج الخَرَاج ، وزادَ على كلِّ فَدَّان ضِعْف ما تُقُبِّل[c] به ، وارْتَشَى في الأحْكام ، وجَعَلَ خَرْجًا[d] على أَهْل الأسْواق وعلى الدَّواب ، فكَرِهَه الجُنْدُ ونابَذوه ، وثارَت قَيْسُ واليمانِيَّة ، وكاتَبُوا أهل الفُسْطاط فاتَّفَقُوا عليه [٥] .

وبَعَثَ بجَيْشٍ إلى قِتال دِحْيَة بالصَّعيد ، وخَرَجَ في جُنْد مصر كلِّهم لِقتال أهل الحَوْف . فلمَّا الْتَقوا ، انْهَزَم عنه أهلُ مصر بأَجْمَعِهم وأَسْلَموه ، فقُتِلَ من غير أن يُكْلَم[e] أَحَدٌ من أهل مصر لتسعٍ خَلَوْن من شوَّال سنة ثمانٍ وستين ومائة ، فكانت ولايَتُه عشرة أَشْهُر [٦] .

---

a) بولاق : أبو قطيعة . b) بولاق : شدد . c) بولاق : يقبل . d) بولاق : خراجًا . e) بولاق : يتكلم .

---

[١] الكندي : ولاة مصر ١٤٥. [٢] نفسه ١٤٦.

[٣] نفسه ١٤٧ وفيه : «وابتنى إبراهيم بن صالح داره العظمى المعروفة اليوم بدار عبد العزيز التي في الموقف ، ثم وهبها عند خروجه لآل عبد الرحمن بن عبد الجبار» .

[٤] نفسه ١٤٧. [٥] نفسه ١٤٨.

[٦] نفسه ١٤٩، ١٥٠.

وكان ظالِمًا غاشِمًا، سَمِعَه اللَّيْثُ بن سَعْد يقرأ في خُطْبته ﴿إنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرادِقُها﴾ [الآية ٢٩ سورة الكهف]، فقال اللَّيْثُ: اللَّهُمَّ لا تَقِه منها[a] [١].

ثم وَلِيَ عَسَّامَة بن عَمْرو باسْتِخْلاف مُوسَىٰ بن مُصْعَب، وبَعَثَ إلى دِحْيَة جَيشًا مع أخيه بَكَّار بن عَمْرو، فحارَبَ يُوسُف بن نُصَيْر وهو على جَيْش دِحْيَة، فتَطاعَنَا، ووَضَع يُوسُفُ الرُّمْحَ في خاصِرَة بَكَّار، ووَضَع بَكَّار الرُّمْحَ في خاصِرَة يُوسُف، فقُتِلا معًا، ورَجَعَ الجَيْشان مُنْهَزِمَيْن وذلك في ذي الحَجَّة [٢].

وصُرِفَ عَسَّامَة، لثلاث عشرة خَلَت من ذي الحجَّة، بكِتاب وَرَدَ عليه من الفَضْل بن صالِح بأنَّه وَلِيَ مصر وقد اسْتَخْلَفَه، فخَلَعَه إلى سَلْخ المُحَرَّم سنة تسعٍ وستين ومائة [٣].

ثم قَدِمَ الفَضْلُ بن صالِح بن عليّ بن عبد الله بن عَبَّاس، سَلْخ المحرَّم المذكور، في جُيُوش الشَّام. وماتَ المَهْدِيُّ في المحرَّم هذا، وبُويِعَ مُوسَىٰ الهَادِي، فأَقَرَّ الفَضْلَ [٤].

وقَدِمَ ومصر تَضْطرِم[b] من أهْلِ الحَوْف ومن خُروج دِحْيَة، فإنَّ النَّاسَ كانوا قد كاتَبُوه ودَعَوه، فسَيَّرَ العساكِرَ حتى هَزَم دِحْيَة وأُسِرَ وسيقَ إلى الفُسْطاط، فضُرِبَت عُنُقُه وصُلِبَ في جُمادَى الآخرة سنة تسعٍ وستين. فكان الفَضْلُ يقول: أنا أَوْلى النَّاس بولايةِ مصر، لقِيامي في أَمْر دِحْيَة وقد عَجَزَ عنه غَيْري، فعُزِل ونَدِمَ على قَتْلِ دِحْيَة.

والفَضْلُ هو الذي بَنَى الجامِع بالعَسْكَر في سنة تسعٍ وستين، فكانوا يَجْمَعون فيه [٥].

ثم وَلِيَ عليُّ بن سُلَيْمان بن عليّ بن عبد الله بن عَبَّاس، من قِبَل الهادِي، على الصَّلاة والخَرَاج، فدَخَلَ في سنة تسعٍ وستين ومائة. وماتَ الهادي للنصف من ربيع الأوَّل سنة سبعين ومائة، وبُويِعَ هارون بن محمد الرَّشيد، فأَقَرَّ عليَّ بن سُلَيْمان. وأَظْهَر في ولايته الأَمْرَ بالمَعْروف والنَّهْي عن المُنْكَر، ومَنَعَ الملاهي والخُمُور، وهَدَمَ الكَنائِسَ المُحْدَثَة بمصر، وبُذِلَ له في تَرْكِها خمسون ألف دينار فامْتَنَع [٦].

---

a) النُّسخ وبولاق: لا تمقتنا، والتصويب من الكندي. b) بولاق: وقدم مصر يضطرب.

---

[١] الكندي: ولاة مصر ١٥١.

[٢] نفسه ١٥١.

[٣] نفسه ١٥١-١٥٢.

[٤] نفسه ١٥٢.

[٥] فيما يلي ٢: ٢٦٤.

[٦] أي امتنع عن أخذ الدنانير وأصر على هدم الكنائس (أبو المحاسن: النجوم ٢: ٦١).

وكان كَثِيرَ الصَّدَقَة في اللَّيْل ، وأَظْهَرَ أنَّه تَصْلُح له الخِلافَة وطَمِعَ فيها ، فسَخِطَ عليه هارُون الرَّشيد ، وعَزَلَه لأربعٍ بقين من رَبيع الأوَّل سنة إحدى وسبعين ومائة [1].

ثم وَلِيَ مُوسَىٰ بن عيسَىٰ بن مُوسَىٰ بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عَبَّاس ، من قِبَل الرَّشيد ، على الصَّلاة . فأَذِنَ للنَّصارَىٰ في بُنْيان الكَنائِس التي هَدَمَها عليُّ بن سُلَيْمان ، فبُنِيَت بمَشُورة اللَّيْث بن سَعْد وعبد الله بن لَهِيعَة [2]. ثم صُرِفَ لأَرْبع عشرة خَلَت من رَمَضان سنة اثنتين وسبعين ومائة ، فكانت ولايتُه سنة وخمسة أشهر ونصفًا [3].

ثم وَلِيَ مَسْلَمَة بن يحييٰ بن قُرَّة بن عُبَيْد الله البَجَلي من أهل جُرْجَان [4]، من قِبَل الرَّشيد ، على الصَّلاة ، ثم صُرِفَ في شَعْبان سنة ثلاثٍ وسبعين فوَلِيَها أحد عشر شهرًا [5].

ثم وَلِيَ مُحَمَّد بن زُهَيْر الأَزْدي على الصَّلاة والخَرَاج لخمسٍ خَلَوْن من شَعْبان ، فبادَرَ الجُنْدُ لعُمَر بن غيلان صاحِب الخَرَاج ، فلم يَدفع عنه ، فصُرِف بعد خمسة أشهر في سَلْخ ذي الحجَّة سنة ثلاثٍ وسبعين ومائة [6].

فوَلِيَ دَاوُد بن يَزيد بن حاتِم بن قَبيصَة بن المُهَلَّب بن أبي صُفْرَة ، وقَدِمَ هو وإبراهيم بن صالِح بن عليّ ، فوَلِيَ داود الصَّلاة ، وبَعَثَ بإبراهيم لإخراجِ الجُنْد الذين ثارُوا من مصر . فدَخَلَ لأَرْبع عشرة خَلَت من المحرَّم سنة أربعٍ وسبعين ومائة ، فأُخْرِجَت الجُنْد العَديدة إلى المشرق والمغرب في عالم كَثير ، فسارُوا في البَحْر فأَسَرَتْهُم الرُّوم . وصُرِفَ لستٍّ خَلَوْن من المحرَّم سنة خمسٍ وسبعين ، فكانت ولايتُه سنة ونصف شهر [7].

ثم وَلِيَ مُوسَىٰ بن عيسَىٰ بن مُوسَىٰ بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عَبَّاس ، على الصَّلاة والخَرَاج ، من قِبَل الرَّشيد . فدَخَلَ لسبعٍ خَلَوْن من صَفَر سنة خمسٍ وسبعين ، وصُرِفَ لليْلَتَيْن بقيتا من صَفَر سنة ستٍّ وسبعين ومائة ، فوَلِيَ سنةً واحدةً [8].

---

[1] الكندي : ولاة مصر ١٥٤، ١٥٥.

[2] انظر أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٢: ٦٦.

[3] الكندي : ولاة مصر ١٥٥- ١٥٦.

[4] في النجوم الزاهرة ٢: ٧١، أصله من أهل خراسان وقيل من جرجان .

[5] الكندي : ولاة مصر ١٥٦.

[6] نفسه ١٥٧، وفيه أن الجند الثائرين يطلق عليهم «القَديديَّة» .

[7] نفسه ١٥٧- ١٥٨.

[8] نفسه ١٥٨- ١٥٩، وفي النجوم الزاهرة ٢: ٨٠، إلّا أيامًا قليلة وأن سبب عزله أنّه هَمّ بالخروج على الرشيد .

ثم وَلِيَ إبراهيم بن صالِح بن عليّ بن عبد الله بن عَبّاس ثانيًا من قِبَل الرَّشيد، فكَتَبَ إلى عَسّامَة بن عَمْرو فاسْتَخْلَفَه. ثم قَدِمَ نَصْرُ بن كُلْثُوم خَليفَته على الخَراج مستهلّ رَبيع الأوَّل. وتوفِّي عَسّامَة لسَبْعٍ بقين من رَبيع الآخَر، فقَدِمَ رَوْحُ بن رَوْح بن زِنْبَاع خَليفَةً لإبراهيم على الصَّلاة والخَرَاج. ثم قَدِمَ إبراهيمُ للنصف من جُمادَىٰ الأولىٰ، وتوفِّي وهو والٍ لثلاثٍ خَلَوْن من شَعْبان. فكان مُقامُه بمصر شهرين/ وثمانية عشر يومًا. وقامَ بالأَمْر بعده ابنُه صالِحُ بن إبراهيم، مع صاحِب شُرْطتِه خالِد بن يَزيد [1].

ثم وَلِيَ عبدُ الله بن المُسَيَّب بن زُهَيْر بن عَمْرو الضَّبِّي، من قِبَل الرَّشيد، على الصَّلاة لإحدى عشرة بقيت من رَمَضان سنة ستٍّ وسبعين ومائة، وصُرِفَ في رَجَب سنة سبعٍ وسبعين ومائة [2].

فوَلِيَ إسْحاقُ بن سُلَيْمان بن عليّ بن عبد الله بن عَبّاس، من قِبَل الرَّشيد، على الصَّلاة والخَرَاج مستهلّ رَجَب. فكَشَفَ أَمْرَ الخَرَاج، وزادَ على المُزارِعين زيادةً أجْحَفَت بهم. فخَرَجَ عليه أهلُ الحَوْف، فحارَبَهم فقُتِلَ كثيرٌ من أصْحابِه. فكَتَبَ إلى الرَّشيد بذلك، فعَقَدَ لهَرْثَمَة بن أَعْيَن في جَيْشٍ عَظيم وبَعَثَ به، فنَزَلَ الحَوْفَ، فتلقَّاه أهْلُه بالطَّاعَة وأَذْعَنُوا، فقَبِلَ منهم واسْتَخْرَج الخَرَاج كلَّه. فكان صَرْفُ إسْحاق في رَجَب سنة ثمانٍ وسبعين ومائة [3].

فوَلِيَ هَرْثَمَة بن أَعْيَن من قِبَل الرَّشيد، على الصَّلاة والخَرَاج لليلَتَيْن خَلَتا من شَعْبان، ثم سارَ إلى إفْريقيَّة لثنتي عشرة خَلَت من شوَّال، فأقامَ بمصر شهرين ونصفًا [4].

ثم وَلِيَ عبدُ المَلِك بن صالِح بن عليّ بن عبد الله بن عَبّاس، من قِبَل الرَّشيد، على الصَّلاة والخَرَاج. فلم يَدْخُل مصر، واسْتَخْلَف عبد الله بن المُسَيَّب بن زُهَيْر الضَّبِّي، وصُرِفَ في سَلْخ سنة ثمانٍ وسبعين ومائة [5].

فوَلِيَ عُبَيْدُ الله بن المَهْدي محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عَبّاس، من قِبَل الرَّشيد، على الصَّلاة والخَرَاج في يوم الاثنين لثنتي عشرة خَلَت من المحرَّم سنة تسعٍ وسبعين ومائة، فاسْتَخْلَف ابن المُسَيَّب، ثم قَدِمَ لإحدى عشرة خَلَت من رَبيع الأوَّل، وصُرِفَ في شهر رَمَضان، فوَلِيَ تسعة أشهر، وخَرَجَ من مصر لليلتين خَلَتا من شوَّال [6].

---

[1] الكندي: ولاة مصر ١٥٩–١٦٠. [2] نفسه ١٦٠. [3] نفسه ١٦٠–١٦١. [4] نفسه ١٦١.
[5] نفسه ١٦٢. [6] نفسه ١٦٢.

فأعادَ الرَّشيدُ مُوسَىٰ بن عيسَىٰ ووَلَّاه مَرَّةً ثالثة على الصَّلاة، فقَدِمَ ابنُه يحْيى بن مُوسَىٰ خَليفَةً له لثلاثٍ خَلَوْن من رَمَضان، ثم قَدِمَ آخِر ذي القعدة، وصُرِفَ في جُمادَى الآخرة سنة ثمانين ومائة [1].

فوَلَّى الرَّشيدُ عُبَيْدَ الله بن المَهْدي ثانيًا على الصَّلاة، فقَدِمَ داود بن حَبَّاش خَليفَةً له لسبعٍ خَلَوْن من جُمادَى الآخرة، ثم قَدِمَ لأربعٍ خَلَوْن من شَعْبان، وصُرِف لثلاثٍ خَلَوْن من رَمَضان سنة إحدى وثمانين ومائة [2].

فوَلِيَ إسْماعيل بن صالِح بن عليّ بن عبد الله بن عبَّاس على الصَّلاة لسبعٍ خَلَوْن من رَمَضان، فاسْتَخْلَف عَوْنَ بن وَهْب الخُزاعيّ، ثم قَدِمَ لخَمْسٍ بقين منه.

قال ابنُ عُفَيْر: ما رَأَيْتُ على هذه الأَعْواد أَخْطَبَ من إسْماعيل بن صالِح. ثم صُرِفَ في جُمادَى الآخرة سنة اثنتين وثمانين ومائة [3].

فوَلِيَ إسماعيل بن عيسَىٰ بن مُوسَىٰ بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عَبَّاس، من قِبَل الرَّشيد، على الصَّلاة. فقَدِمَ لأربع عشرة بقيت من جُمادَى الآخرة، وصُرِفَ في رَمَضان [4].

فوَلِيَ اللَّيْثُ بن الفَضْل الأَبِيوَرْدي، من أَهْل أَبِيوَرْد [a]، على الصَّلاة والخَرَاج، وقَدِمَ لخمسٍ خَلَوْن من شوَّال. ثم خَرَجَ إلى الرَّشيد لسبعٍ خَلَوْن[b] من رَمَضان سنة ثلاثٍ وثمانين ومائة بالمال والهَدايا، واسْتَخْلَف أخاه عليّ بن الفَضْل [c]، ثم عادَ في آخر السَّنَة. وخَرَجَ ثانيًا بالمال لتسعٍ بقين من رَمَضان سنة خمس وثمانين، واسْتَخْلَف هاشِم بن عبد الله بن عبد الرَّحْمَن بن مُعاوية بن حُدَيْج، وقَدِمَ لأربع عشرة خلت من المحرَّم سنة ستٍّ وثمانين. فكان كُلَّما أَغْلَقَ[d] خَرَاجُ سنة، وفَرَغَ من حِسابِها، خَرَجَ بالمال إلى أمير المؤمنين هارون الرَّشيد ومعه الحِسَاب [5].

ثم خَرَجَ عليه أَهْلُ الحَوْف، وساروا إلى الفُسْطاط، فخَرَجَ إليهم في أربعة آلاف ليومين بقيا من شَعْبان سنة ستٍّ وثمانين ومائة، واسْتَخْلَف عبد الرَّحْمَن بن مُوسَىٰ بن عُلَيّ بن رَباح على الجُنْد

---

a) النسخ وبولاق: البيوردي ... بيورد والصواب ما أثبته فاسم البلد أبيورد. b) بولاق: بقين، والمثبت من الأصل والكندي. c) الأصل وبولاق: الفضل بن علي! d) بولاق: غلق.

---

[1] الكندي: ولاة مصر ١٦٣. [2] نفسه ١٦٣. [3] نفسه ١٦٤. [4] نفسه ١٦٤–١٦٥.
[5] نفسه ١٦٥–١٦٦.

والخَرَاج. فواقَعَ أَهْلَ الحَوْف، وانْهَزم عنه الجُنْدُ فبقي في نحو المائتين، فحَمَلَ بهم وهَزَمَ القَوْم من أَرْض الجُبِّ إلى غِيفَا[a]، وبَعَثَ إلى الفُسْطاط بثمانين رأسًا وقَدِم. فرَجَعَ أَهْلُ الحَوْف، ومَنَعُوا الخَرَاج. فخَرَجَ لَيْثٌ إلى الرَّشيد، وسأله أن يَبْعَث معه بالجُيُوش، فإنَّه لا يَقْدِر على اسْتِخْراج الخَرَاج من أَهْل الأَحْواف إلَّا بجَيْش[1].

فرَفَعَ مَحْفوظ بن سُلَيْمان أنَّه يَضْمَن خَراجَ مصر عن آخِره بغير سَوْطٍ ولا عَصَا. فولَّاه الرَّشيدُ الخَرَاج، وصَرَفَ لَيْثًا عن الصَّلاة والخَرَاج، وبَعَثَ أحمد بن إسْحاق على الصَّلاة مع مَحْفُوظ. وكانت ولايةُ لَيْثٍ أربع سنين وسبعة أشهر[2].

فوَلِيَ أَحْمَدُ بن إسْماعيل بن عليّ بن عبد الله بن عَبَّاس، من قِبَل الرَّشيد، على الصَّلاة والخَرَاج. وقَدِمَ لخمسٍ بقين من جُمادَى الآخرة سنة سبعٍ وثمانين، ثم صُرِفَ لثمان عشرة خَلَت من شَعْبان سنة تسعٍ وثمانين، فوَلِيَ سنتين وشهرًا ونصفًا[3].

ثم وَلِيَ عَبْدُ الله[b] بن محمد بن إبْراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عَبَّاس على الصَّلاة، واسْتَخْلَفَ لَهِيعَة بن عيسىٰ بن لَهِيعَة الحَضْرَمِيّ، ثم قَدِمَ للنصف من شوَّال. وصُرِفَ لإحدى عشرة بقيت من شَعْبان سنة تسعين ومائة وخَرَجَ، واسْتُخْلِف هاشِم بن عبد الله بن عبد الرَّحْمَن بن مُعاوية بن حُدَيْج[4].

فوَلِيَ الحُسَيْنُ بن جميل، من قِبَل الرَّشيد، على الصَّلاة، وقَدِمَ لعشرٍ خَلَوْن من رَمَضان، ثم جُمِعَ له الخَرَاجُ مع الصَّلاة في رَجَب سنة إحدى وتسعين[5].

وخَرَجَ أَهلُ الحَوْف، وامْتَنَعُوا من/ أَداء الخَرَاج. وخَرَجَ أبو النَّدَاء بأَيْلَة في نحو ألف رجل، فقَطَعَ الطَّريق بأَيْلَة وشُعَيْب ومَدْيَن، وأغارَ على بعض قُرَى الشَّام، وضَوَى إليه من جُذام جماعَة، فبَلَغَ من النَّهْب والقَتْل مبلغًا عَظيمًا.

فبَعَثَ الرَّشيدُ من بَغْداد جيشًا لذلك، وبَعَثَ الحُسَيْنُ بن جَميل من مصر عبد العزيز بن الوَزير ابن ضابئ الجَرْوي في عَسْكَر. فالْتَقَى العَسْكَران بأَيْلَة، فظَفِرَ عبدُ العزيز بأبي النَّدَاء. وسارَ

---

a) الأصل وبولاق: غيفة. b) بولاق: عبيد الله.

---

[1] الكندي: ولاة مصر ١٦٦. [2] نفسه ١٦٧. [3] نفسه ١٦٧. [4] نفسه ١٦٨.
[5] نفسه ١٦٨ - ١٦٩.

جَيْشُ الرَّشيد إلى بِلْبَيْس في شوَّال سنة إحدى وتسعين ومائة ، فَأَذْعَنَ أهلُ الحَوْف بالخَرَاج . وصُرِفَ ابن جَميل لثنتي عشرة خَلَت من رَبيع الآخر سنة اثنتين وتسعين ومائة [1].

فوَلِيَ مالِكِ بن دَلْهَم بن عُمَيْر الكَلْبي على الصَّلاة والخَرَاج ، وقَدِمَ لسبعٍ بقين من رَبيع الآخر [2]. وفَرَغَ يَحْيَى بن مُعاذ أمير جَيْش الرَّشيد من أَمْر الحَوْف ، وقَدِمَ الفُسْطاط لعَشْرٍ بقين من جُمادَى الآخرة ، فكَتَبَ إلى أهْل الأَحْواف : «أن اقْدَموا حتى أُوصي بكم مالِكَ بن دَلْهَم» . فدَخَلَ الرُّؤساءُ من اليمانِيَّة والقَيْسِيَّة ، فأُخِذَت عليهم الأبوابُ وقُيِّدُوا ، وسارَ بهم للنصف من رَجَب [3].

وصُرِفَ مالِكٌ لأَرْبعٍ خَلَت من صَفَر سنة ثلاث وتسعين ومائة [4].

فوَلِيَ الحَسَنُ بن التَّخْتاخ[a] بن البَخْتَكان[b] على الصَّلاة والخَرَاج ، فاسْتَخْلف العَلاءَ بن عاصِم الخَوْلاني ، وقَدِمَ لثلاثٍ خَلَوْن من رَبيع الأَوَّل .

و[c]ماتَ الرَّشيدُ ، واسْتُخْلِف ابنه محمد الأَمين ، فثارَ الجُنْدُ بمصر ، ووَقَعَت فِتْنَةٌ عَظيمةٌ قُتِلَ فيها عِدَّةٌ . وسَيَّرَ الحَسَنُ مالَ مصر ، فوَثَبَ أَهْلُ الرَّمْلَة وأَخَذوه [5].

وبَلَغَ الحَسَن عَزْله ، فسارَ من طَريق الحِجاز لفَساد طَريقِ الشَّام لثمانٍ بقين من رَبيع الأَوَّل سنة أربع وتسعين ومائة ، واسْتَخْلَفَ عَوْفَ بن وَهْب على الصَّلاة ، ومحمد بن زِياد بن طَبَق القَيْسي على الخَرَاج [6].

فوَلِيَ حاتِمُ بن هَرْثَمَة بن أَعْيَن ، من قِبَل الأَمين ، على الصَّلاة والخَرَاج . وقَدِمَ في ألف من الأَبْناء فنَزَل بِلْبَيْس ، فصالَحَه أهلُ الأَحْواف على خَراجِهم .

وثارَ عليه أهلُ تِنّـيس وتُمَّي وعَسْكَروا ، فبَعَثَ إليهم جَيْشًا فانْهَزَمُوا ، ودَخَلَ حاتِم إلى الفُسْطاط ومعه نحو مائة من الرَّهائِن لأربعٍ خَلَوْن من شوَّال . وصُرِفَ في جُمادَى الآخرة سنة خمسٍ وتسعين ومائة [7].

---

a) بولاق : التختاخ . b) بولاق : التختكان . c) بولاق : ثم .

---

[1] الكندي : ولاة مصر ١٦٩ - ١٧٠ . [2] نفسه ١٧١ . [3] نفسه ١٧٢ . [4] نفسه ١٧٢ . [5] نفسه ١٧٢ - ١٧٣ . [6] نفسه ١٧٣ . [7] نفسه ١٧٣ - ١٧٤ .

فوَلِيَ جَابِرُ بن الأَشْعَث بن يَحْيىٰ الطَّائي، من قِبَل الأَمين، على الصَّلاة والخَرَاج لخَمْسٍ بقين من جُمادَى الآخرة، وكان لَيِّنًا. فلمَّا حَدَثَت فِتْنَةُ الأَمين والمأْمُون، قامَ السَّرِيُّ بن الحكَم غَضَبًا للمأْمُون، ودَعَا النَّاسَ إلى خَلْع الأَمينِ، فأجابوه وبايَعُوا المأْمُون لثمانٍ بقين من جُمادَى الآخرة سنة ستٍّ وتسعين، وأَخْرَجُوا جابِرَ بن الأَشْعَث، وكانت ولايتُه سنة[1].

فوَلِيَ عَبَّادُ بن محمد بن حَيَّان أبو نَصْر، من قِبَل المأْمُون، على الصَّلاة والخَرَاج لثمانٍ خَلَوْن من رَجَبَ، بكِتاب هَرْثَمَة بن أَعْيَن - وكان وَكيلَه على ضِياعِه بمصر - في الثامن من رَجَبَ سنة ستٍّ وتسعين.

فبَلَغَ الأَمينُ ما كان بمصر، فكَتَبَ إلى رَبيعَة بن قَيْس بن الزُّبَيْر الجُرَشي - رَئيس قَيْس الحَوْف - بولاية مصر، وكَتَبَ إلى جَماعَةٍ بمُعاوَنَته؛ فقامُوا ببَيْعَة الأَمين، وخَلَعُوا المأْمُون، وسارُوا لمحارَبَة أَهْل الفُسْطاط فخَنْدَق عَبّاد.

وكانت حُروبٌ، فقُتِلَ الأَمين. وصُرِفَ عَبّادُ في صَفَرَ سنة ثمانٍ وتسعين ومائة، فكانت ولايتُه سنة وسبعة أشهر[2].

فوَلِيَ المُطَّلِب بن عبد الله بن مالِكٍ الخُزاعي، من قِبَل المأْمُون، على الصَّلاة والخَرَاج. فدَخَلَ من مَكَّة للنصف من ربيع الأوَّل، فكانت في أيَّامِه حُروبٌ، وصُرِفَ في شَوَّال بعد سبعة أشهر[3].

فوَلِيَ العَبَّاسُ بن مُوسَىٰ بن عيسَىٰ بن مُوسَىٰ بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عَبَّاس، من قِبَل المأْمُون، على الصَّلاة والخَرَاج؛ فقَدِمَ ابنُه عبد الله، ومعه الحُسَيْنُ بن عُبَيْد بن لُوط الأَنْصاري، في آخِر شَوَّال فسَجَنَا المُطَّلِب[4].

فثارَ الجُنْدُ مِرارًا، فمَنَعَهم الأَنْصاري أُعْطياتِهم وتَهَدَّدَهم، وتَحامَل على الرَّعِيَّة وعَسَفَها وتَهَدَّد الجَميع، فثارُوا وأَخْرَجوا المُطَّلِب من الحَبْس، وأقامُوه لأربع عشرة خَلَت من المحرَّم سنة تسعٍ وتسعين ومائة.

---

a) النجوم الزاهرة: وهيب.

---

[1] الكندي: ولاة مصر ١٧٤، ١٧٥.

[2] نفسه ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧؛ وانظر فيما تقدم ١: ٤٨١.

[3] نفسه ١٧٨، ١٧٩.

[4] نفسه ١٧٩- ١٨٠.

وأَقْبَلَ العَبَّاسُ فنَزَلَ بِلْبَيْس ، ودَعَا قَيْسًا إلى نُصْرَته ، ومَضَى إلى الجَرَوي بِتِنِّيس ، ثم عادَ فماتَ في بِلْبَيْس لثلاث عشرة بقيت من جُمادَى الآخرة[1].

ويُقالُ إنَّ المُطَّـــلِبَ دَسَّ إليه سُمًّا في طَعامِهِ فماتَ منه . وكانت حُروبٌ وفِتَنٌ ، فكانت ولايَةُ المُطَّلِب هذه سنة وثمانية أشهر[2].

ثم وَلِيَ السَّرِيُّ بن الحكَم بن يُوسُف ـ من قَوْم الزُّطّ ومن أهْل بَلْخ ـ بإجْماعِ الجُنْد عليه عند قِيامِهِ على المُطَّلِب في مستهلّ رَمَضان سنة مائتَين[3].

ثم وَلِيَ سُلَيْمان بن غالِب بن جِبْريل البَجَلي على الصَّلاة والخَرَاج ، بمُبايَعَة الجُنْد له ، لأربع خَلَوْن من رَبيع الأوَّل سنة إحدى ومائتين ، فكانَت حُروبٌ . ثم صُرِفَ بعد خمسة أشهر[4].

وأُعيدَ السَّرِيُّ بن الحكَم ثانيًا ، من قِبَل المَأْمُون ، على الصَّلاة والخَرَاج . فذُمَّت ولايَتُه ، وأَخرَجَه الجُنْدُ من الحَبْس لثنتي عشرة خَلَت من شَعْبان ، وتَتَبَّع من حارَبَه وقَوِي أَمْرُه ، وماتَ وهو والٍ لانِسْلاخ جُمادَى الأُولى سنة خمسٍ ومائتين ، فكانَت ولايتُه هذه ثلاث سنين وتسعة أشهر وثمانية عشر يومًا[5].

فوَلِيَ ابنُه محمد بن السَّرِيّ أبو نَصْر ، أوَّل جُمادَى الآخرة ، على الصَّلاة والخَرَاج ، وكان الجَرَوي قد غَلَب على أسفَل الأرض/، فجَرَت بينهما حُروبٌ . ثم ماتَ لثمانٍ خَلَوْن من شَعْبان ٣١ سنة ستٍّ ومائتين . وكانت ولايتُه أربعة عشر شهرًا[6].

ثم وَلِيَ عُبَيْدُ الله بن السَّرِيّ بن الحكَم ، بمُبايَعَة الجُنْد ، لتسعٍ خَلَوْن من شَعْبان ، على الصَّلاة والخَرَاج . فكانت بينه وبين الجَرَوي حُروبٌ إلى أن قَدِمَ عبدُ الله بن طاهِر ، وأَذْعَن له عُبيد الله في آخرِ صَفَر سنة إحدى عشرة ومائتين[7].

فوَلِيَ عَبْدُ الله بن طاهِرِ بن الحُسَيْن بن مُصْعَب ، من قِبَل المَأْمُون ، على الصَّلاة والخَرَاج . فدَخَلَ يوم الثلاثاء لليلتين خَلَتا من رَبيع الأوَّل سنة إحدى عشرة ومائتين ، وأقامَ في مُعَسْكَره حتى خَرَج عبيدُ الله بن السَّري إلى بَغْداد للنصف من جُمادَى الأولى[8].

---

[1] الكندي : ولاة مصر ١٨٠. [2] نفسه ١٨١. [3] نفسه ١٨٦. [4] نفسه ١٩٠، ١٩١.
[5] نفسه ١٩١، ١٩٦. [6] نفسه ١٩٦، ١٩٨. [7] نفسه ١٩٨؛ وفيما تقدم ١: ٤٨٣ . [8] نفسه ٢٠٦.

ثم سارَ إلى الإسْكَنْدَرية مستهلّ صَفَرَ سنة اثنتي عشرة، واسْتَخْلَفَ عيسَىٰ بن يَزيد الجُلُودي، فحَصَرَها بضع عشرة ليلة، ورَجَعَ في جُمادَى الآخرة، وأَمَرَ بالزِّيادَة في الجامِع العَتيق فزِيدَ فيه مِثْلُه [1].

ورَكِبَ النِّيلَ مُتَوَجِّهًا إلى العِراق لخمسٍ بقين من رَجَب، وكان مُقامُه بمصر واليًا سبعة عشر شهرًا وعشرة أيام [2].

ثم وَلِيَ عيسَىٰ بن يَزيد الجُلُودي، باسْتِخْلاف ابن طاهِر، على صَلاتِها إلى سابع عشر ذي القِعْدَة سنة ثلاث عشرة، فصُرِفَ ابن طاهِر. ووَلِيَ الأميرُ أبو إسْحاق بن هارون الرَّشيد مصر، فأَقَرَّ عيسى على الصَّلاة فقط، وجَعَلَ على الخَرَاج صالِح بن شِيْرازاد، فظَلَمَ الناسَ وزادَ عليهم في خَراجِهم. فانْتَقَضَ أَهْلُ أَسْفَل الأرْض وعَسْكَروا، فبَعَثَ عيسى بابنه محمد في جَيْشٍ، فحارَبوه، فانْهَزَم وقُتِلَ أصحابُه في صَفَرَ سنة أربع عشرة [3].

فوَلِيَ عُمَيْر بن الوَلِيد التَّميمي، باسْتِخْلاف أبي إسْحاق بن الرَّشيد، على الصَّلاة لسبع عشرة خَلَت من صَفَر، وخَرَجَ ومعه عيسَىٰ الجُلُودي لقِتال أَهْل الحَوْف في رَبيع الآخر، واسْتَخْلَفَ ابنه محمد بن عُمَيْر. فاقْتَتَلُوا، وكانت بينهم معارِكُ قُتِلَ فيها عُمَيْر لستّ عشرة خَلَت من رَبيع الآخر، فكانت مُدَّةُ إمْرَته ستين يومًا [4].

فوَلِيَ عيسَىٰ الجُلُودي ثانيًا لأبي إسْحاق على الصَّلاة، فحارَبَ أَهْلَ الحَوْف بمُنْية مَطَر، ثم انْهَزَم في رَجَب. وأَقْبَلَ أبو إسْحاق إلى مصر في أربعة آلاف من أَتْراكِه، فقاتَل أَهْلَ الحَوْف في شَعْبان، ودَخَلَ إلى مَدينَة الفُسْطاط لثمانٍ بقين منه، وقَتَلَ أكابِر أَهْل[a] الحَوْف [5].

ثم خَرَجَ إلى الشَّام غُرَّة المحرَّم سنة خمس عشرة ومائتين في أَتْراكِه، ومعه جَمْعٌ من الأسارَىٰ في ضُرٍّ وجَهْدٍ شَديد [6].

ووَلِيَ على مصر عَبْدَوَيْه بن جَبَلَة من الأبْناء على الصَّلاة، فخَرَجَ ناسٌ بالحَوْف في شَعْبان، فبَعَثَ إليهم وحارَبَهم حتى ظَفِرَ بهم [7].

---

a) ساقطة من بولاق.

---

[1] الكندي: ولاة مصر ٢٠٧، وانظر تفصيل ذلك فيما يلي ٢: ٢٤٩. [2] نفسه ٢٠٧–٢٠٨. [3] نفسه ٢٠٨.
[4] نفسه ٢٠٩، ٢١٠. [5] نفسه ٢١١، ٢١٢. [6] نفسه ٢١٣. [7] نفسه ٢١٣.

ثم قَدِمَ الأَفْشِينُ خَيْذَرُ[a] بن كاوس الصُّغْدي[b][1] إلى مصر لثلاثٍ خَلَوْن من ذي الحجّة ، ومعه عليُّ بن عبد العَزيز الجَرْوي لأَخْذ مالِه ، فلم يَدْفَع إليه شيئًا فقتَلَه . وصُرِفَ عَبْدَوَيْه ، وخَرَجَ إلى بَرْقَة[2] .

ووَلِيَ عيسَىٰ بن مَنْصور بن مُوسَىٰ بن عيسَىٰ الرَّافِقي[c] ، فوَلِيَ من قِبَل أبي إسْحاق أوَّل سنة ستّ عشرة على الصَّلاة ، فانْتَقَضَت أسْفَلُ الأرْض - عَرَبُها وقِبْطُها - في جُمادَى الأولى ، وأَخْرَجُوا العُمَّال لسُوء سيرَتهم ، وخَلَعوا الطَّاعَة . فقَدِمَ الأَفْشينُ من بَرْقَة للنصف من جُمادَى الآخرة ، ثم خَرَج هو وعيسَىٰ في شوَّال ، فأَوْقَعا بالقَوْم وأَسَرا منهم وقَتَلا ، ومَضَى الأَفْشينُ ورَجَع عيسَىٰ ، فسارَ الأَفْشينُ إلى الحَوْف وقَتَل جماعَتَهُم[3] .

وكانت حُروبٌ إلى أن قَدِمَ أميرُ المُؤْمنين عبدُ الله المأْمُون ، لعَشْرٍ خَلَوْن من المحرَّم سنة سبع عشرة ومائتين ، فسَخِطَ على عيسَىٰ ، وحَلَّ لِواءَه ، فأَخَذَه بِلِباس البَيَاض ، ونَسَبَ الحَدَثَ إليه وإلى عُمَّاله . وسَيَّرَ الجُيُوشَ ، وأَوْقَعَ بأَهْل الفَسَاد ، وسَبَى القِبْطَ وقَتَل مُقاتِلَتَهم ، ثم رَحَل لثمان عشرة خَلَت من صَفَر بعد تسعة وأربعين يومًا[4] .

ووَلِيَ كَيْـدَر - وهو نَصْر بن عبد الله أبو مالِك الصُّغْدي[b] - فوَرَدَ كِتابُ المأْمُون عليه بأَخْذ النَّاس بالمِحْنَة[5] في جُمادَى الآخرة سنة ثمان عشرة ، والقاضي بمصر يومئذٍ هارون بن عبد الله الزُّهْري ، فأَجابَ وأَجابَ الشُّهود ، ومن وَقَفَ منهم سَقَطَت شَهادَتُه ، وأَخَذَ بها القُضَاةُ والمُحَدِّثون والمُؤَذِّنون ، فكانوا على ذلك من سنة ثمان عشرة إلى سنة اثنتين وثلاثين[6] .

---

a) بولاق : حيدر . b) بولاق : الصفدي . c) بولاق : الرافعي .

---

[1] الأفشين خَيْذَر بن كاوس الصُّغْدي ، قال ابن خلّكان : «والأفشين ... بكسر الهمزة وفتحها واسمه خَيْذَر - بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الذال المعجمة وبعدها راء - وإنّما قيّدته لأنه يتصحّف على كثيرٍ من الناس بحَيْدَر ، بالحاء المهملة» . (وفيات الأعيان ٥:١٢٣) .

[2] الكندي : ولاة مصر ٢١٤ .

[3] نفسه ٢١٤- ٢١٥ .

[4] نفسه ٢١٦ .

[5] المِحْنَة ، هي مِحْنَةُ «خَلْق القرآن» التي تبنّاها الخليفةُ المأمون الذي كانت ميوله الفارسية سببًا في مناقشته بحماس نظريات المعتزلة الذين أباحوا حرية التفكير ، ومن بينها القول بأن القرآن - وإن كان وَحْيًا - إلّا أنه مخلوق ، فخالف بذلك ما كان مستقرًّا من أنّ القرآن أزلي غير مخلوق . وجاءَت «المِحْنَةُ» نتيجة لإلزام المأمون العلماء وجِلّة الفقهاء الأخذ بمذهبه . (أحمد فريد رفاعي : عصر المأمون ، القاهرة ١٩٢٨ ، ١ : ٣٩٥- ٣٩٨ ؛ Hinds, M., EI^2 art. *Mihna* (VII, pp. 2-7) .

[6] الكندي : ولاة مصر ٢١٧ .

وماتَ المأمونُ في رَجَب سنة ثمان عشرة، وبُويِعَ أبو إسْحاق المُعْتَصِم، فوَرَدَ كِتابُه على كَيْدَر ببَيْعَته، ويأمُرُه بإسْقاط مَنْ في الدِّيوان من العَرَبِ وقَطْع العَطَاء عنهم، ففَعَلَ ذلك [١].

فخَرَجَ يحيى ابن الوَزير الجَرْوي في جَمْعٍ من لَخْم وجُذام. وماتَ كَيْدَر في رَبيع الآخر سنة تسع عشرة ومائتين [٢].

فوَلِيَ ابنه المُظَفَّر بن كَيْدَر، باسْتِخْلاف أَبيه، وخَرَج إلى يحيى بن وَزير، وقاتَلَه وأَسَره في جُمادَى الآخرة. ثم صُرِفَت[a] مصرُ إلى أبي جَعْفَر أَشْناس، فدُعِيَ له بها، وصُرِفَ مُظَفَّر في شَعْبان [٣].

فوَلِيَ مُوسَىٰ بن أبي العَبَّاس، من قِبَل أَشْنَاس، على الصَّلاة مستهلّ شهر رَمَضان سنة تسع عشرة، وصُرِفَ في رَبيع الآخر سنة أربعٍ وعشرين ومائتين، فكانت ولايتُه أَرْبع سنين وسبعة أشهر [٤].

فوَلِيَ مالِكُ بن كَيْدَر بن عبد الله الصُّغْدي[b]، من قِبَل أَشْنَاس، على الصَّلاة، وقَدِمَ لسبعٍ بقين من رَبيع الآخر، وصُرِفَ لثلاثٍ خَلَوْن من رَبيع الآخر سنة ستٍّ وعشرين. فوَلِي سنتين وأَحَدَ عشر يومًا، وتُوُفِّيَ لعشرٍ خَلَوْن من شَعْبان سنة ثلاثٍ وثلاثين/ ومائتين [٥].

فوَلِيَ عَلِيُّ بن يَحْيَىٰ الأَرْمَنِيُّ، من قِبَل أَشْنَاس، على صَلاتِها. وقَدِمَ لسبعٍ خَلَوْن من رَبيع الآخر سنة ستٍّ وعشرين ومائتين. وماتَ المُعْتَصِمُ في رَبيع الأوَّل سنة سبعٍ وعشرين، وبُويِعَ الواثِقُ بالله، فأَقَرَّه إلى سابع ذي الحجَّة سنة ثمانٍ وعشرين ومائتين، فكانت ولايتُه سنتين وثلاثة أشهر [٦].

ثم وَلِيَ عيسَىٰ بن مَنْصور الثانية، من قِبَل أَشْنَاس، على صَلاتِها، فدَخَل لسبعٍ خَلَوْن من المحرَّم سنة تسعٍ وعشرين ومائتين. وماتَ أَشْناسُ سنة ثلاثين، وجُعِلَ مكانَه إيتاخ، فأَقَرَّ عيسَىٰ [٧].

وماتَ الوَاثِقُ، وبُويِعَ المُتَوَكِّل، فصَرَفَ عيسَىٰ للنصف من رَبيع الأوَّل سنة ثلاثٍ وثلاثين ومائتين، وقَدِمَ على ابن مَهْرَوَيْه خَليفَة هَرْثَمَة بن النَّضْر. ثم ماتَ عيسَىٰ في قُبَّة الهَوَاء بعد عَزْله لإحدى عشرة خَلَت من رَبيع الآخر [٨].

---

a) بولاق: صرف. b) بولاق: الصفدي.

---

[١] الكندي: ولاة مصر ٢١٧. [٢] نفسه ٢١٧، ٢١٨. [٣] نفسه ٢١٨. [٤] نفسه ٢١٩. [٥] نفسه ٢١٩-٢٢٠. [٦] نفسه ٢٢٠. [٧] نفسه ٢٢١. [٨] نفسه ٢٢١.

فوَلِيَ هَرْثَمَة بن نَضْر الجَبَلي ، من أهل الجَبَل ، لإيتاخ على الصَّلاة . وقَدِم لستٍّ خَلَوْن من رَجَبَ سنة ثلاثٍ وثلاثين ومائتين . فوَرَدَ كِتابُ المُتَوَكِّل بتَرْك الجِدال في القرآن لخمسٍ خَلَوْن من جُمادَى الآخرة سنة أربعٍ وثلاثين ومائتين . وماتَ هَرْثَمَةُ وهو والٍ ، لسَبْعٍ بقين من رَجَب سنة أربعٍ ، واسْتُخْلِفَ ابنه حاتِم بن هَرْثَمَة [1].

فوَلِيَ حاتِمُ بن هَرْثَمة بن النَّضْر باسْتِخْلاف أَبيه له ، على الصَّلاة ، وصُرِفَ لستٍّ خَلَوْن من رَمَضان [2].

فوَلِيَ عليّ بن يَحْيى الأَرْمَنِيّ الثانية ، من قِبَل إيتاخ على الصَّلاة لستٍّ خَلَوْن من رَمَضان . وصُرِفَ إيتاخُ في المحرَّم سنة خمسٍ وثلاثين ، واسْتُصْفِيَت أَمْوالُه بمصر ، وتُرِكَ الدُّعاء له ، ودُعِيَ للمُنْتَصِر[a] مكانَه ، وصُرِفَ عليّ في ذي الحِجَّة[b] منها [3].

فوَلِيَ إسْحاقُ بن يَحْيى بن مُعاذ بن مُسْلم الخُتَّلي[c]، من قبل المُنْتَصِر وليّ عَهْد أبيه المُتَوَكِّل على الله ، على الصَّلاة والخَرَاج ، فقَدِمَ لإحدى عشرة خَلَت من ذي الحِجَّة ، فوَرَدَ كِتابُ المُتَوَكِّل والمُنْتَصِر بإخْراج الطَّالبيين من مصر إلى العراق ، فأُخْرِجوا . وماتَ إسْحاقُ بعد عَزْله أوّل رَبيع الآخر سنة سبعٍ وثلاثين ومائتين [4].

فوَلِيَ خوط عَبْدُ الواحد بن يَحْيَىٰ بن مَنْصور بن طَلْحَة بن زُرَيْق ، من قِبَل المُنْتَصِر ، على الصَّلاة والخَرَاج . فقَدِمَ لتسعٍ بقين من ذي القعدة سنة ستٍّ وثلاثين ومائتين ، وصُرِفَ عن الخَراج لتسعٍ خَلَوْن من صَفَر سنة سبعٍ وثلاثين ، وأُقِرّ على الصَّلاة . ثم صُرِفَ سَلْخ صَفَر سنة ثمانٍ وثلاثين بخَليفَته عَنْبَسَة على الصَّلاة والشركة في الخَرَاج مستهلّ رَبيع الأوَّل [5].

فوَلِيَ عَنْبَسَة بن إسْحاق بن شَمِر بن عَبْس أبو جابِر ، من قِبَل المُنْتَصِر ، على الصَّلاة وشَريكًا لأحمد بن خالِد الصَّريفيني صاحِب الخَرَاج . فقَدِمَ لخمسٍ خَلَوْن من رَبيع الآخر سنة ثمانٍ وثلاثين ومائتين ، وأَخَذَ العُمَّال برَدّ المَظالِم ، وأقامَهم للناس ، وأَنْصَفَ منهم ، وأَظْهَرَ من العَدْل ما لم يُسْمَع بمثله في زَمانِه . وكان يَروح ماشيًا إلى المَسْجِد الجامِع من العَسْكَر ، وكان يُنادي

---

[a] آياصوفيا : للمستنصر . [b] الكندي : في ذي القعدة . [c] بولاق : الجبلي .

---

[1] الكندي : ولاة مصر ٢٢٢. [2] نفسه ٢٢٢. [3] نفسه ٢٢٣. [4] نفسه ٢٢٣، ٢٢٤. [5] نفسه ٢٢٥، ٢٢٦.

في شهر رَمَضان: السُّحور، وكان يُرْمَى بمَذْهَب الخَوارِج[١].

وفي وِلايته نَزَل الرُّومُ دِمْياط ومَلَكُوها وما فيها، وقَتَلُوا بها جَمْعًا كثيرًا من النَّاس، وسَبَوا النِّسَاءَ والأطْفال. فنَفَر إليهم يَوْمَ النَّحْر من سنة ثمانٍ وثلاثين في جَيْشِه وكَثير من النَّاس، فلم يُدْرِكْهُم[٢].

وأفْـرِد بالخَرَاج[a] مع الصَّلاة، ثم صُرِف عن الخَرَاج أوَّل جُمادَى الآخرة سنة إحدى وأربعين وأُفْرِد بالصَّلاة، ووَرَدَ الكِتابُ بالدُّعاء للفَتْح بن خاقان في رَبيع الأوَّل سنة اثنتين وأربعين، فدَعَا له. وعَنْبَسَةُ هذا آخِرُ من وَلِيَ مصر من العَرَب، وآخِرُ أمير صَلَّى بالنَّاس في المَسْجد الجامِع، وصُرِفَ أوَّل شهر[b] رَجَب منها.

فقَدِم العَبَّاسُ بن عبد الله بن دِينار خَليفَةَ يَزيد بن عبد الله، بِولاية يَزيد. وكانت ولايةُ عَنْبَسَة أرْبَع سنين وأربعة أشهر، وخَرَجَ إلى العراق في رَمَضان سنة أربعٍ وأربعين[٣].

فوَلِيَ يَزيد بن عبد الله بن دِينار أبو خالِد من الموالي، ولَّاه المُنْتَصِر على الصَّلاة، فقَدِمَ لعشرٍ بقين من رَجَب سنة اثنتين وأربعين، فأَخْرَج المُؤَنَّثين من مصر وضَرَبَهم وطافَ بهم، ومَنَعَ من النِّداء على الجَنائِز، وضَرَبَ فيه، وخَرَجَ إلى دِمْياط مُرابِطًا في المحرَّم سنة خمسٍ وأربعين، ورَجَعَ في رَبيع الأوَّل، فبَلَغَه نُزول الرُّوم الفَرَما، فرَجَعَ إليها فلم يَلْقَهم[٤].

وعَطَّل الرِّهان، وباعَ الخَيْل التي تُتَّخَذ للسُّلْطان، فلم تَجْرِ إلى سنة تسعٍ وأربعين. وتَتَبَّعَ الرَّوافِض، وحَمَلَهم إلى العِراق، وبَنَى مِقْياس النِّيل في سنة سبعٍ وأربعين[٥]. وجَرَت على العَلَوِيِّين في ولايته شَدائِد[٦].

وماتَ المُتَوَكِّلُ في شَوَّال، وبُويِع ابنُه محمد المُنْتَصِر، وماتَ الفَتْحُ بن خاقان، فأَقَرَّ المُنْتَصِر يَزيد على مصر. ثم ماتَ المُنْتَصِرُ في رَبيع الأوَّل سنة ثمانٍ وأربعين، وبُويع المُسْتَعين، فوَرَدَ كِتابُه بالاسْتِسْقاء لقَحْطٍ كان بالعِراق، فاسْتَسْقَوا لسبع عشرة خَلَت من

a) بولاق: وأضيف له الخراج. b) ساقطة من بولاق.

[١] الكندي: ولاة مصر ٢٢٦.
[٢] فيما تقدم ١: ٥٨٢.
[٣] الكندي: ولاة مصر ٢٢٧- ٢٢٨.
[٤] نفسه ٢٢٨- ٢٢٩.
[٥] فيما تقدم ١: ١٥٢.
[٦] الكندي: ولاة مصر ٢٢٩.

ذي القعدة، واسْتَسْقَى أَهْلُ الآفاق في يومٍ واحِد [١].

وخُلِعَ المُسْتَعِينُ في المحرَّم سنة اثنتين وخمسين، وبُويِعَ المُعْتَزُّ، فخَرَج جابِرُ بن الوَليد بأَرْض الإسْكَنْدَرية، وكانت هناك حُروبٌ ابتدأت من رَبيع الآخر [٢]، فقَدِمَ مُزاحِمُ بن خاقان من العِراق مُعينًا ليَزِيد في جَيْشٍ كَثيف لثلاث عشرة بقيت من رَجَب، فواقَعَهُم حتى ظَفِرَ بهم [٣]. ثم صُرِفَ يَزِيدُ، وكانت مُدَّتُه عشر سنين وسبعة أشهر وعشرة أيَّام [٤].

فوَلِيَ مُزاحِمُ بن خاقان بن / عُرْطوج أبو الفَوارِس التركي، لثلاثٍ خَلَوْن من رَبيع الأوَّل سنة ثلاثٍ وخمسين ومائتين، على الصَّلاة من قِبَل المُعْتَزّ. وخَرَجَ إلى الحَوْف فأَوْقَع بأَهْله وعادَ، ثم خَرَجَ إلى الجِيزَة، فسارَ إلى تَرُّوجَة فأَوْقَع بأَهْلِها وأَسَرَ عِدَّةً من أَهْل البلاد، وقَتَلَ كثيرًا، وسارَ إلى الفَيُّوم فطاشَ سَيْفُه وكَثُرَ إيقاعُه بسُكَّان النَّواحِي، وعادَ [٥].

ووَلَّى الشُّرْطَة أَرْجُوز [a]، فمَنَعَ النِّساءَ من الحَمَّامات والمَقابِر، وسَجَن المُؤَنَّثين والنَّوائِح، ومَنَعَ من الجَهْر بالبَسْمَلَة في الصَّلاة بالجامِع في رَجَب سنة ثلاثٍ وخمسين، ولم يَزَل أهلُ مصر على الجَهْر بها في الجامِع منذ الإسْلام إلى أن مَنَعَ منها أَرْجُوز [a]. وأَخَذَ أَهْلَ الجامِع بتَمام الصُّفوف، ووَكَّلَ بذلك رَجُلًا من العَجَم يقوم بالسَّوْط من مُؤَخَّر المَسْجِد، وأَمَر أَهْلَ الحِلَق بالتحوُّل إلى القِبْلَة قبل إقامَه الصَّلاة، ومَنَعَ من المَساند التي يُسْتَنَد إليها، ومن الحُصْر التي كانت للمَجالِس في الجامِع. وأَمَرَ أن تُصَلَّى التَّراويح في رَمَضَان خمس تَراويح، ولم يَزَل أَهْلُ مصر يُصَلُّونها سِتًّا إلى شهر رَمَضَان سنة ثلاثٍ وخمسين ومائتين. ومَنَع من التَّثْويب، وأَمَر بالأذان يوم الجُمُعَة في مُؤَخَّر المَسْجِد، وأن يُغَلِّس بصَلاة الصُّبح. ونَهَى أن يُشَقَّ ثَوْبٌ على مَيِّت، أو يُسَوَّدَ وَجْهٌ، أو يُحْلَقَ شَعْرٌ، أو تَصيحَ امْرَأَةٌ، وعاقَبَ في ذلك وشَدَّد فيه.

ثم ماتَ مُزاحِم لخَمْسٍ مَضَيْنَ من المحرَّم سنة أربع وخمسين [٦].

فاسْتُخْلِفَ ابنه أحمد بن مُزاحِم، فوَلِيَ باسْتِخْلاف أبيه على الصَّلاة، إلى أن ماتَ لسَبْع خَلَوْن من رَبيع الآخر، فكانت ولايتُه شهرين ويومًا [٧]. فاسْتَخْلَف أَرْجوز [a] بن أُولُغ طَرْخان

a) بولاق: أرجور وعند الكندي: أزجور.

[١] الكندي: ولاة مصر ٢٣٠. [٢] نفسه ٢٣١. [٣] نفسه ٢٣٣. [٤] نفسه ٢٣٤. [٥] نفسه ٢٣٤، ٢٣٥.
[٦] نفسه ٢٣٦-٢٣٧. [٧] نفسه ٢٣٧.

التــركي على الصَّلاة، فوَلِيَ خمسة أشهر ونصفًا. وخَرَجَ أوَّل ذي القعدة بعد أن صُرِفَ بأحمد بن طُولون في شهر رمَضَان سنة أربعٍ وخمسين ومائتين[١].

وإليه كان أَمْرُ البَلَد جَميعِه من أيَّام مُزاحِم، وفي أيَّام ابنه أحمد أيضًا، والله أَعْلَم.

ذِكْرُ القَطائِع ودَوْلَة بَني طُولُون

اعْلَم أنَّ «القَطَــائِعَ» قد زالَت آثارُها، ولم يَبْق لها رَسْمٌ يُعْرَف. وكان مَوْضِعُها من قُبَّة الهَوَاء - التي صَارَ مَكانَها قَلْعَةُ الجَبَل - إلى جامِع ابن طُولون، وهذا أَشْبَه أن يكون طُول القَطائِع. وأمَّا عَرْضُها فإنَّه من أوَّل الرُّمَيْلَة تحت القَلْعَة إلى المَوْضِع الذي يُعْرَف اليوم بالأرض الصَّفْراء عند مَشْهَد الرَّأْس الذي يُقال له الآن زَيْن العابِدين[٢].

وكانت مِساحَةُ القَطائِع ميلًا في ميل، فقُبَّةُ الهَواء كانت في سَطْح الجُرْف الذي عليه قَلْعَةُ الجَبَل، وتحت قُبَّة الهَوَاء قَصْرُ ابن طُولُون، ومَوْضع هذا القَصْر المَيْدانُ السُّلْطاني تحت القَلْعَة، والرُّمَيْلَةُ التي تحت القَلْعَة مكان سُوق الخَيْل والحَمير والجِمال كانت بُسْتانًا، ويُجاورها المَيْدانُ، في المَوْضِع الذي يُعْرَف اليوم بالقُبَيْبات، فيصير المَيْدانُ فيما بين القَصْر والجامِع الذي أنشأه أحمد ابن طُولون. وبحِذاء الجامِع دارُ الإمارَة في جِهَتِه القِبْلية، ولها بابٌ من جِدار الجامِع يُخْرَج منه إلى المَقْصورَة المحيطة بمُصَلَّى الأمير إلى جوار المِحْراب. وهناك أيضًا دارُ الحَرَم.

والقَطائِعُ عِدَّةُ قِطَع تَسْكُن فيها عَبيدُ ابن طُولون وعساكِرُه وغِلْمانُه، وكلُّ قَطيعَة لطائِفَة. فيُقالُ قَطيعَةُ السُّودان، وقَطيعَةُ الرُّوم، وقَطيعَةُ الفَرَّاشين، ونحو ذلك، فكانَت كلُّ قَطيعَةٍ لسُكْنَى جَماعَةٍ بمنزلة الحارات التي بالقاهِرَة[٣].

وكان ابتداءُ عِمارَة هذه القَطائِع وسَبَبُها أنَّ أَميرَ المؤمنين المُعْتَصِم بالله، أبا إسحاق محمد بن هارون الرَّشيد، لمَّا اخْتَصَّ بالأتراك، ووَضَعَ من العَرَب وأَخْرَجهم من الدِّيوان وأَسْقَطَ أَسْماءَهم

---

[١] الكندي: ولاة مصر ٢٣٨.

[٢] أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ١٤.

[٣] نفسه ٣: ١٥؛ ابن دقماق: الانتصار ٤: ١٢١-١٢٢؛ وعن تاريخ مدينة القطائع، العاصمة الإسلامية الثالثة في مصر، انظر Salmon, G., *Étude sur la topographie du Caire: la Kal'at al-Kabch et la Birkat al-Fîl*, Le Caire 1902; Hassan, Z.M., *Les Tulunides*, pp. 288-92؛ زكي محمد حسن: الفن الإسلامي في مصر، القاهرة ١٩٣٧؛ فريد شافعي: العمارة العربية في مصر الإسلامية (عصر الولاة)، القاهرة ١٩٧٠؛ Fu'âd Sayyid, A., *La Capitale de l'Égypte*, pp. 34-36.

ومَنَعَهم العَطَاء ، وجَعَلَ الأَتْرَاكَ أنْصَارَ دولته وأعْلام دَعْوَته ؛ كان مَنْ عَظُمَت عنده مَنْزِلَتُه ، قَلَّدَه الأعمالَ الجَلِيلَة الخارجة عن الحَضْرَة ، فيَسْتَخْلِف على ذلك العَمَل الذي تَقَلَّده مَنْ يقوم بأَمْره ، ويحمل إليه مالَه ، ويُدْعى له على منابِره كما يُدْعى للخَليفَة . وكانت مصر عندهم بهذه السَّبيل .

وقَصَدَ المُعْتَصِمُ ومَنْ بَعْده من الخُلَفاء بذلك العَمَل مع الأتراك ، مُحاكاة ما فَعَلَه الرَّشيدُ بعبد الملك بن صَالِح ، والمأمُون بطاهِر بن الحُسَيْنْ ؛ ففَعَلَ المُعْتَصِمُ مثل ذلك بالأَتْراك ، فقَلَّد أُشْناسَ ، وقَلَّدَ الواثِق إيتاخ ، وقَلَّد المُتَوَكِّل بُغَا[a] ووَصيف ، وقَلَّد المُهْتَدي يارْجُوخ[b] ، وغير من ذكرناه من أَعْمال الأقاليم ما قد تَضَمَّنته كُتُب التاريخ [١].

فتَقَلَّد باكْبَـاك مصر ، وطَلَبَ من يَخْلُفُه عليها ؛ وكان أحمدُ بن طُولون قد ماتَ أبوه في سنة أربعين ومائتين ، ولأَحْمَد عشرون سنة منذ وُلِدَ من جارِية كانت تُدْعَى قاسِم ، وكان مَوْلِدُه في سنة عشرين ومائتين ، ووَلَدَت أيضًا أَخاه مُوسَى وحَبَشِيَّة وسُمانَة .

وكان طُولونُ من الطُّغُزْغُزّ [٢] ممَّا حَمَلَه نُوحُ بن أَسَد عامِلُ بُخارَىٰ إلى المأمون ـ فيما كان مُوَظَّفًا عليه ـ من المال والرَّقيق والبَرَاذين وغير ذلك في كلِّ سنة ، وذلك في سنة مائتين [٣].

فنَشَأَ أحمد بن طُولون نَشْأً جميلًا غير نَشْء أوْلاد العَجَم ، فوُصِفَ بعُلُوّ الهِمَّة ، وحُسْن الأَدَب ، والذَّهاب بنَفْسه عما كان يَتَرامَى إليه أهْلُ طَبَقَتِه ، وطَلَبَ الحَدِيث ، وأَحَبَّ الغَزْو ،
٣ وخَرَجَ إلى طَرَسُوس/ مَرَّات ، ولقي المُحَدِّثين وسَمِعَ منهم وكَتَبَ العِلْم ، وصَحِبَ الزُّهّاد وأَهْل الوَرَع فتأَدَّب بآدابِهم .

وظَهَرَ فَضْلُه ، فاشْتَهَر عند الأَوْلياء ، وتَمَيَّزَ على الأتراك ، وصارَ في عِداد من يُوثَق به ، ويُؤْتَمَن على الأموال والأَسْرار فزَوَّجَه يارْجوخ[b] ابنته ، وهي أمّ ابنه العَبّاس وابنته فاطِمَة . ثم إنَّه سأل

a) بولاق : نقا . b) بولاق : ماجور .

[١] هذا نوع من الإقطاع الإداري يعود إلى الفترة التي استولى فيها الأتراك على السلطة في سامرّاء، وبلغ هذا الإقطاع الإداري ذروته في عهدي المعتمد والموفق طلحة ، وقد أتاح هذا النظام للوالي أن يستغل عائد ولايته لدفع مرتبات رجاله في مقابل مبلغ متفق عليه يدفع مقدمًا إلى بيت المال المركزي (Fu'âd Sayyid, A., *La Capitale de l'Égypte*, p. 35) .

[٢] الطُّغُزْغُز . مصطلح استخدمه المؤرخون المسلمون للتدليل على جنس الأوغور حتى نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي (انظر المسعودي : التنبيه والإشراف ٨٣؛ Golden, P.B., *EI*² art. *Toghuzghuz* (X, pp. 596-98) .

[٣] نقلًا عن ابن الداية مصدر ابن سعيد : المغرب (قسم مصر) ٧٣؛ أبو المحاسن : النجوم ٣: ٣.

الوَزِير عبيد الله بن يحيى أن يَكْتُب له برِزْقه على الثَّغْر ، فأجابَه ، وخَرَجَ إلى طَرَسُوس فأقامَ بها ، وشَقَّ على أُمِّه مُفارَقَته ، فكاتَبَتْه بما أَقْلَقَه .

فلمَّا قَفَلَ النَّاسُ إلى سُرَّ مَنْ رَأَى ، سارَ معهم[a] إلى لِقاء أمه ، وكان في القافِلَة نحو خمس مائة رجل ، والخَلِيفَةُ إذ ذاك المُسْتَعِين بالله أحمد بن المُعْتَصِم ، وكان قد أَنْفَذَ خادِمًا إلى بلاد الرُّوم لعمل أشياءَ نَفِيسة ، فلمَّا عادَ بها ـ وهي وقر بغل ـ إلى طَرَسُوس ، خَرَجَ مع القافِلَة . وكان من رَسْم الغُزاة أن يسيروا مُتَفَرِّقين ، فطَرَقَ الأَعْرابُ بعض سَوادِهم ، وجاءَ الصَّائِح ، فبَدَرَ أحمد بن طُولون لِقِتالِهم وتبعوه ، فوَضَعَ السَّيْفَ في الأَعْراب ، ورَمَى بنفسه فيهم حتى اسْتَنْقَذَ منهم جَمِيعَ ما أَخَذُوه وفَرُّوا منه . وكان من جُمْلَة ما اسْتَنْقَذَ من الأَعْراب البَغْل المُحَمَّل بمَتاع الخَلِيفَة ، فعَظُمَ أحمد بما فَعَلَ عند الخادِم ، وكَبُرَ في أَعْيُن القافِلَة .

فلمَّا وَصَلوا إلى العراق ، وشاهَدَ المُسْتَعين ما أَحْضَرَه الخادِم أُعْجِبَ به ، وعَرَّفَه الخادِم خُروج الأَعْراب وأَخْذهم البَغْل بما عليه ، وما كان من صُنْع أحمد بن طُولون ، فأَمَرَ له بألف دينار ، وسَلَّم عليه مع الخادِم ، وأَمَرَه أن يُعَرِّفَه به إذا دَخَلَ مع المسلمين ، ففَعَلَ ذلك . وتوالَت عليه صِلاتُ الخَلِيفَة حتى حَسُنَت حالُه ، ووَهَبَه جاريةً اسمها مَيَّاس اسْتَوْلَدَها ابنه خُمارَوَيْه في النصف من المحرَّم سنة خمسين ومائتين .

فلمَّا خُلِعَ المُسْتَعِينُ ، وبُويعَ المُعْتَزّ ، أُخْرِج بالمُسْتَعين إلى واسِط ، واختار الأتراكُ أحمد بن طُولون أن يكون معه ، فسَلَّم إليه ومَضَى به ، فأحسن عِشْرَته ، وأَطْلَق له التَّنَزُّه والصَّيْد ، وخَشِي أن يَلْحَقَه منه احْتِشام ، فأَلْزَمَه كاتِبه أحمد بن محمد الواسِطي ، وهو إذْ ذاك غُلامٌ حَسَن الشاهِد حاضِر النادِرَة ، فأَنِسَ به المُسْتَعين .

ثم إنَّ قَبيحَة[b] أُمّ المُعْتَزّ كَتَبَت إلى أحمد بن طُولون بقَتْل المُسْتَعين وقَلَّدَته واسِطَ ، فامْتَنَع من ذلك ، وكَتَبَ إلى الأتراك يُخْبِرهم بأنَّه لا يَقْتُل خَليفَةً له في رَقَبَتِه بَيْعَة . فزادَ مَحَلُّه عند الأَتْراك بذلك ، ووَجَّهُوا سَعيدًا الحاجِب ، وكَتَبُوا إلى ابن طُولون بتَسْليم المُسْتَعين له ، فتَسَلَّمَه منه وقَتَلَه ، وواراه ابن طُولون ، وعادَ إلى سُرَّ مَنْ رَأَى ، وقد تَقَلَّد باكْباك مصر وطَلَبَ مَنْ يُوَجِّهه إليها ، فذُكِرَ له أحمد بن طُولون ، فقَلَّدَه خِلافَته ، وضَمَّ إليه جَيْشًا .

وسارَ إلى مصر ، فدَخَلَها يوم الأربعاء لسبعٍ بقين من شهر رَمَضان سنة أربعٍ وخمسين ومائتين ، مُتَقَلِّدًا للقَصَبَة دون غيرها من الأعمال الخارِجَة عنها كالإسْكَنْدَرية ونحوها . ودَخَلَ معه أحمد

---

a) آياصوفيا : وكاتبته بما فعل الناس إلى سر من رأى سار معهم. b) بولاق : فتيحة .

ابن محمد الواسِطيّ . وجَلَسَ النَّاسُ لرُؤْيَته ، فسأل بعضُهم غُلامَ أبي قبيل صاحِب الملاحِم ـ وكان مَكْفوفًا ـ عمَّا يَجِده في كُتُبهم . فقال : هذا رَجُلٌ نَجِد صِفَتَه كذا وكذا ، وأنَّه يَتَقَلَّد المُلْك هو ووَلَدُه قَريبًا من أربعين سنة . فما تَمَّ كلامَه حتى أَقْبَل أحمد بن طُولون ، وإذا هو على النَّعْت الذي قال .

[الدَّوْلَةُ الطُّولونيَّة][1]

ولمَّا تَسَلَّم أحمدُ بن طولون مصر ، كان على الخَراج أحمد بن محمد بن المُدَبِّر ـ وهو من دُهاة النَّاس وشَيَاطين الكُتَّاب ـ فأَهْدَى إلى أحمد بن طُولون هَدايا قيمتها عشرة آلاف دينار ، بعد ما خَرَجَ إلى لِقائِه هو وشُقَيْر الخادِم ، غُلام قَبيحة[a] أمّ المُعْتَزّ ، وهو يَتَقَلَّد البَريد . فرأَى ابنُ طُولون بين يديِ ابن المُدَبِّر مائة غُلام من الغُور ، قد انْتَخَبَهم وصَيَّرَهم عُدَّة وجمالا ، وكان لهم خَلْقٌ حَسَن وطُولُ أَجْسام وبأْسٌ شَديد ، وعليهم أَقْبِيَة ومَناطِق ثِقال عِراض ، وبأيديهم مَقارِع غِلاظ على طَرَفِ كلٍّ مِقْرَعَة مِقْمَعَة من فِضَّة ، وكانوا يقفون بين يديه في حافتي مَجْلِسه إذا جَلَسَ ، فإذا رَكِبَ رَكِبوا بين يديه ، فيصير له بهم هَيْبَة عَظيمَة في صُدور النَّاس .

فلمَّا بَعَثَ ابن المُدَبِّر بهَديَّته إلى ابن طُولون رَدَّها عليه ، فقال ابن المُدَبِّر : إنَّ هذه لهِمَّة عَظيمَة ، من كانت هذه هِمَّتُه لا يُؤْمَن على طَرَفٍ من الأطراف . فخافَه وكَرِه مُقامَه بمصر معه ، وسارَ إلى شُقَيْر الخادِم صاحِب البَريد ، واتَّفَقا على مُكاتَبَة الخَليفَة بإزالة ابن طُولون .

---

a) بولاق : فتيحة .

---

[1] عن تاريخ الدولة الطولونية ، وهي أوَّل الدول المستقلَّة في مصر الإسلامية ، راجع ، إضافة إلى كتابي «سيرة أحمد ابن طولون» للبَلَوي و«المُغْرب في حُلَى المَغْرب» (قسم مصر) لابن سعيد المغربي ، ابن ظافر الأزدي : أخبار الدول المنقطعة ، نشرة علي محمد عمر ، ٦٥- ٧٢؛ النويري : نهاية الأرب ١١:٢٨ - ٣٦؛ ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر وجامع الغرر ٥:٢٦٨- ٢٧٢، ٣١٨- ٣٢١؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٣:١- ١٤٣؛ Hassan, Z.M., *Les Tulunides. Étude de l'Égypte musulmane à la fin du IX^e siècle 868-905*, Paris 1933; Grabar, O., *The Coinage of the Tulunids*, New York 1957؛ سيدة إسماعيل كاشف وحسن أحمد محمود : مصر في عصر الطولونيين والإخشيديين ، القاهرة ١٩٦٠؛ حسن أحمد محمود : حضارة مصر الإسلامية في العصر الطولوني ، القاهرة د.ت ؛ Gordon, M.S., *EI*[2] art. *Tulunides* X, pp. 662-65; Bianquis, Th., «Autonomous Egypt from Ibn Tûlûn to Kâfûr 868-969», *The Cambridge History of Egypt*, pp. 86-119، وانظر فيما يلي ٩٦.

فلم يكن غير أيَّام حتى بَعَثَ ابن طُولون إلى ابن المُدَبِّر يقول له : قد كُنْتَ ـ أَعَزَّكَ الله ـ أَهْدَيْت لنا هَدِيَّةً وَقَعَ الغِنَى عنها ، ولم يجز أن يغتنم مالُكَ ـ كَثَّره الله ـ فرَدَدْناها[a] توفيرًا عليك ، ونُحِبُّ أن تَجْعَل العِوَض منها الغِلْمان الذين رأيتهم بين يديك ، فأنا إليهم أَحْوَج منك . فقال ابنُ المُدَبِّر لمَّا بَلَغَتْه الرِّسالَة : هذه أُخرى أَعْظَم ممَّا تقدَّم قد ظَهَرَت من هذا الرجُل ، إذ كان يَرُدّ الأَعْراض والأَمْوال ، ويَسْتَهدي الرِّجال ويُثابِر عليهم ، ولم يجد بُدًّا من أن بَعَثَهم إليه . فتَحَوَّلَت هَيْبَةُ ابن المُدَبِّر إلى ابن طُولون ، ونَقَصَت مَهابَةُ ابن المُدَبِّر بمُفارَقَة الغِلْمان مَجْلِسَه . فكَتَبَ ابنُ المُدَبِّر فيه إلى الحَضْرَة يُغْري به ويُحَرِّض على عَزْله ، فبَلَغَ ذلك ابن طُولون فكَتَمَ في نفسه ولم يُبْده.

واتَّفَق مَوْتُ المُعْتَزّ في رَجَب سنة خمسٍ وخمسين ، وقِيام المُهْتَدي بالله محمد بن الواثِق ، وقَتْل باكْباك ورَدّ جميع ما كان بيده إلى يارجُوخ[b] التركي ، حَمُو ابن طُولون ، فكَتَبَ إليه : «تَسَلَّم من نَفْسِك لنَفْسِك» ، وزادَه الأعمال الخارِجَة عن قَصَبَة مصر ، وكَتَبَ إلى إسحاق بن دينَار وهو يتقلَّد الإسْكَنْدَرية / أن يُسَلِّمها لأحمد بن طُولون . فعَظُمَت لذلك مَنْزِلَتُه ، وكَثُر قَلَقُ ابن المُدَبِّر وغَمُّه ، ودَعَتْه ضَرورَةُ الخَوْف من ابن طُولون إلى مُلاطَفَته والتقرُّب من خاطِره . وخَرَجَ ابن طُولون إلى الإسْكَنْدَرية ، وتسَلَّمَها من إسحاق بن دينار ، وأَقَرَّه عليها .

وكان[c] عيسىٰ بن شَيْخ الشَّيْباني يتقلَّد جُنْدَيْ فِلَسْطين والأُرْدُنّ ، فلمَّا ماتَ وَثَبَ ابنه على الأعمال واسْتَبَدّ بها ، فبَعَثَ ابن المُدَبِّر سبع مائة ألف وخمسين ألف دينار حَمْلًا من مال مصر إلى بَغْداد ، فقَبَضَ ابن شَيْخ عليها ، وفَرَّقَها في أصْحابِه ، وكانت الأمورُ قد اضْطَرَبت ببَغْداد ، فطَمِعَ ابنُ شَيْخ في التَّغَلُّب على الشَّامات ، وشَيَّع[d] أنَّه يُريدُ مصر . فلمَّا قُتِلَ المُهْدي في رَجَب سنة ستٍّ وخمسين ، وبُويِعَ المُعْتَمِد بالله أحمد بن المُتَوَكِّل ، لم يَدْعُ ابنُ شَيْخ له ، ولا بايَع هو ولا أَصْحابُه فبَعَثَ إليه بتَقْليد أَرْمينية زيادة على ما معه من بلاد الشَّام ، وفَسَحَ له في الاسْتِخْلاف عليها والإقامَة على عَمَلِه ، فدعَا حينئذٍ للمُعْتَمِد . وكَتَبَ إلى ابن طُولون أن يتأهَّب لحَرْب ابن شَيْخ ، وأن يَزِيدَ في عُدَّته ، وكَتَبَ لابن المُدَبِّر أن يُطْلِق له من المال ما يُريد[e].

فعَرَضَ ابنُ طُولون الرِّجال ، وأَثْبَتَ مَنْ يَصْلُح ، واشترى العَبيد من الرُّوم والسُّودان ، وعَمِل سائِر ما يُحْتاج إليه ، وخَرَجَ في تجمُّل كبير وجَيْشٍ عَظيم ، وبَعَثَ إلى ابن شَيْخ يدْعوه إلى طاعَة

a) بولاق : فرددتها. b) بولاق : ماجور. c) تضيف النسخ هنا : أحمد بن قبل عيسى بن شيخ وهو خلط والنص موجود عند الكندي وابن سعيد. d) بولاق : أشيع. e) بولاق : يريده.

الخَلِيفَة ، ورَدّ ما أَخَذَ من المال ، فأجابَ بجوابٍ قَبيح . فسارَ لستٌّ خَلَوْن من جُمادَى الآخرة ، واسْتَخْلَفَ أخاه مُوسَىٰ بن طُولون على مصر ، ثم رَجَع من الطَّريق بِكِتابٍ وَرَدَ عليه من العِراق ، ودَخَلَ الفُسْطاط في شَعْبان [1] .

وقَدِمَ من العراق أماجُور[a)][2] التركي لمُحارَبَة ابن شَيْخ ، فلقيه أصحابُ ابن شَيْخ وعليهم ابنه فانْهَزَموا منه وقُتِلَ الابن ، واسْتَوْلى أماجور على دِمَشْق ، ولَحِقَ ابن شَيْخ بنواحي أَرْمينية ، وتَقَلَّد أماجُور[a)] أعْمالَ الشَّام كلَّه .

وصارَ أحمدُ بن طُولون ، من كَثْرَة العَبيد والرِّجال والآلات بحالٍ يضيق به داره ولا يَتَّسِع له ، فرَكِبَ إلى سَفْح الجَبَل في شَعْبان وأَمَرَ بحَرْث قُبور اليَهود والنَّصارَى ، واخْتَطَّ مَوْضعها ، فبَنَى القَصْر والمَيْدان ، وتقدَّم إلى أصْحابه وغِلْمانه وأَتْباعِه أن يَخْتَطُّوا لأنفسِهِم حَوْلَه ، فاخْتَطُّوا وبَنَوْا حتى اتَّصَل البناءُ بعمارة الفُسْطاط [3] . ثم قُطِّعَت القَطائِعُ ، وسُمِّيَت كلُّ قَطيعَة باسم من سَكَنَها : فكانت للنُّوبَة قَطيعَةٌ[b)] مفردة تُعْرَف بهم ، وللرُّوم قَطيعَةٌ[b)] مُفْرَدَة تُعْرَف بهم ، وللفَرَّاشينَ قَطيعَةٌ[b)] مفردة تُعْرَف بهم ، ولكلِّ صِنْفٍ من الغِلْمان قَطيعَةٌ[b)] مُفْرَدَة تُعْرَف بهم . وبَنَى القُوَّادُ مَواضِعَ مُتَفَرِّقَة ، فعَمُرَت القَطائِع عِمارَة حَسَنَة ، وتفرَّقَت فيها السِّكَك والأَزِقَّة ، وبُنِيَت فيها المَساجِد الحِسان والطَّواحين والحَمَّامات والأَفْران [4] .

وسُمِّيَت أَسْواقُها : فقيل سُوقُ العَيَّارين وكان يجمع العَطَّارين والبَزَّازين ، وسُوقُ الفَامِيِّين ويَجْمَع الجَزَّارين والبَقَّالين والشَّوَّائين ، فكان في دَكاكين الفَامِيِّين جميع ما في دَكاكين نُظَرائِهم في المَدينَة وأَكْثَر وأَحْسَن ، وسُوقُ الطَّبَّاخين ويجمع الصَّيارِف والخَبَّازين والحَلْوانِيِّين ، ولكلٍّ من

---

a) النسخ وكذلك الكندي : ماجور والصواب ما أثبته . b) آياصوفيا وفييت : قطعة ، وقد فضّلت إثبات رواية بولاق ورواية النجوم الزاهرة .

---

[1] الكندي : ولاة مصر ٢٤١- ٢٤٢.

[2] وَرَدَ هذا الاسم بصيغة خاطئة في جميع مخطوطات الكتاب : ماجور ، ماخور (فيما يلي ٢: ١٧٩، ١٨٠) كما لم يصوبه فييت . وصواب اسمه أماجور كما ورد على المصحف الذي وَقَفَه في سنة ٢٦٢هـ على أحد مساجد مدينة صور . وكان أماجور التركي هو والي دمشق العباسي بين سنتي ٢٥٦-٢٦٤هـ/٨٧٠-٨٧٨م . (الصفدي : الوافي بالوفيات ٩: ٣٧٥- ٣٧٦؛ Déroche, F., «The Qur'ân of Amâgûr», *MME* V (1990-91), pp. 59-66) .

[3] أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٣: ١٥؛ ابن دقماق : الانتصار ٤: ١٢١ (عن القضاعي) .

[4] نفسه ٣: ١٥ عن القضاعي .

الباعَة سُوقٌ حَسَنٌ عامِرٌ نبيلٌ[a]. فصارَت «القَطائِعُ» مَدينَةً كبيرةً أَعْمَر من أكبر مُدُن الشَّام وأحْسَن[b].

وبَنَى ابن طُولون قَصْرَه ووَسَّعَه وحَسَّنَه، وجَعَلَ له مَيْدانًا كبيرًا يَضْرب فيه بالصَّوالجَة، فسُمِّي القصرُ كلُّه المَيْدان، وكان كلُّ من أراد الخُروج من صَغيرٍ وكَبيرٍ إذا سُئِلَ عن ذَهابه يقول: «إلى المَيْدان».

وعَمِلَ للمَيْدان أبوابًا لكلِّ بابٍ اسم، وهي: بابُ المَيْدان ومنه كان يَدْخُل ويَخْرج مُعْظَم الجَيْش، وباب الصَّوالجَة، وباب الخاصَّة ولا يدخل منه إلَّا خاصَّةُ ابن طُولون، وباب الجَبَل لأنَّه ممَّا يلي جَبَل المُقَطَّم، وبابُ الحُرَم ولا يَدْخُل منه إلَّا خادِمٌ خَصِيٌّ أو حُرْمَة، وباب الدَّرْمون لأنَّه كان يَجْلِس عنده حاجِبٌ أَسْوَد عَظيم الخِلْقَة يتقلَّد جِنايات الغلمان السُّودان الرَّجَّالة فقط، يُقالُ له الدَّرْمون، وباب دَعْنَاج لأنَّه كان يَجْلِس عنده حاجِبٌ يقال له دَعْنَاج، وبابُ السَّاج لأنَّه عُمِلَ من خَشَب السَّاج، وبابُ الصَّلاة لأنَّه كان في الشَّارِع الأَعْظَم ومنه يُتَوَصَّل إلى جامِع ابن طُولون، وعُرِفَ هذا البابُ أيضًا بباب السِّباع لأنَّه كان عليه صورَة سَبُعَيْن من جِبْس[1].

وكان الطَّريقُ الذي يَخْرُج منه ابن طُولون ـ وهو الذي يَخْرُج منه إلى القصر ـ طَريقًا واسِعًا، فقَطَعَه بحائِط، وعَمِلَ فيه ثلاثة أبواب كأكبر ما يكون من الأبْواب، وكانت مُتَّصِلَة بعضُها ببعضٍ واحِدًا بجانِب الآخر. فكان[c] ابنُ طُولون إذا رَكِبَ يَخْرُج معه عَسْكَرٌ مُتَكاثِفُ الخُروج على ترتيبٍ حَسَن بغير زَحْمَة، ثم يَخْرُج ابن طُولون من الباب الأَوْسَط من الأبواب الثلاثة بمُفْرَده من غير أن يَخْتَلط به أحَدٌ من الناس.

وكانت الأبوابُ المذكورة تُفْتَح كلُّها في يوم العيد، أو يوم عَرْض الجَيْش، أو يوم صَدَقَة، وما عَدا هذه الأيام لا تُفْتَح إلَّا بترتيبٍ في أوقاتٍ معروفة[2].

وكان القَصْرُ له مَجْلِسٌ يُشْرِف منه ابن طُولون يوم العَرْض ويوم الصَّدَقَة لينظر من أعلاه من يَدْخُل ويَخْرُج. وكان الناسُ يَدْخُلون من باب الصَّوالجَة، ويخرجون من باب السِّباع. وكان

---

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: أعمر وأحسن من الشام. c) بولاق: وكان.

---

[1] أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ٢١٦، وانظر كذلك الشارع الأعظم بالقاهرة فيما يلي ٢٤٤ وامتداده إلى الفسطاط فيما يلي ٥٧٥.

[2] نفسه ٣: ١٦.

على باب السِّباع مَجلِسٌ يُشْرِف منه ابن طُولون لَيْلَة العيد على القَطائِع ، ليرى حَرَكات الغِلْمان وتأهُّبهم وتَصرُّفهم في حَوائِجهم ، فإذا رأى في حالِ أحَدٍ منهم نَقْصًا أو خَلَلًا ، أمَرَ له بما يَتَّسع به ويَزِيد في تَجَمُّله ؛ وكان يُشْرِف منه أيضًا/ على البحر ، وعلى باب مَدينَة الفُسْطاط وما يلي ذلك ؛ فكان متنزَّهًا حَسَنًا .

وبَنَى الجامِعَ فعُرِفَ بالجامِع الجَديد ، وبَنَى العَيْنَ والسِّقايَة بالمَعافِر ، وبَنَى تَنُّور فِرْعَوْن فوق الجَبَل . واتَّسعَت أحوالُه ، وكَثُرَت إسْطَبْلاتُه وكِراعُه ، وعَظُم صيتُه ، فخافَه أماجور[a] ، وكَتَبَ فيه إلى الحَضْرَةِ يُغْرِي به ، وكَتَبَ فيه ابن المُدَبِّر وشُقَيْر الخادِم .

وكانت لابن طُولون أَعْيُنٌ وأصْحابُ أخبار يُطالِعُونه بسائِرِ ما يَحْدُث ؛ فلمَّا بَلَغَه ذلك ، تلطَّف أصحابُ الأخبار له ببَغْداد عند الوَزير ، حتى سَيَّر إلى ابن طُولون بكُتُب ابن المُدَبِّر وكُتُب شُقَيْر من غير أن يَعْلَما بذلك ، فإذا فيها «إنَّ أحمدَ بن طُولون عَزَم على التَّغَلُّب على مِصْر والعِصْيان بها» . فكَتَمَ خَبَرَ الكُتُب ، ومازال بشُقَيْر حتى ماتَ ، وكَتَبَ إلى الحَضْرَة يسأل صَرْفَ ابن المُدَبِّر عن الخَراج وتَقْليد هِلال ، فأُجيبَ إلى ذلك ، وقَبَضَ على ابن المُدَبِّر وحَبَسَه ، وكانت له معه أُمورٌ آلَت إلى خُروج ابن المُدَبِّر عن مصر .

وتقلَّدَ ابن طُولون خَراجَ مصر مع المَعُونَة والثُّغور الشَّامية ، فأَسْقَط «المَعاوِن والمَرافِق»[1] ـ وكانت بمصر خاصَّة في كلِّ سنة مائة ألف دينار ـ فأَظْفَرَه الله عَقيبَ ذلك بكَنْزٍ فيه ألف ألف دينار بَنَى منه المارِسْتان[2] .

وخَرَجَ إلى الشَّام وقد تَقَلَّدَها ، فتَسَلَّم دِمَشْق وحِمْص ، ونازَل أَنْطاكية حتى أَخَذَها .

وكانت صَدَقاتُه على أهل المَسْكَنَة والسِّتْر وعلى الضُّعفاء والفُقَراء وأهل التَّجَمُّل مُتواتِرَة ، وكان راتِبُه لذلك في كلِّ شهر ألفيْ دينار سوى ما يَطْرَأ عليه من النُّذور وصَدَقات الشُّكْر على تَجْديد النِّعَم ، وسوى مَطابِخه التي أُقيمَت في كلِّ يومٍ للصَّدَقات في دارِه وغيرها ، يَذْبَح فيها البَقر والكِباش ، ويَغْرِف للناس في القُدور الفَخَّار والقِصاع ، على كلِّ قِدْرٍ أو قَصْعَة لكلِّ مسكين أربعة أَرْغِفَة ، في اثنين منها فالُوذَج ، والاثنان الآخران على القِدْر . وكانت تُعْمَل في داره ويُنادى : من

---

a) بولاق : ماجور .

---

[1] عن «المعاون والمرافق» انظر فيما تقدم ١: ٢٧٩.

[2] انظر خبر الكنز فيما يلي ٢: ٢٦٦- ٢٦٧.

أَحَبَّ أن يَحْضُرَ دار الأمير فليحْضُر. وتُفْتَحُ الأبوابُ، ويَدْخُل النَّاس المَيْدان وابن طُولون في المجْلِس الذي تقدَّم ذكره ينظُر إلى المساكين، ويتأمَّل فَرَحهم بما يأكلون ويَحْملون، فيَسُرّه ذلك ويَحْمَد الله على نِعْمَته [1].

ولقد قال له مَرَّةً إبراهيم بن قَراطَغان، وكان على صَدَقاته: أَيَّدَ الله الأمير، إنَّا نَقِف في المواضِع التي تُفَرَّق فيها الصَّدَقة، فتَخْرُج لنا الكَفُّ الناعِمَة المَخْضُوبَة نَقْشًا، والمِعْصَم الرائِع فيه الحَديدَة، والكَفُّ فيها الخاتَم. فقال: يا هذا، كلُّ من مَدَّ إليك يده فأَعْطِه، فهذه هي اللطيفة المستورة التي ذَكَرَها الله سبحانه وتعالى في كِتابه فقال: ﴿يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ [الآية ٢٧٣ سورة البقرة]، فاحْذَر أن تَرُدَّ يدًا امتدَّت إليك، وأَعْطِ كل من يَطْلُب منك.

فلمَّا ماتَ أحمدُ بن طُولون، وقامَ من بعده ابنُه خُمارَوَيْه، أقبل على [عمارة][a] قَصْر أبيه وزادَ فيه، وأَخَذَ المَيْدَان الذي كان لأبيه فجعَلَه كلَّه بُسْتانًا، وزَرَع فيه أنْواع الرَّيَاحين وأصناف الشَّجَر، ونَقَلَ إليه الوَدْى اللطيف الذي يَنالُ ثَمَرَه القائِمُ، ومنه ما يَتَناوَله الجالِسُ من أصْناف خِيار النَّخْل، وحَمَل إليه كلَّ صِنْف من الشجر المُطَعَّم العَجيب وأنواع الوَرْد، وزَرَعَ فيه الزَّعْفَران؛ وكَسَا أجسامَ النَّخْل نُحاسًا مُذَهَّبًا حَسَن الصَّنْعَة، وجَعَل بين النُّحاس وأَجْساد النَّخْل مَزاريب الرَّصاص، وأَجْرَى فيها الماء المدبَّر، فكان يخرج من تَضاعيفِ قائِم النَّخْل عُيونُ الماء؛ فتَنْحَدِر إلى فَساقِيَ مَعْمولة، ويفيضُ منها الماءُ إلى مَجارٍ تَسْقي سائِرَ البُسْتان. وغَرَس فيه من الرَّيْحان المزروع على نُقُوشٍ معمولة وكِتاباتٍ مكتوبة، يتعاهدُها البُسْتانيُّ بالمِقْراض حتى لا تَزيدَ وَرَقَةٌ على وَرَقَة، وزَرَعَ فيه النَّيلوفَر الأحمر والأزرق والأصفر والخَيْري[b] العَجيب، وأُهْدي إليه من خُراسان وغيرها كلُّ أَصْل عَجيب، وطَعموا له شَجَر المشمش باللَّوْز، وأشْباه ذلك من كلِّ ما يُسْتَطْرَف ويُسْتَحْسَن [2].

وبَنَى فيه بُرْجًا من خَشَبِ السَّاج المَنقوش بالنقرِ النافِذ [وطَعَّمَهُ][a] ليقوم مقام الأَقْفاص، وزَوَّقَه بأصناف الأَصْبَاغ، وبَلَّطَ أرضَه، وجَعَلَ في تضاعِيفه أنهارًا لِطافًا، جَداولُها يجري فيها الماءُ مدبرًا من السَّواقي التي تَدور على الآبار العَذْبَة، ويُسْقَّي منها الأشجار وغيرها.

---

a) زيادة من النجوم الزاهرة. b) بولاق: الجنوي.

---

[1] أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ١٧.

[2] أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ٥٣- ٥٤.

ومَرَجَ[a] في هذا البُرْج من أصناف القَمارِي والدَّباسيّ والنُّوبِيّات[b] وكلِّ طائِر مُسْتَحْسَن حَسَن الصَّوْت، فكانت الطُّيُرُ تَشْرَب وتَغْتَسِل من تلك الأنهار الجارية في البُرْج، وجَعَلَ فيه أوْكارًا في قَوادِيس لطِيفَة ممكنة في جَوْف الحيطان لتُفْرِخ الطُّيورُ فيها، وعارَض لها فيه عيدانًا مُمَكَّنة في جَوانِبِه لتقف عليها إذا تَطايَرَت حتى يُجاوِبَ بعضُها بعضًا بالصِّياح، وسَرَّح في البُسْتان من الطَّيْر العجيب، كالطَّواويس ودَجاج الحَبَش ونحوها، شيئًا كثيرًا[1].

وعَمِلَ في داره مَجْلِسًا بِرواقه سَمَّاه «بَيْتَ الذَّهَب»[c]، طَلَى حيطانَه كلّها بالذَّهَب المجاول باللَّازَوَرْد، المعمول في أحسن نَقْش وأَظْرَف تفصيل، وجَعَلَ فيه ـ على مِقْدار قامَة ونصف ـ صُوَرًا في حيطانه بارِزَة من خَشَب معمول على صُورَته وصُور حظاياه والمُغَنِّيات اللاتي تُغَنِّينه، بأَحْسَن تَصْوير وأَبْهَج تَزْويق، وجَعَلَ على رُؤوسهنّ الأكاليلَ من الذَّهَب الخالِص الإبْريز الرَّزين، والكَوادِن المرصَّعة بأصناف الجَواهِر، وفي آذانِها الأَخْراص[d] الثِّقال الوَزْن المحكمة الصَّنْعَة، وهي
٣١ مُسَمَّرة في الحيطان، ولُوِّنَت/ أجسامُها بأَصْنافِ أشباه الثِّياب من الأَصْباغ العَجيبةِ، فكان هذا البَيْتُ من أعجب مباني الدنيا[e][2].

وجَعَلَ بين يديْ هذا البَيْت[f] «فَسْقِيَّة» مُقَدَّرَة، وملأها زِئْبَقًا؛ وذلك أنَّه شكا إلى طَبيبِه كثرة السَّهَر، فأشارَ عليه بالتَّغْميز[g]، فأَنِفَ من ذلك وقال: لا أَقْدِر على وَضْع يَد أحَدٍ عليّ؛ فقال له: تَأْمُر بعمل بِرْكَة من الزِّئْبَق، فعَمِل بِرْكَة ـ يُقال إنَّها خمسون ذِراعًا طُولًا في خمسين ذراعًا عَرْضًا ـ ومَلأها من الزِّئْبَق، فأنْفَقَ في ذلك أموالًا عَظيمَة، وجَعَلَ في أركان البِرْكَة سِكَكًا من الفضة الخالِصَة، وجَعَلَ في السِّكَك زَنانير من حَرير محكمة الصَّنْعَة في حِلَق من الفِضَّة، وعَمِلَ فَرْشًا من أَدَم يُحْشَى بالرِّيح حتى ينتفخ فيُحْكَم حينئذٍ شَدُّه، ويُلْقَى على تلك البِرْكَة الزِّئْبَقُ، وتُشَدّ زَنانير الحرير التي في حِلَق الفِضَّة بسِكَك الفِضَّة، وينامُ على هذا الفَرْش، فلا يزال الفَرْش يرتجّ ويتحرَّك بحَرَكَة الزِّئْبَق ما دام عليه.

وكانت هذه البِرْكَةُ من أَعْظَم ما سُمِع به من الهِمَم الملوكية، فكان يُرَى لها في الليالي المقمرة مَنْظَرٌ عَجيبٌ إذا تألَّف نورُ القَمَرِ بنُور الزِّئْبَق. ولقد أقامَ الناسُ بعد خَراب القصر مُدَّةً يَحْفرون

---

a) بولاق: وسرح. b) بولاق: النونيات. c) النجوم الزاهرة: دار الذهب. d) بولاق: الأجراس. e) النجوم الزاهرة: هذا القصر من أعجب ما بني في الدنيا. f) النجوم الزاهرة: القصر. g) النجوم: التكبيس.

---

[1] أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ٥٤. [2] نفسه ٣: ٥٤ـ ٥٥.

لأَخْذ الزِّئْبَق من شُقوق البِرْكَة. وما عُرِفَ مَلِكٌ قَطّ تقدَّم خُمارَوَيْه في عَمَلٍ مثل هذه البِرْكَة [١].

وبَنَى أيضًا في القصر قُبَّةً تُضاهي قُبَّة الهَوَاء سَمَّاها «الدِّكَّة»، فكانت أَحْسَن شيءٍ بَنَى، وجَعَلَ لها السُّتُر التي تَقي الحَرّ والبَرْد، فتُسْدَل[a] إذا شاءَ وتُرْفَع إذا أَحَبَّ، وفَرَشَ أَرْضَهَا بالفُرُش السرية، وعُمِل لكلِّ فَصْلٍ فَرْشًا يليق به. وكان كثيرًا ما يَجْلِسُ في هذه القُبَّة لِيُشْرِف منها على جَميع ما في دارِه من البُسْتان وغيره، ويرى الصَّحْراءَ والنِّيل والجَبَل وجَميع المَدينَة. وبَنَى مَيْدانًا آخر أكبر من مَيْدان أبيه [٢].

وكان أحمدُ بنُ طُولون قد اتَّخَذَ حُجْرَةً بقربه فيها رجالٌ سَمَّاهم بالمُكَبِّرين، عِدَّتهم اثنا عشرَ رجلًا، يبيتُ منهم في كلِّ ليلة أربعة يتعاقبون الليل نُوَبًا، يُكَبِّرون ويُسَبِّحون ويَحْمَدون ويُهَلِّلون، ويقرأون القرآن تَطْريبًا بأَلْحانٍ، ويتوَسَّلون بقَصائِد زُهْدِيَّة، ويُؤَذِّنون أوقاتَ الأَذان [٣].

فلمَّا وَلِيَ خُمارَوَيْه، أَقَرَّهم على حالِهم، وأَجْراهم على رَسْمِهم. وكان يجلس للشُّرْب مع حَظاياه في اللَّيْل وقَيْناتِه تُغَنِّيه، فإذا سَمِعَ أَصْواتَ هؤلاء يَذْكُرون الله والقَدَحُ في يده وَضَعه بالأرض وأَسْكَتَ مُغَنِّياته، وذَكَرَ الله معهم أبدًا حتى يسكُت القَوْم لا يُضْجِره ذلك، ولا يَغيظه أن قَطَعَ عليه ما كان فيه من لَذَّته بالسَّماع.

وبَنَى أيضًا في دارِه دارًا للسِّباع، عَمِلَ فيها بيوتا بآزاج، كلُّ بَيْت يَسع سَبُعًا ولَبُوءَته، وعلى تلك البيوت أبوابٌ تُفْتَح من أعلاها بحَرَكات، ولكلِّ بيتٍ منها طاقٌ صغيرٌ يدخل منه الرجل الموكَّل بخِدْمَة ذلك البيت لفَرْشِه بالرَّمْل[b]، وفي جانِب كل بَيْتٍ حَوْضٌ من رُخام بِميزاب من نُحاس يصبّ فيه الماء. وبين يَدَيْ هذه البُيوت قاعَةٌ[c] فَسيحَةٌ مُتَّسعة، فيها رَمْل مَفْروش بها، وفي جانِبِها حَوْضٌ كبيرٌ من رُخام يُصَبُّ فيه ماءٌ من مِيزابٍ كبير.

فإذا أراد سائِسُ سَبُعٍ من تلك السِّباع تنظيف بَيْتِه، أو وَضْع وظيفَة اللَّحْم التي لِغذائِه، رَفَعَ الباب بحيلَةٍ من أعلى البيت، وصاحَ بالسَّبُع فيخرج إلى القاعَة[d] المذكورة، ويَرُدّ الباب، ثم ينزل إلى البيت من الطاق، فيَكْنِس الزِّبْل، ويبدِّل الرَّمْل بغيره ممَّا هو نَظيف، ويضع الوَظيفَة من اللَّحْم

---

a) بولاق: فتبل. b) بولاق: يفرشه بالزبل. c) النجوم الزاهرة: رحبة. d) النجوم: الرحبة.

---

[١] أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ٥٥ ومصدره فيه القضاعي.
[٢] نفسه ٣: ٥٦.
[٣] نفسه ٣: ١٧.

في مكانٍ مُعَدّ لذلك بعدما يُخَلِّص ما فيه من الغُدَد ، ويقطعه لهما ، ويَغْسل الحَوْض ويملأه ماءً ، ثم يخرج ويَرْفَع الباب من أعلاه . وقد عَرَفَ السَّبُع ذاك ، فحالَ ما يَرْفَع السَّائِسُ باب البيت ، دَخَلَ إليه الأَسَد فأَكَلَ ما هُيِّئ له من اللَّحْم حتى يستوفيه ، ويَشْرب من الماء كِفايَتَه .

فكانت هذه مملوءةً من السِّباع ، ولهم أوْقاتٌ يُفْتح فيها سائِرُ بُيوت السِّباع ، فتخرُج إلى القاعَة[a] وتتشَمَّس[b] فيها ، وتَمْرَح وتَلْعَب ويُهارِش بعضُها بعضًا ، فتقيم يومًا كاملًا إلى العَشِيّ ، فيصيح بها السُّوّاس ، فيَدْخُل كلُّ سَبُع إلى بيته لا يتخطَّاه إلى غيره . وكان من جملة هذه السِّباع سَبُعٌ أزرقُ العينين يُقال له «زُرَيْق» قد أَنِس بخُمارَوَيْه ، وصار مُطْلَقًا في الدار لا يُؤْذي أحَدًا ، ويُقام له بوَظيفَته من الغَذاء في كلِّ يوم . فإذا نُصِبَت مائِدَةُ خُمارَوَيْه ، أقبل زُرَيْق معها ، ورَبَضَ بين يديه ، فرَمى إليه بيده الدَّجاجَة بعد الدَّجاجَة ، والفَضْلَة الصَّالِحَة من الجَدْي ، ونحو ذلك ممَّا على المائِدَة ، فيتفكَّه به . وكانت له لَبُوءَة لم تَأْنَسْ[c] كما أَنِس ، فكانت مقصورة في بيتٍ ، ولها وَقْتٌ معروفٌ يجتمع معها فيه .

فإذا نامَ خُمارَوَيْه جاءَ زُرَيْق ليحرُسه ، فإن كان قد نامَ على سَريرٍ رَبَضَ بين يدي السرير ، وجَعَل يُراعيه ما دام نائِمًا ، وإن كان إنَّما نامَ على الأرض ، بقي قَريبًا منه ، وتفطَّن لمن يدخُل ويقصُد خُمارَوَيْه ، لا يَغْفُل عن ذلك لحَظْةً واحِدَةً . وكان على ذلك دَهْرَه ، قد أَلِف ذلك ودُرِّب عليه ، وكان في عُنُقِه طَوْقٌ من ذَهَب ، فلا يقدر أحَدٌ أن يَدْنو من خُمارَوَيْه ما دام نائِمًا لمراعاة زُرَيْقٍ له وحِراسَته إيَّاه ؛ حتى إذا شاءَ الله إنْفاذ قضائه في خُمارَوَيْه ، كان بدِمَشْق وزُرَيْق غائِبٌ عنه بمصر ، ليُعْلَم أنَّه لا يُغْني حَذَرٌ من قَدَر [1] .

وبَنَى أيضًا «دار الحُرَم» ، ونَقَلَ إليها أُمَّهات أولاد أبيه مع أولادهن ، وجَعَلَ معهنّ المَعْزولات من أُمَّهات أولاده ، وأَفْرَد لكلِّ واحِدة حُجْرَة واسِعَة ، نَزَلَ في كلِّ حجرة منها بعد زوال دولتهم قائِدٌ جَليلٌ فوَسِعَتْه ، وفَضَل عنه منها شيءٌ . وأقامَ / لكلِّ حُجْرة ، من الأَنْزال والوَظائِف الواسِعة ، ما كان يَفْضُل عن أهلها منه شيءٌ كثير ؛ فكان الخَدَمُ الموكَّلون بالحُرَم ، من الطَّبَّاخين وغيرهم ، يفْضُل لكلِّ منهم ـ مع كثرة عدَدِهم ـ بعد التوسُّع في قُوته ، الزَّلَّة الكبيرة والتي فيها العِدَّة من

a) النجوم : الرحبة . b) بولاق : وتتمشى . c) بولاق : تستأسن .

[1] أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٣ : ٥٦ - ٥٧ .

الدَّجاج ، فمنها ما قُلِع فَخْذُها ومنها ما قد تَشَعَّب صَدْرُها ، ومن الفِراخ مثل ذلك ، مع القِطَع الكِبار من الجَدْي ولُحوم الضَّأْن ، والعِدَّة من ألوان عديدة ، والقِطَع الصَّالحَة من الفالُوذَج ، والكثير من اللَّوْزِينَج والقَطائِف والهَبرات[a] من العَصيدَة ـ التي تُعْرف اليوم في وَقْتنا هذا بالمَأْمُونية ـ وأشْباه ذلك مع الأَرْغِفَة الكبار. واشْتَهَرَ بمصر بَيْعهم لذلك وعُرِفُوا به ، فكان الناسُ يتناوبونهم لذلك . وأكثر ما تُباعُ الزَّلَه الكبيرة منها بدِرْهَمَيْنِ ، ومنها ما يُباع بدرهم ، فكان كثيرٌ من الناس يتفكَّهون من هذه الزَّلَّات . وكان شيئًا موجودًا في كلِّ وَقْت لكَثْرَته واتِّساعه ، بحيث إنَّ الرجلَ إذا طَرَقَه ضيفٌ خَرَجَ من فَوْره إلى باب دار الحُرَم ، فيجد ما يشتريه ليتجمَّل به لضَيْفه ، ممَّا لا يقدر على عَمَل مثله ، ولا يتهيَّأُ له من اللُّحوم والفِراخ والدَّجاج والحَلْوَى مثل ذلك [1] .

واتَّسعَت أيضًا إسْطَبْلات خُمارَوَيْه ، فعَمِل لكلِّ صِنْف من الدَّواب إسْطَبْلًا مُفْرَدًا : فكان للخَيْل الخاصّ إسْطَبْلٌ مُفْرَد ، والدَّواب الغلمان إسْطَبْلات عِدَّة ، ولبِغال القِباب إسْطَبْلاتٌ ، ولبِغال النَّقْل غير بِغال القِباب إسْطَبْلاتٌ ، وللنَّجائِب والبخاتي إسْطَبْلاتٌ لكلِّ صِنْف إسْطَبْلٌ مُفْرَد ، للاتساع في المواضِع ، والتفنُّن في الأَثْقال .

وعَمِلَ للنُّمُور دارًا مفردة ، وللفُهُود دارًا مفردة ، وللفِيَلَة دارًا ، وللزَّرافات دارًا . كلُّ ذلك سوى الإسْطَبْلات التي بالجيزَة ، فإنَّه كان له في عِدَّة ضِياع من الجيزَة إسْطَبْلات ، مثل نَهْيا ووَسيم وسَفْط وطُهُرْمُس وغيرها ، وكانت هذه الضِّياع لا تَزْرَع إلا القُرْط بِرَسْم الدَّواب . وكان للخَليفَة أيضًا بمصر إسْطَبْلات ، سوى ما ذُكِر ، تنتج فيها الخَيْل لحَلْبَة السِّباق ، وللرِّباط في سَبيل الله تعالى بِرَسْم الغَزْو . وكان لكلِّ دارٍ من الدُّور المذكورة ، ولكلِّ إسْطَبْلٍ ، وُكَلاء لهم الرِّزق السَّنِيّ والوَظائِف الكثيرة والأَمْوال المتَّسعة [2] .

وبَلَغَ رِزْقُ الجَيْش في أيام خُمارَوَيْه تسع مائة ألف دينار في كلِّ سنة ، وقامَ مَطْبَخُه المعروف بـ«مَطْبَخ العامَّة» ، بثلاثة وعشرين ألف دينار في كلِّ شهر ، سِوَى ما هو مُوَظَّف لجَواريه وأرْزاق من يَخْدمهن ويتصرَّف في حَوائِجهن .

وكان قد اتَّخَذَ لنفسه ، من مُوَلدي[b] الحَوْف وشَناتِرة الضِّياع ، قومًا معروفين بالشَّجاعة

---

a) بولاق : الهرائس. b) بولاق : ولد .

---

[1] أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٣: ٥٧ - ٥٨. [2] نفسه ٣: ٥٨ - ٥٩.

والبأْس، لهم خَلْق عَظيم تام وعِظَم أجسام. وأَدَرَّ عليهم الأرْزَاق، ووَسَّع لهم في العَطاء، وشَغَلَهم عمَّا كانوا فيه من قَطْع الطريق وأَذِيَّة الناس بخِدْمَته، وأَلْبَسَهم الأَقْبِيَة وجَواشِن الدِّيباج، وصاغَ لهم المناطِق العِراض الثِّقال، وقَلَّدَهم السُّيوف المحَلَّاة يَضَعونها على أكتافهم إذا مَشَوا بين يديه [a]وسَمَّاهم «المُخْتارَة»، فكان إذا ركب ومَضَى الحُجَّابُ بين يديه[a] ومَوْكبه على ترتيبه، ومَضَت أصنافُ العَسْكر وطوائِفُه، تلاهُم السُّودان وعِدَّتهم ألف أَسْوَد، لهم دَرَقٌ من حَديد مُحْكَم الصَّنْعَة، وعليهم أَقْبِيَة سُود وعَمائِم سُود، فيَخالهم الناظِرُ إليهم بَحْرا أَسْوَد يسير لسَواد ألوانهم وسَواد ثِيابهم، ويصير لبَريق دَرَقهم وحُليِّ سُيوفهم والبِيض التي تَلْمَع على رؤوسهم من تحت العَمائِم زِيٌّ بَهِج؛ فإذا مَضَى السُّودانُ قَدِمَ خُمارَوَيْه وقد انفرد عن مَوْكِبه، وصارَ بينه وبين المَوْكِب نحو نِصف غَلْوَة[1] سهم والمُخْتارَة تحفُّ به، وكان تامَّ الظهر ويركب فَرَسًا تامًّا، فيصير كالكَوكَب إذا أقبل لا يَخْفَى على أَحَدٍ، كأنَّه قطعة جَبَل في وَسَط المُخْتارَة.

وكان مُهابًا[b] ذا سَطْوَة، وقد وَقَعَ في قُلوب الكافَّة أنَّه متى أشارَ إليه أَحَدٌ بأصبُعه أو تكلَّم أو قَرُب منه، لَحِقَه مكروهٌ عَظيم؛ فكان إذا أَقْبَلَ كما ذَكَرْنا، لا يُسْمَع من أَحَدٍ كلمة ولا سُعْلَة ولا عَطْسَة، ولا نَحْنَحَة ألبتَّة، كأنَّما على رؤوسِهم الطير؛ وكان يَتَقَلَّد في يوم العيد سيفًا بحَمائِل، ولا يزالُ يتفرَّج ويتَنَزَّه، ويخرُج إلى مواضِعَ لم يكن أبوه يَهِشّ إليها، كالأهْرام ومَدينَة العُقاب ونحو ذلك، لأَجْل الصَّيْد فإنَّه كان مَشْغُوفًا به، لا يكادُ يَسْمَع بسَبُعٍ إلَّا قَصَدَه ومعه رجالٌ عليهم لُبود، فيدخلون إلى الأَسَد ويتناولونه بأَيْديهم من غابِه عَنْوَة وهو سَليم، فيَضَعونَه في أَقْفاصٍ من خَشَب محكمة الصَّنْعَة يَسَع الواحِدُ منها السَّبُع وهو قائِم، فإذا قَدِم خُمارَوَيْه من الصَّيْد، سارَ القَفَصُ وفيه السَّبُعُ بين يديه.

وكانت حَلْبَةُ السِّباق في أيامهم تقوم مَقام الأعْياد، لكَثْرَة الزِّينَة ورُكوب سائِر الغِلْمان والعساكِر ـ على كثرتهم ـ بالسِّلاح التام والعُدَد الكامِلة، فيجلس الناسُ لمشاهَدَة ذلك كما يجلسون في الأعْياد، وتُطْلَق الخَيْلُ من غايتها، فتمرّ متفاوِتة يَقْدَم بعضُها بعضًا حتى يتمّ السَّبْق[2].

---

a-a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: مهيبا.

---

[1] الغَلْوَة. رَمْيَةُ سهم أبعد ما يُقْدر عليه.

[2] أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ٥٩–٦٠.

قال القُضاعِيُّ : «المَنْظَر» بناه أحمد بن طُولون في ولايته لعَرْض الخَيْل . وكان عَرْضُ الخَيْل من عَجائِب الإسلام الأربعة التي منها هذا العَرْض ، ورَمَضَان بمَكَّة ، والعِيد كان بطَرَسُوس ، والجُمُعَة ببَغْداد ؛ فبقي من هذه الأربعة شَهْرُ رَمَضان بمَكَّة ، والجُمُعَة ببغداد ، وذهبت اثنتان [1] .

قال كاتِبُه : وقد ذَهَبَت الجُمُعَة من بَغْداد[a] أيضًا بعد القُضاعي ، بقتل هُولاكو للخَليفَةِ المُسْتَعْصِم ، وزَوال شَعائِر الإسْلام من العِراق ، وبقيت مَكَّة ـ شَرَّفَها / الله تعالى ـ وليس في شَهْر رَمَضان الآن بها ما يُقالُ فيه إنَّه من عَجائِب الإسْلام [2] . ١

ولمَّا تَكامَل عِزُّ خُمارَوَيْه وانتهى أمرُه ، بَدَأَ يَسْتَرْجِع منه الدَّهر ما أعْطاه ؛ فأوَّلُ ما طَرَقَه مَوْتُ حَظِيَّتِه بُوران التي من أجلها بَنَى بيت الذَّهَب ، وصَوَّرَ فيه صُورَتها وصُورَتَه كما تقدَّم ، وكان يرى أنَّ الدُّنْيا لا تَطيبُ له إلَّا بسلامَتها وبنَظَره إليها وتمتُّعه بها ، فكَدَّرَ موتُها عَيْشَه ، وانْكَسَرَ انْكِسارًا بانَ عليه .

ثم إنَّه أَخَذَ في تَجْهيز ابنته ، فجَهَّزَها جَهازًا ضاهَى به نِعَم الخِلافَة ، فلم يُبْقِ خَطيرَةً ولا طُرْفَةً من كلِّ لَوْن وجِنْس إلَّا حَمَله معها . فكان من جملته دِكَّة أربع قطع من ذَهَب ، عليها قُبَّة من ذَهَب مُشَبَّك ، في كلِّ عَيْنٍ من التشبيك قُرْطٌ مُعَلَّق فيه حَبَّة جَوْهَر لا يُعْرَف لها قيمة ، ومائة هَوْن من ذَهَب [3] .

قال القُضاعِيُّ : وعَقَد المُعْتَضِدُ النِّكاح على ابنته ـ يعني ابنة خُمارَوَيْه ـ قَطْر النَّدَى ، فحَمَلَها أبو الجَيْش خُمارَوَيْه مع أبي[b] عبد الله بن الجَصَّاص[c] [4] ، وحَمَل معها ما لم يُر مثله ، ولا يُسْمَع به .

ولمَّا دَخَلَ إليه ابن الجَصَّاص[c] يودِّعه ، قال له خُمارَوَيْه : هل بَقِيَ بيني وبينك حِسابٌ ؟ فقال : لا ؛ فقال : انظر حَسَنًا[d] ، فقال : كَسْرٌ بَقِيَ من الجِهاز ؛ فقال : أحضروه ، فأَخْرَج رُبْع طُومار فيه

---

a) بولاق : ببغداد . b) ساقطة من بولاق . c) بولاق : الخصاص . d) بولاق : حسابك .

---

[1] أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٣ : ٦٠ وانظر كذلك عرض الخيل عند الفاطميين فيما يلي ٤٦٧ .

[2] نفسه ٣ : ٦١ .

[3] راجع سبب زواج الخليفة المعتضد العباسي بقطر الندى ابنة خمارويه عند أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٣ : ٥٢ - ٥٣ .

[4] أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن الحسين بن الجَصَّاص الجوهري المتوفى سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م ، أحد أعيان التجار ذوي الثروة الواسعة واليسار ، أصله من العراق ثم رحل إلى مصر زمن خمارويه بن أحمد بن طولون الذي قربه وجعله وكيله الوحيد في تجهيز قصره بالأحجار الكريمة ، وهو الذي=

ثَبَتُ ذِكْر النَّفَقَة ، فإذا هي أربع مائة ألف دينار ، قال محمد بن علي المَاذَرائي : فنَظَرْتُ في الطُّومَارَ ، فإذا فيه «وألف تِكَّة ، الثَّمن عنها عشرة آلاف دينار» ؛ فأَطْلَق له الكُلّ . قال القُضاعِيُّ : وإنَّما ذَكَرْتُ هذا الخَبَر لتَسْتَدل به على أَشْياء : منها سَعَة نَفْس أبي الجَيْش ، ومنها كَثْرَة ما كان يَمْلُكه ابن الجَصَّاص [a]، حتى إنَّه قال : «كَسْرٌ بقيَ من الجهاز» ، وهو أربع مائة ألف دينار ، لو لم يَقْتَضه ذلك لم يذكره . ومنها مَيسورُ ذلك الزَّمان ، لمَّا طُلِبَ فيه ألف تِكَّة من أثمان عشرة دنانير قُدِرَ عليها في أَيْسَر وَقْتٍ وبأَهْوَنِ سَعْي ، ولو طُلِبَ اليوم خمسون لم يُقْدَر عليها [1].

قال كاتِبُه : ولا يُعْرَف اليوم ، في أسْواق القاهِرَة ومصر ، تِكَّة بعشرة دنانير إذا طُلِبَت تُوجَد في الحال ، ولا بعد شَهْر ، إلَّا أن يُعْتَنى بعملها فتُعْمَل .

ولمَّا فَرَغَ خُمارَوَيْه من جهاز ابنته ، أَمَرَ فبُنِيَ لها ـ على رأس كلِّ مرحلة تنزل بها ـ قصرٌ فيما بين مِصْر وبَغْداد ، وأَخْرَج معها أخاه شَيْبان بن أحمد بن طُولون في جماعَةٍ مع ابن الجَصَّاص [a]، فكانوا يسيرون بها سَيْر الطِّفْل في المَهْد ، فإذا وافَت المنزل وَجَدَت قَصْرًا قد فُرِشَ فيه جَميع ما يُحْتاج إليه ، وعُلِّقَت فيه السُّتور ، وأُعِدَّ فيه كلُّ ما يَصْلُح لمثلها في حالِ الإقامة . فكانت في مَسيرها من مصر إلى بَغْداد ـ على بُعْد الشُّقَّة ـ كأنَّها في قَصْر أبيها ، تنتقل من مَجْلسٍ إلى مَجْلس ، حتى قَدِمَت بَغْدادَ أوَّل المحرَّم سنة اثنتين وثمانين ومائتين ، فزُفَّت على الخَليفَة المُعْتَضِد [2].

وبعد ذلك قُتِلَ خُمارَوَيْه بِدِمَشْق .

وكانت مُدَّةُ بني طُولون بمصر سبعًا وثلاثين سنة وستة أشهر واثنين وعشرين يومًا ، ووَلِيَ منهم خمسة أُمَرَاء . أوَّلُهم أَحْمَدُ بن طولون : وَلِيَ مصر من قِبَل المُعْتَزّ على صَلاتها ، فدَخَلَ يوم

a) بولاق : الخصاص .

= جَهَّز قطر الندى ابنة خمارويه عند زواجها من الخليفة المعتضد العباسي فأفرغ خزائن خمارويه حتى قال هذا : «لعن الله ابن الجصَّاص ، أفقرني في السّرّ» (التنوخي : نشوار المحاضرة ٢ :٣١٥) . وفي أعقاب ذلك نقل ابن الجَصَّاص مركزه إلى بغداد حيث زادت ثروته واتَّسع نفوذه . (راجع ، المسعودي : مروج الذهب ٥ :١٣٩- ١٤٠، ١٧٣؛ التنوخي : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ١ :٢٥- ٣٧، ٢ :٣١٢- ٣١٧؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١٢ :٣٨٦- ٣٩١؛ ابن شاكر : فوات الوفيات ١ :٣٧٢- ٣٧٦؛ المقريزي : المقفى الكبير ٣ :٥٢٠- ٥٣٤؛ عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، بيروت - دار المشرق ١٩٧٤، ١٢٢ - ١٢٤؛ Pellat, Ch., *EI*[2] art. *Ibn al-Djassâs* III, p. 773) .

[1] ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٦٧.

[2] أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٣ :٦١- ٦٣.

الخميس لسبعٍ بقين من شهر رَمَضان سنة أربعٍ وخمسين ومائتين[1].

وخَرَج بُغَا الأَصْغَر، وهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن طَباطَبَا[2]، فيما بين بَرْقَة والإسْكَنْدَرية، في جُمادَى الأولى سنة خمس وخمسين، وسارَ إلى الصَّعيد، فقُتِلَ في الحَرْب، وحُمِلَ رأسُه إلى الفُسْطاط لإحدى عشرة بقيت من شَعْبان.

وخَرَج ابنُ الصُّوفي العَلَوي، وهو إبراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن عُمَر ابن عليّ بن أبي طالِب، ودَخَلَ إسْنَا في ذي القعدة، فنَهَبَ وقَتَلَ. فبَعَثَ إليه ابنُ طُولون جيشًا، فهَزَمَ الجَيْش في ربيع الأوَّل سنة ستٍّ وخمسين، فبَعَثَ بجيشٍ آخر، فواقَعَه بإخميم في رَبيع الآخر، فانهزم ابنُ الصُّوفي إلى أَلْوَاح فأقامَ به[3].

وخَرَجَ أحمد بن طُولون يُرِيدُ حَرْبَ عيسىٰ بن الشَّيخ، ثم عادَ فابتدأَ في بناء المَيْدان. وقَدِمَ العَبَّاسُ وخَمارَوَيْه من أبناء أحمد[a] بن طُولون، من العراق على طريقِ مكَّة سنة سبعٍ وخمسين[4].

ووَرَد كتابُ يارجوخ[b] بتَسَلُّم أحمد بن طُولون الأعمال الخارِجَة عن يده من أرض مصر، فتسلَّم الإسْكَنْدَرية، وخَرَجَ إليها لثمانٍ خَلَوْن من شهر رَمَضان، واستخلف طَغْلَج[c] صاحِب

a) بولاق: وخمارويه ابنا أحمد. b) بولاق: ماجور. c) بولاق: طغج.

[1] أهم مصادر سيرة ابن طولون كتاب «المُسْتَحْسَن من أخبار أحمد بن طولون» لأبي جعفر أحمد بن يوسف بن إبراهيم الكاتب المعروف بابن الدَّاية المتوفى بعد سنة ٣٣٠هـ/ ٩٤٢م (انظر ياقوت: معجم الأدباء ٢: ١٥٧- ١٦٠؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٨: ٢٨٢-٢٨٣). ولم يصل إلينا أصلُ هذا الكتاب وإن كان ابن سعيد المغربي قد ضَمَّنه في كتاب «الدُّرُّ المكنون في حُلَى دولة بني طولون» أحد أقسام قسم مصر من كتاب «المغرب في حلى المغرب»، وأيضًا كتاب «سيرة أحمد بن طولون» لأبي محمد عبد الله بن محمد المديني البَلَوي المتوفى في النصف الثاني للقرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وقد وصل إلينا هذا الكتاب ونشره علَّامة الشام محمد كردعلي في دمشق سنة ١٣٥٨هـ، واعتمد المقريزي كثيرًا على كتاب البلوي ونقل منه نقولًا مطوّلة. وأخبار ابن طولون كثيرة في كتب التاريخ، انظر على الأخص ابن سعيد: المغرب (قسم مصر) ٧٣- ١٤٦؛ المقريزي: المقفى الكبير ١: ٤١٧- ٤٥٢؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ١- ٤٩؛ وراجع من الدراسات الحديثة: Corbett, E.R., «The Life and Works of Ahmed ibn Tulun», *JRAS* XVIII (1891), pp. 527-62; Hassan, Z.M., *EI*[2] art. *Ahmad b. Tûlûn* I, pp. 287-88؛ سيدة إسماعيل كاشف: أحمد ابن طولون، القاهرة ١٩٦٥.

[2] توفي بُغَا الأصغر سنة ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م (راجع، المقريزي: المقفى الكبير ١: ٦٢٠).

[3] راجع أخبار ابن الصوفي العلوي، المتوفى بعد سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٣م عند الكندي: ولاة مصر ٢٤٠، ٢٤١؛ المقريزي: المقفى الكبير ١: ٣١٨- ٣١٩؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ٦-٧).

[4] الكندي: ولاة مصر ٢٤٢.

الشُّرَط . ثم قَدِم لأربع عشرة بقيت من شَوَّال ، وسَخِط على أخيه مُوسَىٰ ، وأَمَرَه بِلِباس البَيَاض ، وخَرَجَ إلى الإسْكَنْدَرية ثانيًا لثمانٍ بقين من شَعْبان سنة تسعٍ وخمسين ، واستخلف ابنه العَبَّاس . وقَدِمَ لثمانٍ خَلَوْن من شَوَّال ، وأَمَرَ ببناء المَسْجِد الجامِع على الجَبَل في صَفَر سنة تسعٍ وخمسين ، وببناء المارِسْتان للمَرْضَى [1] .

ووَرَدَ كِتابُ المُعْتَمِد يسْتَحِثّه في حَمْل الأمْوال ، فكَتَبَ إليه : «لَسْتُ أُطيق ذلك والخَراجُ بيد غيري» . فأَنْفَذَ المُعْتَمِدُ نَفيسَ الخادِمِ بتَقْليد أحمد بن طُولون الخَراج ، وبولايته الثُّغور الشَّامية . فأَقَرَّ أبا أَيُّوب أحمد بن محمد بن شُجاع على الخَراج خَليفَةً له عليه ، وعَقَدَ لطَخْشي بن بَلْبَرْد على الثُّغور ، فخَرَج في جُمادَى الأولى سنة أربع وستين [2] .

وتقدَّم أبو أحمد المُوَفَّق إلى مُوسَىٰ بن بُغَا في صَرْف أحمد بن طُولون وتَقْليدها أماجور[a] التركي والي دِمَشْق ، فكَتَب إليه بذلك ، فتَوَقَّف لعَجْزه عن مُقاوَمَة ابن طُولون ، فخَرَج مُوسَىٰ بن بُغَا ونَزَل الرَّقَّة . فبَلَغَ ابنَ طُولون أنَّه سائِر إليه ، فابتدأ في بناء الحِصْن بالجَزيرَة ليكون مَعْقِلًا لمالِه وحُرَمِه في سنة ثلاث وستين ، واجتهد في عَمَل المراكِب الحربية ، وأطافَها بالجَزيرَة . فأقامَ مُوسَى بالرَّقَّة عشرة أشهر ، واضْطَرَبَت أمورُه [3] .

وماتَ في صَفَر سنة / أربعٍ وستين . وماتَ أَمَاجور[a] بِدِمَشْق ، واسْتَخْلَف ابنه عليّ بن أماجور[a] . فحَرَّكَ ذلك أحمد بن طُولون على المسير ، وكَتَبَ إلى ابن أماجور[a] أنَّه سائِر إليه وأَمَرَه بإقامة الأنزال والمِيرَة ، فأجابَ بجوابٍ حَسَن . ٣

وشَكَا أهلُ مصر إلى ابن طُولون ضِيقَ المَسْجِد الجامِع يوم الجُمُعَة بجُنْده وسُودانِه ، فأَمَر ببناء المَسْجِد الجامِع بجَبَل يَشْكُر ، فابتدأ بِبِنائه في سنة أربعٍ ، وتَمَّ في سنة ستٍّ وستين ومائتين [4] .

وخَرَجَ في جُيوشِه لثمانٍ بقين من شَعْبان سنة أربعٍ وستين ، واسْتَخْلَف ابنه العَبَّاس [5] ، وضَمَّ إليه أحمد بن محمد الواسِطي مُدَبِّرًا ووَزيرًا ، فبَلَغَ الرَّمْلَة ، وتلقَّاه محمد بن رافِع والِيها ، وأقامَ له بها

a) بولاق : ماجور . b) بولاق : طفج .

[1] الكندي : ولاة مصر ٢٤٢- ٢٤٣؛ أبو المحاسن : النجوم ٣ : ٧.

[2] نفسه ٢٤٣- ٢٤٤؛ نفسه ٣ : ٧.

[3] نفسه ٢٤٤.

[4] نفسه ٢٤٥، وانظر عن الجامع فيما يلي ٢ : ٢٦٥- ٢٦٩.

[5] انظر عن العباس بن أحمد بن طولون *EI*[2] art. *al-ʿAbbâs b. Ahmad b. Tûlûn, Suppl. p. 1.*

الدَّعْوَة ، فأَقَرَّه . ومضَى إلى دِمَشْق ، فتلقَّاه عليّ بن أماجور[a]، وأقامَ له بها الدَّعْوَة ، فأقامَ حتى اسْتَوْثَق له أمْرُها . ومضَى إلى حِمْص فتسَلَّمَها ، وبَعَثَ إلى سِيما الطَّويل - وهو بأنْطاكِية - يأمُره بالدُّعاء له ، فأبَى ، فسارَ إليه في جَيْشٍ عَظيم وحاصَرَه ، ورَماه بالمجانيق حتى دَخَلَها في المحرَّم سنة خمسٍ وستين ، فقَتَلَ سِيما ، واسْتَباح أموالَه ورجالَه[1].

ومَضَى إلى طَرَسُوس فدَخَلَها في رَبيع الأوَّل ، فضاقَت به وغَلا السِّعرُ بها ، فنابَذه أهلُها فقاتَلَهم ، وأَمَرَ أصحابَه أن يَنْهَزِموا عن أهل طَرَسوس ليبلغ طاغِية الرُّوم فيعلم أنَّ جُيوشَ ابن طُولون - مع كَثْرَتها وشِدَّتِها - لم تَقُم لأهل طَرَسوس فانْهَزَمُوا . وخَرَجَ عنهم ، واسْتَخْلَف عليها طَخْشي ، فوَرَدَ الخبرُ عليه بأنَّ ابنه العَبَّاس قد خالَف عليه ، فأزْعَجَه ذلك وسارَ . فخافَ العَبَّاسُ وقَيَّد الوَاسِطي ، وخَرَجَ بطائِفَته إلى الجيزَة لثمانٍ خَلَوْن من شَعْبان سنة خمسٍ وستين ومائتين فعَسْكَر بها ، واسْتَخْلَف أخاه رَبيعَة بن أحمد ، وأَظْهَر أنَّه يُريد الإسْكَنْدَرية وسارَ إلى بَرْقَة[2].

فقَدِمَ أحمد بن طُولون من الشَّام لأربع خَلَوْن من رَمَضان ، فأَنْفَذ القاضي بَكَّار بن قُتَيْبَة في نَفَرٍ بكِتابِه إلى العَبَّاس ، فساروا إليه ببَرْقَة ، فأَبَى أن يرجع ، وعادَ بَكَّارٌ في أوَّل ذي الحجَّة ؛ ومضَى العَبَّاسُ يُريدُ إفْريقِيَّة في جُمادَى الأولى سنة ستٍّ وستين ، فنَهَبَ لَبْدَة ، وقَتَلَ من أهلها عِدَّة ، وضَجَّت نِساؤهم ، فاجتمع عليه جَيْشُ ابن الأَغْلَب والأَباضِيَة ، فقاتَلَهم بنفسه وحَسُن بَلاؤه يومئذٍ ، وقال :

[البسيط]

لله دَرِّيَ إذْ أَغْدو على فَرَسي   إلى الهِيَاج ونارُ الحَرْب تَسْتَعِرُ
وفي يدي صَارِمٌ أَفْري الرُّؤوسَ به   في حَدِّه المَوْتُ لا يُبْقي ولا يَذَرُ
إن كُنْتِ سائِلَةً عَنّي وعن خَبَري   فها أنا اللَّيْثُ والصَّمْصامَة الذَّكَرُ
من آلِ طُولونَ أصلي إن سألت فما   فوقي لمُفْتَخِرٍ بالجُودِ مُفْتَخَرُ
لو كُنْتِ شاهِدَةً كَرِّي بلَبْدَة إذ   بالسَّيْف أَضْرِب والهامات تُبْتَدَرُ
إذن لعايَنْتِ مِنّي ما تَنَادَرُه[b]   عَنّي الأَحاديثُ والأَنْباءُ والخَبَرُ

---

a) بولاق : ماجور. b) بولاق : تبادره.

---

[1] الكندي : ولاة مصر ٢٤٦. [2] نفسه ٢٤٦-٢٤٧. [3] نفسه ٢٤٧-٢٤٨.

وقُتِلَ يومئذٍ صَناديدُ عَسْكَره ووُجوه أصْحابه ، ونُهِبَت أموالُه ، وفَرَّ إلى بَرْقَة في ضُرٍّ[١] .

وعَقَدَ أحمد بن طُولون على جَيْشٍ ، وبَعَثَ به إلى بَرْقَة في رَمَضان سنة سبعٍ وستين . ثم خَرَجَ بنفسه في عَسْكرٍ عَظيمٍ ، يُقال إنَّه بَلَغَ مائة ألف ، لثنتي عشرة خَلَت من رَبيع الأوَّل سنة ثمانٍ وستين ، فأقامَ بالإسْكَنْدَرية ، وفَرَّ إليه أحمد بن محمد الوَاسِطي من عند العَبَّاس ، فصَغُرَ عنده أمْرُ العَبَّاس ، فعَقَدَ على جَيْشٍ سَيَّرَه إلى بَرْقَة ، فواقَعوا أصحابَ العَبَّاس وهَزَموهم وقَتَلُوا منهم كثيرًا ، وأَدْرَكوا العَبَّاس لأربعٍ خَلَوْن من رَجَب .

وعادَ أحمدُ إلى الفُسْطاط لثلاث عشرة خَلَت منه ، وقَدِمَ العَبَّاس والأَسْرَى في شَوَّال ، ثم أُخْرِجوا أَوَّل ذي القعدة ، وقد بُنِيَت لهم دِكَّة عالية ، فضُرِبُوا وأُلْقوا من أَعْلاها[٢] .

ثم بَعَثَ بلُؤْلُؤ في جَيْش إلى الشَّام ، فخالَف على أحمد ومالَ مع المُوَفَّق وصارَ إليه ، فخَرَجَ أحمد ، واسْتَخْلَف ابنه خُمارَوَيْه في صَفَر سنة تسعٍ وستين ، فنَزَلَ دِمَشْق - ومعه ابنه العَبَّاس مُقَيَّد - فخالَفَ عليه أهْلَ طَرَسوس ، فخَرَجَ يُريد محارَبَتهم ، ثم تَوَقَّف لوُرود كِتاب المُعْتَمِد عليه ؛ أنَّه قادِمٌ عليه ليلْتَجِئ إليه . فخَرَج كالمُتَصَيِّد من بَغْداد ، وتَوَجَّه نحو الرَّقَّة ؛ فبَلَغَ أبا أحمد المُوَفَّق مَسيرَه - وهو مُحارِبٌ لصاحِب الزَّنْج[٣] - فعَمِل عليه حتى عادَ إلى سامَرَّا ، ووَكَّل به جَماعَةً ، وعَقَد لإسْحاق بن كنداج الخَزَري على مصر . فبَلَغَ ذلك ابن طُولون ، فرَجَعَ إلى دِمَشْق ، وأَحْضَر القُضَاة والفُقَهاء من الأَعْمال ، وكَتَبَ إلى مصر كِتابًا قُرِئَ على النَّاس : بأنَّ أبا أحمد المُوَفَّق نَكَثَ بَيْعَةَ المُعْتَمِد ، وأَسَرَه في دار أحمد بن الخَصيب ، وأنَّ المُعْتَمِدَ قد صارَ من ذلك إلى ما لا يجُوز ذكره وأنَّه بكى بُكاءً شديدًا . فلمَّا خَطَبَ الخَطيبُ يوم الجُمُعة ذَكَرَ ما نيل من المُعْتَمِد ، وقال : اللَّهم فاكْفِه مَنْ حَصَره وظَلَمَه .

وخَرَج من مصر بَكَّارُ بن قُتَيْبَة وجماعَةٌ إلى دِمَشْق ، وقد حَضَر أهل الشَّامات والثُّغور ، فأَمَرَ ابن طولون بكتابٍ فيه خَلْع المُوَفَّق من وِلايَة العَهْد لمُخالَفَة المُعْتَمِد وحَصْره إيَّاه ، وكَتَب فيه : «إنَّ أبا أحمد المُوَفَّق خَلَعَ الطَّاعَة وبَرِئَ من الذِّمَّة ، فوَجَبَ جِهادُه على الأمَّة» . وشَهِدَ على ذلك جَميعُ

---

[١] الكندي : ولاة مصر ٢٤٨- ٢٤٩.

[٢] نفسه ٢٤٩- ٢٥٠؛ وقارن البلوي : سيرة أحمد بن طولون ٢٦٨- ٢٦٩.

[٣] أقلقت ثورةُ الزَّنْج التي اشتعلت لمدة أربع عشرة سنة (٢٥٥-٢٧٠/ ٨٦٩-٨٨٣م) في جنوب العراق وجنوب غرب فارس الدولة العباسية ، ومثَّلت تهديدًا خطيرًا للدولة . (راجع ، فيصل السامر: ثورة الزنج ، بغداد ١٩٥٤؛ Popovic, A., *La révolte des esclaves en Iraq au (III° / IX° siécle*, Paris 1976 .

من حَضَرَ، إلَّا بَكَّار بن قُتَيْبَة/ وآخرين، وقال بَكَّارٌ: لم يَصِحّ عندي ما فَعَله أبو أحمد ولم ١١:١ أَعْلَمه، وامْتَنَع من الشَّهادَة والخَلْع، وكان ذلك لإحدى عشرة[a] خَلَت من ذي القعدة [١].

فبَلَغَ ذلك المُوَفَّق، فكَتَب إلى عُمَّاله بلَعْن أحمد بن طُولون على المَنابِر، فلُعِنَ عليها بما صِيغَته: «اللَّهمَّ الْعَنْه لَعْنًا يَفُلّ حَدَّه ويُتْعِس جَدَّه، واجْعَله مَثَلًا للغابِرين، إنَّك لا تُصْلِح عَمَلَ المُفْسِدين». ومَضَى أحمد إلى طَرَسُوس فنازَلها، وكان البَرْدُ شديدًا، ثم رَحَلَ عنها إلى أَذَنَة [٢].

وسارَ إلى المَصِّيصَة فنَزَلَت به عِلَّةُ المَوْت. فأَعَدَّ السَّيْرَ يُريد مصر حتى بَلَغَ الفَرَمَا، فرَكِبَ النِّيل إلى الفُسْطاط، فدَخَلَ لعشرٍ بقين من جُمادَى الآخرة سنة سبعين، فأَوْقَفَ بَكَّار بن قُتَيْبَة، وبَعَثَ به إلى السِّجْن. وتَزايدَت به العِلَّة حتى ماتَ ليلة الأحد لعشرٍ خَلَوْن من ذي القِعْدَة سنة سبعين ومائتين. فلمَّا بَلَغَ المُعْتَمِد مَوْتُه اشْتَدّ وَجْدُه وجَزَعُه عليه، وقال يَرْثيه [٣]:

[المتقارب]

إلى اللهِ أَشْكُو أَسًى عَرانِي كَوَقْعِ الأَسَلْ
عَلَى رَجُلٍ أَرْوَعٍ يُرَى منه فَضْلُ الرَّجُلْ[b]
شِهابٌ خَبَا وَقْدُه وعارِضُ غَيْثٍ أَفَلْ
شَكَتْ دَوْلَتي فَقْدَهُ وقد[c] كان زَيْنَ[d] الدُّوَلْ

فقامَ بعده ابنُه أبو الجَيْش خُمارَوَيْه بن أَحْمد بن طُولون، وبايَعَه الجُنْدُ يوم الأحد لعشرٍ خَلَوْن من ذي القِعْدَة [٤]، فأَمَر بقَتْل أخيه العَبَّاس لامْتِناعِه عن مُبايَعَته. وعَقَد لأبي عبد الله أحمد الواسِطي على جَيْشٍ إلى الشَّام لستٍّ خَلَوْن من ذي الحجَّة، وعَقَد لسَعْد الأَيْسَر على جَيْشٍ آخَر، وبَعَثَ بمَراكِب في البَحْر لتُقيم على السَّواحِل الشَّامِيَّة. فنَزَل الواسِطي فِلَسْطين، وهو خائِفٌ من

---

a) عند الكندي لاثنتي عشرة ليلة. b) بولاق: الوجل. c) ساقطة من بولاق. d) بولاق: يزين.

---

[١] الكندي: ولاة مصر ٢٥١- ٢٥٢.

[٢] نفسه ٢٥٤.

[٣] نفسه ٢٥٦- ٢٥٧.

[٤] راجع أخبار أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون أيضًا عند، الكندي: ولاة مصر ٢٥٨- ٢٦٤؛ ابن سعيد: المغرب (قسم مصر) ١٣٤- ١٤٠؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢: ٢٤٩- ٢٥١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٣: ٤٤٦- ٤٤٨؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٣: ٤١٦- ٤١٨؛ المقريزي: المقفى الكبير ٣: ٨١١- ٨٣٣؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ٤٩- ٨٧؛ Haarmann, U., *EI* [2] art. *Khumârawayh* V, pp. 50-52.

خُمارَوَيْه أن يُوقِعَ به لأنَّه كان أشارَ عليه بقَتْل أخيه العَبَّاس ، فكَتَب إلى أبي أحمد المُوَفَّق يُصَغِّر أَمْرَ خُمارَوَيْه ، ويُحَرِّضُه على المَسير إليه [١].

فأَقْبَل من بَغْداد ، وانْضَمّ إليه إسحاقُ بن كنداج ومحمد بن أبي السَّاج ، ونَزَل الرَّقَّة فتَسَلَّم قِنَّسْرين والعَواصِم ، وسارَ إلى شَيْزَر ، فقاتَل أَصْحابَ خُمارَوَيْه وهَزَمَهُم ، ودَخَلَ دِمَشْق . فخَرَجَ خُمارَوَيْه في جَيْشٍ عَظيم ، لعشرٍ خَلَوْن من صَفَر سنة إحدى وسبعين ، فالتَقَى مع أحمد بن المُوَفَّق بنَهْر أبي فُطْرُس[a] ـ المعروف بالطَّواحِين ـ من أرْضِ فِلَسْطين ، واقْتَتَلا ، فانْهَزَم أصحابُ خُمارَوَيْه ، وكان في سبعين ألفًا وابن المُوَفَّق في نحو أربعة آلاف ، واحْتَوى على عَسْكَر خُمارَوَيْه بما فيه . ومَضَى خُمارَوَيْه إلى الفُسْطاط ، وأَقْبَل كمين كان[b] له عليه سَعْد الأَيْسَر[c]، ولم يَعْلَم بهَزيمَة خُمارَوَيْه ، فحارَب ابن المُوَفَّق حتى أزالَه عن المُعَسْكَر ، وهَزَمَه اثني عشر ميلًا ، ومَضَى إلى دِمَشْق فلم يُفْتَح له [٢].

ودَخَلَ خُمارَوَيْه إلى الفُسْطاط لثلاثٍ خلون من رَبيع الأوَّل ، وسارَ سَعْد الأَيْسَر[c] والواسِطي فمَلَكَا دِمَشْق . وخَرَجَ خُمارَوَيْه من مصر لسبعٍ بقين من رَمَضان ، فوَصَل إلى فِلَسْطين ، ثم عادَ لاثنتي عشرة بقيت من شوَّال ، ثم خَرَجَ في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين ، فقَتَلَ سَعْدًا الأَيْسَر[c]، ودَخَلَ دِمَشْق لسبعٍ خَلَوْن من المحرَّم سنة ثلاثٍ وسبعين [٣].

وسارَ لقِتال ابن كَنْداج ، فكانت على خُمارَوَيْه فانْهَزَم أَصْحابُه ، وثَبَت هو في طائِفَةٍ ، فهَزَمَ ابن كَنْداج واتَّبَعَه حتى بَلَغَ أصحابُه سُرَّ من رَأَى ، ثم اصْطَلَحا وتَصاهَرا[d]، وأَقْبَل إلى خُمارَوَيْه فأقامَ في عَسْكَره ، ودَعَا له في أعْماله التي بيده [٤].

وكاتَبَ خُمارَوَيْه أبا أحمد المُوَفَّق في الصُّلْح ، فأجابَه إلى ذلك ، وكَتَب له بذلك كِتابًا ، فوَرَد عليه به فالِقُ الخادِم إلى مصر في رَجَب ، ذَكَرَ فيه أنَّ المُعْتَمِدَ والمُوَفَّقَ وابنه كَتَبوه بأَيْديهم ، وبوِلاية خُمارَوَيْه ووَلَده ثلاثين سنة على مصر والشَّامات . ثم قَدِمَ خُمارَوَيْه سَلْخ رَجَب ، فأَمَرَ بالدُّعاء

a) بولاق : بطرس. b) ساقطة من بولاق. c) بولاق : الأعسر والمثبت من آياصوفيا والظاهرية والكندي.
d) بولاق : تظاهرا.

[١] الكندي : ولاة مصر ٢٥٨.
[٢] نفسه ٢٥٩- ٢٦٠.
[٣] نفسه ٢٦٠.
[٤] نفسه ٢٦٠- ٢٦١.

لأبي أحمد المُوَفَّق وتَرَكَ الدُّعاء عليه، وجَعَلَ على المَظَالِم بمصر محمد بن عَبْدَة بن حَرْب. وبَلَغَه مَسير محمد بن أبي السَّاج إلى أعْمالِه، فخَرَجَ إليه في ذي القعدة، ولَقِيَه بثَنِيَّةِ العُقَاب[a] من دِمَشْق، فانْهَزَم أصْحابُ خُمارَوَيْه، وثَبَتَ هو فحارَبَه حتى هَزَمَه أَقْبَحَ هَزِيمَة[1].

وعادَ إلى مصر، فدَخَلَها لستٍّ بقين من جُمادَى الآخِرَة سنة ستٍّ وسبعين، ثم خَرَجَ إلى الإسْكَنْدَرية لأرْبعٍ خَلَوْن من شَوَّال، ووَرَدَ الخَبَرُ أنَّه دُعِيَ له بطَرَسُوس في جُمادَى الآخرة سنة سبعٍ وسبعين، وخَرَجَ إلى الشَّام لسبع عشرة من ذي القِعْدَة.

وماتَ المُوَفَّقُ في سنة ثمانٍ وسبعين، ثم ماتَ المُعْتَمِدُ في رَجَب سنة تسعٍ وسبعين؛ وبُويِعَ المُعْتَضِدُ أبو العَبَّاس أحمد بن المُوَفَّق، فبَعَثَ إليه خُمارَوَيْه بالهَدايا، وقَدِمَ من الشَّام لستٍّ خَلَوْن من رَبيع الأوَّل سنة ثمانين. فوَرَد كِتابُ المُعْتَضِد بولاية خُمارَوَيْه على مصر هو ووَلَده ثلاثين سنة، من الفُرات إلى بَرْقَة، وجَعَل له الصَّلاة والخَرَاج والقَضاء وجَميع الأعْمال، على أن يَحْمِل في كلِّ عامٍ مائتي ألف دينار عمَّا مَضَى، وثلاث مائة ألف للمستقبل[2].

ثم قَدِمَ رَسولُ المُعْتَضِد بالخِلَع، وهي اثنتا عشرة خِلْعَة وسَيْف وتاج ووِشاح، مع خادِمٍ في رَمَضان. وعَقَدَ المُعْتَضِد نِكاح قَطْر النَّدَىٰ بنت خُمَارَوَيْه في سنة إحدى وثمانين[3].

وفيها خَرَجَ خُمارَوَيْه إلى نُزْهَته بتَرْيوط[b] في شَعْبان، ومَضَى إلى الصَّعيد فبَلَغ سُيوط، ثم رَجَعَ في[c] الشَّرْق إلى الفُسْطاط أوَّل ذي القعدة. وخَرَجَ إلى الشَّام لثمانٍ خَلَوْن من شَعْبان سنة اثنتين وثمانين، فأقامَ بمُنْيَة الأَصْبَغ ومُنْيَة مَطَر، ثم رَحَلَ حتى أتَى دِمَشْق، فقُتِلَ بها على فِراشِه ذَبَحَه جَواريه / وخُدَّامُه[d][4].

وحُمِلَ في صُنْدوق إلى مصر، وكان لدُخول تابُوته يومٌ عَظيم، واسْتَقْبَلَه جَواريه وجَواري غِلْمانه ونِساءُ قُوَّاده ونِساءُ القَطائِع بالصِّياح وما يُصْنَع في المَآتِم، وخَرَجَ الغِلْمانُ وقد حَلُّوا أَقْبِيَتهم، وفيهم من سَوَّدَ ثِيابَه وشَقَّقَها، وكانت في البَلَدِ ضَجَّةٌ عَظيمَةٌ وصَرْخَةٌ

---

a) بولاق: شيبة العقاب. b) الكندي: بمريوط. c) بولاق: من. d) بولاق: خدمه.

---

[1] الكندي: ولاة مصر ٢٦١- ٢٦٢.

[2] نفسه ٢٦٣- ٢٦٤.

[3] نفسه ٢٦٤، وانظر نكاح قطر الندى فيما تقدم ٩٤- ٩٥.

[4] انظر أسباب قتل خمارويه عند، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٧: ٤٧٤- ٤٧٥؛ ابن سعيد: المغرب (قسم مصر) ١٣٤.

تُتَعْتِع القُلوب حتى دُفِن. وكانت مُدَّتُه اثنتي عشرة سنة وثمانية عشر يومًا [1].

ثم وَلِيَ أبو العَساكِر جَيْشُ بن خُمارَوَيْه بن أحمد بن طُولون، لليلةٍ بقيت من ذي القِعْدَة سنة اثنتين وثمانين ومائتين، بدِمَشْق. فسارَ إلى مصر، واشْتَمَل على أُمورٍ أُنْكِرَت عليه، فاسْتَوْحَش من عُظَماء الجُنْد وتَنَكَّر لهم، فخافُوه ودَأَبوا في الفَساد. فخَرَج مُتَنَزِّهًا إلى مُنْيَة الأَصْبَغ، ففَرَّ جَماعَةٌ من عُظَماء الدَّوْلَة إلى المُعْتَضِد، وخَلَعَه أحمد بن طُغَان وكان على الثَّغْر، وخَلَعَه طُغْج بن جُفّ بدِمَشْق، فوَثَب جَيْشٌ على عَمِّه مُضَر[a] بن أحمد بن طُولون فقَتَله، فوَثَب عليه الجَيْشُ وخَلَعوه، وجَمَعُوا الفُقَهاء والقُضَاة، فتَبَرَّأ من بَيْعَته وحَلَّلَهم منها.

وكان خَلْعُه لعشرٍ خَلَوْن من جُمادَى الآخرة سنة ثلاثٍ وثمانين، فوَلي ستة أشهر واثني عشر يومًا، وماتَ في السِّجْن بعد أيَّام [2].

ثم وَلِيَ أبو مُوسَىٰ هَارُون بن خُمارَوَيْه يوم خَلْع جَيْش، فقامَ طائِفَةٌ من الجُنْد، وكاتَبُوا رَبيعةَ ابن أحمد بن طُولون وكان بالإِسْكَنْدَرية ودَعَوه ووَعَدوه بالقِيام معه. فجَمَعَ جَمْعًا كثيرًا من أَهْل البُحَيْرَة ومن البَرْبَر وغيرهم، وسارَ حتى نَزل ظاهِر فُسْطاط مصر، فخَذَلَه القَوْمُ وخَرَجَ إليه القُوَّادُ، فقاتَلوه وأَسَرُوه لإحدى عشرة ليلة خَلَت من شَعْبان سنة أربعٍ وثمانين، وضُرِبَ أَلْفَ سَوْطٍ ومائتي سَوْط، فماتَ [3].

وماتَ المُعْتَضِدُ في رَبيع الآخر سنة تسعٍ وثمانين، وبُويِعَ ابنه محمد المُكْتَفي بالله، وخَرَجَ القِرْمَطِيُّ بالشَّام في سنة تسعين، فخَرَجَ القُوَّادُ من مصر وحارَبُوه فهَزَمَهُم [4].

وبَعَثَ المُكْتَفِي محمد بن سُلَيْمان الكاتِب فنَزَلَ حِمْص، وبَعَثَ بالمراكِب من الثَّغْر إلى سَواحِل مصر، وأَقْبَل إلى فِلَسْطِين. فخَرَجَ هارُون يوم التَّرْوِيَة سنة إحدى وتسعين، وسَيَّرَ المراكِبَ الحَرْبية، فالْتَقَوا بمراكِب محمد بن سُلَيْمان في تِنِّيس فغُلِبُوا، ومَلَكَ أَصْحابُ محمد بن سُلَيْمان تِنِّيس ودِمْياط. فسارَ هارُون إلى العَبَّاسَة، ومعه أَهلُه وأَعْمامُه في ضِيق

---

a) الكندي: نصر.

---

[1] الكندي: ولاة مصر ٢٦٤.

[2] نفسه ٢٦٥- ٢٦٦؛ وانظر كذلك ابن سعيد: المغرب (قسم مصر) ١٤٣- ١٤٤؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٢٢٩:١١- ٢٣٠؛ المقريزي: المقفى الكبير ١١٦:٣- ١١٧؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٨٨:٣- ٩٨.

[3] نفسه ٢٦٦.

[4] نفسه ٢٦٧.

وجُهْد ، فتَفَرَّق عنه كثيرٌ من أصْحابِه ، وبَقِيَ في نَفَرٍ يَسير وهو مُتَشاغِل باللَّهْو .

فأَجْمَع عَمَّاه شَيْبان وعَدِيّ ابنا أحمد بن طُولون على قَتْله ، فدَخَلا عليه وهو ثَمِل ، فقَتَلاه ليلة الأحَد لإحدى عشرة بقيت من صَفَر سنة اثنتين وتسعين ، وسِنُّه يومئذٍ اثنتان وعشرون سنة ، فكانت ولايتُه ثمان سنين وثمانية أشهر وأيامًا[١] .

ثم وَلِيَ شَيْبانُ بن أحمد بن طُولون أبو المَقانِب[a] لعشرٍ بقين من صَفَر ، فرَجَع إلى الفُسْطاط . وبَلَغَ طُغْجَ بن جُفّ وغيره من القُوَّاد قَتْلُ هارون ، فأنْكَروه وخالَفُوا على شَيْبان ، وبَعَثُوا إلى محمد بن سُلَيْمان فأَمَّنَهم ، وحَرَّكُوه على المَسير إلى مصر ، فسارَ حتى نَزَلَ العَبَّاسَة ، فلَقِيَه طُغْجُ في ناسٍ من القُوّاد كَثير ، فساروا به إلى الفُسْطاط ، وأَقْبل إليهم عامَّةُ أصْحاب شَيْبان . فخافَ حينئذٍ شَيْبانُ ، وطَلَب الأَمان ، فأَمَّنَه محمد بن سُلَيْمان ، وخَرَج إليه لليلةٍ خَلَت من رَبيع الأوَّل سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، وكانت ولايتُه اثني عشر يومًا[٢] .

ودَخَلَ مُحَمَّد بن سُلَيْمان يوم الخميس أوَّل رَبيع الأوَّل ، فألْقَى النَّارَ في القَطائِع ، ونَهَبَ أَصْحابُه الفُسْطاط ، وكَسَروا السُّجون وأَخْرَجوا مَنْ فيها ، وهَجَموا الدُّور ، واسْتَباحُوا الحَرِيم ، وفَتَكُوا في الرَّعِيَّة[b] ، وافْتَضُّوا الأَبْكار ، وساقُوا النِّساء ، وفَعَلُوا كلَّ قَبيح ، من إخْراج النَّاس من دُورِهم وغير ذلك .

وأُخْرِجَ وَلَدُ أحمد بن طُولون وهم عشرون إنسانًا ، وأُخْرِج قُوَّادُهم فلم يَبْقَ بمصر منهم أَحَدٌ يُذْكر ، وخَلَت منهم الدِّيارُ ، وعَفَت منهم الآثار ، وتَعَطَّلَت منهم المنازِل ، وحَلَّ بهم الذُّلُّ بعد العِزّ ، والتَّطْريد والتَّشْريد بعد اجْتِماع الشَّمْل ونُضْرَة المُلْك ومُساعَدَة الأَيّام[٣] .

ثم سِيقَ أصْحابُ شَيْبان إلى محمد بن سُلَيْمان وهو راكِبٌ ، فذُبِحُوا بين[٤] يَدَيْه كما تُذْبَح الشِّياه ، وقَتَلَ من السُّودان ـ سُكَّان القَطائِع ـ خَلْقًا كثيرًا ؛ فقال أَحْمَدُ بن محمَّد الحُبَيْشي[٥] :

---

a) بولاق : أبو المواقيت . b) آياصوفيا وبولاق : وهتكوا الرعية والمثبت من الظاهرية .

---

[١] الكندي : ولاة مصر ٢٦٨- ٢٦٩؛ وانظر كذلك ابن سعيد : المغرب (قسم مصر) ١٤٤- ١٤٥؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٣:٩٨- ١٣٤.

[٢] نفسه ٢٧٠؛ وانظر كذلك ابن سعيد : المغرب (قسم مصر) ١٤٥- ١٤٦؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٣٤- ١٣٨ وفيه أن مَدّة تغلّب شيبان على مصر تسعة أيام ، منها أربعة أيام كان فيها أمره ونهيه .

[٣] الكندي : ولاة مصر ٢٧١، وقارن مع أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٣:١٣٨- ١٣٩.

[٤] آخر ما نَشَرَه جاستون ڤييت من الخطط وهو يعادل نهاية ملزمة .

[٥] الأبيات عند الكندي : ولاة مصر ٢٧١- ٢٧٢.

[البسيط]

الحمْـدُ لله إقْـرارًا بمـا وَهَـبَـا … قد لَمَّ بالأَمْنِ شَعْبَ الحقّ فانْشَعَبا
الله أَصْدَقَ هذا الفتْحَ لا كَذِبٌ … فسُوءُ عاقِبَةِ المَثْوَى لمن كَذَبا
فَتْحٌ. به فَتَحَ الدُّنْيا مُحمَّدُها … وفَرَّجَ الظُّلْمَ والإظْلامَ والكُرَبَا
لا رَيْبَ رُبَّ هِياجٍ يَقْتَضي دَعَةً … وَفي القَصاصِ حَياةٌ تُذْهِبُ الرِّيَبَا
رَمَـى الإمـامُ بـه عَـذْرَاءَ غـادِرَةً … فافْتَضَّ عُذْرَتَها بالسَّيْفِ واقْتَضَبَا
مـحمَّـدُ بـن سُـلَيْـمان أَعَزُّهُـمُ … نَفْسًا وأَكْرَمُهُم في الذَّاهِبينَ أبَا
سرى بأُسْدِ الشَّرَى لَوْ لم يُرَوْا بَشَرًا … أَضْحى عَرِينُهم الخَطِّيَّ لا القُضُبا
حُمَّ القَضاءُ على اليَحْموم حين أتَوْا … مثلَ الدَّبَى يَمْتَحون الدبةَ الدَّأَبَا
/إيهًا عَلَوْتَ على الأيَّام مَرْتَبَةً … أَبَا عَليٍّ تَرَى مِنْ دُونِها الرُّتَبَا ٣
لمَّا أطالَ بنو طُولون خُطْبَتَهُم … من الخُطوبِ وعافَت منهم الخُطَبا
هارَت بهارونَ من ذِكْراكَ بُقْعَتُهُ … وشَيَّبَ الرُّعْبُ شَيْبانًا وقد رَعِبَا
فأَصْبَحُوا لا تُرَى إلَّا مَساكِنُهُم … كـأنَّـها مـن زَمـانٍ غـابِرٍ ذَهَـبَا
وكم تُرَى لهم من جَنَّةٍ أُنُفٍ … ومن نَعيمٍ جَنَى من غَدْرِهم عَطَبا

وقال أَحْمَدُ بن أبي يَعْقوب[١]:

[الكامل]

إنْ كُنتَ تَسْأَلُ عن جلالَة مُلْكِهم … فـارْتَـعْ وعُـجْ بمَـرابِـعِ المَيْـدَانِ
وانْظُر إلى تِلْكَ القُصُور ومَاحَوَتْ … واسْـرَحْ بزَهْـرَةِ ذلكَ البُسْـتَـانِ
وَإنِ اعْتَبَرْتَ ففيه أيضًا عِبْرَةٌ … تُنْبيكَ كَيْفَ تَصَرُّف العَصْرانِ
يا قَتْل هارُونَ اجْتَثَثْتَ أُصُولَهُم … وأَشَبْـتَ رَأْسَ أَمِيـرِهـم شَيْبـانِ
لم يُغْنِ عنه[a] بَأْسُ قَيْسٍ إذ غَدَا … في جَحْـفَـلِ لَجِبٍ ولا غَسَّـانِ
وعُدَيَّةُ البَطَلُ الكَمِيّ وخَزْرَجٌ … لَمْ يُنْصَـرَا بـأخيـهِمَـا عَدْنـانِ
زُفَّت إلى آلِ النُّبُوَّةِ والهُدَى … وتَمَزَّقَت عن شِيعَةِ الشَّيْطانِ

وقال إسماعيلُ بن أبي هاشِم[٢]:

[الكامل]

a) بولاق: عنكم، الكندي: عنهم.

[١] الأبيات عند الكندي: ولاة مصر ٢٧٢- ٢٧٣. المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ١٤٠.

[٢] الأبيات عند الكندي: ولاة مصر ٢٧٤؛ أبي

قِفْ وَقْفَةً بفِنَاءِ[a] باب السّاجِ والقَصْرِ ذي الشُّرُفاتِ والأَبْرَاجِ
ورُبُوعِ قَوْمٍ أُزْعِجُوا عن دارِهِم بَعْدَ الإقامَةِ أَيَّما إزْعاجِ
كانوا مَصابِيحًا لَدَى[b] ظُلَمِ الدُّجَى يَسْرِي بها السّارُونَ في الإدْلاجِ
وكأن أَوْجُهَهُم[c] إذا أَبْصَرْتَهَا مِنْ فِضَّةٍ مَصْنُوعَةٍ أو عاجِ[d]
كانوا لُيوثًا[e] لا يُرامُ حِماهُمُ في كُلِّ مَلْحَمَةٍ وكُلِّ هِيَاجِ
فانْظُر إلى آثارِهِم تَلْقَى لَهُمْ عَلَمًا بكُلِّ ثَنِيَّةٍ وفِجَاجِ
وعَلَيْهِمُ ما عِشْتُ لا أَدَعُ البُكَا مَعَ كلِّ ذي نَظَرٍ وطَرْفٍ ساجي

وقال سَعيدُ القاص[1]:

[الطويل]

جَرَى دَمْعُهُ ما بين سَحْرٍ إلى نَحْرِ ولم يَجْرِ حتَّى أَسْلَمَتْهُ يَدُ الصَّبْرِ
وباتَ وَقيذًا للَّذِي خامَرَ الحَشَا يَئِنّ كما أَنَّ الأَسيرُ من الأَسْرِ
وهل يستطيعُ الصَّبْرَ مَنْ كان ذا أَسًى يَبيتُ على جَمْرٍ ويُضْحِي على جَمْرِ
تتابُعُ أَحْداثٍ تَحَيَّفْنَ[f] صَبْرَه وغَدْرٌ من الأَيَّامِ والدَّهْرُ ذُو غَدْرِ
أصابَ على رَغْمِ الأُنُوفِ وجَدْعِهَا ذَوِي الدِّين والدُّنْيا بقاصِمَةِ الظَّهْرِ
طَوَى زِينَةَ الدُّنْيا ومِصْباحَ أَهْلِها بفَقْد بني طُولُونَ والأَنْجُمِ الزُّهْرِ
وفَقْد بني طُولون في كلِّ مَوْطِنٍ أَضَرَّ على الإسلام فَقْدا من القَطْرِ[g]
فبادُوا وأَضْحَوْا بعد عِزٍّ ومَنْعَةٍ أحاديثَ لا تَخفى على كلِّ ذي حِجْرِ
وكان أبو العَبَّاس أحمدُ ماجِدًا جَميلَ المُحَيَّا لا يَبيتُ على وِتْرِ
كأَنَّ ليالي الدَّهْرِ كانت لِحُسْنِها وإشْراقِها في عَصْرِه ليلةَ القَدْرِ[h]
يَدُلُّ على فَضْلِ ابن طُولونَ هِمَّةٌ مُحَلِّقَةٌ بين السِّماكَيْنِ والغَفْرِ
فإن كنتَ تَبْغي شاهِدًا ذا عَدالَةٍ يُخَبِّر عَنْه بالجَلِيِّ من الأَمْرِ
فبالجَبَلِ الغَرْبِيِّ خِطَّةُ يَشْكُرٍ له (مَسْجِدٌ) يُغْني عن المَنْطِقِ الهَذْرِ

---

a) بولاق : بقباب . b) الكندي : إذا . c) الكندي : وجوههم . d) بولاق : من فضة بيضاء أو من عاج . e) الكندي : ثريا . f) بولاق : يضيمن . g) هذا البيت ساقط من الكندي والنجوم . h) الكندي : البدر .

---

[1] الأبيات عند الكندي: ولاة مصر ٢٧٤-٢٧٧، وأورد منها بعض أبيات أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ١٤١، وقارن هذه القصيدة بالقصيدة التي رثى فيها عمارة اليمني الدولة الفاطمية فيما يلي ٦٠٦-٦٠٧.

يَـدِلّ ذَوي الألْـبـابِ أنَّ بِـنَـاءَه … وبانيَه لا بالضَّنينِ ولا الغُمْرِ
بَـنـاه بـآجُـرٍّ وسَـاجٍ[a] وعَـرْعَـرِ … وبالمَرْمَرِ المَسْنونِ والجَصِّ والصَّخْرِ
بَعيدُ مَدَى الأقْطارِ سَامٍ بِناؤُه … وَثيقُ المَبَاني من عُقُودٍ ومن جُذْرِ
فَسيحُ الرِّحاب يَحْسِرُ[b] الطَّرْفُ دُونَه … رَقيقُ النَّسيمِ[c] طَيِّبُ العَرْفِ والنَّشْرِ
٣ /(وتَنُّورُ فِرْعَوْنَ) الّذي فَوْقَ قُلَّةٍ … على جَبَلٍ عالٍ على شاهِقٍ وَعِرِ
بَنَى مَسْجِدًا فيه يُرُوق[d] بِناؤُه … ويَهْدي به في اللَّيْلِ إن ضَلَّ من يَسْري
تَـخـالُ سَـنَـا قِـنْـدِيـلِه وضِـيـاءَهُ … شُهَيْلًا إذا ما لاحَ في اللَّيْلِ للسَّفْرِ
وعَيْنٌ معينُ الشُّرْب غَيْر[e] رَكِيَّةٍ … وغَيْرُ[e] أُجاجٍ لـلـرُّواةِ ولـلـطُّـهْـرِ
كأنَّ وُفودَ النِّيلِ في جَنَباتِهَا … تَروحُ وتَغْدُو بين مَدٍّ إلى جَزْرِ
فَـأرْقَـاهَـا[f] مُـسْـتَـنْـبِـطًـا لمعينِهَـا … من الأرض من بَطْنٍ عميقٍ إلى ظَهْرِ
بِناءٌ لو أنَّ الجِنَّ جاءَت بِمِثْلِه … لقيل : لقد جاءَتْ بِمُسْتَفْظَعٍ نُكْرِ
يَمُرُّ عـلى أرْضِ المَعافِرِ كُـلِّـهـا … وشَعْبانَ والأُحْمُور والحَيِّ من بِشْرِ
قَبائِلُ لا نَوْءُ السَّحاب يَمُدُّها … ولا النِّيلُ يَرْويها ولا جَدْوَلٌ يَجْري
ولا تَنْسَ (مارِسْتانَه) واتِّساعَهُ … وتَوْسِعَةَ الأرْزاقِ للحَوْل والشَّهرِ
ومَـا فِيهِ مـن قُـوَّامِـه وكُـفَـاتِـه … ورِفْقَهُم بالمُعْتَفينَ ذَوي الفَقْرِ
فَلِلْمَيِّت المَقْبورِ حُسْنُ جَهازِه … وللحَيِّ رِفْقٌ في عِلاجٍ وفي جَبْرِ
وإن جِئْتَ رأسَ الجِسْرِ فانْظُرْ تأمُّلًا … إلى (الحِصْنِ) أو فاعْبُرْ إليه على الجِسْرِ
تَرى أثرًا لم يَبْقَ مَنْ يَسْتَطيعُهُ … من النَّاسِ في بَدْوِ البِلادِ ولا حَضْرِ
مآثِرُ لا تَبْلَى وإن بادَ أهْلُها … ومَجْدٌ يؤدّي وارِثيه إلى الفَخْرِ
لَقَدْ ضُمِّنَ القَبْرُ المُقَدَّرُ ذَرْعُهُ … أجَلَّ إذا ما قِيس من قُبَّتَيْ حَجْرِ
وقامَ أبو الجَيْش ابنُهُ بعد مَوْتِه … كما قامَ لَيْثُ الغابِ في الأَسَلِ السُّمْرِ
أَتَتْهُ المَنايَا وهُوَ في أمْنِ دارِهِ … فأَصْبَحَ مَسْلوبًا من النَّهْيِ والأَمْرِ
كذاكَ اللَّيالي مَنْ أعارَتْهُ بَهْجَةً … فيَا لَكَ من نابٍ حَديدٍ ومن ظُفْرِ
ووَرَّثَ هارونَ ابنَهُ تاجَ مُلْكِهِ[g] … كذاكَ أبو الأَشْبال ذو النَّابِ والهَصْرِ
وقد كان جَيْشٌ قَبْلَه في مَحَلِّه … ولكنَّ جَيْشًا كان مُسْتَقْصَرَ[h] العُمْرِ

---

a) الكندي : آس . b) بولاق : يحصر . c) بولاق : نسيم . d) الكندي : يفوق . e) بولاق : عين .
f) بولاق : فأرك بها . g) الكندي : تاج ماجد . h) الكندي : مستنقص .

فقامَ بأمْرِ المُلْكِ هارُونُ مُدَّةً		على كَظَظٍ[a] من ضِيق باعٍ ومن حَصْرِ
ومازالَ حتى زالَ والدَّهْرُ كاشِحٌ		عَقارِبُه من كلِّ ناحيةٍ تَسْري
تَذَكَّرْتهم لمَّا مَضَوْا فتَتابَعُوا		كما ارْفضَّ سِلْكٌ من جُمانٍ ومن شَذْرِ
فمن يَبْكِ شيئًا ضاعَ من بعد أهْلِهِ		لفَقْدِهِم فلْيَبْكِ حُزْنًا على مصرِ
ليَبْكِ بني طُولونَ إذ بانَ عَصْرُهُم		فبُورِكَ من دَهْرٍ وبُورِكَ من عَصْرِ

ثم أَمَرَ الحُسَيْنُ بن أحمد الماذَرائي، مُتَوَلِّي خَراج مصر، بهَدْم المَيْدان[b]، فابْتُدئَ في هَدْمِه في شهر رَمَضان سنة ثلاثٍ وتسعين ومائتين، وبِيعَت أنْقاضُه ودَثَرَ كأن لم يَكُن[1].

وقال محمد بن طَشْوَيْه[2]:

[البسيط]

مَنْ لمْ يَرَ الهَدْمَ للمَيْدانِ لم يَرَهُ		تَبارَكَ اللهُ ما أعْلاه وأقْدَرَهُ
لو أنَّ عَيْنَ الذي أنْشاه تُبْصِرُهُ		والحادِثاتُ تُعاديه لأكْبَرَهُ
كانَت عُيُونُ الوَرَى تَعْشو لهَيْبَتِه		إذا أضافَ إليه الملك عَسْكَرَهُ
أيْنَ الملوكُ الّتي كانت تَحُلُّ به		وأينَ من كانَ بالإتْقانِ[c] دَبَّرَهُ
وأَيْنَ من كانَ يَحْميه ويَحْرُسُه		من كلِّ لَيْثٍ يَهاب اللَّيْثُ مَنْظَرَهُ
صاحَ الزَّمانُ بمن فيه ففَرَّقَهُم		وحَطَّ رَيْبَ البِلَى فيهِ فدَعْثَرَهُ
وأَخْلَقَ الدَّهْرُ منه حُسْنَ جِدَّتِه		مثلَ الكِتابِ مَحَا العَصْران أسْطُرَهُ
دُكَّت مَناظِرُه واجْتُثَّ جَوْسَقُه		كأنَّما الخَسْفُ فاجأَهُ فدَمَّرَهُ
أوْ هَبَّ إعْصارُ نارٍ في جَوانِبِهِ		فعادَ مَعْروفُه للعَينِ مُنْكَرَهُ
كَمْ كان يأوي إليه في مَقاصِرِهِ		أحوَى أغنُّ غَضيضَ الطَّرْفِ أحْوَرَهُ
كم كانَ فيه لهُم من مَشْرَبٍ غَدَقٍ		فعَبَّ صرف الرَّدَى فيهِ فكَدَّرَهُ
أينَ ابنُ طُولون بانيه وساكِنُه		أَماتَه المَلِكُ الأعْلى فأقْبَرَهُ
/ما أَوْضَحَ الأمْرَ لوْ صَحَّت لنا فِكَرٌ		طُوبَى لمن خَصَّه رُشْدٌ فذَكَّرَهُ

a) الكندي: نكد. b) بولاق: الديوان. c) بولاق: بالإنقاذ.

[1] أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ١٤١-١٤٢ وهو ينقل عن الخطط، ووردت هذه الفقرة في غير موضعها الصحيح في بولاق.

[2] الكندي: ولاة مصر ٢٨٣؛ واختار أبو المحاسن ستة أبيات من القصيدة أوردها في النجوم الزاهرة ٣: ١٤٢.

وقال أحمد بن إسحاق الجفر[a] [١]:

[الخفيف]

وإذا ما أَرَدْتَ أعْجُوبَةَ الدَّهْـ　　ـرِ تَراهَا فانْظُرْ إلى المَيْدانِ
تَنْظُرِ البَثَّ[b] والهُمُومَ وأَنْوا　　عًا تَوالَت بِه مِنَ الأشْجانِ
يَعْلَمُ العَالِمُ المُبَصَّرُ أنَّ الـ　　ـدَّهْرَ فيما يَراه ذو أَلْوانِ
أيْنَ ما فِيهِ من نَعيمٍ ومِنْ عَيْـ　　ـشٍ رَخِيٍّ ونَضْرَةٍ وحِسانِ
أينَ ذاكَ المِسْكُ الذي دِيفَ بالعَنْـ　　ـبَرِ بَحْتًا وعُلَّ بالزَّعْفَرانِ
أينَ ذاكَ الخَزّ المُضاعَفُ والوَشْـ　　ـيُ ومَا استخلصوا من الكَتّان
أينَ تِلكَ القِيانُ تَشْدو على الفُرْ　　شِ بما اسْتَحْسَنوا من الألْحانِ
دَوَّرَ[c] الدَّهْرُ آلَ طولونَ في هُـ　　ـوَّةِ قَفْرٍ مَسْكُونُها غَيْرُ دانِ
وأعاضَ المَيْدانَ من بَعدِ أهْليـ　　ـهِ ذِئابًا تَعْوِي بتلكَ المَغاني

وقال سَعيدُ القاص [٢]:

[الخفيف]

وكأنَّ المَيْدانَ ثَكْلَى أُصِيبَتْ　　بحَبيبٍ صَبَاحَ[d] لَيْلَة عُرْسِ
تتغَشَّى الرِّياحُ منه مَحَلًّا　　كان للصَّوْن في سُتور الدِّمَقْسِ
ولفَرْشِ الإضْريجِ والبُسُطِ والدِّيـ　　ـباجِ في نِعْمَةٍ وفي لِين مَسٍّ[e]
ووُجوهٍ من الوُجوهِ حِسانٍ　　وخُدودٍ مثلَ اللآلئ مُلْسِ
كُلِّ كَحْلاءَ[f] كالغَزَالِ ونَجْلا　　ءَ رَدَاحٍ من بين حُورٍ ولُعْسِ
آلَ طُولونَ كنتُمْ زِينَةَ الأَرْ　　ضِ فأَضْحَى الجَديدُ أهْدامَ لُبْسِ

وقال ابنُ أبي هاشِم [٣]:

[البسيط]

يا مَنْزِلًا لبَني طُولون قد دَثَرَا　　سَقاكَ صَوْبُ الغَوَادي القَطْرَ والمَطَرَا
يا منزلًا صِرْتُ أَجْفُوه وأَهْجُره　　وكان يَعدِل عِنْدي السَّمْعَ والبَصَرَا

a) الكندي : الحكر . b) بولاق : البين . c) بولاق : حوز . d) بولاق : قد ضاع . e) بولاق : لمس . f) بولاق : بخلاء .

[١] الأبيات عند الكندي : ولاة مصر ٢٨٤.

[٢] الأبيات عند الكندي : ولاة مصر ٢٨٤–٢٨٥ وأورد منها أبو المحاسن بعض أبيات ، النجوم الزاهرة ٣: ١٤٢– ١٤٣.

[٣] الأبيات عند الكندي : ولاة مصر ٢٨٥ وأبي =

بـالله عِـنْـدَكَ عِـلْـمٌ مِـنْ أَحِبَّتِنا   أم هَلْ سَمِعْتَ لهم من بَعْدِنا خَبَرَا

وقال :

[الطويل]

أَلَا فاسْأَل (المَيْدانَ) ثم اسْأَل (الجَبَلْ)   عن المَلِك الماضي ابن طُولون ما فَعَل
وعن ابنه العَبَّاس إن كنت سَائِلًا   وأين أبو الجَيْش الفضافضة البَطَل
وجَيْشٌ وهارونُ الذي قامَ بَعْدَه   وشَيْبَانُ بالأَمْس الذي خانَه الأَمَل
ومن قبله أَرْدَى رَبيعة يَوْمَه   وكان هِزَبْرًا لا يُطاقُ إذا حمَلَ
وأين ذَراريهم وأين جُموعُهم   وكيف تَقَضَّي عنهم المُلْك فاضْمَحَلّ
وأين بِناءُ القَصْر والجَوْسَقُ الذي   عَهِدْناه مَعْمُور الفَنَاء له زَجل
لقد مَلَكُوه بُرْهَةً من زَمانِنا   بدَوْلتهم ثم انْقَضَوا بانْقِضَاء الدُّوَل
فما منهم خَلْقٌ يُحسّ ولا يُرَى   بذِكْر طِوال الدَّهْر لمَّا انْقَضَى الأَجَل
وصاروا أَحاديثًا لمن جاءَ بَعْدَهُم   وكان بهم في مُلْكهم يُضْرَب المَثَل

وقال :

[الكامل]

قِفْ وَقْفَةً وانْظُر إلى (المَيْدان)   و(القَصْر) ذي الشُّرُفات والإيوانِ
و(الجَوْسَق) العالي المنيف بِناؤُه   ما بالُه قَفْرٌ من السُّكَّانِ
أين الذين لَهَوا به وغَنُّوا به   زَمَنًا مع القَيْنات والنِّسْوانِ
يُجْبَى الخَراجُ إليهم في دَارِهم   لا يَرْهَبون غَوائِل الحَدَثانِ
جَمَعُوا الجُموعَ مع الجُموع فأَكْثَروا   واسْتَأْثروا بالرُّوم والسُّودانِ
/فانْظُر إلى ما شَيَّدُوا من بَعْدِهِم   هَلْ فيه غير البُوم والغِرْبانِ
أين الأُلَى حَفَرُوا العُيونَ بأَرْضِه   وتأَنَّقُوا فيه وفي البُنْيانِ
غَرَسُوا صُنوفَ النَّخْل في ساحاتِه   وغَرائِبَ الأَعْناب والرُّمَّانِ
والزَّعْفَرانِ مع البَهارِ بأَرْضِه   والوَرْدِ بين الآسِ والرَّيْحانِ
كانوا مُلوكَ الأَرْض في أَيَّامِهم   كُبَراءَ كلِّ مَدينَةٍ ومَكانِ
فتَمَزَّقُوا وتَفَرَّقُوا فهُناك هم   تحت الثَّرَى يَبْلون في الأَكْفان
ألا أُغَيْلِمَة أسارَى بَعْدَهم   في دارِ مَضْيَعَةٍ ودارِ هَوَانِ
مُتَلَذِّذين بأَسْرِهم قد شُرِّدوا   ونُفُوا عن الأَهْلين والأَوْطانِ

= المحاسن : النجوم الزاهرة ٣ : ١٤٣.

واللهُ وارِثُ كلِّ حَيٍّ بَعْدَهم   وله البَقاءُ وكلُّ شَيءٍ فاني

وقال :

[مجزوء الخفيف]

إنَّ في قُبَّةِ الهَواء لذي اللُّبِّ مُعْتَبَرْ
والقُصورُ المُشَيَّداتُ مع الدُّور والحَجَرْ
والبَساتينُ والمجالِسُ والبَيْتُ والزَّهَرْ
والجَواري المُغَنِّيات ذَوي الدَّلِّ والخَفَرْ
يَتَبَخْتَرْن في الحَرير وفي الوَشْي والحِبَرْ
ومُلوكٌ عَبيدهم عَدَدَ الشَّوْكِ والشَّجَرْ
وجُيُوشٌ مُؤَيَّدون لذي البَأْس والظَّفَرْ[a]
من صُنُوف السُّودان والتُّرْك والرُّوم والخَزَرْ
عمَّروا الأَرْضَ مُدَّةً ثم صاروا إلى الحَفَرْ
واستذَلَّ[b] الزَّمانُ من عاشَ منهم فلم يَذَرْ
فهمُ في الهَوَان والذُّلِّ أَسْرَى على خَطَرْ
وهمُ بَعْد صَفْو عَيْشٍ من الذُّلِّ في كَدَرْ
يا لَطُولُونَ ما لَكُم صِرْتُم للوَرَى سَمَرْ
يا لطولون كنتم خَبَرًا فانْقَضى الخَبَرْ

وقال :

[الطويل]

مَرَرْتُ على (المَيْدان) مُعْتَبِرًا به   فنادَيْته أَيْن الجِبالُ الشَّوامِخُ
خُمارَ وعَبَّاسٍ وأَحْمَد قَبْلَهم   وأين تُرى شَيْبانُهم والمَشايخُ
وأين ذَراري آلِ طُولُون بَعْدَهم   أمَا فيكَ منهم أيُّها الرَّبْعُ صارِخُ
وأين ثِيابُ الخَزِّ والوَشْي والحُلِيِّ   وأرْبابُها ، أم أيْن تلك المَطابِخُ
وأين فُتاتُ المِسْك والعَنْبَر الذي   غُنيتَ به دَهْرًا وتلك اللَّطائِخُ
لقد غالَكَ الدَّهْرُ الخَئونُ بصَرْفه   فأَصْبَحْت مُنْحَطًّا وغيرك باذِخُ

a) بولاق : بالظفر .   b) بولاق : واستبد .

وقال:

[الطويل]

مَرَرْتُ على المَيْدانِ بالأَمْسِ ضاحِيًا ... فأَبْصَرْتُه قَفْرَ الجَنابِ فَراعَني
فنادَيْتُ فيه: يا آلَ طُولُونَ ما لَكُم ... هُمُود[a] فَمَا خَلْقٌ بحَرْفٍ أجابَني
فأَذْرَيْت عَيْنًا ذاتَ دَمْعٍ غَزيرةٍ ... ورُحْتُ كَئيبَ القَلْبِ مِمَّا أَصابَني
وإنّي عليهم ما بَقيتُ كمُوجَعٍ ... ولَسْتُ أُبالي مَنْ لَحاني وعابَني

وحَدَّث مُحَمَّدُ بن أبي يَعْقُوب الكاتِب [1]، قال: لمَّا كانت لَيْلَةُ عيد الفِطْر، من سنة اثنتين وتسعين ومائتين، تَذَكَّرْتُ ما كان فيه آلُ طُولون في مثلِ هذه الليلة، من الزِّيِّ الحَسَن بالسِّلاح ومُلَوَّنات البُنُود، والأعْلام، وشُهْرَة الثِّياب، وكَثْرة الكُراع، وأَصْوات الأبْواق والطُّبُول، فاعْتَراني لذلك فِكْرَةٌ، ونِمْت في لَيْلَتي فسَمِعْت هاتِفًا يقول: ذَهَبَ المُلْكُ والتَّمَلُّكُ والزِّينَةُ لمَّا مَضَى بنو طُولون.

وقال القاضي أبو عَمْرو عُثْمان النَّابُلُسي في كِتاب «حُسْن السَّريرة[b] في اتِّخاذ الحِصْن بالجَزِيرَة» [2]: رأيتُ كِتابًا قَدْر اثنتي عشرة كُرَّاسَة، مَضْمونُه فِهْرِست شُعَراء المَيْدان الذي لأَحْمَد ابن طُولون قال: فإذا كانَت أسْماءُ الشُّعَراء في اثنتي عشرة كُرَّاسَة، كم يكون شِعْرُهم مع أنَّه لم يُوجَد من ذلك الآن ديوانٌ واحِد؟! [3]

وقال أبو الخَطَّابُ بن دِحْيَة في كِتاب «النِّبْراس»: وخُرِّبَت قَطائِعُ أحمد بن طُولون - يعني في الشِّدَّة العُظْمَىٰ زَمَن الخَليفَة المُسْتَنْصِر -، وهَلَكَ جَميعُ من كان بها من السَّاكِنين، وكانت نَيِّفًا على مائة ألف دار نُزْهَةً للناظِرين مُحْدِقَةً بالجِنان والبَساتين، والله يَرِث الأرْضَ ومَنْ عليها وهو خَيْرُ الوارِثين [4].

---

a) بولاق: فهود. b) بولاق: السيرة.

---

[1] كذا في سائر النُّسَخ ولعلّ المقصود أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وَهْب بن واضِح الكاتِب المعروف باليَعْقوبي المتوفى بعد سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م، وهو جغرافي ومؤرِّخ وُلِدَ في بغداد ولكنه غادرها إلى خراسان وأرمينية وفلسطين والمغرب وأقام في مصر وتمتع برعاية الطولونيين. (راجع، ياقوت: معجم الأدباء ٥:١٥٣-١٥٤؛ المقريزي: المقفى الكبير ١:٧٣٨؛ اليعقوبي: البلدان ٣٧٢).

[2] انظر فيما تقدم ١: ٢٣١.

[3] أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٣:١٣٩- ١٤٠.

[4] ابن دحية: النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ١٤٢، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ١٤٠؛ وانظر فيما يلي ١٤٢.

ذِكْرُ مَنْ وَلِيَ مِصْر مِن الأُمَرَاء بَعد خَرَاب القَطَائِع إلى أن بُنِيَت قَاهِرَة المُعِزّ على يَد القَائِد جَوْهَر

وكان أوَّلُ من وَلِيَ مصر ـ بعد زَوال دَوْلَة بني طُولُون وخَراب القَطائِع ـ محمدُ بن سُلَيْمان الكاتِب، كاتِب لُؤْلُؤ غُلام أحمد بن طُولون، دَخَلَ مصر يوم الخميس مستهلّ رَبيع الأوَّل سنة اثنتين وتسعين ومائتين، ودَعَا على المِنْبَر لأمير المؤمنين المُكْتَفي بالله وَحْدَه، وجَعَلَ أبا عليّ الحُسَيْن ابن أحمد الماذَرائي على الخَرَاج، عِوَضًا عن أحمد بن علي الماذَرائي [1].

ثم وَرَدَ كِتابُ المُكْتَفي بولاية عيسَىٰ بن محمد النُّوشَرِيّ أبي مُوسَى، فوَلِيَ على الصَّلاة، ودَخَلَ خَليفَتُه لأربع عشرة خَلَت من جُمادَى الأولى، فتَسَلَّم الشُّرْطَتَيْن وسائِر الأعْمال. ثم قَدِمَ عيسَىٰ لسبع خَلَوْن من جُمادَى الآخرة [2]، وخَرَجَ محمد بن سُلَيمان مستهلّ رَجَب، وكان مُقامُه بمصر أربعة أشهر.

وأَخْرَجَ كلَّ من بَقِي من الطُّولونية، فلمَّا بَلَغوا دِمَشْق، انْخَنَسَ عنهم محمد بن عليّ بن الخَليج[a] في جَمْعٍ كثيرٍ ممَّن كَرِه مُفارَقَة مصر من القُوَّاد، فعَقَدُوا له عليهم، وبايَعُوه بالإمْرَة في شَعْبان، ورَجَعَ إلى مصر.

فبَعَثَ إليه النُّوشَرِيّ [b) بجَيْشٍ أوَّل رَمَضان وقد دَخَلَ أرض مصر، ثم خَرَجَ إليه النُّوشَرِيُّ (b]، وعَسْكَر بباب المَدينَة أوَّل ذي القعدة، وسارَ إلى العَبَّاسَة، ثم رَجَعَ لثلاث عشرة خَلَت منه،

---

a) في المصادر الأخرى: الخلنج، الخلنجي. b-b) ساقطة من آياصوفيا نتيجة انتقال نظر.

---

[1] الكندي: ولاة مصر ٢٧٧- ٢٧٨، وانفرد المقريزي بأن جعل محمد بن سليمان الكاتب أوَّل من ولي مصر بعد سقوط الدولة الطولونية، وتبعه في ذلك أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ١٤٤ ولكنه أضاف: «وفي ولايته أقوالٌ كثيرة فمن الناس من لا يعدُّه من الأمراء بمصر بل ذكر دخوله لفتح مصر وأنه كان مقدم العساكر لا غير؛ وقائلو هذه المقالة هم الأكثر، ووافقتهم أنا أيضًا على ذلك، لأن المكتفي لمَّا خَلَعَ عليه أمره بالتوجه لقتال مصر وأمر أصحابه بالسَّمْع والطاعة ولم يولّه عملها؛ وعندما بلغ الخليفة المكتفي فَتْحُ مصر ولَّى عليها في الحال عيسى النُّوشَري ....؛ ومن الناس من عدَّه من جملة أمراء مصر بواسطة تحكّمه وتصرُّفه في الديار المصرية»؛ وانظر كذلك المقريزي: المقفى الكبير ٥: ٧٠٠- ٧٠٥.

[2] الكندي: ولاة مصر ٢٧٨ ويوجد بعد ذلك سقط قدر صفحة أو صفحتين في نشرة ولاة مصر للكندي موجود في أصل النسخة الوحيدة المعتمد عليها في النشر.

وخَرَجَ إلى الجيزَة من غَدِه ، وأَحْرَق الجِسْرَيْن ، وسارَ يُرِيد الإسْكَنْدَرية ، ففرَّ عنه طائفةٌ إلى ابن الخَلِيج [a]، فبَعَثَ إليه بجَيْشٍ فهَزَمَه ، وسارَ إلى الصَّعيد . ودَخَلَ محمد بن الخَلِيج[a] الفُسْطاط لأربع عشرة بقيت من ذي القعدة ، فوَضَعَ العَطاء ، وفَرَضَ الفُرُوض .

وقَدِمَ أبو الأَغرّ من قِبَل المُكْتَفي في طَلَب ابن الخَلِيج [a]، فخَرَج إليه لثلاثٍ خَلَوْن من المحرَّم سنة ثلاثٍ وتسعين وحارَبَه ، فانْهَزَم منه أبو الأَغَرّ [b]، وأَسَرَ من أَصْحابِه جَمْعًا كثيرًا ، وعادَ لثمانٍ بقين منه [١]. فقَدِمَ فاتِكُ المُعْتَضِدي من بَغْداد في البرّ فعَسْكَر ، وقَدِمَ دميانة في المراكِب ، فنَزل فاتِكٌ النُّوَيْرَة . فخَرَج ابنُ الخَلِيج[a] وعَسْكَر بباب المَدِينَة ، وقامَ في اللَّيْل بأربعة آلاف من أصحابه ليُبيت فاتِكًا ، فأَضَلُّوا الطريق ، وأَصْبَحوا قبل أن يَبْلُغوا النُّوَيْرَة ، فعَلِمَ بهم فاتِكٌ ، فنَهَضَ بأَصْحابه وحارَب ابن الخَلِيج [a]، فانْهَزَم عنه أَصْحابُه ، وثَبَتَ في طائِفَةٍ ، ثم انْهَزَم إلى الفُسْطاط لثلاثٍ خَلَوْن من رَجَب فاسْتَتَر [٢].

ودَخَل دِمْيانَة في مراكِب الثُّغور ، وأَقْبَل عيسَى النُّوشَرِيّ ، ومعه الحُسَيْنُ المَاذَرائي ومن كان معهما ، لخمسٍ خَلَوْن منه ، فعادَ النُّوشَرِيّ إلى ما كان عليه من صَلاتِها ، والماذَرائي إلى ما كان عليه من الخَرَاج . وعَرَفَ النُّوشَرِيُّ بمَكان ابن الخَلِيج [a]، فهَجَمَ عليه وقَيَّدَه لستٍّ خَلَوْن من رَجَب . وكانت مُدَّة ابن الخَلِيج[a] بمصر سبعة أشهر وعشرين يومًا [٣].

ودَخَل فاتِك في عَسْكره إلى الفُسْطاط لعَشْرٍ خَلَوْن من رَجَب ، فأَخْرَج ابن الخَلِيج[a] في البحر لستٍّ خَلَوْن من شَعْبان ، فلمَّا قَدِمَ بَغْداد طِيفَ به وبأَصْحابِه وهم ثلاثون نفرًا ، فكان يومًا مذكورًا [٤].

وابْتُدِئ في هَدْم مَيْدان بني طُولون في شهر رَمَضان ، وبيعت أَنْقاضُه [٥].

وخَرَجَ فاتِك إلى العِراق للنصف من جُمادَى الأولى سنة أربع وتسعين [٦].

وأَمَرَ النُّوشَرِيّ بنَفْي المُؤَنَّثين ، ومَنَعَ النَّوْح والنِّداء على الجَنائِز ، وأَمَرَ بإغْلاق المَسْجد الجامِع فيما بين الصَّلاتين ، ثم أَمَرَ بفَتْحِه بعد أيَّام [٧].

---

a) في المصادر الأخرى : الخلنج ، الخلنجي . b) بولاق : الأعز .

---

[١] الكندي : ولاة مصر ٢٧٩. [٢] نفسه ٢٨٠- ٢٨١. [٣] نفسه ٢٨١- ٢٨٢. [٤] نفسه ٢٨٢. [٥] نفسه ٢٨٢. [٦] نفسه ٢٨٥. [٧] نفسه ٢٨٥.

وماتَ المُكْتَفي في ذي القِعْدَة سنة خمسٍ وتسعين، فشَغَب الجُنْدُ بمصر، وحارَبوا التُّوشَرِي على طَلَبِ مالِ البَيْعَة، فظَفِرَ بجماعَةٍ منهم. وبُويِعَ جَعْفَرُ المُقْتَدِرُ، فأَقَرَّ التُّوشَرِيَّ على الصَّلاة [١].

وقَدِمَ زِيادَةُ الله بن إبراهيم بن الأَغْلَب أمير إفْرِيقِيَّة مَهْزومًا من أبي عبد الله الشِّيعي، في رَمَضان سنة ستٍّ وتسعين إلى الجِيزَة، فمَنَعَه التُّوشَرِيّ من العُبُور، وكانت بين أصْحابِه وبين جُنْد مصر مُنافَسَة، ثم أَذِنَ له أن يَعْبُر وَحْدَه [٢].

وماتَ التُّوشَرِيُّ لأَرْبعٍ بقين من شَعْبان سنة سبعٍ وتسعين وهو والٍ، فكانَت ولايتُه خمس سنين وشهرين ونصفًا، منها مُدَّة ابن الخَلِيج[a] سبعة أشهر وعشرون يومًا. وقامَ من بعده ابنه أبو الفَتْح محمد بن عيسَىٰ [٣].

ثم وَلِيَ تَكِينُ الخَزَري أبو مَنْصور من قِبَل المُقْتَدِر على الصَّلاة، فدُعِيَ له بها يوم الجُمُعَة لإحدى عشرة خَلَت من شَوَّال، وقَدِمَ خَليفَتُه لسبعٍ بقين منه، ثم قَدِمَ تَكين لليلتين خَلَتا من ذي الحِجَّة [٤].

وتقدَّم إليه بالجدِّ في أَمْر المغرب والاحْتِراس منه، فبَعَثَ جَيْشًا إلى بَرْقَة عليه أبو اليُمْن، فحارَبَه حُباسَة بن يُوسُف بعَساكِر المَهْدي عبيد الله الفاطِمي صاحِب إفْرِيقِيَّة، واسْتَوْلى على بَرْقَة، وسارَ إلى الإسْكَنْدَرية في زيادَة على مائة ألف، فدَخَلَها في المحرَّم سنة اثنتين وثلاث مائة [٥].

فقَدِمَت الجُيوشُ من العِراق مَدَدًا لتَكين في صَفَر، وقَدِمَ الحُسَيْنُ الماذَرائي وأحمد بن كَيْغَلَغ في جَمْعٍ من القُوَّاد، وبَرَزَت العَساكِرُ إلى الجِيزَة في جُمادَى الأولى، وخَرَجَ تَكين فكانت واقِعَةُ حُباسَة قُتِلَ فيها آلافٌ من النَّاس، وعادَ حُباسَة إلى المغرب [٦].

وقَدِمَ مُؤْنِسُ الخَادِم من بَغْداد في جُيوشه للنصف من رَمَضان ومعه جَمْعٌ من الأُمَرَاء، فنَزَلَ الحَمْرَاء، ولَقِي النَّاسُ منهم شَدائِد، وخَرَجَ ابن كَيْغَلَغ إلى الشَّام في رَمَضان [٧].

---

a) في المصادر الأخرى: الخلنج، الخلنجي.

---

[١] الكندي: ولاة مصر ٢٨٥. [٢] نفسه ٢٨٦. [٣] نفسه ٢٨٦. [٤] نفسه ٢٨٦. [٥] نفسه ٢٨٧، ٢٨٨.
[٦] نفسه ٢٨٨. [٧] نفسه ٢٩١.

وصُرِفَ تَكين لأربع عشرة خَلَت من ذي القعدة صَرَفَه مُؤْنِس، فخَرَجَ لسبعِ خَلَوْن من / ذي الحِجَّة، وأقامَ مُؤْنس يُدْعَى ويُخاطَب بالأُسْتاذ[١]. ١

ثم وَلِيَ ذَكَا الرُّومي أبو الحَسَن الأَعْوَر من قِبَل المُقْتَدِر على الصَّلاة، فدَخَلَ لثنتي عشرة خَلَت من صَفَرَ سنة ثلاثٍ وثلاث مائة، وخَرَجَ مُوسَى بجَميع جُيوشِه لثمانٍ خَلَوْن من رَبيع الآخر[٢].

وخَرَجَ ذَكَا إلى الإسْكَنْدَرية في المحرَّم سنة أربعٍ وثلاث مائة، ثم عادَ في ثامن رَبيع الأوَّل، وتَتَبَّعَ كلَّ من يُومَأ إليه بمُكاتَبَة المَهْدي صاحِب إفْريقِيَّة، فسَجَنَ منهم وقَطَعَ أيْدي أُناس وأَرْجُلَهم، وجَلَا أهل لُوبِيَة ومَراقِيَة إلى الإسْكَنْدَرية خَوْفًا من صاحِب بَرْقَة، وسَيَّرَ العَساكِرَ إلى الإسْكَنْدَرية، ثم فَسَدَ ما بينه وبين الرَّعِيَّة بسَبَب ذِكْر[a] الصَّحابَة ـ رضي الله عنهم ـ والقُرْآن [بما لا يليق][b] [٣].

وقَدِمَت عَساكِرُ المَهْدي صاحِب إفْريقِيَّة إلى لُوبِيَة ومَراقِيَة عليها أبو القاسِم، فدَخَلَ الإسْكَنْدَرية ثامِن صَفَر سنة سبعٍ وثلاث مائة، وفَرَّ النَّاسُ من مصر إلى الشَّام في البرِّ والبَحْر، فهَلَكَ أكثرُهُم. [c]وخَرَجَ ذَكا والجُنْد مُخالِفون[c] له، فعَسْكَر بالجِيزَة[٤]

وقَدِمَ الحُسَيْن[d] بن أحمد المَاذَرائي واليًا على الخَرَاج، فوَضَعَ العَطَاء[٥].

وجَدَّ ذَكَا في أَمْرِ الحَرْب، واحْتَفَر خَنْدَقًا على عَسْكَره بالجِيزَة، فمَرِضَ وماتَ لإحدى عشرة خَلَت من رَبيع الأوَّل بالجِيزَة، فكانت إمْرَتُه أربع سنين وشهرًا[٦].

فوَلِيَ تَكِينُ مَرَّةً ثانيةً من قِبَل المُقْتَدِر، وقَدِمَت جُيوشُ العِراق عليها مَحْمود بن حَمَك[e] وإبْراهيم بن كَيْغَلْغ في رَبيع الأوَّل، ودَخَلَ تَكين لإحدى عشرة خَلَت من شَعْبان، فنَزَلَ الجِيزَة وحَفَرَ خَنْدَقًا ثانيًا، وأَقْبَلَت مراكِبُ المغرب فظَفَر بها في شَوَّال[٧].

وقَدِمَ مُؤْنِسٌ الخادِم من بَغْداد بعَساكِره لخمسٍ خَلَوْن من المحرَّم سنة ثمانٍ وثلاث مائة، فنَزَلَ الجِيزَة وكان في نحو ثلاثة آلاف، وسَيَّرَ ابن كَيْغَلْغ إلى الأُشْمونَيْن، فماتَ بالبَهْنَسَا أوَّل ذي القعدة[٨].

---

a) بولاق: سبّ. b) إضافة من الكندي. c-c) بولاق: وأخرج ذكا الجند المخالفون. d) بولاق: أبو الحسن. e) بولاق: حمل.

---

[١] الكندي: ولاة مصر ٢٩١. [٢] نفسه ٢٩١. [٣] نفسه ٢٩٢. [٤] نفسه ٢٩٢-٢٩٣. [٥] نفسه ٢٩٣.
[٦] نفسه ٢٩٣. [٧] نفسه ٢٩٣، ٢٩٤. [٨] نفسه ٢٩٤.

ومَلَكَ أصْحابُ المَهْدي الفَيُّوم وجَزيرَة الأُشْمونَيْنُ، فقَدِمَ جنّي الخادِم من بغْداد في عَسْكَرٍ آخر ذي الحجَّة، فعَسْكَر بالجِيزَة، فكانت حُروبٌ مع أصْحاب المَهْدي بالفَيُّوم والإسْكَنْدَرية، ورَجَعَ أبو القاسِم بن المَهْدي إلى بَرْقَة [١].

وصُرِفَ تَكين لِثلاث عشرة خَلَت من رَبيع الأوَّل سنة تسعٍ وثلاث مائة [٢].

فوَلَّى مُؤْنِس أبا قابُوس محمود بن حَمَك [a]، فأقامَ ثلاثة أيام وعَزَلَه، ورَدّ تَكين لخمسٍ بقين من رَبيع الأوَّل، ثم صَرَفَه بعد أرْبَعة أيام وأَخْرَجَه إلى الشّام في أربعة آلاف من أهْل الدِّيوان [٣].

ثم وَلِيَ هِلالُ بن بَدْر من قِبَل المُقْتَدِر على الصَّلاة، فدَخَلَ لستٍّ خَلَوْن من رَبيع الآخر، وخَرَجَ مُؤْنِس لثمان عشرة خَلَت منه ومعه ابن حَمَك [a]، فشَغَبَ الجُنْدُ على هِلال، وخَرَجُوا إلى مُنْيَة الأَصْبَغ ومعهم محمد بن طاهِر صاحِب الشُّرَط، فكَثُرَ النَّهْب والقَتْل والفَساد بمصر، إلى أن صُرِفَ عنها في رَبيع الآخَر سنة إحدى عشرة وثلاث مائة، وخَرَجَ في نَفَرٍ من أصْحابِه [٤].

فوَلِيَ أحمدُ بن كَيْغَلَغ من قِبَلَ المُقْتَدِر على الصَّلاة، وقَدِمَ ابنُه أبو العَبَّاس خَليفَة له أوَّل جُمادَى الأولى، ثم قَدِمَ ومعه محمد بن الحُسَيْنُ بن عبد الوهّاب الماذَرائي على الخَرَاج في رَجَب، فأحْضَرا الجُنْد ووَضَعَا العَطَاء، وأسْقَطَا كثيرًا من الرجّالة ـ وكان ذلك بمُنْيَة الأَصْبَغ ـ فثارَ الرجَّالَة به، ففَرَّ إلى فاقُوس، وأَدْخَل الماذَرائي إلى المَدينَة لثمانٍ خَلَوْن من شَوَّال، وأقامَ ابن كَيْغَلَغ بفاقُوس إلى أن صُرِفَ بقُدوم رَسُول تَكِين في ثالِث ذي القِعْدَة [٥].

فوَلِيَ تَكينُ المَرَّة الثّالِثَة من قِبَل المُقْتَدِر على الصَّلاة، وخَلَفَه ابن مَنْجُور إلى أن قَدِم يوم عاشُوراء سنة اثنتي عشرة وثلاث مائة، فأَسْقَطَ كَثيرًا من الرجَّالة ـ وكانوا أهْل الشَّرّ والنَّهْب ـ ونادَى ببَرَاءَة الذِّمَّة ممَّن أقامَ منهم بالفُسْطاط [٦].

وصَلَّى الجُمُعَة في دارِ الإمارَة بالعَسْكَر. وتَرَكَ حُضُور الجُمُعة في مَسْجِد العَسْكَر والمَسْجِد الجامِع العَتيق في سنة سبع عشرة، ولم يُصَلِّ قَبْلَه أَحَدٌ من الأُمَرَاء في دار الإمارَة الجُمُعَة [٧].

---

a) بولاق: حمل.

---

[١] الكندي: ولاة مصر ٢٩٤، ٢٩٥. [٢] نفسه ٢٩٥. [٣] نفسه ٢٩٥، ٢٩٦. [٤] نفسه ٢٩٦، ٢٩٧.
[٥] نفسه ٢٩٧. [٦] نفسه ٢٩٨. [٧] نفسه ٢٩٨.

ثم قُتِلَ المُقْتَدِر في شَوَّال سنة عشرين ، وبُويِعَ أبو مَنْصور القَّاهِر بالله ، فأَقَرَّ تَكين حتَّى ماتَ في سادس عشر رَبيع الأوَّل سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة ، فحُمِلَ إلى بَيْت المَقْدِس ، وكانت إمْرَتُه هذه تسعَ سنين وشهرين وخمسة أيام [١].

فقامَ ابنُه مُحَمَّد بن تَكين مَوْضِعَه ، وقامَ أبو بَكر محمد بن عليّ الماذَرائي بأَمْر البَلَد كلِّه ، ونَظَر في أعْمالِه ، فشَغَبَ الجُنْدُ عليه في طَلَب أرْزاقِهم ، وأَحْرَقُوا دُورَه ودُورَ أهْله . فخَرَجَ ابنُ تَكين إلى مُنْيَة الأَصْبَغ ، فبَعَثَ إليه الماذَرائي يأْمُرُه بالخُروج من أرْض مصر ، وعَسْكَر بباب المَدينَة وأقامَ هناك بعدما رَحَلَ ابنُ تَكين إلى سَلْخ رَبيع الأوَّل ، فلَحِقَ ابنُ تَكين بدِمَشْق ، ثم أَقْبَل يُريدُ مصر فمَنَعَه الماذَرائي [٢].

ثم وَلِيَ مُحَمد بن طُغْج بن جُفّ الفَرْغاني أبو بَكْر ، من قِبَل القاهِر بالله ، على الصَّلاة . فوَرَدَ كِتابُه لسبعٍ خَلَوْن من رَمَضان سنة إحدى وعشرين ودُعي له وهو بدِمَشْق مُدَّة اثنين وثلاثين يومًا [٣]، إلى أن قَدِمَ رَسولُ أحمد بن كَيْغَلْغ بولايته الثانية من قِبَل القَاهِر بالله لتسعٍ خَلَوْن من شوَّال ، واسْتَخْلَف أبا الفَتْح بن عيسىٰ النُّوشَري [٤].

فشَغَبَ الجُنْدُ في أرْزاقهم على الماذَرائي صاحِب الخَرَاج ، فاسْتَتَر منهم ، فأَحْرَقُوا دُورَه ودُورَ أهْله ، وكانت فِتَنٌ قُتِلَ فيها جَماعَةٌ [٥]، إلى أن أتاهُم محمد بن تَكين من فِلَسْطين لثلاث عشرة خَلَت من رَبيع الأوَّل سنة اثنتين/ وعشرين ، فأَنْكَرَ الماذَرائيُّ وِلايَته ، وتَعَصَّب له طائِفَةٌ ، ودُعي له بالإمارَة ، وخَرَجَ قومٌ إلى الصَّعيد فيهم ابن النُّوشَرِيّ ، فأَمَّرُوه عليهم وهم على الدُّعاء لابن كَيْغَلْغ ، (aوكانت حُروبٌ قُتِلَ فيها جماعَةٌ وأَقْبَلَ أحمد بن كَيْغَلْغa) فنزل مُنْيَة الأَصْبَغ لثلاثٍ خَلَوْن من رَجَب ، فلَحِق به كثيرٌ من أصْحاب تَكين ، ففَرَّ ابنُ تَكين لَيْلًا ، ودَخَلَ ابنُ كَيْغَلْغ المَدينَة لستٍّ خَلَوْن منه ؛ وكان مُقامُ ابن تَكين بالفَسْطاط مائة يوم واثني عشر يومًا [٦].

وخُلِعَ القَاهِرُ ، وبُويِعَ أبو العَبَّاس الرَّاضي بالله ، فعادَ ابنُ تَكِين وأَظْهَرَ أنَّ الراضي وَلَّاه . فخَرَجَ إليه العَسْكَرُ وحارَبوه فيما بين بِلْبَيْس وفاقُّوس ، فانْهَزَم وأُسِرَb) وجيء به إلى المَدينَة ، فحُمِلَ إلى الصَّعيد [٧].

---

a-a) ساقطة من بولاق . b) ساقطة من بولاق .

---

[١] الكندي : ولاة مصر ٢٩٨، ٢٩٩.

[٢] نفسه ٢٩٩ ، وانظر ترجمة أبي بكر محمد بن علي الماذرائي عند المقريزي : المقفى الكبير ٦: ٢٣٤- ٢٤٧.

[٣] نفسه ٢٩٩.

[٤] نفسه ٣٠٠.

[٥] نفسه ٣٠٠.

[٦] نفسه ٣٠١، ٣٠٢.

[٧] نفسه ٣٠٣.

فوَرَدَ كِتابٌ يُخْبِر[a] بأنَّ محمَّدَ بن طُغْج سارَ إلى مصر بولاية الرَّاضِي له، فبَعَثَ إليه ابنُ كَيْغَلْغ بجيشٍ ليَمْنَعوه من دُخُول الفَرَمَا، فأقْبَلَت مَراكِبُ ابن طُغْج إلى تِنِّيس، وسارَت مُقَدِّمته في البَرّ، وكانت بينهما حَرْبٌ[b] في تاسع عشر شَعْبان سنة ثلاثٍ وعشرين كانت لأصْحاب ابن طُغْج، وأَقْبَلَت مَراكِبُه إلى الفُسْطاط سَلْخ شَعْبان، فأَقْبَلَ عَسْكَرُ[c] ابنُ كَيْغَلْغ للنصف من رَمَضان، ولاقاه لسبعٍ بقين منه، فسَلَّمَ ابنُ كَيْغَلْغ إلى محمد بن طُغْج من غير قِتال[1].

[الدَّوْلَة الإخْشيدِيَّة][2]

ووَلِيَ محمد بن طُغْج الثانية من قِبَل الرَّاضي على الصَّلاة والخَرَاج، فدَخَل لستٍّ بقين من رَمَضان، وقَدِمَ أبو الفَتْح الفَضْلُ بن جَعْفَر بن محمد بن الفُرَات بالخِلَع لمحمد بن طُغْج. وكانت حُروبٌ مع أصْحاب ابن كَيْغَلْغ انْهَزَمُوا منها إلى بَرْقَة، وساروُا إلى القائِم بأَمْر الله محمَّد بن المَهْدي بالمغرب، فحَرَّضُوه على أَخْذ مصر، فجَهَزَّ جَيْشًا سارَ إلى مصر، فبَعَثَ ابنُ طُغْج عَسْكَرَه إلى الإسْكَنْدَرية والصَّعيد[3].

---

a) الأصول وبولاق: فورد الخبر، والمثبت من الظاهرية. b) بولاق: حروب. c) الأصول وبولاق: وأقبل فعسكر، والمثبت من الظاهرية.

---

[1] الكندي: ولاة مصر ٣٠٣، ٣٠٤.

[2] المصدر الرئيس لدراسة تاريخ الدولة الإخشيدية في مصر هو «سيرة محمد بن طُغْج» لابن زولاق، التي فقدت اليوم، وإن كان من حسن الحظ أن ضَمَّنها ابنُ سعيد المغربي في الجزء الرابع من كتابه «المغرب في حلى المغرب» في القسم الذي خَصَّصه للدولة الإخشيدية وسمَّاه «كتاب العُيُون الدُّعج في حُلَى دولة بني طُغْج» وهو ضمن الجزء الخاص بمصر من الكتاب والذي نشره أوّلًا تلكوست Tallqvist في ليدن سنة ١٨٩٩، ثم زكي محمد حسن وشوقي ضيف وسيدة إسماعيل كاشف في القاهرة سنة ١٩٥٣؛ وانظر كذلك ابن ظافر الأزدي: أخبار الدول المنقطعة (نشرة علي عمر) ٧٥–٨٦؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨:٤٤–٦٢؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٣:٢٣٥–٣٤٣ و٤:١–٣٠.

وأشمل دراسة كُتِبَت عن الدولة الإخشيدية، دراسة الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عصر الإخشيديين، القاهرة ١٩٥٠، ١٩٧٠؛ وعن محمد بن طغج الإخشيد مؤسس الدولة انظر كذلك المقريزي: المقفى الكبير ٥:٧٤٥–٧٥٢؛ Bacharach, J.L., «The Career of Muhammad Ibn Tughj al- Ikhshîd. A Tenth Century Governor of Egypt», *Speculum* I (1975), pp. 586-612; id., *EI*[2] art. *Muhammad b. Tughdj al-Ikhshîd* VII, pp. 412-13.

[3] الكندي: ولاة مصر ٣٠٤، ٣٠٥.

ثم وَرَدَ الكِتابُ من بَغْداد بالزِّيادَة في اسْم الأَمير محمد بن طُغْج ، فلُقِّبَ «الإِخْشِيد»[١] ودُعِيَ له بذلك على المِنْبَر في رَمَضان سنة سبعٍ وعشرين[٢].

وسارَ محمدُ بن رائِق إلى الشَّامات فعَرَض الإخْشيد الفُروض وبَعَثَ بمراكِب إلى الشَّام ، ثم سارَ في المحرَّم سنة ثمانٍ وعشرين ، واسْتَخْلَف أخاه الحَسَن بن طُغْج ، فنَزَل الفَرَما وابنُ رائِق بالرَّمْلَة ، فسَفَّر بينهما الحَسَن بن طاهِر بن يحيى العَلَوي في الصُّلْح حتى تَمَّ ، وعادَ إلى الفُسْطاط مستهلّ جُمادَى الأولى . ثم أَقْبَلَ ابنُ رائِق من دِمَشْق في شَعْبان ، فسَيَّرَ إليه الإخْشيد الجُيُوش ، ثم خَرَجَ لستٍّ عشرة خَلَت من شَعْبان والْتَقَيا للنصف من رَمَضان بالعَرِيش ، فكانَت بينهما وَقْعَةٌ عَظيمَةٌ انْكَسَرَت فيها مَيْسَرَةُ الإخْشيد ، ثم حَمَلَ بنفسه فهَزَمَ أَصْحابَ ابن رائِق ، وأَسَرَ كثيرًا منهم ، وأَثْخَنَهم قتْلًا وأَسْرًا[٣].

ومَضَى ابنُ رائِق فقَتَلَ الحُسَين بن طُغْج باللَّجون ، ودَخَلَ الإخْشيدُ الرَّمْلَة بخمس مائة أَسير ، فتَدَاعَى ابنُ طُغْج وابنُ رائِق إلى الصُّلْح ، فمَضَى ابنُ رائِق إلى دِمَشْق على صُلْح ، وقَدِمَ الإخْشيدُ محمد بن طُغْج إلى مصر لثلاثٍ خَلَوْن من المحرَّم سنة تسعٍ وعشرين[٤].

وماتَ الرَّاضِي بالله ، وبُويِعَ المُتَّقِي لله إبراهيم في شَعْبان ، فأَقَرَّ الإخْشِيد ، وقُتِلَ محمد بن رائِق بالمَوْصِل ، قَتَلَه بنو حَمْدان في شَعْبان سنة ثلاثين وثلاث مائة ، فبَعَثَ الإخْشيدُ بجُيوشه إلى الشَّام ، ثم سارَ لستٍّ خَلَوْن من شوَّال ، واسْتَخْلَف أخاه أبا المُظَفَّر الحَسَن بن طُغْج ، ودَخَلَ دِمَشْق[٥].

ثم عادَ لثلاث عشرة خَلَت من جُمادَى الأولى سنة إحدى وثلاثين ، فنَزَلَ البُسْتان الذي يُعْرَف اليوم بالكافوري من القاهِرَة ، ثم دَخَلَ دارَه وأَخَذَ البَيْعَة لابنه أبي القاسِم أُونوجُور على جَميع القُوَّاد آخِر ذي القعدة .

---

[١] الإخشيد . لَقَبٌ – بمعنى ملك الملوك – كان يُمنَح لحكّام إيران من الصُّغْد والفرغانيين قبل الإسلام وفي بداية الإسلام . وفي الفترة التي فتح فيها العرب بلاد ما وراء النهر كان حكام الصُّغْد يحملون لقب «إخْشيد» ؛ فيذكر المقدسي أن ملك سَمَرْقَنْد كان يعرف بالإخشيد ، كما أن الحكام المحليين في فرغانة كانوا أيضًا يحملون هذا اللقب . وظلّ اللقب يحتفظ بسحره حتى منحه الخليفة العباسي الراضي لمحمد بن طُغْج سنة ٣٢٧هـ/ ٩٣٩م (انظر Bosworth, C.E., *EI*[2] art. *Ikhshîd* III, p. 1097).

[٢] الكندي : ولاة مصر ٣٠٦.

[٣] نفسه ٣٠٦، ٣٠٧ وأبو بكر محمد بن رائق المتوفى سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م ، هو أوّل من تلقب بـ«أمير الأُمَراء» سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م ، وتمكن من الخليفة الراضي بالله وأصبح يعين الوزراء ويعزلهم وهو الذي قطع يد ابن مُقْلَة ولسانه . (راجع أخباره عند ، الصولي : أخبار الراضي بالله والمتقي بالله ، القاهرة ١٩٣٥، ٢٣٠؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٨:٣٢٢- ٣٨٣؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٥:٣٢٥- ٣٢٦؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٣: ٦٩؛ Sourdel, D., *EI*[2] art. *Ibn Râ'ik* III, p. 926-27).

[٤] نفسه ٣٠٨.

[٥] نفسه ٣٠٨، ٣٠٩.

وسارَ المُتَّقي لله إلى بلاد الشَّام ومعه بنو حَمْدان ، فسارَ الإخْشيدُ لثمانٍ خَلَوْن من رَجَب سنة اثنتين وثلاثين ، واسْتَخْلَف أخاه الحَسَن ، فلقي المُتَّقي ، ثم رَجَعَ فنَزَل البُسْتان لأَرْبعٍ خَلَوْن من جُمادَى الأُولى سنة ثلاثٍ وثلاثين . وخُلِعَ المُتَّقي ، وبُويِعَ عبد الله المُسْتَكْفِي لسبعٍ خَلَوْن من جُمادَى الآخرة ، فأَقَرَّ الإخْشيدَ [١] .

وبَعَثَ الإخْشيدُ بحانِك وكافور في الجُيُوش إلى الشَّام ، ثم خَرَجَ لخمسٍ خَلَوْن من شَعْبان سنة ستٍّ وثلاثين ، واسْتَخْلَف أخاه الحَسَن . فلَقِيَ عليّ بن عبد الله بن حَمْدان بأَرْض قِنَّسْرين وحارَبَه ، ومَضَى فأَخَذَ منه حَلَب .

وخُلِعَ المُسْتَكْفي ، ودُعِيَ للمُطيع لله الفَضْل بن جَعْفَر في شَوَّال سنة أربعٍ وثلاثين ، فأَقَرَّ الإخْشيدَ إلى أن ماتَ بدِمَشْق يوم الجُمُعَة لثمانٍ بقين من ذي الحِجَّة [٢] .

فوَلِيَ بعده ابنُه أُونوجُور أبو القاسِم باسْتِخْلافه إيَّاه ، وقَبَضَ على أبي بَكْر محمد بن عليّ بن مُقاتِل في ثالِث المحرَّم سنة خمسٍ وثلاثين ، وجَعَلَ مكانَه على الخَراج محمد بن علي المَاذَرائي ، وقَدِمَ العَسْكَرُ من الشَّام أوَّل صَفَر .

فلم يَزَلْ أُونوجُور والِيًا إلى أن ماتَ لسبعٍ خَلَوْن من ذي القِعْدَة سنة تسعٍ وأربعين وثلاث مائة ، وحُمِلَ إلى القُدْس فدُفِنَ عند أَبيه . وكان كافورُ مُتَحَكِّمًا في أيَّامه ، ويُطْلِق له في السنة أرْبع مائة ألف دينار ، فلمَّا ماتَ قوي كافورُ ، وكانت وِلايتُه أَرْبع عشرة سنة وعشرة أشهر .

فأقامَ كافور أخاه عليَّ بن الإخْشيد أبا الحَسَن لثلاث عشرة خَلَت من ذي القِعْدَة ، فأقَرَّه المُطيعُ لله على الحَرْب والخَراج بمصر والشَّام والحَرَمَيْن ، وصارَ خَليفَته على ذلك كافُورُ غُلام أبيه ، وأَطْلَق له ما كان يُطْلِق لأخيه في كلِّ سنة .

وفي سنة إحدى وخمسين تَرَفَّع السِّعْرُ ، واضْطَرَبَت الإسْكَنْدَريةُ والبُحَيْرَةُ بسَبَب المغارِبة الوارِدين إليها ، وتَزايَدَ الغَلاءُ ، وعَزَّ وُجودُ القَمْح . وقَدِمَ القَرْمَطيُّ إلى الشَّام في سنة ثلاثٍ وخمسين ، وقَلَّ ماءُ النِّيل ، ونُهِبَت ضِياعُ مصر ، وتَزايَدَ الغَلاءُ . وسارَ / مَلِكُ النُّوبةِ إلى أُسْوان ، ٣٣
ووَصَلَ إلى إخْميم ، فقَتَلَ ونَهَبَ وأَحرَق ، واشْتَدَّ اضْطِرابُ الأعْمال .

---

[١] الكندي : ولاة مصر ٣٠٩ .

[٢] نفسه ٣١٠ ، وجاء هنا على هامش نسخة ولاة مصر : «إلى هنا انتهى ما كتبه أبو عمر وأخرسته المَنِيَّة قبل إكماله . قال ذلك ابن زولاق في أوّل كتابه «أخبار قضاة مصر» . وما بعد ذلك ليس من كلام أبي عمر» ! ويختلف النص بعد ذلك بين المقريزي وما ورد في بقية كتاب أبي عمر الكندي ، واعتمد المقريزي على ما أورده ابن زولاق من أخبار الإخشيديين .

وفَسَدَ ما بين كافُور وبين عليّ بن الإخْشيد ، فمَنَعَ كافُور من الاجْتِماع به ، واعْتَلّ عليّ بعد ذلك عِلَّةَ أَخيه ، وماتَ لإحدى عشرة خَلَت من المحرَّم سنة خمسٍ وخمسين وثلاث مائة ، فحُمِلَ إلى القُدْس . وبَقِيَت مصرُ بغير أَمير أيّامًا ، ولم يُدْعَ بها إلّا للمُطيع لله وَحْده ، وكافُور يُدَبِّر أُمورَها ومعه أبو الفَضْل جَعْفَر بن الفُرات .

ثم وَلِيَ كافُورُ الخَصِيّ الأَسْوَد مَوْلَى الإخْشيد ، من قِبَل المُطِيع ، على الحَرْب والخَراج وجَميع أُمور مصر والشّام والحَرَمَيْن . فلم يُغيِّر لَقَبه ، وإنّما كان يُدْعى ويُخاطَب بـ«الأُسْتاذ» ، وأَخرَج كِتابَ المُطيع بولايتِه لأرْبَعٍ بقين من المحرَّم سنة خمسٍ وخمسين ، فلم يَزَلْ إلى أن تُوفّي لعَشْرٍ بقين من جُمادَى الأولى سنة سبعٍ وخمسين وثلاث مائة [1] .

فوَلِيَ أحمدُ بن عليّ الإخْشيد أبو الفَوارِس وسِنّه إحدى عشرة سنة ، في يوم وَفاة كافُور ، وجَعَلَ الحَسَن[a] بن عُبَيْد الله بن طُغْج يَخْلُفه ، وأبو الفَضْل جَعْفَر بن الفُرات يُدَبِّر الأُمُور ، وشَمول الإخْشيدي يُدَبِّر[b] العساكِر ؛ إلى أن قَدِمَ جَوْهَرُ القائِد من المَغْرِب بجُيوشِ المُعِزّ لدين الله في سابع عشر شَعْبان سنة ثمانٍ وخمسين وثلاث مائة ، ففَرَّ الحَسَن[a] بن عُبَيْد الله ، وتَسَلَّم جَوْهَرُ البِلاد كما سيأتي إن شاء الله .

فكانت مُدَّةُ الدُّعاء لبَني العبّاس بمصر ، منذ ابْتَدَأَت دَوْلَتُهم إلى أن قَدِمَ القائِدُ جَوْهَرُ إلى مصر ، مائتي سنة وخمسًا وعشرين سنة ، ومُدَّة الدَّوْلَة الإخْشيدِيّة بها أربعًا وثلاثين سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يومًا . ومنذ افْتُتِحَت مصر إلى أن انْتَقَلَ كُرْسِي الإمارَة منها إلى القاهِرَة ثلاث مائة سنة وسبع وثلاثون سنة وأشهر [2] .

ذِكْرُ ما كانَتْ عليه مَدينَةُ الفُسْطاط من كَثْرة العِمارَة

قال ابنُ يُونس ، عن اللَّيْث بن سَعْد : إنّ حَكيم بن أبي راشِد حَدَّثَه ، عن أبي سَلَمَة بن عبد الرَّحْمَن ، أنّه وَقَفَ على جَزّارٍ فسأله عن السِّعْر ، فقال : بأربعة أَفْلُس الرَّطْل ؛ فقال له أبو سَلَمَة : هل لك أن تُعْطينا بهذا السِّعْر ما بَدَا لنا وبَدَا لك ؟ قال : نعم . فأَخَذَ منه أبو سَلَمَة ، وحَزَّ في[c] القَصَبَة حتى إذا أراد أن يُوَفّيه ، قال : بِعْتَني بدينار ، ثم قال : اصْرِفه فُلوسًا ثم وَفِّه .

---

a) بولاق : الحسين . b) ساقطة من بولاق . c) بولاق : ومر في .

---

[1] انظر ترجمة كافور الإخشيدي فيما يلي ٢: ٢٦- ٢٧.

[2] انظر عن الفترة السابقة للفتح الفاطمي لمصر بعد =

وقال الشَّريفُ أبو عبد الله محمد بن أَسْعَد الجَوَّاني النَّسَّابة في كتاب «النُّقَطِ على كتاب[a] الخِطَط» : سَمِعْتُ الأمير تأْييد الدَّوْلَة تَميم بن محمد ، المعروف بالصُّمْصَام ، يقول في سنة تسع وثلاثين وخمس مائة : «حَدَّثني[b] القاضي أبو الحُسَيْنْ عليُّ بن الحُسَيْنْ الخِلَعيّ ، عن القاضي أبي عبد الله القُضاعِيّ ، قال : كان في مصر الفُسْطاط من المَساجِد ستَّة وثلاثون ألف مَسْجِد[١] ، وثمانية آلاف شارِع مَسْلوك ، وألف ومائة وسبعون حَمَّامًا ، وأنَّ حَمَّامَ جُنادَة في القَرافَة ما كان يُتَوَصَّل إليها إلَّا بعد عَناءٍ من الزِّحام ، وأنَّ قَبالَتَها في كلِّ يوم جُمُعَة خمس مائة دِرْهَم» .

وقال القاضِي أبو عبد الله محمد بن سَلامَة القُضَاعِيّ في كِتاب «الخِطَط» : إنَّه طُلِبَ لقَطْر النَّدَى ابنة خُمارَوَيْه بن أحمد بن طُولون ألف تِكَّة بعشرة آلاف دينار ، من أثمان كلِّ تِكَّة بعشرة دنانير ، فوُجِدَت في السُّوق في أَيْسَر وَقْتٍ وبأَهْوَن سَعْي[٢] .

وذُكِرَ عن القاضي أبي عُبَيْد أنَّه لمَّا صُرِفَ عن قَضَاء مصر ، كان في المَوْدِع مائة ألف دينار ، وأنَّ فائِقًا مَوْلَى أحمد بن طُولون اشترى دارًا بعشرين ألف دينار ، وسَلَّمَ الثَّمَنَ إلى البائِعِين وأَجَّلَهم شهرين ؛ فلمَّا انقضى الأَجَل ، سَمِعَ فائِقٌ صِياحًا عَظِيمًا وبُكاءً ، فسأل عن ذلك ، فقيل هم الذين باعُوا الدار ، فدَعاهم وسأَلَهم عن ذلك ، فقالوا : إنَّما نبكي على جِوارك . فأَطْرَقَ وأَمَرَ بالكُتُب فرُدَّت عليهم ، ووَهَبَ لهم الثَّمَن ، ورَكِبَ إلى أحمد بن طُولون فأخبره ، فاسْتَصْوَب رأيه واسْتَحْسَن فِعْلَه .

ويُقال إنَّه كان لفائِقٍ ثلاث مائة فَرْشَة ، كلُّ فَرْشَة لحَظِيَّة مُثَمَّنة .

وأنَّ دار الحُرَم بناها خُمارَوَيْه لحَرَمه ، وكان أبوه اشتراها له ، فقامَ عليه الثَّمَن وأُجْرَة الصُّنَّاع والبِناء بسبع مائة ألف دينار .

وأنَّ عبد الله بن أحمد بن طَبَاطبا الحُسَيْني دَخَلَ الجامِع ، فلم يجد مَكانًا في الصَّفِّ الأَوَّل ، فوَقَفَ في الصَّف الثاني ، فالتفت أبو حَفْص بن الجَلَّاب ، فلمَّا رآه تأَخَّر ، وتقدَّم الشَّريفُ مكانه ، فكافأه على ذلك بنِعْمَة حَمَلَها إليه ودارٍ ابتاعها له ، ونَقَلَ أَهْلَه إليها بعد أن كَساهُم وحَلَّاهم .

---

a) ساقطة من بولاق .   b) بولاق : وحدثني .

= وفاة كافور ، النويري : نهاية الأرب ٢٨ :٥٩-٦٠ ؛ المقريزي : المقفى الكبير ٣ : ٣٤٤ ، ١ : ٥٣٦ ، ٥٣٧ ؛ أبا المحاسن : النجوم ٤ : ١٠ ، ٢١ ؛ Bianquis, Th., «L'acte de succession de Kâfûr d'après Maqrîzî», *An. Isl* XII (1974), pp. 263-69.

[١] فيما تقدم ٩٥.

[٢] فيما يلي ٢ : ٤٠٩.

وذكر غير القَاضي[a][1] أنَّه دَفَعَ إليه خمس مائة دينار قالَ : ويُقال إنَّه أهْدَى إلى أبي جعفر الطَّحاوي كُتُبًا قيمتها ألف دينار . وأنَّ رَشيقًا الإخْشيدي اسْتَحْجَبه أبو بكر محمد بن علي الماذَرائي ، فلمَّا مَضَت عليه سنة رَفَعَ فيه أنَّه كَسَبَ عشرة آلاف دينار ، فخاطَبَه في ذلك ، فحَلَفَ بالأَيْمان الغَليظَة على بُطْلان ذلك ، فأَقْسَم أبو بكر الماذَرائي بمثل ما أَقْسَم به : لئِن خَرَجَت سَنَتُنا هذه ولم تكسب هذه الجملة ، لا صَحِبْتَني ! ولم يَزَل في صُحْبته إلى أن صُودِرَ أبو بكر ، فأُخِذَ منه ومن رَشيق مالٌ جَزيل .

وذَكَرَ أنَّ الحَسَن بن أبي المُهاجِر ، مُوسَىٰ بن إسماعيل بن عبد الحميد بن بَحْر بن سَعْد ، كان / على البَريد في زَمَن أحمد بن طُولون وقَتَلَه خُمارَوَيْه . وسَبَبُ ذلك ما كان في نَفْس عليّ بن أحمد الماذَرائي منه ، فأَغْرَى خُمارَوَيْه به ، وقال : قد بَقِيَ لأَبيك مالٌ غير الذي ذَكَرَه في وَصِيَّتِه ، ولم يَقِف عليه غير ابن مُهاجِر ، فطالِبْه .

فلم يَزَل خُمارَوَيْه بابن مُهاجِر إلى أن وَصَفَ له مَوْضِع المال من دار خُمارَوَيْه ، فأُخْرِجَ فكان مبلغُه ألف ألف دينار ، فسَلَّمه إلى أحمد الماذَرائي ، فحَمَلَه إلى دارِه .

وأَقْبَلَت تَوْقيعاتُ خُمارَوَيْه تَرِد إليه بالصِّلات والنَّفَقات ، فيُخْرِجُها من فُضُول أمْوال الضِّياع والمَرافِق ، وحَصَلَت له تلك الأمْوال ، ولم يَضَع يده عليها إلى أن قُتِل .

وصُودِرَ أبو بكر محمد بن عليّ في أيَّام الإخْشيد وقُبِضَت ضِياعُه ، فعادَ إلى تلك الألف ألف دينار مع ما سِواها من ذَخائِره وأعْراضِه وعَقْده ، فما ظَنُّك برَجُل ذَخيرَتُه ألف ألف دينار ! سوى ما ذُكِرَ .

وذُكِرَ[b] عن أبي بكر محمد بن عليّ الماذَرائي أنَّه قال : بَعَثَ إليَّ أبو الجَيْش خُمارَوَيْه أن أَشْتَري له أرْدِيَة وأَقْنِعَة للجَواري ، وعَمِلَ دَعْوَة خَلا فيها بنَفْسه وبهم ، وغَدَوْتُ مُتَعَرِّفًا لخَبَره ، فقيل لي إنَّه طَرِبَ لما هو فيه ، فنَثَرَ دنانيرَ على الجَواري والغِلْمان ، وتَقَدَّم إليهم أنَّ ما سَقَطَ من ذلك في البِرْكَة فهو لمحمد بن عليّ كاتِبي . فلمَّا حَضَرْتُ وبَلَغَني ذلك ، أَمَرْتُ الغِلْمانَ فنَزَلوا في البِرْكَة ، فأَصْعَدوا إليَّ منها سبعين ألف دينار ، فما ظَنُّك بمالٍ نُثِر على أُناسٍ فتَطايَر منه إلى بِرْكَة ماءٍ هذا المَبْلَغ ؟!

---

a) بولاق : غير القضاعي ، الظاهرية : عن القضاعي . b) ساقطة من بولاق .

---

[1] المقصود القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي في كتابه «الخِطَط» .

وقال ابنُ سَعيد في كِتاب «المُغْرِب في حُلَىٰ المَغْرِب» : وفي الفُسْطاط دارٌ تُعْرَف بعَبْد العَزيز، يُصَبُّ فيها لمن بها في كلِّ يوم أربع مائة راوية ماء . وحَسْبُك من دارٍ واحِدَة يَحْتاجُ أهلُها في كلِّ يومٍ إلى هذا القَدْر من الماء[١]!

وقال ابنُ المُتَوَّج في كتاب «إيقاظ المُتَغَفِّل واتِّعاظ المُتَأَمِّل» عن ساحِل مصر : ورأيتُ مَنْ نَقَلَ عمَّن نَقَلَ عمَّن رَأَى الأَسْطالَ التي كانت بالطَّاقات المُطِلَّة على النِّيل ، وكان عَدَدُها ستَّة عشر ألف سَطْل مُؤَبَّدة بِبَكَر وأَطْناب بها تُرْخَى وتُمْلأ ، أَخْبَرَني بذلك من أَثِق بنَقْله[٢].

قال : وكان بالفُسْطاط في جِهَتِه الشَّرْقِيَّة حَمَّامٌ من بِناء الرُّوم عامِرَة زَمَن أحمد بن طُولون ، قال الرَّاوي : دَخَلْتُها في زَمَن خُمارَوَيْه بن أحمد بن طُولون ، وطَلَبْتُ بها صانِعًا يَخْدِمني ، فلم أَجِد فيها صانِعًا مُتَفَرِّغًا لخِدْمَتي ، وقيل لي إنَّ كلَّ صانِعٍ معه اثنان يَخْدمهم وثلاثة . فسَأَلْت : كم فيها من صانِعٍ ؟ فأُخْبِرْتُ أنَّ بها سبعين صانِعًا قَلَّ من معه دون ثلاثة ، سوى من قَضَى حاجَتَه وخَرَج . قال : فخَرَجْتُ ولم أَدْخُلْها لعَدَم من يَخْدِمني بها ، ثم طُفْت غيرها ، فلم أَقْدِر على من أَجِده فارِغًا إلَّا بعد أَرْبع حَمَّامات ، وكان الذي خَدَمَني فيها نائِبًا[٣].

فانْظُر ـ رَحِمَك الله ـ ما اشْتَمَلَ عليه هذا الخَبَر ، مع ما ذَكَرَه القُضَاعِيُّ من عَدَد الحَمَّامات وأنَّها ألف ومائة وسبعون حَمَّامًا[٤]، تَعْرِف من ذلك كَثْرَة ما كان بمصر من النَّاس ، هذا والسِّعر راخٍ فالقَمْحُ[a] كلُّ خمسة أرادِبّ بدينار ، وأُبِيعَ[b] عشرة أرادِبّ بدينار في أيَّام[c] أحمد بن طُولون .

قال ابنُ المُتَوَّج : خُطّ[d] مَسْجِد عبد الله[٥] أَدْرَكْت به[e] آثارَ دارٍ عَظيمَة قيل إنَّها كانت دارَ كافُور الإخْشيدي . ويُقالُ إنَّ هذه الخِطَّة تُعْرَف بسُوق العَسْكَر ، وكان به مِسْجِدُ الوَكْرَة[f]، وقيل

---

a) بولاق : والقمح . b) بولاق : بيعت . c) بولاق : زمن . d) بولاق : خطة . e) بولاق : بها . f) بولاق : الزكاة .

---

[١] ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ٣، وفيما يلي ١٣٢، ١٥١.

[٢] ابن دقماق : الانتصار ٤ :٧٧- ٧٨، وفيما يلي ١٦٠.

[٣] نفسه ٤ :١٠٦- ١٠٧.

[٤] فيما يلي ٢ : ٨٠.

[٥] مسجد عبد الله بناه عبد الله بن عبد الملك بن مروان والي مصر الأموي بين سنتي ٨٦-٩٠هـ. كان يقع في المنطقة الواقعة بين درب المعاصر وباب الصَّفا شمالي الفسطاط . وجَعَل مؤلفو الخطط المتقدمون مسجد عبد الله هو الحد الفاصل بين جانبي الفسطاط الشرقي والغربي - أي عمل فَوْق وعَمَل أسْفَل - وقد تخرَّب هذا المسجد قبل عصر ابن دقماق والمقريزي . ويمكن تحديد موضعه إلى الجنوب قليلا من الجامع الحالي المعروف بجامع أبي السعود الجارحي الذي =

إنَّه كان منه قَصَبَة سُوق مُتَّصِلَة إلى جامِع أحمد بن طُولون . وأَخْبَرَني بعضُ المَشايخ العُدُول عن والدِه ـ وكان من أكابِر الصُّلَحاء ـ أنَّه قال : عَدَدْت من مَسْجِد عبد الله إلى جامِع ابن طُولون ثلاث مائة وتسعين قِدْر حِمِّص مَصْلوق بقَصَبَة هذا السُّوق بالأرض ، سِوَى المقاعِد والحَوانيت التي بها الحِمِّص [١].

فتأمَّل ـ أَعَزَّك الله ـ ما في هذا الخَبَر مِمَّا يدلُّ على عَظَمَة مصر ، فإنَّ هذا السُّوق كان خارِجَ مَدينَة الفُسْطاط ، ومَوْضِعُه اليوم الفَضَاءُ الذي بين كُوم الجارِح وبين جامِع ابن طُولون .

ومن المعروف أنَّ الأَسْواقَ التي تكون بداخِل المَدينَة أَعْظَمُ من الأَسْواق التي هي خارِجها ، ومع ذلك ففي هذا السُّوق من صِنْفٍ واحِدٍ من المآكِل هذا القَدْر ، فكم تُرَى تكون جملة ما فيه من سائِر أَصْناف المآكِل ، وقد كان إذ ذاكَ بمصر عَشَرات[a] أَسْواق كلُّها أو أكثرُها أَجَلّ من هذا السُّوق ؟!

قال : ودَرْبُ السَّفافِرين[b] فيه زُقاقُ بني الرَّصاص ، كان به جَماعَتُهم[c] إذا عُقِد عندهم عَقْد لا يحتاجون إلى غَريب ، وكانوا هم وأولادهم نحوًا من أربعين نَفْسًا [٢].

وقال ابنُ زُولاق في كِتاب «سِيرَة المَاذَرائيين» : ولمَّا قَدِمَ الأُستاذُ مُؤْنِس الخادِم من بَغْداد إلى مصر ، استدعى أبو عليّ الحسين بن أحمد المَاذَرائي المعروف بأبي زُنْبُور ، الدَّقَّاقَ ـ وهو الذي نُسَمِّيه اليوم الطَّحَّان ـ وقال : إنَّ الأُستاذَ مُؤْنِسًا قد وافَى ، ولي بمَشْتُول قَدْر ستين ألف أردبّ قَمْحًا ، فإذا وافَى فقُم له بالوَظيفَة . فكان يقومُ له بما يَحْتاج إليه من دَقيق حُوَّارَى مُدَّة شهر . فلمَّا كَمُلَ الشهر ، قال [له عُلْوان][d] كاتِبُ مُؤْنس للدَّقَّاق : كَمْ لك حتى نَدْفَعه إليك ؟ فأَعْلَمَه الخَبَر ، فقال : ما أَحْسَبُ الأُسْتاذ يَرْضى أن يكون في ضِيافَة أبي علي . وأَعْلَم مُؤْنِسًا بذلك ، فقال : أنا آكُل خُبْزَ حُسَيْنْ ! لا يَبْرَح الرجلُ حتى يَقْبِض ماله .

---

a) بولاق : عشرة . b) بولاق : السفافير بني . c) بولاق : جماعة . d) إضافة من المقفى .

= أقامه الأمير عبد الرحمن كتخدا على ضريح الشيخ المتوفى سنة ٩٣٣هـ/ ١٥٢٦م. (الكندي: ولاة مصر ٨٠؛ ابن دقماق : الانتصار ٤: ٩١، ٥: ٤٢؛ وفيما يلي ٢: ٢٧٠، ٢٨٢).

[١] ابن دقماق : الانتصار ٤: ٩١، ٥: ٤٢.

[٢] نفسه ٤: ١٩.

فمَضَى الدَّقَّاقُ وأَعْلَم أبا زُنْبور، فقامَ من فَوْره إلى مُؤْنِس فأَكَبَّ على رِجْلَيْه [يُقَبِّلهما] [a]، فاحْتَشَمَ منه وقال: والله لا أُجيبك إلَّا هذا الشهر الذي مَضَى، ولا تُعاوِد. ثم رَجَعَ فقال للدَّقَّاق: قُم له بالوَظيفَة في المستقبل، واعْمَل ما يُريده. قال: فجِئْته وقد فَرَغَ القَمْحُ، ومعي الحِساب وأربع مائة دينار؛ قال: إيش هذا؟ فقلت: بقيَّة ذلك القَمْح. /فقال: أَعْفِني منه، وتَرَكَه [١].

فتأمَّل ما اشْتَمَل عليه هذا الخَبَرُ من سَعَة حالِ كاتِب من كُتَّاب مصر، كيْف كان له في قَرْية واحِدَة هذا القَدْر من صِنْف القَمْح، وكيف صارَ ممَّا يَفْضُل عنه حتى يجعله ضِيافَة، وكيف لم يَعْبَأ بأربع مائة دينار حتى وَهَبها لدَقَّاق قَمْح. وما ذاكَ إلَّا من كَثْرَة الغِنَى [b]، وقِس عليه باقي الأحْوال.

وقال عن أبي بكر محمد بن عليّ المادَرائي: إنَّه حَجَّ اثنتين وعشرين حَجَّة متوالية، أَنْفَقَ في كلِّ حَجَّة مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار، وأنَّه كان يخرج معه بتسعين ناقة لِقِتْبه [c] التي يركبها، وأربع مائة لجهازه ومِيرَته، ومعه المَحامِل فيها أحْواض البَقْل وأَحْواض الرَّيَاحين وكِلابُ الصَّيْد، ويُنْفِق على الأَشْراف وأوْلاد الصَّحابة ولهم عنده دِيوان بأسْمَائِهم، وأنَّه أَنْفَق في خمس [d] حَجَّات أُخَر ألفَيْ ألف دينار ومائتي ألف دينار [٢].

وكانت جاريتُه تُواصِل معه الحَجّ، ومعها لنَفْسِها ثلاثون ناقَة لِقِتْبِها [e]، ومائة وخمسون عَرَبيًّا لجِهازِها.

وأُحْصي ما يُعْطيه كلَّ شهر لحاشِيَته وأهْل السِّتْر وذَوي الأَقْدار، جِرايَة من الدَّقيق الحُوَّارَى، فكان بضعًا وثمانين ألف رطل.

وكان سَنَة القرمطي [٣] بمَكَّة، فمن جملة ما ذَهَبَ له به مائتا قميص دَبيقي، سُلْف [f] كلّ ثَوْب منها خمسون دينارًا [٤].

---

a) إضافة من المقفى. b) بولاق: المعاش. c) بولاق: لقبته. d) المقفى: عشر. e) بولاق: لقبتها. f) بولاق: ثمن.

---

[١] المقريزي: المقفى الكبير ٣: ٤٧٨–٤٧٩.

[٢] نفسه ٦: ٢٣٥.

[٣] أي سنة سبع عشرة وثلاث مائة والقرمطيّ المقصود هو أبو سعيد الجنابي.

[٤] المقريزي: المقفى الكبير ٦: ٢٤٤.

وقال مَرَّةً وهو في عُطْلَته : أَخَذَ مِنّي محمد بن طُغْج الإخْشيد عَيْنًا وعَرَضًا ما[a] يبلغ نيفًا[b] وثمانين وَمِئَة دنانير ؛ فاسْتَعْظَم من حَضَرَ ذلك ، فقال ابنُه : الذي أَخَذ أكْثَر ، وأنا أُوقِفُه عليه ؛ ثم قال لأبيه : يا مَوْلاي ، أَلَيْس نُكِبْتَ ثلاث مرّات ؟ قال : بَلَى ؛ قال : أَلَيْس أُخِذَت ضِياعُك بالشَّام ؟ قال : نعم ؛ قال : فكم ثَمَنُها ؟ قال : أَلفُ ألف دينار ؛ قال : وضِياعُك بمصر ؛ قال : قريبٌ منها ؛ قال : وعَرَضٌ وعَيْنٌ ؟ قال : كذلك . فأَمَرَ بعضَ الحُسَّاب بضَبْط ذلك ، فجاءَ ما يُنيفُ عن ثلاثين أرْدَبًّا من ذَهَب[1] .

فانْظُر ما تَضَمَّنته أَخْبارُ الماذَرائي ، وقِس عليها بقيّة أَحْوال مصر ، فما كان سوى كاتِب الخَرَاج وهذه أمواله كما قد رأيت .

وقال الشَّريفُ الجَوَّاني : إنَّ أبا عبد الله محمد بن مُيَسَّر[c] قاضي مصر سَمِعَ بأنَّ الماذَرائي عُمِلَ في أيَّامه الكَعْك المحْشو بالسُّكَّر ، والقُرَص الصِّغار المسمَّى «افْطِن له» ، فأَمَرَهُم بعَمل الفُسْتُق المُلَبَّس بالسُّكَّر الأَبْيض الفانيد المطيَّب بالمِسْك ، وعَمِل منه في أوَّل الحال أشْياءَ عِوَض لُبّه لُبّ ذَهَب في صَحْنٍ واحِد ، فمَضَى عليه جُمْلَة ، وخُطِفَ قُدَّامَه ، تَخاطَفَه الحاضِرون ، ولم يَعُد لعَمَله بل الفُسْتُق المُلَبَّس . وكان قد سَمِعَ في سِيرَة الماذَرائيين أنَّه عُمِلَ له هذا «الافْطِن له» وفي كلّ واحِدَة خمسة دنانير ، ووَقَفَ أُسْتاذٌ على السِّماط فقال لأَحَد الجُلَساء : «افْطِن له» ؛ وكان عُمِلَ على السِّماط عِدَّةُ صُحون من ذلك الجِنْس ، لكن [d]ما كان فيها إلّا[d] صَحْنٌ واحِد ، فلمَّا رَمَزَ الأستاذُ لذلك الرَّجُل بقَوْله «افْطِن له» وأشارَ إلى الصَّحْن ، تناوَل ذلك الرجلُ منه ، فأصابَ الذَّهَب واعْتَمَدَ عليه فحَصَل له جُمْلَة ، ورآه الناسُ وهو إذا أَكَل يُخْرِج من فَمِه ويَجْمَع بيده ويَحُطّ في حِجْره ، فتَنَبَّهوا له وتَزَاحَمُوا عليه ، فقيل لذلك من يومئذٍ «افْطِن له»[2] .

وقال أبو سعيد عبد الرَّحْمَن بن أحمد بن يُونُس في «تاريخ مِصْر» : حَدَّثَني بعضُ أَصْحابِنا بتَفْسير رُؤْيا رآها غُلامُ ابن عَقيلٍ الخَشَّاب عَجيبَةً ، فكانت حَقًّا كما فُسِّرَت ، فسألتُ غُلام ابن عَقيل عنها ؛ فقال لي : أنا أُخْبِرُك ، كان أبي في سُوق الخَشَّابين ، فأَنْفَق بِضاعَتَه ورَثَّت حالُهُ

---

a) ما ساقطة من بولاق .   b) بولاق : ألفا .   c) بولاق : مفسر .   d-d) ساقط من بولاق .

---

[1] المقريزي : المقفى الكبير ٦ : ٢٤٤ .

[2] ابن ميسر : أخبار مصر ١٢٧ ؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣ : ١٦٣ ؛ المقفى الكبير ٧ : ٤٠٠ - ٤٠١ ؛ ابن حجر : رفع الإصر ٤٢٧-٤٢٨ (ومصدره أيضًا الشريف الجواني) ؛ السيوطي : حسن المحاضرة ٢ : ١٥٢ ؛ وانظر فيما يلي ٢ : ٤٥٣ .

وماتَ ، فأَسْلَمَتْني أُميّ إلى ابن عَقيل - وكان صَديقًا لأبي - فكُنْتُ أَخْدُمه ، وأَفْتَح حانُوتَه وأَكْنُسُها ، ثم أَفْرِش له ما يَجْلِس عليه ، فكان يُجْري عليّ رِزْقًا أَتَقَوَّتُ به ؛ فأنا[a] يومًا في الحانوت وقد جَلَسَ أُسْتاذي ابن عَقيل ، فجاءَ ابن العَسَّال[1] مع رَجُل من أهل الرِّيف يَطْلُب عُودَ خَشَب لطاحُوَنه ، فاشْتَرَى من ابن عَقيل عُودَ طاحُوَنة بخمسة دنانير . فسَمِعْت قَوْمًا من أَهْل السُّوق يقولون : هذا ابنُ العَسَّال المُفَسِّر للرُّؤْيا عند ابنِ عَقيل ، فجاءَ منهم قومٌ وقَصُّوا عليه مَنامات رَأَوْها ، ففَسَّرَها لهم ؛ فذَكَرْتُ رُؤْيا رأيتُها في لَيْلَتي ، فقُلْتُ له : إنّي رأيتُ البارِحَة في نَوْمي كذا وكذا ، فقَصَصْتُ عليه الرُّؤْيا ؛ فقال لي : أيّ وَقْت رَأَيْتَها من اللَّيْل ؟ فقُلْت : انْتَبَهْتُ بعد رُؤْياي في وقت كذا ؛ فقال لي : هذه رُؤْيَا لَسْت أُفَسِّرها إلّا بدَنانير كثيرة . فأَلْحَحْتُ عليه ، فقال أُستاذي ابن عَقيل : فَرِّج عنه ، هذا غُلامٌ صَغيرٌ فَقيرٌ لا يَمْلك شيئًا ؛ فقال : لَسْت آخُذ إلّا عشرين دينارًا ؛ فقال له ابن عَقيل : إن قَرَّبْتَ عَلَيْنا وَزَنْتُ أنا لك ذلك من عندي . فلم يَزَلْ به يُنْزله حتى قال : لَسْتُ[b] والله آخذ أَقَلّ من ثَمَن العَمُود[c] الخَشَب : خمسة دنانير ؛ فقال له ابن عَقيل : إن صَحَّت الرُّؤْيا دَفَعْتُ إليك العَمُود[c] بلا ثَمَن ؛ فقال له : يَأْخُذ مثل هذا اليوم أَلْف دينار ؛ قال أستاذي : فإذا لم يَصِح هذا ؟ فقال : يكون العَمُود[c] عندك إلى مِثْل هذا اليوم ، فإن[d] أَخَذَ ما قُلْت له في ذلك اليوم وإلّا[e] فلَيْس لي عندك شيءٌ ، ولا أُفَسِّر رُؤْيا أبدًا ؛ فقال له أُسْتاذي : قد أَنْصَفْت .

ومَضَت الجُمُعَةُ ، فلمَّا كان مثل ذلك اليومِ غَدَوْتُ كما[f] كنت أَغْدُو إلى دُكّان أُسْتاذي ، ففَتَحْتها ورَشَشْتها ، واسْتَلْقَيْت على ظَهْري أُفَكِّر فيما قال لي ، ومن أين يُمْكِن أن يَصيرَ إليَّ أَلْفُ دينار ، فقُلْت : لعَلَّ سَقْف المكان يَنْفَرِج فيَسْقُط منه هذا المال ، وجَعَلْت أُجيل فِكْري ؛ فإنّي كذلك إلى ضُحَى ، إذْ وَقَفَ عليّ جَماعَةٌ من أَعْوان الخَرَاج معهم فارِسٌ[g] ، فقالوا : هذه دُكَّانُ ابن عَقيل ، ثم قالوا لي : قُمْ ؛ فقلت لهم : لَسْت / ابن عَقيل ، أنا غُلامه ؛ فقالوا لي[e] : بل أنت ابْنه ، وجَذَبوني فأَخْرَجوني من الدّكّان ؛ فقلت : إلى أين ؟ فقالوا : إلى ديوان الأُسْتاذ أبي علي الحُسَيْن ابن أحمد (يعنون أبا زُنْبور) ؛ فقلت : وما يَصْنَع بي ؟ فقالوا : إذا جِئْتَ

---

a) بولاق : فأتى . b) ساقطة من بولاق والعبارة فيه : والله لا آخذ . c) بولاق : العود . d) بولاق : فإن كان لم يصح . e) ساقطة من بولاق . f) بولاق : مثل ما . g) بولاق : ناس .

---

[1] حاشية بخط المؤلِّف : «الحسن بن محمد بن أحمد بن العَسَّال كَتَبَ الحديث بعد سنة سبعين ومائتين ، كان في تفسير الرؤيا عَجَبًا لم يُرَ مثله» .

سَمِعْت كلامَه وما يُريده منك. وكنت بعَقِب عِلَّة ضَعيف البَدَن، فقلت: ما أَقْدِر أَمْشي، فقالوا: اكْتَرِ حِمارًا تَرْكَبه.

ولم يكن معي ما أَكْتَري به حِمارًا، فنَزَعْت تِكَّة سَراويلي من وَسَطي ودَفَعْتها على درهمين لمن أَكْراني الحِمَار، ومَضَيْتُ معهم فجاءُوا بي إلى دار أَبي زُنْبور، فلمَّا دَخَلْتُ قال لي: أنت ابن عَقِيل؟ فقلت: لا يا سيِّدي، أنا غُلامٌ في حانُوته؛ قال: أَفَلَيْس تُبْصر قيمَة الخَشَب؟ قلت: بَلَى؛ قال: فاذْهَب مع هؤلاء فقَوِّم لنا هذا الخَشَب، فانْظُر بحيث لا يَزيد ولا يَنْقُص.

فمَضَيْتُ معهم، فجاءُوا بي إلى شَطّ الحَمْراء[a][1] إلى خَشَب كثير من أَثْلٍ وَسَنْط جاف، وغير ذلك ممَّا يَصْلُح لبِنَاء المراكِب، فقَوَّمْتُه تَقْويم جَزَع حتى بَلَغَت قيمته ألفي دينار؛ فقالوا لي: انْظُر هذا المَوْضِع الآخر فيه من الخَشَب أيضًا؛ فنَظَرْتُ فإذا هو أكثر ممّا قَوَّمت بنحو مرَّتين، فأَعْجَلوني ولم أَضْبِط قِيمَة الخَشَب.

فرَدُّوني إلى أبي زُنْبور، فقال لي: قَوَّمْتَ الخَشَب كما أَمَرْتُكَ؟ ففَزِعْت، فقلت: نعم؛ فقال: هات كم قَوَّمْته؟ فقلت: ألفا دينار؛ فقال: انْظُر لا تَغلَط؛ فقلت: هو قِيمَتُه عِنْدي؛ فقال لي: فخُذْه أنت بألفيْ دينار؛ فقلت: أنا فَقير لا أَمْلِك دينارًا واحدًا، فكيف لي بقيمَتِه؟ قال: أَلَسْت تُحْسن تَدْبيره وتَبيعَه؟ فقلت: بَلَى. قال: فدَبِّره وبِعْه، ونحن نَصْبر عليك بالثَّمَن إلى أن تَبيع شيئًا شيئًا وتُؤَدِّي ثَمَنَه؛ فقلت: أَفْعَل.

فأَمَر بكِتابٍ يُكْتَب عليّ في الدِّيوان بالمال، فكُتِبَ عليّ، ورَجَعْت إلى الشَّطّ أعْرِف عَدَد الخَشَب، وأُوصي به الحرَّاس.

فوافَيْت جَماعَةَ أَهْل سُوقِنا وشُيوخهم قد أَتَوا إلى مَوْضِع الخَشَب، فقالوا لي: إيش صَنَعْت، قَوَّمْت الخَشَب؟ قلت: نَعَم؛ قالوا: بكَم قَوَّمْته؟ فقلت: بألفي دينار؛ فقالوا لي: وأنت تُحْسِن تُقَوِّمُ لا يُساوي هذا هذه القِيمَة. فقلت لهم: قد كَتَب عليّ كُتَّابٌ في الدِّيوان وهو عندي يُساوي أَضْعاف هذا؛ فقالوا لي: أُسْكُت لا يَسْمَعُك أَحَدٌ؛ وكانوا قد قَوَّموه قبلي لأبي زُنْبور

---

a) بولاق: البحر.

---

[1] حاشية بخط المؤلِّف: «شط الحمراء هو اليوم ما في جنب الخليج حيث الموضع الذي يعرف بالمريس». والمريس موضع غرب الخليج بجوار منشأة المهراني كان موضعه بستان الخشّاب (فيما يلي ١٥٧، ١٦٤ و٥٣٧ هـ[3]).

بألف دينار ، فقال بعضُهم لبعض : أعْطوا هذا رِبْحَه وتَسلَّموه أنتم ، فقال قائِلٌ : أعْطوه رِبْحَه خمس مائة دينار ؛ فقلت : لا ، والله لا آخُذ ؛ فقالوا : قد رَأَى رُؤْيا فزيدوه ؛ فقلت : لا ، والله لا آخذ أَقَلّ من ألف دينار ؛ قالوا : فلَكَ ألف دينار ، فحَوِّل اسْمكَ من الدِّيوان نُعْطكَ إذا بِعْنا ألف دينار ؛ فقلت : لا والله لا أَفْعَل حتى أخُذ الأَلْف دينار في وقتي هذا .

فمَضَوْا إلى حَوانيتهم وإلى مَنازِلهم حتى جاءُوني بألف دينار ، فقلت : لا آخُذها إلَّا بنَقْد الصَّيْرَفي ومِيزانِه ؛ فمَضَيْت معهم إلى صَيْرَفي بالنَّاحِيَة حتَّى وَزَنُوا عنده الألف دينار ، ونَقَدتُها وأَخَذْتُها فشَدَدتُها في طَرَف رِدائي ، ومَضَيْتُ معهم إلى الدِّيوان ، وحَوَّلْت أسماءَهم مكان اسْمي ، ووَفَّوا حَقَّ الديوان من عندهم .

ورَجَعْت وَقْت الظُّهْر إلى أُسْتاذي فقال لي : قَبَضْت ألف دينار منهم ؟ فقلت : نَعَم ، بِبَرَكَتِك وتَرَكْتُ الدَّنانير بين يَدَيْه ، وقلت له : يا أُسْتاذ خُذْ ثَمَن العَمُود[a] الخَشَب ؛ فقال : لا والله لا آخُذ منك شيئًا ، أَنْت عندي مَقام ابني . وجاءَ في الوَقْت ابنُ العَسَّال ، فدَفَعَ إليه أُسْتاذي العَمُود[a] الخَشَب ، فمَضَى . فهذا خَبَرُ رُؤْياي وتَفْسيرها .

فتأمَّل ـ أعَزّك الله ـ ما يَشْتَمل عليه هذا الخَبَر[b] من عِظَم ما كانت عليه مصر ، فأَوَّلًا[b] سَعَة حال الدِّيوان ، وكيف فَضَل فيه خَشَبٌ يُساوي آلافًا من الذَّهب ، ونحن اليوم في زَمَن إذا احْتِيج فيه إلى عِمارَة شيءٍ من الأماكِن السُّلْطانِيَّة بخَشَبٍ أو غَيْرِه ، أُخِذَ من النَّاس إمَّا بغير ثَمَن أو بأَبْخَسِ[c] القِيَم ، مع ما يُصيب مالِكَه من الخَوْف والخَسارَة للأعْوان .

وكيف لمَّا قُوِّمَ هذا الخَشَب ، لم يُكَلَّف المشتري دَفْع المال في الحال ؛ وفي زَمَنِنا إذا طُرِحَت البِضاعَةُ السُّلْطانية على الباعَة يُكَلَّفون حَمْل ثَمَنِها بالسُّرعة ، حتَّى إنَّ فيهم من يَبِيعُها بأَقَلّ من نِصْف ما اشْتَرَاها به ، ويُكْمِل الثَّمَن إمَّا من مالِه أو يَقْتَرِضه برِبْح .

وكيف لمَّا عَلِمَ أَهْلُ السُّوق أنَّ الخَشَب بِيعَ بدون القِيمَة ، لم يَمْضَوا إلى الدِّيوان ، ويَدْفَعون فيه زِيادَة : إمَّا لقِلَّة شِراء[d] النَّاس إذ ذاك أو تَرْكِهم الأخْلاق الرَّذيلَة من الحَسَد ونَحْوه ، أو لعِلْمِهم بعَدْل السُّلْطان وأنَّه لا يَنْكُث ما عَقَدَه . وفي زَمَنِنا لو ادَّعَى عَدوٌّ على عَدُوِّه أنَّ البِضاعَة التي كان اشْتَراها من الدِّيوان قِيمَتُها أكثر مِمَّا أَخَذَها به ، لقُبِلَ قولُه وغُرِّم زِيادَة على ما ادَّعاه عَدُوُّه من قِلَّة القِيمَة جُمْلَةً أُخْرَى ؛ لا جَرَمَ أنَّه تَظاهَر سُفَهاءُ النَّاس بكلّ

---

a) بولاق : العود .   b) ساقطة من بولاق .   c) بولاق : بأخس .   d) بولاق : شره .

رَذيلَة وذَميمَة من الأخْلاق، فإنَّ المَلِكَ سوف[a] يُجْبَى إليه ما أنْفَقَ[b] به.

وكيف لمَّا عَلِم ابنُ عَقيل أنَّ غُلامَه اسْتَفادَ على اسْمه ألف دينار، لم يَشْرَه إلى أَخْذها، بل دَفَعَ عنه الخمسة الدنانير[c]. وما ذلك إلَّا من انْتِشار الخَيْر في النَّاس، وكَثْرَة أَمْوالِهِم، وسَعَة حال كلِّ أَحَدٍ بحَسَبِه، وطِيبِ نُفُوس الكافَّة، ولعَمْري لو سَمِعَ في زَمَنِنا أَحَدٌ من الأُمَراء والوُزَرَاء - فَضْلًا عن الباعَة - أنَّ غُلامًا من غِلْمانِه أَخَذَ على اسْمِه عُشْر هذا المَبْلَغ، لقامَت قِيامَتُه.

وكيف اتَّسَعَت أحْوالُ الخَشَّابين حتى وَزَنُوا ألف دينار في ساعَة، وأنَّه ليَعْسُر اليوم على الخَشَّابين أن يَزِنوا في يومٍ مائة دينار. وهذا كلُّه من وُفُور غِنَى النَّاس بمصر، وعِظَم أَمْرِهم، وكَثْرَة سَعادَاتِهم.

١:١ [d]وكان / الفُسْطاطُ نحو ثُلُث بَغْداد - ومِقْدارُه نحو[e] فَرْسَخ - على غايَة العِمارَة والخِصْب والطِّيبَة واللَّذَّة، وكانت مَساكِنُ أهْلِها خَمْس طَبَقات وستًّا وسبعًا، ورُبَّما سَكَن في الدَّار الواحدة المائتان من النَّاس. وكان فيه دارُ عَبْد العزيز بن مَرْوان يُصَبّ فيها لمن فيها في كلِّ يوم أربع مائة رَاوِيَة ماء، وكان فيها خَمْسَة مَساجِد وحَمَّامان وعِدَّة أفْران يُخْبَزُ بها عَجِينُ أَهْلها [1].

وقد قال أبو دَاوُد في كِتاب «السُّنَن»: شَبَّرْتُ قِثَّاءَة بمصر ثلاثة عشر شِبْرًا، ورَأَيْت أُتْرُجَّة على بَعير قِطْعَتَيْن: قُطِعَت وصُيِّرَت على مثل عَدْلَيْن؛ ذَكَرَه في باب صَدَقَة الزَّرْع من كِتاب الزَّكاة [2].

قلت: وقَد ذُكِرَ أنَّ هذا كان في جِنان بني سِنان البَصْري خارِج مَدينَة الفُسْطاط، وكانت بحَيْث لم يُر أَبْدَع منها. فلمَّا قَدِمَ أميرُ المؤمنين عبدُ الله المأْمُون بن هارُون الرَّشيد مصر سنة سبع عشرة ومائتين، رأَى جِنانَ بني سِنان هذه، فأُعْجِب بها وسأَلَ إبْراهيم بن سِنان: كَمْ عليه من الخَرَاج لجِنانِه؟ فذَكَرَ أنَّه يَحْمِل إلى الدِّيوان في كلِّ سنة عشرين ألف دينار؛ فقال المأْمُون: وكَمْ تَرِدُّ عليك هذه الجِنان؟ قال: لا أَسْتَطِيعُ حَصْرَه، إلَّا أنَّ ما زادَ على مائة ألف دينار أَتَصَدَّق به ولو دِرْهَمًا. هذا وله وَلَدٌ اسمه أحمد بن إبراهيم بن سِنان يُوصف بعِلْمٍ وزُهْدٍ[d].

---

a) بولاق: سوق. b) بولاق: نفق. c) بولاق: خمسة الدنانير. d-d) غير موجودة في ظ. e) ساقطة من بولاق.

---

[1] مصدر هذا الخبر ابن حوقل: صورة الأرض ١٤٦؛ وقارن المقدسي: أحسن التقاسيم ١٩٨؛ الإدريسي: نزهة المشتاق ٣٢٣؛ ابن سعيد: المغرب ٣؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٣٦؛ وانظر كذلك ناصر خسرو: سفرنامه ١٠١؛ وعن وصف منازل القسطاط انظر Fu'âd Sayyid, A., *op. cit.*, pp. 605-10، وفيما يلي ١٥١.

[2] انظر فيما تقدم ١: ٧٥.

ذِكْرُ الآثَارِ الوَارِدَةِ فِي خَرَابِ مِصْرَ

رَوَى قاسِمُ بن أَصْبَغ [1]، عن كَعْب الأَحْبَار، قال: الجَزِيرَةُ آمِنَة من الخَرَاب حتى تَخْرَب أَرْمِينية، ومِصْرُ آمِنَة من الخَرَاب حتى تَخْرَب الجَزِيرَة، والكُوفَة آمِنَة من الخَرَاب حتى تكون المَلْحَمَة، ولا يَخْرُج الدَّجَّالُ حتى تُفْتَحَ القُسْطَنْطِينِيَّة.

وعن وَهْب بن مُنَبِّه أنَّه قال: الجَزِيرَةُ آمِنَة من الخَرَاب حتى تَخْرَب أَرْمِينيَة، وأَرْمِينِيَّة آمِنَة من الخَرَاب حتى تَخْرَب مصر، ومصر آمِنَة من الخَرَاب حتى تَخْرَب الكُوفَة، ولا تكون المَلْحَمَة الكُبْرَى حتى تَخْرَب الكُوفَة، فإذا كانت المَلْحَمَة الكُبْرَى فُتِحَت القُسْطَنْطِينِيَّة على يديْ رَجُلٍ من بني هاشِم [2].

وخَرابُ الأَنْدَلُس من قِبَل الزَّنْج، وخَرابُ إفْرِيقِيَّة من قِبَل الأَنْدَلُس، وخَرابُ مصر من انْقِطاع النِّيل واخْتِلاف الجُيُوش فيها، وخَرابُ العِراق من قِبَل الجُوع والسَّيْف، وخَرابُ الكُوفَة من قِبَل عَدُوٍّ من وَرائِهم يَحْفُرُهم حتى لا يَسْتطيعوا أن يَشْرَبوا من الفُرات قَطْرَة، وخَرابُ البَصْرَة من قِبَل الغَرَق، وخَرابُ الأُبُلَّة من قِبَل عَدُوٍّ يَحْفُرُهم مرَّة بَرًّا ومرَّة بحرًا، وخَرابُ الرَّيّ من قِبَل الدَّيْلَم، وخَرابُ خُراسان من قِبَل التُّبت، وخَرابُ التُّبت من قبل الصِّين، وخَرابُ الصِّين من قِبَل الهِنْد، وخَرابُ اليَمَن من قِبَل الجَرَاد والسُّلْطان، وخَرابُ مَكَّة من قِبَل الحَبَشَة، وخَرابُ المَدِينة من قبل الجُوع. وفي رِوايَة: وخَرابُ أَرْمِينِيَّة من قِبَل الرَّجْف والصَّواعِق، وخَرابُ الأَنْدَلُس وخَرابُ الجَزِيرَة من سَنابِك الخَيْل واخْتِلاف الجُيُوش.

وعن عبد الله بن الصَّامِت قال: إنَّ أَسْرَع الأَرَضين خَرابًا للبَصْرَة ومِصْر؛ فقيل له: وما يُخَرِّبُهما وفيهما عُيونُ الرِّجال والأَمْوال؟ فقال: يُخَرِّبُهما القَتْلُ الأَحْمَر والجُوعُ الأَغْبَر كأنِّي بالبَصْرَة كأنَّها نَعامَة جاثِمَة، وأمَّا مصرُ فإنَّ نِيلَها يَنْضُب (أو قال يَيْبَس) فيكون ذلك خَرابُها.

وعن الأَوْزاعي: إذا دَخَلَ أَصْحابُ الرَّايات الصُّفْر مصر، فلتَحْفُر أَهْلُ الشَّام أَسْرابًا تحت الأَرْض. وعن كَعْب: عَلامَةُ خُروج المَهْدي أَلْوِيَةٌ تُقْبِل من قِبَل المَغْرِب عليها رَجُلٌ من كِنْدَة

---

[1] قاسم بن أصْبَغ بن محمد بن يوسف الأندلسي القرطبي مولى الوليد بن عبد الملك الأموي البيّاني (نسبة إلى بيّانة محلة في قرطبة)، كان مسند عصره بالأندلس وحافظه ومحدثه، وإمامًا من أئمة العلم، توفي بقرطبة سنة ٣٤٠هـ/ ٩٥١م (ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس ١:٣٦٤- ٣٦٧؛ الحميدي: جذوة المقتبس ٣١١- ٣١٢؛ ياقوت: معجم الأدباء ١٦:٢٣٦- ٢٣٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٥:٤٧٢- ٤٧٤؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٢٤:١١٤- ١١٥).

[2] انظر فيما تقدم ٨١ عن كعب الأحبار.

أَعْرَج ، فإذا ظَهَرَ أَهْلُ المغرب على مصر ، فبَطْنُ الأرْض يومئذٍ خَيْرٌ لأَهْل الشَّام . وعن سُفْيان الثَّوْري قال : يَخْرُج عُنُقٌ من البَرْبَر ، فوَيْلٌ لأَهْل مصر .

وقال ابنُ لَهيعَة ، عن أبي الأَسْوَد ، عن مَوْلى لشُرَحْبيل بن حَسَنَة ـ أو لعَمْرو بن العَاص ـ قال : سَمِعْتُه يومًا واسْتَقْبَلَنا فقال : أيُّها لك مصر إذا رَمَيْت بالقِسِيّ الأَرْبَع : قَوْسُ الأَنْدَلُس ، وقَوْسُ الحَبَشَة ، وقَوْسُ التُّرْك ، وقَوْسُ الرُّوم .

وعن قاسِم بن أَصْبَغ ، حَدَّثنا أحمدُ بن زُهَيْر ، حَدَّثنا هارُون بن مَعْروف ، حَدَّثنا ضَمْرَة عن الشَّيْباني قال : تَهْلِك مصر غَرَقًا أو حَرْقًا .

وعن عبدالله بن معلا أنَّه قال لابْنَتِه : إذا بَلَغَك أنَّ الإسْكَنْدَرية قد فُتِحَت ، فإنَّ كان خِمارُك بالمغرب فلا تَأْخُذيه حتى تَلْحَقي بالمَشْرِق .

وذَكَرَ مُقاتل بن حَيَّان عن عِكْرِمَة ، عن ابن عَبَّاس يَرْفَعُه ، قال : أَنْزَل الله تعالى من الجنَّة إلى الأرْض خَمْسَة أنْهار : سَيْحون ـ وهو نَهْرُ الهِنْد ـ وجَيْحُون ـ وهو نهر بَلْخ ـ ودِجْلَة والفُرات ـ وهما نَهْرا العِراق ـ والنِّيلُ وهو نَهْر مِصر ، أَنْزَلَها الله تعالى من عَيْنٍ واحِدةٍ من عُيُون الجنة ، من أَسْفَل دَرَجَة من دَرَجاتِها ، على جَناحَيْ جِبْريل عليه السَّلام ، واسْتَوْدَعَها الجِبال ، وأَجْراها في الأَرْض ، وجَعَلَ فيها مَنافِعَ للناس في أصْناف مَعايِشِهم ، وذلك قَوْلُه عَزَّ وجَلَّ : ﴿وأَنْزَلْنا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ﴾ [الآية ١٨ سورة المؤمنون] .

فإذا كان عند خُروج يأْجُوج ومَأْجُوج ، أَرْسَلَ الله تعالى جِبْريل ـ عليه السَّلام ـ فرَفَعَ من الأرْض القُرْآنَ كُلَّه والعِلْمَ كُلَّه والحَجَر من رُكْن البَيْت ومَقام إبراهيم وتابُوت مُوسَىٰ بما فيه ، وهذه الأنْهارُ الخَمْسَة ، فيَرْفَع كلَّ ذلك إلى السَّماء ، فذلك قَوْلُه تعالى : ﴿وإنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ/ لَقَادِرُون﴾ [الآية ١٨ سورة المؤمنون] ، فإذا رُفِعَت هذه الأشياءُ من الأَرْض ، فَقَدت أَهْلُها خَيْرَ الدُّنْيا والدِّين .

وقال ابنُ لَهيعَة ، عن عُقْبَة بن عامِر الحَضْرَميّ ، عن حَيَّان بن الأَعْيـن ، عن عبد الله بن عَمْرو ، قال : إنَّ أوَّلَ مِصرَ خَرابًا أَنْطابُلُس .

وقال اللَّيْثُ بن سَعْد ، عن يَزيد بن أبي حَبيب ، عن سالِم بن أبي سالِم ، عن عبد الله بن عَمْرو ، قال : إنِّي لأَعْلَم السَّنَة التي تَخْرُجون فيها من مِصْر ؟ قال : فقُلْت له : ما يُخْرِجُنا منها يا أبا محمد أَعَدُوٌّ ؟ قال : لا ، ولكن يُخْرِجُكُم منها نيلُكم هذا ، يَغُور فلا تَبْقَى منه قَطْرَةٌ حتى تكون فيه الكُثْبانُ من الرَّمْل ، وتَأْكُل سِباعُ الأَرْض حِيتانَه .

ذكر خراب الفُسْطَاط

وكان لخَرابِ مَدينَة فُسطاطِ مصر سَبَبان : أَحَدُهُما «الشِّدَّةُ العُظْمَى» التي كانت في خِلافَة المُسْتَنْصِر بالله الفاطِمِي ، والثاني «حَريقُ مِصْر» في وَزارَة شاوَر بن مُجير السَّعْدي .

فأمَّا «الشِّدَّةُ العُظْمَى»[1] فإنَّ سَبَبَها أنَّ السِّعْرَ نَزَعَ[a] بمصر في سنة ستٍّ وأربعين وأربع مائة وتبع الغَلَاء وَباءٌ ، فبَعَثَ الخَليفَةُ المُسْتَنْصِرُ بالله أبو تَميم مَعَدّ بن الظَّاهِر لإعْزاز دين الله أبي الحسن عليّ ، إلى مُتَمَلِّك الرُّوم بقُسْطَنطِينِيَّة أن يحمل الغِلالَ إلى مصر ، فأَطْلَقَ أربع مائة ألف أرْدَبّ ، وعَزَمَ على حَمْلها إلى مصر ، فأَدْرَكَه أجَلُه وماتَ قبل ذلك .

فقامَ في المُلْك بعده امرأةٌ ، وكَتَبَت إلى المُسْتَنْصِر تسأله أن يكون عَوْنًا لها ، ويمدّها بعساكِر مصر إذا ثارَ عليها أَحَدٌ ، فأَبَى أن يُسْعِفها في طَلِبَتِها ، فحَرِدَت لذلك ، وعاقَت الغِلالَ عن المسير إلى مصر . فحَنَقَ المُسْتَنْصِرُ ، وجَهَّز العساكِر ، وعليها مَكينُ الدَّوْلَة الحَسَن بن مُلْهِم ، وسارَت إلى اللاذِقِيَّة ، فحاصَرَتْها[b] بسبب نَقْض الهُدْنَة وإمْساك الغِلال عن الوُصول إلى مصر ، وأَمَدَّها بالعساكِر الكثيرة . ونُودي في بلاد الشَّام بالغَزْو ، فنَزَل ابنُ مُلْهِم قريبًا من فامِيَة ، وضايَقَ أَهْلَها ، وجال في أعمال أنْطاكِية فسَبَى ونَهَب ، فأَخْرَجَ صاحِبُ قُسْطَنْطِينِيَّة ثمانين قِطْعَةً في البحر ، فحارَبَها ابنُ مُلْهِم عِدَّة مِرار ، وكانت عليه ، وأُسِرَ هو وجماعَة كثيرة في شهر رَبيع الأَوَّل منها .

فبَعَثَ المُسْتَنْصِرُ ، في سنة سبعٍ وأربعين ، أبا عبد الله القُضاعيّ برسالَة إلى القُسْطَنْطِينِيَّة . فوافَى إليها رَسولُ طُغْرُلبك[c] السَّلْجوقي من العراق بكتابِه يأمُر مُتَمَلِّك الرُّوم بأن يُمَكِّن الرَّسولَ من

---

a) بولاق : ارتفع .   b) بولاق : فحاربتها .   c) ظ : لمغربك ، بولاق : طغريل .

---

[1] راجع عن موضوع الشدة العظمى ، إضافة إلى الإحالات التي سترد في الصفحات التالية ، زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ١٤- ١٦؛ محمد عبد الله عنان : «الشدة العظمى والفناء الكبير» فصل في كتاب مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، القاهرة ١٩٦٩، ١٥٠- ١٥٧؛ راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ، القاهرة ١٩٤٨، ٨٨ - ٩٩؛ أحمد السيّد الصاوي : مجاعات مصر الفاطمية – أسباب ونتائج ، بيروت – دار التضامن ١٩٨٨؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٢٠٤ -٢٠٧؛ Daghfous, R., «Aspects de la situation économique de l'Égypte au milieu du V° siècle / milieu du XI° siècle: Contribution à l'étude des conditions de l'immigration des tribus arabes (Hilâl et Sulaym) en Ifriqiya», *CT* XXV (1977), pp. 23-50; Fu'âd Sayyid, A., *op. cit.*, pp. 616-25.

الصَّلاة في جامِع القُسْطَنْطينية ، فأُذِنَ له في ذلك ، فدَخَلَ إليه وصَلَّى فيه صَلاةَ الجُمُعَة ، وخَطَبَ للخَليفَة القائِم بأمْر الله العَبَّاسي [1] . فبَعَثَ القاضي القُضاعي إلى المُسْتَنْصِر يُخْبِرُه بذلك ، فأرْسَلَ إلى كَنيسَة قُمامَة ببَيْت المَقْدس وقَبَضَ على جَميع ما فيها - وكان شيئًا كثيرًا - من أمْوال النَّصارَىٰ ، ففَسَدَ من حينئذٍ ما بين المصريين والرُّوم[a] حتى استولوا على بلاد السَّاحِل كلِّها ، وحاصَروا القاهِرَة كما يَرِد في موضعه إن شاءَ الله .

واشْتَدَّ في هذه السَّنَة الغَلاءُ ، وكَثُرَ الوَباءُ بمصر والقاهِرَة وأعمالِها إلى سنة أربع وخمسين وأربع مائة ، فحَدَثَ مع ذلك الفِتْنَةُ العَظيمَةُ التي خَرِبَ بسَبَبِها إقليمُ مصر كلُّه . وذلك أنَّ المُسْتَنْصِرَ لمَّا خَرَجَ على عادَته في كلِّ سنة على النُّجب مع النِّساء والحَشَم إلى أرْض الجُبِّ خارِج القاهِرَة ، جَرَّدَ بعضُ الأتراك سَيْفًا وهو سَكْران على أَحَد عَبيد الشِّراء ، فاجْتَمَع عليه كثيرٌ من العَبيد وقَتَلوه . فحَنَق لقَتْله الأتْراكُ ، وساروا بجَميعهم إلى المُسْتَنْصِر وقالوا : إن كان هذا عن رِضاك فالسَّمْعُ والطَّاعَة ، وإن كان من غير رِضَى أمير المُؤْمنين فلا نَرْضَى بذلك . فتَبَرَّأ المُسْتَنْصِرُ ممَّا جَرَى وأنْكَرَه .

فتجمَّع الأتراكُ لمُحارَبَة العَبيد ، وكانت بينهما حُروبٌ شَديدةٌ بناحية كُوم شَريك ، قُتِلَ فيها عِدَّةٌ من العَبيد ، وانْهَزَم من بقي منهم . فشَقَّ ذلك على أُمِّ المُسْتَنْصِر ، فإنَّها كانت السَّبَب في كثرة العَبيد السُّود بمصر . وذلك أنَّها كانت جارِيَةً سَوْداء فأَحَبَّت الاسْتِكْثار من جِنْسِها ، واشترتهم من كلِّ مكان . وعُرِفَت رغبتُها في هذا الجِنْس ، فجَلَبَ الناسُ إلى مصر منهم حتى يُقال إنَّه صارَ في مصر إذ ذاك زيادة على خمسين ألف عَبْدٍ أسود . فلمَّا كانت وَقْعَة كُوم شَريك ، أَمَدَّت العَبيدَ بالأمْوال والسِّلاح سِرًّا .

وكانت أُمُّ المُسْتَنْصِر قد تَحَكَّمَت في الدَّوْلَة ، وحَقَدَت على الأتراك قَتْلِهم[b] مَوْلاها أبا سَعْد التُّسْتَري ، فقَوَّت[c] العَبيدَ لذلك ، حتى صارَ الواحِدُ منهم يَحْكُم بما يَخْتار ،

---

a) بولاق : الروم والمصريين . b) بولاق : وحشت على قتلهم . c) بولاق : فقويت .

---

[1] عن العلاقة بين الفاطميين والروم البيزنطيين قبل معركة منزكرت التي انتصر فيها السَّلاجِقَة على البيزنطيين سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م راجع ، Hamdani, ʿA., «Byzantine - Fatimid Relations before the Battle of Manzikert», *Byzantine Studies* I/2 (1974), pp. 169-79؛ وعن سفارة القاضي القضاعي إلى القسطنطينية انظر ، ابن ميسر : أخبار مصر ١٤؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٢٣٠، المقفى الكبير ٥:٧١١ - ٧١٢؛ ومقال محمد عبد الله عنان : «سفارة مصرية إلى بلاط بيزنطة في عهد المستنصر بالله الفاطمي» في كتاب مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، القاهرة ١٩٦٩، ١١٤- ١٢٠.

فكَرِهَت الأَتْراكُ ذلك ، وكان ما ذُكِرَ[1] . فظَفِرَ بعضُ الأتراك يومًا بشيءٍ من المال والسِّلاح قد بَعَثَت به أمُّ المُسْتَنْصِر إلى العَبيد تُمِدُّهم به بعد انْهِزامهم من كُوم شَرِيك ، فاجتمعوا بأَسْرِهم ، ودَخَلوا على المُسْتَنْصِر وأَغْلَظوا في القَوْل ؛ فحَلَفَ أنَّه لم يكن عنده عِلْمٌ بما ذُكِر ، وصارَ إلى أُمِّه فأنْكَرَت ما فَعَلَت .

وخَرَجَ الأتراكُ فصارَ السَّيْفُ قائِمًا ، ووَقَعَت الفِتْنَةُ ثانِيًا ، فانْتَدَبَ المُسْتَنْصِرُ أبا الفَرَج بن المَغْرِبي لِيُصْلِح بين الطائِفتين ، فاصْطَلَحا على غِلٍّ ، وخَرَجَ العَبيدُ إلى شُبْرا دَمَنْهور ، فكان هذا أوَّل اخْتلالِ أحْوالِ أَهْلِ مصر[2] . ودَبَّت عَقارِبُ العَداوَة بين الفِئتين إلى سنة تسعٍ وخمسين ، فقَوِيَت شَوْكَةُ الأتراك ، وضَرَوا على المُسْتَنْصِر ، وزادَ طَمَعُهُم / فيه ، فطَلَبوا منه الزيادة في واجِباتِهم ٣٣ وضاقَت أحْوالُ العَبيد واشتدَّت ضَرورتهم ، وكَثُرَت حاجَتُهم ، وقَلَّ مالُ السُّلْطان واسْتُضْعِف جانبه .

فبَعَثَت أمُّ المُسْتَنْصِر إلى قُوَّاد العبيد تُغْرِيهم بالأتراك ، فاجْتَمَعوا بالجيزَة ، وخَرَجَ إليهم الأتْراكُ ومُقَدَّمُهم ناصِرُ الدين حُسين بن حَمْدان ، فاقْتَتَلا عِدَّة مِرارٍ ظَهَرَ في آخِرها الأَتْراكُ على العَبيد ، وهَزَموهم إلى بلاد الصَّعيد . فعادَ ابنُ حَمْدان إلى القاهِرَة ، وقد عَظُمَ أَمْرُه وقَوي جأْشُه ، وكَبُرَت نفسه واسْتَخَفَّ بالخَليفَة ، فجاءَه الخَبَرُ أنَّه قد تَجَمَّع من العَبيد ببلاد الصَّعيد خمسة[a] عشر ألف فارِس ، فقَلِقَ وبَعَثَ بمُقَدَّمي الأتْراك إلى المُسْتَنْصِر ، فأُنْكَرَ ما كان من اجْتِماع العَبيد، وجَفُوا في خِطابِهم ، وفارَقوه على غير رضًى منهم ، فبَعَثَت أمُّ المُسْتَنْصِر إلى مَنْ بحَضْرَتها من العبيد تأْمُرُهم بالإيقاع على غَفْلَةٍ بالأتراك ، فهَجَمُوا عليهم وقَتَلوا منهم عِدَّة .

فبادَرَ ابنُ حَمْدانَ إلى الخُروج ظاهِر القاهِرَة ، وتَلاحَق به الأتراكُ ، وبَرَزَ إليهم العَبيدُ المقيمون بالقاهِرَة ومصر ، وحارَبوهم عِدَّة أيام . فحَلَفَ ابنُ حَمْدان أنَّه لا ينزل عن فَرَسِه حتى ينفصل الأَمْرُ إمَّا له أو عليه . وجَدَّ كلٌّ من الفريقين في القِتال ، فظَهَرَت الأتراكُ على العَبيد ، وأَثْخَنوا في قَتْلِهم وأَسْرِهم ، فعادُوا إلى القاهِرَة ، وتَتَبَّع ابنُ حَمْدانَ مَنْ في البَلَد منهم حتى أَفْنَى مُعْظَمَهم .

---

a) بولاق : نحو خمسة .

---

[1] انظر فيما يلي ٣٩٨- ٣٩٩.

[2] ابن ميسر : أخبار مصر ٢٤- ٢٥؛ النويري : نهاية الأرب ٢٨:٢٢٤-٢٢٥؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢:٢٦٥-٢٦٧، وإغاثة الأمة بكشف الغمة ٢٤- ٢٧؛ وانظر أيضًا أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٥:١٣- ٢٠؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/١: ٢١٦- ٢١٩.

هذا والعبيدُ ببلاد الصَّعيد على حالِهم، وبالإسْكَنْدَرية أيضًا منهم جَمْعٌ كثير، فسارَ ابنُ حَمْدانَ إلى الإسْكَنْدَرية وحاصَرَهُم فيها مُدَّةً حتى سألوه الأمان، فأَخْرَجَهم وأقامَ فيها من يَثِقُ به. وانْقَضَت هذه السَّنَةُ كلُّها في قِتال العَبيد [1].

ودَخَلَت سنةُ ستين وأربع مائة وقد خَرَقَ الأتراكُ ناموسَ المُسْتَنْصِر، واسْتَهانوا به واسْتَخَفُّوا بقَدْرِه، وصارَ مُقَرَّرُهم في كلِّ شهر أربع مائة ألف دينار بعدما كان ثمانية وعشرين ألف دينار، ولم يَبْقَ في الخَزائِن مالٌ، فبَعَثُوا يُطالِبونه بالمال، فاعْتَذَرَ إليهم بعَجْزه عن ما طَلَبُوه، فلم يَعْذِروه وقالوا: بِعْ ذَخائِرك، فلم يجد بُدًّا من إجابتهم، وأَخْرَجَ ما كان في القصر من الذَّخائِر، فصاروا يُقَوِّمون ما يَخْرُج إليهم بأَخَسِّ القِيَم وأَقَلِّ الأثْمان، ويَأْخُذون ذلك في واجباتِهم.

وتَجَهَّز ابنُ حَمْدان، وسارَ إلى الصَّعيد يُريد قِتال العَبيد ـ وكانت شُرورُهم قد كَثُرَت، وضَرَرُهم وفَسادُهم قد تَزايدَ ـ فلقيهُم وواقَعَهُم غير مَرَّة، والأتراكُ تَنْكَسِرُ منهم وتَعود إلى مُحاربتهم إلى أن حَمَلَ العَبيدُ عليهم حَمْلَةً انهزموا فيها إلى الجيزَة. فأَفْحَشُوا عند ذلك في أَمْر المُسْتَنْصِر، ونَسَبوه إلى مُباطَنَة العَبيد وتَقْوِيتهم، فأَنْكَرَ ذلك وحَلَفَ عليه. فأَخَذُوا في إصْلاح شأْنِهم ولَمِّ شَعَثِهم، وساروا لِقِتال العَبيد، ومازالوا يُلِحُّون في قِتالِهم حتى انْكَسَرَت العَبيدُ كَسْرَةً شَنيعَةً، وقُتِلَ منهم خَلْقٌ كثيرٌ وفَرَّ من بقيَ، فذَهَبَت شَوْكَتُهم، وزالَت دَوْلَتُهم. ورَجَع ابنُ حَمْدان وقد كَشَفَ قِناعَ الحَياء، وجَهَرَ بالسُّوء للمُسْتَنْصِر، واسْتَبَدَّ بسَلْطَنَةِ البلاد [2].

ودَخَلَت سنة إحدى وستين وابنُ حَمْدان مُسْتَبِدٌّ بالأَمْر مُجافٍ للمُسْتَنْصر، فثَقُل مكانُه على الأتراك، وتَفَرَّغوا من العَبيد، والْتَفَتُوا إليه وقد اسْتَبَدَّ بالأمور دونهم، واستأْثَرَ بالأموالِ عليهم، ففَسَدَ ما بينهم وبينه، وشَكَوا منه إلى الوَزير خَطير المُلْك [3]، فأَغْراهُم به، ولامَهُم على ما كان من تقويته، وحَسَّن لهم الثَّوْرَة به. فصاروا إلى المُسْتَنْصِر ووافَقُوه على ذلك، فبَعَثَ إلى ابن حَمْدان يأْمُرُه بالخُروج عن مصر، ويُهَدِّده إن امْتَنَعَ. فلم يَقْدِر على الامتناع منه لفَساد الأتراكِ عليه

---

[1] ابن ميسر: أخبار مصر ٣١- ٣٢؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٢٢٥- ٢٢٧؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٢٧٣- ٢٧٤.

[2] نفسه ٣٢- ٣٣؛ نفسه ٢٨: ٢٢٧- ٢٢٩؛ نفسه ٢: ٢٧٥- ٢٧٦.

[3] الوزير خطير الملك محمد بن الحسن بن علي اليازوري، استقر في القضاء والوزارة جميعًا في ثالث عشر صفر سنة ٤٦١هـ/ ١٠٦٨م، وصرف عنها في شوال من نفس السنة، (ابن ميسر: أخبار مصر ١٧، ٣٤، ٣٥؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٢٧٨، المقفى الكبير ٥: ٥٤٩- ٥٥٠؛ ابن حجر: رفع الإصر ١٣٦).

ومَيْلهم مع المُسْتَنْصِر، فخَرَجَ إلى الجيزَة، وانتهب النّاسُ دورَه ودورَ حَواشيه. فلمّا جَنَّ عليه الليلُ، عادَ من الجيزَة سِرًّا إلى دارِ القائِد تاج الملوك شاذي، وترامَى عليه وَقَبَّل رِجْلَيْه، وسأله النُّصْرَة على الذُّكَر والوَزير الخَطير، فإنَّهما قاما بهذه الفِتْنَة، فأجابَه إلى ذلك، ووَعَدَه بقَتْل المذكورين، وفارَقَه ابنُ حَمْدان.

فلمّا كان من الغَدِ رَكِبَ شاذي في أصْحابِه، وأخَذَ يسير بَيْنَ القَصْرَيْن بالقاهِرَة، وأقْبَل الوَزيرُ الخَطيرُ في مَوْكِبه، فبادَرَه شاذي على حين غَفْلَة وقَتَلَه، ففَرَّ الذُّكَر إلى القصر والتجأ بالمُسْتَنْصِر، فلم يكن بأسْرَع من قُدوم ابن حَمْدان وقد استعدَّ للحَرْب فيمن معه. فرَكِبَ المُسْتَنْصِرُ بلأمَة الحَرْب، واجتمع إليه الأجنادُ والعامَّةُ، وصارَ في عَدَدٍ لا ينحصر وبَرَزَت الفُرْسان. فكانت بين الخَليفَة وابن حَمْدان حُروبٌ آلَت إلى هَزيمَة ابن حَمْدان، وقُتِل كثيرٌ من أصْحابِه، فمَضَى في طائِفَةٍ إلى البُحَيْرَة، وترامَى على بني سِنْبِس وتَزَوَّج منهم [1].

فعَظُم الأَمْرُ بالقاهِرَة ومصر، من شِدَّة الغَلاء وقِلَّة الأقْوات، لما فَسَدَ من الأعمال بكَثْرَة النَّهْب وقَطْع الطَّريق، حتى أكَلَ النّاسُ الجِيفَ والميتات، ووَقَفَ أرْبابُ الفَساد في الطريق، فصارُوا يَقْتُلون من ظَفروا به في أزِقَّة مصر، فهَلَكَ من أهل مصر في هذه الحُروب والفِتَن ما لا يمكن حَصْره [2].

وامتدَّ ذلك إلى أن دَخَلَت سنة ثلاثٍ وستين، فجَهَّزَ المُسْتَنْصِرُ عَساكِرَه لِقِتال ابن حَمْدان بالبُحَيْرَة، فسارَت إليه ولم يُوَفَّق في مُحارَبَته، فكَسَرَها كلَّها واحْتَوَى على ما كان مَعَها من سِلاحٍ وكِراعٍ ومالٍ، فتقوَّى به وقَطَعَ الميرَة عن البلد، ونَهَبَ أكثر الوَجْه البَحْري، وقَطَع منه الخُطْبَة للمُسْتَنْصِر، ودعَا للخَليفَة القائِم بأَمْر الله العَبّاسي بالإسْكَنْدَرية ودِمْياط وعامَّة الوَجْه البَحْري. فاشتدَّ الجُوعُ، وتزايدَ المَوَتانُ بالقاهِرَة ومصر /، حتى إنَّه كان يَموت الواحِدُ من أهْل البيت، فلا يَمْضي يومٌ وليلةٌ من مَوْتِه حتى يموتَ سائِرُ من في ذلك البيت ولا يَجِد[a] من يَسْتَوْلي عليه. ومَدَّت الأجنادُ أيْديها إلى النَّهْب، فخَرَجَ الأمْرُ عن الحَدّ، ونَجَا أهلُ القُوَّة بأنفسهم من

a) بولاق: يوجد.

[1] ابن ميسر: أخبار مصر ٣٣–٣٤؛ ابن الأثير: الكامل ١٠–٨٤؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨:٢٢٨–٢٢٩؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢:٢٧٨–٢٧٩؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٥:٢١–٢٢.

[2] نفسه ٣٥؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ٩٧–٩٨؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٢٧٩.

مصر ، وساروا إلى الشَّام والعِراق ، وخَرَجَ من خَزائِن القَصْر ما يجلّ وَصْفُه [١]. وقد ذُكِرَ طَرَفٌ من ذلك في أخبار القاهِرَة عند ذِكْر خَزائِن القَصْر [٢]. فاضطَرَّ الأجنادُ ـ مع[a] ما هم فيه من شِدَّة الجُوع ـ إلى مُصالَحَة ابن حَمْدان ، بشَرْط أن يُقيم في مكانِه ويُحْمَل إليه مالٌ مُقَرَّر ، ويَنُوب عنه شاذي بالقاهِرَة . فرَضِيَ بذلك وسَيَّر الغِلال إلى القاهِرَة ومصر ، فسَكَنَ ما بالناس من شِدَّة الجُوع قليلًا . ولم يكن ذلك إلَّا نحو شهر ، ووَقَعَ الاخْتلافُ عليه ، فقَدِمَ من البُحَيْرَة إلى مصر وحاصَرَها وانتهبها ، وأَحْرَقَ دُورًا عديدة بالسَّاحِل ، ورَجَع إلى البُحَيْرَة [٣].

فدَخَلَت سنةُ أربعٍ وستين والحالُ على ذلك ، وشاذي قد استبدَّ بأَمْر الدولة ، وفَسَد ما بينه وبين ابن حَمْدان ، ومَنَعَه من المال الذي تقرَّر له ، وشَحّ به عليه فلم يُوَصِّله إلَّا القليل . [b]فحرَّك ذلك من[b] ابنِ حَمْدان ، وجَمَعَ العُرْبان وسارَ إلى الجيزَة ، وخادَع شاذي حتى صارَ إليه ليلًا في عِدَّة من الأكابِر ، فقَبَضَ عليه وعليهم ، وبعَثَ أصحابَه فنَهَبُوا مصر وأَطْلَقُوا فيها النار ، فخَرَجَ إليهم عسكرُ المُسْتَنْصِر من القاهِرَة وهَزَمُوهُم .

فعادَ إلى البُحَيْرَة ، وبعَثَ رَسُولًا إلى الخَليفَة القائِم بأمر الله ببغداد يُخْبره[a] بإقامَة الخُطْبَة له ، وسأله الخِلَع والتَّشارِيف . فاضْمَحَلَّ أَمْرُ المُسْتَنْصَر وتلاشَى ذكره ، وتفاقَم الأَمْرُ في الشِّدَة من الغَلاء حتى هَلَكوا .

فسارَ ابنُ حَمْدان إلى البَلَد وليس في أَحدٍ قُوَّة يمنعه بها ، فمَلَك القاهِرَة ، وامتَنَعَ المُسْتَنْصِرُ بالقصر ، فسَيَّر إليه رَسُولًا يطلب منه المال ، فوَجَدَه وقد ذَهَب سائِرُ ما كان يعهده من أُبَّهَة الخِلافَة حتى جَلَسَ على حَصير ، ولم يَبْق معه سوى ثلاثة من الخَدَم ، فبَلَّغَه رسالَة ابن حَمْدان ، فقال المُسْتَنْصِر للرَّسول : ما يَكْفي ناصِرَ الدَّوْلَة أن أَجْلِسَ في مثل هذا البيت على هذا الحال ؟! فبَكَى الرَّسُولُ رِقَّةً له ، وعادَ إلى ابن حَمْدان ، فأَخْبَرَه بما شَاهَدَ من اتِّضاع أَمْر المُسْتَنْصِر وسُوءِ حالِه . فكَفَّ عنه ، وأَطْلَقَ له في كُلِّ شهر مائة دينار ، وامتدَّت يدُه وتَحَكَّم ، وبالَغَ في إهانَة المُسْتَنْصِر مُبالَغَةً عَظيمَةً ، وقَبَضَ على أُمِّه وعاقَبَها أَشَدَّ العُقوبَة ، واسْتَصْفَى أموالَها فحازَ منها شيئًا كثيرًا .

---

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : فحرد من ذلك .

---

[١] ابن ميسر : أخبار مصر ٣٦؛ النويري : نهاية ٢٨ : ٢٣٠؛ المقريزي : اتعاظ ٢ : ٣٠٢ – ٣٠٣.

[٢] انظر فيما يلي ٣٥٥ – ٤٠١.

[٣] ابن ميسر : أخبار مصر ٣٧ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢٨ : ٢٣٠ – ٢٣١، المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٣٠٥.

فتفرَّق حينئذٍ عن المُسْتَنْصِر جميعُ أقارِبه وأولاده من الجُوع ، فمنهم من سارَ إلى المغرب ، ومنهم من سارَ إلى الشَّام والعِراق [١] .

قال الشَّريفُ محمَّدُ بن أَسْعَد الجَوَّاني النَّسَّابَةُ في كِتاب «النُّقَطِ» : حَلَّ بمصر غَلاءٌ شَديدٌ في خِلافَة المُسْتَنْصِر بالله ، في سنة سبعٍ وخمسين وأربع مائة ، وأقامَ إلى سنة أربعٍ وستين وأربع مائة ، وعَمَّ مع الغَلاء وَباءٌ شَديدٌ ، فأقامَ ذلك سبعَ سنين ، والنِّيلُ يَمُدّ وينزل فلا يَجِد من يَزْرَع . وشَمِلَ الخَوْفُ من العسكرية وفَسادُ العَبيد ، فانْقَطَعَت الطُّرُقات بَرًّا وبحرًا إلَّا بالخِفارَة الكثيرة مع ركوب الغَرَر ، ونَزَا المارِقون بعضهم على بعض ، واستولى الجُوع لعَدَم القُوت ، وصارَ الحالُ إلى أن بِيعَ رَغيفٌ من الخُبْز الذي وَزْنُه رَطْل بزُقاق القَنادِيل كبَيْع الطُّرَف في النِّداء ، بأربعة عشر[a] دِرْهَمًا ، وبيع أردبٌّ من القَمْح بثمانين دينارًا ، ثم عُدِمَ ذلك وأُكِلَت الكِلابُ والقِطاط ، ثم تَزايَد الحالُ حتى أَكَلَ النَّاسُ بعضُهم بعضًا . وكان بمصر طوائِفُ من أَهْل الفَساد قد سَكَنوا بيوتًا قَصيرَة السُّقوف قَريبةً ممَّن يَسْعَى في الطُّرُقات ويَطُوف ، وقد أَعَدُّوا سَلَبًا وخَطاطِيف ، فإذا مَرَّ بهم أَحَدٌ شالوه في أقرب وَقْتٍ ، ثم ضَرَبوه بالأخْشاب وشَرَّحُوا لَحْمَه وأَكلوه [٢] !

قال : وحَدَّثني بعضُ نِسائِنا الصَّالِحات قالت : كانت لنَا من الجَارَات امرأةٌ تُرينا أَفْخاذَها وفيها كالحُفَر ، فكُنَّا نسألها فتقول : أنا ممَّن خَطَفَني أَكلَةُ النَّاس في الشِّدَّة فأَخَذَني إنسانٌ ـ وكُنْت ذاتَ جِسْم وسِمَنٍ ـ فأَدْخَلَني إلى بيتٍ فيه سَكاكين وآثار الدِّماء وزَفْرَة القَتْلَى ، فأَضْجَعَني على وَجْهي ورَبَطَ في يديَّ ورجليَّ سَلَبًا إلى أَوْتادِ حَديد عريانة ، ثم شَرَّح من أَفْخاذِي شَرائِح وأنا أَسْتَغيث ولا أَحَدَ يُجيبُني ، ثم أَضْرَم الفَحْم وشَوَى من لَحْمي وأَكَلَ أكلًا كثيرًا ، ثم سَكِرَ حتى وَقَعَ على جَنْبِه لا يَعْرِف أين هو ، فأَخَذْت في الحَرَكَة إلى أن تخلَّى[b] أَحَدُ الأَوْتاد ، وأعانَ الله على الخَلاص وتَخَلَّصْت ، وحَلَلْت الرِّباط ، وأَخَذْتُ خِرَقًا من دارِه ولَفَفْتُ بها أفْخاذي ، وزَحَفْتُ إلى باب الدار ، وخَرَجْتُ أَزْحَف إلى أن وَقَعتُ إلى المَأْمَن ، وجِئْتُ إلى بَيْتي وعَرَّفتهم بمَوْضِعه ، فمَضَوْا إلى

a) ظ : وعشرين . b) بولاق : انحل .

[١] ابن ميسر : أخبار مصر ٣٨؛ النويري : نهاية ٢٨: ٢٣١- ٢٣٢، ٢٣٣؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢: ٣٠٦- ٣٠٧. ١٠: ٥٨- ٥٩؛ النويري : نهاية ٢٨: ٢٣٣- ٢٣٤؛ المقريزي : إغاثة الأمة ٢٥- ٢٦؛ أبي المحاسن : النجوم ٥: ١٧.

[٢] قارن مع ابن ميسر : أخبار ٥٧؛ ابن الأثير : الكامل

الوالي ، فكَبَسَ عليه وضَرَبَ عُنُقَه ، وأقامَ الدَّواءُ في أفخاذي سنةً إلى أن خَتَمَ الجَرْح وبقي كذا حُفَرًا [١].

وبسَبَبَ هذا الغَلاء خَرِبَ الفُسْطاطُ ، وخَلَا مَوْضِعُ العَسْكَر والقَطائِع وظاهِرُ مصر ممَّا يلي القَرافَة حيث الكِيمان الآن إلى بِرْكَة الحَبَش . فلمَّا قَدِمَ أَميرُ الجُيوش بَدْر الجَمالي إلى مصر وقامَ بتدبير أَمْرِها ، نُقِلَت أَنْقاضُ ظاهِر مصر ممَّا يلي القاهِرَة حيث كان العَسْكَرُ والقَطائِعُ ، وصارَ فَضَاءً وكيمانًا فيما بين مصر والقاهِرَة ، وفيما بين مصر والقَرافَة ، وتراجَعَت أحْوالُ الفُسْطاط بعد ذلك حتى قارَب ما كان عليه قبل الشِّدَّة .

وأمَّا «حَـريقُ مِصْـر» [٢] فكان سَبَبُه أنَّ الفِرنْجَ لمَّا تَغَلَّبوا على ممالِك الشَّام ، واسْتَوْلوا على السَّواحِل حتى صارَ بأيديهم ما بين مَلَطِيَّة / إلى بِلْبَيْس ، إلَّا مَدينَة دِمَشْق فقط ، وصارَ أَمْرُ الوَزارَة بديار مصر لشَاوَر بن مُجير السَّعْدي ، والخَليفَةُ يومئذٍ العاضِدُ لدين الله عبد الله بن يوسُف اسمٌ لا معنى له ، وقامَ في مَنْصِب الوَزارَة بالقُوَّة في صَفَر سنة ثمانٍ وخمسين وخمس مائة وتلقَّب بأمير الجُيوش ، وأَخَذَ أمْوالَ بني رُزِّيك وُزَرَاء مصر ومُلوكِها من قَبْله . فلمَّا استبدَّ بالإِمْرَة ، حَسَدَه ضِرْغامُ صاحِبُ البَاب ، وجَمَعَ جُموعًا كثيرة وغَلَبَ شاوَر على الوَزارَة في شهر رَمَضان منها ، فسارَ شاوَرُ إلى الشَّام ، واستقلَّ ضِرْغامٌ بسَلْطَنَة مصر ، فكان في هذه السَّنَة بمصر [a] ثَلاثَة وُزَرَاء هم : العادِلُ بن رُزِّيك بن طَلائِع بن رُزِّيك ، وشاوَرُ بن مُجير ، وضِرْغام . فأساءَ ضِرْغامُ السِّيرَة في قَتْل أُمَراء الدولة ، وضَعُفَت من أَجْل ذلك دولةُ الفاطِميين بذَهاب رِجالِها الأكابِر [٣].

ثم إنَّ شاوَرَ استنجدَ بالسُّلْطان نُور الدين محمود بن زَنْكي صاحِب الشَّام ، فأَنْجَدَه وبَعَثَ معه عسكرًا كثيرًا في جُمادَىٰ الأُولى سنة تسعٍ وخمسين ، وقَدَّمَ عليه أَسَدَ الدين شِيرْكوه ، على أن يكون لنُور الدين ، إذا عادَ شاوَرُ إلى مَنْصب الوَزارَة ، ثُلُث خَراج مصر بعد إقْطاعات العساكِر ،

---

a) بولاق : فكان بمصر في هذه السنة .

---

[١] أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥ : ١٧ .

[٢] انظر تفاصيل هذا الحريق الذي استمر أربعة وخمسين يومًا في سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م عند ، أبي صالح الأرمني : تاريخ ٣٦ ، ٤٣ - ٤٨ ؛ أبي شامة : الروضتين ١ : ٣٩١ ، ٤٣٢ (عن ابن أبي طيّ) ؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣ : ٢٩٦ - ٢٩٧ ؛ Kubiak, W., «The Burninig of Misr al-Fustât in 1168. A Reconsideration of Historical Evidence», *Africana Bulletin* XXV (1976), pp. 51-64; Fu'âd Sayyid, A., *op. cit.*, pp. 625-34.

[٣] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣ : ٢٥٩ - ٢٦١ .

وأن يكون شِيرْكوه عنده بعساكِره في مصر ولا يَتَصرَّف إلَّا بأَمْر نُور الدين . فخَرَجَ ضِرْغامُ بالعَسْكَر وحارَبَه في بِلْبَيْس ، فانْهَزَمَ وعادَ إلى مصر ، فنَزَلَ شَاوَرُ بمن معه عند التَّاج خارِج القاهِرَة ، وانْتَشَرَ عسكرُه في البلاد ، وبَعَثَ ضِرْغامُ إلى أهل البلاد ، فأتَوْه خَوْفًا من التُّرْك القادِمين معه ، وأَتَتْه الطائِفَةُ الرَّيْحانِيَّة والطائِفَةُ الجُيُوشِيَّة ، فامتنعوا بالقاهِرَة وتطارَدُوا مع طَلائِع شاوَر بأرْض الطَّبَّالَة [1] .

فنَزَلَ شاوَرُ في المَقَس ، وحارَب أَهْلَ القاهِرَة فغَلَبوه حتى ارتفع إلى بِرْكَة الحَبَش ، فنَزَلَ على الرَّصْد فاستولى على مَدينَة مصر ، وأقامَ أيَّامًا فمالَ الناسُ إليه ، وانحرفوا عن ضِرْغام لأُمُورٍ . فنَزَلَ شاوَرُ باللُّوق ، وكانت بينه وبين ضِرْغام حُروبٌ آلَت إلى إحْراق الدُّور من باب سَعادَة إلى باب القَنْطَرة خارِج القاهِرَة ، وقُتِلَ كثيرٌ من الفريقين ، واخْتَلَّ أَمْرُ ضِرْغام وانْهَزَم .

فمَلَكَ شاوَرُ القاهِرَة ، وقُتِلَ ضِرْغامُ آخر جُمادَى الآخرة سنة تسعٍ وخمسين ، فأَخْلَفَ شِيرْكوه ما وَعَدَ به السُّلطانَ نُور الدين ، وأَمَرَه بالخُروج عن مصر بمن معه[a] ، فأبَى عليه واقْتَتَلا . وكان شِيرْكوه قد بَعَثَ بابن أخيه صَلاح الدين يوسُف بن أَيُّوب إلى بِلْبَيْس ليجمع له الغِلال وغيرها من الأموال ، فحَشَدَ شاوَر وقاتَل الشَّامِيين ، فجَرَت وَقائِعُ . واحْتَرَق وَجْهُ الخَليج خارِج القاهِرَة بأَسْره وقِطْعَة من حارَة زَوِيلَة .

فبَعَثَ شاوَرُ إلى الفِرنْج واسْتَنْجَدَ بهم ، فطَمِعُوا في البلاد ، وخَرَجَ مَلِكُهم مُرِّي [Amaury] من عَسْقَلان بجُموعِه ، فبَلَغَ ذلك شِيرْكوه ، فرَحَلَ عن القاهِرَة بعد طُول مُحاصَرَتها ونَزَلَ بِلْبَيْس ، فاجتمع على قِتالِه بها شاوَرُ ومَلِكُ الفِرنْج ، وحَصَرُوه بها ـ وكانت إذ ذاك حَصِينَةً ذات أسْوارٍ ـ فأقامَ مَحْصُورًا مُدَّة ثلاثة أشهر . وبَلَغَ ذلك نُور الدين ، فأغارَ على ما قَرُبَ منه من بلاد الفِرنْج وأَخَذَها من أَيْديهم ، فخافُوه ووَقَعَ الصُّلْحُ مع شِيرْكوه على عَوْدِه إلى الشَّام ، فخَرَجَ في ذي الحِجَّة ولَحِقَ بنُور الدين .

فأقامَ وفي نَفْسه من مصر أَمْرٌ عَظيمٌ ، إلى أن دَخَلَت سنة اثنتين وستين ، فجَهَّزَه نُورُ الدين إلى مصر في جَيْشٍ قويٍّ في رَبيع الأوَّل وسَيَّرَه . فبَلَغَ ذلك شاوَر ، فبَعَثَ إلى مُرِّي [Amaury] ملك

---

a) بمن معه : ساقطة من بولاق .

---

[1] اعتمد المقريزي في سَرْد هذه الأحداث المتعلقة ببداية التدخلات الأجنبية في شئون مصر على ما أورده المؤرخ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات المتوفى سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٤م في كتابه «تاريخ الدول والملوك» نقلًا عن «جزء=

الفِرِنْج يَسْتَنْجِد[a] به ، فسارَ بجموع الفِرِنْج حتى نَزَلَ بِلْبَيْس ، فوافاه شاوَر وأقامَ حتى قَدِمَ شِيرْكوه إلى أطْرافِ مصر ، فلم يطق لقاءَ القوم ، فسارَ حتى خَرَجَ من إطْفيح إلى جِهَة بلاد الصَّعيد من ناحية بحر القُلْزُم .

فبَلَغَ شاوَرَ أنَّ شِيرْكوه قد مَلَكَ بلاد الصَّعيد ، فسَقَط في يده ، ونَهَضَ للفَوْر من بِلْبَيْس ومعه الفِرِنْج . فكان من حُروبِه مع شِيرْكوه ما كان حتى انْهَزَمَ بالأُشْمُونَيْن ، وسارَ منها بعد الهَزيمَة إلى الإسْكَنْدَرية ، فمَلكَها وأَقَرَّ بها ابن أخيه صَلاح الدين ، وخَرَجَ إلى الصَّعيد ، فخَرَجَ شاوَرُ بالفِرِنْج وحَصَرَ الإسْكَنْدَرية أَشَدَّ حِصارٍ ، فسارَ شِيرْكوه من قُوص ونَزَلَ على القاهِرَة وحاصَرَها فرَحَلَ إليه[b] شاوَر . وكانت أمورٌ آلت إلى الصُّلح ، وسارَ شِيرْكوه بمن معه إلى الشَّام في شَوَّال .

فطَمِعَ مُرِّي [Amaury] في البلاد ، وجَعَل له شِحْنَةً بالقاهِرَة ، وصارَت أسوارُها بيد فُرْسان الفِرِنْج ، وتقرَّر لهم في كلِّ سنة مائة ألف دينار ، ثم رَحَلَ إلى بلاده وتَرَكَ بالقاهِرَة مَنْ يَثِقُ به من الفِرِنْج ، وسارَ شِيرْكوه إلى الشَّام . فتَحَكَّم الفِرِنْجُ في القاهِرَة حُكْمًا جائِرًا ، ورَكِبُوا المسلمين بالأَذَى العَظيم ، وتَيَقَّنوا عَجزَ الدَّوْلَة عن مُقاوَمَتِهم ، وانْكَشَفَت لهم عَوْراتُ النَّاس ، إلى أن دَخَلَت سنة أربع وستين ، فجَمَعَ مُرِّي [Amaury] جَمْعًا عَظيمًا من أجْناس الفِرِنْج ، وأَقْطَعَهُم بلاد مصر ، وسارَ يُريد أَخْذ مصر . فبَعَثَ إليه شاوَرُ ليسأله عن سَبَب مَسيره ، فاعْتَلَّ بأنَّ الفِرِنْجَ غَلَبوه على قَصْد ديار مصر ، وأنَّه يُريد ألفيْ ألف دينار يُرْضيهم بها ، وسارَ فنَزَل على بِلْبَيْس وحاصَرَها حتى أَخَذَها عَنْوَةً في صَفَرَ فسبَى أَهْلَها ، وقَصَدَ القاهِرَة . فسَيَّرَ العاضِدُ كُتُبَه إلى نُور الدين - وفيها شُعورُ نِسائِه وبَناتِه - يسأله إنْقاذ المسلمين من الفِرِنْج .

وسار مُرِّي [Amaury] من بِلْبَيْس ، فنَزَلَ على بِرْكَة الحَبَش - وقد انضمَّ النَّاسُ من الأعمال إلى القاهِرَة - فنادَى شاوَر بمصر ألَّا يُقيمُ بها أَحَدٌ ، وأَزْعَجَ النَّاسَ في النُّقْلَة منها ، فتركوا أموالَهم

---

a) بولاق : مستنجدًا . b) بولاق : إلى .

= لطيف مجهول المؤلف سمّاه مؤلفه أخبار الدولة المصرية وما جرى بين الملوك والخلفاء من الفتن والحروب من أيام الآمر إلى أيام شيركوه . (قارن فيما يلي ٢:١٢- ١٣، واتعاظ الحنفا ٣:٢٦٤- ٢٧١) . ونشر كلود كاهن هذا النصّ سنة ١٩٦٩ انظر Cahen, Cl., «Un récit inédit du vizirat de Dirghâm», *An. Isl.* VIII (1969), pp. 27-46؛ وانظر فيما يلي ٢٠٣- ٢٠٦.

وأثقالَهم ، ونَجَوا بأنفسهم وأولادهم . /وقد ماجَ النَّاسُ واضْطَّربوا كأنَّما خَرَجوا من قُبورِهم إلى المَحْشَر : لا يعبأ والِدٌ بوَلَده ، ولا يلتفت أخٌ إلى أخيه ، وبَلَغَ كِراءُ الدَّابَّةِ من مصر إلى القاهِرَة بضعة عشر دينارًا ، وبِكِراءُ الجَمَل[a] إلى ثلاثين دينارًا .

ونَزَلَ النَّاسُ[b] بالقاهِرَة في المَساجِد والحَمَّامات والأَزِقَّة وعلى الطُّرُقات ، فصاروا مَطْروحين بعِيَالهم وأولادِهم ، وقد سُلِبُوا سائِرَ أموالِهم ، وينتظرون هُجومَ العَدُوّ على القاهِرَة بالسَّيْف كما فَعَلَ بمَدينَة بِلْبَيْس[1] .

وبَعَثَ شاوَرُ إلى مصر بعشرين ألف قارورَة نَفْط وعشرة آلاف مِشْعَل نار فَرَّق ذلك فيها ، فارْتَفَع لَهَبُ النار ودُخَانُ الحَريق إلى السَّماء ، فصارَ مَنْظَرًا مَهولًا ، فاستمرَّت النارُ تأتي على مَساكِن مصر من اليوم التاسع والعشرين من صَفَر لتمام أربعة وخمسين يومًا ، والنَّهَّابَة من العَبيد ورجال الأُسْطول وغيرهم بهذه المَنازِل في طَلَب الخَبَايا . فلمَّا وَقَعَ الحَريقُ بمصر ، رَحَلَ مُرِّي [Amaury] من بِرْكَةِ الحَبَش ، ونَزَلَ بظاهِر القاهِرَة ممَّا يلي باب البَرْقِيَّة ، وقاتَلَ أَهْلَها قِتالًا كثيرًا حتى زُلْزِلُوا زِلْزالًا شَديدًا ، وضَعُفَت نُفُوسُهم وكادوا يُؤْخَذون عَنْوَةً ، فعادَ شاوَر إلى مُخاتَلَة[c] الفِرِنْج ، وجَرَت أُمورٌ آلَتْ إلى الصُّلْح على مالٍ[2] .

فبينما هم في جِبايَته ، إذْ بَلَغَ الفِرِنْجَ مَجيءُ أَسَد الدين شِيْركوه بِعَساكِر الشَّام من عند السُّلْطان نُور الدين محمود ، فرَحَلُوا في سابع[d] رَبيع الآخر إلى بِلْبَيْس ، وساروا منها إلى فاقُوس ، فصارُوا إلى بلادِهم بالسَّاحل . ونَزَلَ شِيْركوه بالمَقْس خارِجَ القاهِرَة .

وكان من قَتْل شاوَر واستيلاء شِيْركوه على مِصْر ما كان[3] ؛ فمن حينئذٍ خَرِبَت مصرُ الفُسْطاط هذا الخَراب الذي هو الآن كيمان مصر وتلاشَى أَمْرُها ، وافتقر أهلُها وذَهَبَت أموالُهم وزالَت نِعَمُهم . فلمَّا استبدَّ شِيْركوه بوَزارَة العاضِد ، أَمَرَ بإحضار أَعْيان أَهْل مصر الذين خَلَوا عن ديارهم في الفِتْنَة وصاروا بالقاهِرَة ، وتَغَمَّم لمُصابِهم ، وسَفَّه رأي شاوَر في إحْراق المَدينَة ، وأَمَرَهُم بالعَوْد إليها . فشَكَوا إليه ما بهم من الفَقْر والفاقَة وخَراب المنازِل ، وقالوا : إلى أيِّ

---

a) بولاق : الحمل . b) بولاق : ونزلوا . c) بولاق : مقاتلة . d) اتعاظ الحنفا : ثالث .

---

[1] ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ٤/١:٢٤– ٢٥؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣:٢٩٥– ٢٩٦.

[2] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣:٢٩٧– ٢٩٨.

[3] نفسه ٣:٢٩٩– ٣٠٠.

مَوْضع[a] نَرْجِع؟ وفي أيِّ مكانٍ ننزل ونأوي، وقد صارَت كما تَرَى؟ وبَكَوْا وأبْكَوا، فوَعَدَهم جَميلًا، وتَرَفَّق بهم، وأَمَرَ فنودي في النَّاسِ بالرُّجوع إلى مصر[١].

فتراجَعَ إليها النَّاسُ قَليلًا قليلًا، وعَمَّروا ما حَوْلَ الجامِع[٢]، إلى أن كانت المِحْنَةُ من الغَلاء والوَباء العَظيم في سَلْطَنَة الملك العَادِل أبي بكر بن أيُّوب لسنتيْ خمس وستٍّ وتسعين[b] وخمس مائة، فخَرِب من مصر جانِبٌ كبير[٣].

ثم تَحايا النَّاسُ بها، وأَكْثَروا من العِمارَة بجانِب مصر الغربي على شاطئ النِّيل لمَّا عَمَّرَ الملكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدين أيُّوب قَلْعَة الرَّوْضَة، وصارَ بمصر عِدَّةُ آدُرٍ جَليلَة وأسْواقٌ ضخمة.

فلمَّا كان غَلاءُ مصر والوَباءُ الكائِن في سَلْطَنة الملك العادِل كَتْبُغا سنة ستٍّ وتسعين وستّ مائة، خَرِبَ كثيرٌ من مَساكِن مصر، وتراجَعَ النَّاسُ بعد ذلك في العِمارَة إلى سنة تسعٍ وأربعين وسبع مائة، فحَدَث الفَناءُ الكبير الذي أَقْفَر منه مُعْظَم دُور مصر وخَرِبَت.

ثم تَحَايَا النَّاسُ من بَعْد الوَبَاء، وصارَ ما يُحيطُ بالجَامِع العَتيق وما على شَطِّ النِّيل عامِرًا إلى سنة ستٍّ وسبعين وسبع مائة، فشَرَقَت بلادُ مصر، وحَدَث الوَباءُ بعد الغَلاء، فخَرِبَ كثيرٌ من عامِر مصر.

ولم تَزَلْ تَخْرَب[c] شيئًا بعد شيءٍ إلى سنة تسعين وسبع مائة، فعَظُمَ الخَرابُ في زُقاق القَناديل[d] وخُطِّ النَّحَّالين[e]، وشَرَعَ النَّاسُ في هَدْم دُور مصر وبَيْع أنقاضِها، حتى صارَت على ما هي عليه الآن، ﴿وَتِلْكَ القُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُم لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الآية ٥٩ سورة الكهف].

---

a) بولاق: مكان. b) ساقطة من النسخ. c) بولاق: ولم يزل يخرب. d) بولاق: خط زقاق القناديل. e) بولاق: النحاسين.

---

[١] المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٣٠٣.

[٢] يقول ابن جبير الذي زار الفسطاط بعد سنة ٥٧٩هـ/١١٨٤م: «وبمدينة مصر آثارٌ من الخراب الذي أحدثه الإحراقُ الحادث بها وقت الفتنة عند انتساخ دولة العبيديين، وذلك في سنة أربع وستين وخمس مائة، وأكثرها الآن مستجدّ والبنيان بها متصل». (الرحلة ٢٩).

[٣] انظر فيما يلي ٢: ٢٣٥.

ذِكْرُ مَا قِيلَ فِي مَدِينَةِ فُسْطَاطِ مِصْرَ

قال ابنُ رِضْوان : والمَدينَةُ الكُبْرىٰ اليوم بأرضِ مصر ذات أربعة أجزاء : الفُسْطاط ، والقاهِرَة ، والجَزيرَة ، والجيزَة [a].

وبُعْدُ هذه المَدينَة عن خَطِّ الاسْتواء ثلاثون دَرَجة ، والجَبَلُ المُقَطَّم في مَشْرقها[b] وبينها وبين مَقابِر المَدينَة . وقد قالت الأطبّاءُ : إنَّ أرْدَأ المواضِع ما كان الجَبَلُ في مَشْرقه[c]، يعوق عنه ريح الصَّبَا .

وأَعْظَمُ أجْزائِها هو الفُسْطاط ، ويلي الفُسْطاط من الغرب النِّيل ، وعلى شطِّ النِّيل الغربي أشجارٌ طِوالٌ وقِصارٌ . وأَعْظَمُ أجْزاء الفُسْطاطِ مَوْضِعٌ في غَوْرٍ ، فإنَّه يعلوه من المَشْرِق المُقَطَّمُ ، ومن الجَنوب الشَّرَفُ ، ومن الشَّمال المَوْضِعُ العالي من عَمَل فَوْق[1] ـ أعني المَوْقِف ـ والعَسْكرُ وجامِعُ ابن طُولون .

ومتى نَظَرْت إلى الفُسْطاط من الشَّرَف [d]، أو من مَكانٍ آخر عالٍ ، رأيت وَضْعَها في غَوْرٍ . وقد بَيَّنَ أَبُقْراط أنَّ المواضِعَ المُتَسَفِّلة أسْخَن من المواضِع المرتفعة وأرْدأ هَوَاءً ، لاحتقانِ البُخارِ فيها ، ولأنَّ ما حَوْلَها من المواضِع العالية يعوق تَحْليل[e] الرِّياح لها .

وأزِقَّةُ الفُسْطاط وشوارِعُها ضَيِّقة ، وأبنيتُها عالية ، وقد قال روفس[2]: إذا دَخَلْتَ مَدينَةً فرأيتها ضَيِّقَة الأزِقَّة مرتفِعة البناء ، فاهْرَب منها فإنَّها[f] وَبيئةٌ ، أراد أنَّ البُخارَ لا ينحلّ[g] منها كما ينبغي لضيق الأزِقَّة وارتفاع البناء .

ومن شأن أهْل الفُسْطاط أن يَرْموا ما يموت في دُورهم من السَّنانير / ٣٤ والكِلاب ونحوها من الحَيوان الذي يُخالِط الناسَ في شوارِعهم وأزِقَّتِهم ، فتَتَعفَّن وتُخالِط عُفونَتُها الهَواء . ومن شأنهم

---

a) عند ابن رضوان : الفسطاط والقرافة والقاهرة والجيزة . b) بولاق : شرقيها . c) بولاق : شرقيه . d) بولاق : الشرق . e) ابن رضوان : تخلل . f) بولاق : لأنها . g) بولاق : لا يتخلل .

---

[1] حاشية بخط المؤلِّف : «الشرف يعرف اليوم بالرَّصْد ، عَمَل فَوْق من جامع ابن طولون وأنت مار إلى كوم الجارح» .

[2] روفس Ruvos: طبيب يوناني من مدينة أفسس قبل جالينوس ، له تصانيف كثيرة في الطب نقلت إلى العربية . (القفطي : تاريخ الحكماء ١٨٥) .

أيضًا أن يَرْمُوا في النِّيل الذي يشْرَبون منه فُضُولَ حيواناتهم وجِيَفِها، وخَرَّارات كُنُفِهِم تَصُبُّ فيه، ورُبَّما انقطع جريُ الماء فيشربون هذه العُفونة باخْتِلاطها بالماء. وفي خِلال الفُسْطاط مُسْتَوْقَداتٌ عَظيمَةٌ يَصْعَدُ منها في الهواء دُخَانٌ مفرط.

وهي أيضًا كثيرة الغُبار لسَخانَة أرضها، حتى إنَّك ترى الهَواء في أيام الصَّيْفِ كَدِرًا يأخذ بالنَّفْس، ويَتَّسِخ الثَّوْبُ النَّظيفُ في اليوم الواحِد، وإذا مَرَّ الإنسانُ في حاجة لم يرجع إلَّا وقد اجتمع في وجهه ولِحْيَته غبارٌ كثيرٌ،ويعلوها في العَشِيَّات - خاصَّةً في أيام الصَّيْف - بُخارٌ كَدِرٌ أسودُ وأغبر، سِيَّما إذا كان الهَواءُ سليمًا من الرِّياح.

وإذا كانت هذه الأشياءُ كما وَصَفْنا، فمن البَيِّنُ أنَّه تُصَيِّر[a] الرُّوح الحَيَواني الذي فينا[b] حاله كهذه الحال، فيتولَّد إذن في البَدَن من هذه الأعراض فُضُولٌ كثيرة واستعدادتٌ نحو العَفَن، إلَّا أنَّ إِلْفَ أَهْل الفُسْطاط لهذه الحال وأُنْسَهم بها، يعوق عنهم أكثر شَرِّها، وإن كانوا على كلِّ حالٍ أسرع أَهْل مصر وُقوعًا في الأمراض.

وما يلي النِّيل من الفُسْطاط يجب أن يكون أَرْطَب مِمَّا يلي الصَّحْراء، وأهلُ الشَّرَف[c] أَصْلَحُ حالًا لتخرُّق الرِّياح لدورهم، وكذلك عَمَلُ فَوْق والحَمْراءُ، إلَّا أنَّ أهلَ الشَّرَف [ماؤهم][d] الذي يشربونه أَجْوَد، لأنَّه يُسْتقى قبل أن تُخالِطه عُفونَة الفُسْطاط.

فأمَّا القَرَافَة فأَجْوَد هذه المواضِع[1]؛ لأنَّ المُقَطَّم يُعَوِّق بُخار الفُسْطاط من المرور بها، وإذا هَبَّت ريحُ الشَّمال مَرَّت بأجزاءٍ كثيرةٍ من بُخار الفُسْطاط والقاهِرَة على الشَّرَف فغيَّرت حاله. وظاهِرٌ أنَّ المواضِعَ المكشوفةَ في هذه المَدينَة هي أَصَحُّ هَواءً، وكذلك حالُ المواضِع المرتفعة[2] وأردأُ مَوْضِعٍ في المَدينَة الكبرىٰ هو ما كان من الفُسْطاط حَوْلَ الجامِع العَتيق إلى ما يلي النِّيل والسَّواحِل.

وإذا كان في الشِّتاء وأوَّل الرَّبيع، حُمِلَ من بَحْر المِلْح سَمَكٌ كثير، فيصل إلىهذه المَدينَة وقد عَفِنَ وصارَت له رائِحَةٌ مُنْكَرة جِدًّا فيُباع في القاهِرَة، ويأكله أهلُها وأهلُ الفُسْطاطِ فيجتمع في أبْدانِهم منه فُضولٌ كثيرةٌ عَفِنَة؛ فلولا اعتدالُ أَمْزِجَتهم، وصِحَّةُ أبْدانِهم في هذا الزَّمان، لكان ذلك يُوَلِّد في أبْدانِهم أمْراضًا كثيرةً قاتِلَةً، إلَّا أنَّ قُوَّةَ الاستمرار تَعُوق عن ذلك.

---

a) بولاق: يصير. b) بولاق: فيها. c) بولاق: الشرق. d) زيادة من ابن رضوان.

---

[1] انظر عن القرافة فيما يلي ٢: ٤٤٣.

[2] ابن رضوان: دفع مضار الأبدان ١٥٥- ١٦٠.

ورُبَّما انقطع النِّيلُ في آخرالرَّبيع وأوَّل الصَّيْف من جهة الفُسْطاط ، فيَعْفَن بكثرة ما يُلْقَى فيه ، إلى أن يبلغ عَفَنُه إلى أن تصير له رائِحَةٌ مُنْكَرَةٌ مَحْسوسَةٌ . وظاهِرٌ أنَّ هذا الماء إذا صارَ على هذه الحالِ غَيَّرَ مِزاجَ النَّاس تَغَيُّرًا مَحْسوسًا [١].

قال : فمن البَيِّنِ أن أهلَ هذه المَدينَة الكبرىٰ بأرض مصر أَسْرَع وُقوعًا في الأمراضِ من جَميع أهل هذه الأرض ، ما خَلا أهل الفَيُّوم فإنَّها أيضًا قرية [a].

وأردأُ ما في المَدينَة [الكبرىٰ][b] الموضِع الغائِر من الفُسْطاط . ولذلك غَلَبَ على أهلها الجُبْن وقِلَّة الكَرَم ، وأنَّه ليس أحدٌ منهم يُغيث ولا يُضَيِّف الغريب إلَّا في النادِر ، وصاروا من السِّعاية والاغْتياب على أمرٍ عَظيم . ولقد بَلَغ بهم الجُبْنُ إلى أنَّ خمسة أعْوانٍ تسوق منهم مائة رجل وأكثر ، ويَسُوق الأعْوانَ المذكورين رجلٌ واحدٌ من أهل البُلْدان الأُخَر ومِمَّن قد تَدَرَّب في الحَرْب .

فقد استبانَ إذن العِلَّة والسَّبَب في أن صارَ أهلُ المَدينَة الكبرىٰ بأرض مصر أَسْرَع وُقُوعًا في الأمراض من جَميع أهل هذه الأرض ، وأَضْعَف أنفسًا . ولعلَّ لهذا السَّبَبِ اختارَ القُدَماءُ اتِّخاذ المَدينَة في غير هذا المَوْضِع : فمنهم من جَعَلَها بمَنْف وهي مصر القَديمَة ، ومنهم من جَعَلَها بالإسْكَنْدَرية ، ومنهم من جَعَلَها بغير هذه المواضِع ، ويدلُّ على ذلك آثارُهم [٢].

وقال ابنُ سَعيد عن كِتاب «الكَمائِم» [٣]: وأمَّا فُسْطاطِ مصر فإنَّ مبانيها كانت في القَديم مُتَّصِلةً بمباني مَدينَة عَيْنِ شَمْس ، وجاءَ الإسلامُ وبها بناءٌ يُعْرَف بالقَصْر حوله مساكِن ، وعليه نَزَلَ عَمْرو بن العَاص ، وضَرَبَ فُسْطاطَه ، حيث المَسْجِدُ الجامِعُ المنسوب إليه . ثم لمَّا فَتَحَها قَسَمَ

---

a) ابن رضوان : وبيئة ، بولاق : قريبة . b) زيادة من ابن رضوان .

---

[١] ابن رضوان : دفع مضار الأبدان ١٦٥ .

[٢] نفسه ١٦٦ - ١٦٧ .

هذا الرأي الذي أورده ابن رضوان ينتقد موضع المدينة من الناحية الصحية فقط ، وفي حقيقة الأمر إن موقع الفُسْطاط الذي تطورت ونَمَت فيه جهة الشمال عواصم مصر الإسلامية التالية : العسكر والقطائع ثم القاهرة ، موقعٌ فريدٌ حتَّمته طبيعة الأرض المصرية ، هو نقطة التقاء رأس الدلتا بجنوب الوادي (المحور الشمالي الجنوبي للبلاد) .

[٣] كتابُ الكمائِم للبَيْهقى مصدرٌ مهمٌ من مَصادر ابن سعيد المغربي يقول : «وقد جمعتُ ملتقطات من كتاب البيهقى وكتاب القُرْطي وغيرهما من الكتب وأضفتها إلى ما عاينتُه وعلمته من أمر مدينة القاهرة لأني سكنت فيها كثيرًا داخلًا وخارجًا» (النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ٢٢) . ولم يحدِّد ابن سعيد عنوان الكتاب أو اسم مؤلِّفه بأكثر من ذلك .

المنازل على القَبائِل ، ونُسِبَت المَدينَة إليه ، فقيل «فُسْطاطُ عَمْرو» ، وتداولَت عليها بعد ذلك وُلاةُ مصر فاتَّخذوها سَريرًا للسَّلْطَنَة ، وتَضاعَفَت عِمارَتُها ، فأقبل النَّاسُ من كلِّ جانِبٍ إليها ، وقَصَروا أمانيهم عليها ، إلى أن رَسُخَت بها دَوْلَةُ بني طُولون ، فبنوا إلى جانِبها المنازل المعروفة بـ«القَطائِع» ، وبها كان مَسْجِدُ ابن طُولون الذي هو الآن إلى جانِب القاهِرَة .

وهي مَدينَةٌ مستطيلةٌ يَمُرُّ النِّيلُ مع طولِها ، ويحطُّ في ساحِلها المراكِب الآتية من شمال النِّيل وجنوبه بأنواع الفَوائِد ، ولها متنزَّهات ، وهي في الإقليم الثالث ، ولا ينزل فيها مَطَرٌ إلَّا في النادِرِ ، وترابُها تثيره الأرْجُلُ وهو قَبيحُ اللَّوْن تتكدَّر منه أرجاؤها ويسوء بسببه هواؤها ، ولها أسْواقٌ ضخمةٌ إلَّا أنَّها ضَيِّقَة ، ومبانيها بالقَصَب والطوب طَبَقَةٌ على طَبَقَة . ومُذْ بُنِيَت القاهِرَةُ ضَعُفَت مَدينَةُ الفُسْطاط ، وفُرِّطَ في الاغْتِباط بها بعد الإفْراط ، وبينهما نحو ميلين . [a]وأَنْشَدْتُ فيها للشَّريفِ[a] العُقَيْلي [1] :

[الطويل]

أَحِنُّ إلى الفُسْطاطِ شَوْقًا وإنَّني لأَدْعُو لها أن لا يحلَّ بها القَطْرُ
/وهل في الحَيَا من حاجَةٍ لجنابِها وفي كلِّ قُطْرٍ من جَوانِبِها نَهْرُ
تَبَدَّت عَرُوسًا والمُقَطَّمُ تاجُها ومن نيلها عِقْدٌ كما انتظم الدُّرُّ [2]

وقال عن كتاب أُجَار [b]: فالفُسْطاطُ هي قَصَبَةُ مصر ، والجَبَلُ المُقَطَّم شرقها وهو متَّصل بجبل الزُّمُرُّد [3] .

وقال عن كتاب ابن حَوْقَل : والفُسْطاطُ مَدينَةٌ حَسَنَةٌ ينقسم النِّيل لديها ، وهي كبيرةٌ نحو ثُلُث بَغْداد ، ومقدارها نحو فَرْسَخ ، على غاية العمارة [والخِصْب][c] والطيبة واللَّذَّة ، ذات رِحابٍ

---

a-a) بولاق : وأنشد فيها الشريف . b) بولاق : كتاب آخر . c) زيادة من ابن حوقل .

---

[1] أبو الحسن عليّ بن الحسين بن حَيْدَرَة من ولد عقيل بن أبي طالب : شاعر مصري من شعراء المائة الخامسة (ابن سعيد : المغرب (قسم مصر) ٢٠٥- ٢٤٩؛ العماد الكاتب : خريدة القصر (قسم مصر) ٢ :٦٢) .

[2] ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ١ - ٢ .

[3] عند ابن سعيد : المغرب ٢ أن ذلك نقلًا عن كتاب أجار (أي روجر) والمقصود كتاب «نزهة المشتاق» الذي ألَّفه الإدريسي للملك النورماندي روجر الثاني Roger II، والنص غير موجود في «النزهة» ، انظر كذلك ما سبق أن نقله المقريزي عن كتاب الإدريسي ولا يوجد في النسخة المنشورة منه (فيما تقدم ١ :١٣٩) .

في محالِّها ، وأسْواقٍ عِظام فيها ضِيق ومَتاجِر فِخام ، ولها ظاهِرٌ أنيق وبساتينُ نَضِرَة ، ومتنزَّهاتٌ على ممرِّ الأيام خضرة .

وفي الفُسْطاط قَبائِلُ وخِطَطٌ للعرَب تُنْسَب إليها كالبَصْرَة والكُوفَة ، إلَّا أنَّها أقلُّ من ذلك ، وهي سَبِخَة الأرض ، غير نَقِيَّة التُّرْبَة ، وتكون بها الدَّارُ سَبْعَ طَبَقاتٍ وسِتًّا وخَمْسًا ، ورُبّما يَسْكُن في الدَّار المائتان من النَّاس ، [وبالفُسْطاط دارٌ تعرف بدار عَبْد العزيز ، يُصَبُّ فيها لمن بها في كلِّ يوم أربع مائة راوية من ماء][a]، ومُعْظَم بنيانِهم بالطُّوب ، وأَسْفَل دورهم غير مسكون ، وبها مَسْجِدان للجُمُعَة : بَنَى أحدَهما عَمْرو بن العَاص في وَسَط الفُسْطاط[b]، والآخَر على المَوْقِف بناهُ أحمد بن طُولون .

وكان خارِجَ الفُسْطاطِ أبنيةٌ بناها أحمد بن طُولون ميلًا في ميل ، يسكنها جُنْدُه تُعْرَف بـ «القَطائِع» ، كما بَنَى بنو الأَغْلَب خارج القَيْروان رَقَّادَة ؛ وقد خَرِبَتا في وقتنا هذا ، وأَخْلَفَ الله بَدَلَ القَطائِع - بظاهِر مَدينَة الفُسْطاط - القَاهِرَة[1].

قال ابنُ سعيد : ولمَّا اسْتَقْرَرْتُ بالقاهِرَة تشوَّقْتُ إلى مُعاينة الفُسْطاط ، فسارَ معي أحَدُ أصْحاب العَزْمَة ، فرأيتُ عند باب زَوِيلَة من الحَمِير المعدَّة لرُكوب من يَسير إلى الفُسْطاط جملةً عَظيمةً لا عَهْدَ لي بمثلها في بلدِ ، فرَكِبَ منها حمارًا وأشار إليَّ أنِ اركب حمارًا آخر ، فأنِفْت من ذلك ، جريًا على عادَة ما خَلَّفته في بلاد المغرب ، فأعلمني أنَّه غير مَعيب على أعْيانِ مصر ، وعاينت الفُقَهاءَ وأصحاب البِزَّة والشَّادَة الظاهِرة يركبونها ، فرَكِبْت . وعندما استويتُ راكِبًا ، أشارَ المكاريُّ على الحِمار فطارَ بي ، وأثارَ من الغُبار الأسود ما أعْمَى عينيَّ ودَنَّس ثيابي ، وعاينت ما كرِهْتُه . ولقِلَّة معرفتي برُكوب الحِمار وشِدَّة عَدْوه على قانونٍ لم أعهده ، وقِلَّة رِفْق المكاري ، وقَعْتُ[c] في تلك الظُّلْمَة المثارة من ذلك العَجاج ، فقلت :

[المتقارب]

لَقِيتُ بِمِصْرَ أَشَدَّ البَوارِ رُكوبَ الحِمارِ وكَحْلَ الغُبار
وخَلْفي مَكارٍ يفوق الرِّيا حَ لا يعرف الرِّفْقَ مهما استطار

a) زيادة من ابن حوقل . b) عند ابن حوقل مصدر ابن سعيد : في وسط الأسواق . c) بولاق : وقفت .

[1] ابن حوقل : كتاب صورة الأرض ١٤٦؛ ابن سعيد : المغرب ٢- ٣؛ المقري : نفح الطيب ٢: ٣٣٧- ٣٣٩؛ وفيما تقدم ١٣٢.

أُناديه مَهْلًا فلا يَرْعَوي … إلى أن سَجَدْت سجودَ العِثار

وقد مَدَّ فَوْقي رواق الثَّرى … وأَلْحَدَ فيه ضِياءَ النَّهار

فدَفَعْتُ إلى المَكاري أُجْرَتَه ، وقلت له : إحسانك إليَّ أن تتركني أَمْشي على رجلي ، ومَشَيْتُ إلى أن بَلَغْتُها ، وقدَّرتُ في[a] الطَّريق بين القاهِرَة والفُسْطاط ، وحَقَّقْته[b] بعد ذلك نحو الميلين .

ولمَّا أقبلتُ على الفُسْطاط أَدْبَرَت عنِّي المَسَرَّة ، وتأمَّلت أسْوارًا مُثْلَمَةً سَوْداء ، وآفاقًا مُغْبَرَّة ، ودَخَلْتُ من بابِها وهو دون غَلْق ، مُفْضٍ إلى خَرابٍ معمورٍ بمبانٍ مُشَتَّتَة[c] الوَضْع غير مستقيمة الشَّوارع ، قد بُنِيَت من الطُّوب الأَدْكَن والقَصَب والنَّخيل طَبَقَةً فوق طَبَقَة ، وحَوْل أبوابها من التُّراب الأَسْود والأَزْبال ما يُقْبِض نفس النَّظيف ويغضُّ طَرْف الظَّريف . فسِرْتُ وأنا مُعاينٌ لاستصحاب تلك الحال ، إلى أن سِرْت في أَسْواقِها الضَّيِّقة ، فقاسَيْت من ازْدِحام النَّاس فيها بحَوائِج السُّوق ، والرَّوايا التي على الجمال ، ما لا يَفِي به إلَّا مُشاهَدَته ومُقاساتُه ، إلى أن انتهيت إلى المَسْجِدِ الجامِع ، فعايَنْتُ من ضِيق الأسواق التي حَوْلَه ما ذكرت به ضِدَّه في جامِع إشْبِيليَة وجامِع مُرَّاكِش .

ثم دَخَلْتُ إليه ، فعايَنْتُ جامِعًا كبيرًا قَديم البِناء ، غير مُزَخْرَف ولا مُحْتَفَل في حُصْره التي تدور مع بعض حيطانه وتُبْسَط فيه ، وأبصرتُ العامَّة رِجالًا ونِساءً قد جَعَلوه مَعْبَرًا بأَوْطِئَةِ أَقْدامِهم ، يجوزون فيه مِن بابٍ إلى بابٍ ليقرُب عليهم الطَّريق ، والبَيَّاعون يبيعون فيه أَصْنافَ المُكَسَّرات والكَعْك وما جرى مجرى ذلك ، والنَّاسُ يأكلون منه في أمكنةٍ عَديدةٍ غير محتشمين لجَرْي العادَة عندهم بذلك ، وعِدَّةُ صِبيانٍ بأواني ماءٍ يطوفون على من يأكُل قد جَعَلوا ما يَحْصُل لهم منهم رِزْقًا ، وفَضَلاتُ مآكِلِهم مطروحة في صَحْن الجامِع وفي زَواياه ، والعَنْكَبُوت قد عَظُمَ نَسْجُه في السُّقوف والأَركان والحيطان ، والصِّبْيانُ يلعبون في صَحْنه ، وحيطانُه مكتوبة بالفَحْم والحُمْرَة بخُطوطٍ قَبيحةٍ مختلفةٍ مِن كَتْب فُقَراء العامَّة ، إلَّا أنَّ مع هذا كلِّه على الجامِع المذكور من الرَّوْنَق وحُسْن القَبول وانْبِساط النَّفْس ، ما لا تجده في جامِع إشْبِيليَة مع زَخْرَفَتِه والبُسْتان الذي في صَحْنه[1] .

---

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : حققت . c) بولاق : سيئة .

---

[1] هذا وَصْفٌ لجامع عمرو أو الجامع العتيق في أواسط القرن السابع الهجري ، انظر كذلك وصف ناصر خسرو للجامع في=

ولقد تأمَّلتُ ما وَجَدْتُ فيه من الارتياح والأُنْس دون مَنْظَرٍ يُوجِبُ ذلك ، فعَلِمْتَ أنَّه سِرٌّ
مُودَع من وُقوف الصَّحابَة – رِضْوانُ الله عليهم – في ساحَته عند بنائِه ، واسْتَحْسَنْتُ ما أبصرته
فيه من حِلَق المصدَّرين لإقْراء القرآن والفِقْه والنَّحْو في عِدَّة أماكِن ، وسألتُ عن مَوارِدِ أرزاقِهم
٣٤ فأُخْبِرْتُ أنَّها من فُروض الزَّكاة وما أشبه ذلك / ، ثم أُخْبِرْتُ أنَّ اقتضاءَها يصعب إلَّا بالجاه
والتَّعَب .

ثم انْفَصَلْنا من هنالِك إلى ساحِل النِّيل ، فرأيتُ سَاحِلًا كَدِرَ التُّرْبَة ، غير نَظيف ولا مُتَّسع السَّاحَة ولا مُسْتَقيم الاسْتِطالة ولا عليه سُورٌ أبيض ، إلَّا أنَّه مع ذلك كثيرُ العِمارَة بالمراكِب وأصْنافِ الأرزاق التي تصل من جميع أقطار الأرض والنِّيل ، ولئن قُلْتُ إنِّي لم أُبْصِر على نَهْرٍ ما أبصرته على ذلك السَّاحِل ، فإنِّي أقول حقًّا .

والنِّيلُ هنالك ضَيِّقٌ لكون الجَزيرَة التي بَنَى فيها سُلْطانُ الدِّيار المصرية الآن[1] قَلْعَته ، قد توَسَّطت الماء ، ومالت إلى جِهَة الفُسْطاط ، وبحُسْن سُورها المُبَيَّض الشَّامِخ حَسُنَ مَنْظَر الفُرْجَة في ذلك السَّاحِل .

وقد ذَكَرَ ابنُ حَوْقَل الجِسْرَ الذي يكون ممتدًّا من الفُسْطاط إلى الجَزيرَة وهو غير طويل ، ومن الجانِب الآخر إلى البَرِّ الغربي – المعروف ببرِّ الجِيزَة – جِسْرٌ آخر من الجَزيرَة إليه[2] . وأكثر جَوازِ النَّاس بأنفسهم ودَوابهم في المراكِب ؛ لأنَّ هذين الجِسْرَيْن قد اختُرِما بحُصولهما في حَيِّز قَلْعَة السُّلْطان ، ولا يجوزُ أحَدٌ على الجِسْر الذي بين الجَزيرَة والفُسْطاط راكِبًا احترامًا لمَوْضع السُّلْطان[3] .

وبِتْنا في ليلة ذلك اليوم بطَيَّارة[4] مرتفعة على جانب النِّيل ، فقلت :

[الطويل]

نَزَلْنا مِنَ الفُسْطاطِ أَحْسَنَ[a] مَنْزِلِ ... بحيْث امْتِداد النِّيل قد دار كالعِقْدِ
وقَد جُمِعَت فيه المراكِبُ سَحْرَةً ... كسَرْب قَطا أضْحى يَرِفُّ على وَرْدِ

a) ابن سعيد : أرفع .

منتصف القرن الخامس الهجري زمن المستنصر بالله الفاطمي (سفرنامه ١٠٢) .

[1] أي السُّلْطان الصَّالح نجم الدين أيُّوب ، وانظر عن قلعة الروضة فيما يلي ٢: ١٨٣– ١٨٥.

[2] ابن حوقل : كتاب صورة الأرض ١٤٦. وفيما تقدم ١: ١٦٣.

[3] فيما يلي ٢: ١٧٠.

[4] طَيَّارَة جـ. طَيَّارات . ضرب من السُّفن النهرية =

وأَصْبَحَ يَطْغُو[a] المَوْج فيه ويَرْتَمي ويطفو حَنانًا وهو يلعب بالنَّرْدِ
غَدا ماؤُه كالرِّيق ممَّن أَحبّه فمُدَّت عليه حِلْيَةٌ من حُلَى الخَدِّ
وقد كان مِثْل الزَّهْرِ من قبل مَدِّه فأصْبَح لمَّا زادَه المَدُّ كالوَرْدِ

قُلْتُ هذا لأنِّي لم أَذُق في المياه أَحْلَى من مائِه ، وأنَّه يكون قبل المَدّ الذي يزيد به ويَفيض على أقطاره أبيض ، فإذا كان عُبابُ النِّيل صارَ أحمر .

وأَنْشَدَني عَلَمُ الدِّين فَخْرُ التُّرْك أَيْدَمُرُ[1] ، عَتيقُ وَزير الجَزيرَة ، في مَدْح الفُسْطاط وأهْلِها[2] :

[الرمل]

حَبَّذا الفُسْطاطِ من والِدَةٍ جنِّبَتْ أولادَها دُرَّ الجفَا
يَرِدُ النِّيلُ إليها كَدِرًا فإذا مازَج أَهْلَيها صَفَا
لَطَفُوا فالمُزْنُ لا يأْلَفُهم خَجَلًا لمَّا رآهم أَلْطَفَا

ولم أَرَ في أَهْلِ البلاد أَلْطَف من أَهْلِ الفُسْطاط حتى أنَّهم أَلْطَفُ من أهل القاهِرة وبينهما نحو ميلين . وجُمْلَة الحال أنَّ أهلَ الفُسْطاط في نهاية من اللُّطافة واللِّين في الكَلام ، وتحت ذلك من المَلَق وقِلَّة المبالاة برعاية قَدَم الصُّحْبة وكثرة الممازَجة والأُلْفَة ما يطول ذكره[3] .

وأمَّا ما يَرِدُ على الفُسْطاط من مَتاجِر البَحْر الإسْكَنْدَراني والبَحْر الحِجازي فإنَّه فَوْقَ ما يُوصَف ، وبها مَجْمَعُ ذلك لا بالقاهِرَة ، ومنها تُجَهَّز إلى القاهِرَة وسائِر البلادِ .

---

a) بولاق : يطغى .

= القديمة التي تتميَّز بخفتها وسرعة جريانها ، كان هذا النوع من المراكب وقفًا على أنهر العراق فقط ، ولكن نَصَّ ابن سعيد هو النصّ الوحيد الذي يفيدنا بأن هذا النوع من المراكب كان مستخدمًا في نهر النيل في مصر . (درويش النخيلي : السفن الإسلامية ٩٢-٩٣) .

[1] عَلَم الدين فَخر التُّرك أَيْدَمُر المُحْيَوي عَتيق محيي الدين أبي المُظَفَّر محمد بن محمد بن سعيد بن نَدَى الجَزَري ، وهذا الأخير هو الذي صنَّف له ابن سعيد المغربي كتابيه «المغرب في حلى المغرب» و«المشرق في حلى المشرق» (الصفدي : الوافي بالوفيات ١:١٧٢-١٧٥) . وكان أَيْدَمُر المحيوي من شعراء العصر الأيوبي المبرزين من معاصري بهاء الدين زُهَيْر وجمال الدين بن مَطْروح ، وتوفي سنة ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م . (الصفدي : الوافي بالوفيات ١٠:٧-١٥؛ أبو المحاسن : المنهل الصافي ٣:١٧٢-١٧٦) ، ونَشَرت دارُ الكتب المصرية «مختار ديوان عَلَم الدين أَيْدَمُر المحيوي» ، وصدر عام ١٩٣١ .

[2] وردت الأبيات كذلك عند ابن دقماق : الانتصار ٤ : ١٠٩ ، وهي غير موجودة في الدِّيوان .

[3] ابن سعيد : المُغْرِب ٥-٩؛ المقري : نفح الطيب ٢:٣٣٩-٣٤٢ .

وبالفُسْطاط مطابِخُ السُّكَّر والصَّابون ومُعْظَم ما يجري هذا المجرى ، لأنَّ القاهِرَة بُنِيَت للاختصاص بالجُنْد ، كما أنَّ جميعَ زِيِّ الجُنْد بالقاهِرَة أَعْظَم منه بالفُسْطاط ، وكذلك ما يُنْسَجُ ويُصاغُ وسائِرُ ما يُعْمَل من الأشياء الرَّفيعةَ السُّلْطانية . والخَرَابُ في الفُسْطاط كثيرٌ ، والقاهِرةُ أَجَدُّ وأَعْمَرُ وأكثرُ زَحْمَةٍ بسبب انتقال السُّلْطان إليها ، وسُكْنَى الأَجْناد فيها . وقد نُفِخَ رُوح الاعتناء والنُّمُوّ في مَدينَة الفُسْطاط الآن لمجاورتها للجَزيرَة الصَّالحِيَّة ، وكثيرٌ من الجُنْد قد انتقل إليها للقُرْب من الخِدْمَة ، وبَنَى على سُورِها جماعةٌ منهم مَناظِرَ تُبْهِجُ الناظر [1] ، يعني ابن سَعيد ما بُنِيَ على شُقَّة مصر من جِهة النِّيل .

ذِكْرُ ما عَلَيْه مَدينَةُ مِصْر الآن وصِفَتِها

قد تَقَدَّم من الأخبار جملةٌ تدلُّ على عِظَم ما كان بمَدينَة فُسْطاط مصر من المباني وكَثْرَتها ، ثم الأسباب التي أَوْجَبَت خَرَابَها . وآخِر ما رَأَيْتُ من الكُتُب التي صُنِّفَت في خِطط مِصْر كِتاب «إيقاظ المُتَغَفِّل واتِّعاظ المتأمِّل» ، تأليف القَاضي الرئيس تاج الدِّين محمد بن عبد الوَهَّاب بن المُتَوَّج الزُّبَيْري – رحمه الله – وقَطَع على سنة خمسٍ وعشرين وسبع مائة [2] . فذَكَرَ من الأَخْطاط المشهورة بذاتِها لعَهْده اثنين وخمسين خُطًّا ، ومن الحارات اثنتي عشرة حارَة ، ومن الأَزِقَّة المشهورة ستة وثمانين زُقاقًا ، ومن الدُّروب المشهورة ثلاثة وخمسين دَرْبًا ، ومن الخُوَخ المشهورة خمسًا وعشرين خُوخَة ، ومن الأسْواق المشهورة تسعة عشر سُوقًا ، ومن الخُطَط المشهورة بالدور ثلاثة عشر خُطًّا [a]، ومن الرِّحاب المشهورة خمس عشرة رَحْبَة ، ومن العَقَبات المشهورة إحدى عشرة عَقَبة ، ومن الكِيمان المسمَّاة ستة كيمان ، ومن الأَقْباء عشرة أَقْباء ، ومن البِرَك خمس بِرَك ، ومن السَّقائِف خمسًا وستين سَقِيفَة ، ومن القَياسِر / سبع قَياسِر ، ومن مَطابِخ السُّكَّر ٣٤
العامِرَة ستة وستين مَطْبَخًا [3] ، ومن الشَّوارِع ستَّة شَوارِع ، ومن المَحارِس عشرين مَحْرَسًا ، ومن الجَوامِع

---

a) بولاق : خطة .

---

[1] ابن سعيد : المغرب ١١؛ المقري : نفح الطيب ٣٤٢:٢ (نقلًا عن المقريزي) .

[2] يتجاهل المقريزي في هذا النص اثنين من مؤلِّفي الخطط اللذين كتبا بعد ابن المُتَوَّج : إبراهيم بن أَيْدَمُر العلائي المعروف بابن دُقْماق والحسن بن أحمد الأَوْحَدي (انظر مقدمة الجزء الأول ١٨* – ١٩* ، ٥٧* – ٦٦*) ، ونَقَل ابن دقماق قسمًا كبيرًا من كتاب ابن المُتَوَّج في كتابه «الانتصار» ٤ : ١٤، ١٨، ٥٣– ٥٩، ٧٥، ٩١– ٩٥، ١٠٠– ١٠٦، ١١٦.

[3] هنا حاشية بخطِّ المصنف وُجِدَت على هامش نسخته ، وأدمجتها بعض النسخ في المتن ، نصها : «أَدْرَكْتُ عِدَّةَ =

التي تُقام فيها الجُمُعَة بمصر وظاهِرِها من الجَزِيرَة والقَرافَة أربعة عشر جامِعًا ، ومن المَسَاجِدِ أربع مائة وثمانين مسجدًا ، ومن المَدَارِس سَبْع عشرة مَدْرَسَةً ، ومن الزَّوايا ثماني زَوايا ، ومن الرُّبَط التي بمصر والقَرافَة بِضْعًا وأربعين رِباطًا ، ومن الأَحْباس والأَوْقاف كثيرًا ، ومن الحَمَّامات بِضْعًا وسبعين حَمَّامًا ، ومن الكنائِس ودِيارات النَّصارىٰ ثلاثين ما بين دَيْر وكَنِيسَة .

وقد بادَ أكثرُ ما ذَكَرَه ودَثَرَ ، وسيرد ما قالَه من ذلك في مواضِعه من هذا الكِتاب إن شاءَ الله تعالى . [a]فأمَّا هاهنا فإنِّي ذاكرٌ إن شاء الله جُمْلَةَ ما عليه الحالُ في مَدِينَة مصر[a]، فأقول[b] [1]: إنَّ مَدِينَة مصر مَحْدودة الآن بحُدودٍ أربعة : فحَدُّها الشرقيُّ اليوم من قَلْعَة الجَبَل وأنت آخِذ إلى باب القَرافَة ، فتَمُرُّ من داخِل السُّور الفاصِل بين القَرافَة ومصر إلى كُوم الجارِح ، وتَمُرُّ من كُوم الجارِح وتجعل كيمانَ مصر كلها عن يمينك حتى تنتهي إلى الرَّصْد حيث أوَّل بِرْكَة الحَبَش ؛ فهذا طول مصر من جِهَة الشَّرْق[c]، وكان يُقالُ لهذه الجِهَة «عَمَلُ فَوْق»[2] .

وحَدُّها الغَرْبي من قَناطِر السِّباع خارِج القاهِرَة إلى مَوْرَدَة الحَلْفاء ، وتأخذ على شاطئ النِّيل إلى دَيْر الطِّين ، فهذا أيضًا طولها من جهة الغَرْب .

وحدُّها القِبْليُّ من شاطئ النِّيل بِدَيْر الطِّين حيث ينتهي الحَدُّ الغربي ، إلى بِرْكَة الحَبَش تحت الرَّصْد حيث انتهى الحَدُّ الشَّرْقي ، فهذا عَرْضُ مصر من جِهَة الجَنوب التي تُسَمِّيها أهل مصر الجِهَة القِبْلِيَّة .

وحَدُّها البَحْري من قَناطِر السِّباع ، حيث ابتداء الحَدّ الغربي ، إلى قَلْعَة الجَبَل حيث ابتداء الحَدّ الشرقي ، فهذا عَرْضُ مصر من جِهَة الشَّمال التي تُعْرَف بمصر بالجِهَة البَحْرِيَّة[3] .

وما بَيْن هذه الجِهات الأَرْبع فإنَّه يُطْلَق عليه الآن «مِصْر» ، فيكون أوَّل عَرْض مصر في الغرب بحرُ النِّيل ، وآخر عَرْضِها في الشرق أوَّل القَرافَة ، وأوَّل طولها من قَناطِر السِّباع ، وآخره بِرْكَة

---

a-a) ساقط من بولاق . b) في المسودة : ذكر ابن المتوج . c) بولاق : المشرق والمثبت من المسودة .

= كبيرةً من هذه المَطابِخ وهي عامِرَة إلى سنة ستٍّ وثمان مائة التي كانت منها وهلم جَرًّا الحَوادِثُ والفِتَنُ ، فتعطَّلَت من حينئذٍ لفَساد رجال الدَّوْلَة وبقيت قائمةً ثم خَرِبَت في سنة إحدى وعشرين وثمان مائة وأُخِذَت أنْقاضُها في مُباشَرَة الصَّاحِب بَدْر الدِّين حَسَن بن نَصْر الله نَظَر الخاصّ » .

[1] النص التالي هو بقية كلام ابن المُتَوَّج حيث نقله المقريزي في المسودة ١٥ منسوبًا إليه ، وفي المبيضة اعتمد عليه وعَدَّل فيه بالإضافة والحذف وبدأه بلفظ : فأقول .

[2] انظر عن عمل فوق فيما تقدم ٣٩هـ[2] .

[3] انظر فيما تقدم ١: ٣٧.

الحَبَش . فإذا عَرَفْت ذلك ، ففي الجهة الغربية خُطُّ السَّبْع سِقايات ، ويجاوره الخَليج ، وعليه من شرقية حِكْر آقْبُغا ، ومن غربيه المَرِيس[١] ومُنْشَأة المَهْراني ، ويُحاذي المُنْشَأة من شرقيّ الخَليج خُطُّ قَنطرة السَّدّ وخُطّ بين الزُّقاقيْن وخُطّ مَوْرَدَة الحَلْفاء وخُطُّ الجامِع الجَديد ، ومن شرقي خُطّ الجامِع الجديد خُطُّ المَرَاغَة[٢] ، ويتَّصل به خُطُّ الكَبارَة وخُطُّ المَعَاريج ، ويُجاوِر خُطَّ الجامِع الجَديد من بَحْريه الدورُ التي تطلّ على النِّيل ، وهي متَّصلة إلى جِسْر الأفْرَم المتَّصل بدَيْر الطِّين وما جاوَرَه إلى بِرْكة الحَبَش . وهذه الجِهَة هي أَعْمَرُ ما في مصر الآنَ .

وأمَّا الجِهَةُ الشَّرْقية فليس فيها شيءٌ عامِرٌ إلَّا قَلْعَةُ الجَبَل وخُطُّ المَرَاغَة المُجاوِرُ لباب القَرافَة إلى مَشْهَد السَّيِّدَة نَفِيسَة ، ويُجاوِر خُطُّ مَشْهَد السَّيِّدَة نَفِيسَة من قِبْليه الفَضَاءُ الذي كان مَوْضِع المَوْقِف والعَسْكَر إلى كُوم الجارِح ، ثم خُطُّ كُوم الجارِح ، وما بين كُوم الجارِح إلى آخر حَدِّ طُول مصر عند بِرْكَة الحَبَش تحت الرَّصْد فإنَّه كيمان . وهي الخِطَطُ التي ذَكَرَها القُضَاعي ، وخَرِبَت في الشِّدَّة العُظْمَىٰ زَمَن المُسْتَنْصِر ، وعند حَريق شاوَر لمصر كما تَقَدَّم[٣] .

وأمَّا عَرْضُ مصر الذي من قَناطِر السِّباع إلى القَلْعَة فإنَّه عامِرٌ ، ويشتمل على بِرْكَة الفِيل الصغرىٰ بجوار خُطّ السَّبْع سِقايات ، ويُجاور الدُّور التي على هذه البِرْكَة من شرقيها خُطُّ الكَبْش ، ثم خُطُّ جامِع أحمد بن طُولون ، ثم خُطّ القُبَيْبات ، وينتهي إلى الفَضَاء الذي يَتَّصل بقَلْعَة الجَبَل .

وأمَّا عَرْضُ مصر الذي من شاطئ النِّيل بخُطّ دَيْر الطِّين إلى تحت الرَّصْد حيث بِرْكة الحَبَش ، فليس فيه عِمارَةٌ سوى خُطّ دَيْر الطِّين ، وما عَدا ذلك فقد خَرِبَ بخَراب الخِطَط ، وكان فيه خِطَّه[a] بني وائِل وخِطّه[b] راشِدَة ، فأمَّا خُطُّ السَّبْع سِقايات فإنَّه من جملة الحَمْراء الدُّنْيا ، وسيرد عند ذِكْر الأخْطاط إن شاءَ الله ، وما عَدا ذلك فإنَّه يتبينُّ من ذِكْر سَاحِل مصر[٤] .

---

a) بولاق : خط . b) النسخ : خط .

---

[١] انظر عن المريس فيما يلي ٥٣٧.

[٢] حاشية بخط المؤلِّف : «مَرَّغَه في التراب تمرّغ ومارغه كلاهما... المراغة ، ومراغة الإبل فتمرغها ، والمرغ الروضة والعرب تقول : قد تمرّغنا أي تنزّهنا ، وقُرَيْش تقول تبسطنا» .

[٣] فيما تقدم ١٣٣- ١٤٦.

[٤] المقريزي : مسودة المواعظ ١٥-١٨ مع زيادة ونقص في العبارة ، وانظر عن الأخطاط فيما يلي ٢:٢٣- ٣٧.

ذِكْرُ ساحِل النِّيل بمَدينَة مِصْر

قد تقدَّم أنَّ مَدينَةَ فُسْطاط مصر اختطَّها المسلمون حَوْل جامِع عَمْرو بن العَاص وقَصْر الشَّمْع، وأنَّ بَحْرَ النِّيل كان ينتهي إلى باب قَصْر الشَّمْع الغربي المعروف بالباب الجَديد. ولم يكن عند فَتْح أرض مصر بين جامِع عَمْرو وبين النِّيل حائِلٌ؛ ثم انْحَسَرَ ماءُ النِّيل عن أرضٍ تجاه الجامِع وقَصْر الشَّمْع، فابْتَنَى فيها عبد العَزِيز بن مَرْوان، وحازَ منه بِشْرُ بن مَرْوان لمَّا قَدِمَ على أخيه عبد العزيز، ثم حازَ منه هِشامُ بن عبد الملك في خِلافَتِه وبَنَى فيه.

فلمَّا زالَت دَوْلَةُ بني أُمَيَّة، قُبِض ذلك في الصَّوافي [1]، ثم أَقْطَعَه الرَّشيدُ السَّرِيَّ بن الحكَم، فصارَ في يد وَرَثَته من بعده يكترونه ويأْخُذون حِكْرَه. وذلك أنَّه كان قد اختطَّ فيها المسلمون شيئًا بعد شيءٍ، وصارَ شاطئُ النِّيل - بعد انْحِسارِ ماء النِّيل عن الأرض المذكورة - حيث المَوْضِع الذي يُعْرَف اليوم بسُوق المَعَاريج.

قال القُضَاعِيُّ: كان ساحِلُ أسْفَلِ الأرض بإزاء المَعَاريج / القَديم، وكانت آثارُ المَعَاريج قائِمَةً سَبْع دَرَج حول ساحِل البيما إلى ساحِل البُوري اليوم، فعُرِف ساحِلُ البُوري بالمَعَاريج الجَديد [2] - يعني بالمَعَاريج الجَديد مَوْضِع سُوق المَعَاريج اليوم.

وكان من جُمْلَة خِطَط مَدينَة فُسْطاط مصر الحَمْراوات الثَّلاث [3]: فالحَمْرَاءُ الأُولَى من جملتها سُوق وَرْدان، وكان يُشْرِف بغربيه على النِّيل، ويجاوره الحَمْراءُ الوُسْطَى، ومن بعضها المَوْضِع الذي يُعْرَف اليوم بالكَبارَة وكانت على النِّيل أيضًا، وبجانب الكَبارَة الحَمْراءُ القُصْوَى، وهي من بحْريّ الحَمْرَاء الوُسْطَى إلى الموضع الذي هو اليوم خُطّ قَناطِر السِّباع، ومن جملة الحَمْراء القُصْوَى خُطّ خَليج مصر من حَدّ قَناطِر السِّباع إلى تِجاه قَنْطَرة السَّدّ من شرقيها، وبآخر الحَمْرَاء القُصْوَى الكَبْشُ وجَبَلُ يَشْكُر.

وكان الكَبْشُ يُشْرِفُ على النِّيل من غربيه، وكان السَّاحِلُ القَديم فيما بين سُوق المَعَاريج اليوم إلى دار التُّفَّاح بمصر وأنت مارٌّ إلى باب مصر بجوار الكَبارَةِ، وموضع الكُوم المجاور لباب مصر من شرقيه.

---

[1] الصَّوافي. هي الأراضي التي صادَرَها العَبَّاسيون من الأُمويين.

[2] ابن دقماق: الانتصار ٤: ٣٥.

[3] انظر عن الحمراوات فيما تقدم ٣٨- ٣٩.

فلمَّا خَرِبَت مصرُ بحَريق شاوَر بن مُجير إياها، صارَ هذا الكُوم من حينئذٍ وعُرِفَ بكُوم المَشَانِيق، فإنَّه كان يُشْنَقُ بأعلاه أرْبابُ الجَرائم[١]، ثم بَنَى النَّاسُ فوقَه دورًا فعُرِفَ إلى يومنا هذا بكُوم الكَبارَة.. وكان يُقال لما بين سُوق المَعَاريج وهذا الكُوم لمَّا كان ساحِلُ النِّيل «القَالُوص».

قال القُضَاعِيُّ: رأيتُ بخَطِّ جماعَةٍ من العُلَمَاء «القَالُوص» بألِفٍ، والذي يُكْتَب في هذا الزَّمان «القَلُوص» بحذف الألف. فأمَّا القَلُوص بحذف الألف فهي من الإبلِ والنَّعام الشَّابَّة، وجمعها قُلُص وقِلاص وقَلائِص. والقَلُوص من الحبارىٰ الأنثى الصغيرة[٢].

فلعلَّ هذا المكان سُمِّيَ بالقَلُوص لأنَّه في مُقابَلَة الجَمَلِ الذي كان على باب الرَّيْحان، الذي يأتي ذِكْره في عَجَائب مصر[٣]. وأمَّا «القَالُوص» بالألف فهي كلمة رومية، ومعناها بالعربية «مَرْحَبًا بِك»، ولَعَلَّ الرُّوم كانوا يُصَفِّقون لراكِب هذا الجَمَل، ويقولون هذه الكلمة على عادَتهم[٤].

وقال ابنُ المُتَوَّج: والسَّاحِلُ القَديمُ أوَّله من باب مصر المذكور - يعني المجاور للكَبارَة - وإلى المَعَاريج جميعه كان بحرًا يجري فيه ماءُ النِّيل، وقيل: إنَّ سُوقَ المَعَاريج كان مَوْرِدَةَ سُوق السَّمَك[٥]، يعني ما ذكره القُضَاعِيُّ من أنَّه كان يُعْرَف بسَاحِل البُوري ثم عُرِفَ بالمَعَارِيج الجَديد.

قال ابنُ المُتَوَّج: ونَقَلَ أنَّ بُستانَ الجُرْف المُقابِل لبُستان حَوْضِ ابن كَيْسان [a]كان مكانه بحر النِّيل وأنَّ الجرْف ربا فيه ونَقَلَ أنَّ بُستان ابن كَيْسان[a] كان صِناعَةَ العِمارَة. وأَدْرَكْتُ أنا فيه بابَها، ورأيت زريبة من رُكْن المَسْجِدِ المجاور للحَوْض من غربيه تتَّصل إلى قُبالَة مَسْجِد العادِل الذي بمَراغَة الدَّواب الآن.

قال كاتِبُه[b]: بُستانُ الجُرْف يُعْرَف بذلك إلى اليوم، وهو على يَمْنَة من سَلَكَ إلى مصر من طَرِيق المَرَاغَة، وهو جارٍ في وَقْف الخَانْقاه، التي تُعْرَف بالوَاصِلَة، بين الزُّقاقَيْن. وحَوْضُ ابن كَيْسان يُعْرَف اليوم بحَوْض الطَّواشِي تجاه غيط الجُرْف المذكور، يُجاوره بُستانُ ابن كَيْسان الذي صارَ صِناعَةً - وقد ذُكِرَ خَبَرُ هذه الصِّناعَة عند ذكر مَناظِر الخُلَفاء[٦] - ويُعْرَف بُستانُ ابن كَيْسان

---

a-a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: مؤلفه رحمه الله.

---

[١] ابن دقماق: الانتصار ٤: ٥٣.
[٢] انظر الفيروزأبادي: القاموس المحيط ٨١١.
[٣] تقدم هذا الخبر عند ذكر عجائب مصر ١: ٨٥.
[٤] ابن دقماق: الانتصار ٤: ٣٥.
[٥] نفسه ٤: ٧٧.
[٦] فيما يلي ٥٧٠.

اليوم بِبُسْتان الطَّواشِي أيضًا ، وبين بُسْتان الجُرْف وبُسْتان الطَّواشي هذا مَراغَةُ مصر المسلوك فيها[a] إلى الكَبارَة وباب مصر .

وقال ابنُ المُتَوَّج : ورأيتُ من نَقَل عمَّن نَقَلَ عمَّن رأى هذا القَلُوص يتَّصل إلى آدُرّ الساحِلِ القَديم ، وأنَّه شاهَدَ ما عليه من العَمائِر المطلَّة على بحر النِّيل من الرِّباع والدور المُطِلَّة ، ما عَدا[b] الأسْطال التي كانت بالطَّاقات المُطِلَّة عليه[c]، فكانت عِدَّتُها ستة عشر ألف سَطْل مؤبَّدَة بِبَكَر فيها أطْناب تُرْخَى بها وتملأ[1]. أخبرني بذلك من أَثِقُ بنقله ، وقال : إنَّه أخبره من يثق به مُتَّصلاً بالمُشاهِد له الموثوق به .

قال : وبابُ مِصْرَ الآن بين البُسْتان الذي قِبْليّ الجامِعِ الجَديد – يعني بُسْتَان العَالِمةِ – وبينَ كُوم المَشانِيق – يعني كُوم الكَبارَة – ، ورأيت السُّورَ يتَّصل به إلى دارِ النُّحاس ، وجَميع ما بظاهِره شُوَن .

ولم يَزَل هذا السُّورُ القَديم ، الذي هو قبليّ بُستان العَالِمَة[2]، موجودًا أراه وأعْرِفه ، إلى أن اشترى أرضَه من باب مصر إلى مَوْقِف المكارية بالخَشَّابين القَديمَة الأميرُ حُسامُ الدِّين طُرُنْطاي المَنْصوري ، فأَجَّرَ مكانه للعامَّة . وصارَ كلُّ من استأجَرَ قطعةً هَدَمَ ما بها من البناء بالطوب اللَّبِن ، وقَلَعَ الأساسَ الحَجَر وبنى به ، فزال السُّورُ المذكور ، ثم حَدَثَ السَّاحِلُ الجَديد .

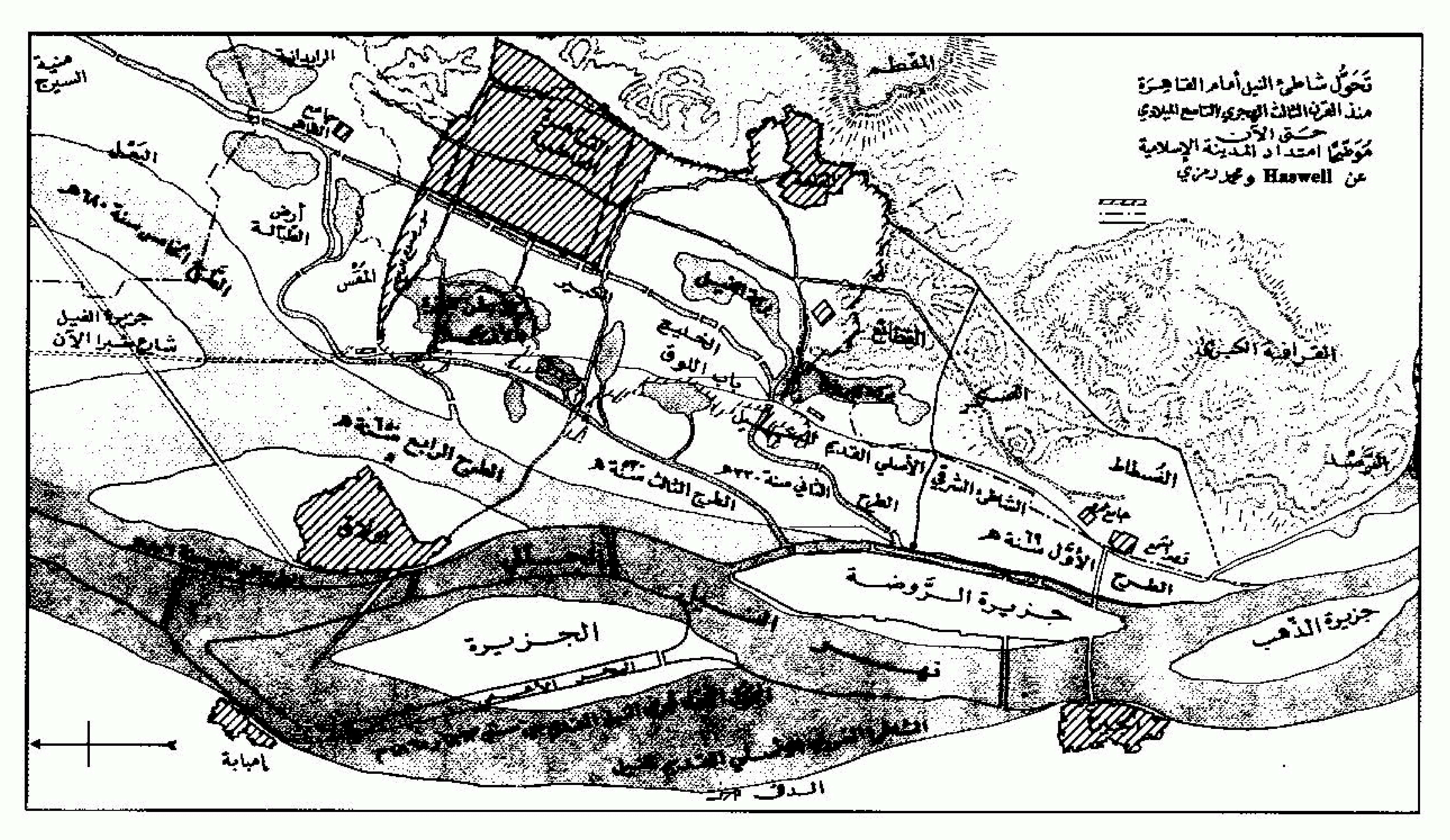
قال كاتِبُه[d]: وهذا البابُ الذي ذَكَرَه ابنُ المُتَوَّج ، كان يُقالُ له بابُ السَّاحِل . وأوَّلُ حَفْر ساحِل مصر في سنة ستٍّ وثلاثين وثلاث مائة ، وذلك أنَّه جَفَّ النِّيل عن برِّ مصر حتى احتاجَ النَّاسُ أن يستقوا من بَحْر[e] الجيزَة الذي هو فيما بين جَزيرَة مصر – التي تُدْعى الآن بالرَّوْضَةِ – وبين الجيزَة ، وصارَ النَّاسُ يمشون هم والدَّواب إلى الجَزيرَة ، فحَفَرَ الأستاذُ كافور الإخْشيدي – وهو يومئذٍ [f]قائمٌ بتَدْبير أمْر الأمير أبي القاسم أونُوجور[f] بن الإخْشيد – خَليجًا حتى اتَّصَل بخَليج بني وائِل ، ودخَلَ الماءُ إلى سَاحِل مصر ؛ وذلك[g] أنَّه لمَّا كان قبل سنة ستّ مائة ، تَقَلَّص الماءُ عن سَاحِل مصر القَديم[h]، وصارَ في زَمَن الاحتراق يَقِلُّ حتى تصير الطَّريق إلى المِقْياس يبسًا . فلمَّا

---

a) بولاق : منها . b) بولاق : وعَدّ . c) بولاق : المطلة على بحر النيل . d) بولاق : مؤلفه رحمه الله . e) آياصوفيا : نحو . f-f) في موضع هذه العبارة في بولاق : مقدم أمراء الدولة لأونوجور . g) بولاق : ثم . h) بولاق : القديمة .

---

[1] ابن دقماق : الانتصار ٤:٧٧–٧٨؛ وفيما تقدم ١٢٥. [2] انظر عن بستان العالمة فيما يلي ١٦٢.



تحوّل شاطئ النّيل عند مصر القاهرة من القرن الثالث إلى الآن

كان في سنة ثمانٍ وعشرين وستّ مائة ، خافَ السُّلْطانُ الملك الكامِل / محمد بن العادِل أبي بكر بن أيُّوب من تباعُدِ البحر عن العُمْران بمصر ، فاهتمَّ بحَفْر البحر من دار الوَكالَة بمصر إلى صِناعَة التَّمْر الفاضِلية ، وعَمِلَ فيه بنفسه ، فوافَقَه على العَمَل في ذلك الجَمُّ الغفير ، واستوى في المساعدة السُّوقَة والأمير ، وقُسِّطَ مكانُ الحَفْر على الدُّور التي[a] بالقاهِرَة ومصر والرَّوْضَة بالقياس[b]. فاستمرَّ العَمَلُ فيه من مستهلّ شَعْبان إلى سَلْخ شوَّال مُدَّة ثلاثة أشهر ، حتى صارَ الماءُ يُحيط بالمِقْياس وجَزيرَة الرَّوْضَة دائمًا بعد ما كان عند الزِّيادة يصير جَدْوَلًا رَقيقًا في ذَيْل الرَّوْضَة ، فإذا اتَّصَلَ ببحر بُولاق في شهر أَبيب كان ذلك من الأيام المشهودة بمصر .

فلمَّا كانت أيامُ الملك الصَّالِح ، وعَمَّرَ قَلْعَةَ الرَّوْضَة ، أرادَ أن يكون الماءُ طُولَ السنة كثيرًا فيما دار بالرَّوْضَة ، فأخَذَ في الاهتمام بذلك ، وغَرَّقَ عِدَّةَ مراكِب مملوءةً بالحجارة في برِّ الجيزَة – تجاه باب القَنْطَرة خارج مَدينَة مصر ومن قِبْلي جَزيرَة الرَّوْضَة – فانعكس الماءُ ، وعَمِلَ البحر من حينئذٍ قَليلًا قليلًا ، وتكاثَف أوَّلًا فأوَّلًا وقطع كثيرًا من برّ مصر[c] من دار المُلْك إلى قَريب المَقْس ، وقَطَعَ المُنْشأة الفاضِلية .

قال ابنُ المُتَوَّج عن مَوْضِع الجامِع الجَديد : وكان في الدَّوْلَة الصَّالِحية – يعني الملك الصَّالِح نَجْم الدين أيُّوب – رَمْلَةً تَمَرَّغ النَّاسُ فيها الدَّوابَّ في زَمَن احْتِراق النِّيل وجَفاف البَحْر الذي هو أمامَها ؛ فلمَّا عَمَّرَ السُّلْطانُ الملكُ الصَّالِحُ قَلْعَة الجَزيرَة ؛ وصارَ في كلِّ سنة يحفر هذا البحر بجنده ونفسه ويَطْرَح بعضَ رَمْله في هذه البُقْعَة ، شَرَعَ خواصُّ السُّلْطان في العِمارَة على شاطئ هذا البَحْر[1] . فذَكَرَ من عَمَّرَ على هذا البَحْر من قُبالَة مَوْضع الجامِع الجَديد الآن إلى المَدْرَسَة المُعِزِّيَّة ، وذَكَر ما وَراء هذه الدُّور من بُسْتان العالِمَة المطلّ عليه الجامِع الجَديد وغيره ، ثم قال : وإنَّما عُرِفَ بالعَالِمَة لأنَّه كان قد حَلَّه السُّلْطان الملك الصَّالِح لهذه العالِمَة ، فعَمَّرت بجانبه مَنْظَرَةً لها ، وكان الماءُ يدخل من النِّيل لباب المَنْظَرَة المذكورة ، فلمَّا توفِّيت بقي البُسْتَانُ مُدَّةً في يد وَرَثَتها ثم أُخِذَ منهم[2] .

---

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : والمقياس . c) العبارة في بولاق : وجعل البحر حينئذ يمر قليلا قليلا ، وتكاثر أولًا فأولًا في بر مصر .

---

[1] ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٧٧.

[2] نفسه ٤ : ٣٠- ٣١.

وذَكَرَ أنَّ بُقْعَة الجامِع الجَديد كانت قبل عِمارَته شُوَنًا للأتْبان السُّلْطانية، وكذلك ما يُجاورها. فلمَّا عَمَّرَ السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون الجامِعَ الجَديد، كَثُرَت العَمائِرُ من حَدِّ مَوْرَدَة الحَلْفاء على شاطئ النِّيل حتى اتَّصلَت بدَيْر الطِّين، وعُمِّرَ أيضًا ما وَرَاء الجامِع من حَدِّ باب مصر – الذي كان بحرًا كما تقدَّم – إلى حَدِّ قَنْطَرَة السَّدِّ[1].

وأَدْرَكْنا ذلك كلَّه على غاية العِمارَة، وقد اخْتَلَّ منذ الحَوادِث بعد سنة ستٍّ وثمان مائة، فخَرِبَ خُطُّ بين الزُّقاقين المطلّ من غربيه على الخَليج ومن شرقيه على بُسْتان الجُوف، ولم يبق به إلَّا قَليلٌ من الدُّور. وموضعه ـ كما تقدَّم ـ كان في قَديم الزَّمان غامِرًا بماء النِّيل، ثم رَبَّى جُرْفًا وهو بين الزُّقاقين المذكور، فعَمُر عِمارَةً كبيرةً، ثم خَرِبَ الآن، وخَرِبَ أيضًا خُطُّ مَوْرَدَة الحَلْفاء، وكان في القَديم غامِرًا بالماء.

فلمَّا رَبَّى النِّيلُ الجُرْف المذكور، وتربَّت الجَزيرَةُ قُدَّام السَّاحِل القَديم – الذي هو الآن الكَبارَة إلى المعاريج – وأنشأ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قلاوون الجَامِعَ الجَديد، عَمُرَت مَوْرَدَةُ الحَلْفاء هذه، واتَّصلَت من بَحْريها بمُنْشَأة المَهْراني، ومن قِبْليها بالأمْلاك التي تمتد من تجاه الجامِع الجَديد إلى دَيْر الطِّين، وصارَت مَوْرَدَةً[a] عَظيمَةً تقف عندها المراكِبُ بالغِلال وغيرها، ويَمْلؤ منها النَّاسُ الرَّوايا.

وكان البَحْرُ لا يَبْرَح طُول السَّنَة هناك، ثم صارَ يَنْشَف في فصل الرَّبيع والصَّيْف، واستمرَّ على ذلك إلى يومنا هذا، وخَرِبَ ما خَلْف الجامِع الجَديد أيضًا من الأماكِن التي كانت بحرًا تجاه السَّاحِل القَديم، ثم لمَّا انْحَسَرَ الماءُ صارَت مَراغَةً للدَّواب، فعُرِفَت اليوم بـ«المَرَاغَـــة»؛ وهي من آخر قَنْطَرة السَّدِّ إلى قَريبٍ من الكَبارَة، ويحصرها من غَربيها بُسْتَانُ الجُوف – المُقَدَّم ذكره – وعِدَّةُ دور كانت بُستانًا وشُوَنًا إلى باب مصر، ومن شرقيها بُسْتانُ ابن كَيْسان الذي صارَ صِناعَةً، وعُرِفَ الآن بِبُسْتانِ الطَّواشي، ولم يبق الآن بخُطِّ المَراغَة إلَّا مَساكِنُ يَسيرَة حَقيرَة[2].

---

a) بولاق: موردة الحلفاء.

---

[1] انظر فيما يلي ٢: ٣٠٤.

[2] عن الحدّ الذي كان ينتهي عنده النيل على شاطئه الشرقي وطَرْح البحر وانْحِسار مجرى النيل راجع، Haswell, C. J. R., «Cairo Origin and Development. Some Notes on the Influence of the River Nile and its Change», *BSRGE* XI (1923), pp. 171-76؛ محمد رمزي: «شاطئا النيل تجاه مصر القديمة وما طرأ عليهما من التحوّلات من الفتح العربي لمصر إلى اليوم»، مجلة العلوم ٤/٣ (١٩٤٢)، ٤٩٧- ٥٢٣؛ وتعليقه على النجوم الزاهرة لأبي المحاسن ٣٨٧:٧- ٣٨٨، ٢٨٤:٨- ٢٨٥.

ذِكْرُ المُنْشَأة

اعْلَم أنَّ خَليجَ مصر كان يَخْرُج من بَحْر النِّيل فيمرُّ بطَريق الحَمْرَاء القُصْوَىٰ ، وكان في الجانِب الغربي من هذا الخَليج عِدَّةُ بَسَاتين من جملتها بُستانٌ عُرِفَ ببُستان الخَشَّاب ، ثم خَرِبَ هذا البُستانُ ، وموضعه الآن يُعْرف بالمَرِيس .

فلمَّا كان بعد الخمس مائة من سني الهجرة ، انْحَسَر النِّيلُ عن أرضٍ فيما بين مَيْدان اللُّوق - الآتي ذكره في الأَحكار ظاهِر القاهِرَة إن شاءَ الله[1] - وبين بُستان الخَشَّاب المذكور ، فعُرِفَت هذه الأرضُ بمُنْشَأة الفاضِل ؛ لأنَّ القاضي الفاضِل عبد الرَّحيم بن عليّ البَيْساني أنشأ بها بُستانًا عَظيمًا كان يَمِير أهل القاهِرَة من ثِمارِه وأعْنابِه ، وعَمَّر بجانِبِه جامِعًا ، وبَنَى حولَه ، فقيل لتلك الخِطَّة مُنْشَأة الفَاضِل . وكَثُرَت بها العِمَارَة ، وأنشأ بها مُوَفَّقُ الدين محمد بن أبي بكر المَهْدَوي العُثْماني الدِّيباجي[2] بُستانًا دُفِعَ له فيه ألف دينار في الأيام الظَّاهِرية بَيْبَرْس[a]، وكان الصَّرْفُ قد بَلَغ / كلَّ دينار ثمانية وعشرين درهمًا ونصفًا . فاسْتَوْلَى البحرُ على بُستان الفاضِل وجامِعه ، وعلى سائِر ما كان بمُنْشَأة الفاضِل من البَسَاتين والدُّور ، وقُطِعَ ذلك حتى لم يبق لشيءٍ منه أثَرٌ . وما بَرِحَ باعَةُ العِنَب بالقاهِرَة ومصر تُنادي على العِنَب ، بعد خَراب بُستان الفاضِل هذا بمُدَّة سنين عَديدَة[b]: «رَحِمَ الله الفاضِل يا عِنَب» ، إشارةً لكثرة أعْناب بُستان الفاضِل وحُسْنِها[3].

وكان أكلُ البَحْر لمُنْشَأة الفاضِل هذه بعد سنة ستين وستّ مائة ، و كان المُوَفَّقُ الدِّيباجي المذكور يتولَّى خَطابَة جامِع الفاضِل الذي كان بالمُنْشَأة ، فلمَّا تَلِفَ الجامِعُ باستيلاء النِّيل عليه ، سأل الصَّاحِبَ بَهاءَ الدِّين بن حِنَّا ، وألَحَّ عليه - وكان من أَلْزَامِه - حتى قامَ في عِمارَة الجامِع بمُنْشَأة المَهْراني .

---

a) بولاق : أيام الظاهر بيبرس . b) بولاق : مدة سنين .

---

[1] فيما يلي ٢: ١١٧.

[2] موفق الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن يحيى ابن أبي بكر ، الأموي العثماني الديباجي المعروف بابن المهدوي خطيب جامع منشأة المهراني خارج مدينة مصر . مولده في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة ٦١٤هـ ، وتوفي فجأة : وقع عن دابة بين القاهرة ومصر ففاضت نفسه عشية الأربعاء الثالث والعشرين من شوال سنة ٦٨٥هـ . (المقريزي : المقفى الكبير ٥: ٤٤١) .

[3] فيما يلي ٢: ٢٩٨ ومصدر هذا الخبر فيه ابن المتوّج .

و «مُنْشَأةُ المَهْراني» هذه مَوْضِعُها فيما بين النِّيل والخليج ، وفيها من الحمْراء القُصْوَىٰ فُوَّهَة الخَليج انْحَسَرَ عنها ماءُ النِّيل قديمًا ، وعُرِفَ موضعُها بالكُوم الأَحْمَر من أجل أنَّه كان يُعْمَل فيها أقْمِنَة الطُّوب . فلمَّا سأل الصَّاحِبُ بَهاءُ الدِّين بن حِنَّا الملكَ الظَّاهِرَ بَيْبَرْس في عِمارَة جامِع بهذا المكان ، ليقوم مَقام الجامِع الذي كان بمُنْشَأة الفاضِل ، أجابَه إلى ذلك ، وأنشأ الجامِع بخُطّ الكُوم الأَحمر كما ذُكِر في خَبَره عند ذِكْر الجَوامِع [1] . فأَنْشَأ هناك الأميرُ سيفُ الدِّين بَلَبَان المَهْراني دارًا وسَكَنَها ، وبَنَى مَسْجِدًا ، فعُرِفَت هذه الخِطَّةُ به ، وقيل لها مُنْشَأةُ المَهْراني ، فإنَّ المَهْراني المذكور أوَّل من ابتنى فيها بعد بِناء الجَامِع .

وتتابَع النَّاسُ في البناء بمُنْشَأة المَهْراني ، وأكثروا من العَمائِر حتى يُقالُ إنَّه كان بها فوق الأربعين من أُمَراء الدولة ، سِوَى مَنْ كان هناك من الوُزَراءِ وأماثِل الكُتَّاب وأعْيان القُضَاة ووجُوه النَّاس ، ولم تزل على ذلك حتى انْحَسَر الماءُ عن الجِهَة الشرقية فخَرِبَت ، وبها الآن بقيَّة يسيرة من الدُّور .

ويتَّصِلُ بخُطِّ الجامِع الجَديد خُطُّ دار النُّحاس ، وهو مطلٌّ على النِّيل . «ودارُ النُّحاس» هذه من الدُّور القَديمَة وقد دَثَرَت ، وصارَ الخُطُّ يُعْرَف بها . قال القُضَاعِيُّ : دارُ النُّحاس اختطَّها وَرْدان مَوْلَى عَمْرو بن العَاص ، فكَتَبَ مَسْلَمَة بن مَخْلَد - وهو أمير مصر - إلى مُعاوِيَة يسأله أن يجعلها ديوانًا ، فكتب مُعاوِيَةُ إلى وَرْدان يسأله فيها ، وعَوَّضَه فيها دار وَرْدان التي بسُوقِه الآن [2] .

وقال رَبيعَةُ : كانت هذه الدَّارُ من خِطَّة الحَجَر من الأَزْد ، فاشتراها عَمْرو بن مَرْوان وبَناها ، فكانَت في يد ولده ، وقُبِضَت عنهم وبيعت في الصَّوافي سنة ثمانٍ وثلاث مائة ، ثم صارَت إلى شَمُول الإِخْشيدي ، فبناها قَيْساريَّة وحَمَّامًا ، فصارَت دارُ النُّحاس قَيْساريَّة شَمُول .

وقال ابنُ المُتَوَّج : دارُ النُّحاس خُطٌّ نُسِبَ لدار النُّحاس ، وهو الآن فُنْدُقُ الأَشْراف ذو البابين : أحدُهما من رَحْبَةٍ أمامه ، والثاني شارِع بالسَّاحِل القَديم [3] .

وبآخِر هذه الشُّقَّة التي تُطِلُّ على النِّيل «جِسْـرُ الأَفْـرَم» ، وهو في طَرَف مصر فيما بين المَدْرَسة المُعِزِّيَّة وبين رِباط الآثار [4] ، كان مُطِلًّا على النِّيل [a] ، والآنَ يَنْحَسِر الماءُ عنه عند هُبوط

---

a) بولاق : النيل دائمًا .

---

[1] فيما يلي ٢ : ٢٩٨ .
[2] ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٦ .
[3] نفسه ٤ : ٣٦ .
[4] فيما يلي ٢ : ١٦٥ .

النِّيل، وعُرِفَ بالأمير عِزّ الدين أَيْدَمُر الأَفْرَم الصَّالحِي النَّجْمي أمير جَنْدار، وذلك أنّه لمَّا استأجر بِرْكَة الشُّعَيْبِيَّة – كما ذُكِرَ عند ذِكر البِرَك من هذا الكتاب[1] – جَعَلَ منها فَدَّانين من غربيها أُذِنَ للنَّاس في تَحْكيرها، فحُكِّرت وبُنِيَ عليها عِدَّةُ دور بَلَغَت الغاية في إتْقان العِمارَة.

وتنافَسَ عُظَماءُ دولة النَّاصِر محمد بن قَلاوون من الوُزَراء وأعْيان الكُتَّاب في المساكِن بهذا الجِسْر، وتَنَاهَوْا في التأنُّق[a] وتفنَّنوا في بَديع الزَّخْرَفَة، وبالَغوا في تحسين الرُّخام، وخَرَجوا عن الحَدِّ في كَثْرَة إنْفاق الأموال العَظيمَة على ذلك، بحيث صار خُطُّ الجِسْر خُلاصَة العامِر من إقليم مصر، وسُكّانُه أَرْفَه[b] النَّاس عَيْشًا وأترف المتنعِّمين حياةً وأوْفَرُهُم نِعْمَةً، ثم خَرِبَ هذا الجِسْرُ بأسره وذَهَبَت دورُه.

وأمَّا الجِهَةُ الشَّرْقيَّة من مصر ففيها قَلْعَةُ الجَبَل، وقد أَفْرَدْتُ[c] لها خَبَرًا مستقلًّا يحتوي على فَوائِدَ كثيرة تضمَّنَه هذا الكتاب، فانظره[2]. ويتَّصِل آخِرُ قَلْعَة الجَبَل بخُطِّ باب القَرافَة، وهو من أطرافِ القَطائِع والعَسْكَر، ويلي خُطّ باب القَرافَة الفَضاءُ الذي كان يُعْرَف بالعَسْكر، وقد تقدَّم ذكره، وكان بأطْراف العَسْكَر ممَّا يلي كُوم الجارِح.

المَوْقِفُ

قال ابنُ وَصيف شاه في أخبار الرَّيَّان بن الوَليد، وهو فِرْعون نَبِيّ الله يوسُف – صلوات الله عليه –: ودَخَلَ إلى البَلَد في أيامه غُلامٌ من أهْلِ الشَّام احتالَ عليه إخْوته وباعوه – وكانت قَوافِلُ الشَّام تَعْرِس بناحية المَوْقِف اليوم – فأوقِفَ الغلامُ ونُودي عليه، وهو يُوسُف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خَليل الرَّحمن – صَلَوات الله علَيْهِم – فاشْتَراه أَطْفين العَزيز[3].

ويُقال إنَّ الذي أَخْرَجَ يُوسُف من الجُبّ مالِك بن دَعْر بن حَجَر بن جُزَيْلَة بن لَخْم بن عَدِيّ بن الحارث بن مُرَّة بن أُدَدَ بن زَيْد بن يَشْجُب [d]بن غريب بن زَيْد بن كَهْلان بن سَبأ بن يَشْجُب[d] ابن يَعْرُب بن قَحْطان.

---

a) بولاق: وبنوا وتأنقوا. b) بولاق: أرق. c) بولاق: أفردنا. d-d) ساقط من بولاق.

---

[1] فيما يلي ٢: ١٩٨.
[2] فيما يلي ٢: ٢٠٢–٢١٥.
[3] فيما تقدم ١: ٦٥٨.

وقال القُضاعيُّ : المَوْقِفُ كان فَضَاءً لأمِّ عبد الله بنت[a] مَسْلَمَة بن مَخْلَد ، فتصدَّقَت به على المسلمين ، فكان مَوْقِفًا تُباعُ فيه الدَّواب ، ثم مُلِكَ بعد [1]. وقد ذكرته في الظَّاهِر - يعني في خِطَط أهل الظَّاهر - فإنَّ المَوْقِفَ من جملة خِطَّه[b] أهل الظَّاهِر.

وقال ابنُ المُتَوَّج : بُقْعَة خُطُّ الصَّفَا ، هذا الخُطّ دَثَرَ جميعُه ولم يبق له أثَرٌ ، وهو قِبْلي الفُسْطاط أوَّله بجوار المَصْنَع . وخُطُّ الطَّحّانين / أَدْرَكْتُه كان صَفَّيْنِ طواحين مُتلاصقة متَّصلة من ٣ دَرْب الصَّفَاء إلى كُوم الجارِح ، وأَدْرَكْتُ به جَماعةً من أكابِر المصريين أكثرهم عُدُول ، وكان المارُّ بين هذين الصَّفَّيْنِ لا يَسْمَع حَديثَ رَفيقه إذا حَدَّثَه لقُوَّة دَوَران الطَّواحين ، وكان من جملتها طاحونٌ واحدٌ فيه سبعة أحْجار ؛ دَثَرَ جميعُ ذلك ولم يَبْقَ له أثَر .

قال : وبُقْعَة دَرْب الصَّفَا هو الدَّرْبُ الذي كان باب مصر ، وقيل : إنَّه كان بظاهِره سُوقُ يُوسُف - عليه السَّلام - وكان بابًا [c]كبيرًا بِبُرْجَيْن[c] يعلوهما عَقْدٌ كبير ، وهو بِعَتَبَة كبيرة سُفْلَى من صَوَّان ، وكان بجوار المَصْنَع الخَراب الموجود الآن ، وكان حَوْل المَصْنَع عُمُدُ رُخام بدائره حامِلةٌ لسَاباط[d] يعلوه مَسْجِدٌ مُعَلَّقٌ ؛ هُدِمَ ذلك جميعه في ولاية سَيْف الدين المعروف بابن أسبا[e] سَلار [2]، والي مصر في الدولة الظَّاهِرية[f] بَيْبَرْس . وهذا الدَّرْب يُسْلَكُ منه إلى دَرْب الصَّفَاء والطَّحّانين [3].

قال كاتِبُه[g]: كان هذا البابُ المذكورأحَدَ أبواب مَدينَة مصر ، وبابُها الآخر من ناحية السَّاحِل الذي موضعه اليوم باب مصر بجوار الكَبارَة . وأنا أدركت آثارَ دَرْب[h] الصَّفَا المذكور والمَصْنَع الخَراب ، وكان يُصَبُّ فيه الماءُ للسَّبيل ، وهو قَريبٌ من كُوم الجارِح . وسيأتي ذِكْر كُوم الجارِح في ذِكْر الكيمان من هذا الكتاب إن شاءَ الله [4].

---

a) بولاق : بن . b) بولاق : خطط . c-c) بولاق : بابا بمصراعين . d) بولاق : الساباط . e) ساقطة من بولاق . f) بولاق : دولة الظاهر . g) بولاق : مؤلفه رحمه الله . h) بولاق : باب .

---

[1] ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٣٤.

[2] حاشية بخط المؤلِّف : «الأمير سيف الدين أبو بكر ابن أسباسلار متولى مصر مات يوم الأحد سابع عشرين ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وستّ مائة ، فولّى الملك المنصور قلاوون ولاية مصر بعده الأمير علاء الدين أيبك الفخري».

[3] ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٢٨.

[4] أحال المقريزي في مواضع كثيرة إلى فَصْلٍ خاص عن الكيمان ، ولكنه لا يوجد فيما وَصَلَ إلينا من الكتاب .

وأمَّا الذي يلي كُوم الجارِح إلى آخر حَدِّ طول مصر عند بِرْكَة الحَبَش فإنَّها الخِطَطُ القَديمَة . وأدركتها عامِرَة لا سيَّما خُطّ النَّحَّالين وخُطّ زُقاق القَناديل وخُطّ المَصَّاصَة ، وقد خَرِبَ جَميعُ ذلك ، وبيعت أنقاضُه من بعد سنة تسعين وسبع مائة .

وأمَّا الجِهَةُ القِبْلِيَّة من مصر ، فإنَّ خُطَّ دَيْر الطِّين حَدَثَت العِمارَة فيه بعد سنة ستّ مائة ، لمَّا أنشأ الصَّاحِبُ فَخْرُ الدين محمد بن الصَّاحِب بَهاء الدين عليّ بن حِنَّا الجامِع هناك ، وعَمَّرَ النَّاسُ في جِسْر الأَفْرَم ، وكان قبل ذلك آخر عِمارَة مَدينَة مصر دارُ المُلْك الذي[a] موضعها الآن بجوار المَدْرَسَة المُعِزِّيَّة .

وأمَّا مَوْضِعُ الجسْر فإنَّه كان بِرْكَة ماء تَتَّصِل بخِطَّة[b] راشِدَة حيث جامِع راشِدَة ، ومن قِبْلي هذه البِرْكَة البُسْتان الذي كان يُعْرَف ببُسْتان الأمير تَميم بن المُعِزّ ، ويُعْرَف الآن[c] بالمَعْشُوق ، وهو وَقْفٌ على رِباط الآثار : ويُجاور المَعْشُوق بِرْكَة الحَبَش ، وما بين خُطّ دَيْر الطِّين وآخر عَرْض مصر من الجِهَة القِبْلِيَّة طَرَفُ خِطَّة[d] راشِدَة .

وأمَّا الجِهَةُ البَحْرِيَّة من مصر ، فإنَّه يتَّصل بخُطِّ السَّبع سِقايات الدُّور المطلَّة على البِرْكَة التي يُقالُ لها بِرْكَة قارُون ، وهي التي تُجاوِر الآن حَدْرَة ابن قَميحَة ، وهي من جملة الحَمْراء القُصْوَىٰ ، وبقِبْلي البِرْكَة المذكورة الكُوم المعروف بالأَسْرَى ، وهو من جملة العَسْكَر ، وسيرد إن شاءَ الله ذِكْرُه عند ذِكْر الكِيمان[1] . ويُجاوِر البِرْكَة المذكورة خُطُّ الكَبْش – وقد ذُكِرَ في الجبال ، ويأتي إن شاءَ الله له خَبَرُه عند ذكر الأخطاط[2] – ويلي خُطّ الكَبْش خطّ الجامِع الطُّولوني ، ويلي خُطّ الجامع القُبَيْبات وخُطّ المَشْهَد النَّفيسي ؛ وجَميع ذلك إلى قَلْعَة الجَبَل من جملة القَطائِع .

---

a) بولاق : التي . b) بولاق : بخط . c) بولاق : اليوم . d) بولاق : خط .

---

[1] انظر هامش ٤ صفحة ١٦٧.

[2] فيما تقدم ١: ٣٤٠ ، وفيما يلي ٢: ١٣٣.

ذِكْرُ أبواب مَدينَة مِصْر

وكان لفُسْطاطِ مصر أبوابٌ في القَديم خَرِبَت وتجدَّدَ لها بعد ذلك أبوابٌ أخر:

بابُ الصَّفَاء

هذا البابُ كان هو في الحقيقة بابَ مَدينَة مصر وهو في شمالِها [e]، ومنه تخرج العَساكِرُ وتَعْبُر القوافِل، وموضعه الآن بالقُرْب من كُوم الجارِح، وهُدِمَ في أيام الملك الظَّاهِر بَيْبَرْس [١].

بابُ السَّاحِل

كان يُفْضي بسالِكه إلى ساحِل النِّيل القَديم، وموضِعُه قَريبٌ من الكَبارَة [٢].

بابُ مِصْر

هذا البابُ هو الذي بناه قَراقُوش، ومنه يَسْلُك الآن من دَخَلَ إلى مَدينَة مصر من الطريق التي تُعْرف بالمَراغَة، وهو مُجاوِرٌ للكُوم الذي يُقالُ له كُوم المَشانِيق ويُعْرَف اليوم بالكَبارَة. وكان موضِعُ هذا الباب غامِرًا بماء النِّيل؛ فلمَّا انْحَسَرَ الماءُ عن ساحِل مصر، صارَ المَوضِعُ المعروف

---

e) بولاق: وهي في كمالها.

---

[١] يرى كازانوفا أنَّ مكان باب الصَّفا موضع الباب الواقع قبل نقطة اتصال سور صلاح الدين بمجرى العيون، وعليه كتابة تاريخية ترجع إلى عهد السلطان الأشرف قايتباي نصها: «أمر بإنشاء هذا الباب المبارك مولانا ومالك رقابنا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي عز نصره، في شهر ربيع الآخر سنة ... وثمانين وثمان مائة». حيث أمر الأشرف قايتباي بإعادة بناء الباب في موضعه القديم بعد بناء مجرى العيون، وكان يوجد بجوار هذا الباب سبيلٌ أقامه أيضًا السلطان قايتباي ولكنه أزيل عند إعادة تخطيط هذه المنطقة في نهاية القرن التاسع عشر. وكان ينتهي عند باب الصَّفا، دَرْبُ الصَّفا الذي كان امتدادًا للشَّارع الأعظم الذي يبدأ من باب زويلة. (Casanova, P., *Histoire et description de la Citadelle du Caire*, pp. 545-47).

[٢] كانت الكبارة أو كوم المشانيق تقع عند بداية طريق المراغة التي تكونت بعد انحسار مياه النيل خلف قصر الشمع الحالي.

بالمَرَاغَة والموضِعُ المعروف بغيط الجُرْف إلى مَوْرَدَة الحَلْفاء، فَضَاءٌ لا يصل إليه ماءُ النِّيل ألبتَّة [١].

فأَحَبَّ السُّلْطَانُ صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن أَيُّوب أن يُدِيرَ سُورًا يَجْمَع فيه القاهِرَة ومصر وقَلْعَة الجَبَل، فزادَ في سُور القاهِرَة، على يد قَرَاقُوش، من باب القَنْطَرَة إلى باب الشَّعْرِيَّة وإلى باب البَحْر؛ يُرِيد أن يَمُدَّ السُّور من باب البَحْرِ إلى الكُوم الأَحْمَر – الذي هو اليوم حافَة خَليج مصر تجاه خُطِّ بَيْنَ الزُّقاقين – ليصله أيضًا من الكُوم الأَحْمَر إلى باب مصر هذا، فلم يتهيَّأ له ذلك[a]، وانقطع السُّور عند جامِع المَقْس. وزادَ في سُور القاهِرَة أيضًا من باب النَّصْر إلى قَلْعَة [b]الجَبَل فلم يكمُل له، ومَدَّ السُّور من قَلْعَة الجَبَل إلى باب القَنْطَرَة خارج[b] مصر، فصارَ هذا البابُ غير متَّصل بالسُّور [٢].

بابُ القَنْطَـرَة

هذا البابُ في قِبْلي مَدينَة مصر، عُرِفَ بقَنْطَرَة بني وائِل التي كانت هناك، وهو أيضًا من بناء قَرَاقُوش [٣].

---

a) بولاق: هذا. b-b) ساقط من آياصوفيا.

---

[١] كان باب مصر على مقربة من قصر الشَّمع، وقد استفاد قراقوش من برجي قصر الشمع ليقيم بينهما بابًا، فالجدار الذي يصل بين هذين البرجين استخدم في بنائه الأحجار الضخمة، وهي طريقة مخالفة تمامًا لطريقة بناء البرجين وتُذَكِّرنا بالطريقة التي بنى بها قراقوش أسوار القاهرة. وكانت توجد وَسَط هذا الجدار مكان كتابة تاريخية فُقِدَت اليوم، يرى كازانوفا أنَّها ليست سوى الكتابة التاريخية الخاصة بباب مصر (Casanova, P., *op.cit.*, pp. 547-49).

[٢] فيما يلي ٢٦٤–٢٦٥.

[٣] كان باب القنطرة يقع عند نقطة التقاء السور الغربي بالسور الجنوبي (Casanova, P., *op.cit.*, pp. 549-51).

/ذِكْرُ قاهِـرَةِ المُعِـزّ [a]

اعْلَم أنَّ «القَاهِرَةَ المُعِزِّيَّة» رابعُ مَوْضِعٍ انتقل سَريرُ السَّلْطَنَة إليه من أرض مصر في الدولة الإسلامية ، وذلك أنَّ الإمارَةَ كانت بمَدينَة الفُسطاط ، ثم صارَ محلُّها العَسْكَرُ خارج الفُسطاط ، فلمَّا عُمِّرَت القَطائِعُ صارَت دارَ الإمارة إلى أن خَرِبَت ؛ فسَكَنَ الأُمَراءُ بالعَسْكَر إلى أن قَدِمَ القائِدُ جَوْهَرُ بعَساكِر مَوْلاه الإمام المُعِزّ لدين الله مَعَدّ ، فبَنَى القاهِرَة حِصْنًا ومَعْقِلًا بين يدي المَدينَة ، وصارَت القاهِرَةُ دارَ خِلافَة ينزلها الخَليفَةُ بحَرَمِه وخواصِّه إلى أن انقرضت الدَّوْلَةُ الفاطِمية ؛ فسكَنَها من بعدهم السُّلْطَانُ صَلاحُ الدين يوسُف بن أَيُّوب ، وابنُه الملكُ العَزيزُ عُثْمان ، وابنُه الملكُ المَنْصور محمد ، ثم الملكُ العادِلُ أبو بكر بن أَيُّوب ، وابنُه الملكُ الكامِلُ محمد وانتقل من القاهِرَة إلى قَلْعَة الجَبَل ، فسَكَنَها بحَرَمِه وخَواصِّه ، وسَكَنَها الملوكُ من بعده إلى يومنا هذا .

فصارَت القاهِرَةُ مَدينَةَ سُكْنَى ، بعد ما كانت حِصْنًا يُعْتَقَلُ به ودارَ خلافَةٍ يُلْتَجأ إليها ، فهانَت بعد العِزّ ، وابْتُذِلَت بعد الاحترام . وهذا شأنُ الملوك ، ما زالوا يَطْمِسون آثار من قَبْلهم ويُميتون ذِكْر أعْدائِهم ، فقد هَدَموا بذلك السَّبَب أكثر المُدُن والحُصُون ، وكذلك كانوا أيام العَجَم وفي جاهلية العَرَب ، وهم على ذلك في أيام الإسلام ، فقد هَدَمَ عُثْمانُ بنُ عَفَّان صَوْمَعَة غُمْدان وهَدَمَ الأطام التي كانت بالمَدينَة ، وقد هَدَمَ زيادُ كلَّ قَصْر ومَصْنَع كان لابن عامِر ، وقد هَدَمَ بنو العَبَّاس مُدُنَ الشَّام لبني مَرْوان .

[الكامل]

وإذا تَأَمَّلْتَ البِقاعَ وَجَدْتَها   تَشْقَى كما تَشْقَى الرِّجالُ وتَسْعَدُ

وسيأتي من أخبار القاهِرَة والكلام على خِطَطها وآثارِها ، ما تَنْتَهِي إليه قُدْرَتي ويصل إلى معرفته عِلْمي ، وفَوْقَ كلِّ ذي علمٍ عَليم .

---

a) بولاق : ذكر القاهرة قاهرة المعز لدين الله .

ذِكْرُ ما قيل في نَسَب الخُلَفاء الفاطِميين بُناةِ القاهِرة [1]

اعْلَم أنَّ القَوْمَ كانوا يَنْتَسِبُون[a] إلى الحُسَيْن بن عليّ بن أبي طالِب – عليهما السَّلام [b]. والنَّاسُ فَريقان في أمرهم : ففَريقٌ يُثْبِت صِحَّةَ ذلك ، وفَريقٌ يمنعه وينفيهم عن رَسُول الله ﷺ ، ويَزْعُم أنَّهم ادْعِياء من وَلَد دَيْصان الثَّنوي[c] الذي يُنْسَب إليه الثَّنَوِيَّة [d]، وأنَّ دَيْصان كان له ابنٌ اسمه مَيْمون القَدَّاح كان له مذهبٌ في الغُلُوّ ، فوَلَدَ مَيْمون عبد الله ، وكان[e] عالِمًا بجميع الشَّرائع والسُّنَن والمذاهِب ، و أنَّه رَتَّب سَبْع دَعْوات يندرج الإنسانُ فيها حتى ينحلّ عن الأديان كلِّها ، ويصير مُعَطِّلًا إباحيًّا لا يرجو ثَوابًا ولا يخافُ عِقابًا ،ويرى أنَّه وأهل نِحْلَته على هُدًى وجميع من خالَفَهم أهْلُ ضَلالة ؛ وأنَّه قَصَدَ بذلك أن يجعل له أتباعًا ، وكان يدعو إلى الإمام من آل البيت محمد بن إسماعيل بن جَعْفَر الصَّادِق ، وأنَّه كان من الأَهْواز ، فاشتهر بالعِلْم والتشيُّع ، وصارَ له

a) بولاق : ينسبون . b) بولاق : رضي الله عنهما . c) بولاق : البوني . d) بولاق : البونة . e) بولاق : وكان عبد الله .

[1] راجع حول مناقشة نَسَب الفاطميين وما قيل فيه والاختلاف حوله Ivanow, W., *Ismaili Tradition concerning the Rise of the Fatimids*, London 1942; id., *EI*[2] art. *Isma'iliya* Suppl. pp. 105-109; id., *The Alleged Founder of Isma'ilism*, Bombay 1947; Lewis, B., *The Origins of Isma'ilism : A Study of the Historical Background of the Fatimid Caliphate*, Cambridge 1940 (نقله إلى العربية خليل أحمد جلو وجاسم محمد الرجب ، القاهرة ١٩٤٧)؛ Madelung, W., *EI*[2] art. *Ismá'iliyya* IV, pp. 206-15; Daftary, F., *The Isma'ili their History and Doctrines*, Cambridge 1990, 95؛ محمد كامل حسين : طائفة الإسماعيلية – تاريخها ، نظمها ، عقائدها ، القاهرة ١٩٥٩؛ المهدي عبد الله : في نسب الخلفاء الفاطميين ، تقديم حسين بن فيض الله الهمداني ، القاهرة – الجامعة الأمريكية ١٩٥٨؛ أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية في مصر – تفسير جديد ، ١٠٠–١٠٨، وانظر المقريزي : اتعاظ الحنفا ١:٢٢– ٣٤.

وحَدَّد المقريزي في «الاتعاظ» المصدر الذي استمدَّ منه هذه المعلومات ، فذكر أنَّه وجدها أوَّلًا في مجلد يشتمل على بضع وعشرين كراسة في الطُّعْن على أنساب الفاطميين تأليف الشريف أبي الحسين محمد بن علي بن الحسين المعروف بأخي مُحْسِن ، وأضاف أنَّه كتابٌ مفيد. ثم وَجَدَ بعد ذلك في كتاب «الفهرست» لابن النَّديم هذا الكلام بنصِّه مَنْسوبًا إلى أبي عبد الله بن رزَّام وأنه ذكره في كتابه الذي رَدَّ فيه على الإسماعيلية ، وأورده في «الاتعاظ» اعتمادًا على ابن النديم (اتعاظ ١:٢٢– ٢٣؛ وهو في الفهرست بين صفحتي ٢٣٨–٢٤٠) ؛ وقد أعاد المقريزي ذكر ذلك فيما يلي ٣١٧–٣١٨ تحت عنوان : ابتداء هذه الدَّعوة ، وانظر كذلك النويري : نهاية الأرب ٢٥:١٨٩– ٢٢٣، ٢٣٥– ٢٤١، ٢٤٦– ٣١١؛ وابن أيبك : كنز الدرر ٦:٦–٢١ اللذين أوردا رواية أخي مُحْسِن.

دُعاةً ، وقُصِدَ بالمكروه ، ففَرَّ إلى البَصْرَة فاشتهر أمرُه ، وسارَ منها إلى سَلَمِيَّة من أرض الشَّام [١] ، فوُلِدَ له بها ابنٌ اسمه أحمد ومات [٢] .

فقامَ من بعده أَحْمَد ، وبَعَثَ بالحُسَيْنِ الأَهْوازي داعيةً إلى العراق ، فلقي أحمد بن الأَشْعَثِ – المعروف بقَرْمَط – في سَواد الكُوفَة ، ودَعاه إلى مَذْهَبه فأجابَه ، وقامَ هناك بالأمر . وإلى قَرْمَط هذا تُنْسَب القَرامِطَة [٣] .

ووُلِدَ لأحمد بن عبد الله بن مَيْمون القَدَّاح الحُسَيْنُ ومحمد المعروف بأبي الشَّلَغْلَع . فلمَّا ماتَ أحمد خَلَفَه ابنُه الحسين في الدَّعْوَة حتى ماتَ ، فقامَ من بعده أخوه أبو الشَّلَغْلَع . وكان لأحمد ابن عبد الله ولدٌ اسمه سَعيد فصارَ تحت حِجْر عمه ، وبَعَثَ أبو الشَّلَغْلَع بداعِيَيْنِ إلى بلاد[a] المغرب ، وهما أبو عبد الله وأخوه أبو العَبَّاس ، فنَزَلا في البَرْبَر ودعوها [٤] .

واشتهر سَعيدٌ بسَلَمِيَّة بعد مَوْت عَمِّه ، وكثر مالُه فطَلَبَه[b] السُّلْطَانُ ، فَفَرَّ من سَلَمِيَّة إلى مصر يريد المغرب ؛ وكان على مصر عيسَىٰ النُّوشَرِيّ ، فوَرَدَ عليه كِتابُ الخَليفَة من بَغْداد[c] بالقَبْض عليه ففاته ، وصارَ بسِجِلْماسَة في زِيِّ التجَّار . فبعث المُعْتَضِدُ من بغدادَ في طلبه ، فأُخِذَ وحُبِسَ حتى أخرجه أبو عبد الله الشِّيعي من محبسه . فتَسَمَّى حِينَئذٍ بعُبَيْدِ الله [٥] ، وتَكَنَّى بأبي محمد ، وتلقَّب بالمَهْدي ، وصارَ إمامًا علويًّا من ولد محمد بن جَعْفَر الصَّادِق ، وإنَّما هو سعيدُ بنُ الحُسَيْنِ بن أحمد بن عبد الله بن مَيْمون القَدَّاح بنِ دِيصان الثَّنَوي[d]

---

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : فطالبه . c) بولاق : ببغداد . d) بولاق : البوني .

---

[١] عن مدينة سَلَمِيَّة وأهميتها في تاريخ الحركة الإسماعيلية راجع ، Halm, H., «Les Fatimides à Salamya», *REI* LIV (1986), pp. 133-44; Daftary, F., *EI*[2] art. *Salamiyya* VIII, pp. 952-55.

[٢] ابن النديم : الفهرست ٢٣٨ ؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ١ : ٢٣ - ٢٥ .

[٣] راجع عن القَرامِطَة ، Stern, S. M., «Ismaʿilis and Qarmatians», *L'élaboration de l'Islam*, Presses Universitaires de France 1961, pp. 99-108; Madelung, W., «The Fatimids and the Qarmatis of Bahrayn» in Daftary, F., (ed.), *Midiaeval Ismaili History and Thought*, Cambridge 1996, pp. 21-73; id., *EI*[2] art. *Karmatī* III, pp. 687-92; Daftary, F., «A Major Schism in the Early Ismaʿili Movements», *SI* 77 (1993), pp. 123-39.

[٤] ابن النديم : الفهرست ٢٣٨ ؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ١ : ٢٥ - ٢٦ .

[٥] تذكر المصادر السُّنِّيَّة اسم مؤسس الدولة الفاطمية بشمال إفريقيا بصيغة التصغير (عُبَيْد الله) كنوع من التقليل من شأنه ، بينما تذكره المصادر الإسماعيلية باسم «عَبْد الله» ، وهكذا ورد اسمه على النقود المضروبة في عهده .

الأَهْوازي، وأصله من المجُوس؛ فهذا قولُ من يُنْكِر نَسَبَهُم[١].

وبعضُ مُنْكِري نَسَبِهم في العَلَوِيَّة يقول: إنَّ عبيدَ اللهِ من اليَهود، وإنَّ الحُسَيْنَ بن أحمد المذكور تَزَوَّج امرأةً يهوديةً من نِساء سَلَمِيَّة، كان لها ابنٌ من يهودي حَدَّاد ماتَ وتركه لها، فرَبَّاه الحسين وأَدَّبه وعلَّمه، ثم ماتَ عن غير وَلَدٍ فعَهِدَ إلى ابن امرأتِه هذا، فكان هو عبيد الله المَهْدِي!

وهذه أَقْوالٌ إن أَنْصَفْتَ تَبَيَّنَ لك أنَّها موضوعة، فإنَّ بَني عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - قد كانوا إذ ذاكَ على غايةٍ من وفور العَدَد وجَلالَة القَدْر عند الشِّيعَة، فما الحامِلُ لشيعتهم على الإعْراض عنهم والدُّعاء لابن مَجوسي أو لابن / يَهودي، فهذا ممَّا لا يَفْعَلُه أَحَدٌ ولو بَلَغَ الغاية في الجَهْلِ والسُّخْف.

وإنَّما جاءَ ذلك من قِبَل ضَعَفَة خُلَفاء بني العَبَّاس عندما غُصُّوا بمكان الفاطِميين، فإنَّهم كانوا قد اتَّصَلَت دولتُهم نحوًا من مائتين وسبعين سنة، ومَلَكوا من بني العَبَّاس بلاد المغرب ومصر والشَّام ودِيار بَكْر والحَرَمَيْن واليَمَن، وخُطِبَ لهم ببَغْداد نحو أربعين خُطْبَة. وعَجَزَت عَساكِرُ بني العَبَّاس عن مُقاوَمَتهم فلاذَت حينئذٍ بتنفير الكافَّة عنهم بإشاعة الطَّعْن في نَسَبِهم، وبَثَّ ذلك عنهم خلفاؤهم، وأُعْجِب به أولياؤهم وأُمَراء دَوْلتهم الذين كانوا يُحاربون عساكِر الفاطِميين كي يدفعوا بذلك عن أنفسهم وسُلْطانهم مَعَرَّة العَجْز عن مُقاوَمَتهم، ودَفْعهم عمَّا غَلَبُوا عليه من بلاد[a] مصر والشَّام والحَرَمَيْن حتى اشتهر ذلك ببَغْداد. وأَسْجَلَ القُضاةُ بنفيهم من نَسَب العَلويين، وشَهِد بذلك من أَعْلام النَّاس جماعةٌ، منهم الشَّريفان الرَّضِيّ والمُرْتَضى وأبو حامِد الإسْفَراييني والقُدُوري في عِدَّةٍ وافرة، عندما جُمِعُوا لذلك، في سنة اثنتين وأربع مائة، أيام القادِر[٢].

وكانت شَهادَةُ القَوْم في ذلك على السَّماع، لما اشْتُهِرَ وعُرِفَ بين النَّاس ببغداد، وأهلها إنَّما هم شِيعَة بني العَبَّاس الطَّاعِنون في هذا النَّسَب، والمتطيِّرون من بني عليّ بن أبي طالِب، الفاعِلون فيهم منذ ابتداء دَوْلَتِهم الأفاعيل القَبيحَة. فنَقَلَ الإخْباريون وأهل التاريخ ذلك كما سَمِعوه،

a) بولاق: دِيار.

[١] المقريزي: اتعاظ الحنفا ١: ٢٨.

[٢] عن هذا المحضَر راجع، ابن الجوزي: المنتظم ٧: ٢٥٥- ٢٥٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٩: ٢٣٦؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ١: ٣١- ٣٤، ٤٧- ٤٩؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ٢٢٩.

ورَوَوه حَسْب ما يُلَقَّنوه[a] من غير تَدَبُّر . والحقُّ من وَرَاءِ هذا ، وكَفَاكَ بكتابِ المُعْتَضِد من خَلائِف بني العَبَّاس حُجَّةً ، فإنَّه كَتَبَ في شأن عبيد الله إلى ابن الأَغْلَب بالقَيْرَوان وابن مِدْرار بسِجِلْماسَة بالقَبْض على عُبَيْد الله .

فتفطَّن – أعزَّك الله – لصِحَّة هذا الشَّاهِد ، فإنَّ المُعْتَضِدَ لَوْلا صِحَّة نَسَبِ عُبَيْد الله عنده ما كَتَبَ لمن ذَكَرْنا بالقَبْض عليه . إذ القَوْمُ حينئذٍ لا يَدْعون لدعيٍّ ألبتَّة ، ولا يُذْعِنون له بوَجْهٍ ، وإنَّما يَنْقادون لمن كان عَلَوِيًّا . فخافَ ممَّا وَقَعَ ، ولو كان عنده من الأَدْعياء لما مَرَّ له بفِكْرٍ ، ولا خافَه على ضَيْعَةٍ من ضِياع الأرض .

وإنَّما كان القَوْمُ – أعني بني عليّ بن أبي طالِب – تحت ترقُّب الخَوْف من بني العَبَّاس لتطلُّبهم لهم في كلّ وَقْتٍ ، وقَصْدِهم إياهم دائِمًا بأنواع من العِقاب ، فصارُوا ما بين طَريدٍ شَريدٍ وبين خائِفٍ يترقَّب . ومع ذلك فإنَّ لشيعتهم الكثيرة المنتشرة في أَقْطارِ الأرض ، فيهم من المَحَبَّة لهم والإقْبال عليهم ، ما لا مَزيدَ عليه .

وتكرَّرَ قيامُ الرِّجال منهم مَرَّةً بعد مَرَّة ، والطَّلَب عليهم من ورائهم ، فلاذوا بالاخْتِفاء ولم يكادوا يُعْرَفون ، حتى سُمِّيَ[b] محمد بن إسماعيل الإمام ، جَدّ عُبَيْد الله المَهْدي ، بالمَكْتوم ؛ سَمَّاه بذلك الشِّيعَةُ عند اتِّفاقهم على إخفائه حَذَرًا من المتغلِّبين عليهم .

وكانت الشِّيعَةُ قد صاروا[c] فِرَقًا : فمنهم من كان يذهب إلى أنَّ الإمامَ من وَلَدِ جعفر الصَّادِق هو إسماعيل ابنه ، وهؤلاء يُعْرَفون من بين فِرَق الشِّيعة بـ «الإسْماعِيلِيَّة» من أجْلِ أنَّهم يَرَوْن أنَّ الإمامَ من بعد جعفرَ ابنُه إسماعيلُ ، وأن الإمام بعد إسْماعيل بن جَعْفَر الصَّادِقِ هو ابنُه محمدٌ المكتومُ ، وبعد محمدٍ المكتوم ابنه جَعْفَر المُصَدِّق[d] ومن بعدِ جعفر المصدقِ[d] ابنُه محمد الحَبيب . وكانوا أهلَ غُلُوٍّ في دَعاويهم في هؤلاء الأئِمَّة ، وكان محمدُ بن جَعْفَر هذا يُؤَمِّل ظهورُه ، وأنَّه يصير له دولة .

وكان باليَمَن من أهل هذا المَذْهَب كثيرٌ بعَدَن وبإفريقيَّة وفي كُتامَة ونَفْزَة ، تلقَّوا ذلك من عَهْدِ جَعْفَر الصَّادِق . فقَدِمَ على محمد بن جَعْفَر – والد عبيد الله – رُجُلٌ من شيعته باليَمَن ، فبَعَثَ معه الحُسَيْنُ بن حَوْشَب في سنة ثمانٍ وستين ومائتين ، فأظْهَرا أمرهما باليَمَن ، وأشهرا الدَّعْوَة في سنة سبعين ، وصارَ لابن حَوْشَب دولةٌ بصَنْعاء[1] ، وبَثَّ الدُّعاة بأقطار

---

a) بولاق : تلقوه . b) بولاق : تسمى . c) قد صاروا : ساقطة من بولاق . d) بولاق : الصادق .

---

[1] عن ابن حَوْشَب والدعوة الإسماعيلية في اليمن راجع ، القاضي النعمان : افتتاح الدعوة ٣٢– ٦٣، ١٤٩ – ١٥٠؛=

الأرض ، وكان من جملة دُعاته أبو عبد الله الشِّيعي ، فسَيَّرَه إلى المغرب فلقي كُتامَة ودَعاهم[١].

فلمَّا ماتَ محمدُ بنُ جَعْفَر عَهِدَ لابنه عبيد الله ، فطَلَبَه المُكْتَفِي العَبَّاسي ، وكان يَسْكُن عَسْكَر مُكْرَم ، فسارَ إلى الشَّام ، ثم سارَ إلى المغرب ، فكان من أمره ما كان .

وكانت رِجالُ هذه الدولة الذين قامُوا ببلاد المغرب وديار مصر [a] عشر رجلًا . هذه خُلاصَةُ أخبارِهم في أنْسابِهم ، فتفطَّن ولا تغترّ بزُخْرُف القَوْل الذي لَفَّقوه من الطَّعْن فيهم ، والله يَهْدي من يَشَاء .

ذِكْرُ الخُلَفَاء الفَاطِمِيِّين

وكان ابتداءُ الدَّوْلَة الفاطِمِيَّة[٢] أنَّ أبا عبد الله الحُسَيْن بن أحمد بن محمد بن زَكَرياء الشِّيعي ، سارَ إلى أبي القاسِم الحُسَيْن بن فَرَج بن حَوْشَب الكوفي القائِم ببلاد اليمن ، وصارَ من كِبار أصحابه وله عِلْمٌ وعنده دَهاءٌ ومَكْرٌ[٣]. فوَرَد على ابن حَوْشَب من المغرب خَبَرُ مَوْت الحَلْواني داعِيَة المغرب[b] ورَفيقه ، فقال لأبي عبد الله الشِّيعي : قد حَرَثَ الحَلْواني وأبو سُفْيان[c] بلاد المَغرب وقد ماتا ، وليس للبلاد إلَّا أنت فإنَّها مُوطَّأة مُمهَّدة .

فخرَجَ أبو عَبدِ الله إلى مَكَّة ، وقَصَدَ حُجَّاج كُتامَة فجَلَسَ قَريبًا منهم ، وسمعهم يتحدَّثون بفَضائِل البيت فحدَّثهم في معناه ، فمالوا إليه وسألوه أن يأذَنَ لهم في زيارته ، فلمَّا زاروه سألُوه عن مَقْصِدِه ، فلم يُخْبِرهم وأَوْهَمَهُم أنَّه يُريد مصر ، فسُرُّوا بصُحْبَته ورَحَلوا وهو رَفيقُهم / ،

---

a) بياض بالأصل . b) بولاق : داعيه في المغرب . c) بولاق : أبو يوسف .

=عماد الدين إدريس : تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ٥٩- ٧٨؛ حسين الهمداني : الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ، القاهرة ١٩٥٥ ، ٢٩- ٤٨؛ أيمن فؤاد سيد : تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن ، القاهرة ١٩٨٨ ، ٩١- ٩٦؛ Halm, H., «Die Sîrat Ibn Hawshab : Ismailitische Daʿwa in Jemen und die Fatimiden», *Die Welt des Orients* XII (1981), pp. 108-35; Madelung, W., *EI*[2] art. *Mansûr al-Yaman* VI, pp. 424-25.

[١] انظر فيما يلي ٢ : ١٠- ١٢ .

[٢] في إطار مؤلَّفات المقريزي التي عَرَضَ فيها لتسلسل أحداث تاريخ مصر الإسلامية ، خَصَّ المقريزي الفترة التي أصبحت فيها مصر خلافةً مستقلةً تناوئ الخلافة العباسية ، وهي فترة الخلافة الفاطمية في مصر (٣٥٨-٥٦٧هـ/ ٩٦٩- ١١٧١م) ، بكتابه «اتّعاظ الحُنَفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخُلَفاء» .

فشاهَدوا من عِبادَتِه وزُهْده ما زادَهم رغبةً فيه. هذا وهو يسألهم عن أحوالِهم وقَبائِلهم حتى صارَ يَعْرِف جَميعَ أُمورِهم.

فلمَّا وَصَلُوا مصر، هَمَّ بمُفارَقَتهم، فقالوا: أيّ شيء تطلب من مصر؟ فقال: أَطْلُب التَّعْليم بها؛ فقالوا: إذا كان قَصْدُك هذا فبلادُنا أَنْفَع لك؛ وما زالوا به حتَّى سار معهم.

فلمَّا وَصَلُوا بلادَهم اقترعوا فيمن يُضَيِّفُه منهم ومن بقية أصْحابِهم، ووَصَلوا به أرض كُتامَة للنصف من رَبيع الأوَّل سنة ثمانٍ وثمانين ومائتين، وكادوا يحتربون عليه أيُّهم ينزل عنده؛ فأبَى أن ينزل عندهم، وقال: أين يكون فَجُّ الأخْيار؟ فعَجِبُوا لذلك إذ لم يكونوا ذَكَروه له قَطّ، فدلُّوه عليه. فسارَ إليه وقال: هذا فَجُّ الأَخْيار، وما سُمِّي إلَّا بِكم. ولقد جاءَ في الآثار «للمَهْدي هِجْرَة تَنْبُو[a] عن الأَوْطان يَنْصُرُه فيها الأَخْيارُ من أهْل ذلك الزَّمان، قَوْمٌ اسْمُهم مشتقٌّ من الكِتْمان». وبخُروجكم في هذا الفَجّ سُمِّيَ فَجّ الأَخْيار[1].

فتسامَعَت به القَبائِلُ وأَتوه، فعظُم أمرُه وهو لا يَذْكُر اسم المهْدي أَلبتَّة.

فبَلَغَ خَبَرُه إبراهيمَ بن أحمد بن الأَغْلَب أَمير إفريقِيَّة، فبَعَثَ يسأل عن خَبَره، وكانت له معه قِصَصٌ آلَت إلى قِيام أبي عبد الله ومُحارَبَته لمن خالَفَه، فظَفِر بهم وصارَت إليه أموالُهم، وغَلَب على مَدائِن، وهَزَمَ جُيوش ابن الأَغْلب، وقَتَلَ كثيرًا من أصحابِه[2].

---

a) ساقطة من بولاق.

---

[1] المصدر الأصلي لهذا النصّ هو «رسالة افتتاح الدعوة» للقاضي النعمان ٧٣، كما ورد عند ابن الأثير: الكامل ٨: ٣٣؛ ابن خلدون: العبر ٤: ٣٢؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ١: ٥٥–٥٧، وفيما يلي ٢: ١١؛ وانظر عن الفاطميين في شمال إفريقيا Talbi, M., *L'Emirat Aghlabide 184-296/800-900. Histoire politique*, Paris 1966, pp. 623-99; Dachraoui, F., *Le Califat fatimide au Maghreb 296-362/909-973; Histoire politique et institutions*, Tunis STD 1981; Halm, H., *The Empire of the Mahdi- The Rise of the Fatimids*, translated from the German by Michael Bonner, Leiden-Brill 1995; Brett, M., *The Rise of the Fatimids. The World of The Mediterranean and the Middle East in the Tenth Century CE*, Leiden-Brill 2001.

[2] راجع عن الدولة الأغلبية التي أسقطها الفاطميون سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م دراسة محمد الطالبي الهامة Talbi, M., *L'Émirat Aghlabide 184-296/ 800-909. Histoire politique*, Paris 1966 (نقله إلى العربية المنجي الصيادي بعنوان: الدولة الأغلبية ١٨٤–٢٩٦/ ٨٠٠– ٩٠٩، التاريخ السياسي، بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٩٨٥؛ محمود إسماعيل: الأغالبة، القاهرة ١٩٧٢.

فماتَ إبراهيمُ بن الأَغْلَب ، ووَلِيَ زيادَةُ الله بن الأَغْلَب ، وكان كثيرَ اللَّهْو ، فقوي أَمْرُ أبي عبد الله ، وانتشرَت جنودُه في البلاد ، وصارَ يقول : «المَهْدي يخرج في هذه الأيام ويملك الأرض ، فيا طوبَى لمن هاجَر إليَّ وأطاعَني» ، ويُغْري الناس بزيادة الله بن الأَغْلَب ويَعيبُه ، وكانت أكثرُ خَواص زِيادَة الله شيعَة ، فلم يكن يسوؤهم ظَفَر أبي عبد الله . وأَكْثَر من ذِكْر كَرامات المَهْدي والإرْسال إلى أصحاب زيادَة الله ، إلى أن تَمكَّن فبعَثَ برجالٍ من كُتامَة إلى سَلَمِيَّة من أرض الشَّام ، فقَدِمُوا على عبيد الله وأخبروه بما فَتَحَ الله عليه - وكان قد اشتهر هناك وطَلَبه الخَليفَةُ المُكْتَفي - فخَرَج من سَلَمِيَّة فارًّا ، ومعه ابنه أبو القاسِم محمّد[a]، ومعهما أموالهما[b] ومواليهما فأقاما بمصر مستترين .

فوَرَدَت على عيسىٰ النُّوشَري ، أمير مصر ، الكُتُب من بَغْداد بصِفَة عبيد الله وحِلْيَته ، وأنَّه يَأْخُذ عليه الطُّرُق[c] ويقبضه . فبَلَغ ذلك عبيد الله فخَرَج والأعْوان في طَلَبه . ويُقال إنَّ النُّوشَريّ ظَفِرَ به ، فناشَدَه الله في أمْره ، فخلَّى عنه ووَصَّلَه . فسارَ إلى طرابُلُس وقد سَبَق خبرُه إلى زيادَة الله ، فسارَ إلى قُسَنْطينة[d]، فقَدِمَ كتابُ زِيادَة الله بن الأَغْلب إلى عامل طَرابُلُس بأخذ عُبَيْد الله وقد فاتَهم فلم يُدْركوه .

فرَحَلَ إلى سِجِلْماسَة وأَقامَ بها ، وقد أُقيمت له المَراصِدُ بالطُّرُقات ، فتلطَّف باليَسَع بنِ مِدْرار صاحِب سِجِلْماسَة وأهدى إليه ، فكفَّ عنه . ووافاه كتابُ زِيادة الله بالقَبْض على عُبَيْد الله ، فلم يجد بُدًّا من أن قَبَضَ عليه وحَبَسَه[e].

واشْتَغَلَ زِيادَةُ الله بجَمْعِ العساكِر لمحارَبَة أبي عبد الله وتَجْهيزِهم إليه ، فغَلَبَهم أبو عبد الله وغَنِمَ سائر ما معهم ، وقَتَلَ أكثرهم ، وبَلَغَه ماكان من سَجْنِ عُبَيْد الله ، فكَتَبَ إليه يُبَشِّره ، فوَصَلَ إليه الكتابُ وهو بالسِّجْن مع قَصَّابٍ دَخَلَ به إليه وهو يبيع اللَّحْم . وما زالَ أبو عبد الله يُضايق زِيادَة الله إلى أن فَرَّ إلى مصر ، وقامَ من بعده إبراهيم بن الأَغْلَب ، فلم يتمّ له أمْرٌ .

ومَلَكَ أبو عبد الله القَيْرَوان ، ونَزَلَ برَقَّادَة مستهلّ رَجَب سنة ستٍّ وتسعين ومائتين ، فأَمَرَ ونَهَى ، وبثَّ العُمَّالَ في الأعمال ، وقَتَلَ من يَخاف شَرَّه ، وأمر فنَقَشَ على السِّكَّة في أحد الوجهين «بَلَغَت حُجَّةُ الله» ، وفي الآخر «تَفَرَّقَ أعْداءُ الله» ، ونَقَشَ على السِّلاح «عُدَّةٌ في سَبيل

---

a) في جميع النسخ : أبو القاسم نزار ، وهو خلط بين ابن المهدي وبين أبي القاسم نزار بن المستنصر بالله . b) بولاق : أهلهما . c) بولاق : الطريق . d) بولاق : قسطيلة . e) بولاق : سجنه .

الله» ، ووَسَمَ الخَيْل على أفخاذها «المُلْكُ لله» ، وأقامَ على ما كان عليه من لِبْس الخَشِن الدون وتناوُل القَليل الغَليظ من الطَّعامِ [1].

فلمَّا دَخَلَ شهرُ رَمَضان سارَ من رَقَّادَة في جُيوشٍ عَظيمَةٍ اهتزَّ لها المغربُ بأسره ، يُريد سِجلْماسَة ، فحارَبه اليَسَعُ يومًا كامِلًا إلى الليل ، ثم فَرَّ في خاصَّته . فدَخَلَ أبو عبد الله من الغَدِ إلى البَلَد ، وأَخْرَجَ عُبَيْد الله وابنه ، ومَشَى في رِكابِهما بجَميع رُؤَساء القَبائِل وهو يقول للنَّاس : «هذا مَوْلاكُم» ، وهو يبكي من شِدَّة الفَرَح ، حتى وَصَلَ بهما إلى فُسْطاطٍ ضَرَبَه في العَسْكَر فأنزلهما فيه ، وبَعَثَ الخَيْلَ في طلب اليَسَع ، فأدركته وجاءَت به فقَتَلَه [2].

وأقامَ عُبَيْدُ الله بسِجلْماسَة أربعين يومًا ، ثم سارَ إلى إفريقيَّة في رَبيع الآخر سنة سبعٍ وتسعين ، ونَزَلَ برَقَّادَة ، وأَمَر يوم الجُمُعَة أن يُذْكَر في الخُطْبَة ، وتَلَقَّب بـ «المَهْدِي أمير المؤمنين» [3] . فدُعِيَ له في جَميع البلاد بذلك ، وجَلَسَ بعد الصَّلاة الدُّعاةُ ، ودَعَوا النَّاس كافةً إلى مَذْهَبِهم ، فمن أجابَ قُبِلَ منه ، ومن أبى قُتِلَ . وعَرَضَ جَواري زيادَة الله ، واختار منهن لنفسه ولوَلده ، وفَرَّق ما بقي على وجوه كُتامَة ، وقَسَمَ عليهم أعمال إفريقية ، ودَوَّن الدَّواوين ، وجَبَى الأموال ، ودانَت له البلاد [4].

فشَقَّ ذلك على أبي عبد الله ، ونافَسَ المَهْدي ، وحَسَدَه من أجل أنَّه كَفَّ يده ويد أخيه أبي العَبَّاس ، فعَظُم عليه الفِطام عن الأمر والنَّهْي والأَخْذ والعَطاء . وأقبل أبو العَبَّاس يُزْري على المَهْدي في مجلس أخيه ، ويؤنِّب أخاه على ما فَعَل حتى أَثَّرَ في نفسه ، فسأل المَهْدي أن يجلس
٢٥ في القصر ويُفَوِّضَ إليه الأُمورَ[a] . وكان قد بَلَغَ المَهْدِي ما يَجْهَر به أبو العَبَّاس / من السُّوء في حقِّه ، فردَّ أبا عبد الله ردًّا لطيفًا ، وأَسَرَّها في نفسه .

---

a) بولاق : أن يفوض إليه الأمور ويجلس في القصر .

---

[1] المقريزي : اتعاظ الحنفا ١: ٦٠– ٦٤.

[2] فيما يلي ٢: ١١.

[3] المهدي عبيد الله (عبد الله) أول الأئمة الفاطميين الظاهرين ومُؤَسِّس الدولة الفاطمية في شمال إفريقيا ، راجع أخباره عند ، القاضي النعمان : رسالة افتتاح الدعوة ٢٣١– ٢٧٦؛ ابن ظافر الأزدي : أخبار الدول المنقطعة ٦– ١٣؛ النويري : نهاية الأرب ٢٨: ١٠٠– ١١٥؛ المقريزي : المقفى الكبير ٤: ٥٢٣– ٥٧٠؛ اتعاظ الحنفا ١: ٦٠– ٧٣؛ حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف : عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب ، القاهرة ١٩٤٨؛ Dachraoui, F., *Le califat fatimide au Maghreb*, Tunis 1981; id., *EI*[2] art. *al-Mahdî ʿUbayd Allâh* V, pp. 1233-34.

[4] المقريزي : اتعاظ الحنفا ١: ٦٥– ٦٦.

وأكثر أبو العَبَّاس من قَوْلِه حتى أَغْرَى المقدَّمين بالمَهْدي ، وقال : ما هذا بالذي كَنَّا نعتقد طاعَته ونَدْعو إليه ؛ لأنَّ المَهْدي يأتي بالآيات الباهِرَة . فمَالَ إليه جَماعَةٌ ، وواجَه بعضُهم المَهْدي بذلك ، وقال له : إن كنت المَهْدِي فأظْهِرْ لنا آيَةً ، فقد شَكَكْنا فيك . فبَعُدَ ما بين المَهْدي وبين أبي عبد الله ، وأَوْجَس كلٌّ منهما في نفسه خِيفَةً من الآخَرِ ، وأخذ أبو العَبَّاس يُدَبِّر في قَتْل المَهْدي ، والمَهْدي يَحِلّ ماكان يُبْرِمُه ، ثم [a]إنَّ المَهْدي لمَّا ثَقُلَ عليه أمْرُ أبي عبد الله وأخيه أبي العَبَّاس[a] رَتَّب رجالًا لقَتْلِهم[b].

فلمَّا رَكِبَ أبو عبد الله وأخوه إلى قَصْر المَهْدي ثارَ بهما الرِّجالُ ، فقال أبو عبد الله : لا تَفْعَلوا . فقالوا له : إنَّ الذي أَمَرْتَنا بطاعَتِه أَمَرَنا بقَتْلِك . فقُتِلَ هو وأخوه للنصف من جُمادَى الآخرة سنة ثمانٍ وتسعين ومائتين بمَدينَة رَقَّادَة . فثارَت فِتْنَةٌ بسبب قتلهما ، فرَكِبَ المَهْدِيُّ حتى سَكَنَت ، وتتَبَّعَ جماعَةً منهم فقَتَلَهُم[١].

فلمَّا استقامَ له الأَمْرُ ، عَهِدَ إلى ابنه أبي القاسِم ، وتتبَّع بني الأَغْلَب فقَتَلَ منهم جماعةً .

وجَهَّز في سنة إحدى وثلاث مائة ابنه أبا القاسِم بالعساكِر إلى مصر ، فأَخَذَ بَرْقَة والإسْكَنْدَرية والفَيُّوم ، وكانت له مع عَساكِر مصر وعَساكِر العِراق الوارِدَة إلى مصر مع مُؤْنِس الخادِم عِدَّة حروب ، وعاد إلى المغرب[c] [٢].

فجَهَّزَ المَهْدي في سنة اثنتين وثلاث مائة حُبَاسَة بجيوشٍ إلى مصر ، فغَلَب على الإسْكَنْدَرية ، وكان من أمره ما تقدَّم ذكره[٣].

وكان للمَهْدي ببلاد المغرب عِدَّةُ حُروب .

وكان يُوجَد في الكُتُب خُروجُ أبي يَزيد النَّكَّارِي على دولته . فبَنَى «المَهْدِيَّة» ، وأدارَ عليها سُورًا جَعَل فيه أبوابًا زِنَة كلِّ مِصْراع منها مائة قِنْطار من حَديد ، وكان ابتداءُ بنائها في ذي القعدة سنة ثلاثٍ وثلاث مائة ، وبَنَى المُصَلَّى بظاهِرِها وقال : إلى هنا يصل صاحِبُ الحِمار - يعني أبا يَزيد - فكان كذلك . وأنشأ صِناعَةً فيها تسع مائة شيني[d]، وقال : «إنَّما

---

a-a) ساقطة من بولاق . b) ساقطة من بولاق . c) بولاق : الغرب . d) بولاق : شونة .

---

[١] المقريزي : اتعاظ الحنفا ١ : ٦٧ - ٦٨ .

[٢] عن محاولات الفاطميين المتكرِّرة لفَتْح مصر راجع ، Lev, Y., «The Fadimid and Egypt 301-358/ 914-969», *Arabica* XXXV (1988), pp. 186-196; Halm, H., *The Empire of the Mahdi*, pp. 196-213.

[٣] المقريزي : اتعاظ الحنفا ١ : ٦٨ - ٦٩ وفيما تقدم ١١٦ .

بَنَيْتُ هذه لتَعْتَصم الفَواطِمُ بها ساعةً من نهار» ، فكان كذلك [١].

ثم إنَّه جَهَّزَ ابنه أبا القاسِم في سنة ستٍّ وثلاث مائة على جَيْشٍ إلى مصر ، فأَخَذَ الإسْكَنْدَرية ، وملك جَزيرَة الأُشْمونَيْنِ وكثيرًا من صَعيد مصر ، وكانت له(a) هناك حروبٌ مع عَساكِر مصر والعِراق ، ثم عادَ إلى المغرب .

وخَرَجَ أبو القاسِم في سنة خمس عشرة بالجُيوش إلى المغرب ، فحارَب قَوْمًا وعاد .

فماتَ عبيدُ الله في ليلة الثلاثاء منتصف شهر رَبيع الأوَّل سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة ، بالمَهْدِيَّة من القَيْرَوان عن ثلاثٍ وستين سنة . فكانت خلافَتُه أَرْبعًا وعشرين سنةً وشهرًا وعشرين يومًا ، ولمَّا ماتَ أخفى ابنُه مَوْته [٢].

وقامَ من بعد عبيد الله المَهْدِي وَلِيُّ عَهْده «القائِمُ بأَمْر الله أبو القاسِم محمد» – ويُقال كان اسمه بالمَشْرِق عبد الرَّحْمن ، فتَسَمَّى في بلاد المغرب بمحمَّد – وُلِدَ(b) بسَلَمِيَّة في المحرَّم سنة ثمانين ومائتين [٣]. فلمَّا فَرَغَ من جَميع ما يُريده وتَمَكَّن ، أظهر موتَ أبيه .

واستقلَّ بالأَمْر وله سبعٌ وأربعون سنة ، وتَبِع سيرة أبيه ، وثارَ عليه جماعةٌ فظفر بهم ، وبَثَّ جيوشَه في البَرِّ والبحر فسَبَوا وغَنِمُوا من بلد جَنْوَة ، وبَعَثَ جيشًا إلى مصر ، فمَلَكوا الإسْكَنْدَرية ، والإخْشيد يومئذٍ أمير مصر .

فلمَّا كان في سنة ثلاثٍ وثلاثين وثلاث مائة ، خَرَجَ عليه أبو يَزيد مَخْلد بن كَيْداد النُّكَّارى الخارِجيّ بإفريقيَّة ، واشتدَّت شوكتُه ، وكَثُرَت أتباعُه ، وهَزَمَ جيوشَ القائِم غير مَرَّة ، وكان مذهبه تَكْفير أهْلِ المِلَّة وإراقة دمائهم ديانةً ، فمَلَك باجَة وحَرَقَها ، وقَتَلَ الأطفال وسَبَى النِّسْوان ، ثم

---

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : وذلك .

---

[١] المقريزي : اتعاظ الحنفا ١ : ٧٠– ٧١، وعن المهدية انظر، Creswell, K. A. C., *MAE* I, pp. 1-10; Lézine, A., *Mahdiya-Recherches d'archéologie islamique*, Paris 1965; id., «Mahdiya: Quelques précisions sur la ville» des premiers Fatimides», *REI* XXXV (1967), pp. 82-101; Golvin, L., «Mahdiya à la période fatimide» *ROMM* XXVII (1979), pp. 75-98; Talbī, M., *EI*[2] art. *Mahdiyya* V, pp. 1236-38; Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 94-102.

[٢] نفسه ١ : ٧٢.

[٣] القائم بأمر الله الإمام الفاطمي الثاني راجع ترجمته عند ، ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ١٤– ١٧؛ النويري : نهاية الأرب ٢٨ : ١١٥– ١١٧؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ١ : ٧٤– ٨٧، Dachraoui, F., *op.cit.*, id., *EI*[2] art. *al-Kâ'im bi-amr Allâh* IV, pp. 478-80.

ملك القَيْرَوان . فاضْطَرَب القائِمُ ، وخافَ النَّاسُ ، وهَمُّوا بالنُّقْلَة من زَوِيلَة [1].

وقوي أَمْرُ أبي يَزيد ، ونازَل المَهْدِيَّة وحَصَرَ القائِمَ بها ، وكادَ أن يَغْلِب عليها . فلمَّا بَلَغَ المُصَلَّى حيث أَشارَ المَهْدِي أنَّه يصل ، هَزَمَه أصحابُ القائِم ، وقتلوا كثيرًا من أصحابه . وكانت له قِصَصٌ وأنباءٌ ، إلى أن ماتَ القائِمُ لثلاث عشرة خَلَت من شَوَّال سنة أربعٍ وثلاثين وثلاث مائة عن أربعٍ وخمسين سنة وتسعة أشهر ، ولم يرق مِنْبَرًا ، ولا رَكِبَ دابَّةً لصيدٍ مُدَّة خِلافَته حتَّى ماتَ ، وصَلَّى مَرَّةً على جَنازَة ، وصَلَّى بالنَّاس العيد مَرَّةً واحدةً [2].

وكانت مُدَّةُ خِلافَتِه اثنتي عشرة سنة وستة أشهر وأيامًا ، وتَرَكَ أبا الطاهِر إسماعيل وأبا عبد الله جَعْفَرًا وحَمْزَة وعَدْنان وعِدَّة أخر .

وقامَ من بعده ، ابنُه «المَنْصور بنَصْر الله أبو الطَّاهِر إسْماعيلُ» [3]، وكَتَم موتَ أبيه خَوْفًا أن يَعْلَم أبو يَزيد فإنَّه كان قَريبًا منه ، وأبقى الأمورَ على حالِها ، ولم يتسمّ بالخَليفَة ، ولا غَيَّرَ السِّكَّة ولا الخُطْبَة ولا البُنود ، وجَدَّ في حَرْب أبي يَزيد حتى ظَفِرَ به ، وحُمِلَ إليه ، فماتَ من جِراحاتٍ كانت به سَلْخ المحرَّم سنة ستٍّ وثلاثين وثلاث مائة .

ولم يَزَل المَنْصورُ إلى أن ماتَ سَلْخ شَوَّال سنة إحدى وأربعين وثلاث مائة ،عن إحدى وأربعين سنة وخمسة أشهر . وكانت مُدَّةُ خِلافَته ثمانِ سنين ، وقيل سبعَ سنين وعشرة أيام . وقد اخْتُلِفَ في تاريخ ولادته : فقيل وُلِدَ أوَّل ليلة من جُمادَى الآخرة سنة ثلاثٍ وثلاث مائة بالمَهْدِيَّة ، وقيل

---

[1] أبو يزيد مَخْلَد بن كَيْداد النُّكَّاري المعروف بصاحب الحمار قادَ ثورة ضد الحكم الفاطمي في شمال إفريقيا واكتسب تأييد أهل السنة ، والمالكية على وجه الخصوص ، وقضى على ثورته المنصور بالله ثالث الخلفاء الفاطميين سنة ٣٣٦هـ/ ٩٤٨م (راجع عنه ، القاضي النعمان : المجالس والمسايرات ، مواضع متفرقة ؛ ابن الأثير : الكامل ٨:٤٢٢– ٤٤١؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ١: ٢٣٥؛ ابن عذاري : البيان المغرب ١:٢١٦– ٢٢٠، ٢٨٥؛ الصفدي : الوافي ٩: ٢٠٣؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ١:٧٥– ٨٦، المقفى الكبير ٢:١٣٣– ١٤٠؛ عماد الدين إدريس : عيون الأخبار ٥:١٧٢– ٣٠٦، تاريخ الفاطميين بالمغرب ٣٤٧– ٤١٧؛ Le Tourneau, G., «La revolte d'Abu Yazid au X[e] siècle», *CT* (1953), pp. 103-25; Stern, S.M., *EI*[2] art. *Abû Yazîd al-Nukkârî* I, pp. 167-69; Dachraoui, F., *op.cit.*, pp. 165-82, 188-205; Halm, H., *op.cit.*, pp. 298-325; id., «Der Mann auf den Esel. Der Aufstand des Abu Yazid gegen die Fatimiden nach einem Augenzeugenbericht», *Die Welt des Oriens* XV (1984), pp. 144-204).

[2] المقريزي : اتعاظ الحنفا ١: ٨٦.

[3] المنصور بنَصْر الله الإمام الفاطمي الثالث ، راجع أخباره عند ، ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ١٨– ٢٠؛ النويري : نهاية الأرب ٢٨:١١٧– ١١٩؛ المقريزي : المقفى الكبير ٢:١٢٩– ١٨٠، اتعاظ الحنفا ١:٨٨– ٩٢؛ Dachraoui, F., *op.cit.*; id., *EI*[2] art. *al-Mansûr bi-Llâh* VI, pp. 419-21.

بل وُلِدَ في سنة اثنتين، وقيل سنة إحدى وثلاث مائة. وكان خَطيبًا بَليغًا يَرتَجِل الخُطْبَة لوقته، شُجاعًا عاقِلًا [١].

وقامَ من بعده ابنُه «المُعِزُّ لدين الله أبو تَميم مَعَدّ» وعمره نحو أربعٍ وعشرين سنة، فإنَّه وُلِدَ
٢٥ظ للنصف من رَمَضانَ سنة سبع / عشرة وثلاث مائة، فانقاد إليه البَرْبَرُ وأحسن إليهم، فعَظُم أَمْرُه [٢].

واختصَّ من مواليه بجَوْهَر وكَنَّاه بأبي الحُسَيْن، وأعْلَى قَدْرَه، وصَيَّره في رُتْبَة الوَزارَة، وعَقَدَ له على جَيْشٍ كثيفٍ فيهم الأمير زِيري بن مُناد الصِّنْهاجي؛ فدَوَّخ المغرب وافتتح مُدُنًا وقَهَرَ عِدَّةَ أكابِرَ وأَسَرَهم، حتى أتَى البَحْرَ المحيط فأمَرَ باصْطِيادِ سَمَكَةٍ منه، وسَيَّرَها في قُلَّة من ماءٍ إلى المُعِزّ إشارةً إلى أنَّه ملك حتى سُكَّان البحر المحيط الذي لا عمارة بعده، ثم قَدِمَ غانِمًا مُظَفَّرًا، فعَظُم قدرُه عند المُعِزّ [٣].

ولمَّا كان في بعض الأيام، استدعى المُعِزُّ في يومٍ شاتٍ عِدَّةً من شُيوخ كُتامَة، فدَخَلُوا عليه في مجْلِسٍ قد فُرِش باللُّبود، وحوله كِساءٌ وعليه جُبَّة، وحوله أبوابٌ مفتحة تُفْضي إلى خَزائِن كُتُب، وبين يديه دَواةٌ وكُتُبٌ، فقال:

«يا إخواننا أصبحتُ اليوم في مثل هذا الشِّتاء والبَرْد، فقُلْتُ لأم الأُمَراء - وإنَّها الآن بحيث تَسْمَع كلامي - أَتُرى إخوانَنا يظُنُّون أنَّا في مثل هذا اليوم نأكُلُ ونَشْرَبُ، ونتقلَّبُ في المُثَقَّل والدِّيباج والحَرير والفَنَك والسَّمور والمِسْك والخَمْر والقباء[a] كما يفعل أرْباب الدنيا.

ثم رأيت أن أُنفِذَ إليكم فأَحْضَرْتُكم لتُشاهِدوا حالي إذا خَلَوْت دونكم واحْتَجَبْتُ عنكم، وإنِّي لا أَفْضُلُكم في أحوالِكم إلَّا بما لابُدَّ لي منه من

---

a) في المغرب لابن سعيد واتعاظ الحنفا: الغناء.

---

[١] المقريزي: اتعاظ الحنفا ١:٨٨- ٩٢.

[٢] المعز لدين الله الإمام الفاطمي الرابع والذي انتقلت في عهدة الخلافة الفاطمية من شمال إفريقيا إلى مصر راجع أخباره عند، ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة ٢١- ٣٠؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨:١١٨- ١٥٣؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ١:٩٣- ٢٣٥؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٤:٦٩- ١١٢؛ حسن إبراهيم حسن: المعز لدين الله مؤسس الدولة الفاطمية في مصر، القاهرة ١٩٦٤؛ Dachraoui, F., *EI*² art. *al-Muʿizz li Dīn Allāh* VII, 485-89.

[٣] انظر ترجمة جوهر الصَّقْلَبي فيما يلي ٢٥٦- ٢٦٠.

دُنْياكم، وبما خَصَّني الله به من إمامَتِكم، وإنّي مشغولٌ بكُتُبٍ ترد عليّ من المشرق والمغرب أُجيب عنها بخطي، وإنّي لا أشتغل بشيءٍ من مَلاذِّ الدنيا إلّا بما يَصونُ أرواحَكم، ويُعَمِّر بلادَكم، ويُذِلُّ أعداءَكم، ويقمع أضدادَكم[a]؛ فافْعَلوا يا شُيوخُ في خُلواتكم مثل ما أفعله، ولا تُظْهِروا التكبُّر والتجبُّر، فينزع الله النِّعْمَة عنكم، وينقلها إلى غيركم، وتحَنَّنوا على من وراءَكم ممن لا يصل إليّ كتحنُّني عليكم، ليَتَّصِلَ في النّاس الجَميل، ويكثر الخَيْر، وينتشر العَدْلُ، وأَقْبِلوا بعدها على نِسائِكم، والزمُوا الواحِدة التي تكون لكم، ولا تَشْرَهوا إلى التكثُّر منهن والرَّغْبة فيهن، فيتنغَّص عَيْشُكم، وتعود المَضَرَّةُ عليكم، وتُنْهِكُوا أبْدانَكم، وتذهب قُوَّتُكم وتضعف نَحائِزكم[1]، فحسب الرَّجل الواحِد الواحِدة، ونحن مُحْتاجون إلى نُصْرَتِكم بأبْدانِكم وعُقُولِكم؛ واعْلَموا أنّكم إذا لَزِمْتم ما آمُرُكم به، رَجَوْتُ أن يُقَرِّب الله علينا أمْرَ المَشْرِق كما قَرَّب أمْرَ المَغْرِب بكم، انْهَضُوا رَحِمَكم الله ونَصَرَكُم. فخَرَجوا عنه»[2].

واستدعى يومًا أبا جَعْفَر حسين بن مُهَذَّب صاحِب بَيْت المال - وهو في وَسَط القصر قد جَلَسَ على صَنْدوق، وبين يَدَيْه ألوفُ صناديق مبدَّدة - فقال له: هذه صَناديقُ مالٍ، وقد شَذَّ عنّي ترتيبها فانظرها ورَتِّبها؛ قال: فأَخَذْتُ أجمعها إلى أن صارَت مرتبةً، وبين يديه جماعةٌ من خُدّام بَيْت المال والفَرّاشين، فأنفذت إليه أُعْلمه، فأَمَرَ برفعها في الخَزائِن على ترتيبها، وأن يُغْلَق عليها وتُخْتَم بخاتَمِه، وقال: قد خَرَجَت عن خاتَمِنا وصارَت إليك. فكانت جملتها أربعة وعشرين ألف ألف دينار، وذلك في سنة سبعٍ وخمسين وثلاث مائة، فأَنْفَقَها أَجْمَع على العَساكِر التي سَيَّرَها إلى مصر من سنة ثمانٍ وخمسين إلى سنة اثنتين وستين وثلاث مائة[3].

---

a) الصيغة عند ابن سعيد وفي اتعاظ الحنفا بالماضي: صان، عمر، ذل، قمع.

---

[1] النحائز: جمع نحيزة وهي الطبيعة.

[2] ابن سعيد: النجوم الزاهرة ٣٩-٤٠ (ومصدره كتاب «سيرة الأئمة» لأبي العلاء عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسين بن مهذَّب، وهو مؤلف قيرواني الأصل كانت أسرته قد قدمت مع المُعِزّ إلى مصر، ولا نعرف على التحديد الفترة التي عاش فيها، إلّا أنّه كان موجودًا في زمن الحاكم بأمر الله)؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ١: ٩٥-٩٦.

[3] نفسه ٤١؛ نفسه ٩٦-٩٧.

ولمّا أَخَذَ في تجهيز جَوْهَر بالعساكِر إلى أَخْذِ ديار مصر، حتى تهيَّأ أمره وبَرَزَ للمسير، بَعَثَ المُعِزُّ خَفيفًا الصَّقْلَبي[١] إلى شُيوخ كُتامَة يقول: «يا إخوانَنا قد رأينا أن نُنْفِذ رِجالًا إلى بُلدان كُتامَة يُقيمون بينهم، ويأخُذون صَدَقاتهم ومَراعيهم، ويَحْفُظونها علينا[a] في بلادهم، فإذا احْتَجْنا إليها أنْفَذْنا خلفها فاستعنّا بها على ما نحن بسبيله». فقال بعضُ شيوخهم[٢] لخَفيف لمّا بلغه ذلك: «قُلْ لمولانا: والله لا فَعَلْنا هذا أبدًا، كيف تُؤدّي كُتامَة الجِزْيَة، ويَصير عليها في الدِّيوان ضَريبَةٌ، وقد أَعَزَّها الله قَديمًا بالإسلام، وحَديثًا معكم بالإيمان، وسيوفُنا بطاعَتِكم في المشرق والمغرب؟!

فعادَ خَفيفٌ إلى المُعِزّ بذلك، فأَمَرَ بإحْضار جَماعَة كُتامَة، فدَخَلُوا عليه وهو راكِبٌ فَرَسَه، فقال: ما هذا الجَوابُ الذي صَدَرَ عنكم؟ فقالوا: هذا جوابُ جماعتنا، ما كُنّا يا مولانا بالذي نُؤدّي جِزْيَةً تبقى علينا. فقام المُعِزّ في رِكابِه وقال: بارَكَ الله فيكم، فكهذا أُريد أن تكونوا، وإنّما أردت أن أختبركم فأَنْظُرَ كيف أنتم بعدي[٣].

فسارَ جَوْهَرٌ، وأَخَذَ مصر كما قد ذُكِرَ في ترجمته عند ذِكْر سُور القاهِرَة من هذا الكِتاب[٤].

فلمّا ثَبَتَت قَدَمُ جَوْهَر بمصر، كَتَبَ إليه المُعِزُّ جَوابًا عن كِتابِه:

«وأمّا ما ذَكَرْتَ يا جَوْهَر من أَنَّ جماعَة بني حَمْدان وَصَلَتْ إليك كُتُبُهم يَبْذُلون الطّاعَة، ويَعِدُون بالمسارَعة في المسير إليك، فاسمع لما أَذْكُره لك: احْذَر أن تبتدئ أحدًا من آل حَمْدان بمُكاتَبةٍ تَرْهيبًا له ولا تَرْغيبًا، ومَنْ كَتَبَ إليك كِتابًا منهم فأجبه بالحَسَن الجَميلِ ولا تستدعه إليك، ومن وَرَدَ إليك منهم فأَحْسِن إليه، ولا تمكِّن أحدًا منهم من قِيادَة جَيْش ولا مُلْك طَرَفٍ، فبنو حَمْدان يتظاهرون بثلاثة أشياء عليها مَدار العالم وليس لهم فيها نَصيب: يتظاهَرون بالدِّين وليس لهم فيه نَصيب، ويتظاهَرون بالكَرَم وليس

a) بولاق: عليهم.

[١] خفيف الشَّمّاس الصُّقْلي صاحب الستر.

[٢] هو محمد بن علي بن سلمان شيخ كتامة في وقته، كما عند ابن سعيد.

[٣] ابن سعيد: النجوم الزاهرة ٤: ٤١–٤٢؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ١: ٩٨.

[٤] فيما يلي ٢٥٦–٢٥٨.

لواحِدٍ منهم كَرَمٌ في الله، ويتظاهَرون بالشَّجاعة، وشجاعَتُهم للدنيا لا للآخرة؛ فاحْذَر كلَّ الحذَر من الاسْتِنامة[a] إلى أحَد منهم»[1].

ولمَّا عَزَمَ المُعِزُّ على المسير إلى مصر، أجالَ فِكْرَه فيمن يَخْلُفه في بلاد المغرب، فوَقَعَ اختيارُه على أبي أحمد[b] جَعْفَر بن عليّ الأمير، فاسْتَدْعاه وأسَرَّ إليه أنّه يُريد اسْتِخْلافَه بالمغرب / فقال: «تَتْرُك معي أَحَد أوْلادك أو إخْوَتك يجلس في القصر وأنا أُدَبِّر، ولا تَسْأَلني عن شيء من الأموال لأنَّ ما أَجْبيه يكون بإزاء ما أُنْفِقه من الأمْوال، وإذا أَرَدْتَ أمرًا فَعَلْته من غير أن أنتظر وُرود أمْرك فيه لبُعْد مابين مصر والمغرب، ويكون تَقْليدُ القَضَاء والخَراج وغيره إليّ». فغَضِبَ المُعِزُّ وقال: «يا جَعْفَر عَزَلْتَني عن مُلْكِي، وأردت أن تَجْعل لي فيه شريكًا في أمْري، واسْتَبَدَدْت بالأعْمال والأمْوال دوني. قُم فقد أخْطَأت حَظَّك، وما أَصَبْتَ رُشْدَك»، فخَرَجَ عنه.

ثم إنّه استدعى يُوسُف بن زِيري الصِّنْهاجي وقال له: «تأَهَّب لخِلافَة المغرب». فأَكْبَرَ ذلك وقال: «يا مَوْلانا أنت وآباؤك الأئِمّة من وَلَدِ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم ما صَفَا لكُم المغرب، فكيف يَصْفو لي وأنا صِنْهاجي بَرْبَري؟ قَتَلْتَني يا مولانا بغير سَيْف ولا رُمْح». فما زال به المُعِزُّ حتى أجابَ بشَريطَة أنَّ المُعِزَّ يُوَلِّي القَضَاءَ والخَرَاجَ لمن يراه ويختاره، ويجعَل الخَبَر لمن يَثِق به، ويجعله قائِمًا بين أيْدي هؤلاء، فمن اسْتَعْصَى عليهم يَأْمُره هؤلاء به حتى يَعْمَل به ما يجب، ويكون الأمْرُ لهم، ويَصيرُ كالخادِم بين أولئك؛ فأَحَبَّ المُعِزُّ ما قال وشَكَرَه.

فلمَّا انْصَرَف قال أبو طالِب بن القائِم بأمْر الله للمُعِزّ: «يا مَوْلانا، وتَثِق بهذا القَوْل من يُوسُف، وأنّه يقوم بوَفَاء ما ذَكَر؟» فقال المُعِزُّ: «يا عَمَّنا، كم بين قَوْل يوسُف وقَوْل جَعْفَر، فاعْلَم يا عَمُّ أنَّ الأمْرَ الذي طَلَبَه جَعْفَر ابتداءً هو آخر ما يَصير إليه أمْر يوسُف، وإذا تطاوَلَت المُدّة سينفرد بالأمْر، ولكن هذا أوَّلًا أَحْسَن وأجْوَد عند ذوي العَقْل، وهو نِهاية ما يفعله [من يترك دياره][c]»[2].

وكانت أُمُّ الأُمَراء قد وَجَّهَت من المغرب صَبِيَّةً لتُباع بمصر، فعَرَضَها وكيلُها في مصر للبَيْع، وطَلَب فيها ألف دينار. فحَضَرَ إليه في بعض الأيّام امرأةٌ شابّةٌ على حِمارٍ لتقلّب الصَّبِيّة، فساوَمَته

a) بولاق: الاستناد. b) أبي أحمد ساقطة من بولاق. c) زيادة من ابن سعيد واتعاظ الحنفا.

[1] ابن سعيد: النجوم الزاهرة ٤٣ (ومصدره أيضًا ابن مهذب الذي بدأ الخبر بقوله: «وجدت في خزانة الخاصّة كتابًا من المعِزّ إلى عبده جوهر، وهو بمصر والشّام، كان في فصل منه»)؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ١: ٩٨.

[2] نفسه ٤٤-٤٥ (عن ابن مهذب)؛ نفسه ١: ٩٩-١٠٠.

فيها وابْتاعَتْها منه بستّ مائة دينار ، فإذا هي ابْنَة الإخْشيد محمد بن طُغْج ، وقد بَلَغَها خَبَرُ هذه الصَّبِيَّة ، فلمَّا رأتها شَغَفَتْها حُبًّا فاشترتها لتَسْتَمْتِع بها [١]. فعادَ الوكيلُ إلى المغرب وحَدَّث المُعِزَّ بذلك فأَحْضَر الشُّيوخ ، وأَمَر الوَكيلَ فقَصَّ عليهم خَبَر ابنة الإخْشيد مع الصَّبِيَّة إلى آخره ، فقال المُعِزُّ : «يا إخْواننا انْهَضُوا إلى مصر ، فلن يَحُول بينكم وبينها شَيءٌ ، فإنَّ القَوْمَ قد بَلَغَ بهم التَّرَفُ إلى أن صارَت امرأةٌ من بنات الملوك فيهم تَخْرُج بنفسِها وتَشْتَري جاريةً لتتمتَّع بها ، وما هذا إلَّا من ضَعْف نُفُوس رجالِهم وذَهاب غَيْرَتهم ، فانْهَضُوا لمسيرنا إليهم» . فقالوا : «السَّمْع والطَّاعَة» . فقال : خُذوا في حَوائِجكم ، فنحن نقدِّم الاختيار لمسيرنا إن شاءَ الله» [٢].

وكان قَيْصَرُ ومُظَفَّر الصَّقْلَبِيَّان قد بَلَغا رُتْبَةً عَظيمَةً عند المنصور والد المُعِزّ ، وكان المُظَفَّرُ يدلّ على المُعِزّ من أجل أنَّه عَلَّمَه الخَطّ في صغره ، فحَرَدَ عليه مَرَّة وولّى ، فسمعه المُعِزُّ يتكلَّم بكلمة صَقْلَبِيَّة استراب منها ، ولَقَّنَها منه وأَنِفَت نفسه من السؤال عن معناها . فأَخَذَ يَحْفَظ اللُّغات : فابتدأ بتعلُّم اللغة البَرْبَرِيَّة حتى أَحْكَمَها : ثم تعلَّم الرُّومية والسُّودانية حتى أَتْقَنَهما ، ثم أَخَذَ يتَعَلَّم الصَّقْلَبِيَّة ، فمرَّت به تلك الكلمة ، فإذا هي سَبٌّ قَبيحٌ ، فأَمَرَ بمُظَفَّر فقُتِلَ من أجل تلك الكلمة [٣].

وبَلَغَه [– وهو بالمغرب –][a] أمرُ الحَرْب التي كانت بين بني حَسَن وبني جَعْفَر بالحِجاز ، حتى قُتِلَ من بني حَسَن أكثرُ ممَّن قُتِلَ من بني جَعْفَر ، فأَنْفَذَ مالًا ورجالًا في السِّرّ ما زالوا بالطائفتين حتى اصْطَلَحَا ، و تحمَّل الرجالُ عن كلٍّ منهما الحمالات ، فجاءَ الفاضِلُ في القَتْلى لبني حسن عند بني جَعْفَر نحو سبعين قَتيلًا ، فأدَّوْا عنهم ، وعَقَدُوا بينهم الصُّلْح في الحَرَم تجاه الكَعْبَة ، وتحمَّلوا عنهم الدِّيَات من مال المُعِزّ ، وكان ذلك في سنة ثمانٍ وأربعين وثلاث مائة .

فصارَت هذه الفَعْلَةُ يدًا عند بني حَسَن للمُعِزّ ، فلمَّا مَلَكَ جَوْهَرٌ مصر ، بادَرَ حسن بن جَعْفَر الحَسَني بالدُّعاء للمُعِزّ في مَكَّة ، وبَعَثَ إلى جَوْهَر بالخَبَر ، فسيَّر إلى المُعِزّ يُعَرِّفه بإقامة الدَّعْوَة له بمَكَّة ، فأَنْفَذَ إليه بتَقْليده الحَرَم وأعمالَه [٤].

---

a) إضافة من اتعاظ الحنفا .

---

[١] المقريزي : اتعاظ الحنفا ١ : ١٠٠.

[٢] نفسه ١ : ١٠٠.

[٣] نفسه ١ : ١٠١.

[٤] نفسه ١ : ١٠١.

وسارَ المُعِزُّ بعساكِره من المغرب حتى نَزَل بالجيزَة، فعَقَدَ له جَوْهَر جِسْرًا جديدًا عند المُخْتار بالجَزيرَة[a]، فسَارَ عليه، وقد زُيِّنَت له مَدينَةُ الفُسْطاط فلم يَشُقَّها، ودَخَل إلى القاهِرَة بجَميع أوْلاده وإخْوته وسائِر أوْلاد عُبَيْد الله المَهْدي وبتَوابيت آبائِه[١]، وذلك لسَبْعٍ خَلَوْن من رَمَضان سنة اثنتين وستين وثلاث مائة[٢]. فعندما دَخَلَ القصر صَلَّى ركعتين، فاقْتَدَى به من حَضَر، وباتَ به، ثم أَصْبَحَ فجَلَس للهَناء، وأَمَرَ فكُتِبَ في سائِر مَدينَة مصر «خَيْرُ النَّاسِ بعد رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم أَميرُ المُؤْمنين عليُّ بن أبي طالِب»، وأُثْبِت اسْم المُعِزّ لدين الله واسم ابنه[b] عبد الله الأمير[٣]، وجَلَسَ في القصر على السَّريرالذَّهَب، وصَلَّى بالنَّاسِ صَلاةَ عيد الفِطْر في المُصَلَّى، فسَبَّح في كلِّ رَكْعَة وفي كلِّ سَجْدَة ثلاثين تسبيحة، ثم خَطَبَ بعد الصَّلاة. ورَكِبَ لفَتْح خَليج مصر يوم الوَفاء، وعمل عيد غَدير خُمّ، وماتَ بعضُ بني عَمِّه فصَلَّى عليه وكَبَّرَ سَبْعًا، وكَبَّرَ على مَيِّتٍ آخر خَمْسًا. وقَدِمَت القَرامِطَةُ إلى مصر، فسَيَّر إليهم الجُيُوش وهَزَموهم[٤].

وما زالَ إلى أن تُوفِّي من عِلَّةٍ اعْتَلَّها بعد دُخُوله إلى القاهِرَة بسنتين وسبعة أشهر وعشرة أيَّام، وعمره خمس وأربعون سنة وستة أشهر تقريبًا؛ فإنَّ مَوْلِدَه بالمَهْدِيَّة في حادي عشر شهر رَمَضان سنة تسع عشرة وثلاث مائة، ووَفاتُه بالقاهِرَة لأربعَ عشرة خَلَت من رَبيع / الآخر سنة خمسٍ

---

a) في الاتعاظ: عقد جوهر جسر الجزيرة، وعقد جسرًا آخر عند المختار بالجزيرة. b) بولاق: أبيه.

---

[١] فيما يلي ٣٥١.

[٢] عن تاريخ الدولة الفاطمية في مصر راجع، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب، القاهرة ١٩٥٨؛ عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، الإسكندرية ١٩٦٨، القاهرة ١٩٩٢؛ محمد جمال الدين سرور: الدولة الفاطمية في مصر سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها، القاهرة ١٩٧٠، ١٩٩٥؛ Lewis, B., «An Interpretation of Fatimid History», *CIHC*, pp. 437-50; *Fatimides* II, pp. 871-82؛ وأحدث الدراسات ما كتبه كاتب هذه السطور أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر – تفسير جديد، القاهرة ٢٠٠٠. وكذلك Canard, M., *EI²* art. *Fatimides* II, pp. 870-82.

[٣] الأمير عبد الله هو الابن الأوسط للمعز الذي عينه المعز وهو مازال بإفريقية لولاية عهده، متخطِّيًا بذلك ابنه الأكبر تميم – صاحب الحق الشرعي تبعًا للعقيدة الإسماعيلية – لأنه كان يحيا حياةً عابثة بعيدة عمَّا يجب أن يتحلَّى به من يُرَشَّح لإمامة المؤمنين، ولكنه توفِّي فجأة في حياة أبيه سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م. وبدلًا من أن يُعَيِّن المعز لولاية عهده حفيده ابن عبد الله تبعًا للعقيدة الإسماعيلية التي تنص على أن الإمامة لا تنتقل من أخٍ إلى أخيه وإنما تكون في الأعقاب، عَيَّن المعز ابنه الثالث نِزار لولاية عهده وهو الذي خلفه باسم «العزيز بالله» (راجع مناقشة ذلك عند، أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ١٥٦-١٥٧).

[٤] ابن ميسر: أخبار مصر ١٥٩-١٦٢.

وستين وثلاث مائة ، وكانت مُدَّةُ خِلافَته بالمغرب وديار مصر ثلاثًا وعشرين سنة وعشرة أيام . وهو أوَّلُ الخُلَفاء الفاطِميين بمصر وإليه تُنْسَبُ القاهِرَة المُعِزِّيَّة ؛ لأنَّ عَبْدَه جَوْهَرًا القائِد بَناها حَسَب ما رَسَمَ له كما ذُكِرَ في خَبَرِ بنائِها [1] .

وكان المُعِزُّ عالِمًا فاضِلًا جَوادًا حَسَن السيرة ، مُنْصِفًا للرعية ، مُغْرَمًا بالنُّجوم ، أُقِيمَت له الدَّعْوَةُ بالمغرب كلّه وديار مصر والشَّام والحَرَمينْ وبعض أعمال العراق .

وقامَ من بعده ابنُه «العَـزيزُ بالله أبو مَنْصور نِزار» ، فأقامَ في الخِلافَة إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفًا ، وماتَ وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانية أشهر وأربعة عشر يومًا ، في الثامن والعشرين مِن رَجَب سنة ستٍّ وثمانين وثلاث مائة ، بمَدينَة بِلْبَيْس وحُمِلَ إلى القاهِرَة .

وقامَ من بعده ابنُه «الحـاكِمُ بأمْر الله أبو عليّ المنصور» ، وكانت مُدَّةُ خِلافَته إلى أن فُقِدَ خمسًا وعشرين سنةً وشهرًا ، وفُقِدَ وعمره ستٌّ وثلاثون سنة وسبعة أشهر في ليلة السابع والعشرين من شَوَّال سنة إحدى عشرة وأربع مائة . وقد بَسَطْتُ خَبَرَ العَزيز والحاكِم عند ذِكْر الجَوامِع من هذا الكتاب [2] .

وقامَ من بعده ابنُه «الظَّـاهِرُ لإعْزاز دين الله أبو الحَسَن عليٌّ» بن الحاكِم بأمر الله . وُلِدَ بالقاهِرَة يوم الأربعاء لعشرٍ خَلَوْن من رَمَضان سنة خمسٍ وتسعين وثلاث مائة ، وبُويعَ له بالخِلافَة يوم عيد النَّحر سنة إحدى عشرة وأربع مائة وعمره ستّ عشرة سنة [3] . فخَرَجَ إلى صَلاةِ العيد وعلى رَأسه المِظَلَّة وحوله العساكِر ، وصَلّى بالنَّاس في المُصَلَّى ، وعادَ فكَتَب بخِلافَته إلى الأعمال [4] .

وشَرِبَ الخَمْر ورَخَّصَ فيه للنَّاس ، وفي سَماعِ الغِناء وشُرْب الفُقّاع ، وأكْل الملوخيا وجَميع الأسْماك ، فأقبل النَّاسُ على اللَّهْو [5] .

---

[1] فيما يلي ٢١٢- ٢٢٢.

[2] انظر ترجمة العزيز بالله والحاكم بأمر الله مفصَّلة فيما يلي ٢:٢٨٤- ٢٨٩.

[3] الظاهر لإعزاز دين الله الإمام الفاطمي الرابع في مصر ، وأهم مصادر ترجمته كتاب «أخبار مصر» للمسبّحي الذي عاصره وكان يحضر مجالسه ، والجزء الأربعون من كتابه الذي وَصَل إلينا مليء بالأخبار عن الظاهر في سنتي ٤١٤ و٤١٥هـ وانظر كذلك ، ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ٦٣- ٦٦؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣:٤٠٧- ٤٠٨؛ النويري : نهاية الأرب ٢٨:١٩٦- ٢٠٩؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٢٢:٢٣٧- ٢٣٩؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢:١٢٤- ١٨٣؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٤:٢٤٧- ٢٨٣.

[4] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢: ١٢٤.

[5] نفسه ٢: ١٢٩، وذلك في سنة ثمان عشرة وأربع مائة .

ووَزَرَ له الخَطيرُ رَئِيسُ الرُّؤساء أبو الحَسَن عَمّار بن محمد، وكان يلي ديوان الإنْشاء وغيره، واسْتَوْزَرَه الحاكِمُ إلى أن فُقِدَ، فتولَّى البَيْعَة للظَّاهِر، ثم قُتِلَ بعد سبعة أشهر في رَبيع الأوَّل سنة اثنتي عشرة. فاسْتَوْزَرَ بعده بَدْر الدَّولَة أبا الفُتوح مُوسَىٰ بن الحسين، وكان يتولَّى الشُّرْطَة، ثم وَلِيَ ديوان الإنْشَاء بعد ابن خَيْران، وصُرِفَ عن الوَزارَة في المُحَرَّم سنة ثلاث عشرة، وقُبِضَ عليه في شَوَّال وقُتِلَ، فوُجِدَ له من العَيْنِ ستّ مائة ألف دينار وعشرون ألف دينار[١]. ووَلِيَ بعده الوَزارَة الأميرُ شَمْسُ المُلوك المكين مَسْعود بن طاهِر[٢].

وفي سنة أربع عشرة قَلَّد مُنْتَخَب الدولة الدِّذْبِري متولِّي قَيْساريَّة ولاية فِلَسْطين[٣]، فكانت له مع حَسّان بن مُفَرِّج بن جَرّاح الطائي حروبٌ.

وفيها نَزَعَ السِّعْرُ بمصر، وتَعَذَّر وُجودُ الخُبْز.

وفي المحرَّم سنة خمس عشرة لَقَّبَ الخادِمَ الأسود مِعْضاد، بالقائِد عِزّ الدَّوْلة وسَنائِها أبي الفوارس مِعْضاد الظَّاهِري، وخَلَعَ عليه[٤].

وثارَ رَجُلٌ من بني الحُسَيْنِ ببلاد الصَّعيد فقُبِضَ عليه، وأقَرَّ أنَّه قَتَلَ الحاكِم بأمر الله، ووُجِدَ معه قطعةٌ من جِلْد رأسه وقطعةٌ من الفوطة التي كانت عليه، فسُئِلَ عن سبب قَتْلِه إيَّاه، فقال: غِرْتُ لله وللإسلام. ثم قَتَلَ نفسه بسكينٍ كانت معه، فقُطِعَت رأسه وسُيِّرَت إلى القاهِرَة[٥].

وفيها اشتدَّ الغَلاءُ بمصر، وكَثُرَ نَقْصُ النِّيل[٦].

---

[١] المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ١٢٨- ١٢٩.

[٢] نفسه ٢: ١٣٢.

[٣] أمير الجيوش منتخب الدولة أنوشتكين الدِّذْبِري متولي حماية فلسطين وحرب الرَّمْلَة المتوفى سنة ٤٣٣هـ/ ١٠٤٢م (راجع عنه، مقال جاستون ڤييت Wiet, G., «Un Proconsul fatimide de Syrie: Anushtakîn Dizbiri (m. en 433/ 1042)», *MUSJ* 46 (1970), pp. 383-407).

[٤] أَوْرَدَ المُسَبِّحي نَصَّ سِجِلّ تلقيب القائد أبي الفوارس مِعْضاد الخادم الأسود بـ «القائد عِزّ الدولة وسنائها أبي الفَوارس معضاد الظاهري»، وهو مؤرخ في صفر سنة خمس عشرة وخمس مائة وقرئ على الناس في صحن الإيوان بالقصر الفاطمي يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة ٤١٥هـ. (المسبحي: أخبار مصر ٢٤-٢٧ وقارن المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ١٣٩).

[٥] المسبحي: أخبار مصر ٢٧- ٢٨؛ المقريزي: اتعاظ ٢: ١٤٠ وفيما يلي ٢: ٢٨٩.

[٦] نفسه ٣٢؛ نفسه ٢: ١٤٢، وانظر عن أزمة الحنطة في عهد الخليفة الظاهر بأمر الله دراسة تياري بيانكي المعتمدة على ما أورده المسبحي Bianquis, Th., «Une crise frumentaire dans l'Égypte fatimide», *JESHO* XXIII (1980), pp. 67-101.

وفيها قَرَّر الشَّريفُ الكبير العَجَمي والشَّيْخُ نَجيب الدَّوْلَة الجَرْجَرائي والشَّيْخُ العَميد مُحْسن بن بَدُوس مع القائِد مِعْضاد ، ألَّا يَدْخُل على الظَّاهِر أحَدٌ غيرهم ، وكانوا يدخلون كلَّ يوم خُلْوَةً ، ويخرجون فيتصرَّفون في سائِر أمور الدولة والظَّاهِرُ مشغولٌ بلذَّاته . وصارَ شَمْسُ الملوك مُظَفَّر صاحِبَ المِظَلَّة ، وابنُ خَيْران صاحِبَ الإنْشاء ، وداعي الدُّعاة ، ونَقيب نُقَباء الطَّالبيين ، وقاضي القُضَاة ، رُبَّما دَخلوا على الظَّاهِر في كلِّ عشرين يومًا مَرَّة ، ومن عَداهم لا يصل إلى الظَّاهِر[a] ألبتَّة . والثَّلاثَة الأُوَل هم الذين يَقْضُون الأشْغال ، ويُمْضون الأُمُور بعد الاجْتِماع عند القائِد مِعْضَاد[١] .

ومُنِعَ النَّاسُ من ذَبْح الأَبْقار لقِلَّتها ، وعَزَّت الأقْواتُ بمصر ، وقَلَّت البهائِمُ كلّها حتى بيع الرأسُ البَقَر بخمسين دينارًا[٢] .

وكَثُرَ الخَوْفُ في ظواهِر البَلَد ، وكَثُرَ اضْطِراب النَّاس ، وتَحَدَّث زُعماءُ الدولة بمُصادَرَة التُّجَّار ، فاختلف بعضُهم على بعض ، وكَثُرَ ضَجيجُ طَوائِف العَسْكر من الفَقْر والحاجَة فلم يُجابوا ، وتحاسَد زُعماءُ الدولة ، فقُبِضَ على العَميد مُحْسن وضُرِبَ عُنُقُه[٣] .

واشتدَّ الغَلاءُ ، وفَشَت الأَمْراضُ ، وكَثُرَ الموتُ في النَّاس ، وفُقِدَ الحيوانُ فلم يُقْدَر على دَجاجَة ولا فَرُّوج ، وعَزَّ الماءُ لقلَّة الظَّهْرِ . فعمَّ البلاءُ من كلِّ جِهَة ، وعَرَضَ النَّاسُ أَمْتِعَتَهم للبَيْع فلم يُوجَد من يَشْتَريها[٤] .

وخَرَج الحاجُّ ، فقُطِعَ عليهم الطريق بعد رَحيلهم من بِرْكَة الجُبّ ، وأُخِذَت أموالُهم ، وقُتِلَ منهم كثير ، وعادَ من بَقِيَ ، فلم يحجّ أَحَدٌ من أهل مصر[٥] .

وتفاقَم الأَمْرُ في شِدَّة الغَلاء فصاحَ الناسُ بالظَّاهِر : الجُوع ، الجُوع يا أَمير المؤمنين ، لم يَصْنَع بنا هذا أبوك ولا جَدّك ، فالله الله في أَمْرنا[٦] .

وطَرَقَت عَساكِرُ ابن جَرَّاح الفَرَمَا ، ففرَّ أهلُها إلى القاهِرَة[٧] .

---

a) بولاق : القاهرة .

---

[١] المسبحي : أخبار مصر ٤٥–٤٦؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ١٤٨ .

[٢] نفسه ٤٦؛ نفسه ٢ : ١٤٩–١٥٠ .

[٣] نفسه ٥٩؛ نفسه ٢ : ١٥٧–١٥٨ .

[٤] نفسه ٦٩؛ نفسه ٢ : ١٦٢ .

[٥] نفسه ٦٩؛ نفسه ٢ : ١٦٢ .

[٦] نفسه ٧٣؛ نفسه ٢ : ١٦٤ .

[٧] نفسه ٧٦؛ نفسه ٢ : ١٦٦ .

وأَصْبَحَ النَّاسُ بمصر على أَقْبَح حالٍ من الأمْراض والمَوْتان وشِدَّة الغَلاء وعَدَم الأقْوات، وكَثُرَ الخَوْفُ من الذُّعّار التي تَكْبِس البيوت[a]، حتى إنَّه لمَّا عُمِل سِماطُ عيد النَّحْر بالقصر، كَبَسَ العبيدُ على السِّماط وهم يصيحون: الجُوع، ونَهَبوا سائِرَ ما كان عليه [1].

/ ونُهِبَت الأَرْياف، وكَثُرَ طَمَعُ العَبيد ونَهْبهم، وجَرَت أمورٌ من العامَّة قَبيحَة.

واحتاج الظَّاهِرُ إلى القَرْض، فحَمَلَ بعضُ أَهْل الدولة إليه مالًا، وامتنع آخرون.

واجْتَمَعَ نحو الألف عَبْد ليَنْهبوا[b] البلد من الجُوع، فنُودي بأنَّ من تعرَّض له أحَدٌ من العَبيد فليَقْتُله، ونُدِبَ جماعَةٌ لحِفْظ البلد، واستعدَّ النَّاسُ، فكانت نَهْباتٌ بالسَّاحِل، ووقائِعُ مع العَبيد احتاج النَّاسُ فيها إلى أن خَنْدَقوا عليهم خَنادِق، وعَمِلوا الدُّروب على الأزِقَّة والشَّوارع. وخَرَجَ مِعْضادٌ في عَسْكَرٍ فطَرَدَهم، وقَبَضَ على جَماعَةٍ منهم ضَرَبَ أعناقَهم، وأخَذَ العَبيدُ في طَلَب الجَرْجَرائي وغيره من وجوه الدولة، فحَرَسُوا أنفسهم وامتنعوا في دورهم. وانْقَضَت السَّنَة والنَّاسُ في أنواع من البَلاء [2].

وفي سنة ستّ عشرة، أَمَرَ الظَّاهِرُ فأُخْرِجَ مَنْ بمصر من الفُقَهاء المالِكية وغيرهم، وأَمَرَ الدُّعاة أن يُحَفِّظوا النَّاسَ كِتاب «دَعائِم الإسْلام» و «مُخْتَصَر» الوَزير، وجَعَلَ لمن حَفِظَ ذلك مالًا [3].

وفي سنة سبع عشرة، ثارَ بمصر رُعافٌ عَظيمٌ بالنَّاس، وكَثُرَت زِيادَةُ النِّيل عن العَادة، وتَصَدَّق الظَّاهِرُ بمائة ألف دينار من أجْل أنَّه سَقَطَ عن فَرَسِه وسَلِم [4].

وفي سنة ثمان عشرة، وُقِّعَت الهُدْنَة مع صاحِب الرُّوم، وخُطِب للظَّاهِر في بلاده، وأعادَ الجامِعَ بقُسْطنطينيَّة وعَمِلَ فيه مُؤذِّنًا، فأعادَ الظَّاهرُ كَنِيسَةَ قُمامَة بالقُدْس، وأَذِن لمن أظهر الإسْلام في أيَّام الحاكِم أن يعودَ إلى النَّصْرانية، فرَجَع إليها كثيرٌ منهم [5].

وصَرَفَ الظَّاهِرُ وزيرَه عميدَ الدَّوْلَة وناصِحَها أبا محمد الحَسَن بن صالِح الرُّوذْباري، وأقامَ بَدَلَه أبا القاسِم عليّ بن أحمد الجَرْجَرائي [6].

---

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: لتنهب.

---

[1] المسبحي: أخبار ٧٤؛ ٨١- ٨٢؛ المقريزي: اتعاظ ٢: ١٦٥، ١٦٧.

[2] نفسه ٨٧؛ نفسه ٢: ١٦٩.

[3] المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ١٧٥، ونشر آصف علي أصغر فيظي كتاب «دعائم الإسلام» للقاضي النعمان بن حَيُّون في القاهرة سنة ١٩٥٢ في جزأين، أما كتاب الوزير ابن كِلِّس فهو كتاب في الفقه يُعْرَف كذلك بمُصَنَّف الوزير.

[4] نفسه ٢: ١٧٥.

[5] نفسه ٢: ١٧٦.

[6] نفسه ٢: ١٧٦.

وفي سنة عشرين كانت فِتْنَةٌ بين المَغَاربَة والأَتْراك قُتِلَ فيها كثيرٌ [١].

وفي سنة إحدى وعشرين، بُويع لابن الظَّاهِر بولاية العَهْد وعمره ثمانية أشهر، وأَنْفَقَ على ذلك في خِلَع لأَهْل الدولة وطَعام ونُثار للعامَّة ما يجلّ وصفه [٢].

وفي سنة اثنتين وعشرين، تحرّك السِّعْر لنَقْص ماء النِّيل، ثم زادَ بعد أوانِه بأربعة أشهر [٣].

وفي سنة ثلاثٍ وعشرين، قَتَلَ الظَّاهِرُ أحَدَ الدُّعاةَ، فاضْطَرَبت الرَّعيةُ والجُنْدُ، وتحدَّث الدُّعاةُ[a] بخَلْعِه، ثم سَكَنَت الفِتْنةُ بعد إنْفاق مالٍ جَزيل [٤].

وفي سنة أربعٍ وعشرين، رَكِبَ وَلِيُّ العَهْد من القاهِرَة إلى مصر وقد زُيِّنَتِ الطُّرُقات، فكان إذا مَرَّ بقومٍ قَبَّلوا له الأرض، ونُثِرَ يومئذٍ على العامَّة مَبْلغ خمسة آلاف دينار. فكان يومًا عظيمًا [٥].

وفي سنة خمس وعشرين، بَثَّ الظَّاهِرُ دُعاتَه بِبَغْداد عند اخْتِلاف الأَتْراك بها، فكَثُرَت دُعاتُه هناك، واسْتَجابَ لهم خَلْقٌ كثيرٌ [٦].

فلمَّا كان في سنة ستٍّ وعشرين، كَثُرَ الوَباءُ بمصر [٧].

وماتَ الظَّاهِرُ للنصف من شَعْبان سنة سبعٍ وعشرين وأربع مائة عن اثنتين وثلاثين سنة إلَّا أيامًا، فكانت مُدَّةُ خِلافَته خمس عشر سنة وثمانية أشهر وأيامًا. وكان مَشْغوفًا باللَّهْو مُحِبًّا للغناء، فتأنَّق النَّاسُ في أيَّامه بمصر، واتَّخذوا المغَنِّيات والرَّقَّاصات، وبَلَغُوا من ذلك مبلغًا عَجيبًا[b]. واتَّخَذ حُجَرًا لمماليكه، وعَلَّمهم أنْواعَ العُلوم وسائِر فُنون الحَرْب، واتَّخَذَ خِزانَة البُنود وأقامَ فيها ثلاثة آلاف صانِع، وراسَل الملوك، واستكثر من شِرَاء الجَواهِر، وكانت مَمْلَكَتُه بإفريقية ومصر والشَّام والحِجاز.

وغَلَبَ صالِحُ بن مِرْداس على حَلَب في أيَّامه واستولَى على ما يليها، وتغلَّب حَسَّانُ بن جَرَّاح على أكثر بلاد الشَّام، فتَضَعْضَعَت الدولة.

---

a) بولاق: الناس. b) بولاق: عظيما.

---

[١] المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ١٧٧.

[٢] نفسه ٢: ١٧٩.

[٣] نفسه ٢: ١٨٠.

[٤] نفسه ٢: ١٨٠.

[٥] نفسه ٢: ١٨١.

[٦] نفسه ٢: ١٨١.

[٧] نفسه ٢: ١٨٢.

وقامَ من بعده ابنُه وَليُّ العَهْد وبُويعَ له، وهو «المُسْتَنْصِرُ بالله أبو تَميم مَعَدّ»، ومولده في السّادِس عشر من جُمَادَى الآخِرة سنة عشرين وأربع مائة، وبُويعَ للخِلافَة للنصف من شَعْبان سنة سبعٍ وعشرين، وعمره يومئذٍ سبع سنين، فأقامَ ستين سنة وأشهرًا في الخِلافَة، كانت فيها أنْبَاءٌ وقِصَصٌ شَنيعَةٌ بديار مصر[1].

منها أنَّ أُمَّه كانت أَمَةً سَوْدَاء لتاجِرٍ يهودي يُقالُ له أبو سَعْد سَهْل بن هارون التُّسْتَرِي، فابتاعَها منه الظَّاهِرُ، واسْتَوْلَدَها المُسْتَنْصِر. فلمَّا أفْضَت الخِلافَةُ إليه استَدْنَت أُمُّه أبا سَعْد ورَقَّته درَجَةً عَلِيَّة. وكان الوَزيرُ يومئذٍ أبا القاسِم الجَرْجَرائي، فلم يتمكَّن أبو سَعْد من إظْهار ما في نفسه حتى ماتَ الجَرْجَرائي[2].

وتولَّى أبو مَنْصور صَدَقَةُ بن يُوسُف الفَلاحِي الوَزارَة، فانْبَسَطَت يدُ أبي سَعْد، وصارَ الفَلاحِيُّ يأْتَمِر بأَمْره، فعَمِلَ عليه وقَتَلَه كما ذُكِرَ في خَبَر خِزانَة البُنُود، فحَقَدَت أمُّ المُسْتَنْصِر على الفَلاحِي وصَرَفَتْه عن الوَزارَة، واستقرَّ أبو البركات صَفِيُّ الدين الحُسَيْنُ بن محمد بن أحمد الجَرْجَرائي في الوَزارَة[3].

وفي سنة أربعين صارَ ناصِرُ الدولة الحُسَيْنُ بنِ حَمْدان، مُتَوَلِّي دِمَشْق، بالعَساكِر إلى حَلَب، وحارَب مُتَوَلِّيها ثِمال بن صالِح بن مِرْداسٍ، ثم رَجَعَ بغير طائِلٍ. فقلَّد مُظَفَّرًا الصَّقْلَبي دِمَشْق، وقَبَضَ على ابن حَمْدان وصادَرَه، واعتقله بصُور ثم بالرَّمْلَة[4].

---

[1] المستنصر بالله أبو تميم مَعَدّ بن الظاهِر لإعزاز دين الله، خامس الخلفاء الفاطميين في مصر وثامنهم من المهدي (راجع عنه) ابن ميسر: أخبار مصر ٣- ٥٩؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥:٢٢٩- ٢٣١؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨:٢٠٩- ٢٤٣؛ ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة ٦٧- ٨١؛ ابن أيبك: كنز الدرر وجامع الغرر ٦:٣٤٢- ٤٤٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٥:١٨٦- ١٩٦؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢:١٨٤- ٣٣٤؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٥:١- ٢٣، ٢٤- ١٤١؛ عماد الدين إدريس: عيون الأخبار ٧:١- ١٨٦؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١:٢١٥- ٢٢٠؛ عبد المنعم ماجد: الإمام المستنصر بالله الفاطمي، القاهرة ١٩٦١؛ أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ١٨٧- ٢٢٠؛ Gibb, H. A. R. & Kraus, P., *EI*² art. *al-Mustansir billâh* VII, pp. 730-33.

[2] ابن ميسر: أخبار مصر ٣؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢:١٩٥، وانظر Fischel, W. I., *Jewis in the Economic and Political Life of Mediaeval Islam*, pp. 78-89؛ وفيما يلي ١: ٤٢٤.

[3] نفسه ٤- ٥؛ نفسه ٢:١٩٥- ١٩٦؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٢١٦؛ وانظر فيما يلي ٣٩٨- ٣٩٩.

[4] نفسه ٦- ٧؛ نفسه ٢: ٢٠١.

وخَرَجَ أميرُ الأُمَرَاء رِفْقٌ الخادِم[1] على عَسْكَرٍ تبلغ عِدَّتُه نحو الثلاثين ألفًا ، بَلَغَت النَّفَقَة عليه أربع مائة ألف دينار ، يُريد الشَّام ومُحارَبَة بني مِرْداس[2].

وفي المحرَّم سنة إحدى وأربعين ، صُرِفَ قاضي القُضَاة قاسِم بن عبد العزيز بن النُّعْمان عن القَضَاء بعد ما باشَرَه ثلاث عشرة سنة وشهرًا وأربعة أيام ، وتَقَلَّد وَظيفَة القَضَاء بعده القاضي الأَجَلُّ خَطيرُ المُلْك أبو محمد اليازُوري[3].

وفيها / حارَب رِفْقٌ بني مِرْداس ، فظَفِرُوا به وأَسَروه فماتَ بقَلْعَة حَلَب ، فأُفْرِج عن ابن حَمْدان وبقي بالحَضْرَة[4]. وقُبِضَ على الوَزير أبي البركات الجَرْجَرائي ونُفِيَ إلى الشَّام . وعُمِلَ أبو الفَضْل صاعِد بن مَسْعود وَاسِطَةً لا وَزيرًا[5]. ثم قُلِّدَ قاضي القضاة أبو محمد اليازُوري الوَزارَة مع وَظيفَة القَضَاء ، ولُقِّب بـ «سَيِّد الوُزَرَاء»[6]. ٣٥

وفي سنة اثنتين وأربعين ، كانت حُروبُ البُحَيْرَة ، وإخْراج بني قُرَّة منها ، وإنْزال بني سِنْبِس بعدهم بهم[7]. وفيها دَعا عليٌّ بن محمدَ الصُّلَيْحي باليَمَن للمُسْتَنْصِر ، وبَعَثَ إليه بمالِ النَّجْوَىٰ والهُدْنَة[a][8].

---

a) بولاق : النجوة والهدن .

---

[1] أمير الأمراء المُظَفَّر فَخر المُلْك عُدَّة الدولة وعمادها رِفْق الخادم الأَسْوَد ، المتوفى سنة ٤٤١هـ/ ١٠٤٩م ، زمام الأتراك ومتولِّي القصر في عهد الظاهر وعهد المستنصر . (راجع ، ابن الصيرفي : الإشارة إلى من نال الوزارة ٧٤؛ ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ٨٥؛ ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة ٢/٣: ١٧٠؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١٤: ١٣٨؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢: ١٩٩، ٢٠٩) .

[2] ابن ميسر : أخبار مصر ٧- ٨؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢: ٢٠٢.

[3] نفسه ٩؛ نفسه ٢: ٢٠٨.

[4] نفسه ١٠؛ نفسه ٢: ٢٠٩.

[5] نفسه ١٠؛ نفسه ٢: ٢٠٩، واسمه عميد الملك زَيْن الكُفَاة أبو الفَضْل صاعِد بن مسعود ، راجع عنه ، ابن الصيرفي : الإشارة إلى من نال الوزارة ٧٣؛ ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ٧٨.

[6] نفسه ١١، نفسه ٢: ٢١٢ وفيهما أن ذلك كان سنة ٤٤٢هـ .

[7] نفسه ١٢، نفسه ٢: ٢١٨ وفيهما أن ذلك كان سنة ٤٤٣هـ .

[8] عن أخبار الداعي عليّ بن محمد الصُّليحي وبداية الدعوة الفاطمية في اليمن ، راجع عماد الدين إدريس : عيون الأخبار المجلد السابع ؛ حسين بن فيض الله الهمداني : الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ، القاهرة ١٩٥٥؛ أيمن فؤاد : تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن ، القاهرة ١٩٨٧، Smith, G.R., *EI*² art. *Sulayhides* X, pp. 850-52.

وفي سنة أربعٍ وأربعين، كُتِبَ ببَغْداد مَحاضِرُ بالقَدْح في نَسَب الخُلَفاء المصريين، ونَفْيهم من الانْتِساب إلى عليّ بن أبي طالب، وسُيِّرَت إلى الآفاق [١]. وقَصُرَ مَدُّ النِّيل، فتحرَّك السِّعْرُ بمصر. ثم قَصُرَ أيضًا مَدُّ النِّيل في سنة ستٍّ وأربعين، فقوي الغَلاءُ، وكثُرَ الموتُ في النَّاس [٢].

وفي سنة ثمانٍ وأربعين، خَرَجَ أبو الحارِث البَساسِيري من بَغْداد مِنتميًا للمُستَنْصِر، فسُيِّرَت إليه الأموالُ والخِلَعُ [٣].

وفي سنة ثمانٍ وأربعين عادَت حَلَبُ إلى مَمْلَكَة المُسْتَنْصِر [٤].

وفي سنة خمسين قُبِضَ على الوَزير النَّاصِر للدين أبي محمد اليَازوري [٥]، وتَقَلَّد بعده الوَزارَة (aأبو الفَرَج البابِليّ ثم صُرِفَ بعد اثنين وسبعين يومًا وتولَّىa) أبو الفَرَج محمد بن جَعْفَر المغربي، ابن عبد الله بن محمد، ووَلِيَ القَضاءِ بعد اليَازوري أبو عليّ أحمد بن عبد الحَكَم، ثم صُرِفَ بعبد الحاكِم المَلِيجي [٦].

وفيها أَخَذَ البَساسِيريُّ بغْداد، وأقامَ فيها الخُطْبَة للمُسْتَنْصِر، وفَرَّ الخَليفَةُ القائِمُ بأَمْر الله العَبّاسي إلى قُرَيْش بن بَدْران، فبَعَثَ به إلى عانَة، وسُيِّرَت ثِيابُ القائِم وعِمامَته وغير ذلك من الأموال إلى مصر [٧].

وفيها سارَ ناصِرُ الدولة إلى دِمَشْق أميرًا عليها [٨].

---

a-a) ساقطة من بولاق.

---

[١] ابن ميسر: أخبار مصر ١٣؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٢٢٣؛ وقارن ابن الجوزي: المنتظم ٨: ١٥٤-١٥٥؛ ابن الأثير: الكامل ٩: ٩٥١، أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٥: ٥٣.

[٢] نفسه ١٣.

[٣] نفسه ١٤؛ المقريزي: اتعاظ ٢: ٢٣٢، وانظر عن حركة البساسيري، المؤيد في الدين الشيرازي: سيرة ١٧٨-١٨٠؛ ابن الجوزي: المنتظم ٨: ١٩١-١٩٧، ٢٠١-٢١٢؛ ابن ميسر: أخبار مصر ٢٠-٢١؛ فاضل الخالدي: الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري، بغداد ١٩٦٩، ١٠٢-١٣٩؛ عبد الجبار ناجي: «ثورة البساسيري في بغداد»، مجلة كلية الآداب - جامعة البصرة ٥ (١٩٧١)، ٤٢-٧٨؛ Canard, M., *EI*² art. *al-Basâsîrî* I, pp. 1005-7؛ أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ١٩٤-١٩٥.

[٤] نفسه ١٥؛ نفسه ٢: ٢٣٥ وفيه أن ذلك كان سنة ٤٤٩هـ.

[٥] انظر مقال مايكل بريت Brett, M., «The Execution of al-Yâzûrî» in *Egypt and Syria in the Fatimid, Ayyûbid and Mamlûk Eras*, pp. 15-22.

[٦] ابن ميسر: أخبار مصر ١٦-١٧؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ١٩٧.

[٧] نفسه ١٨-١٩، وفيه أنّه فرّ إلى مُهارِش العُقَيْلي البدوي استجار به فأجاره.

[٨] نفسه ٢٠؛ المقريزي: اتعاظ ٢: ٢٥٥.

وفي سنة إحدى وخمسين، أُقيمت دَعْوَةُ المُسْتَنْصِر بالبَصْرَة وواسِط وجَميع تلك الأعمال، فقَدِمَ طُغْرُلبك إلى بَغْداد، وأعادَ الخَليفَةَ القائِم بعد ما خُطِبَ للمُسْتَنْصِر ببَغْداد أربعون خُطْبَة، وقُتِلَ البَساسِيري [١].

وفيها قُطِعَت خُطْبَةُ المُسْتَنْصِر أيضًا من حَلَب، فسَارَ إليها ابنُ حَمْدان وحارَب أهْلَها، فانْكَسَر كَسْرَةً شَديدَةً شَنيعَةً، وعادَ إلى دِمَشْق [٢].

وفيها صُرِفَ أبو الفَرَج بن المَغْربي عن الوَزارَة، وعبد الحاكِم عن القَضَاء، وأُعيد إلى الوَزارَة أبو الفَرَج البابليّ، واستقرَّ في وَظيفَة القَضَاء أحمد بن أبي زِكْري [٣].

وفي سنة ثلاثٍ وخمسين، كَثُرَ صَرْف الوُزَرَاء والقُضَاة وولايتهم، لكثرة مُخالَطَة الرِّعاع للخَليفَة وتقدُّم الأراذِل، بحيث كان يصل إليه في كلِّ يوم ثمان مائة رُقْعَة فيها المرافَعات والسِّعايات [٤]. فاشْتَبَهَت عليه الأُمور، وتناقَضَت الأحْوالُ، ووَقَعَ الاختلافُ بين عَبيد الدَّوْلَة، وضَعُفَت قُوَى الوُزَرَاء عن التدبير لقِصَر مدَّة كلٍّ منهم، وخَرِبَت الأعمالُ وقَلَّ ارتفاعُها، وتغلَّب الرِّجالُ على معظمها مع كَثْرة النَّفَقات والاسْتِخْفاف بالأُمور وطُغيان الأكابِر [٥]؛ إلى أن آلَ الأَمْرُ إلى حُدوث الشِّدَّة العُظْمَىٰ كما قد ذُكِرَ في مَوْضِعه من هذا الكتاب [٦]، وكان من قُدوم أمِير الجُيُوش بَدْر الجَماليّ في سنة ستٍّ وستين وأربع مائة وقيامِه بسَلْطَنَة مصر، ما ذُكِرَ في ترجمته عند ذِكْر أبْواب القاهِرَة [٧].

فلم يَزَل المُسْتَنْصِرُ مُدَّة أمير الجُيُوش، مُلْجَمًا عن التصرُّف إلى أن ماتَ في سنة سبعٍ وثمانين، فأقامَ العسكرُ من بعده في الوَزَارَة ابنه الأَفْضَل شاهِنْشاه، فباشَرَ الأُمورَ يسيرًا.

وماتَ المُسْتَنْصِرُ ليلة الخميس لليلتين بقيتا من ذي الحجَّة سنة سبعٍ وثمانين عن سبعٍ وستين سنة وخمسة أشهر؛ منها في الخِلافَة ستون سنةً وأربعة أشهر وثلاثة أيام، مَرَّت فيها أهْوالٌ عَظيمَة، وشَدائِدُ آلَت به إلى أن جَلَس على نَخٍّ، وفَقَد القُوتَ فلم يَقْدِر عليه، حتى كانت امرأةٌ من

---

[١] ابن ميسر: أخبار مصر ٢٠- ٢١؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٢٥٧.

[٢] نفسه ٢١- ٢٢؛ نفسه ٢: ٢٥٩- ٢٦٠، ٣١٠ وفيه أن ذلك سنة ٤٥٢هـ.

[٣] نفسه ٢٢، نفسه ٢: ٢٦١ سنة ٤٥٢هـ.

[٤] نفسه ٢٢- ٢٣؛ نفسه ٢: ٢٦٢، سنة ٤٥٢هـ.

[٥] نفسه ٢٣- ٢٤؛ نفسه ٢: ٢٦٤؛ وانظر كذلك المقريزي: إغاثة الأمة ٢٢- ٢٣، المقفى الكبير ٣: ٤٤٥- ٤٤٦؛ ابن حجر: رفع الإصر ١٣٥- ١٣٧؛ ومقال إيسنستين Eisenstein, H., «Die Wezine Ägyptens unter al-Mustansir A.H. 452-466», *WZKM* 77 (1987), pp. 37-50.

[٦] فيما تقدم ١٣٥- ١٤٢.

[٧] فيما يلي ٢٧٦- ٢٧٨.

الأشْراف تتصدَّق عليه في كلِّ يوم بقَعْب فيه فُتيت، فلا يأكل سِواه مرةً في كلِّ يوم. وقد مَرَّ في غير موضعٍ من هذا الكتاب كثيرٌ من أخباره.

فلمَّا ماتَ المُسْتَنْصِرُ أقامَ الأفْضَلُ بن أمير الجُيوش في الخِلافَة من بعده ابنَه «المُسْتَعْلي بالله أبا القاسِم أحمد»[١]، وكان مولدُه في العشرين من المحرَّم سنة سبعٍ وستين وأربع مائة، فخالَف عليه أخوه نِزار وفَرَّ إلى الإسْكَنْدَرية، وكان القائِمُ بالأمور كلِّها الأفْضَل، فحارَبَه حتى ظَفِرَ به وقَتَلَه، كما تقدَّم في خَبَر أفْتكين عند ذِكْر[a] خزائِن القصر[٢].

وفي سنة تسعين وَقَعَ بمصر غَلاءٌ ووَباءٌ، وقُطِعَت الخُطْبَة من دِمَشْق للمُسْتَعْلي، وخُطِبَ بها للعَبَّاسي، وخَرَجَ الفِرِنْجُ من قُسْطَنْطِينيَّة لأخْذ سَواحِل الشَّام وغيرها من أيْدي المسلمين، فمَلَكُوا أنْطاكية[٣].

وفي سنة إحدى وتسعين خَرَجَ الأفْضَلُ بعَسْكَر عَظيمٍ من القاهِرَة، فأخَذَ بَيْت المَقْدِس من الأُرْتُقِيَّة[b]، وعادَ إلى القاهِرَة[٤].

وفي سنة اثنتين وتسعين، مَلَكَ الفِرِنْجُ الرَّمْلَة وبَيْت المَقْدِس، فخَرَجَ الأفْضَلُ بالعَساكِر وسارَ إلى عَسْقَلان، فسارَ إليه الفِرِنْجُ وقاتَلوه وقَتَلوا كثيرًا من أصحابه، وغنموا منه شيئًا كثيرًا وحَصَروه، فنَجا بنفسه في البحر وصارَ إلى القاهِرَة[٥].

وفي سنة ثلاثٍ وتسعين، عَمَّ الوَباءُ أكثر البِلاد، فهَلَكَ بمصر عالَمٌ عَظيمٌ[٦].

---

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: الأرمن.

---

[١] المستعلي بالله أبو القاسم أحمد بن المستنصر بالله سادس خلفاء الفاطميين في مصر وتاسعهم من المهدي، راجع أخباره عند ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة ٨٢- ٨٦؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ١:١٧٨- ١٨٠؛ ابن ميسر: أخبار مصر ٥٩- ٧٠؛ ابن أيبك: كنز الدرر وجامع الغرر ٦:٤٤٢- ٤٦٠؛ المقريزي: المقفى الكبير ١:٦٦٥- ٦٦٧، اتعاظ الحنفا ٣:٩- ٢٨؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٥:١٤٢- ١٦٩؛ عماد الدين إدريس: عيون الأخبار ٧:١٨٧- ٢١٧؛ Gibb, H.A.R., *EI*² art. *al-Musta'li* VII, p. 726.

[٢] لم تتقدّم وإنما ستأتي فيما يلي ٣٩٣- ٣٩٥.

[٣] ابن ميسر: أخبار مصر ٦٤؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣:١٩- ٢٠.

[٤] نفسه ٦٥- ٦٦؛ نفسه ٣: ٢٢.

[٥] نفسه ٦٦- ٦٧؛ نفسه ٣: ٢٢، ٢٤، ابن الطوير: نزهة المقلتين ٣- ٤؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨:٢٥٦- ٢٥٧.

[٦] نفسه ٦٨؛ نفسه ٣: ٢٥.

وفي سنة أربعٍ وتسعين، خَرَجَ عَسْكرُ مصر لقِتال الفرنْج، وكانت بينهما حروبٌ كثيرة [١].

وفي سنة خمسٍ وتسعين وأربع مائة، ماتَ المُسْتَعْلي بالله لثلاثَ عشرة بقيت من صَفَر، وعمره سبع وعشرون سنة وسبعة وعشرون يومًا، ومُدَّةُ خِلافَته سبعُ سنين وشهران [٢]. وفي أيّامِه اختَلَّت الدَّوْلَةُ / وانقَطَعَت الدَّعْوَةُ من أكثر مُدُن الشَّام، فإنَّها صارَت بين الأتْراك والفِرنْج، ٣ وصارَت الإسْماعيليةُ فِرقَتَين: فِرقةٌ نِزاريَّة تَطْعَنُ في إمامة المُسْتَعْلي، وفرقةٌ ترى صِحَّة خِلافَته [٣]. ولم يكُن للمُستَعْلي مع الأَفْضَل أمْرٌ ولا نَهْيٌ ولا نفوذُ كَلِمة، وقيل إنَّه سُمَّ، وقيل بل قُتلَ سِرًّا.

فلمَّا ماتَ، أقامَ الأَفْضَلُ من بعده في الخِلافَة ابنَه «الآمِر بأحْكام الله أبا عليّ منصورًا»، وعمره خمس سنين وشهر وأيام، فقُتِلَ الأَفْضَلُ في أيَّامه، وأقامَ في الخِلافَة تسعًا وعشرين سنة وثمانية أشهر ونصفًا. وقد ذَكَرتُ تَرجَمتَه عند ذِكْر الجامِع الأقْمَر في ذِكْر الجَوامِع من هذا الكِتاب [٤].

ولمَّا قُتِلَ الآمِرُ بأحْكام الله، أُقيم من بعده «الحَافِظُ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد» ابن الأمير أبي القاسِم محمد بن المُسْتَنْصِر بالله [٥]، وكان قد وُلِدَ بعَسْقَلان في المحرَّم سنة سبعٍ وقيل في

---

[١] ابن ميسر: أخبار مصر ٦٨؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٢٦؛ وانظر مقال بريت Brett, M., «The Batles of Ramla (1099-1105)», in *Egypt and Syria in the Fatimid, Ayyubid and Mamluk Eras*, Leuven 1995, pp. 45-59.

[٢] نفسه ٦٩، نفسه ٣: ٢٧؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٨١. وفي عيون الأخبار لعماد الدين إدريس ٧: ١٩١ أن ميلاده في المحرم سنة ٤٦٧هـ، بينما يذكر السجل رقم ٦ في مجموعة «السجلات المستنصرية» أنه ولد يوم الأحد ١٤ صفر سنة ٤٥٢هـ!

[٣] يُشيرُ المقريزي هنا إلى الانقسام الأوّل للدعوة الإسماعيلية والذي حَدَثَ في أعقاب وَفاة الإمام المستنصر بالله. فالعقيدةُ الإسماعيلية تعتمد انتقال الإمامة في الأعقاب من الأب إلى الابن الأكبر، وتبعًا لهذه القاعدة كان نزار – الابن الأكبر للمستنصر – هو صاحب الحق الشرعي في خلافة أبيه. ومع ذلك فلم يُعر الوزير القوي الأفضل شاهنشاه هذا التقليد أي اعتبار وأبْعَدَ نزار – الذي كان له من العمر آنذاك خمسون عامًا (ولد سنة ٤٣٧هـ) – عن العرش وأجلس عليه أخاه الأصغر أبا القاسم أحمد وهو في نفس الوقت زوج سِتّ الملك أخت الوزير الأفضل. وأدّى إبعاد نزار إلى نتائج بعيدة المدى، فما قام به الوزير الأفضل هو انقلاب سياسي coup d'état واضح المعالم محافظة على السلطان القوي الذي كان يتمتع به منفردًا منذ أواخر عهد المستنصر بالله (راجع، أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٢٢٠–٢٢٥).

[٤] فيما يلي ٢: ٢٩٠– ٢٩١.

[٥] راجع ترجمته عند ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة ٩٤– ١٠١؛ ابن ميسر: أخبار مصر ١١٣– ١٤١؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣: ٢٣٥– ٢٣٧؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٢٩٦– ٣١٠؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٦: ٥٠٦– ٥٥٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٥: ١٩٩– ٢٠٢؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٩: ١٢٦– ١٢٧؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ١٣٥– ١٩٢؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٥: ٢٣٧– ٢٤٥؛ Magued, A.M., *EI*[2] art. *al-Hâfiz* III, pp. 56-57.

سنة ثمانٍ وتسعين وأربع مائة ، لمّا أَخْرَجَ المُسْتَنْصِر ابنه أبا القاسِم مع بقيّة أولاده في أيّام الشِّدَّة ، فلذلك كان يُقالُ له ، في أيّام الآمِر بأحكام الله : الأميرُ عبد المجيد العَسْقَلاني ابن عَمّ مولانا.

ولمّا قَتَلَ النِّزاريَّةُ الخَليفَةَ الآمِر ، أقامَ بَرْغَش وهَزَّار الملوك الأمير عبد المجيد في دَسْت الخِلافَة ، ونَعتاه[a] بـ «الحافِظ لدين الله» ، وأنّه يكون كَفيلًا لمنتظرٍ في بطن أُمّه من أولاد الآمِر ، واستقرّ هَزَّارُ الملوك وَزيرًا . فثارَ العسكرُ وأقاموا أبا عليّ بن الأَفْضَل وَزيرًا ، وقُتِلَ هَزَّار الملوك ، ونُهِبَ شارِعُ القاهِرَة ، وذلك كلُّه في يومٍ واحِد [1].

فاستبدَّ أبو عليّ بالوَزارَة يوم السَّادِس عشر من ذي القعدة سنة أربعٍ وعشرين وخمس مائة [2]، وقَبَضَ على الحافِظ وسَجَنَه مُقَيَّدًا ، فاستمرَّ إلى أن قُتِلَ أبو عليّ في سادس عشر المحرَّم سنة ستٍّ وعشرين ، فأُخْرِجَ من معتقله ، وأُخِذَ له العَهْدُ على أنّه «وَليّ عَهْدٍ كَفيلٍ لمن يُذْكَر اسْمُه» ، فاتَّخَذَ الحافِظُ هذا اليوم عيدًا سَمّاه «عِيدَ النَّصْر» ، وصارَ يُعْمَل كلَّ سنة [3].

ونُهِبَت القاهِرَةُ يومئذٍ ، وقامَ يانِسُ صاحِبُ الباب بالوَزارَة ، إلى أن هَلَكَ في ذي الحجَّة منها بعد تسعة أشهر ، فلم يَسْتَوْزِر الحافِظُ بعده أَحَدًا ، وتولّى الأُمُورَ بنفسه إلى سنة ثمانٍ وعشرين ، فأقامَ ابنه سليمان وَليّ عَهْده مُقامَ وَزير ، فلم تَطُل أيامُه سوى شهرين ومات ، فجَعَلَ مكانه ابنه[b] حَيْدَرَة ، فحَنَق ابنه حَسن وثارَ بالفِتْنَة ، وكان من أَمْره ما ذُكِرَ في خَبَر الحارة اليانِسِيَّة من هذا الكِتاب [4].

a) بولاق : ولقباه . b) بولاق : ابن .

[1] ابن الطوير : نزهة المقلتين ٢٦- ٢٨؛ ابن ميسر : أخبار مصر ١١٣؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣:١٣٧- ١٣٨، ١٣٩، المقفى الكبير ١: ٣٩٤، ٣: ٨٠؛ وفيما يلي ٣٤٩.

[2] يوجد في مجموعة الوثائق المحفوظة في دير سانت كاترين سِجِلٌّ صادرٌ في شهر ذي القعدة سنة ٥٢٤هـ، وهو سجلّ بالغ الأهمية من حيث تاريخ صدوره والأشخاص المذكورين فيه ، فهو صادر في شهر ذي القعدة سنة ٥٢٤هـ/ أكتوبر ١١٣٠م عن «وليّ عهد المسلمين ...، وكافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبي علي أحمد بن السَّيِّد الأجلّ الأفضل أمير الجيوش»، وقد ضاع اسم وليّ العهد مع فاتحة السّجِلّ وهو دون شك الأمير أبو الميمون عبد المجيد ، ويكون التاريخ المحدَّد لصدور هذا السّجِلّ هو اليوم الذي اشترك فيه عبد المجيد وأبو علي في إدارة الدولة . (Stern, S.M., «A Fatimid Decree of the Year 524/1130», *BSOAS* 23 (1960), pp. 439-55; id., *Fatimid Decrees*, London 1964, pp. 35-45؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٢٤٢-٢٤٩) .

[3] ابن الطوير : نزهة المقلتين ٣٣- ٣٥؛ ابن ميسر : أخبار مصر ١١٥- ١١٧؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣:١٤٣- ١٤٦، المقفى الكبير ١:٣٩٧- ٣٩٨؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥:٢٤٧- ٢٤٨، وفيما يلي ٥٩٣.

[4] فيما يلي ٢:١٧- ١٨.

فلمّا قُتِلَ حَسَن، قامَ بَهْرامُ الأَرْمَنِيُّ وأَخَذَ الوَزارَة في جُمادَى الآخرة سنة تسعٍ وعشرين، وكان نَصْرانيًّا، فاشتدَّ ضَرَرُ المسلمين من النَّصارَىٰ، وكَثُرَت أذيَّتُهم[1]. فسارَ رِضْوانُ بن وَلَخْشي - وهو يومئذٍ مُتَوَلِّي الغربية - وجَمَعَ النَّاسَ لحرب بَهْرام، وسارَ إلى القاهِرَة، فانهزم بَهْرام، ودَخَلَ رِضْوان القاهِرَة، واستولى على الوَزارَة في جُمادَى الأولى سنة إحدى وثلاثين، فأَوْقَع بالنَّصارَىٰ وأَذَلَّهم، فشَكَرَه النَّاسُ، إلَّا أنَّه كان خَفيفًا عَجولًا، فأَخَذ في إهانَة حَواشي الخَليفَة وهَمَّ بخَلْعِه، وقال: ما هو بإمام، وإنَّما هو كفيلٌ لغَيْره وذلك الغَيْرُ لم يَصِح[2].

فتوحَّشَ الحافِظُ منه، وما زالَ يدَبِّرُ عليه حتى ثارَت فِتْنَةٌ انهزم فيها رِضْوان، وخَرَجَ إلى الشَّام فجَمَعَ وعادَ في سنة أربعٍ وثلاثين، فجهَّز له الحافِظُ العَساكِرَ لمحاربته، فقاتَلَهم وانْهَزَمَ منهم إلى الصَّعيد، فقُبِضَ عليه واعْتُقِلَ، فلم يَسْتَوْزِر الحافِظُ أحَدًا بعده إلى أن كانت سنة ستٍّ وثلاثين، فغَلَت الأسعارُ بمصر، وكَثُرَ الوباءُ، وامتدَّ إلى سنة سبعٍ وثلاثين فعَظُم الوَباءُ[3].

وفي سنة اثنتين وأربعين، خَلُصَ رِضْوان من مُعْتَقَلِه بالقصر، وخَرَجَ من نَقْبٍ وثارَ بجماعَةٍ، وكانت فِتْنَةٌ آلَت إلى قَتْلِه[4].

وفي سنة أربعٍ وأربعين، ثارَت فِتْنَةٌ بالقاهِرَة بين طوائِف العَسْكَر، فماتَ الحافِظُ ليلة الخامس من جُمادَى الآخرة عن سبعٍ وسبعين سنة، منها مدَّة خِلافَته ثمان عشرة سنة وأربعة أشهر وتسعة عشر يومًا أصابَته فيها شَدائِدُ كثيرة. وكان حازِمًا سَيوسًا كثير المُداراة، عارِفًا جَمَّاعًا للمال، مُغْرًى بعلم النُّجوم، يغلب عليه الحِلْم[5].

فلمّا ماتَ والفِتْنَةُ قائِمةٌ، أُقيم ابنه «الظَّافِرُ بأَمْر الله أبو مَنْصُور إسْماعيل»، ومولده للنصف من رَبيع الآخر سنة سبعٍ وعشرين وخمس مائة، فأقامَ في الخِلافَة أربع سنين وثمانية

---

[1] ابن ميسر: أخبار مصر ١٢٢- ١٢٣؛ المقريزي: المقفى الكبير ٢:٥١٢- ٥١٧؛ Canard, M., «Un vizir chrétien à l'époque fatimide: l'arménien Bahram», *AIEO* XII (1954), pp. 143-47, id., *EI*[2] art. *Bahrâm* I, p. 968.

[2] ابن الطوير: نزهة المقلتين ٥١- ٥٢؛ ابن ميسر: أخبار مصر ١٢٥؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣:١٦٦- ١٦٧.

[3] ابن ميسر: أخبار مصر ١٣٠- ١٣٤؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣:١٧٢- ١٧٦.

[4] نفسه ١٣٧- ١٣٨.

[5] نفسه ١٤٠؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ١٨٩.

أشهر إلَّا خمسة أيام، وكان محكومًا عليه من الوُزَارء[a][١].

وفي أيَّامِه أُخِذَت عَسْقَلانُ، فظَهَرَ الخَلَلُ في الدَّوْلَة[٢]. وقد ذَكَرْتُ أخباره في خُطّ الخُشَيبيّة عند ذِكْر الخِطَط من هذا الكتاب[٣].

فلمَّا قُتِلَ، أُقِيمَ من بعده ابنه «الفائِزُ بنَصْر الله أبو القاسِم عيسَى»، أقَامه في الخِلافَة بعد مَقْتَل أَبيه الوَزيرُ عَبَّاس، وعمره خَمْس سنين[٤]. فقَدِمَ طَلائِعُ بن رُزِّيك والي الأُشْمُونَيْن بجموعه إلى القاهِرَة، ففرَّ عَبَّاسٌ، واستولى طلائِعُ على الوَزارَة، وتلقَّب بـ«الصَّالِح»[٥]، وقامَ بأَمْر الدولة إلى أن ماتَ الفائِزُ لثلاث عشرة بقيت من رَجَب سنة خمسٍ وخمسين عن إحدى عشرة سنة وستة أشهر ويومين، منها في الخِلافَة ستّ سنين وخمسة أشهر وأيام لم يَرَ فيها خيرًا، فإنَّه لمَّا أُخْرِج ليُقام خَليفَةً رأى أعْمامَه قَتْلَى وسَمِعَ الصُّراخ، فاخْتَلَّ عقلُه وصارَ يَصْرُخ حتى مات.

فأقامَ الصَّالِحُ بن رُزِّيك في الخِلافَة بعده «العاضِدَ لدين الله أبا محمد عبد الله» بن الأمير يوسُف بن الحافِظ لدين الله. ومولده لعشرٍ بقين من المحرَّم سنة ستٍّ وأربعين / وخمس مائة، وكان عمره يوم بُويعَ نحو إحدى عشرة سنة[٦]. وقامَ الصَّالِحُ بتَدْبير الأُمور إلى أن قُتِلَ في رَمَضان

---

a) بولاق: الوزارة.

---

[١] راجع أخبار الظافر بأمر الله (بأعداء الله) عند، ابن ميسر: أخبار مصر ١٤١-١٤٩؛ ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة ١٠٢-١٠٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ١:٢٣٧-٢٣٨؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨:٣١٠-٣١٧؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٩:١٥١-١٥٣؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣:١٩٣-٢١٠، المقفى الكبير ٢:١٢١-١٢٢؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٥:٢٨٨-٢٩٧؛ وانظر نص سجل بيعة الظافر عند القلقشندي: صبح الأعشى ٩:٢٨٦-٢٩١ (نشره أيضًا جمال الدين الشيال: مجموعة الوثائق الفاطمية ٢٦٩-٢٧٤، وانظر الدراسة التحليلية ١٠٨-١١٣.

[٢] ابن ميسر: أخبار مصر ١٤٦؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ٣٢٠-٣٢٢؛ ابن الأثير: الكامل ١١:١٨٨-١٨٩؛ أبو شامة: الروضتين ١:٢٢٣-٢٢٥؛ المقريزي: اتعاظ ٣: ٢٠٩.

[٣] فيما يلي ٢: ٣٠.

[٤] راجع أخبار الفائز بنصر الله عند، ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة ١٠٨-١١٠؛ ابن ميسر: أخبار مصر ١٤٩-١٥٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣:١٥٩-١٦١؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨:٣١٨-٣٢٢؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣:٢١١-٢٣٩؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٥:٣٠٦-٣٣٣.

[٥] انظر أخبار الصالح طلائع فيما يلي ٢:٢٩٣-٢٩٤.

[٦] راجع أخبار العاضد لدين الله عند، ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة ١١١-١١٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣:١١٠-١١٢؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨:٣٢٢-٣٤٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٧:٦٨٥-٦٩٤؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣:٢٤١-٣٣٤؛ أبي المحاسن:=

سنة ستٍّ وخمسين ، كما ذُكِرَ في خَبَره عند ذِكْر الجَوامِع [١] .

فقامَ من بعده ابنُه رُزِّيك بن طَلائِع وحَسُنَت سيرتُه ، فعَزَل شاوَر بن مُجير السَّعْدي عن ولاية قُوص ، فلم يَقْبَل العَزْل ، وحَشَدَ وسارَ على طَريق الواحات في البَرِّيَّة إلى تَرُّوجَة ، فجَمَعَ الناسَ وسارَ إلى القاهِرَة ، فلم يَثْبُت رُزِّيك وفَرّ ، فقُبِضَ عليه بإطْفِيح [٢] .

واستقرَّ شاوَرُ في الوَزارَة لأيام خَلَت من صَفَر سنة ثمانٍ وخمسين ، فأقامَ إلى أن ثارَ ضِرْغامٌ صاحِبُ الباب ، ففَرَّ منه إلى الشَّام ، واستبدَّ ضِرْغامٌ بالوَزارَة فقَتَلَ أُمَرَاء الدولة ، وأضْعَفَها بسبب ذَهاب أكابِرها . فقَدِمَ الفِرِنْجُ ونازَلوا مَدينَة بِلْبَيْس مُدَّةً ، ودافَعَهم المسلمون عِدَّةَ مِرار حتى عادوا إلى بلادِهم بالسَّاحِل ، ورَجَعَ العَسْكَرُ إلى القاهِرَة وقد قُتِلَ منهم كثير .

فوَصَلَ شاوَرُ بعَساكِر الشَّام في جُمادَى الآخرة سنة تسعٍ وخمسين ، فحارَبه ضِرْغامٌ على بِلْبَيْس بعَساكِر مصر ، وكانت لهم معه معارِكُ انهزموا في آخرها ، وغَنِمَ شاوَرُ ومن معه سائِرَ ما خَرَجوا به - وكان شيئًا جَليلًا - فسُرُّوا بذلك ، وساروا إلى القاهِرَة فكانت بين الفريقين حروبٌ آلَت إلى هَزيمَة ضِرْغام وقَتْله في شهر رَمَضان منها .

فاستولى شاوَرُ على الوَزارَة مرَّةً ثانية ، واختلف مع الغُزّ القادمين معه من الشَّام ، وكانت له معهم حُروبٌ آلَت إلى أنَّ شاوَرَ كَتَبَ إلى مُرِّي [Amaury] مَلِك الفِرِنْج يستدعيه إلى القاهِرَة ، ليُعينه على مُحارَبَة شيركوه ومَنْ معه من الغُزّ . فحضَرَ وقد صارَ شيركوه في مَدينَة بِلْبَيْس . فخَرَجَ شاوَرُ من القاهِرَة ، ونَزَلَ هو ومُرِّي [Amaury] على بِلْبَيْس ، وحَصَرا شيركوه ثلاثة أشهر ، ثم وَقَعَ الصُّلْح ، فسارَ شيركوه بالغُزّ إلى الشَّام ، ورَحَلَ الفِرِنْجُ ، وعادَ شاوَر إلى القاهِرَة في سنة ستين وخمسِ مائة ، فلم يزل إلى أن قَدِمَ شيركوه من الشَّام بالعساكِر مَرَّةً ثانيةً في رَبيع الآخر . فخَرَجَ شاوَرُ من القاهِرَة إلى لقائه ، واستدعى مُرِّي [Amaury] ملك الفِرِنْج ، فسارَ شيركوه على الشَّرْق وخَرَجَ من إطْفيح ، فسارَ إليه شاوَر بالفِرِنْج ، وكانت له معه الوَقْعَةُ المشهورة ، فسارَ شيركوه بعد الوَقْعَة من الأُشْمونَيْن وأخَذَ الإسْكَنْدَرية ، وعادَ شاوَر إلى القاهِرَة [٣] .

= النجوم الزاهرة ٥: ٣٣٤–٣٨٩؛ Wiet, G., *EI*[2] art. *al-ʿĀdid* I, pp. 202-3.

[١] فيما يلي ٢: ٢٩٣–٢٩٤.

[٢] المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٢٥٣–٢٥٤؛ Bianquis, Th., *EI*[2] art. *Ruzzik b. Talâ'i* VIII, pp. 672-73.

[٣] هذه الفترة التي بدأت بعد وفاة رُزِّيك بن الصَّالح طَلائِع والتي شهدت الصِّراع بين الوزيرين شاوَر وضِرْغام والاستعانة بالقوى الأجنبية ممثلةً في الدولة النورية من جانب ومملكة بيت المقدس المسيحية من جانب آخر ، والتي أدَّت إلى طمع هذه القوى في مصر بعد اطِّلاعها على ضعف الدولة =

وخَرَجَ شيركوه من الإسْكَنْدَرية بعد أن اسْتَخْلَفَ عليها ابن أخيه صَلاحَ الدِّين يوسُف بن أيُّوب، ولم يَزَل يسيرُ من الإسْكَنْدَرية إلى قُوص وهو يَجْبي البلاد. فخَرَجَ شاوَرُ من القاهِرَة بالفِرَنْج، ونازَل الإسْكَنْدَرية، فبَلَغ شيركوه ذلك، فعادَ من قُوص إلى القاهِرَة وحَصَرها، ثم كانت أُمُورٌ آخِرُها مَسير شيرْكوه وأصْحابِه من أرض مصر إلى الشَّام في شَوَّال.

وقد طَمِعَ الفِرَنْجُ في البلاد، وتسلَّموا أسْوارَ القاهِرَة، وأقامُوا فيها شِحْنَةً معه عِدَّة من الفِرَنْج لمقاسمة المسلمين ما يُتَحَصَّل من مال البلد، وفَحُشَ أمْرُ شاوَر وساءَت سيرتُه، وكَثُرَ تجرِّيه على الدِّماء وإتلافه للأموال.

فلمَّا كان في سنة أربع وستين، قوي تمكُّن الفرِنْج في القاهِرَة، وجاروا في حُكمهم بها، وركبوا المسلمين بأنواع الأَهْبَة[a]، فسارَ مُرِّي [Amaury] يُريد أَخْذ القاهِرَة، ونَزَلَ على مَدينَة بِلْبَيْس وأَخَذَها عَنْوَة. فكَتَبَ العاضِدُ إلى نُور الدِّين محمود بن زَنْكي صاحِب الشَّام يستصرخه، ويحثّه على نَجْدَة الإسلام وإنْقاذ المسلمين من الفِرَنْج. فجَهَّز أسدَ الدِّين شيركوه في عَسْكَرٍ كَثير، وجَهَّزهم وسَيَّرَهم إلى مصر، وقد أَحْرَقَ شاوَرُ مَدينَة مصر كما تقدَّم[1].

ونَزَلَ مُرِّي [Amaury] ملك الفِرَنْج على القاهِرَة، وأَلَحَّ في قِتال أَهْلِها حتى كادَ أن يأخذها عَنْوَةً، فسيَّر إليه شاوَر وخادَعَه حتى رضي بمالٍ يجمعه له، فشَرَعَ في جِبايته وإذا بالخَبَر وَرَدَ بقُدوم شيركوه [b]فرَحَلَ الفِرَنْجُ عن القاهِرَة في سابع رَبيع الآخر[b]. ونَزَلَ شيركوه على القاهِرَة بالغُرِّ ثالث مَرَّة فخَلَعَ عليه العاضِدُ وأَكْرَمَه، فأَخَذَ شاوَر يَفْتك بالغُزّ على عادَته، فكان من قَتْله ما ذُكِرَ في موضعه، وذلك في سابع عشر رَبيع الآخر المذكور. وتَقَلَّدَ شيركوه وَزارَة

---

a) بولاق: الإهانة. b-b) ساقطة من آياصوفيا.

= الفاطمية والتي انتهت بوصول أسد الدين شيركوه ثم ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى كرسي الوزارة في مصر ثم انقلاب صلاح الدين على الدولة الفاطمية وعودة مصر مرةً أخرة إلى دائرة البلاد السُّنِّيَّة التي تدعو للخليفة العباسي. نجد أخبار هذه الفترة عند عمارة اليمني وابن ظافر وابن الأثير وأبي شامة وابن واصل والنويري وابن الفرات والمقريزي في الاتعاظ وفي السلوك، وانظر كذلك: Schlumberger, G., *Compagnes du Roi Amaury 1er de Jérusalem en Égypte au XIIème siècle*, Paris 1906; Elisséeff, N., *Nûr al-Dîn, un grand prince musulman de Syrie au temps des Croisades*, Damas 1967; Cahen, Cl., «Un récit inédit du vizirat de Dirghâm», *An.Isl.* VIII (1969), pp. 27-61; Canard, M., *EI²* art. *Dirghâm* II, pp. 327-28; Richards, D. S., *EI²* art. *Shirkûh* IX, pp. 504-505. id., *EI²* art. *Shâwar* IX, pp. 384-85؛ أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٢٨٧-٣٠٩.

[1] انظر فيما تقدم ١٤٢-١٤٦.

العَاضِد وقامَ بأمور[a] الدَّوْلَة شهرين وخمسة أيام، وماتَ في الثاني والعشرين من جُمادَى الآخرة.

ففَوَّض العاضِدُ الوَزارَة لصَلاح الدِّين يُوسُف بن أَيُّوب، فساسَ الأمورَ ودَبَّر لنفسه، فبَذَل الأموالَ وأضْعَفَ العاضِدَ باستنفاد ما عنده من المال. فلم يَزَل أَمْره في ازدياد وأَمْرُ العاضِد في نُقْصان، وصارَ يَخْطُب من بعد العاضِد للسُّلْطان نُور الدين محمود[b]، وأَقْطَعَ أَصْحابَه البلاد، وأَبْعَدَ أَهْلَ مصر وأَضْعَفَهم، واستبدَّ بالأمور ومَنَعَ العاضِدَ من التصرُّف، حتى تَبيَّنَ للنَّاس ما يُريده من إزالة الدولة، إلى أن كان من واقِعَة العَبيد ما ذُكِرَ، فأبادَهُم وأفْناهُم[1]. ومن حينئذٍ تَلاشَى العاضِدُ وانْحَلَّ أمرُه، ولم يَبْقَ له سِوَى إقامَة ذِكْره في الخُطْبَة فقط؛ هذا وصَلاحُ الدِّين يُوالي الطَّلَبَ منه في كلِّ يوم ليُضْعِفَه، فأتَى على المال والخَيْل والرَّقيق وغير ذلك، حتى لم يَبْقَ عند العاضِد غير فَرَسٍ واحِدٍ فطَلَبَه منه وألجأه إلى إرْسالِه، وأَبْطَلَ رُكوبَه من ذلك الوقت، وصارَ لا يخرج من القصر ألبتَّة. وتَتَبَّعَ صَلاحُ الدِّين جُنْدَ العاضِد، وأَخَذَ دُورَ الأُمَراء وإقْطاعاتهم فوَهَبَها لأصْحابه، وبَعَثَ إلى أبيه وإخْوته وأهْله فقَدِموا من الشَّام عليه.

٣ فلمَّا كان في سنة ستٍّ وستين أَبْطَلَ المكوسَ من ديار مصر، وهَدَمَ دارَ المَعُونَة بمصر وعَمَّرَها / مَدْرَسَةً للشَّافِعِيَّة، وأنشأ مَدْرَسَةً أخرى للمالِكِيَّة[2]، وعَزَلَ قُضاة مصر الشِّيعَة وقَلَّد القَضاءَ صَدْر الدِّين عبد الملك بن دِرْباس الشَّافِعِيّ وجَعَلَ إليه الحُكْم في إقليم مصر كلِّه؛ فعَزَلَ سائِرَ القُضاة واسْتَناب قُضاةً شَافِعِيَّة، فتظاهَرَ النَّاسُ من تلك السَّنَة بمَذْهَب مالِك والشَّافِعِيّ - رضي الله عنهما - واخْتَفَى مَذْهَبُ الشِّيعَة إلى أن نُسِيَ من مصر[3].

وأَخَذَ في غَزْو الإفرنْج[c]، فخَرَجَ إلى الرَّمْلَة وعادَ في رَبيع الأوَّل، ثم سارَ إلى أَيْلَة، ونازَلَ قَلْعَتَها حتى أَخَذَها من الفِرنْج في رَبيع الآخر، ثم سارَ إلى الإسْكَنْدَرِيَّة ولَمَّ شَعْثَ سُورها وعادَ، وسَيَّرَ تُوران شاه فأَوْقَع بأهل الصَّعيد، وأَخَذَ منهم ما لا يمكن وَصْفه كثرةً وعاد.

---

a) ساقطة من بولاق، وفيه وقام بالدولة. b) بولاق. محمد نور الدين. c) بولاق: الفرنج.

---

[1] فيما يلي ٢: ٢- ٣.

[2] فيما يلي ٢: ٣٦٣.

[3] سيعيد المقريزي تفصيل ذلك فيما يلي ٢: ٣٥٦- ٣٥٨.

فكَثُرَ القَوْلُ من صَلاح الدِّين وأصْحابِه في ذَمّ العاضِد ، وتحدَّثوا بخَلْعِه وإقامَة الدَّعْوَة العبَّاسية بالقاهِرَة ومصر ، ثم قَبَضَ على سائِر من بقي من أُمَراء الدَّوْلة وأَنْزَلَ أصْحابَه في دُورهم في ليلةٍ واحدةٍ ، فأَصْبَحَ في البَلَد من العَويل والبُكاء ما يُذْهِل ، وتحكَّم أصحابُه في البلد بأيديهم ، وأخرج سائِر إقْطاعات المصريين لأصحابه ، وقَبَضَ على بلاد العاضِد ومنع عنه سائر مَوادِّه ، وقَبَضَ على القصور وسَلَّمَها إلى الطَّواشي بَهاء الدين قَراقُوش الأسَدي ، وجعَلَه زِمامَها [1]. فضَيَّق على أهْل القصر ، وصارَ العاضِدُ مُعْتَقلًا تحت يده [2].

وأَبْطَلَ من الأذان «حَيَّ على خَيْر العَمَل» ، وأزال شِعارَ الدولة ، وصَرَّحَ[a] بالعَزْم على قَطْع خُطْبَة العاضِد ، فمَرِضَ وماتَ وعمره إحدى وعشرون سنة إلَّا عشرة أيام ، منها في الخِلافَة إحدى عشرة سنة وستة أشهر وسبعة أيام[b]، وذلك في ليلة يوم عاشُوراء سنة سبع وستين وخمس مائة ، بعد قَطْع اسمه من الخُطْبَة والدُّعاء للمُسْتَنْجِد العَبَّاسي بثلاثة أيام [3]. وكان كَريمًا لَيِّنَ الجانِب ، مَرَّت به مَخاوِفُ وشَدائِدُ ، وهو آخر الخُلَفاء الفاطِميين بمصر . فكانت[c] مُدَّتُهم بالمغرب ومصر ، منذ قامَ عُبَيْد الله المَهْدي إلى أن ماتَ العاضِدُ ، مائتي سنة واثنتين وسبعين سنة وأيامًا ، منها بالقاهِرَة[d] مائتان وثماني سنين ، فسُبْحَان الباقي .

---

a) بولاق : وخرج . b) في اتعاظ الحنفا : إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر وسبعة عشر يوما . c) بولاق : وكانت . d) بولاق : بالقاهرة منها .

---

[1] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣ : ٣٢٢.

[2] هذه التحوُّلات في السنوات الأخيرة لحكم الدولة الفاطمية في مصر يُطْلَق عليها «انْقِلابُ صلاح الدين» ، وهو الانْقِلابُ الذي وَضَعَ نهايةً للحكم الفاطمي الإسماعيلي في مصر وأعاد مصر مرةً أخرى إلى مجموع الدول السنية التي تخطب للخليفة العباسي في بغداد (راجع ، Ehrenkrutz, A.S., «Saladin's coup d'état in Egypt», in Sami A. Hanna (ed.), *Medieval and Middle Eastern Studies in Honour of Aziz Suryal Atiya*, Leiden 1972, pp. 144-57؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٣٠٠ - ٣٠٩؛ Lev, Y., *Saladin in Egypt*, Leiden 1999.

[3] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣ : ٣٢٨.

ذِكْرُ ماكان عليه مَوْضِعُ القاهِرَة قبل وَضْعِها

اعْلَم أنَّ مَدينَةَ الإقْليم منذ كان فَتْحُ مصر على يد عَمْرو بن العَاص - رضي الله عنه - كان مَدينَة الفُسْطاط - المعروفة في زَماننا بمَدينَة مِصْر - قِبْليّ القاهِرَة . وبها كان محلُّ الأُمَراء ومَنْزل مُلْكهم ، وإليها تُجْبَى ثَمراتُ الأقاليم ، وتأوي الكافة . وكانت قد بَلَغَت من وُفُور العِمارَة ، وكثرة النَّاس ، وسَعَة الأرْزاق ، والتَّفَنُّن في أنواع الحَضَارة ، والتأنُّق في النَّعيم ، ما أَرْبَت به على كلِّ مَدينَةٍ في المعمور حاشَا بَغْداد ، فإنَّها كانت سُوق العالَم ، وقد زاحَمَتْها مصرُ وكادَت أن تُساميها إلَّا قليلًا [1] .

ثم لمَّا انْقَضَت الدَّوْلَةُ الإخْشيدية من مصر ، واختلَّ حالُ الإقْليم بتوالي الغَلَوات وتواتُر الأَوْباء والفَنَوات ، حَدَثَت مَدينَةُ القاهِرَة عند قُدوم جُيوش المُعِزّ لدين الله أبي تَميم مَعَدّ أمير المؤمنين ، على يد عَبْده وكاتِبه القائِد جَوْهَر ، فَنَزَلَ حيث القاهِرَة الآن ، وأناخَ هناك . وكانت حينئذٍ رَمْلَةٌ - فيما بين مصر وعَيْنُ شَمْس - يمرُّ بها النَّاسُ عند مَسيرهم من الفُسْطاط إلى عَيْنُ شَمْس ، وكانت فيما بين الخَليج المعروف في أوَّلِ الإسلام بخَليج أمير المؤمنين ، ثم قيل له خَليجُ القاهِرَة ، ثم هو الآن يُعْرَف بالخَليج الكبير وبالخليج الحاكمي . وبين الخليج والجَبَل[a] المعروف باليَحاميم ، وهو الجَبَل الأَحْمَر [2] . وكان الخَليجُ المذكور فاصِلًا بين الرَّمْلَة المذكورة وبين القرية التي يُقال لها أُم دُنَيْن ثم عرفت الآن بالمَقْس . وكان من يُسافِر من الفُسْطاط إلى بلاد الشَّام ينزل بطَرَف هذه الرَّمْلَة ، في الموضع الذي كان يُعْرَف بمُنْيَة الأَصْبَغ ، ثم عُرِفَ إلى يومنا بالخَنْدَق .

وتمرُّ العَساكِرُ والتُّجَّارُ وغيرهم من مُنْيَة الأَصْبَغ [3] إلى منى[b] جَعْفَر على غيفا وسَلَمَنْت إلى بِلْبَيْس ، وبينها وبين مَدينَة الفُسْطاط أربعة وعشرون ميلًا ، ومن بِلْبَيْس إلى العَلاقِمَة إلى الفَرَما .

---

a) ساقطة من بولاق .   b) بولاق : بني .

---

[1] راجع رأي المقدسي فيما تقدم ٤ هـ ١.

[2] فيما يلي ٢: ١٣٩- ١٤٤.

[3] حاشية بخط المؤلف : «الأَصْبَغ بن عبد العزيز ابن مروان بن الحكم توفي ليلة الجمعة لأربع بقين من ربيع الآخر سنة ستٍّ وثمانين قبل أبيه» .

ولم يكن الدَّرْبُ الذي يُسْلَك في وقتنا من القاهِرَة إلى العَريش في الرَّمْل يُعْرَف في القَديم، وإنَّما عُرِفَ بعد خَراب تِنِّيس والفَرَمَا، وإزاحَة الفِرَنْج عن بلاد السَّاحِل بعد تملُّكهم له مُدَّة من السنين. وكان من يُسافر في البَرِّ من الفُسْطاط إلى الحِجاز ينزل بجُبّ عُمَيْرَة، المعروف اليوم ببِرْكَة الجُبّ وبِرْكة الحاج [١].

ولم يكن عند نُزول جَوْهَر بهذه الرَّمْلَة فيها بُنْيانٌ سوى أماكِن هي بُسْتانُ الإخْشيد محمد بن طُغْج - المعروف اليوم بالكافوري - من القاهِرَة، ودَيْرٌ للنَّصارىٰ يُعْرَف بدَيْر العِظام، تَزْعُم النَّصارىٰ أنَّ فيه بعضَ من أدْرَك المسيح - عليه السَّلام - وبقي الآن بئرُ هذا الدَّيْر، ويُعْرفُ ببئر العِظام - والعامَّةُ تقول بِئْر العَظْمة - وهي بجوار الجامِع الأَقْمَر من القاهِرَة، ومنها يُنْقَل الماءُ إليه.

وكان بهذه الرَّمْلَة أيضًا مكانٌ ثالثٌ يُعْرَف بقُصَيْر الشَّوْك - بصيغة التصغير - تنزله بنو عُذْرَة في الجاهلية، وصارَ موضعُه عند بناء القاهِرَة يُعْرَف بقَصْر الشَّوْك من جملة القُصُور الزَّاهِرَة. هذا الذي اطَّلَعْت عليه أنَّه كان في مَوْضِع القاهِرَة قبل بِنائِها بعد الفَحْص والتفتيش.

وكان النِّيلُ حينئذٍ بشاطئ المَقْس يَمُرُّ من مَوْضِع السَّاحِل القَديم بمصر - الذي هو الآن / سُوق المعاريج، وحَمَّام طَنّ [a]، والمَراغَة، وبُستان الجُرُف، ومَوْرَدَة الحَلْفاء، ومُنْشَأة المَهْراني - على ساحل الحَمْراء، وهي موضع قَناطِر السِّباع، فيمرُّ النِّيلُ بساحِل الحَمْراء إلى المَقْس، موضِع جامع المَقْس الآن، وفيما بين الخَليج وبين ساحِل النِّيل بَساتينُ الفُسْطاط [٢].

فإذا صارَ النِّيلُ إلى المَقْس، حيث الجامِع الآن، مَرَّ من هناك على طَرَف الأرض التي تُعْرَف اليوم بأرْض الطَّبَّالة، من المَوْضِع المعروف اليوم بالجُرُف، وصارَ إلى البَعْل، ومَرَّ على طَرَف مُنْيَة الأصْبَغ من غربيّ الخَليج إلى المُنْيَة.

وكان فيما بين الخَليج والجَبَل، ممَّا يلي بَحْري مَوْضِع القاهِرَة، مَسْجِدٌ بُنِيَ على رَأْس إبراهيم ابن عبد الله بن حَسَن بن الحَسَن [b] بن عليّ بن أبي طالِب، ثم جَدَّدَه [c] تِبْرُ الإخْشيدي، فعُرِفَ بمَسْجِد تِبْر، والعامَّةُ تقول مَسْجِد التِّبْن [٣].

---

a) بولاق: حمام طن. b) بولاق: الحسين. c) بولاق: ثم مسجد.

---

[١] فيما يلي ٢: ١٦٣.

[٢] فيما تقدم ٣٩، ١٥٨.

[٣] فيما يلي ٢: ٤١٣.

ولم يكن المَمَرُّ من الفُسطاط إلى عَينْ شَمْس وإلى الحَوْف الشرقي وإلى البلاد الشَّامية ، إلَّا بحافَة الخَليج ، ولا يكاد يَمُرُّ بالرَّمْلَة التي في موضعها الآن مَدينَة القاهِرَة كَبيرُ أحَد [a]، ولذلك كان بها دَيْرٌ للنَّصارَىٰ ، إلَّا أنَّه لمَّا عَمَّرَ الإخْشيدُ البُسْتان المعروف بالكافوري ، أنشأ بجانبه مَيْدانًا وكان كثيرًا ما يُقيم به ، وكان كافورُ أيضًا يُقيم به .

وكان فيما بين مَوْضِع القاهِرَة ومَدينَة الفُسطاط ، ممَّا يلي الخَليج المذكور ، أرضٌ تُعْرَف في القَديم منذ فَتْح مصر بالحَمْراء القُصْوَىٰ ، وهي مَوْضِع قَناطِر السِّباع وجَبَل يَشْكُر ، حيث الجامِع الطُّولوني وما دار به . وفي هذه الحَمْراء عِدَّةُ كنائِس وديارات للنَّصارَىٰ خَرِبَت شيئًا بعد شيء ، إلى أن خَرِبَ آخرُها في أيَّام الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون .

وجَميعُ ما بين القَاهِرَة ومِصْر ، ممَّا هو موجودٌ الآن من العَمائِر في زَمَنِنا [b]، فإنَّه حادِثٌ بعد بِناء القاهِرَة ، ولم يكن هناك قبل بِنائِها شيءٌ ألبتَّة سوى كَنائِس الحَمْراء . وسيأتي بَيانُ ذلك مُفَصَّلًا في موضعه من هذا الكتاب إن شاءَ الله تعالى .

ذكر حد القاهرة

قال ابنُ عبد الظَّاهِر في كتابِ «الرَّوْضَة البَهِيَّة الزَّاهِرَة في خِطَط المُعِزِّيَّة القَاهِرَة» : الذي استقرَّ عليه الحالُ أنَّ حَدَّ القاهِرَة من مصر من السَّبْع سِقايات ، وكان قبل ذلك من المَجْنُونَة إلى مَشْهَد السَّيِّدَة رُقَيَّة عَرْضًا . انتهى .[1]

والآن تُطْلَقُ القاهِرَة على ما حازَه السُّور الحَجَر الذي طُوله من باب زَوِيلَة الكبير إلى باب الفُتُوح وباب النَّصْر ، وعرضه من باب سَعادَة وباب الخُوخة إلى باب البَرْقِيَّة والباب المَحْروق . ثم لمَّا توسَّعَ النَّاسُ في العِمارَة بظاهِر القاهِرَة ، وبَنَوْا خارج باب زَوِيلة حتى اتَّصَلَت العَمائِرُ بمَدينَة فُسْطاط مصر ، وبَنَوْا خارج باب الفُتُوح وباب النَّصْر إلى أن انتهتِ العَمائِرُ إلى الرَّيْدانية ، وبَنَوْا خارج باب القَنْطَرَة إلى حيث الموضع الذي يُقالُ له بُولاق من شاطئ بحر النِّيل [c]، وامتدُّوا بالعِمارَة من بُولاق على الشَّاطئ إلى أن اتَّصَلَت بمُنْشَأة المَهْراني ، وبَنَوْا خارج باب البَرْقِيَّة والباب

a) بولاق : كثير جدا . b) ساقطة من بولاق . c) بولاق : حيث شاطئ النيل .

[1] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٦.

المحْرُوق إلى سَفْح الجبَل بطول السُّور ؛ فصارَ حينئذٍ العامِرُ بالسُّكْنَى على قسمين : أَحَدُهُما يُقالُ له «القَـــاهِرَة» ، والآخر يُقال له : «مِصْر» .

فأمَّا «مِصْــر» فإنَّ حَدَّها - على ما وَقَع عليه الاصْطِلاح في زَمَنِنا هذا الذي نحن فيه - من حَدِّ أوَّلِ قَناطِر السِّباع إلى طَرَف بِرْكَة الحَبَش القِبْليّ ممَّا يلي بَساتين الوَزِير ، وهذا هو طُول حَدّ مصر . وحَدُّها في العرض من شَاطئ النِّيل ، الذي يُعْرَف قديمًا بالسَّاحِل الجَديد ، حيث فَمُ الخَليج الكبير وقَنْطَرَة السَّدّ إلى أوَّل القَرافَة الكُبْرَىٰ .

وأمَّا حَدُّ «القاهِــرة» فإنَّ طولَها من قناطِر السِّباع إلى الرَّيْدانية ، وعرضها من شاطئ النِّيل ببُولاق إلى الجبَل الأَحْمَر ؛ ويُطْلَق على ذلك كله «مِصْر والقَاهِرَة» .

وفي الحَقيقَة «قَــاهِرَةُ المُعِزّ» التي أنشأها القائِدُ جَوْهَرٌ عند قُدومِه من حَضْرَة مولاه المُعِزّ لدين الله أبي تَميم مَعَدّ إلى مصر في شَعْبان سنة ثمانٍ وخمسين وثلاث مائة ، إنَّما هي ما دار عليه السُّور فقط . غير أنَّ السُّورَ المذكور الذي أداره القائِدُ جَوْهَر ، تَغَيَّر وعُمِلَ - منذ بُنِيَت إلى زَمَنِنا هذا - ثلاث مَرَّات ، ثم حَدَثَت العَمائِرُ فيما وراء السُّور من القاهِرَة ، فصارَ يُقالُ لداخِل السُّور «القاهِــرَة» ، ولِمَا خَرَجَ من السُّور «ظاهِر القاهِرَة» [1].

وظَاهِرُ القاهِــرَة أَرْبَعُ جِهَات :

«الجِهَةُ القِبْلِيَّةُ» وفيها الآن معظم العِمارَة ، وحَدُّ هذه الجِهَة طولًا من عَتَبَة باب زَوِيلَة إلى الجامِع الطُّولوني ، وما بعد الجامِع الطُّولوني فإنَّه من حَدّ مصر . وحَدُّها عَرْضًا من الجامِع الطَّيْبَرْسي بشاطئ النِّيل غربيّ المَرِيس إلى قَلْعَة الجَبَل ، وفي الاصْطِلاح الآن أنَّ القَلْعَة من حُكْم مصر .

«والجِهَةُ البَحْرِيَّةُ» وكانت ، قبل السبع مائة من سني الهجرة وبعدها إلى قبيل الوَباء الكبير ، فيها أكثر العَمائِر والمساكِن ثم تلاشَت من بعد ذلك . وطول هذه الجهة من باب الفُتُوح وباب النَّصْر إلى الرَّيْدانِيَّة . وعرضها من مُنْيَة الأُمَرَاء - المعروفة في زَمَننا الذي نحن فيه بمُنْيَة السِّيرج - إلى الجَبَل الأَحْمَر ، ويَدْخُل في هذا الحَدّ مَسْجِدُ تِبْر والرَّيْدانِيَّة .

«والجِهَةُ الشَّرْقِيَّةُ» فإنَّها حيث تُرَبُ أهل القاهِرَة ، ولم تَحْدُث بها العَمائِر من التُّرَب[a] إلَّا بعد

---

a) بولاق : التربة .

---

[1] انظر فيما يلي ٢٥٤- ٢٦٨.

سنة اثنتي عشرة وسبع مائة . وحَدُّ هذه الجِهَة طُولًا / من باب القَلْعَة المعروف بباب السِّلْسِلَة[1] إلى ما يُحاذِي مَسْجِد تِبْر في سَفْح الجَبَل . وحَدُّها عرضًا فيما بين سُور القاهِرَة والجَبَل . ٣٦ب

«والجِهَةُ الغَرْبِيَّةُ» فأكثر العَمائِر بها لم تَحْدُث أيضًا إلَّا بعد سنة اثنتي عشرة وسبع مائة ، وإنَّما كانت بَساتِين وبحرًا . وحَدُّ هذه الجِهَة طُولًا من مُنْيَة السِّيرج إلى مُنْشَأة المَهْراني بحافَّة بحر النِّيل . وحدُّها عرضًا من باب القَنْطَرَة وباب الخُوخَة وباب سَعادَة إلى ساحِل النِّيل .

وهذه الأَرْبَع جِهَات من خارِج السُّور يُطْلَق عليها «ظَاهِرُ القَاهِرَة» .

وتحوي مصر والقَاهِرَة من الجوامِع والمَسَاجِد والمَدارِس والزَّوايا والرُّبَط ، والدُّور العَظِيمَة والمساكِن الجَلِيلَة ، والمناظِر البَهِجَة والقُصور الشَّامِخَة ، والبَساتِين الفَخِرَة[a] ، والحَمَّامات العامِرَة[b] ، والقَياسِر المعمورةِ بأصنافِ الأنْواع ، والأسْواق المملوءة ممَّا تشتهي الأنْفُس ، والخَانَات المشحونة بالواردين ، والفَنَادِق الكاظَّة بالسُّكَّان ، والتُّرَب التي تحكي القصور ، ما لا يُمْكِن حصره ، ولا يُعْرَف ما هو قَدْرُه . إلَّا أنَّ قَدْرَ ذلك - بالتقريب الذي يصدقه الاختبار - طولًا بَرِيدٌ أو ما يَزِيد[c] عليه ، وهو من مَسْجِد تِبْر إلى بَساتِين الوَزِير قِبْلِيّ بِرْكَة الحَبَش ، وعرضًا يكون نصف بَرِيد فما فَوْقه ، وهو من ساحِل النِّيل إلى الجَبَل .

ويَدْخُل في هذا الطُّول والعَرْض بِرْكَةُ الحَبَش وما دار بها ، وسَطْحُ الجُرُف المَسمَّى بالرَّصْد ، ومَدِينَةُ الفُسْطاط التي يُقال لها مَدِينَة مصر ، والقَرافَةُ الكُبْرَىٰ والقَرافَةُ[d] الصُّغْرَىٰ ، وجَزيرَةُ الحِصْن المعروفة اليوم بالرَّوْضَة ، ومُنْشَأة المَهْراني ، وقَطائِعُ ابن طُولون التي تُعْرَف الآن بحَدْرَة ابن قَمِيحَة ، وخُطُّ جامِع ابن طُولون ، والرُّمَيْلَةُ تحت القَلْعَة ، والقُبَيْبات وقَلْعَةُ الجَبَل ، والميدانُ الأَسْوَد - الذي هو اليوم مَقابِرُ أهلِ القاهِرَة - خارِج باب البَرْقِيَّة إلى قُبَّة النَّصْر ، والقاهِرة المُعِزِّيَّة وهو ما دار عليه السُّور الحَجَر ، والحُسَيْنِيَّة والرَّيْدانِيَّة ، والخَنْدَق وكُوم الرِّيش وجَزيرَة الفِيل ، وبُولاق ، والجَزِيرَة الوُسْطى المعروفة بجَزيرَة أَرْوَىٰ ، وزَرِيبَة قَوْصُون ، وحِكْر ابن الأَثير ، ومُنْشأة الكُتَّاب[e] ، والأَحْكار التي فيما بين القاهِرَة وساحِل النِّيل ، وأَراضي اللُّوق ، والخَلِيج الكَبير الذي تُسَمِّيه العامَّة

---

a) بولاق : النضرة . b) بولاق : الفاخرة . c) بولاق : بريدًا ومايزيد . d) ساقطة من بولاق . e) بولاق : الكاتب .

---

[1] انظر عن باب السلسلة فيما يلي ٢٠٤:٢ ومُسْوَدة المواعظ ٣٤هـ ٢.

بالخَليج الحاكِمي ، والحَبَّانِيَّة والصَّلِيبَة والتَّبَّانَة ، ومَشْهَد السَّيِّدَة نَفيسَة ، وباب القَرافَة ، وأرض الطَّبَّالة ، والخَليج النَّاصِريّ ، والمَقْس والدِّكَّة ، وغير ذلك مما يأتي ذكره إن شاءَ الله .

وقد أَدْرَكْنا هذه المَواضِع وهي عامِرَة ، والمَشْيَخَة تَقُول هي خَرابٌ بالنسبة لما كانت عليه قبل حُدوث طاعُون سنة تسعٍ وأربعين وسبع مائة ، الذي يُسَمِّيه أَهْلُ مصر «الفَنَاءَ الكبير»[1] ، وقد تلاشَت هذه الأماكِنُ ، وعَمَّها الخَرابُ منذ كانت الحَوادِثُ بعد سنة ستٍّ وثمان مائة ؛ والله عاقبة الأمور .

ذِكْرُ بِناءِ القَاهِرَة وَمَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي الدَّوْلَة الفَاطِمِيَّة

وذلك أنَّ القائِدَ جَوْهَرًا الكاتِب ، لمَّا قَدِمَ الجيزَة بعساكِر مَوْلاه الإمام المُعِزّ لدين الله أبي تَميم مَعَدّ ، أَقْبَلَ في يوم الثلاثاء لسبع عشرة خَلَت من شَعْبان سنة ثمانٍ وخمسين وثلاث مائة ، وسارَت عَساكِرُه بعد زَوال الشَّمْس ، وعَبَرَت الجِسْر أفواجًا ، وجَوْهَرٌ في فُرْسانه ، إلى المُناخ الذي رَسَمَ له المُعِزُّ مَوْضِعَ القاهِرَة الآن ، فاستقرَّ هنالك[a] واختطَّ القصر . وباتَ المصريون ، فلمَّا أَصْبَحُوا حَضَرُوا للهَناء ، فوَجَدُوه قد حَفَرَ أَسَاسَ القصر بالليل ، وكانت فيه إزْوِرارات غير معتدلة ، فلمَّا شاهَدَها جَوْهَرٌ لم تُعْجِبه ، ثم قال : «قد حُفِرَ في لَيْلَةٍ مباركةٍ وساعَةٍ سَعيدَة» ، فتَرَكَه على حالِه وأَدْخَلَ فيه دَيْر العِظام[2] .

ويُقالُ إنَّ القاهِرَة اخْتَطَّها جَوْهَرٌ في يوم السبت لستٍّ بقين من جُمادَى الآخرة سنة تسعٍ وخمسين ، واختطَّت كلُّ قبيلة خِطَّة عُرِفَت بها : فزَوِيلَةُ بنت الحارَة المعروفة بها ، واختطَّت جَماعةٌ من أهل بَرْقَة الحارَة البَرْقيَّة ، واختطَّت الرُّوم حارَتين : حارَةُ الرُّوم الآن ، وحارَة الرُّوم الجُوَّانِيَّة بقرب باب النَّصْر[3] .

وقَصَدَ جَوْهَرٌ باخْتِطاط القاهِرَة حيث هي اليوم أن تَصيرَ حِصْنًا فيما بين القَرامِطَة وبين مَدينَة مصر ليقاتلهم من دونها ، فأدارَ السُّورَ اللَّبِن على مُناخه الذي نزل فيه بعساكِره ، وأنشأ من داخِل

---

a) بولاق : هناك .

---

[1] انظر فيما يلي ٢٢٤.

[2] انظر فيما يلي ٢٨٥. وحول تأسيس مدينة القاهرة راجع الدراسات الآتية ، Creswell, K. A.C., «The Foundation of Cairo», *Bull. of the Fac. of Arts, Univ. of Egypt* I (1933), pp. 258-81, id., «The Founding of Cairo», *CIHC*, pp. 125-30; Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte jusqu'à l'époque fatimide*, pp. 141-207.

[3] انظر خبر هذه الحارات في أوَّل المجلد الثالث فيما يلي .

السُّور جامِعًا وقَصْرًا، وأعَدَّها معقلًا يُتَحَصَّن به وتنزله عساكِرُهُ، واحتفر الخَنْدَق من الجِهَة الشَّامِيَّة ليَمْنَع اقتحام عساكِر القَرامِطَة إلى القاهِرَة وما وراءَها من المَدينَة.

وكان مِقْدارُ القاهِرَة حينئذٍ أقلَّ من مقدارها اليوم، فإنَّ أبوابَها كانت من الجهات الأربعة: ففي الجِهَة القِبْلِيَّة – التي تُفْضي بالسَّالِك منها إلى مَدينَة مصر – بابان مُتجاوران يُقالُ لهما «بابا زَوِيلَة»، ومَوْضِعهما الآن بِحِذاء المَسْجِد الذي تُسَمِّيه العامَّة بسَام بن نُوح، ولم يَبْق إلى هذا العَهْد سوى عَقْده، ويُعْرَف بباب القَوْس. وما بين باب القَوْس هذا وباب زَوِيلَة الكبير ليس هو من المَدينَة التي أسَّسَها القائِدُ جَوْهَر، وإنَّما هي زيادةٌ حَدَثَت بعد ذلك.

وكان في جِهَة القاهِرَة البَحْرِيَّة – وهي التي يُسْلَك منها إلى عَيْن شَمْس – بابان: أحَدُهما
«بابُ النَّصْر» وموضعه بأوَّل الرَّحْبَة التي قُدَّام الجامِع / الحاكِمي الآن، وأدْرَكْتُ قِطْعَةً منه ٣٦٢
كانت قُدَّام الرُّكْن الغربي من المَدْرَسَة القاصِدِيَّة. وما بين هذا المكان وباب النَّصْر الآن ممَّا زيد في مِقْدار القاهِرَة بعد جَوْهَر.

والبابُ الآخر من الجِهَة البَحْرِيَّة «بابُ الفُتُوح»، وعَقْدُه باقٍ إلى يَوْمِنا هذا مع عِضادَتِه[1] اليُسْرى وعليه أسطرٌ مكتوبة بالقَلَم الكوفي. ومَوْضِعُ هذا الباب الآن بآخر سُوق المُرَحِّلين وأوَّل رأس حارَة بَهاء الدين ممَّا يلي باب الجامِع الحاكِمي. وما[a] بين هذا العَقْد وباب الفُتُوح، من الزِّيادات التي زيدت في القاهِرَة من بعد جَوْهَر.

وكان في الجِهَة الشَّرْقِيَّة من القاهِرَة – وهي الجِهَة التي يُسْلَك منها إلى الجَبَل – بابان أيضًا[b]: أحَدُهما يُعْرَف الآن بـ «الباب المَحْرُوق»، والآخر يُقالُ له «بابُ البَرْقِيَّة»، وموضعهما دون مكانهما الآن. ويُقال لهذه الزِّيادَة من هذه الجِهَة «بَيْن السُّورَيْن». وأحَدُ البابَيْنُ القَديمين موجودٌ إلى الآن أسْكُفّته[2].

---

a) بولاق: وفيما. b) ساقطة من بولاق.

---

[1] عِضادَة (Jambage) بِدَماك التأسيس، وهي هنا كتف الباب أو ركيزته أي جانبا إطار الباب (عبد الرحيم غالب: موسوعة العمارة الإسلامية ٢٧٥؛ محمد محمد أمين وليلى علي إبراهيم: المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية ٨١).

[2] أسْكُفَّة. العَتَبَة العُلْيا للباب، وهي حجر مستطيل الشكل يساعد مع العضادتين على حمل جدار واجهة أي مبنى.

وكان في الجِهَة الغَرْبيّة من القاهِرَة – وهي المُطِلَّة على الخَلِيج الكَبير – بابان : أحَدُهما «بابُ سَعادَة» ، والآخر «بابُ القَنْطَرَة»[a]، وبابٌ ثالث يعرف بـ «باب الخُوخَة» أظنُّه حَدَثَ بعد جَوْهَر .

وكان داخِلُ سُور القَاهِرَة يشتمل على قَصْرَيْن وجامِع ، يُقالُ لأحَدِ القَصْرَيْن «القَصْرُ الكَبير الشَّرْقيّ» ، وهو منزل سُكْنَى الخَليفَة ومحلّ حُرَمِه ، ومَوْضِع جُلوسِه لدُخُول العَساكِر وأهل الدولة ، وفيه الدَّواوين وبَيْتُ المال وخَزائِنُ السِّلاح وغير ذلك . وهو الذي أسَّسَه القائِدُ جَوْهَر ، وزادَ فيه المُعِزُّ ومَنْ بعده من الخُـلَفَاء . والآخَرُ تجاه هذا القصر ، ويُعْرَف بـ «القَصْر الغَرْبيّ» ، وكان يُشْرِف على البُسْتان الكافوري ويتحوَّل إليه الخَليفَةُ في أيام النِّيل للنُّزْهَة على الخَلِيج ، وعلى ما كان إذ ذاك بجانب الخَلِيج الغربي من البِرْكَة التي كان[b] يُقال لها بَطْن البَقَرَة ، ومن البُسْتانَ المعروف بالبَغْدادية ، وغيره من البَساتين التي كانت تَتَّصل بأرض اللُّوق وجِنَان الزُّهْري . وكان يُقالُ لمجموع القَصْرَيْن «القُصُورُ الزَّاهِرَة» ، ويُقالُ للجامِع «جامِع القاهِرَة» و «الجامِع الأزْهَر» .

فأمَّا «القَصْرُ الكَبير الشَّرْقي» ، فإنَّه كان من باب الذَّهَب – الذي موضعه الآن مِحْرابُ المَدْرَسَة الظَّاهِريَّة التي أنشأها الملكُ[b] الظَّاهِرُ رُكْن الدِّين بَيْبَرْس البُنْدُقْداري – وكان يعلو عَقْد باب الذَّهَب مَنْظَرَةٌ يُشْرِفُ الخَليفَةُ فيها من طاقات في أوْقاتٍ معروفة ، وكان بابُ الذَّهَب هذا هو أَعْظَم أبواب القَصْر[1] .

ويُسْلَك من باب الذَّهَب المذكور إلى باب البَحْر – وهو الباب الذي يُعْرَف اليوم بباب قَصْر بَشْتاك مُقابِل المَدْرَسَة الكامِلية – ويُسْلَك[b] من باب البَحْر إلى الرُّكْن المُخَلَّق[c]، ومنه إلى باب الرِّيح ؛ وقد أَدْرَكْنا منه عِضادَتَيْه وأُسْكُفَّته وعليها أَسْطُرٌ بالقَلَم الكوفي ، وجَميعُ ذلك مبني بالحَجَر ، إلى أن هَدَمَه الأميرُ الوَزيرُ المُشيرُ جَمالُ الدِّين يوسُف الأُسْتادَّار . وفي موضعه الآن قَيْسارية أنشأها المذكور بجوار مَدْرَسَتِه من رَحْبَة باب العيد[2] .

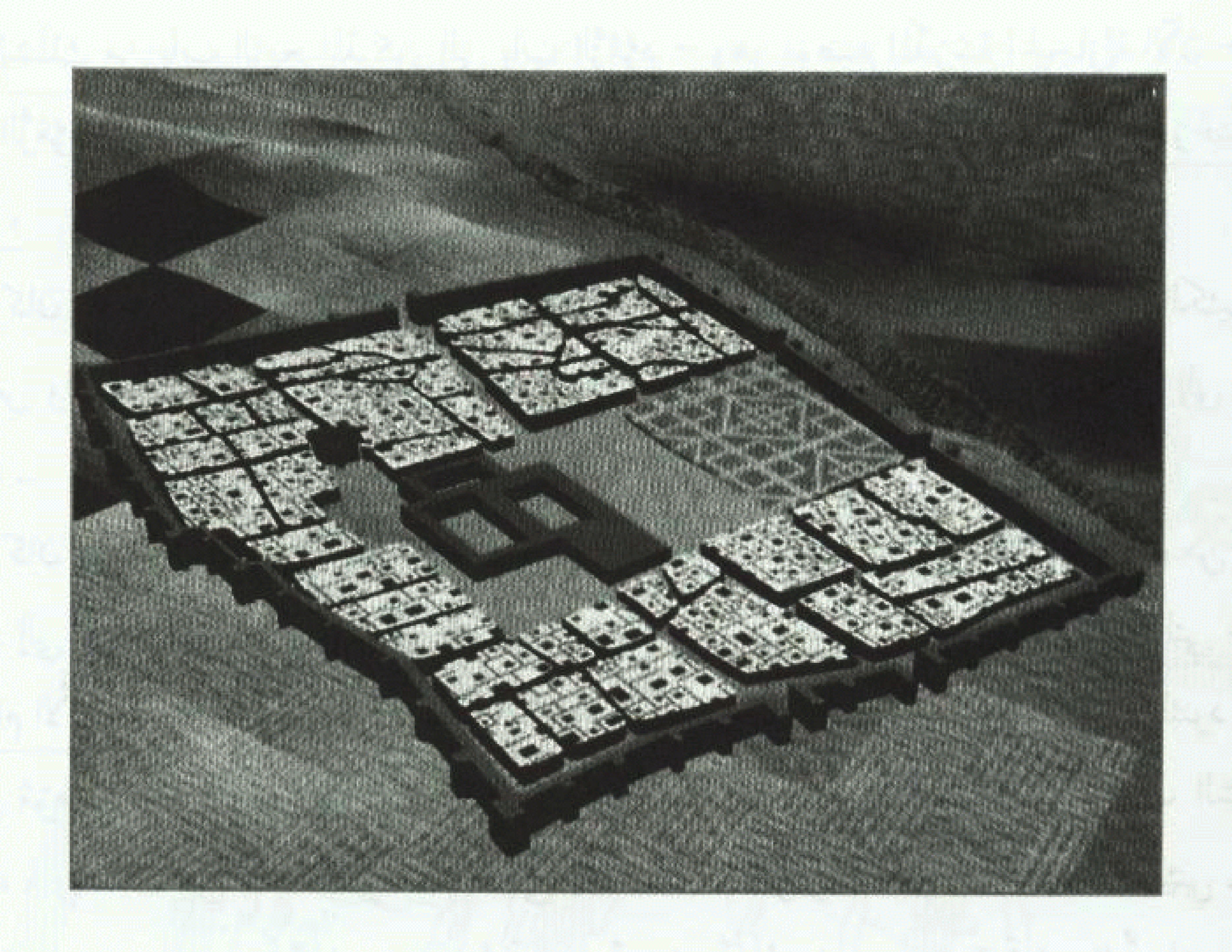
---

a) في النسخ : باب الفرج وجاء على هامش آياصوفيا : لعله باب القنطرة ، وهو الصواب . b) ساقطة من بولاق . c) آياصوفيا : المخوق وانظر فيما يلي ٤٣٥.

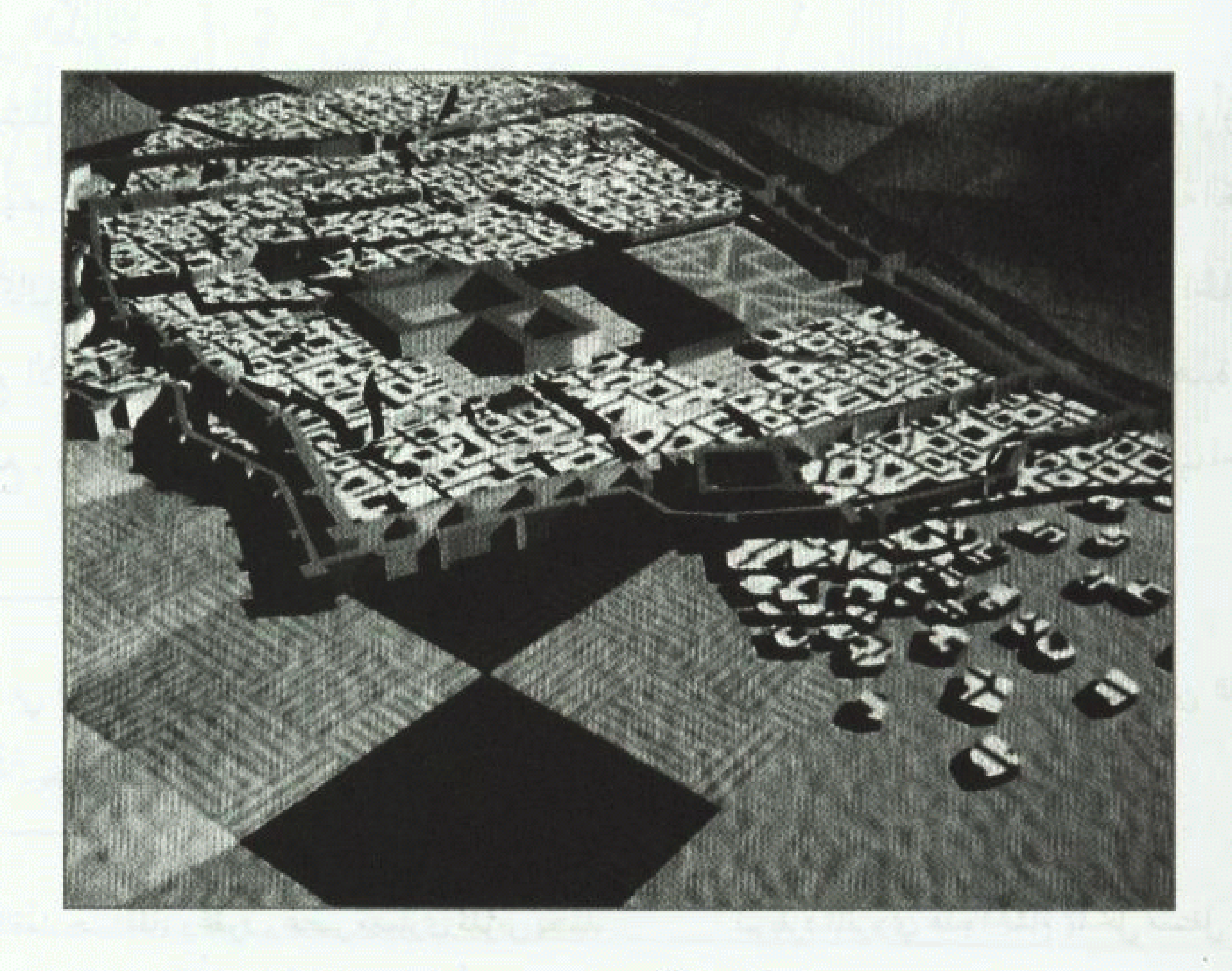
---

[1] سيفصِّل المقريزي فيما يلي ٢٨٤– ٣٠٨، ٤٢١– ٤٣١، ٤٣١–٤٣٥ الحديث عن القصر الكبير الشرقي وأبوابه وما به من خزائن وقاعات .

[2] لم يُفْرِد المَقْريزي هذه القَيْسارية بمدخل مستقل عند ذكره للقياسر مثل سائر المنشآت المعاصرة له التي ذكر بعضها وأهمل بعضها الآخر .



القاهِرَةُ وسُور القائِد جَوْهَر في النِّصف الأَوَّل من تاريخ الدولة الفاطمية



القاهِرَةُ وأسْوارها قُرْب نِهايَة العصر الفاطمي

(تَصَوُّر بواسطة الحاسب الآلي ، عن نِزار الصَّيَّاد)

ويُسْلَك من باب الرِّيح المذكور إلى باب الزُّمُرُّد – وهو موضع المَدْرَسَة الحِجازِيَّة الآن – ومن باب الزُّمُرُّد إلى باب العيد، وعَقْدُهُ [1] باقٍ وفوقه قُبَّة إلى الآن في دَرْب السَّلَّامي بخُطِّ رَحْبَة باب العيد.

وكان قُبالَة باب العيد هذا رَحْبَةٌ عَظيمَةٌ في غاية الاتِّساع، يَقِفُ فيها العَساكِرُ الكثيرة من الفارِس والراجِل في يومي العيدين، تُعْرَف بـ «رَحْبَة العِيد»، وهي من باب الرِّيح إلى خِزانَة البُنود.

وكان يلي باب العيد «السَّفينَة» [a]، وبجوار السَّفِينَة [a] «خِزانَةُ البُنُود»، ويُسْلَك من خِزانَة البُنُود إلى باب قَصْر الشُّوك؛ وأَدْرَكْتُ منه قِطْعَةً من أَحَد جانبيه كانت تجاه الحَمَّام التي عُرِفَت بحَمَّام الأَيْدَمُري، ثم قيل لها في زَمَننا حَمَّام يُونُس [2]، بجوار المكان المعروف بخزانَة البُنود. وقد عُمِلَ مَوْضِعَ هذا الباب زُقاقٌ يُسْلَك منه إلى المارِسْتان العَتيق وقَصْر الشُّوك ودَرْب السَّلَّامي وغيره، ويُسْلَك من باب قَصْر الشُّوك إلى باب الدَّيْلَم، وموضعه الآن المَشْهَدُ الحُسَيْني.

وكان فيما بين قَصْر الشُّوك وباب الدَّيْلَم رَحْبَةٌ عَظيمَةٌ، تُعْرَف بـ «رَحْبَة قَصْر الشُّوك»، أوَّلها من رَحْبَة خِزانَة البُنُود، وآخرها حيث المَشْهَد الحُسَيْني الآن. وكان قَصْرُ الشُّوك يُشْرِف على إسْطَبْل الطَّارِمَة.

ويُسْلَك من باب الدَّيْلَم إلى باب تُرْبَة الزَّعْفَران – وهي مَقْبَرَةُ أهل القصر من الخُلَفاء وأوْلادهم ونسائهم – وموضعُ باب تُرْبَة الزَّعْفَران فُنْدُق الخَليلي في هذا الوقت ويُعْرَف بخُطِّ الزَّراكِشَة العَتيق [3].

وكان فيما بين باب [b] الدَّيْلَم وباب تُرْبَة الزَّعْفَران، «الخُوَيْخُ السَّبْعُ» التي يَتَوَصَّل منها الخَليفَةُ إلى الجامِع الأَزْهَر في ليالي الوُقودات [c]، فيجلس بمَنْظَرَة الجامِع الأَزْهَر ومعه حَرَمُه لمشاهَدَة الوَقيد والجَمْع. وبجوار الخُوَخ السَّبْع «إسْطَبْلُ الطَّارِمَة»، وهو برَسْم الخَيْل الخاصّ المعدَّة لرِكاب الخَليفَة.

---

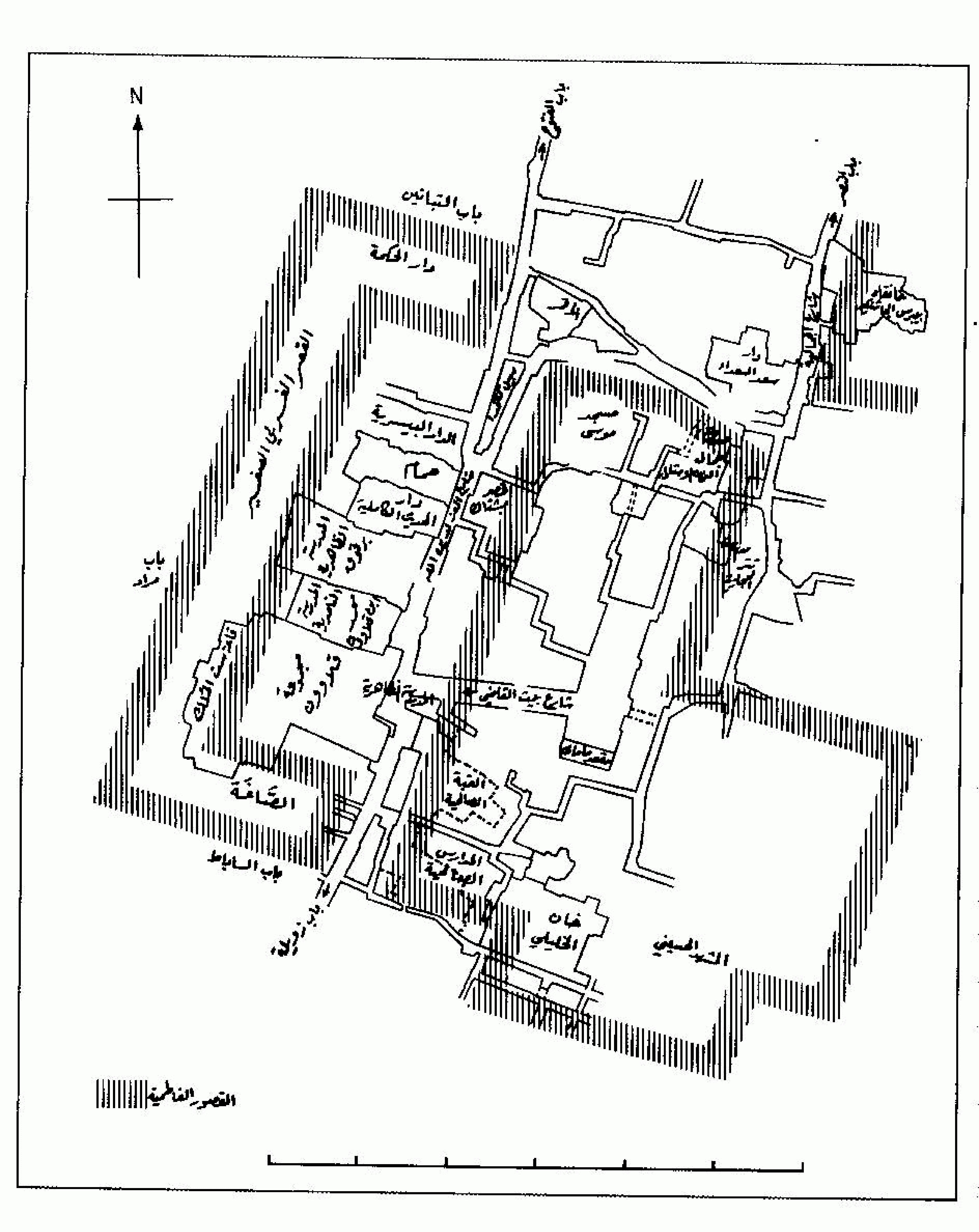
a) في النسخ المنقولة عن خط المؤلف: السفينة، وتكررت بهذا الاسم بعد ذلك، وقرأها كثير من الدارسين: السقيفة! b) ساقطة من بولاق. c) بولاق: الوقدات.

---

[1] العَقْد جـ. أعْقاد وعُقُود. عنصر معماري مُقَوَّس يعتمد على نقطتي ارتكاز، يشكِّل عادةً فتحات البناء أو يحيط بها (عبد الرحيم غالب: موسوعة العمارة ٢٧٥–٢٨٨).

[2] لم يفرد المقريزي هذه الحَمَّام بمدخل مستقل عند ذكر الحمّامات.

[3] فيما يلي ٣٥١.



الحُدُودُ الخارجية للقَصْرَيْن الفاطميين

وكان مُقابِل باب الدَّيْلَم ، ومن وَراء إسْطَبْل الطَّارِمَة ، الجامِعُ المعدّ لصَلاة الخَليفَة بالنَّاس أيام الجُمَع ، وهو الذي يُعْرَف في وَقْتِنا هذا بـ «الجامِع الأزْهَر» ، ويسمَّى في كُتُب التاريخ بـ «جامِع القاهِرَة» ، و قُدَّام هذا الجامِع رَحْبَةٌ مُتَّسِعة من حدّ إسْطَبْل الطَّارِمَة إلى الموضِع الذي يُعْرَف اليوم بالأكْفانيين .

ويُسْلَك من باب تُرْبَة الزَّعْفَران إلى باب الزُّهُومَة - وموضعه الآن باب سِرّ قاعَة مُدَرِّس[a] الحَنابِلَة من المَدارِس الصَّالِحِيَّة - وفيما بين باب[b] تُرْبَة الزَّعْفَران وباب الزُّهُومَة «دارُ العِلْم» و«خِزانَةُ الدَّرَق» .

ويُسْلَك / من باب الزُّهُومَة إلى باب الذَّهَب المذكور أوَّلًا ؛ وهذا هو دُور «القَصْر الشَّرْقي الكَبير»[1] .

وكان بحِذاء رَحْبَة باب العيد «دارُ الضِّيافَة» - وهي الدَّار المعروفة بدار سَعيد السُّعَداء التي هي اليوم خانْقاه للصُّوفية[2] - ويُقابِلها «دارُ الوَزارَة» ، وهي حيث الزُّقاق المقابل لباب سَعيد السُّعَداء ، والمَدْرَسَةُ القراسُنْقَرية ، وخانْقاه بَيْبَرْس وما يُجاورها إلى باب الجُوَّانِيَّة ، وما وَراء هذه الأماكِن .

وبجوار دار الوَزارَة ، «الحُجَـر» ، وهي من حِذاء دار الوَزارَة بجوار باب الجُوَّانِيَّة إلى باب النَّصْر القَديم . و من وَراءِ دار الوَزارَة «المُناخ السَّعيد» ، ويُجاوره حارَةُ العُطوفية ، وحارَةُ الرُّوم الجُوَّانية .

وكان جامِعُ الخُطْبَة - الذي يُعْرَف اليوم بجامِع الحاكِم - خارِجًا عن القاهِرَة ، وفي غربيه الزيادة التي هي باقية إلى اليوم ، وكانت أَهْراءُ لخَزْن الغِلال التي تُدَّخَر بالقاهِرَة كما هي عادَةُ الحُصُون .

---

a) بولاق : مدرسة . b) ساقطة من بولاق .

---

[1] قدَّم القَلْقَشَنْدي ، معاصر المَقْريزي ، وَصْفًا لحدود القصر الفاطمي يُكْمل ويُوَضِّح وصف المقريزي ؛ يقول : «ومكانه الآن المدرسة الصالحية بين القصرين إلى رَحْبَة الأيْدَمُري طولًا ، ومن الشُّبَّع خُوخ إلى رحبة العيد عرضًا ، والحَدُّ الجامع لذلك أن تجعل باب المدرسة الصالحية على يسارك وتمضي إلى الشُّبَّع خُوخ ثم إلى المَشْهَد الحُسَيْني ثم إلى رحبة الأيْدَمُري ثم إلى الرُّكْن المخَلَّق ثم إلى بَيْن القصرين ، حتى تأتي إلى باب المدرسة الصالحية من حيث ابتدأت ؛ فما كان على يسارك في جميع دَوْرَتك فهو موضع القصر (صبح الأعشى ٣: ٣٤٥-٣٤٦) .

[2] هنا وهم من المقريزي فدار الضيافة كانت أوّلًا في دار المُظَفَّر بن بدر الجمالي داخل حارة بَرْجَوان (فيما يلي ٥٠٩) ، وعندما ذكر خانقاه سعيد السعداء (فيما يلي ٢: ٤١٥) لم يذكر أنها استخدمت دارًا للضيافة .

وكان في غربيّ الجامِع الأَزْهَر حارَةُ الدَّيْلَم، وحارَةُ الرُّوم البَرَّانِيَّة، وحارَةُ الأَتْراك - وهي التي[a] تُعْرَفُ اليوم بدَرْب الأَتْراك - وحارَةُ الباطِلِيَّة.

وفيما بين باب الزُّهُومَة والجامع الأَزْهَر وهذه الحارات، «خَزائِنُ القَصْر» وهي: خِزانَةُ الكُتُب، وخِزانَةُ الأَشْرِبة، وخِزانَةُ السُّرُوج، وخِزانَةُ الخِيَم، وخَزائِنُ الفَرْش، وخَزائِنُ الكُسْوات، وخَزائِنُ دار أَفْتَكِين، ودارُ الفِطْرَة، ودارُ التَعبِئَة، وغير ذلك من الخَزائِن. هذا ما كان في الجِهَة الشَّرْقِيَّة من القاهِرَة.

وأمَّا «القَصْرُ الصَّغير الغَرْبي» فإنَّه مَوْضِعُ المارِسْتان الكبير المَنْصوري إلى جوار حارَة بَرْجَوان. وبين هذا القَصْر وبين القَصْر الكبير الشَّرْقي فَضاءٌ مُتَّسع يقف فيه عشرةُ آلاف من العَساكِر، ما بين فارِسٍ وراجِلٍ، يُقالُ له «بَيْنَ القَصْرَيْن».

وبجوار القَصْر الغَرْبي «المَيْـدَانُ» - وهو المَوْضع الذي يُعْرَف بالخُرُنْشُف - و«إسْطَبْل الجِمِّيزَة»[b]. وبحِذاء المَيْدان «البُسْتان الكافوري» المُطِلّ من غربيه على الخَليج الكبير. ويُجاوِر المَيْدان دارُ بَرْجَوان العَزيري، وبحذائها رَحْبَةُ الأَفْيال، ودارُ الضِّيافَة القَديمَة، ويُقالُ لهذه المواضِع الثلاثة حارَةُ بَرْجَوان.

ويُقابلُ دار بَرْجوان «المَنْحَـر» وموضعه الآن يُعْرَف بالدَّرْب الأَصْفر، ويُدْخَلُ إليه من قُبالَة خانْقاه بَيْبَرْس. وفيما بين ظَهْر المَنْحَر وباب حارَة بَرْجَوان سُوقُ أمير الجُيُوش، وهو من باب حارَة بَرْجَوان الآن إلى باب الجامِع الحاكِمي.

ويُجاوِر حارَة بَرْجَوان من بحْريها «إسْطَبْلُ الحُجَرِيَّة»، وهو متَّصلٌ ببابِ الفُتوح الأوَّل، وموضع بابِ إسْطَبْل الحُجَرِيَّة يُعْرَف اليوم بخَان الوِراقَة والقَيْسارية تِجاه الجَمَلون الصَّغير وسُوق المُرَحِّلين. وتجاه إسْطَبْل الحُجَرِيَّة الزيادة، وفيما بين الزِّيادة والمَنْحَر دَرْبُ الفَرَنْجِيَّة.

وبجِوار البُسْتان الكافوري حارَةُ زَوِيلَة، وهي تتَّصل بالخَليج الكبير من غربيها. وتجاه حارَة زَوِيلَة «إسْطَبْلُ الجِمِّيزَة»، وفيه خُيولُ الخَليفَة أيضًا. وفي هذا الإسْطَبْل بِئْرُ زَوِيلَة، وموضعها الآن قَيْسارية معقودة على البئر المذكورة، يعلوها رَبْعٌ يُعْرف بقَيْسارية يُونُس من خُطّ البُنْدُقانيين؛ فكان إسْطَبْلُ الجِمِّيزَة المذكور فيما بين القَصْر الغربيّ من بَحْريه وبين حارة زَوِيلَة، وموضعه الآن قُبالَة باب سِرِّ المارِسْتان المنصوري إلى البُنْدُقانيين.

---

a) ساقطة من بولاق. b) في جميع النسخ: الطارمة وهو التباس من المقريزي.

وبحِذاء القَصْر الغَرْبي من قبليه «مَطْبَخُ القَصْر» تجاه باب الزُّهُومَة المذكور، والمَطْبَخُ موضعه الآن الصَّاغَة قُبالَة المَدارِس الصَّالِحِيَّة. وبجوار المَطْبَخ الحارَةُ العَدَوِيَّة، وهي من الموضع الذي يُعْرَف بحَمَّام خُشَيْبَة إلى حيث الفُنْدُق الذي يُقالُ له فُنْدُق الزِّمام. وبجوار العَدَوِيَّة حارَةُ الأُمَرَاء، ويُقالُ لها اليوم [a]دَرْبُ شَمْس الدَّوْلَة، ويُجاور حارَة الأُمَرَاء «الصَّاغَة القَديمَة» وموضعها اليوم[a] سُوق الزَّجّاجين وسُوق الحَريريين الشَّرابيين.

ويُجاور الصَّاغَة القَديمَة «حَبْسُ المَعُونَة»، وهو مَوْضِعُ قَيْسارية العَنْبَر؛ وتجاه حَبْس المَعُونَة عَقَبَةُ الصَّبَّاغين وسُوقُ القَشَّاشين، وهو يُعْرَف اليوم بالخَرَّاطين؛ ويُجاور حَبْس المَعُونَة دِكَّةُ الحِسْبَة ودارُ العِيار، ويُعْرَف موضع دِكَّة الحِسْبَة الآن بالأَبْزاريين؛ وفيما بين دِكَّة الحِسْبَة وحارتي الرُّوم والدَّيْلَم سُوقُ السَّرَّاجين، ويُقالُ له الآن الشَّوَّائين؛ وبطَرف سُوق السَّرَّاجين مَسْجِدُ ابن البَنَّاء الذي تُسمِّيه العامَّة سام بن نُوح؛ ويُجاور هذا المَسْجِد باب زَوِيلَة.

وكان من حِذاء حارَة زَوِيلَة، من ناحية باب الخُوخَة، «دارُ الوَزير يَعْقوب بن كِلِّس»، وصارَت بعده «دار الدِّيباج» و«دار الاستعمال»، وموضعها الآن المَدْرَسَة الصَّاحِبِيَّة[b] وما وراءَها. وتتَّصل دارُ الدِّيباج بالحارَة الوَزيرِيَّة، وإلى جانِب الوَزِيرِيَّة المَيْدان الآخِذ[c] إلى باب سَعادَة وفيما بين باب سَعادَة وباب زَوِيلَة أهْراءٌ أيضًا ومسْطاح [d].

هذا ما كانت عليه صِفَةُ القاهِرَة في الدَّوْلَة الفاطِمية، وحَدَثَت هذه الأماكنُ شيئًا بعد شيء. ولم تَزَل القاهِرَةُ دارَ خِلافَةٍ ومنزلَ مُلْكٍ ومَعْقِل قِتالٍ، لا ينزلها إلَّا الخَليفَةُ وعَساكِرُه وخَواصُّه الذين يُشَرِّفُهم بقُرْبه فقط.

وأمَّا «ظاهِرُ القاهِـرَة» من جِهاتِها الأَرْبَع فإنَّه كان في الدولة الفاطِمية على ما أذكر:

أمَّا «الجِهَةُ القِبْلِيَّة» - وهي التي فيما بين باب زَوِيلَة ومصر طُولًا، وفيما بين الخَليج الكَبير والجبَل عَرْضًا - فإنَّها كانت قسمين: ما جازَه[e] يمينُك إذا خَرَجْتَ من باب زَوِيلَة تُريد مصر، وما جازَه[e] شِمالُك إذا خَرَجْتَ منه نحو الجبَل.

فأمَّا ما جازَه[e] يمينُك - وهي المَواضِعُ التي تُعْرَف اليوم بدارِ التُّفّاح، وتَحْت الرَّبْع، والقَشَّاشين، وقَنْطَرَة باب الخَرْق، وما على حافَتَي الخَليج من جانبيه / طُولًا إلى الحَمْراء التي يُقالُ ١:

a-a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: الصالحية. c) بولاق: الآخر. d) بولاق: وسطاح. e) بولاق: حاذى.

لها اليوم خُطّ قَناطِر السِّباع ، ويَدْخُل في ذلك سُوَيْقَةُ عُصْفُورٍ ، وحارةُ الحَمْزِيِّين ، وحارةُ بني سُوسٍ إلى الشَّارِع ، وبِرْكَة الفيل والهِلاليّة والمحْمودية إلى الصَّلِيبَة ومَشْهَدُ السَّيِّدَة نَفِيسَة – فإنَّ هذه الأماكِن كلَّها كانت بَساتِين تُعْرَف بجِنان الزُّهْري ، وبُسْتان سَيْف الإسلام وغير ذلك . ثم حَدَثَ في الدَّوْلَة هناك حاراتٌ للسُّودان ، وعُمِّرَ البابُ الجَدِيد – وهو الذي يُعْرَفُ اليوم بباب القَوْس – من سُوق الطُّيور في الشَّارِع عند رأس [a]، وحَدَثَت الحارَةُ الهِلاليَّة ، والحارَةُ المحْمودية .

وأمّا ما جازَه[b] شِمالُك – حيث الجامِع المعروف بجامع الصَّالِح والدَّرْب الأحْمَر إلى قَطائِع ابن طُولون التي هي الآن الرُّمَيْلَة والمَيْدان تحت القَلْعَة – فإنَّ ذلك كان مَقابِرَ أهْل القاهِرَة .

وأمّا «جِهَةُ القاهِرَة الغَرْبِيّة» – وهي التي فيها الخليجُ الكبير ، وهي من باب القَنْطَرة إلى المَقْس وما جاوَر ذلك – فإنَّها كانت بَساتِين من غربيها النِّيل ، وكان ساحِلُ النِّيل بالمَقْس حيث الجامع الآن ، فيمرُّ من المَقْس إلى المكان الذي يُقالُ له اليوم[c] الجُرُف ، ويمضي على شمالي أرض الطَّبَّالة إلى البعْل ، وموضع كُوم الرِّيش إلى المُنْيَة .

ومَواضِعُ هذه البَساتين اليوم أراضي اللُّوق والزُّهْري ، وغيرها من الحُكُورَة التي في بَرِّ الخَليج الغربي إلى بِرْكَة قَرْموط والخُور وبُولاق . وكان فيما بين باب سَعادَة وباب الخُوخَة وباب الفَرَج وبين الخَليج فَضَاءٌ لا بُنْيان فيه ، والمناظِرُ تُشْرِف على ما في غربيّ الخَليج من البَساتين التي وراءَها بحرُ النِّيل .

ويَخْرُج النَّاسُ فيما بين المَناظِر والخَليج للنُّزْهَة ، فيجتمع هناك من أرْباب البَطالَة واللَّهْو ما لا يُحْصَى عددُهم ، وتَمُرّ لهم هناك من اللَّذّات والمسرّات ما لا تَسَع الأوراقُ حكايته ، خُصوصًا في أيّام النِّيل عندما يتحوّل الخَليفَةُ إلى اللُّؤْلُؤة ويتحوّل خاصَّتُه إلى دار الذَّهَب وما جاوَرَها ، فإنَّه تكثُرُ حينئذٍ الملاذ بسَعَة الأرزاق وإدْرار النِّعَم في تلك المُدَّة ، كما يأتي ذكره إن شاءَ الله[1] .

وأمّا «جِهَةُ القاهِرَة البَحْرِيَّة» فإنَّها كانت قسمين : خارِج باب الفُتُوح ، وخارِج باب النَّصْر . أمّا خارِجُ باب الفُتُوح فإنَّه كان هناك مَنْظَرَةٌ من مَناظِر الخِلافَة[d]، وقُدَّامها البُسْتانان الكبيران : وأوَّلهما من زُقاق الكَحْل[2]، وآخرهما مُنْيَة مَطَر التي تُعرف اليوم بالمَطَرِيَّة . ومن غربيّ هذه

---

a) بياض في جميع النسخ لعله : المنجبية . b) بولاق : حاذى . c) ساقطة من بولاق . d) بولاق : الخلفاء .

---

[1] انظر فيما يلي ٥٢٨– ٥٣٧.

[2] زُقاق الكَحْل . لم يُفرد المقريزي في أي موضع من =

المَنْظَرَة - في جانِب الخَليج الغربي - مَنْظَرَةُ البَغْل، فيما بين أرض الطَّبَّالة والخَنْدَق، وبالقُرْب منها مَناظِر الخَمْس وجوه والتَّاج ذات البَساتين الأنيقة المنصوبة لتنزُّه الخَليفَة.

وأمَّا خارِجُ باب النَّصْر فكان به «مُصَلَّىٰ العيد» التي عُمِلَ من بعضها مُصَلَّىٰ الأموات لا غير[١]، والفَضَاءُ من المُصَلَّىٰ إلى الرَّيْدانِيَّة وكان بُستانًا عَظيمًا، ثم حَدَثَ في ما خَرَج من باب النَّصْر «تُرْبَةُ أمير الجُيُوش بَدْر الجمالي»، وعَمَّرَ النَّاسُ التُّرَب بالقُرْب منها[٢]، وحَدَثَ فيما خَرَجَ عن باب الفُتُوح عَمائِر منها «الحُسَيْنِيَّة» وغيرها[٣].

وأمَّا «جِهَةُ القاهِرَة الشَّرقيَّة» - وهي ما بين السُّور والجَبَل - فإنَّه كان فَضَاءً، ثم أَمَرَ الحاكِمُ بأمر الله أن تُلْقَى أتربَةُ القاهِرة من وَراء السُّور لتَمْنَع السُّيُول أن تَدْخُل إلى القاهِرَة، فصارَ منها الكيمان التي تُعْرَف بـ «كيمان البَرْقِيَّة». ولم تَزَل هذه الجِهَةُ خالية من العِمارَة إلى أن انقرضت الدولةُ الفاطِمية. [a]فسُبْحان الباقي بعد فَنَاءِ خَلْقه[a].

ذِكْرُ ما صارَتْ إليه القاهِرَةُ بعد اسْتِيلاء الدَّوْلَة الأيُّوبيَّة عليها

قد تقدَّم أنَّ القاهِرَةَ إنَّما وُضِعَت منزلَ سُكْنى للخَليفَة وحُرَمِه وجُنْدِه وخواصِّه، ومَعْقِلَ قِتال يُتَحصَّن بها ويُلْتَجأ إليها؛ وأنَّها ما بَرِحَت هكذا حتى كانت الشِّدَّةُ[b] العُظْمَىٰ في خِلافَة المُسْتَنْصِر. ثم قَدِمَ أميرُ الجُيُوشِ بَدْرٌ الجَمالي وسَكَنَ القاهِرَة، وهي يبابٌ دائِرَة خاوية على عُروشها غير عامِرَة. فأباحَ للنَّاس من العَسْكَرِيَّة والمِلْحِيَّة والأَزْمَن، وكلٌّ من وَصَلَت قدرته إلى عمارة، بأن يُعَمِّر ما شاءَ في القاهِرَة مِمَّا خَلا من فُسْطاط مصر وماتَ أهلُه، فأَخَذَ النَّاسُ ما كان هناك من أَنْقاض الدُّور وغيرها، وعَمَّروا به المنازِل في القاهِرَة وسَكَنُوها[٤]. فمن حينئذٍ سَكَنَها

---

a-a) موضع هذه العبارة في آياصوفيا: والله أعلم. b) بولاق: السنة.

= كتابه مدخلًا لتحديد موقع زقاق الكحل، وذكر (فيما يلي ٢: ٤٣٠) في معرض حديثه عن زاوية الشيخ خضر شيخ السلطان الظاهر بيبرس، أنها خارج باب الفتوح من القاهرة بخط زقاق الكحل تُشْرِف على الخليج. وحدَّد محمد بك رمزي موقع زقاق الكحل بالطريق المسمى سِكَّة الظَّاهِر أو شارع المَنْسي في مواجهة المدخل الجنوبي لجامع الظاهر بيبرس (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ١٦١هـ[١]).

[١] انظر فيما يلي ٤٧٨.

[٢] عن تربة أمير الجيوش بدر الجمالي وما حولها من التُّرَب انظر فيما يلي ٢: ٢٢، ١٣٨- ١٣٩، ٤٤٣- ٤٦٣.

[٣] الحسينية انظرها فيما يلي ٢: ٢٠- ٢٢.

[٤] فيما تقدم ١: ٩- ١٠.

أَصْحابُ السُّلْطان ، فلمَّا زالَت[a] الدولةُ الفاطِمية باستيلاء السُّلْطان الملك النَّاصِر صلاح الدِّين يُوسُف بن أيُّوب بن شاذي في سنة سبع وستين وخمس مائة ، فنَقَلَها عمَّا كانت عليه من الصِّيانَة وجَعَلَها مُبْتَذَلَةً [b]وصَيَّرَها مَدينَةً[b] لسَكَن العامَّة والجُمْهور ، وحَطَّ من مِقْدار قُصور الخِلافَة وأَسْكَنَ في بَعضها ، وتَهَدَّم البعضُ وأُزيلت معالمه وتغيَّرَت معاهِدُه فصارَت خِطَطًا وحارات وشَوارِع ومَسالِك وأزِقَّة .

ونزَلَ السُّلْطانُ منها في دار الوَزارَة الكُبْرىٰ حتى بُنيَت قَلْعَةُ الجَبَل ، فكان السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين يتردَّد إليها ويُقيم بها ، وكذلك ابنُه الملكُ العَزيزُ عُثْمان وأخوه الملكُ العادِلُ أبو بكر . فلمَّا كان الملكُ الكامِلُ ناصِرُ الدِّين محمد بن العادِل أبي بكر بن أيُّوب ، تَحَوَّل من دار الوَزارَة إلى القَلْعَة وسَكَنَها ، ونَقَلَ سُوقَ الخَيْل والجِمال والحَمير إلى الرُّمَيْلة تحت القَلْعَة[1] .

فلمَّا خَرِبَ المَشْرِقُ والعِراقُ ، بهُجوم عَساكِر التَّتَر[c] منذ كان جَنْكِزْخان في أعْوام بضع عشرة وستّ مائة ، إلى أن قُتِلَ الخَليفَةُ المُسْتَعْصِمُ ببَغْداد في صَفَر سنة ستٍّ وخمسين وستّ مائة ، كَثُرَ قُدوم المَشارِقَة / إلى مصر ، وعَمُرَت حافتِي الخَليج الكبير وما دارَ على بِرْكَة الفيل ، وعَظُمَت ٣٦
عِمارَة الحُسَيْنِيَّة[2] .

فلمَّا كانت سَلْطَنَةُ الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون الثالثة بعد سنة إحدى عشرة وسبع مائة ، واستجدَّ بقَلْعَة الجَبَل المباني الكثيرة من القُصور وغيرها ، حَدَثَت فيما بين القَلْعَة وقُبَّة النَّصْر عِدَّةُ تُرَب ، بعد ما كان ذلك المكانُ فَضاءً يُعرف بالمَيْدان الأَسْوَد ومَيْدان القَبَق[3] . وتَزايَدَت العَمائِرُ بالحُسَيْنِيَّة حتى صارَت من الرَّيْدانِيَّة إلى باب الفُتُوح .

وعَمُر جَميعُ ما حول بِرْكَة الفيل والصَّليبَة إلى جامِع ابن طُولون ، وما جاوَرَه إلى المَشْهَد النَّفيسي ، وحَكَرَ النَّاسُ أرضَ الزُّهْرِيّ وما قَرُبَ منها ، وهو من قَناطِر السِّباع إلى مُنْشَأة المَهْرانيّ ، ومن قَناطِر السِّباع إلى البِرْكَة النَّاصِرِيَّة إلى اللُّوق إلى المَقْس . فلمَّا حَفَرَ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون

---

a) في النسخ : إلى أن انقرضت وجاء على هامش آياصوفيا : يحرر محله : فلما زالت الدولة . b-b) ساقطة من بولاق .
c) آياصوفيا : الططر .

---

[1] فيما يلي ٤٣٩ ؛ ٢ : ٢٠٣ .
[2] فيما يلي ٢ : ٢٢ .
[3] فيما يلي ٢ : ١١١ .

الخَلِيج النَّاصِرِيّ، اتَّسعت الخِطَّةُ فيما بين المَقْس والدِّكَّة إلى ساحِل النِّيل، وأنشأ النَّاسُ فيها البَسَاتِين العَظِيمَة والمساكِنَ الكثيرة والأسْواق والجوامِع والمساجِد والحَمَّامات والشُّوَن، وهي من المواضِع التي من باب البَحْر خارِج المَقْس إلى ساحِل النِّيل المسمَّى ببُولاق، ومن بُولاق إلى مُنْيَة السِّيرج، ومنه في القِبْلَة إلى مُنْشأة المَهْراني.

وعَمُر ما خَرَجَ عن باب زَوِيلَة يَمْنَةً ويَسْرَةً من قَنْطَرَة الخَرْق إلى الخَليج، ومن باب زَوِيلَة إلى المَشْهَد النَّفيسي. وعَمُرَت القَرافَةُ من باب القَرافَة إلى بِرْكَة الحَبَش طُولًا، ومن القَرافَة الكبرىٰ إلى الجَبَل عَرْضًا، حتى إنَّه استجدّ في أيام النَّاصِر بن قَلاوون بضعٌ وستون حِكْرًا، ولم يبق مَكانٌ يُحْكَر.

واتَّصَلَت عَمائِرُ مِصْر والقاهِرَة، فصارا بلدًا واحدًا يشتمل على البَساتِين والمَناظِر والقُصُور والدُّور والرِّباع والقَياسِر والأسْواق والفَنادِق والخانات والحَمَّامات والشَّوارِع والأزِقَّة والدُّروب والخِطَط والحارات والأحْكار والمَساجِد والجَوامِع والزَّوايا والرُّبَط والمَشاهِد والمَدارِس والتُّرَب والحَوانيت والمَطَابِخ والشُّوَن والبِرَك والخُلْجان والجَزائِر والبَساتين[a] والرِّياض والمتنزَّهات، متَّصلًا جَميعُ ذلك بعضُه ببعض، من مَسْجِد تِبْر إلى بَساتِين الوَزير قِبْلي بِرْكَة الحَبَش، ومن شاطِئ النِّيل بالجيزَةِ إلى الجَبَل المُقَطَّم.

وما زالَت هذه الأماكِنُ في كَثْرَةِ العِمارَة وزيادَة العَدَد، تَضِيق بأهْلِها لكَثْرَتِهم وتَخْتالُ عُجْبًا بهم لمَّا بالغوا في تحسينها وتأنَّقوا في جَوْدَتِها وتَنْميقها، إلى أن حَدَثَ الفَنَاءُ الكَبير في سنة تسع وأربعين وسبع مائة [1]، فخَلا كثيرٌ من هذه المواضِع، وبقي كثيرٌ أدركناه. فلمَّا كانت الحَوادِثُ من

---

a) ساقطة من بولاق.

---

[1] الفَنَاءُ الكبير. وَباءٌ اجتاح شعوب حوض البحر المتوسط واستمرَّ نحو خمسة عشر عامًا، أُطْلِقَ عليه أيضًا «الفناء العظيم» و«الوباء الأسود». (راجع، ابن حبيب: تذكرة النبيه ٣: ١١٠- ١١٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية ١٤: ٢٢٥- ٢٣٠؛ المقريزي: السلوك ٢: ٧٥٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٦، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨٧؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠: ١٩٥- ٢١١؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٥٢٧- ٥٣٣؛ وانظر كذلك Wiet, G., «La grande peste noire en Syrie et en Égypte» dans *Études d'Orientalisme dédiés à la mémoire de Lévi-Provençal*, Paris 1962, pp. 367-84، (وهو ترجمة لما جاء بخصوص هذا الوباء من نصوص عند ابن كثير والمقريزي وأبي المحاسن وابن إياس)؛ Dols, M., *The Black Death in the Middle East*, Princeton 1976; Shoshan, B., «Notes sur les épidémies de peste en Égypte», *Annales de démographie historique* (1981), pp. 387-404.

سنة ستٍّ وثمان مائة وقَصُرَ جَرْي النِّيل في مَدِّه، وخَرِبَت البلادُ الشَّامية بدُخول الطَّاغِيَة تَيْمورلَنْك وتَحْرِيقها وقَتْل أَهْلها، وارْتِفاع أسْعار الدِّيار المصرية، وكَثْرَة الغَلاء فيها وطُول مُدَّتِه، وتَلاف النُّقودِ المُتعامَل بها وفَسادِها، وكَثْرَة الحُروب والفِتَن بين أهل الدولة، وخَراب بِلاد[a] الصَّعيد وجَلاء أهله عنه، وتداعي أَسْفَل أرض مصر من البلاد الشرقية والغربية إلى الخَراب، واتِّضاع أُمُور مُلوك مصر، وسُوء حالِ الرَّعِيَّة، واستيلاء الفَقْرِ والفاقَة[a] والحاجَةُ والمَسْكَنَة على النَّاس وكثرة تنوُّع المظالِم الحادِثَة من أرباب الدَّوْلَة بمُصادَرَة الجمهور، وتَتَبُّع أرْباب الأمْوال واحْتِجاز[b] ما بأيديهم من المال بالقُوَّة والقَهْر والغَلَبَة، وطَرْح البَضائِع ممَّا يتَّجر فيه السُّلْطانُ وأصحابُه على التجَّار والباعَة بأغلى الأثمان، إلى غير ذلك ممَّا لا يَتَّسِعُ لأَحَدٍ ضَبْطُه، ولا تَسَعُ الأوراقُ حكايته، كَثُرَ الخَرابُ بالأماكِن التي تقدَّم ذكرُها وعَمَّ سائِرُها، وصارَت كيمانًا وخَرائِب مُوحِشَة مُقْفِرَة يأويها البُومُ والرَّخَمُ، أو مُسْتَهْدَمَة واقِعَة أو آيلة إلى السُّقوط والدُّثور، سُنَّة الله التي قد خَلَت في عِبادِه، ولن تجد لسُنَّة الله تبديلًا[1].

ذِكْرُ طَرَفٍ مِمَّا قِيل في القَاهِرَة ومُتَنَزَّهاتِها

قال أبو الحَسَن عليُّ بنِ رِضْوان الطَّبيب: ويلي الفُسْطاط - في العِظَم وكَثْرَة النَّاس - القاهِرَة، وهي في شمال الفُسْطاط، وفي شرقيها أيضًا الجَبَل المُقَطَّم يَعُوق عنها ريح الصَّبَا، والنِّيلُ منها أبعد قليلًا، وجميعها مكشوفٌ للهَواء، وإن كان عَمَلُ فَوْق[2] رُبَّما عاق عن بعض ذلك.

وليس ارتفاعُ الأبنية بها كارتفاع أبْنِيَة[a] الفُسْطاط لكن دونها كثيرًا، وأزِقَّتها وشوارعها - بالقياس إلى أزِقَّة الفُسْطاط وشوارعها - أَنْظَف وأقلُّ وَسَخًا وأبعد من العفَن، وأكثر شُرْب أهْلها من مِياه الآبار، [c]وإذا هَبَّت الرِّيحُ تَحْرِقُها[c] وإذا هبَّت ريحُ الجَنُوب أَحْدَرَت[d] من بُخار الفُسْطاط على القاهِرَة شيئًا كثيرًا، وقُرْب مياه آبار القاهِرَة من وجه الأرض - مع سَخافَتها - موجِبٌ ضرورة أن تكون يصل إليها بالرَّشْح من عُفُونَة الكُنُف شيءٌ ما.

---

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: واحتجاب. c-c) ساقطة من بولاق. d) بولاق: أخذت.

---

[1] تمثل هذه الفقرة نظرة نقدية ثاقبة لأحوال مصر في زمن المقريزي، والتي أرجع المقريزي سببها في مواضع أخرى من كتبه إلى سوء تدبير السلطان الناصر فرج بن برقوق (انظر السلوك ٤: ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧).

[2] انظر عن عمل فوق فيما تقدم ٣٩.

وبين القاهِرَة والفُسْطاط بَطائِحُ تمتلئ من رَشْح الأرض في أيام فَيْض النِّيل ، ويصبّ فيها بعض خَرَّارات القاهِرَة ، ومِياه البَطائِح هذه رديئة وَسِخَة أرضها ، وما يَصُبُّ فيها من العُفونة يقتضي أن يكون البُخارُ المرتفع منها على القاهِرَة والفُسْطاط زائدًا في رَدَاءَة الهَواء بهما . ويُطْرَح في جنوب القاهِرَة قَذرٌ كثير نحو حارَة الباطِليَّة ، وكذلك يُطْرَح في وسط حارَة / العَبيد[a]. ٤١

إلّا أنَّه إذا تأمَّلنا حالَ القاهِرَة كانت – بالإضافة إلى الفُسْطاط – أَعْدَل وأَجْوَد هَواءً وأصلح حالًا ، لأنَّ أكثر عفوناتهم تُرْمى خارج المَدينَة ، والبُخار ينحلّ منها أكثر . وكثيرٌ أيضًا من أهل القاهِرَة يَشْرَب من ماء النِّيل وخاصَّة في أيَّام دُخوله الخَليج ، وهذا الماءُ يُسْتَقَى بعد مروره بالفُسْطاط واختلاطه بعفوناتها[١].

قال : وقد اقتصر أَمْرُ الفُسْطاط والجيزَة والجَزيرَة : فظاهِرٌ أنَّ أَصَحَّ أجزاء المَدينَة الكُبْرَىٰ القَرافَةُ ، ثم القاهِرَةُ والشَّرَفُ وعَمَلُ فَوْق مع الحَمْراء والجيزَة ، وشمالُ القاهِرَة أَصَحُّ من جَميع هذه لبعده عن بُخار الفُسْطاط وقربه من الشمال ، وأرْدأ[b] مَوْضِع في المَدينَة الكُبْرَىٰ هو ما كان من الفُسْطاط حول الجامِع العَتيق إلى مايلي النِّيل والسَّواحل . وإلى جانب القاهِرَة من الشَّمال الخَنْدَق ، وهو في غَوْر ، فهو[c] يتغيَّر أبدًا لهذا السَّبَب . فأمَّا المَقْسُ فمجاورته للنِّيل تَجْعَلَه أرْطَب[٢].

وقال ابنُ سعيد في كتاب «المُغْرِب في حُلَى المَغْرِب» [d]ومن خَطِّه نَقَلْت ما نَصّه من كِتاب الكمائِم للبَيْهَقي[d]: وأمَّا مَدينَةُ القاهِرَة فهي الحالية الباهِرَة التي تَفَنَّن فيها الفاطِميون وأبدعوا في بنائِها ، واتَّخَذُوها وَطَنًا لخلافتهم ومركزًا لأرجائها ، فنَسِيَ الفُسْطاطُ ، وزُهِدَ فيه بعد الاغتباط[٣].

قال : وسُمِّيَت القاهِرَة لأنَّها تَقْهَرُ من شَذَّ عنها ورامَ مخالَفة أمْرِها[e]، وقَدَّروا أنَّ منها يملكون الأرض ويستولون على قَهْر الأُمَم ، وكانوا يُظْهِرون ذلك ويَتَحَدَّثون به[٤].

---

a) كذا في النسخ وعند ابن رضوان . وربما كان المقصود : رحبة العيد . b) بولاق : وأرقى . c) ابن رضوان : وهواؤه . d-d) في بولاق والنسخ : عن البيهقي والمثبت من مسودة المواعظ . e) بولاق : أميرها والتصويب من المسودة .

---

[١] ابن رضوان : دفع مضار الأبدان بأرض مصر ١٦١ - ١٦٢.

[٢] ابن رضوان : رفع مضار الأبدان ١٦٤ - ١٦٥.

[٣] ابن سعيد : النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ٢١، المقريزي : مسودة المواعظ ١٩.

[٤] نفسه ٢٢؛ نفسه ٢٠.

قال ابنُ سعيد : هذه المَدينَة اسمها أَعْظَمُ منها ، وكان يَنْبَغي أن تكون في تَرْتيبها ومَبانيها على خِلاف ما عاينته ؛ لأنَّها مَدينَةٌ بَناها المُعِزّ أعظم خُلَفاء العُبَيْدِيين ، وكان سُلْطانُه قد عَمَّ جميع طول المغرب من أوَّل الديار المصرية إلى البَحْر المحيط ، وخُطِبَ له في البَحْرَيْن من جَزيرَة العَرَب[a] عند القَرامِطَة ، وفي مَكَّة والمَدينَة وبلاد اليَمَن وما جاوَرَها ، وقد عَلَت كلمتُه ، وسارَت مَسيرَ الشَّمْس في كلِّ بلدة ، وهَبَّت هُبوب الرِّيح في البَرِّ والبحر ، لا سيمَّا وقد عايَن مباني أبيه المَنْصور في مَدينَة المَنْصوريَّة التي إلى جانب القَيْرَوان ، وعايَن المَهْدِيَّة مَدينَة جَدِّه عبيد الله المَهْدي ، لكن الهِمَّة السُّلْطانية ظاهِرَةٌ على قُصور الخُلَفاء بالقاهِرَة ، وهي ناطِقَة إلى الآن بألسُنِ الآثار ولله دَرُّ القائل :

[الكامل]

هِمَمُ المُلوك إذا أرادوا ذِكْرَها ‏ ‏ ‏ من بَعْدِهِم فبألْسُن البُنْيانِ
إنَّ البِناءَ إذا تَعاظَمَ شأنُه ‏ ‏ ‏ أَضْحَى يَدُلُّ على عَظيم الشانِ

وتَهَمَّم[b] من بعدُ الخُلَفاءُ المصريون بالزيادة في تلك القُصُور ، وقد عاينت فيها إيوانًا يقولون إنَّه بُنيَ على قَدْر إيوان كِسْرى الذي بالمدائِن [من أرض العراق][c]، وكان يجلس فيه خُلفاؤهم [1].

ولهم على الخَليج الذي بين الفُسْطاط والقاهِرَة مَبانٍ عَظيمَة جَليلَة الآثار. وأَبْصَرْتُ في قُصورهم حيطانًا عليها طَبَقات[d] عَديدة من الكَلْس والجِبْس ، ذُكِرَ لي أنَّهم كانوا يُجَدِّدون تَبْييضها في كلِّ سنة .

والمكانُ المعروف في القاهِرَة بـ «بَيْنَ القَصْرَيْن» هو من الترتيب السُّلْطاني ؛ لأنَّ هناك ساحَةً متَّسعة للعَسْكر والمتفرِّجين ما بَيْنَ القَصْرَيْن .

ولو كانت القاهِرَةُ [e]كلُّها كذلك كانت[e] عَظيمَةَ القَدْر كامِلَةَ الهِمَّة السُّلْطانية ، ولكن ذلك أَمَدٌ قليل ، ثم تسير منه إلى أَمَدٍ ضَيِّق ، وتمرُّ في ممرٍّ كَدِر حَرِج بين الدكاكين ، إذا ازْدَحَمَت فيه الخَيْل مع الرَّجالَة كان ذلك ما تضيق منه الصُّدورُ ، وتَسْخَن منه العيون [2].

ولقد عايَنْتُ يومًا وَزيرَ الدَّوْلَة وبين يديه أُمَراءُ الدولة ، وهو في مَوْكِبٍ جليلٍ ، وقد لقي في طريقه عَجَلة بَقَر تحمل حجارة ، وقد سَدَّت جميع الطُّرُق بين يدي الدكاكين ، ووَقَفَ الوَزيرُ ،

---

a) بياض بالنسخ والمثبت من ابن سعيد . b) بولاق : واهتم والتصويب من ابن سعيد والمسودة . c) زيادة من ابن سعيد . d) في المسودة وآياصوفيا وابن سعيد وبولاق : طاقات ، والسياق يقتضي ما أثبت . e-e) ساقطة من بولاق .

---

[1] ابن سعيد : النجوم الزاهرة ٢٢؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٢٠-٢١.
[2] نفسه ٢٤؛ نفسه ٢٢.

وعَظْمَ الازدحام، وكان في مَوْضِع طَبَّاخين والدُّخان في وَجْه الوَزِير وعلى ثِيابِه، وقد كادَ يهلك المشاةُ، وكِدْتُ أهْلِك في جملتهم.

وأَكْثَرُ دُرُوب القاهِرَة ضَيِّقَةٌ مُظْلِمَةٌ كثيرةُ التُّراب والأزْبال، والمباني عليها من قَصَبٍ وطين مرتفعة قد ضَيَّقَت مَسْلَك الهَواء والضُّوءِ بينهما، ولم أرَ في جميع بلاد المغرب أسْوَأ حالاً منها في ذلك، ولقد كنت إذا مَشَيْتُ فيها يَضِيقُ صَدْري، ويُدْرِكني وَحْشَةٌ عَظِيمَةٌ حتى أخرج إلى بَيْنَ القَصْرَيْن[١].

ومن عُيُوب القاهِرَة أنَّها في أرض النِّيل الأَعْظَم، ويموتُ الإنسانُ فيها عَطَشًا لبُعْدها عن مَجْرى النِّيل لئلَّا يُصادرها ويأكل ديارها. وإذا احتاج الإنسانُ إلى فُرْجَةٍ في نيلها مَشَى في مَسافَةٍ بعيدة بظاهِرها بين المباني التي خارِج السُّور إلى مَوْضِعٍ يُعْرَف بالمَقْس[٢]، وجَوُّها لا يبرح كَدِرًا بما تثيره الأرجل من التُّراب الأسود.

وقد قُلْتُ فيها حين أكثر عليَّ رُفَقائي[a] من الحَضّ على العَوْد إليها[b]:

[المتقارب]

يقولون: سافِر إلى القاهِرَة … وما لي بِها راحَةٌ ظاهِرَة
زِحامٌ وضِيقٌ وكَرْبٌ وما … تُثير بها أرجلُ السَّائِرة

وعندما يُقْبِل المُسافِر عليها يَرَى سُورًا أسودَ كَدِرًا[c] وجوًّا مُغْبَرًّا، فتنقبض نفسه، ويفرُّ أُنْسُه[٣].

وأَحْسَنُ مَوْضِعٍ في ظواهِرها للفُرْجَة «أَرْضُ الطَّبَّالَة»[٤]، لاسِيَّما أيَّام[d] القُرْط والكَتَّان، فقُلْتُ /[e]:

[الطويل]

سَقَى الله أَرْضًا كُلَّما زُرْت أَرْضَها … كَساها وحَلَّاها بزينَتِه القُرْطُ
تَجَلَّت عَرُوسًا والمِياهُ عُقودُها … وفي كلِّ قُطْرٍ من جَوانِبِها قَطْرُ

---

a) بولاق: رفاقي. b) بولاق: فيها. c) المسودة: أسوارا سوداء كدراء. d) بولاق: أرض. e) النص عند ابن سعيد. وبلغني أن الفاضل زين الدين الدمشقي الحنفي المشهور بابن الشؤاج صنع في هذه الأرض بيتين جانس فيهما بين القرط - وهو النبات الذي ترعاه الدواب - وبين قرط الأذن، ولم أقف عليهما. فقلت والفضل للمتقدم.

---

[١] ابن سعيد: النجوم الزاهرة ٢٤؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٢٢-٢٣.

[٢] فيما يلي ٢:١٢١-١٢٤.

[٣] ابن سعيد: النجوم ٢٥؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٢٣.

[٤] فيما يلي ٢:١٢٥-١٢٦.

وفيها خَليجٌ لايزال يضعف بين خُضْرَتها حتى يَصير كما قال الرُّصافي :

[الكامل]

مـازالَـت الأَمْـحـالُ تـأخـذه   حـتى غَـدا كـذُؤابَةِ النَّـجْـم

وقُلْتُ في نُوَّار الكَتَّان على جانبيْ هذا الخَليج :

[البسيط]

انْظُر إلى النَّهْر، والكَتَّان يرمُقُه   من جانِبَيْه بأجْفانٍ لها حَدَقُ
رَأَتْه سَيْفًا عليه للصَّبا شَطَبٌ   فـقـابَـلَـتـه بـأحْـداقٍ بـهـا أَرَقُ
وأَصْبَحَتْ في يد الأَرْواح تَنْسِجها   حتى غَدَت حَلَقًا من فَوْقِها حِلَقُ
فقُم وزُرْها ووَجْهُ الأُفْق مُتَّضِحٌ   أو عند صُفْرتِه إن كنت تَغْتَبِقُ[1]

وأَعْجَبَني في ظاهِرها «بِرْكَةُ الفِيل»، لأنَّها دائرة كالبدر، والمناظِر فوقها كالنُّجوم. وعادةُ السُّلْطان أن يركب فيها بالليل، وتُسْرِجُ أَصحابُ المناظِر على قَدْر هِمَّتِهم وقُدْرَتهم، فيكون بذلك لها منظرٌ عَجيبٌ وفيها أقول :

[البسيط]

انْظُر إلى بِرْكَة الفِيل التي اكْتَنَفَت   بها المناظِرُ كالأَهْداب للبَصَرِ
كـأنَّما هـي والأبْـصَارُ ترمُقُـهـا   كواكِبٌ قد أَدارُوها على القَمَرِ

ونَظَرتُ إليها، وقد قابَلَتْها الشَّمْسُ بالغُدُوّ، فقلت :

[البسيط]

انظرْ إلى بِرْكَة الفِيل التي نُحِرَت   لها الغَزالَة نَحْرًا من مَطالِعها
وخَلِّ طَرْفَك مَجْنُونًا ببَهْجَتِها   تَهيمُ وَجْدًا وحُبًّا في بَدائِعها[2]

والفُسْطاطُ أكثرُ أرْزاقًا وأَرْخَصُ أسعارًا من القاهِرَة، لقُرْب النِّيل من الفُسْطاط، فالمراكِبُ التي تَصِلُ بالخَيْرات تَحُطّ هناك، ويُباعُ ما يَصِلُ فيها بالقُرْب منها، وليس يَتَّفِق ذلك في ساحِل القاهِرَة لأنَّه بعيدٌ عن المَدِينة[3].

والقاهِرَةُ هي أكثر عمارة واحترامًا وحِشْمَة من الفُسْطاط، لأنَّها أجلُّ مَدارِس، وأَضْخَمُ خانات، وأُعظم ديارًا لسكنَى الأُمَرَاء فيها، لأنَّها المخصوصة بالسَّلْطَنَة لقُرْب قَلْعَة الجَبَل منها،

---

[1] ابن سعيد : النجوم ٢٥– ٢٦؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٢٣– ٢٤.

[2] ابن سعيد : النجوم ٢٦– ٢٧؛ ابن دقماق : الانتصار ٥ : ٤٥؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٢٤– ٢٥.

[3] نفسه ٢٧؛ نفسه ٤: ١٠٨– ١٠٩؛ نفسه ٢٥.

فأُمُور السَّلْطَنَة كلُّها فيها أيسر وأكثر، وبها الطِّرازُ وسائِرُ الأشياء التي تَتَزَيَّن بها الرجالُ والنِّساء؛ إلَّا أنَّ في هذا الوقت، لمَّا اعتنى السُّلْطانُ الآن ببناء قَلْعَة الجَزيرَة التي أمام الفُسْطاط وصَيَّرَها سَرِيرَ السَّلْطَنَة [1]، عَظُمَت عِمارَةُ الفُسْطاط، وانتقل إليها كثيرٌ من الأُمَرَاء، وضخمت أسواقُها، وبُني فيها للسُّلْطان أمام الجِسْر الذي للجَزيرة قَيْسارية عظيمة، تَنَقَّلَ إليها من القاهِرَة سوق الأَجْناد التي يُباع فيها الفِراء والجُوخ وما أشبه ذلك [2].

و«مُعامَلَةُ» [أهْل][a] القاهِرَة والفُسْطاط بالدراهم المعروفة بالسَّوْداء، كلُّ دِرْهم منها ثُلُثٌ من الدِّرْهم النَّاصِري، وفي المعاملة بها شِدَّة وخسارة في البَيْع والشِّراء، ومخاصَمَة مع الفريقين. وكان بها في القَديم الفُلوس، فقَطَعَها الملكُ الكامِل، فبقيت إلى الآن مقطوعةً منها.

وهي في الإقليم الثالث، وهواؤها رديء لاسِيَّما إذا هَبَّ المَرِيسيُّ من جهة القِبْلَة، وأيضًا رَمَد العين فيها كثير، والمعايش فيها متعذِّرة نزرة لاسيما أصْناف الفُضَلاء، وجَوامِك المَدارِس قليلة كَدِرَة. وأَكْثَرُ ما يتعيشُّ بها اليَهودُ والنَّصارَىٰ في كِتابَة الخَراج والطِّب. والنَّصارىٰ بها يمتازون بالزُّنار في أوْساطِهم، واليَهودُ بعَلامَة صَفْراء في عَمائِمهم، ويركبون البِغال، ويَلْبسون الملابس الجَليلَة [3].

ومآكِلُ أهْل القاهِرَة الدِّلينيس[b] والصِّير والصَّحْناة والبَطارِخ، ولا تصنع النِّيدَة - وهي حَلاوة القَمْح - إلَّا بها وبغيرها من الديار المصرية، وفيها جَوارٍ طَبَّاخات، أصل تعليمهن من قُصُور الخُلَفاء الفاطميين، لهن في الطَّبْخ صِناعَة عجيبة ورياسَة متقدِّمة.

ومَطابِخُ السُّكَّر، والمطابِخُ التي يُصْنَع فيها الوَرَق المنصوري، مخصوصَة بالفُسْطاط دون القاهِرَة.

ويُصْنَع فيها من الأَنْطاع المستحسنة ما يُسَفَّر إلى الشَّام وغيرها، ولها من الشُّروب الدِّمْياطية وأنواعها ما اختصَّت به، وفيها صُنَّاعٌ للقِسِيّ كثيرون متقدِّمون، ولكن قِسِيُّ دِمَشْق بها يُضْرَب المَثَلُ وإليها النهاية.

---

a) زيادة من ابن سعيد. b) بولاق: الدميس.

---

[1] انظر فيما يلي ٢: ١٨٣.

[2] ابن سعيد: النجوم ٢٧؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٢٥-٢٦.

[3] نفسه ٢٨؛ نفسه ٢٦، وقارن مع أمية بن عبد العزيز: الرسالة المصرية ٣٤.

ويُسَفَّرُ من القاهِرَة إلى الشَّام ما يكون من أَنْواع الكَمَرانات [1] ، وخَرائِط الجِلْد والسُّيور وما أَشْبَهَ ذلك .

وهي الآن عَظيمَةٌ آهِلَةٌ يجِيء إليها من الشَّرْق والغَرْب والجَنُوب والشَّمال ، ما لا يُحيطُ بجملته وتفصيله إلَّا خالِقُ الكُلِّ جَلَّ وعَلا[a] [2] .

وهي مُسْتَحْسَنَة للفقير الذي لا يَخافُ على طَلَب زَكاة ولا تَرْسيمًا وعَذابًا ، ولا يُطْلَب برَفيقٍ له إذا مات ، فيُقال له : تَرَكَ عندك مالًا . فربَّما سُجِنَ في شأنه ، أو ضُرِبَ وعُصر .

٣٦٨ والفقيرُ المجرَّدُ فيها مستريح من جِهَة رُخْص الخُبْز وكثرته ، ووجود السَّماعات والفُرَج في ظَواهِرها ودواخِلها ، وقِلَّة الاعتراض عليه فيما تذهب إليه نفسه/ يحكم فيها كيف شاءَ من رَقْصٍ في وسط[b] السُّوق ، أو تجريد ، أو سُكْر من حشيشة أو غيرها ، أو صُحْبَة المُرْدان وما أَشْبَه ذلك ، بخِلاف غيرها من بلاد المغرب [3] .

وسائِرُ[c] الفُقَراء لا يُعْتَرَضون بالقَبْض للأُسْطول ، إلَّا المغاربة فذلك وَقْفٌ عليهم لمعرفتهم بمعاناة البَحْر ، فقد عَمَّ ذلك من يَعْرِف معاناة البَحْر منهم ومن لا يعرف ، وهم في القُدوم عليها بين حالَيْن : إن كان المغربيُّ غنيًّا طُولِب بالزَّكاة وضُيِّقَت عليه أنفاسُه حتى يفرّ منها ؛ وإن كان مُجَرَّدًا فقيرًا حُمِلَ إلى السِّجْن حتى يجيء وقت الأُسْطول .

وفي القاهِرَة أزاهيرُ كثيرة غير منقطعة الاتِّصال ، وهذا الشأن في الدِّيار المصرية تَفْضُل به كثيرًا من البلاد . وفي اجتماع النَّرْجِس والوَرْد فيها أَقُول :

[السريع]

من فَضَّلَ النَّرْجِس وهو الذي يَرْضَى بحُكْم الوَرْد إذ يَرْأَسُ
أمَا تَرَى الوَرْدَ غَدا قاعِدًا وقامَ في خِدْمَتِه النَّرْجِسُ

وأَكْثَرُ ما فيها من الثَّمَراتِ والفواكِه الرُّمَّان والمَوْز والتفَّاح ، وأمَّا الإجَّاص فقليلٌ غالٍ ، وكذلك الخُوخ ، وفيها الوَرْد والنَّرْجِس والنِّسْرين واللَّينوفر والبَنَفْسِج والياسَمين واللَّيمون الأخضر والأصفر . وأمَّا العِنَبُ والتِّينُ فقليلٌ غال ، ولكثرة ما يعصرون العِنَب في أرياف النِّيل لا يَصِل منه

---

a) آياصوفيا : سبحانه . b) ساقطة من بولاق . c) مسودة المواعظ : ومعظم .

---

[1] الكمرانات . نوعٌ من الأحزمة.

[2] ابن سعيد : النجوم الزاهرة ٢٩؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٢٧.

[3] نفسه ٢٩- ٣٠؛ نفسه ٢٧- ٢٨.

إلَّا القَليل، ومع هذا فشَرَابُه عندهم في نهاية الغَلاء. وعامَّتُها يَشْرَبُون المِـزْر الأبيض المُتَّخَذ من القَمْح، حتى إنَّ القَمْحَ يطلع عندهم سِعْرُه بسببه فيُنادِي المُنادي من قِبَل الوالي بقَطْعِه وكَسْر أوانيه[1].

ولا يُنْكَر فيها إظهارُ أواني الخَمْر، ولا آلات الطَّرَب ذوات الأوتار، ولا تَبَرُّج النِّساء العَواهِر، ولا غير ذلك مما يُنْكَر في غيرها من بلاد المغرب. وقد دَخَلْتُ في الخَليج الذي بين القاهِرَة ومصر، ومُعْظَم عِمارته فيما يلي القاهِرَة، فرأيت فيه من ذلك العَجائِب، وربما وَقَعَ فيه قتلٌ بسبب السُّكْر فيُمْنَع فيه الشُّرب، وذلك في بعض الأحيان. وهو ضَيِّقٌ عليه في الجهتين مَناظِرُ كثيرة العمارة بعالَم الطَّرَب والتهَكُّم والمُخالَعَة، حتى إنَّ المُحْتَشِمين والرُّؤساء لا يُجيزون العُبور به في مَرْكِب. وللسُّرُج في جانبيه باللَّيْل منظرٌ فَتَّانٌ، وكثيرًا ما يتفرَّج فيه أهلُ السّتر باللَّيْل. وفي ذلك أقول:

[مخلع البسيط]

لا تَرْكَبَنْ في خَليجِ مصرٍ ... إلَّا إذا أُسْدِل الظَّلامُ
فَقَد عَلِمْتَ الذي عليه ... من عالَمٍ كلُّهم طَغامُ
صَفَّانِ للحَرْب قد أَطَلَّا ... سِلاحُ ما بينهم كَلامُ
يا سَيِّدي لا تَسِرْ إليه ... إلَّا إذا هَوَّمَ النِّيامُ
واللَّيْلُ سَتْرٌ على التَّصابي ... عليه من فَضْله لِثامُ
والسُّرْجُ قد بَدَّدتْ عليه ... منها دنانيرَ لا تُرامُ
وهو قد امتد، والمباني ... عليه في خِدْمَةٍ قِيامُ
لله كَمْ دَوْحَةٍ جَنَيْنا ... هناك أَثْمارُها الأثامُ

انتهى[2]. وفيه تحامُلٌ كثيرٌ.

وقال زَكِيُّ الدِّين الحُسَيْنُ من رِسالَةٍ كَتَبَها من مصر في شَهْر رَجَب سنة اثنتين وسبع مائة إلى أخيه وهو بدِمَشْق يتشوَّق إليها، ويَذْكر ما فيها من المواضِع والمتنزَّهات، ويذمّ من مصر بقَوْله:

«فكَيْفَ يَبْقى لمن حَلَّ في جَنَّة النَّعيم ورياضها، ويَرْتَع في ميادين

[1] ابن سعيد: النجوم الزاهرة ٣٠- ٣١؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٢٨- ٢٩.

[2] نفسه ٢٢- ٣٢؛ نفسه ٢٩.

المَسَرَّة [a]وغِياضِها ، تَلَفَّت إلى من سَلَّمَتْه يدُ الأقدار إلى أرضٍ ليست بذاتِ قَرار ، وبَدَّلوا بجَنَّتهم ذات البان المُتَقاوح[b]، والوُرْق المُتَصادِح ، والنَّشْر المُتَقادِح ، والماء المُطْلَق المُسَلْسَل ، والنَّسيم الصَّحيح العَليل جَنَّتَيْنِ ذواتي أُكُل خَمْط وأَثْل وشيءٍ من سِدْرٍ قَليل ، وتَقَصَّدَتهم يَدُ القَضاء فأَخَذَتْهم بالبأساء والضَّرَّاء ، وأَوْقَعَتْهم بمصر وسُمومِها[c]، وحَميمِها وغُمومِها ، وحُزومِها وغُرورِها[d]، وحَرورِها وزَفيرِها ، وسَعيرِها وكِيمانِها ، ونِيرانِها وسُودانِها ، وفَلَّاحيها ومَلَّاحيها ، ومَسارِبها ومَشارِبها ، ومَسالِكها ومَهالِكها ، وصَحْناتِها وعُصْفورِها وبُورِيِّها ومقْفورِها[e]، ومَخاوِف نَوْرُوزِها وحَرارَة تَمُّوزِها ، ودارِس طُلولِها ، ورائِس أَسْطولِها ، وتَعَكُّر مائِها ، وتَكَدُّر هَوائِها ؛ فلو تَراهُم في أرْجائها القُصْوَىٰ كالأباعِر الهُمْل ، وهم يَصْطَرِخون فيها ﴿رَبَّنا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الآية ٣٧ سورة فاطر] .

فأجابه من دِمَشْق بكِتابٍ من جُمْلَته على لِسان دِمَشْق كأَنَّها تُخاطِبُه :

«ويا أَيُّها الوَلَد العَزيز ، كيف سَمَحَت فِطْرَتُك السَّليمة ، ومُروءتُك الكَريمَة ، وسِيرتُك المُستقيمة ، وصَبْرُك الحافِظ ، ودِينُك المُراقِب المُلاحِظ ، بذَمِّ من جَنَيْت نِعَمَها ، وسَكَنْت حَرَمها ، وقُلْت مِصْر وسُمُومها[c]، وسُقْت عليها القَوْل من كلِّ جانِب ، واسْتَعَرْت لها التَّكْدير حتَّى في المَشارِب والمَسارِب .

وهَلَّا ذَكَرْتَها وقد باكَرَها نِيلُ نَيْل النَّعيم بمَغْنَيْه[f] بلَيْل / النَّسيم بكأس تَسْنيمه[g] ، وَطَمَا البَحْرُ عليها زاخِرًا فأَغْناها عن بُكاءِ السَّحاب وتَجْهيمه ، وعَمَّ معظم أرْضِها ، وعَبَّ عُبابُه في طُولها وعَرْضِها ، حتى كادَ يَعْلو رَفيعَ قُصورِها ، وتَتَسَوَّر سورته[h] شامِخ سُورِها . ومع ذا لا تَراهُ جَسورًا على ضِعاف جُسورِها ، قد طَبَّق التَّهائِم والأَنْجاد ، وغَرَّق الآكامَ والوِهاد ، وعَلا أَعْلى الصَّعيد والصِّعاد ،

---

a) بولاق : المسرات . b) بولاق : المتفاوح . c) بولاق : وشُموسها . d) بولاق : حزونها ووعورها .

e) بولاق : عقورها . f) بولاق : بمغيثه . g) بولاق : من تسنيمه . h) بولاق : ويتسور بسورته .

وأعادَ البَرّ سُلْطانه بَحْرًا بالازْدياد [١].

فإذا ارْتَوَى أُوامَ أَكْباد البِلاد ، ورَوى السَّهل والوَعْر والهِضاب والوِهاد ، وذَهَبَ إمْلاقُ الأرْض بكلِّ مَلَقَةٍ وخَليج ، وانْجاب عنها فاهْتَزَّت ورَبَت ، وأَنْبَتَت من كلِّ زَوْجٍ بَهيج ، بَدَتْ رَوْضَةً نَضِرَة بأمْلاقٍ مُقَطَّعَةٍ ، كزُمُرُّدَةٍ خَضْراء بلآلئ مُرَصَّعَة : فكم من غَديرٍ مُستديرٍ كبَدْرٍ مُنيرٍ ، ودَقيقٍ مُسْتَطيلٍ كسَيْفٍ صَقيل ، وكم من قَليبٍ قَلَّاب بماء كَجُلَّاب ، وكم من عَظيمِ بِرْكَة فيركبها[a] النَّسيمُ بلُطْفه ، وَطِينها[b] عَبيرُ عَنْبَرها فَضَمَّخها بكَفِّه ، وزَهَت بزَهْو نِيلُوفَرها فغَرِقَت بعَرْقِه[c]، وكم تَرَى من مَلْقَة لَبِقة ، عليها عُيون نَرْجِسٍ مُحْدِقَة ، كصَحْنِ خَدٍّ عَروسٍ مُنَمَّقة .

والنَّوَّارُ قد دارَت بمُدام النَّدَى كُؤوسُه ، وجالَت في مَراحِ الأَفْراح نُفوسُه ، ونَجَم نَجْمُه وابْتَسَم عبوسُه[d]، وسامَرَه الرَّذاذُ المُنْهَلّ ، وباكَرَه الطَّلُّ فكَلَّله بلُؤْلُؤِه وقَلَّدَه ، وزارَه النَّسيمُ المُعْتَلُّ فأقامَه وأَقْعَدَه ، ونَمَّقَ أرْضَه ورَوْضَه فذَهَّبَه وفَضَّضَه . قد باهَت[e] برياضِها الغَنَّاء ، وزَهَت بزُخْرُفِها وزينَتِها الحَسْناء ، وامْتَدَّ بِساطِها الزُّمُرُّدي ، وانْبَسَط مَداها[f] الزَّبَرْجَدي ، فلا يُدْرِك أَقْصَاه ناظِرُ مُسافِر ، ولا يُحيطُ بمُنْتَهاه خَيالٌ ولا خاطِر [٢].

فللَّه دَرُّها من رَوْضَةِ مُزْنٍ ، وكَعْبَة حُسْنٍ ، ومُقَطَّعات بماءٍ غير آسِن ، وحَرَمِ بَحْر لحُجاجِ طَيْرِه آمِن . أتاهَا حَجِيجُ الطَّيْر من كلِّ فَجٍّ عَميق ، مُلَبِّيًا داعي حُسْنِها من كلِّ مكانٍ سَحيق ، قد امْتَطَى رَكْبُها مُتون الرِّياح ، وعَلَا جُثْمانَها على[g] عالَم الأرْواح ، ووَصَلْن الإدْلاج بالصَّباح ، وقَطَعْن جَناحَ[h] اللَّيْل بخَفَّاق الجَنَاح كأنَّهن الدَّراري السَّوارِي ، أو المُنْشَآتُ الجَوارِي ، أو المَطَايا المَهاري .

[الطويل]

تَواصَل من جَوٍّ حَوائِضِ مِثله[i] صُعودٌ على حُكْمِ الطَّريقِ نُزُولُ

a) بولاق : حركها . b) بولاق : وطيبها . c) بولاق : معرفها بعرفه . d) بولاق : عروسه . e) بولاق : تاهت . f) بولاق : مدادها . g) ساقطة من بولاق . h) بولاق : أجناح . i) بولاق : حوائض نيله .

[١] أمام هذه الفقرة في نسخة آياصوفيا : ذكر النيل . [٢] أمام هذه الفقرة في نسخة آياصوفيا : صفة ربيع مصر .

رِفاقٌ تعاهَدْن على الوَفَاء، وتَحالَفْن على النَّعْماء والبَلاء، خَرَجْن مُهاجِرات من الأَوْطان أُلوفًا، وقَدِمْن صافّين[a] كالمصلّين صُفُوفًا، يَقْدُمهنّ دَليلٌ كأنَّه إمامٌ، قد قَتَلَ طُرُقَ الآفاق خَبَرًا، واستوى لديه الإضْواءُ والإظْلامُ، أَبْصَرُ من زَرْقاء اليَمامَة، وأَطْيَرُ من الوَرْقاء والغَمامَة[b]، وأَهْدَى من النَّجْم، وأَشَدّ من السَّهْم يتناجَيْنَ بُلغاتٍ أعْجميَّات، مُسَبِّحات بألْحانٍ مُطْرِبات، وطُفْن في حَرَمِها الآمِن، واعتمرن بتلك المحَاسِن. فتراها عند إقْبال نَوِّها وحَوْمِها في جَوِّها، ما يَشتقيم خَطًّا مُسْتقيمًا، وإن كانت تَصْطَفّ صَفًّا عَظيمًا: ومنها ما يستهلّ هِلالًا، ومنها ما يَحْكي بنات نَعْشٍ حالًا، ومنها ما يَنْثَني بإدْلالِه دالًّا، ومنها ما يَخُطّ نُونًا نُونًا فيحكي حاجِبًا مَقْرونًا، ومنها ما يكتب زَيْنًا فيعيدها عَيْنًا، ومنها ما يُصَوِّر ميم الهِجاء فيُشاهد مَبْسَم السَّمَاء، [c]ومنها ما يَنْعَطِف على خَدِّها صَدْغًا مُسَلْسَلًا، ومنها ما يُشْبه عِذارًا مُنمنمًا[c]، ومنها ما يأتي زَرافات ووِحْدانًا، فيُبْدِع في إعجابه حُسْنًا وإحْسانًا.

فكم من حَبْل إوَزٍّ مُعَلَّق بالسَّمَاء مُحَلِّق[d] إلى ذلك الماء، وأَوانِس عَرايس[e] أَنيسات كَيِّسات، وصُوَرٍ صُوَرٍ كأمثال حُور، وطَيْرٍ لَغْلَغ مُكْتَسٍ بديباجٍ مُصَبَّغ، وجَليل حَبْرَج كعِلْجٍ مُتَوَّج، وكُرْكِي عَريضٍ طَويلٍ كبَعيرٍ كبيرٍ جَميلٍ، وغَرير غِرٍّ مُغْرٍ مُتَعَزِّزٍ[f] مُتَعَيِّر، وسبيطر شَديد شُوَيْطر، وكم ضَخْم الدَّسيعة جَوَّالٍ ككوهي بالقوة المنيعة صَوَّال، ورُخام مُرَزَّم كذي إمْرة مُحْتَشِم، وجَلالة نَسْر في الشَّائِع الذَّائِع والحَاضِر الواقِع، أَبْهَى من النَّسْر الطَّائِر والواقِع، وعَظِيم عُقَابٍ تَمَّ الحُسْنُ بحُسْنه وكَلَّ الصَّيْد في ضِمْنِه، وكَمْ من خَضارى وجِهار[g]، وبَلْشون وشَهْرَمان، صِنْوان وغير صِنْوان، وكم من بَطٍّ على شَطٍّ وخَلْط، وقَطْقَط مُنَقَّط، وغر وغَرْنوق، وكَرْشوع[h] مَمْشوق، ونَوْرَس مُسْتأْنَس قد[i] امتلأت بهن الآفاق، وتكلَّلت بنجومهنّ الأمْلاق، وشَرِبْن من جَريانها فأسكرهُنّ الاصْطباح والاغْتِباق: فكم من مُسْوَدّ كحال نَجْد[j]، وأَزْرَق كلازَوَرْد، وأَشْقَر كزَهْر وَرْد أَحْمَر ناصِع، وأَصْفَر فاقِع، وأبيض ذي خِضاب

a) بولاق: صافات. b) بولاق: والهامة. c-c) ساقطة من بولاق. d) بولاق: يحلق. e) بولاق: عريسات.
f) بولاق: معزر. g) بولاق: حرمان. h) بولاق: كرسوغ. i) بولاق: وقد. j) بولاق: كخال نجد.

عندمي بلطيف مِنْقار بُقْمي، ومُبَرْقَش ومُقَمَّع، ومُعَمَّم ومُقَنَّع، وأشقري مُنَقَّش، وأَزْرَقَش مُرَشَّش، وعُودي وهِنْدي، وصيني مسني، وعينين كياقوتَتَيْن قد رُصِّعَتا في لُجَيْنٍ، وكم من طائِرٍ أَبْهَى من قَمَرٍ سائِر، يَفْرِق مثل الصُّبْحِ سافِر.

فتراهنّ في الماءِ صُموتًا وقُوفًا، صُفوفًا عُكوفًا، كصُوَر أصْنام، أو حِجارَة مَبْذُوَّة في آكامٍ، وكم من أَطْيارٍ ظِرافٍ مِلاحٍ لِطاف، ذَوات ألْحان ونُضْرَة وألْوان، وخُلُق وأَخْلاق، ونُطْقٍ وأطْواق، وإيناس مع شَمَّاس، قد ازْدانَت الأرض بأصْواتِهم واخْتِلاف لُغاتِهم وعَجائِب صِفاتِهم[a]، فبَرَزَت بأنْواعِ الأعاجيب، وتَجَلَّت بأَجْمَل الجَلابيب، وأَبْدَعَت في صُوَر الإحسان، وتَصَوَّرَت في بَدائِع الألْوان.

فإذا بَدَت زَرْقاء في زَهْر كَتّانِها، مُذَهَّبَة بأزْهار لُبْسانِها/ مُفَضَّضَة بنُجُوم أُقْحوانِها، خَلَعَت السَّماءُ عليها خِلْعَةً جَميل أرْدانها. وإذا فاحَ نَشْر نُوَّار قُرْطها، شَمَمْت المِسْكَ الذَّكيّ من مُرْطِها، ورأيت لآلئ سِمْطها مَبْسوطةً على خُضْر بُسُطها، ومُغالاتها بغالية نُور فُولها، وهباتها إذا رَفَلَ النَّسيمُ في ذيولها، قد رصَّعَت أغْصانَه بفُصُوصِ لُجينها، ونَقَّطَتْه من حُسْنها بسَواد عَيْنها: فعيونُه كعُيون غِزْلانها في فَتْكِها، وأَحْداقُه كأَحْداق وُلْدانها من تركها.

وكم لها من طُرَّةٍ مُعَنْبَرَةٍ، وجَبْهة مُنَوَّرَة، ووَجْنَةٍ مُزَعْفَرَة، ومُلاءَة منشورةٍ مُعَصْفَرَةٍ، وخَدٍّ مُوَرَّد، وطَرْف مُهَنَّد، ولمائِها صَنيع من عَقيق الشَّقيق، وسُكْرها من ذلك الرِّيق على التَّحْقيق.

وأين بُزوغُ بَشْنينها، وامْتِدادُ يَقْطينها، وأين حَلاوَةُ عَرائِس نَخْلاتها، وطَلاوَةُ أوانِس قاماتِها بمُشابَهَتها في صِفاتِها، وغَرائِسُ فَسيلاتها، وأين نَضيدُ طَلْعِها، وحَميدُ فَرْعِها ومَديدُ جِذْعِها، وفَخْر جُمّارِها على غَيْر جُمّارِها[b] واخْضِرار أكْمامِها، واحْمِرار لِثامِها، وبَنان بُسْرها المطرَّف، وبَنان نَشْرها المُشَرَّف، وانتظام سُرورها بابْتِسام مَنْثُورها.

---

a) بولاق: أصواتها... لغاتها... صفاتها. b) بولاق: وفر جمارها عن غرة جمارها.

ووَرْد واديها ومُنْحَنَاها ، ونَدَى نَدِّها وتَمْر جِناها ، وآس آسِيها ، وطَيب طِيب أنفاسِها ، وتَبَرُّجها بأُتْرُجِّها وتَبهْرُجِها بنارِنْجِها ، وتَخَتُّمها بمُخَتَّمِها ، وتَبَسُّمها عن بَلْسَمِها ، وتَشَقُّق أبْرادِها عن نُهود أكْبادِها ، وتَضاعُف أَرَجها بمُضَعَّف بَنَفْسِجها ، وجَلالَة مِقْدارِها إذا فَتَحت أزْرارَها عن جَلاجِل[a] نارِها ، وطِيبِ شَمِيمها من أُشْمُونِها ، ونَسيمِها ووَسْمِها بأوسيمها ، وجِنان قَلْيوبها ، وجَرَيان قَلِيبها ، وأحْواضِها ببَهْتِينِها ورِياضِها ، وطُرَّتها بمَطَرِيَّتها ، ونَفِيس أُنْسِها بمَقْسِها ، وغَرِيب غَرْسِها بتَلَقْسِها ، وعَظِيم آسِها بمُحَلَّق مِقْياسها . وكَرِيم تَحِيَّتها من قِبَل اليَمَن هُبوبُ أنْفاسِها ، واجْتِماعُ أَسْعَدِها ، وارْتِفاعُ رَصْدِها ، وسَواقِيها الحَنَّانَة في سَجْعِها الفَتَّانَة[b] بسَكْبِها من دَمْعِها ، وجَنَّة لُوقِها ، ولُجَّة بُولاقِها ، وبِرْكَةُ فِيلِها من بَرَكَة نِيلها ، وجَزِيرَةُ ذَهَبِها ، وقَلْعَةُ الجَزِيرَة بذَهَبِها من عَجَبِها .

حَكَت فُلْكَها في بَحْرِها ، وأحْكَمَت مَمْلَكَتها بِبَرِّها ، وعَظُمَ جَلَلُها بقَلْعَة جَبَلِها ، واعْتِلاء أعْلامِها ببناء أَهْرامِها .

وإذا نَظَرْتَ إلى سُعُود صُعُودها إلى سَعِيد صَعِيدها ، واغْتِباطِها بانْحِطاطِها إلى صَوْب سَكَنْدَرِيتها ودِمْياطِها ، أَلْهَتْكَ عن حُسْن الثُّرَيَّا ومَناطِها .

ولا تَنْس الجَوَاري المنشآت في البَحْر كالأعْلام ، التي تَسْبِق عند طِيَاب الرِّياح مَفُوقات السِّهام ، وإعْجابَها بغِرْبانِها البَحْرِية ، وحَرَّاقاتها الحَرْبِيَّة ، وشَوانِيها وهَوْل مَبانِيها ، وجَلالَ شَكْلِها وجَمالِ مَعانِيها : تبدو مُوَشَّاة بالنُّضار الأحمر ، مُنَقَّشَة باللون الأَفْخَر ، فهي كالأَرْقَم المُنَمَّر ، أو كمُتَلَوِّن النَّمَر ، أو الطاووس الذَّكَر ، أو النَّاووس البُنِّي الأَصْفَر ، مُعَمَّرَة بِبأْس الحَدِيد والأحْجَار ، مَحْمولَة على سَيْح الماء التَّيَّار ، مشحونَةٌ بالرِّجال ، مَنْصورَةٌ عند القِتال ، مَصُونَةٌ بالجُنّ والنِّبال ، تَبْرُز مُذَكِّرَةً بالآيَة النُّوحِيَّة ، وتَضْمَن إحْراز الهِمَّة العَلِيَّة الفَتْحِيَّة .

حُصُونٌ أَمْنَع من أَعَزِّ قِلاع ، تَطيرُ إذا فُتِح لها جَناح القِلاع ، فتَسْبِق وَفْد الرِّيح عند الإسْراع ، وتَفُوق سُرْعَة السَّحاب عند الاتِّساع ، فهنَّ مع العُقْبان في النِّيق حُوَّم ، وهنَّ مع البُنْيان في البَحْر عُوَّم ، لو أَقْسَمَ من رآها ، ولو قال مُشاهِدٌ

a) بولاق : جل .   b) بولاق : الهتانة .

معناها : إنَّ الله نَفَخَ فيها الرُّوحَ فأَحْياها ، لَبَرٌّ في يَمينه التي أَقْسَم وتَلاها .

وكم من مَرْكبٍ لحُسْنِه مُعْجِب ، وكم من سَفينٍ قويٍّ أمين ، وخَضاري جَليل ، وعُشاري طَويل ، وسمارِي[a] طَويل جَميل ، ونَشْتَراوي عَكاوي ، ولُكَّة ودَرْمُونَة ومعدية مَكنية ، وسَلُّور دقيق ، وشَخْتور رَشيق ، وقَرْقُور رقيق ، وزَوْرَق ذي رِواء ورَوْنَق[b] ، وطَريدَة بخَيْل الطِّراز[c] معمورة ، دَهْمَاء بحَمْل الجياد والأَجْناد مَشْهُورَة ، ومَخْلوقٌ بالمعروف في الآفاق مَعْروف .

وما أَحْلى بَنان رُطَبِها المُخَضَّب ، ودَقيق[d] قامةِ قَصَبِها المُقَصَّب ، وبَهْجَة فَوْزها بطَلْحِ مَوْزِها ، وخُضْر أَعْلام أوْراقِها ، وصُفْر كِرامِ أَعْلاقِها ، لا البَلاغَة تَبْلُغ من إحْصَاء فَضْلِها مَرامًا ، ولا الفَصاحَة تَصُوغ لوَصْف تَشْبيهها كلامًا . فنسأل الله تعالى أن يَكْنِفها بِرُكْنِه الذي لا يُرام ، ويَحْرُسَها بعَيْنِه التي لا تَنام ، بمَنِّه وكَرَمِه» .

وقال إبراهيمُ بن القاسِم الكاتِب ـ الملقَّب بالرَّقيق[1] ـ يتشوَّقُ إلى مصر ، وقد خَرَجَ عنها في سنة ثمانٍ[e] وثمانين وثلاث مائة ، من قَصيدَة[2] :

[الطويل]

هل الرِّيحُ إن سارَت مُشَرِّقَةً تَسْري ... تؤدِّي تحيَّاتي إلى ساكِني مصر؟
فمَا خَطَرَت إلَّا بَكَيْتُ صَبابَةً ... وحَمَّلْتُها ما ضَاقَ عن حَمْله صَدْري
/لأنِّي إذا هبَّت قَبولًا بنَشْرِهم ... شَمَمْتُ نَسيمَ المِسْكَ من ذلك النَّشْر
فكَمْ لي بالأَهْرام أوْ دَيْر نَهْيَة ... مَصايِدُ غِزْلان المطايِد والقَفْر
إلى جِيزَة الدُّنْيا وما قد تَضَمَّنَت ... جَزيرَتُها ذات المَواخِر والجِسْر
وبالمَقْس والبُسْتان للعَيْنِ مَنْظَرٌ ... أنيقٌ إلى شاطى الخَليج إلى القَصْر
وفي بِئْر دوس مُسْتَرادٌ ومَلْعَبٌ ... إلى دير مَرْحَنَّا[3] إلى ساحِل البَحْر

a) بولاق : مسماري . b) بولاق : ذي زواريق . c) بولاق : الطراد . d) بولاق : ورشيق . e) بولاق : ست .

[1] انظر عن إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق فيما يلي الأدباء ١ : ٢٢٢ – ٢٢٤ .

[2] أورد القصيدة بتمامها ياقوت الحموي في معجم الطين بالقرب من بركة الحَبَش ، وانظر فيما يلي ٢ : ٤٦٠ . ٢ : ١٥٤ .

[3] حاشية بخط المؤلِّف : دير مرحنا يعرف اليوم بدير

فكم بين بُسْتان الأَميرِ[١] وقَصْرِه ... إلى البِرْكَة النَّضْرَاء من زَهْرٍ نَضْر
تَراهَا كمِرْآةٍ بَدَت في زَفَارِفٍ ... من السُّنْدُس الموَشَّى تَنْشُر للتجر
وكَمْ لَيْلَةٍ لي بالقَرافَة خِلْتُها ... لِمَا نِلْتُ من لَذَّاتِها لَيْلَةَ القَدْرِ[٢]

وقال أَحْمَدُ بن رُسْتُم بن إِسْفِهْسَلار الدَّيْلَمي[٣]، يُخاطِبُ الوَزير نَجْم الدِّين يوسُف[a] بن الحسين المُجاوِر[٤]، وتوفي في رابع عشر ذي الحِجَّة سنة إحدى وعشرين وستّ مائة [بدِمَشْق، ومولده في سنة ثمان وأربعين وخمس مائة وكان شيخًا مشورًا معدَّلًا][b].

[الكامل]

حَيِّ الدِّيار بشاطِئِ مِقْيَاسِها ... فالمَقْسِم الفَيَّاح بين دُهَاسِها
فالرَّوْضَتَيْنِ وقد تَضَوَّع عُرْفها ... أَرَجُ البَنَفْسج في غَضارَة آسِها
فمَنازِلُ العَيْنُ المنيفَة أَصْبَحَت ... يُغْني سَناها عن سَنَا نِبْراسِها
فخَليجُها لذاتِه مُطْلَوبة ... تَسْمُو محاسِنُه عُلًا بأُناسِها
حافاتُه مَحْفُوفَةٌ بمنازِلٍ ... نَزلت بها الآرامُ دون كُنَّاسِها[٥]

وقال العَلَّامَةُ جَمالُ[c] الدِّين محمَّد الشِّيرازي المعروف بإمام مَنْكَلي بُغَا: [السريع]

حَيَّا الحَيَا مِصْرَ وسُكَّانَها ... وباكر الوَسْمِيُّ كُثْبانَها
وجادَ صَوْب المُزْن من أَرْضِها ... مَعاهِدَ الأُنْس وأَوْطانَها
مَعاهِد بالأُنْس مَعْمُورَةً ... لم أَنْسَ مَهْما عِشْتُ إِحْسانَها
كم أَيْقَظَتْني في ذُرَى دَوْحِها ... عَجْمَاء لا تَفْقَه أَلْحانَها
وكم نَعيم قد تَخَيَّلْتُه ... فيها وكم غازَلْت غِزْلانَها
وعايَنَت عَيْني بها أَغْيَدا ... مُنَعَّس المُقْلَة وَسْنَانَها
تُسْحِر بالتَّفْتير أَلْحاظُه ... كأَنَّ من بابِلٍ شَيْطانَها

---

a) بولاق: أبا يوسف. b) زيادة من مسودة المواعظ. c) بولاق: جلال.

---

[١] حاشية بخط المؤلّف: «بستان الأمير يعرف اليوم بالمَعْشوق بجوار الآثار النبوية على بركة الحَبَش».

[٢] المقريزي: مسودة المواعظ ٢٩- ٣٠.

[٣] ترجمته عند الصفدي: الوافي بالوفيات ٦: ٣٨١، واسمه فيه: جمال الدين أبو العباس أحمد بن رستم بن كيلان شاه الديلمي.

[٤] انظر ترجمة الوزير ابن المجاور عند المنذري: التكملة لوفيات النقلة ٢: ٣٠- ٣١، وفيه أن وفاته سنة ٦٠٠هـ؛ ابن سعيد: الغصون اليانعة ١٩- ٢٥، وفيما يلي ٢: ٤١.

[٥] المقريزي: مسودة المواعظ ٣٠-٣١.

وكم شَجَت قَلْبي بها غادَةٌ قد كَحَّلَت بالغَنْج أجْفانَها
إذا دَعَت صَبًّا إلى حُبِّها لا يستطيعُ الصَّبُّ عِصيانَها
وكمْ لَيالٍ لي بها قد مَضَت تَسْحَب بالإعجاب أرْدانَها
وَا لَهْفَ نَفْسي كيف شَطَّتَ بها حَوادِثٌ قَوَّضْن بُنْيانَها
فارَقْتُها لا عن قِلًى صَدَّني عنها فِراقُ الرُّوح جُسمانَها
واعْتَضْت عن غِزْلانها والمَها نِعاجَ خَبْرون وثِيرانَها
يا سائِلي عن حالَتِي بَعْدَها هأنَذا أذْكُر عُنْوانَها
ما حالُ من فارَق أصْحابَه وفارَق الدُّنيا وجِيرانَها
تُقلَب فَوْق الجَمْر أحْشاؤه تُؤَجِّجُ الأشْواقُ نِيرانَها
والعَيْنُ لا تَنْفَكُّ من عَبْرَةٍ تُرْسِل فَوْقَ الخَدِّ طُوفانَها
يا سائِق النُوق يبثّ الثَّرى كمثل بَثِّ السُّحْب تَهْتانَها
حَيِّ رُبا مصر وجَنَّاتِها وحُورَها العِين ووُلْدانَها
ودُورَها الزُّهر وساحاتِها وبين قَصْرَيْها ومَيْدانَها
وأرْضَها المُخْضَبُ أرجاؤها ونيلَها الزَّاهي وخُلْجانَها
والرَّوْضَةَ الفَيْحاء تلك التي تَجْلو عن الأنفس أحْزانَها
ومُنْيَةَ السِّيرج لا تَنْسَها وقُرْطَها الأحوى وكَتَّانَها
/والتَّاجَ والخَمْس وُجوه التي أضْحَت من الأعْيُنُ إنسانَها
وحَيِّ بأبْرَق وَجُد بالحَيا جَزيرَةَ الفِيل وغِيطانَها
وبانَها الغُضْن ونَسْرِينَها ووَرْدَها البِكْر ورَيْحانَها
وظِلَّها الصَّافي وأزْهارَها وماءَها الصَّافي وغُدْرانَها
والمعهدَ المأنوس من رَبْعها وحَيِّ أهْلِيها وسُكَّانَها
لم أنْسَ لا أنْسَى اصْطِباحِي بها ولا اغْتِباقاتي وإبَّانَها
ولا أُوَيْقات التَّصابي ولا تلك الخَلاعات وأزْمانَها
أيَّامَ لا أنْفَكُّ من صَبْوَة أهْوى اللَّذاذات وإعْلانَها
أخْطُرُ تِيهًا في رِياض الصِّبا مُرَنَّحَ الأعْطاف كَسْلانَها
وخَيْلَ لَهْوي في مَيادينها تُجَرْجِر الصَّبْوة أرْسانَها
ودَوْحَتي ناضِرَة غَضَّة تَعْطِف ريح اللَّهْو أغْصانَها
حاشايَ أن أنْقضَ عَهْدًا لها حاشايَ أن أُصْبِح خَوَّانَها

حاشايَ أن أَهْجُرَها قالِيًا … حاشايَ أن أُحْدِث سُلْوانَها
حاشايَ أن أَرْضَىٰ بَديلًا بها … رَوابِيَ الشَّام وقيعانَها
وماءَها الثَّجَّ وحَصْباءَها … وصَخْرَها الصَّلْد وصَوَّانَها
قد تاقَتِ النَّفْسُ إلى إلفِها … وحَنَّت الأشْواق أَظْعانَها
وادَّكَرَتْ في البُعْد أحْبابَها … فهَيَّجَ التَّبْريحُ أَشْجانَها
وما لها غَيْرك من مُلْتَجا … يا أَوْحَد الدُّنْيا وإنْسانَها

وقال الرَّئيسُ شِهابُ الدِّين أحمد بن مُحْيي الدين يَحْيى بن فَضْل الله العُمَرِيّ كاتِب السِّرّ :
[مجزوء الرجز]

لمصرَ فَضْلٌ باهِرٌ … بعَيْشِها الرَّغْدِ النَّضِرِ
في كل سَفْحٍ يلتقي … ماءُ الحياة والخَضِرِ[a][1]

ذِكْرُ ما قيل في مُدَّة بَقاءِ القاهِرَة ووَقْتِ خَرابِها

قال العارِفُ مُحْيي الدِّين محمد بن العَرَبي الطَّائي الحاتِمي في المَلْحَمَة المنسوبة إليه[2] : قاهِرَةٌ تَعْمُر في سنة ثمانٍ وخمسين وثلاث مائة ، وتَخْرُب سنة ثمانين وسبع مائة .

ووَقَفْتُ لها على شَرْحٍ لم أعرف تصنيف مَنْ هو ، فإنَّه لم يُسَمَّ في النُّسْخَة التي وَقَفْت عليها ، وهو شَرْحٌ لَطيفٌ قَليلُ الفائِدَة ، فإنَّه تَرَكَ كلامَ المُصَنِّف فيما مَضَى على ما هو معروف في كُتُب التَّاريخ ، ولم يُبَيِّن مُرادَه فيما اسْتَقْبَل ، وكانت الحاجَةُ ماسَّة إلى معرفة ما يستقبل ، أكثر من المعرفة بحال ما مَضَى ، لكن أخبرني غيرُ واحِدٍ من الثِّقات أنَّه وَقَفَ لهذه المَلْحَمَة على شَرْحٍ كبيرٍ في مجلدين .

قال هذا الشَّارِحُ : كانت بداية عِمارَة القاهِرَة والنَّيِّران في شَرَفِهما : الشَّمْسُ في بُرْج الحَمَل ، والقَمَرُ في بُرْج الثَّوْر وهو بُرْجٌ ثابِت ، قال : فعُمْر القاهِرَة ومُدَّتها أربع مائة وإحدى وستون سنة .

---

a) بعد ذلك على هامش آياصوفيا : بياض ورقة .

---

[1] انظر ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار (ممالك مصر والشام) ٩٦؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١ : ٥٢، وفيما تقدم ٦٣.

[2] وقف ابن خلدون على هذه الملحمة المنسوبة إلى =

قالَ في الأَصْل: وإذا نَزَلَ زُحَلُ بُرْجَ الجَوْزاء، عَزَّت الأَقْواتُ بمصر، وقَلَّ أغنياؤهم، وكَثُر فُقَراؤهم، ويكون المَوْتُ فيهم، ويخرج أهل بَرْقَة عن أوْطانهم، لاسيما إذا قارَن زُحَل الجَوْزَهْر، فإنَّ الحالَ يكون أشَدّ وأقْوى.

قال الشارِحُ: كان ذلك في سنة أربعٍ وستين وستّ مائة، في أيام الملك الظَّاهِر رُكْن الدين بَيْبَرْس، فإنَّه نَزل زُحَل بُرْجَ الجَوْزاء، فوَقَعَ الغَلاءُ. وفي آخر سنة أربعٍ وأوّل سنة خمسٍ وتسعين وستّ مائة، في أيَّام الملك العادِل كَتْبُغا، حَلَّ زُحَل في بُرْج الجَوْزاء، وكان معه الجَوْزَهْر، فكانت أشَدّ وأقوى، وكَثُر الغَلاءُ والوَباءُ.

قال: سُئِل المُعِزّ عن التُّرْك: ما هم؟ فقال: قَوْمٌ مسلمون، يأمُرون بالمعروف ويَنْهَوْن عن المُنْكَر، ويُقيمون الحُدود والواجِبات، ويُقاتِلون في سَبيل الله أعداءَ الله؛ فقيل له: أتَطُول مُدَّتُهم؟ قال: لا تَطُول مُدَّتهم؛ قيل: فكيف يكون زَوالُهم؟ قال: يكون هكذا، وكان إلى جانِبِه طَبَقُ كيزان، فحَرَّكَه حَرَكَةً شَديدَةً فتكَسَّرت الكِيزانُ، فقال: هكذا يكون زَوالُهم، يَقْتُل بَعْضُهم بَعْضًا، قال:

[الكامل]

احْذَر بُنَيَّ من القِران العاشِر وارْحَل بأَهْلِك قَبْل نَقْر الناقِرِ

قال الشَّارِحُ: أوَّل القِران العاشِر في سنة خمسٍ وثمانين وسبع مائة، وفيه تكون حالاتٌ رديئةٌ بأرض مصر، وهذا يُوافِق ما في القَوْل عن القاهِرَة، وتَخْرُب في سنة خمسٍ وثمانين وسبع مائة ـ يعني بداية انْحِطاطِها من سنة خمسٍ وثمانين وسبع مائة التي فيها القِران العاشِر، ويَثْبُت في عشرين سنة التي هي أيام القِران. وقد ذكر في الرُّبْع/ الآخر أربع مائة وإحدى وستِّين سنة، وقد ١:٦ تَخَيَّلت أنّها مُدَّة عُمْر القاهِرَة، فإذا زِدْتها على تاريخ عِمارَتها، بَلَغَ ذلك ثمان مائة وتسع عشرة

= محيي الدين بن عربي (بين ملاحم أخرى في حَدَثان الدول أو حَدَثان الله)، وذكر أنّها في كلام طويل شبه ألغاز لا يَعْلَم تأويله إلّا الله لتخلُّله أوفاق عددية ورموز ملغوزة وأشكال حيوانات تامة، ورءوس مقطعة، وتماثيل من حيوانات غريبة، وفي آخرها قصيدة على رَوِيّ اللام، لأنها لم تنشأ عن أصل علمي من نجامة ولا غيرها. (المقدمة ٨٣٨).

وذكر عثمان يحيى في كتابه: «تاريخ وتصنيف مؤلَّفات ابن عربي» كتاب «المَلْحَمَة» وأن منه نسختين: واحدة في مكتبة فيض الله بإستانبول برقم ٢١١٩ (٣٥٢-٣٦٠) كتبت سنة ١٠٨٨هـ، وأخرى في المكتبة الوطنية بباريس برقم ٢٦٧٥ (٥٣-٥٧)، كما لها شرحٌ مجهولُ المؤلف عنوانه «الملحمة الشمسية في كَشْف العلوم الخَفِيَّة»، منه نسخة في مكتبة فيض الله بإستانبول برقم ٢١١٩ (٤٥٢-٥٢٣). (Yahya, O., *Histoire et classification de l'œuvre d'Ibn ᶜArabī*, Damas 1964, p. 355).

سنة ، وفي ذلك الوَقْت يكون زَوالُها ، وهو ما بَيْنَ سنة ثمانين وسبع مائة إلى سنة تسع عشرة وثمان مائة ، ويكون بسبَبَ ذلك[a] قَحْطٌ عَظيمٌ ، وقِلَّةُ خَيْرٍ ، وكثرةُ شَرٍّ حتى تَخْرُبُ[b] ويَضْعُف أهلها .

قال : قِرَانُ زُحَل والمرِّيخ في بُرْج الجَدْي يكون في سنة سبعين وسبع مائة ، فتعد لكلِّ مائة سنة من سني الهجرة ثلاث سنين ، فيكون ثلاثًا وعشرين سنة ، تَزيدها على سبع مائة وسبعين سنة ، تَبْلُغ سبع مائة وثلاثًا وتسعين سنة ، ففي مثلها من سني الهجرة يكون أوَّلُ أوْقات خَراب القاهِرَة . انتهى .

وتَهْذيبُ هذا القَوْل أنَّ زُحَلَ كلَّما حَلَّ بُرْج الجَوْزَاء ، اتَّضَعَت أحْوالُ مصر ، وقَلَّت أمْوالُهم ، وكَثُر الغَلاءُ والفَنَاءُ عندهم بحَسَب الأوْضاع الفَلَكِيَّة . وزُحَلُ يَحِلّ في بُرْج الجَوْزَاء كلَّ ثلاثين سنة شَمْسِيَّة ، فيُقيم فيه نَحْوًا من ثلاثين شهرًا . وأنت إذا اعْتَبَرْت أُمورَ العالَم ، وَجَدْت الحالَ كما ذُكِر[c]، فإنَّه كلَّما حَلّ زُحَلُ بُرْجَ الجَوْزَاء ، وَقَعَ الغَلاءُ بمصر .

وذَكَر أنَّ القِرانَ العاشِر تَتَّضِع فيه أحْوالُ القاهِرَة ، ورأينا الأَمْرَ كما ذُكِر[c]، فإنَّ القِرانَ العاشر كان في سنة ستٍّ وثمانين وسبع مائة ، ومُدَّة سِنِيه عشرون سنة شَمْسِيَّة ، آخِرها سابع عشر رجب سنة سبعٍ وثمان مائة . وفي هذه المُدَّة اتَّضَع حالُ القاهِرَة وأهْلِها اتِّضاعًا قَبيحًا .

ومن الأوْقات المَحْذورَة لها أيضًا اقْتِرانُ زُحَل والمرِّيخ في بُرْج السَّرَطان ، ويكون ذلك في كلِّ ثلاثين سنة شمسية ، ويَقْتَرِنان في سنة ثمان عشرة وثمان مائة ، وفي مدَّته تنقضي الأربع مائة والإحدى والستون سنة التي ذَكَرَ أنَّها عُمْر القاهِرَة في سنة تسع عشرة وثمان مائة .

وشَواهِدُ الأحْوال[d] اليوم تُصَدِّق ذلك ؛ لما عليه أهلُ القاهِرَة الآن من الفَقْر والفاقَة وقِلَّة المال ، وخَراب الضِّياع والقُرَى ، وتداعِي الدُّور للسُّقوط ، وشُمول الخَراب أكثر معمور القاهِرَة ، واختلاف أهْل الدولة ، وقُرْب انقضاء مُدَّتهم ، وغَلاء سائِر الأسْعار .

ولقد سَمِعْتُ عَمَّن يُرْجَع إليه في مثل ذلك ، أنَّ العِمارَة تنتقل من القاهِرَة إلى بِرْكَة الحَبَش ، فيصير هنالك مَدينَة .

---

a) بولاق : ذلك سببه . b) بولاق : تتخرب . c) بولاق : ذكرنا . d) بولاق : الحال .

ذِكْرُ مَسَالِكِ القَاهِرَةِ وَشَوَارِعِهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ الآنَ [1]

وقبل أن نَذْكُر خِطَطَ القاهِرَة فلنبتدئ بذِكْرِ شَوَارِعِها ومَسالِكِها المسلوك منها إلى الأزِقَّة والحَارَات، لتُعْرَف بها الحاراتُ والخِطَطُ والأَزِقَّةُ والدُّروبُ [a]، وغير ذلك ممَّا ستقف عليه إن شاءَ الله تعالى.

[b]الشَّارِعُ الأَوَّلُ والطَّرِيقُ العُظْمَى قَصَبَةُ القَاهِرَة[b]

فـ«الشَّارِعُ الأَعْظَم» ـ قَصَبَةُ القاهِرَة ـ من باب زَوِيلَة إلى بَيْنَ القَصْرَيْن، عند[c] باب الخُرُنْفُش أو الخُرُنْشُف، ومن باب الخُرُنْفُش يَنْفَرِق من هنالك طريقان: ذات اليمين، ويُسْلَك منها إلى الرُّكْن المُخَلَّق ورَحْبَة باب العيد إلى باب النَّصْر[d]، وذات اليسار، ويُسْلَك منها إلى الجامِع الأَقْمَر، وإلى حارَة بَرْجَوان إلى باب الفُتوح.

فإذا ابتدأ السَّالِكُ بالدُّخول من باب زَوِيلَة، فإنَّه يجد يَمْنَةً الزُّقاق الضَّيِّق الذي يُعرف اليوم بسُوق الخِلَعِيِّين، وكان قَديمًا يُعْرَف بالخَشَّابين، ويَسْلُك من هذا الزُّقاق إلى حارَة الباطِلِيَّة وخُوخَة حارَة الرُّوم البَرَّانية.

ثم يَسْلُك الدَّاخِل أمامَه فيجد [b]على ما في يمينه قَيْسارية الفاضِل و[b] على يَسْرَته سِجْن متولِّي القاهِرَة ـ المعروف بخِزانَة شَمائِل ـ وقَيْسارية سُنْقُر الأَشْقَر ودَرْب الصُّفَيْرة [2].

ثم يَسْلُك أمامَه فيجد على يَمْنَته حَمَّام الفاضِل المُعَدَّة لدُخول الرجال، وعلى يَسْرَته ـ تجاه هذه الحَمَّام[e] ـ قَيْسارية الأمير بَهاء الدين رَسْلان الدَّوادار النَّاصِريّ، إلى أن ينتهي بين الحَوانيت والرِّباع فوقها إلى بابي زَوِيلَة الأَوَّل، ولم يَبْقَ منهما سوى عَقْد أَحَدهما، ويُعْرَف الآن بباب القَوْس.

---

a) المسودة: ليعرف بها حاراتها وخططها ودروبها وأزقتها. b-b) إضافة من مسودة المواعظ. c) بولاق: عليه. d) مسودة المواعظ: الركن المخلق إلى الخوانق إلى أن تنتهي إلى باب النصر. e) المسودة: مقابلًا لها.

---

[1] هذا الفصل نقله إلى الفرنسية بول كازانوفا في ترجمته للخطط Makrîzî, *Desrciption historique et topographique de l'Égypte*, tr. par Paul Casanova, IFAO 1920, pp. 72-81؛ وكذلك أندريه ريمون وجاستون ڤييت في كتابهما عن أسواق القاهرة Raymond, A. & Wiet, G., *Les marchés du Caire*, IFAO 1979, pp. 85-110.

[2] كتب المقريزي هذا الوصف قبل سنة ٨١٨هـ وهي تاريخ هدم خزانة شمائل، فقد أضاف في مرحلة لاحقة على هامش المسودة في هذا الموضع «صار سوق الخلعيين وخزائن شمائل جامعًا بناه الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي».

ثم يَسْلُكُ أمامَه فيجد على يَسْرَتِه الزُّقاق المسلوك فيه إلى سُوق الحَدَّادين والحَجَّارين ـ المعروف اليوم بِسُوق الأَنْماطِيين وسَكَن أصْحاب[a] الملاهي ـ وإلى المَحْمُودِيَّة ، وإلى سُوق الأَخْفافِيين ، وحارَة الجَوْذَرية والصَّوَّافين والقَصَّارين والفَحَّامين وغير ذلك . ويجد تجاه هذا الزُّقاق عن يَمْنته المَسْجِد المعروف قَديمًا بابن البَنَّاء ـ وتُسَمِّيه العامَّةُ الآن بسَام بن نُوح ـ وهو في وَسَط سُوق الغَرابليين والمَناخِليين ومن معهم من الضَّبَّبِيين .

[b]ثم يَسْلُكُ أمامَه فيجد على يَمْنَتِه الزُّقاق المَسْلُوك فيه إلى حارَةِ الرُّوم[b]، ثم يَسْلُكُ أمامَه فيجد سُوق السَّرَّاجين ـ ويُعرف اليوم بالشَّوائين ـ وفي هذا السُّوق على يَمْنته الجامِع الظَّافِري المعروف بجامِع الفَكَّاهين ، وبجانبه الزُّقاق المسلوك منه إلى حارَة الدَّيْلَم وسُوق القَفَّاصين وسُوق الطُّيوريين والأَكْفانِيين القَديمَة المعروفة الآن بسُكْنَى دَقَّاقي الثِّياب . ويجد على يَسْرَته الزُّقاق المُتَوَصَّل[c] منه إلى حارَة الجَوْذَرية ودَرْب كَرْكامَة ودِكَّة الحِسْبَة المعروفة قَديمًا بسُوق الحَدَّادين ، وسُوق الوَرَّاقين القَديمَة ، وإلى سُوق [d]الفاميين ، المعروف اليوم بالأبازِرَة[e]، وإلى غير ذلك .

ثم يَسْلُكُ أمامَه إلى سُوق[d] الحَلاويين الآن فيجد عن يمينه الزُّقاق المسلوك فيه إلى سُوق الكَعْكِيين المعروف قَديمًا بالقَطَّانين وسُكْنَى الأساكِفَة ، وإلى بابَيْ قَيْسارية جَهارْكَس ، [f]الغربيين وإلى دَرْب الأُسْواني والحارَة الباطِلِيَّة وغير ذلك ، ثم يَسْلُكُ أمامه شاقًّا في سُوق الحَوائِصيين[g] فيجد على يمينه قيسارية جَهارْكَس[f] وعن يَسْرته قَيْسارية الشَّرْب .

ثم يَسْلُكُ/ أمامَه إلى سُوق الشَّرابِشيين ، المعروف قَديمًا بسُكْنَى التخانقيين[h]، وعن يَمْنَتِه دَرْب قَيْطون . ٣٧٤

ثم يَسْلُكُ أمامَه شاقًّا في سُوق الشَّرابشيين ، فيجد عن يَمْنَته قَيْسارية أمير علي ، ويجد عن يسرته سُوق الجَمَلون الكبير المسلوك فيه إلى قَيْسارية ابن قُرَيْش وإلى سُوق العَطَّارين والوَرَّاقين ، وإلى سُوق الكَفْتيين والصَّيارِف وإلى[a] الأَخْفافيين ، وإلى بِئْر زَوِيلَة والبُنْدُقانيين ، وإلى غير ذلك .

ثم يَسْلُكُ أمامَه فيجد عن يَمْنَته الزُّقاق المسلوك فيه إلى سُوق الفَرَّائين الآن ـ وكان يُعرف [f]قَديمًا بالخُروقيين وإلى خُطِّ الأَكْفانيين الآن ، وكان يُعْرَف[f] أوَّلًا بدَرْب البَيْضاء ـ وإلى دَرْب الأُسْواني وإلى الجامِع الأَزْهَر وغير ذلك ، ويجد عن يَسْرَته قَيْسارية بني أُسامَة .

---

a) ساقطة من بولاق . b-b) إضافة من مسودة المواعظ . c) بولاق : المسلوك . d-d) ساقطة من آياصوفيا اختلاف نظر . e) مسودة المواعظ : الأبزاريين . f-f) ساقطة من بولاق : اختلاف نظر . g) بولاق : الحلوانيين . h) بولاق : الخالقيين .

ثم يَسْلُك أمامَه شاقًّا في سُوق الجُوخِيِّين واللُّجْميين، فيجد عن يَمينه قَيْسارية السُّروج، وعن يَسْرَته قَيْسارية [a].

ثم يَسْلُك أمامَه إلى سوق السَّقْطيين والمَهامِزيين، فيجد عن يَمْنته دَرْب الشَّمْسي، ويُقابله باب قَيْسارية الأمير عَلَم الدِّين الخَيَّاط، وتُعرف اليوم بقَيْسارية العُصْفُر.

ثم يَسْلَك أمامَه شاقًّا في السُّوق المذكور، فيجد عن يَمْنته الزُّقاق المسلوك فيه إلى سُوق القَشَّاشين [b]وعَقَبَة الصَّبَّاغين[b] المعروف اليوم بالخَرَّاطين، وإلى سُوق الخِيَميين، وإلى الجامِع الأَزْهَر وغير ذلك. ويجد قُبالَة هذا الزُّقاق عن يَسْرَته قَيْسارية العَنْبَر، المعروفة قَديمًا بحَبْس المَعُونَة.

ثم يَسْلُك أمامَه فيجد على يَسْرَته الزُّقاق المسلوك فيه إلى سُوق الوَرَّاقين وسُوق الحَريريين الشَّرابيين المعروف قَديمًا بسُوق الصَّاغَة القَديمَة، وإلى دَرْب شَمْس الدولة، وإلى سُوق الجراريين[c]، وإلى بِئْر زَوِيلَة والبُنْدقانيين، وإلى سُوَيْقَة الصَّاحِب والحارَة الوَزيرية، وإلى باب سَعادَة وغير ذلك.

ثم يَسْلُك أمامَه شاقًّا في بعض سُوق الحَريريين وسُوق المُتَعَيِّشين ـ وكان قَديمًا سُكْنَى الدَّجَّاجين والكَعْكيين، وقبل ذلك أوَّلًا سُكْنَى السُّيوفيين ـ فيجد عن يَمْنته قَيْسارية الصَّنادِقيين وكانت قَديمًا تُعْرَف بفُنْدُق الدَّبابِليين. ويجد عن يَسْرَته مُقابلَها دار المأمون البطائحي المعروفة بمَدْرَسَة الحَنَفيَّة، ثم عُرِفَت اليوم بالمَدْرَسَة السُّيوفية لأنَّها كانت في سُوق السُّيوفيين.

ثم يَسْلُكُ أمامَه في سُوق السُّيوفيين القديمة [d]، الذي هو الآن سُوق المُتَعَيِّشين، فيجد عن يمنته خان مَسْرور وحُجْرَتَي الرَّقيق ودِكَّة المماليك بينهما ـ ولم تزل مَوْضِعًا لجُلوس من يُعْرَض من المماليك التُّرْك والرُّوم ونحوهم للبَيْع إلى أوائل أيام الملك الظَّاهِر بَرْقوق، ثم بَطَلَ ذلك ـ ويجد عن يَسْرَته قَيْسارية الرَّمَّاحين وخان الحَجَر، ويُعْرف اليوم هذا الخُطّ بسُوق باب الزُّهومَة.

ثم يَسْلُك أمامَه فيجد عن يَسْرَته الزُّقاق والسَّاباط المسلوك فيه إلى حَمَّام خُشَيْبَة ودَرْب شَمْس الدولة، وإلى حارَة العَدَوِيَّة المعروفة اليوم بفُنْدُق الزِّمامُ، وإلى حارَة زَوِيلَة وغير ذلك. ويجد بعد هذا الزُّقاق، قَرِيبًا منه في صَفِّه، دَرْب السِّلْسِلَة.

---

a) بياض في المسودة وسائر النسخ. b-b) ساقطة من مسودة المواعظ. c) مسودة المواعظ: الزجاجين، بولاق: الحريريين. d) إضافة من مسودة المواعظ.

ومن هنا ابتداء «خُطِّ بَيْنَ القَصْرَيْن» وكان قَديمًا، في أيام الدَّوْلَة الفاطِمية، مَراحًا واسِعًا ليس فيه عمارة ألبتَّة يَقِفُ فيه عشرة آلاف فارس. والقَصْران هما موضع سُكْنى الخَليفَة: أَحَدُهُما شَرْقِيٌّ وهو «القَصْر الكَبير»، وكان على يَمْنَة السَّالِك من مَوْضِع خان مَسْرور طالِبًا باب النَّصْر وباب الفُتوح؛ وموضعه الآن المَدارِس الصَّالِحِيَّة النَّجْمية والمَدْرَسَة الظَّاهِرية الرُّكْنِيَّة وما في صَفِّها من الحَوانيت والرِّباع إلى رَحْبَة العيد، وما وَراء ذلك إلى البَرْقِيَّة. ويُقابِلُ هذا القَصْر الشَّرْقي القَصْر الغربي، وهو «القَصْر الصَّغير»، ومكانه الآن المارِسْتان المَنْصوري وما في صَفِّه من المَدارِس والحَوانيت إلى تِجاه باب الجامِع الأَقْمَر[a].

فإذا ابتدأ السَّالِكُ بدُخول بَيْنَ القَصْرَيْن من جِهَة خان مَسْرور، فإنَّه يجد على يَسْرَته دَرْب السِّلْسِلَة. ثم يَسْلُك أمامَه فيجد على يمينه الزُّقاق المسلوك فيه إلى سُوق الأَمْشاطيين المقابِل للمدرسة الصَّالِحية التي للحَنَفِيَّة والحَنابِلَة، وإلى الزُّقاق الملاصِق لسُور المَدْرَسَة المذكورة المسلوك فيه إلى خُطِّ الزَّراكِشَة العَتيق حيث خَان الخَليلي وخَان مَنْجَك[1]، وإلى الخُوخ السَّبْع حيث الآن شُوق الأَبَّارين، وإلى الجامِع الأَزْهَر، وإلى المَشْهَد الحُسَيْني وغير ذلك.

ثم يَسْلُك أمامَه شاقًّا في سُوق الشُّيوفيين الآن، فيجد على يَساره دَكاكين الشُّيوفيين، وعلى يمينه دَكاكين النُّقْليين ظاهِر سُوق الكُتُبيين الآن، وعلى يَساره سُوق الصَّيارِف برأس باب الصَّاغَة، وكان قَديمًا مَطْبَخ القصر قُبالَة باب الزُّهومَة.

ثم يَسْلُك أمامَه فيجد على يَمينه باب المَدارِس الصَّالِحية تجاه باب الصَّاغَة. ثم يَسْلُك أمامَه فيجد عن يَمينه القُبَّة الصَّالِحِيَّة وبجوارها المَدْرَسَة الظَّاهِرية الرُّكْنية، ويجد على يَساره باب المارِسْتان المَنْصوري، وفي داخِله القُبَّة المنصورية التي فيها قُبور الملوك، وتحت شَبابيكها دِكَك القَفَصيات التي فيها الخَواتيم ونحوها، فيما بين القُبَّة المذكورة والمَدْرَسَة الظَّاهِرية المذكورة، وفي داخِله أيضًا المَدْرَسَة المَنصورية، وتحت شَبابيكها أيضًا دِكك القَفَصيات فيما بين شَبابيكها وشَبابيك المَدْرَسَة الصَّالحية التي للشَّافِعِية والمالِكية، وتحتها خَيْمَة الغِلْمان بجوار قُبَّة الصَّالِح، وفي داخِله أيضًا المارِسْتان الكبير المَنصوري المُتَوَصَّل من باب سِرِّه إلى حارة زَوِيلَة، وإلى الخُرُنْشُف وإلى الكافوري وإلى البُنْدُقانيين وغير ذلك.

---

a) في مسودة المواعظ بعد ذلك: ثم نرجع إلى ذكر الخطط فنقول.

---

[1] عن خان الخليلي انظر فيما يلي ٢: ٩٤، ولم يُفْرِد المقريزي خان منجك بمدخل مستقل.

ثم يَسْلُك من باب المارِسْتان ، فيجد على يَمْنَته سُوق السِّلاح والنَّشَّابين[a] /الآن تحت الرَّبْع المعروف بوَقْف أَمير سَعيد ، ويجد على يَسْرَته المَدْرَسَة النَّاصِرِيَّة الملاصقة لمِئْذَنة القُبَّة المنصورية .

ثم يَسْلُك أمامَه فيجد على يَمْنَته خان بَشْتاك وفوقه الرَّبْع ـ وعُرِفَ الآن هذا الخان بالمستخرج ـ ويجد على يَسْرَته المَدْرَسَة الظَّاهِرِيَّة الجَديدَة بجوار المَدْرَسَة النَّاصِرِيَّة ، وكانت قبل إنشائها مَدْرَسَة فُنْدُقًا يُعْرَف بخان الزَّكاة .

ثم يَسْلُك أمامَه فيجد على يَمْنَته بابَ قَصْر بَشْتاك ، ويجد على يَسْرَته المَدْرَسَة الكامِلِيَّة المعروفة بدار الحَديث وهي مُلاصِقَة للمَدْرَسَة الظَّاهِرِية السيفية[b] الجَديدَة[c] .

ثم يَسْلُك أمامَه فيجد على يَمْنَته الزُّقاق المسلوك فيه إلى بيت أمير سِلاح ، المعروف بقَصْر أمير سِلاح ، وهو الأمير فَخْر الدِّين بَكْتاش الفَخْري الصَّالِحِي النَّجْمي ، وإلى دَار الأمير سَلار نائِب السَّلْطَنَة ، وإلى دار الطَّواشي سابِق الدِّين ومَدْرَسَته التي يُقال لها المَدْرَسَة السَّابِقِيَّة . وكان هذا الزُّقاق في داخِله[d] مكانٌ يُتَوَصَّل إليه من تحت قَبْو المَدْرَسَة السَّابقية ، يُعْرَف بالسودوس ، فيه عِدَّةُ مَساكِن صارَت كلُّها اليوم دارًا واحِدَةً إنْشاء الأمير جَمال الدِّين الأُسْتادَّار . وكان تجاه باب المَدْرَسَة[e] السَّابِقية رَبْعٌ تحته فُرْن ، ومن ورائِه عِدَّةُ مَساكِن يُعْرَف مكانها بالحَدْرَة ، فهَدَمَ الأميرُ جَمالُ الدِّين المذكور الرَّبْعَ وما وراءَه وحَفَر فيه صِهْريجًا ، وأنشأ به عِدَّة آدرٍ هي الآن جارية في أوْقافِه .

وكان يُسْلَك من باب السَّابِقية على باب الرَّبْع والفُرْن المذكورين ، إلى دِهْليزٍ طَويلٍ مظلم ينتهي إلى باب القصر تجاه سُور سَعيد السُّعَداء ، ومنه يَخْرُج السَّالِكُ إلى رَحْبَة باب العيد وإلى الرُّكْن المُخَلَّق ، فهَدَمَه الأميرُ جمالُ الدِّين وجَعَلَ مكانَه قَيْسارِيَّة ، ورَكَّب على رأس هذا الزُّقاق ـ تجاه حَمَّام البَيْسَرِيّ ـ دَرْبًا في داخِله دُروبٌ ليصون أمواله ، وانقطع التطرُّق من هذا الزُّقاق ، وصارَ دَرْبًا غير نافِذ . ويجدُ السَّالِكُ عن يَسْرَته قُبالَة هذا الزُّقاق ـ الذي[f] صارَ دَرْبًا مُدَرَّبًا ـ باب قصر البَيْسَرِيَّة[1] ، وقد بُنِيَ في وجهه حَوانيت بجانبها حَمَّام البَيْسَري .

---

a) الأصول : النشاشين . b) زيادة من الأصول . c) مسودة المواعظ : للمدرسة الظاهرية المستجدة . d) بولاق : وكان فى داخل هذا الزقاق . e) ساقطة من آياصوفيا . f) بولاق : و .

---

[1] جاء على هامش المسودة هنا بغير خط المقريزي: «صارت الآن حمّامين وحوانيت عمرها الأشرف إينال العلائي الأجرود (انظر ترجمته عند أبي المحاسن: المنهل الصافي ٣: ٢٠٩). وهي إضافة لشخص طالع المسودة =

ومن هنا ينقسم شارِعُ القاهِرَة المذكور إلى طَريقَيْن : أحدهما ذات اليمين ، والأخرى ذات اليسار [1].

[الشارع المسلوكُ فيه إلى باب الفُتُوح]

فأمَّا ذات اليَسار فإنَّها تتمَّة القَصَبَة المذكورة . فإذا مَرَّ السَّالِكُ من باب حَمَّام الأمير بَيْسَري ، فإنَّه يجد على يَسْرَته باب الخُرُنْشُف المسلوك فيه إلى باب سِرّ البَيْسَرِيَّة ، وإلى باب حارة بَرْجَوان الذي يُقال له أبو تُراب ، وإلى الخُرُنْشُف وإسْطَبْل القُطْبية ، وإلى الكافوري ، وإلى حارَة زَوِيلَة ، وإلى البُنْدُقانيين وغير ذلك .

ثم يَسْلُك أمامَه فيجد سُوقًا ـ يُعْرَف أخيرًا بالوزَّازين والدَّجَّاجين ـ يُباعُ فيه الإوَزّ والدَّجاج والعَصافير وغير ذلك من الطُّيور ، وأدركناه عامِرًا سُوقًا كبيرًا ، من جملته دُكَّانٌ لا يُباعُ فيها غير العَصافير فيشتريها الصِّغارُ للَّعب بها . وفي هذا السُّوق ، على يَمْنَة السَّالِك ، قَيْسارِيَّةٌ يعلوها رَبْعٌ كانت مُدَّةً سُوقًا يُباعُ فيه الكُتُب ، ثم صارَت لعَمَل الجُلود ، وكانت من جملة أوْقاف المارِسْتان المنصوري ، فهَدَمَهَا بعضُ من كان يتحدَّث في نَظَرِه عن الأمير أَيْتَمُش في سنة إحدى وثمان مائة ، وعَمَّرها على ما هي عليه الآن . وعلى يَسْرَة السَّالِك في هذا السُّوق رَبْعٌ يجري في وَقْف المَدْرَسَة الكامِلِيَّة ، وكان هذا السُّوقُ يُعْرَفُ قَديمًا بالتَّبَّانين والقَمَّاحين .

ثم يَمُرُّ سالِكًا أمامَه فيجد سُوقَ الشَّمَّاعين مُتَّصلًا بسُوق الدَّجَّاجين ، وكان سُوقًا كبيرًا فيه صَفَّان عن اليمين والشِّمال من حَوانيت باعَة الشَّمْع أدركته عامِرًا ، وقد بقيَ منه الآن يسير . وفي آخِر هذا السُّوق ، على يَمْنَة السَّالِك ، الجامِعُ الأَقْمَر ، وكان مَوْضِعَه قَديمًا سُوقُ القَمَّاحين ، وقُبالَته دربُ الخُضَيْري . وبجانب الجامِع الأَقْمَر من شرقيه الزُّقاق الذي يُعْرَف بالمَحايِريين ، ويُسْلَك فيه إلى الرُّكْن المُخَلَّق وغيره ، وقُبالَة هذا الزُّقاق بئرُ الدُّلاء .

ثم يَسْلُك المارُّ أمامَه فيجد على يَمْنَتِه زُقاقًا ضيِّقًا ينتهي إلى دور ومَدْرَسَة تُعْرف بالشَّرابِيشِيَّة يُتَوَصَّل من باب سِرِّها إلى الدَّرْب الأَصْفَر تجاه خانْقاه بَيْبَرْس .

= فالأشرف إينال تولى السلطنة سنة ٨٥٩هـ.

[1] يحدِّد انقسام الشارعين الآن السبيل الذي أنشأه عبد الرحمن كَتْخُدا سنة ١١٥٧هـ/١٧٤٤م ، والمسجل بالآثار تحت رقم ٢١ ، والواقع تجاه قصر بشتاك والذي ينقسم عنده شارع المعز لدين الله قسمين : امتداد الشارع على اليسار المؤدي إلى باب الفتوح ، وشارع التمبكشية المؤدّي إلى شارع الجمالية وباب النصر على اليمين.

ثم يَسْلُك أمامَه في سوق المُتَعَيِّشين، فيجد على يَسْرَته باب حارَة بَرْجَوان. ثم يَسْلُك أمامَه شاقًّا في سُوق المُتَعَيِّشين ـ وقد أدركته سُوقًا عَظِيمًا لا يكاد يُعْدَم فيه شيءٌ مما يُحْتاج إليه من المأكولات وغيرها. بحيث إذا طُلِب منه شيءٌ من ذلك في لَيْلٍ أو نَهارٍ وُجِد، وقد خَرِبَ الآن ولم يبق منه إلّا اليسير. وكان هذا السُّوقُ قَدِيمًا يُعرف بسُوق أَمير الجُيُوش، وبآخره خان الرَّوَّاسين، وهو زُقاقٌ على يَمْنَة السَّالِك غير نافِذ. ويُقابل هذا الزُّقاق ـ على يَسْرَة السَّالِكِ إلى باب الفُتُوح ـ شارعٌ يُسْلَك فيه إلى سُوقٍ يُعرف اليوم بسُوَيْقَة أمير الجُيُوش، وكان قبل اليوم يُعرف بسوق الخُروقيين، ويُسْلَك من هذا السُّوق إلى باب القَنْطَرَة في شارع معمور بالحَوانيت من جانبيه، ويعلوها الرِّباع، وفيما بين الحَوانيت دُروبٌ ذات مَساكِن كثيرة.

ثم يَسْلُك أمامَه من رأس سُوَيْقَة أمير الجُيُوش، فيجد على يمينه الجَمَلُون الصغير المعروف بجَمَلُون ابن صَيْرَم، وكان مَسْكَنًا للبَزَّازين فيه عِدَّة حَوانيت عامِرَة بأصناف الثِّياب أدْرَكْتها عامِرَة، وفيه مَدْرَسَة ابن صَيْرَم المعروفة بالمَدْرَسَة الصَّيْرَمِيَّة، وفي آخره باب زِيادَة الجامِع الحاكِمي، وكان على بابها عِدَّةُ حَوانيت تُعْمَل فيها الضُّبَب التي/ بِرَسْم الأبواب.

ويُخْرَج من هذا الجَمَلون إلى طريقين: أحدهما يُسْلَك فيها إلى دَرْب الفَرَنْجية وإلى دار الوَكالة وشارع باب النَّصْر، والأخرى إلى دَرْب الرَّشيدي النافِذ إلى رأس[a] الجُوَّانية.

ثم يَسْلُك أمامَه فيجد على يَمْنَتِه شُبَّاك المَدْرَسَة الصَّيْرَمِيَّة، ويُقابله بابُ قَيْسارية خُوَنْد أرْدكين الأشْرَفية.

ثم يَسْلُك أمامَه شاقًّا في سُوق المُرَحِّلين، وكان صَفَّيْنِ من حَوانيت عامِرَة فيها جَميع ما يُحْتاج إليه في ترحيل الجِمال، وقد خَرِبَ وبقي منه قَليلٌ. وفي هذا السُّوق على يَسْرَة السَّالِك زُقاقٌ يُعرف بخان[b] الوِراقة وفيه أَحَدُ أبواب قَيْسارية خُوَنْد المذكورة وعِدَّةُ مَساكِن، وكان مكانه يُعرف قَديمًا بإسْطَبْل الحُجَرِيَّة.

ثم يَسْلُك أمامَه فيجد على يَمْنَتِه أَحَد أبواب الجامِع الحاكِمي ومَيْضَأته، ويجد باب الفُتُوح القَديم، ولم يَبْقَ منه سِوى عَقْدِه وشيءٍ من عِضَادَتِه، وبجواره شارع على يَسْرَة السالِك يُتَوَصَّل منه إلى حارَة بَهاء الدين وباب القَنْطَرَة.

ثم يَسْلُك أمامَه شاقًّا في سُوق المُتَعَيِّشين، فيجد على يمينه بابًا آخر من أبواب الجامِع الحاكِمي. ثم يَسْلُكُ أمامَه فيجد عن يَسْرته زُقاقًا بسَاباط ينفذ إلى حارة بَهاء الدِّين، فيه كثيرٌ من المساكِن.

---

a) بولاق: درب. b) بولاق: بحارة.

ثم يَسْلُك أمامَه فيجد عن يَمينه بابَ الجامِع الحاكِمي الكبير، ويجد عن يَساره فُنْدُق العادِل، ويشقُّ في سُوقٍ عَظيمٍ إلى باب الفُتُوح، وهو آخِر قَصَبَة القاهِرَة.

[الشارع المسلوك فيه إلى باب النَّصْر]

وأمَّا ذات اليمين من شارع بَيْن القَصْرَيْن، فإنَّ المارَّ إذا سَلَكَ من الدَّرْب الذي يُقابل حَمَّام البَيْسَري طالبًا الرُّكْن المُخَلَّق، فإنَّه يشقّ في سُوق القَفَّاصين[a] وسُوق الحُصْريين إلى الرُّكْن المُخَلَّق، ويُباع فيه الآن النِّعال، وبه حَوْضٌ في ظَهْر الجامِع الأَقْمَر لشُرْب الدَّواب تُسَمِّيه العامَّةُ حَوْض النَّبِي، ويُقابِله مَسْجِدٌ يُعْرَف بمَراكِع مُوسىٰ[1].

وينتهي هذا السُّوق إلى طريقين: أحدُهما إلى بئر العِظام التي تُسَمِّيها العامَّة بِئْر العَظْمَة، ومنها يُنْقَل الماء إلى الجامِع الأَقْمَر والحَوْض المذكور بالرُّكْن المُخَلَّق، ويُسلك منه إلى المَحايِريين. والطَّريقُ الأُخرىٰ تنتهي إلى الفُنْدُق المعروف بقَيْسارية الجُلود، ويعلوها رَبْعٌ أنشأت ذلك خُوَنْد بَرَكَة أمّ الملك الأشْرَف شَعْبان بن حُسَيْن. وبجوار هذه القَيْسارية بَوَّابَةٌ عَظيمَةٌ قد سُيِّرَت بحَوانيتَ يُتَوَصَّل منها إلى ساحَةٍ عَظيمَةٍ هي من حُقوق المَنْحَر، كانت خُوَنْد المذكورة قد شَرَعَت في عِمارَتها قصرًا لها فماتَت دون إكماله.

ثم يَسْلُك أمامَه فيجد الرِّباع التي تعلو الحَوانيت، والقَيْسارية المستجدَّة في مكان باب القَصْر الذي كان ينتهي إلى مَدْرَسَة سابِق الدِّين وبَيْنَ القَصْرَيْن، وكان أَحَدَ أبواب القصر، ويُعْرَف بباب الرِّيح. وهذه الرِّباع والقَيْسارية من جملة إنشاء الأمير جَمال الدِّين الأُسْتادَّار، وكانت قبله حَوانيت ورِباعًا، فهَدَمَها وأنشأها على ما هي عليه اليوم.

ثم يَسْلُك أمامَه فيجد على يَمْنته[b] مَدْرَسَة الأمير جَمال الدِّين المذكور، وكان مَوْضِعُها خانًا وظاهره حَوانيت، فبَنَى مكانها مَدْرَسَةً وحَوْضًا للسَّبيلِ وغير ذلك. ويُقال لهذه الأماكِن «رَحْبَة باب العِيد»، ويُسْلَك منها إلى طريقين: أحدهما ذات اليمين، والأُخرى ذات اليَسار.

---

a) بولاق: القصاصين. b) بولاق: عن يمينه.

---

[1] ويعرف أيضًا بمسجد موسى (فيما يلي ٣٤٥).

فأمَّا ذات اليمين فإنَّها تنتهي إلى المَدْرَسَة الحِجازِيَّة [a]وقَصْر الحِجَازِيَّة[a] وإلى دَرْب قَراصْيا وإلى حَبْس الرَّحْبَة ، وإلى دَرْب السَّلَّامي ، المسلوك منه إلى باب العيد الذي تسمِّيه العامَّة بالقاهِرَة ، وإلى المارِسْتان العَتيق ، وإلى قَصْر الشَّوْك ودار الضَّرْب ، وإلى باب سِرّ المَدارِس الصَّالِحِية ، وإلى خِزانَة البُنُود .

ويُسْلَك من رأس دَرْب السَّلَّامي هذا ، في رَحْبَة باب العيد ، إلى السَّفينَة[b] وخُطّ خِزانَة البُنُود ورَحْبة الأَيْدَمُري والمَشْهَد الحُسَيْني ودَرْب مُلُوخيا والجامِع الأَزْهَر والحارَة الصَّالِحِية والحارَة البَرْقِيَّة ، إلى باب البَرْقِيَّة والباب الجَديد والباب المَحْروق .

وأمَّا ذات اليَسار من رَحْبَة باب العيد ، فإنَّ المارَّ يَسْلُك من باب مَدْرَسَة الأمير جَمال الدِّين إلى باب زاوية الخُدَّام ، إلى باب الخانْقاه المعروفة بدار سَعيد السُّعَداء ، فيجد عن يَمينه زُقاقًا بجوار سُور دار الوَزارَة يُسْلَك فيه إلى خَرائِب تَتَر ، وإلى خُطّ الفَهَّادين ، وإلى دَرْب مُلوخيا وغير ذلك .

ثم يَسْلُك أمامَه فيجد عن يَمينه المَدْرَسَة القَراسُنْقُرِيَّة والخانْقاه الرُّكْنِيَّة بَيْبَرْس ، وهما من جملة دار الوَزارَة وما جاور الخانْقاه إلى باب الجُوَّانِيَّة ؛ وتجاه خانْقاه بَيْبَرْس الدَّرْبُ الأَصْفَر ، وهو المَنْحَر الذي كانت الخُلَفَاءُ تَنْحَر فيه الأضاحي .

ثم يَسْلُك أمامَه فيجد على يَمْنَته دارَ الأمير ابن[c] قُزْمان بجوار خانْقاه بَيْبَرْس ، وبجوارهما دار الأمير شَمْس الدِّين سُنْقُر الأَعْسَر الوَزير ، وقد عُرِفَت الآن بدار خُوَنْد طُولُوباي زوجة السُّلْطان الملك النَّاصِر حَسَن بن محمد بن قَلاوون ، وبجوارهما حَمَّام الأمير الأَعْسَر المذكور ، وجَميع هذا من دار الوَزارَة . ويجد على يَسْرَتِه دَرْب الرَّشيدي تجاه حَمَّام الأَعْسَر المسلوك فيه إلى دَرْب الفَرَنْجية وجَمَلون ابن صَيْرَم .

ثم يَسْلُك أمامَه فيجد على يمينه الشَّارِع المسلوك فيه إلى الجُوَّانِيَّة ، وإلى خُطّ الفَهَّادين ، وإلى دَرْب مُلوخيا وإلى العُطُوفية ، وقد خَرِبَت هذه الأماكن . ويجد على يَسْرَته الوَكالَة المستجدَّة من إنشاء الملك الظَّاهِر بَرْقُوق .

ثم يَسْلُك أمامَه فيجد على يَسْرَته زُقاقًا ، يَسْلُك فيه إلى جَمَلون ابن صَيْرَم وإلى دَرْب الفَرَنْجِية . ثم يَسْلُك/ أمامَه فيجد على يَمْنَتِه دار الأمير شِهاب الدِّين أحمد ابن خالَة الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون ، ودار الأمير عَلَم الدِّين سِنْجِر الجاوْلي ـ وهما من حُقُوق الحُجَر التي كانت بها مَماليكُ الخُلَفَاء وأجْنادهم ـ ويجد على يَسْرَته وَكالَة الأمير قَوْصُون .

---

a-a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : السقيفة ، وفي مسودة المواعظ والنسخ المنقولة عن خط المؤلِّف السفينة ، وانظر فيما يلي ٣٤٥. c) ساقطة من بولاق .

ثم يَسْلُك من باب الوَكالَة ، فيجد مُقابِل باب قاعَة الجَاوْلي خان الجَاوْلي وبعدها باب النَّصْر القَديم ، وأدْرَكْتُ منه[a] قَطْعَةً كانت تِجاه رُكْن المَدْرَسَة القاصِدِيَّة الغربي وقد زال .

ويَسْلُك منه إلى رَحْبَة الجامِع الحاكِمي ، فيجد على يَمْنَته المَدْرَسَة القاصِدِيَّة ، وعلى يَسْرته بابي الجامِع الحاكِمي ، وتجاه أحَدِهما الشَّارع المسلوك فيه إلى حارَة العِيدانية وحارَة العُطُوفية وغير ذلك . ومن باب الجامِع الحاكِمي ينتهي إلى باب النَّصْر فيما بين حَوانيت ورِباع ودُور[1] .

فهذه صِفَةُ القاهِرَة الآن ، وستقف إن شاءَ الله تعالى على كيفية ابتداء وَضْع هذه الأماكِن وما صارَت إليه ، وذِكْر التَّعْريف بمن نُسِبَت إليه أو عُرِفَت به ، على ما الْتَقَطْتُ ذلك من كُتُب التَّواريخ ومَجامِع الفُضَلاء ، ووَقَفْت عليه بخُطُوط الثِّقات ، وأخبرني بذلك من أدركته من المَشْيَخَة ، وما شاهدته من ذلك ، سالِكًا فيه سَبيل التوسُّط في القَوْل بين الإكثار والاخْتِصار . والله المُوَفِّق بمَنِّه وكَرَمِه ، لا إله إلَّا هو .

---

a) بولاق : فيه .

---

[1] المقريزي : مسودة كتاب المواعظ والاعتبار ٣٣٥- ٣٤٨، وإلى هنا انتهى ما ترجمه ڤييت وريمون والذي بدأ فيما تقدم صفحة ٢٤٤.

ذِكْرُ سُورِ القَاهِرَة

اعْلَم أنَّ القاهِرَةَ مُنْذُ أُسِّست عُمِلَ سُورُها ثلاثَ مَرَّات : الأولى وَضَعَه القائِدُ جَوْهَر ، والمرَّة الثانية وَضَعَه أميرُ الجُيُوش بَدْرٌ الجَمالي في أيَّام الخَليفَة المُسْتَنْصِر ، والمرَّة الثالثة بناه الأميرُ الخَصِيُّ بَهاءُ الدِّين قَراقُوش الأَسَدي في سَلْطَنَة الملك النَّاصِر صَلاح الدِّين يُوسُف بن أيُّوب أوَّل مُلوك القاهِرَة .

السُّورُ الأوَّل

كان من لَبِن وَضَعَه جَوْهَرٌ القائِد على مُناخِه الذي نَزَلَ به هو وعَساكِره حيث القاهِرَة الآن ، فأدارَه على القصر والجامع[1] . وذلك أنَّه لمَّا سارَ من الجِيزَة ، بعد زَوال الشَّمْس من يوم الثلاثاء لسَبْع عشرة خَلَت من شَعْبان سنة ثمانٍ وخمسين وثلاث مائة بعَساكِره ، وقَصَدَ إلى مُناخِه الذي رَسَمَه له مولاهُ الإمامُ المُعِزُّ لدين الله أبو تَميم مَعَدّ ، واستقرَّت به الدارُ ، اختطَّ القصر ، وأصبح المصريون يهنِّئونه فوَجَدوه قد حَفَرَ الأساسَ في اللَّيْل ، فأدارَ السُّورَ اللَّبِن ، وسمَّاها «المَنْصورِيَّة»[2] ، إلى أن قَدِمَ المُعِزُّ لدين الله من بلاد المغرب إلى مصر ونَزَلَ بها فسَمَّاها «القاهِـرَة» .

ويُقالُ في سَبَب تسميتها : إنَّ القائِدَ جَوْهَرًا لمَّا أرادَ بناءَها أحضر المُنَجِّمين وعَرَّفَهم أنَّه يُريد عِمارَة بلدٍ ظاهِر مصر لتُقيم بها الجُنْد ، وأَمَرَهُم باختيار طالِعٍ سعيدٍ لوَضْع الأساس بحيث لا يخرج البلد عن نَسْلهم أبدًا . فاختاروا طالِعًا لوَضْع الأساس وطالِعًا لحَفْر السُّور ، وجَعَلُوا بدائِر السُّور قَوائِمَ خَشَب بين كلِّ قائمتين حبلٌ فيه أجراس ، وقالوا للعُمَّال : «إذا تحرَّكت الأجراسُ فارْموا ما بأيديكم من الطِّين والحِجارَة» . فوَقَفُوا ينتظرون الوقت الصَّالح لذلك ، فاتَّفَق أنَّ غُرابًا وَقَعَ على حَبْلٍ من تلك الحبال التي فيها الأجراس فتحرَّكت كلُّها ، فظَنَّ العُمَّالُ أنَّ المُنَجِّمين قد حرَّكوها ، فألْقَوْا ما بأيديهم من الطين والحجارة وبنوا ، فصاحَ المُنَجِّمون : «القاهِرُ في الطَّالِع» ، فمَضَى ذلك وفَاتَهم ما قَصَدُوه . ويُقالُ إنَّ المرِّيخَ كان في الطَّالِع عند ابتداء وَضْع الأساس -

---

[1] عن سور القاهرة الأوَّل الذي بناه جَوْهَر انظر Fu'âd Sayyid, A., *op. cit*, pp. 147-62.

[2] أطلق جوهر على المدينة اسم «المَنْصورية» تيمنًا باسم «صَبْرَة المَنْصورية» التي أنشأها الخليفة الفاطمي الثالث المَنْصور بالله والد المُعِزّ لدين الله بالقرب من مدينة القيروان . (راجع Fu'âd Sayyid, A., *op. cit.*, pp. 103-106) .

وهو قاهِرُ الفَلَك ـ فسَمُّوها «القاهِرَة»، واقتضى نظرُهم أنَّها لا تزال تحت القَهْر[a] [١].

وأَدْخَل في دَائِر هذا السُّور بِئْر العِظَام، وجَعَلَ القاهِرَة حارات للواصلين صُحْبَته وصُحْبَة مَوْلاه المُعِزّ، وعَمَّر القَصْر بترتيب أَلْقاه إليه المُعِزّ.

ويُقالُ: إنَّ المُعِزَّ لما رأَى القاهِرَة لم يُعْجِبه مكانُها، وقال لجَوْهَر: «لمَّا فاتَكَ عِمارَة القاهِرَة بالسَّاحل، كان ينبغي عِمارَتها بهذا الجَبَل»، يعني سَطْح الجُرْف الذي يُعْرَف اليوم بالرَّصْد المشرف على جامِع رَاشِدَة [٢].

ورَتَّب في القصر جَميع ما يَحْتاج إليه الخُـلَفاءُ بحيث لا تَراهم الأَعْيُن في النُّقْلَة من مكان إلى مكان، وجَعَلَ في ساحاته البحر والمَيْدان والبُسْتان، وتقدَّم بعِمارَة المُصَلَّى بظاهِر القاهِرَة.

وقد أَدْرَكْتُ من هذا السُّور اللَّبِن قِطَعًا، وآخِر ما رَأَيْتُ منه قِطْعَةً كبيرةً كانت فيما بين باب البَرْقِيَّة ودَرْب بَطُّوط، هَدَمَهَا شَخْصٌ من النَّاس في سنة ثلاثٍ وثمان مائة، فشاهَدْت من كِبَر لبنها ما يُتَعَجَّب منه في زَمَنِنا حتى إنَّ اللَّبِنَة تكون قدر ذراع في ثلثي ذراع. وعَرْضُ جِدار السُّور عِدَّة أَذْرُع يَسَع أن يَمُرَّ به فارسان، وكان بعيدًا عن السُّور الحَجَرِ الموجود الآن، وبينهما نحو الخمسين ذِراعًا. وما أَحسب أنَّه بقي الآن من هذا السُّور اللَّبِن شيءٌ أَلبتَّة.

وجَـــوْهَـرُ هذا مَمْلوكٌ روميٌّ [٣] رَبَّاه المُعِزُّ لدين الله أبو تَميم مَعَدّ وكَنَّاه بأبي الحَسَن، وعَظَّم مَحَلَّه

---

a) في اتعاظ الحنفا: تحت حكم الأتراك.

---

[١] حول تسمية القاهرة انظر، ابن دقماق: الانتصار ٥: ٣٥؛ المقريزي: اتعاظ ١: ١١٢؛ أبا المحاسن: النجوم ٤: ٤١- ٤٢؛ السيوطي: حسن ١: ٢٥- ٢٦؛ Kunitzsch, P. «Zur Namengebung Kairos (al-Qâhir-Mars?)», *Der Islam* (1975), pp. 205-25; Fu'âd Sayyid, A., *op. cit.*, pp. 163-64؛ وانظر رواية المسعودي حول بناء الإسكندرية فيما تقدم ١: ٤٠٤- ٤٠٥.

[٢] ابن عبد الظاهر: الروضة ٢٠؛ ابن دقماق: الانتصار ٥: ٣٦؛ القلقشندي: صبح ٣: ٣٥١، ٣٦٧؛ المقريزي: اتعاظ ١: ١١٢- ١١٣؛ ابن إياس: بدائع ١/١: ١٨٨؛ وفيما تقدم ١: ١٢٨.

[٣] جوهر الصَّقْلَبي الكاتب أكبر قائد عسكري عرفه الفاطميون، وهو الذي استطاع أن يحقِّق أغلى أماني الفاطميين: فَتْح مصر. وجاء نسبُ جوهر في أغلب المصادر «الصِّقِلِّي» ورَسْم هذه الكلمة يتماثل مع كلمة «صَقْلَبي» بزيادة نقطة الباء؛ وبما أننا لا نملك معلومات كافية عن انتشار العنصر الصِّقِلِّي في بلاط الفاطميين، وإنَّما نعلم أنَّ عبيدَ الفاطميين في الدور الإفريقي كانوا من الصَّقَالِبة فإنَّ نسبة جوهر يجب أن تكون الصَّقْلَبي وليس الصِّقِلِّي وكما كتبها المقريزي بخطه في مُسَوَّدَة المقفى (نسخة ليدن رقم Or. 14533)، وقد أوضح Ivan Herbek ذلك بحُجَج قوية في مقاله «Die Slaven im Dienst des Fatimiden», *Archiv Orientali* XXI =

عنده في سنة سبع وأربعين وثلاث مائة، وصار في رُتْبَة الوَزارَة، فصَيَّره قائِدَ جُيوشه. وبَعَثَه في صَفَر منها ومعه عَساكِر كثيرة فيهم الأمير زِيري بن مُناد الصِّنْهاجي وغيره من الأكابِر، فسارَ إلى تاهَرْت وأَوْقَعَ بعِدَّة أقوام وافتتح مُدُنًا، وسار إلى فاس فنازلها مُدَّة ولم ينل منها شيئًا، فرَحَلَ عنها إلى سِجِلْماسَة وحارَب ثائِرًا فأَسَرَه بها.

١ وانتهى في مَسيره إلى/ البَحْر المُحيط، واصْطاد منه حُوتًا[a]، وبَعَثَه في قُلَّة ماءٍ إلى مَوْلاه المُعِزّ، وأعلمه أنَّه قد استولى على ما مَرَّ به من المدائِن والأُمَم حتى انتهى إلى البَحْر المُحيط، ثم عادَ إلى فاس فأَلَحَّ عليها بالقِتال إلى أن أَخَذَها عَنْوَةً، وأَسَرَ صاحِبَها[1] وحمله هو والثَّائِر بسِجِلْماسَة في قَفَصَيْنِ مع هدية إلى المُعِزّ، وعادَ في أُخْرَيات السَّنَة وقد عَظُمَ شأنُه وبَعُدَ صيتُه.

ثم لمَّا قَوِيَ عَزْمُ المُعِزّ على تَسْيير الجُيوش لأَخْذ مصر وتهيَّأ أمرُها، فقَدَّم عليها القائِد جَوْهَرًا، وبَرَزَ إلى رَقَّادَة[b] ومعه ما ينيف على مائة ألف فارس، وبين يديه أكثر من ألف صندوق من المال، وكان المُعِزُّ يخرج إليه في كلِّ يوم ويَخْلو به، وأَطْلَق يده في بيوت أموالِه، فأَخَذَ منها ما يُريد زيادةً على ما حمله معه.

وخَرَجَ إليه يومًا فقامَ جَوْهَرٌ بين يديه وقد اجتمع الجَيْشُ، فالتفت المُعِزُّ إلى المشايخ الذين وَجَّهَهم مع جَوْهَر وقال: «والله لو خَرَجَ جَوْهَرٌ هذا وَحْدَه لفَتَحَ مصر، ولتدخلنّ إلى مصر بالأردية من غير حَرْب، ولَتَبْرُكَنّ[c] في خَرابات ابن طُولون، وتُبْنى مَدينَةٌ تُسَمَّى القاهِرَة تَقْهَرُ الدنيا»[2].

---

a) بولاق: سمكًا. b) بولاق: رمادة. c) بولاق: ولتنزلن.

(1953), pp. 543-81; Quichard, P. & Mohamed = Meouak, *EI*[2] art. *al-Sakâliba* VIII 909؛ وترجم لجَوْهَر ابن خلكان: وفيات الأعيان ١:٣٧٥-٣٨٠؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١١:٢٢٤-٢٢٦ ولكن أهم وأشمل ترجمة له هي ترجمة المقريزي في المقفى الكبير ٣:٨٣-١١١؛ وانظر مقال حسين مؤنس Monés, H., *EI*[2] art. *Djawhar al-Sikillî* II, pp. 507-508.

[1] هو محمد بن الفتح بن واسول الثائر، انظر حول أَسْرِه Dachraoui, F., «La captivité d'Ibn Wâsûl, le rebelle de Sidjilmase, d'après le Cadi al-Nu'mân», *CT* 4 (1956), pp. 295-99.

[2] ابن أيبك: كنز الدرر ٦: ١٣٩؛ القلقشندي: صبح ٣: ٣٤٥؛ المقريزي: اتعاظ ١: ١١٤ والمقفى الكبير ٣: ٨٧، وانظر عن حملة جوهر واستيلاء الفاطميين على السطة في مصر مقال تياري ميانكي الهام: Bianquis, Th., «La prise de pouvoir par les Fatimides en Egypte», *An. Isl.* XI (1972), pp. 49-108، ومقال يعقوب ليف Lev, Y., «The Fatimid Conquest of Egypt. Military, Political and Social Aspects», *Isr. Or. St.* IX (1979), pp. 315-28؛ أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر ١٣٧-١٥٢.

وأَمَرَ المُعِزُّ بإفْراغ الذَّهَب في هيئة الأَرْحِيَة ، وحَمَلَها مع جَوْهَر على الجمال ظاهِرَةً ، وأَمَرَ أولادَه وإخوتَه الأُمَرَاء ووَلِيَّ العَهْد وسائِر أهل الدولة أن يمشوا في خِدْمَته وهو راكبٌ ، وكَتَبَ إلى سائِر عُمَّاله يأْمُرُهم إذا قدِمَ عليهم جَوْهَرٌ أن يترجَّلوا مُشاةً في خِدْمَته . فلمَّا قَدِمَ بَرْقَة افْتَدَى صاحِبُها من تَرَجُّله ومَشْيه في ركابه بخمسين ألف دينار ذَهَبًا ، فأَبَى جَوْهَرٌ إلَّا أن يمشي في رِكابِه ورَدَّ المال ، فمشى .

ولمَّا رَحَلَ من القَيْرَوان إلى مصر ، في يوم السبت رابع عشر رَبيع الأوَّل سنة ثمانٍ وخمسين وثلاث مائة ، أَنْشَدَ محمَّد بن هانِئ في ذلك[1] :

[الطويل]

رَأَيْتُ بعَيْني فَوْقَ ما كُنْتُ أَسْمَعُ … وقد رَاعَني يومٌ من الحَشْرِ أَرْوَعُ
غَداةَ كأنَّ الأُفْقَ سُدَّ بمِثْلِه … فعادَ غُروبُ الشَّمْسِ من حَيْث تَطْلَعُ
فلمْ أَدْرِ إذ وَدَّعتُ كيف أُوَدِّعُ … ولم أدْرِ إذ شَيَّعْتُ كيف أُشَيِّعُ
أَلا إنَّ هَذا حَشْدُ مَنْ لم يَذُق له … غِرارَ الكَرى جَفْنٌ ولا باتَ يَهْجَعُ
إذا حَلَّ في أرْضٍ بَنَاها مَدَائِنًا … وإن سارَ عن أرْضٍ غَدَت وهي بَلْقَعُ
تَحِلُّ بُيوتُ المال حَيْث مَحَلُّه … وجَمّ العَطَايا والرِّواق المُرَفَّعُ
وكَبَّرَت الفُرْسانُ لله إذ بَدَا … وظَلَّ السِّلاحُ المُنْتَضَى يَتَقَعْقَعُ
وعَبَّ عُبابُ المَوْكب الفَخْم حَوْلَه … وزَفَّ كما زَفَّ[a] الصَّبَاحُ المُلَمَّعُ
رَحَلْتُ إلى الفُسْطاط أَوَّل[b] رِحْلَةٍ … بأَيْمنِ فألٍ بالذي أنت مُجْمِعُ
فإن يَكُ في مِصْرَ ظِمَاءٌ لمَوْرِدٍ … فقد جاءَهم نِيلٌ سوى النِّيل يُهْرَعُ
ويَمَّمَهم مَنْ لا يغارُ بنعمةٍ … فيَسْلُبَهُم لكنْ يَزيدُ فيُوسِعُ

ولمَّا دَخَلَ إلى مصر واختَطَّ القاهِرَة ، وكَتَبَ بالبَشَارة إلى المُعِزّ ، قال ابنُ هانئ[2] :

[الطويل]

يقولُ[c] بنو العَبَّاس هل[d] فُتِحَت مِصْرُ … فقُلْ لبني العَبَّاسِ قد قُضِيَ الأَمْرُ
وقد جَاوَزَ الإسْكَنْدَرِيةَ جَوْهَرٌ … تُصاحِبُه البُشْرَىٰ ويَقْدُمُهُ النَّصْرُ

---

a) بولاق : رَقَّ . b) الديوان : أيمن . c) بولاق : تقول . d) بولاق : قد .

---

[1] من قصيدة لابن هانئ الأندلسي ، انظر : ديوان محمد ابن هانئ الأندلسي ٢٠٢ - ٢٠٩.

[2] من قصيدة لابن هانئ ، انظر الديوان ١٣٦ - ١٤٣.

ولم يَزَل مُعَظَّمًا مُطاعًا ، وله حُكْم على ما فَتَحَ من بلاد الشَّام حتى وَرَدَ المُعِزُّ من المَغرب إلى القاهِرَة .

وكان جَعْفَرُ بن فَلاح يَرَى نفسه أَجَلّ من جَوْهَر ، فلمَّا قَدِمَ معه إلى مصر سَيَّرَه جَوْهَرٌ إلى بلاد الشَّام في العَساكِر ، فأَخَذَ الرَّمْلَة وغَلَبَ الحَسَن بن عبد الله بن طُغْج ، وسارَ فملك طَبَرِيَّة ودِمَشْق [1] . فلمَّا صارَت الشَّامُ له ، شَمَخَت نَفْسُه عن مُكاتَبَةِ جَوْهَر ، فأَنْفَذَ كُتُبَه من دِمَشْق إلى المُعِزّ وهو بالمغرب سِرًّا من جَوْهَر ، يذكر فيها طاعَتَه ويقع في جَوْهَر ، ويَصِف ما فَتَحَ الله للمُعِزّ على يده ؛ فغَضِبَ المُعِزُّ لذلك ، ورَدَّ كُتُبَه كما هي مختومةً ، وكَتَبَ إليه :

«قد أَخْطَأْتَ الرَّأْي لنَفْسِك ، نحن قد أَنْفَذْناك مع قائِدِنا جَوْهَر فاكْتُب إليه ، فمَا وَصَلَ منك إلينا على يَدِه قَرَأناه ، ولا تَتَجاوَزْه بعد ، فلَسْنَا نَفْعَل لك ذلك على الوَجْه الذي أردته وإن كنت أَهْلَه عندنا ، ولكنَّا لا نَسْتَفْسِد جَوْهَرًا مع طاعَتِه لنا» .

فَزَادَ غَضَبُ جَعْفَر بن فَلاح ، وانْكَشَفَ ذلك لجَوْهَر ، فلم يبعث ابنُ فَلاح لجَوْهَر يسأله نَجْدَةً خَوْفًا أَلَّا ينجده بعَسْكر ، وأقامَ مكانَه لا يُكاتِب جَوْهَرًا بشيءٍ من أَمْره ، إلى أن قَدِمَ عليه الحَسَنُ ابن أحمد القَرْمَطي ، وكان من أَمْره ما قد ذُكِرَ في موضعه [2] .

ولمَّا مات المُعِزُّ واسْتُخْلِف من بعده ابْنُه العَزيز ، ووَرَدَ إلى دِمَشْق أَفْتَكين[a] الشَّرابي من بغداد ، نَدَب العَزيزُ بالله جَوْهَرًا القائِدَ إلى الشَّام ، فخَرَج إليها بخَزائن السِّلاح والأَمْوال والعساكِر العظيمة ، فنَزَل على دِمَشْق لثمانٍ بقين من ذي القعدة سنة خمس وستين وثلاث مائة ، فأقامَ عليها وهو يُحارِب أَهْلَها ، إلى أن قَدِمَ الحَسَنُ بن أحمد القَرْمَطيّ من الأَحْساء/ إلى الشَّام ، فرَحَلَ جَوْهَرٌ ١

---

a) في آياصوفيا وبولاق : هفتكين ، وقد فَضَّلْت إثبات الاسم المتعارف عليه في سائر المصادر وهو أفتكين .

---

[1] عن جعفر بن فلاح الكتامي وفتح الشّام راجع ، ابن الأثير : الكامل ٨: ٥٩١- ٥٩٢؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ١: ٣٦١؛ النويري : نهاية الأرب ٢٨: ١٣٥- ١٣٩؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ١: ١٢٠، ١٢٢- ١٢٩، المقفى ٣: ٥٠- ٥٨؛ درويش النخيلي : فتح الفاطميين للشّام في مرحلته الأولى ، الإسكندرية ١٩٧٩؛ Lev, Y., «Fatimid Policy towards Damascus (358/1968-386/996) Military, Political and Social Aspects», dans *Jerusalem Studies in Arabic and Islam* III (1981-82), pp. 165-83; Bianquis, Th., *Damas et la Syrie sous la domination fatimide*, Damas 1986 I, pp. 44-64.

[2] انظر فيما يلي ٢: ٩- ١٠.

في ثالث جُمادَى الأولى سنة ستٍّ وستين ، فنزل على الرَّمْلَةِ والقَرْمَطيُّ في أثره فهَلَكَ ، وقامَ من بعده جَعْفَر القَرْمَطي فحارَبَ جَوْهَرًا ، واشتدَّ الأمرُ على جَوْهَر وسارَ إلى عَسْقَلان ، وحصره أُفْتَكين بها حتى بَلَغَ من الجُهْدِ مبلغًا عَظيمًا ، فصالح أُفْتَكين وخرج من عَسْقَلان إلى مصر ، بعد أن أقامَ بها وبظاهِرِ الرَّمْلَة نحوًا من سبعة عشر شهرًا ، فقَدِمَ على العَزيز وهو يُريد الخُروج إلى الشَّام .

فلمَّا ظَفِرَ العَزيزُ بأُفْتَكين واصْطَنَعَه في سنة ثمانين وثلاث مائة ، واصْطَنَعَ مَنْجوتَكين التركي أيضًا ، أَخْرَجه راكِبًا من القصرِ وحده في سنة إحدى وثمانين ، والقائِد جَوْهَر وابن عَمَّار ومن دونهما من أهل الدولة مشاةٌ في ركابه ، وكانت يدُ جَوْهَر في يد ابن عَمَّار ، فزَفَرَ ابنُ عَمَّار زَفْرَة كاد أن يَنْشَقَّ لها وقال : لا حَوْلَ ولا قُوَّة إلَّا بالله . فنَزَعَ جَوْهَرٌ يدَه منه ، وقال : قد كنت عندي يا أبا محمد أَثْبَتَ من هذا ، فظَهَرَ منك إنْكارٌ في هذا المقام . لأحدثنَّك حديثًا عَسَى أن يُسَلِّيك عمَّا أنت فيه ، والله ما وَقَفَ على هذا الحَديث أحَدٌ غيري :

لمَّا خَرَجْتُ إلى مصر ، وأَنْفَذْت إلى مولانا المُعِزّ مَن أَسَرْتَه ، ثم حَصَلَ في يدي آخرون اعْتَقَلْتُهم ، وهم نيفٌ على ثلاث مائة أَسِير من مَذْكوريهم والمَعْروفين فيهم ، فلمَّا وَرَدَ مولانا المُعِزُّ إلى مصر أَعْلَمْتُه بهم ، فقال : أَعْرِضْهُم عليَّ ، واذْكُر في كلٍّ واحِدٍ حاله ؛ ففَعَلْتُ ـ وكان في يده كِتابٌ مُجَلَّد يقرأ فيه ـ فجَعَلْت آخذ الرجل من يَدِ الصَّقالِبَة وأقدِّمه إليه وأقول : هذا فُلان ومن حاله وحالِه ، فيَرْفَع رَأسه وينظر إليه ويقول : يجوز . ويعود إلى قِراءَة ما في الكتاب ، حتى أَحْضَرتُ له الجَماعَة ، وكان آخِرهم غُلامًا تركيًا ، فنَظَرَ إليه وتأمَّله ، ولمَّا وَلَّى أَتْبَعَه بَصَرَه .

فلمَّا لم يَبْقَ أحَدٌ قَبَّلْتُ الأرضَ وقُلْت : «يا مولانا ، رأيتُك فَعَلْت لمَّا رأيت هذا التركي ما لم تَفْعَله مع من تقدَّمه» ؛ فقال : يا جَوْهَر ، يكون عندك مَكْتُومًا حتى تَرَى أنَّه يكون لبعض وَلَدِنا غُلامٌ من هذا الجِنْس تَتَّفق له فُتوحاتٌ عَظيمَة في بلاد كثيرة ، ويَرْزُقُه الله على يَدِه ما لم يُرْزَقه أحَدٌ مِنَّا مع غيره» . وأنا أَظُنُّ أنَّه ذاك الذي قال لي مَوْلانا المُعِزّ ، ولا علينا إذا فَتَحَ الله لموالينا على أيْدينا أو على يَدِ من كان .

«يا أبا محمد لكلِّ زَمانٍ دَوْلَة ورِجال ، أَتُريد نحن أن نَأْخُذَ دَوْلَتنا ودَوْلَة غيرنا ؟ لقد أَرْجَل لي مولانا المُعِزّ ، لمَّا سِرْت إلى مصر ، أَوْلاده وإخوته ووَلِيّ عهده وسائِر أهل دولته ، فتعجَب النَّاسُ من ذلك ، وها أنا اليوم أَمْشي راجِلًا

بين يديْ مَنْجوتَكين . أَعَزُّونا وأعزُّوا بنا غيرنا ، وبعد هذا فأقولُ : اللَّهم قَرِّبْ أَجَلي ومُدَّتي ، فقد أَنِفْت على الثمانين أو أنا فيها» .

فماتَ في تلك السنة ، وذلك أنَّه اعْتَلَّ ، فرَكِبَ إليه العَزيزُ بالله عائِدًا ، وحَمَلَ إليه قبل رُكوبه خمسة آلاف دينار ومَرْتَبَة مُثْقَل . وبَعَثَ إليه الأمير مَنْصور بن العَزيز بالله خمسة آلاف دينار .

وتُوفِّيَ يوم الاثنين لسبع بقين من ذي القعدة سنة إحدى وثمانين وثلاث مائة ، فبَعَثَ إليه العَزيزُ بالحُنُوط والكَفَن ، وأرسل إليه الأميرُ مَنْصور بن العَزيز أيضًا الكَفَن ، وأرسلت إليه السَّيِّدَة العَزيزية الكَفَن ، فكُفِّنَ في سبعين ثَوْبًا ما بين مُثْقَل ووَشْي مُذَهَّب ، وصَلَّى عليه العَزيزُ بالله ، وخَلَعَ على ابنه الحسين وحَمَلَه وجعله في مَرْتَبَة أبيه ، ولَقَّبَه بـ«القائِد ابن القائِد»، ومَكَّنه من جميع ما خلَّفه أبوه .

وكان جَوْهَرٌ عاقِلًا ، مُحْسِنًا إلى النَّاس ، كاتِبًا بَليغًا ؛ فمن مُسْتَحْسَن تَوْقيعاته على قِصَّةٍ رُفِعت إليه بمصر :

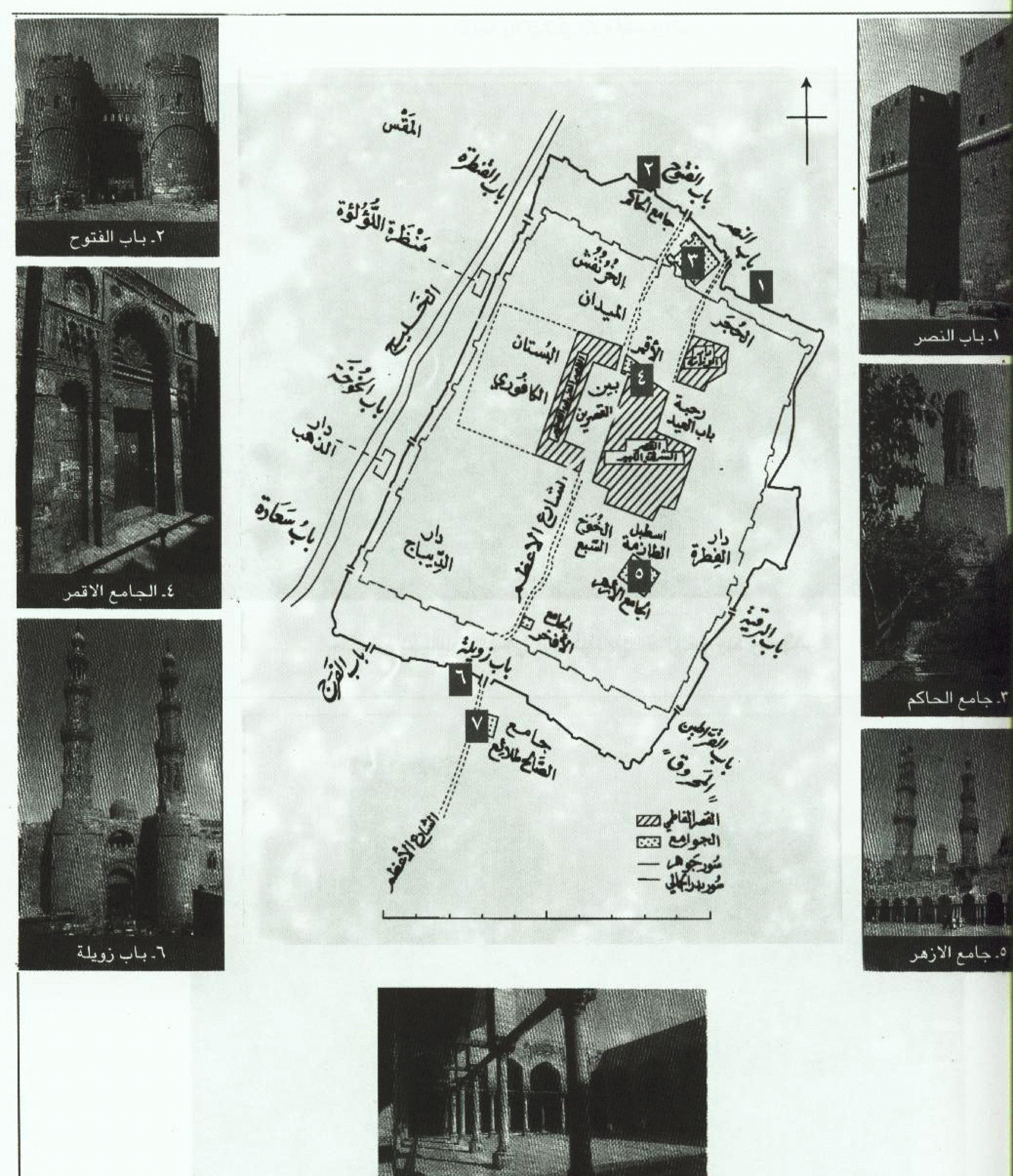
«سُوءُ الاجْترام أَوْقَعَ بكم حُلولَ الانْتِقام ، وكُفْر الإنْعام أَخْرَجَكم من حِفْظ الذِّمام . فالواجِبُ فيكم تَرْك الإيجابِ ، واللَّازم لكم مُلازَمَة الاحْتِساب ، لأنَّكُم بَدَأْتُم فأَسَأْتُم ، وعُدْتُم فتعدَّيتم . فابْتِداؤكم مَلوم ، وعودُكم مَذْموم ، وليس بينهما فُرْجَة إلَّا تَقْتَضي الذمَّ لكم والإعْراض عنكم ، ليرى أَمير المؤمنين صلوات الله عليه رَأْيَه فيكم»[1] .

ولمَّا ماتَ رَثاهُ كثيرٌ من الشُّعَراء .

السُّورُ الثَّاني

بَناه أَميرُ الجُيوش بَدْرٌ الجَمالي في سنة ثَمانين وأربع مائة ، وزادَ فيه الزِّيادات التي فيما بين بابي زَوِيلَة وباب زَوِيلَة الكبير ، وفيما بين باب الفُتُوح الذي عند حارَة بَهاء الدِّين وباب الفُتُوح الآن ، وزادَ عند باب النَّصْر أيضًا جَميع الرَّحْبَة التي تجاه جامِع الحاكِم الآن إلى باب النَّصْر ،

[1] أبو حيان التوحيدي : البصائر والذخائر ، تحقيق وداد القاضي ، بيروت – دار صادر ١٩٨٨ ، ١ : ١٨٤ ؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٤٦ وصَدَّرَ الخبر بقوله : «وقال أبو حيَّان التوحيدي في كتاب «بصائر القدماء» [وهو عنوان موجود على بعض مخطوطات الكتاب] : كتب جوهر عبد الفاطمي بمصر موقِّعًا في قِصَّة رفعها أهلها إليه» ؛ واتعاظ الحنفا ١ : ٢٧٢ وبدأه بقوله : ومن بديع توقيعات القائد جوهر ما حكاه أبو حيَّان التوحيدي في كتاب «بصائر القدماء» ؛ وفيما يلي ٢ : ٢٠٧.



٢. باب الفتوح

٤. الجامع الاقمر

٦. باب زويلة

١. باب النصر

٣. جامع الحاكم

٥. جامع الازهر

٧. جامع الصالح طلائع

أسوار القاهرة الفاطمية وأبوابها

جانِبٌ من سُور القاهِرة الشَّمالي الذي شَيَّدَه بَدْرٌ الجمالي من جِهَة باب النَّصْر

جانِبٌ من سُور القاهِرة الشَّمالي الذي شَيَّدَه بَدْرٌ الجمالي من جِهَة باب النَّصْر

جانِبٌ من سُور القاهِرة الشّمالي الذي شَيَّدَه بَدْرٌ الجمالي من جِهَة باب الفُتُوح

جانِبٌ من سُور القاهِرة الشّمالي الذي شَيَّدَه بَدْرٌ الجمالي من جِهَة باب الفُتُوح

وجَعَلَ السُّورَ من لَبِن، وأقامَ الأبوابَ من حِجارَة[١].

وفي نصف جُمادَى الآخرة سنة ثمان عشرة وثمان مائة، ابْتُدِئ بهَدْم السُّور الحَجَر فيما بين باب زَوِيلَة الكبير وباب الفَرَج، عندما هَدَمَ الملكُ المُؤَيَّدُ شَيْخ الدُّور ليبني جامِعَه، فوُجِدَ عَرْض السُّور في أماكِن[a] نحو العشرة أذْرُع[٢].

السُّورُ الثَّالِثُ

ابتدأ في عِمارته السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين يُوسُفُ بن أيُّوب في سنة ستٍّ وستين وخمس مائة، وهو يومئذٍ على وَزارَة العاضِد لدين الله[٣]. فلمَّا كانت سنة تسعٍ وستين وقد استولَى على المملكة، انتدب لعَمَل السُّور الطُّواشي بَهاء الدِّين قَراقُوش الأَسَدي، فبَنَاه بالحِجارة على ما هو عليه الآن. وقَصَدَ أن يجعل على القاهِرَة ومصر والقَلْعَة سُورًا واحِدًا، فزاد في سُور القاهِرَة القِطْعَة التي من باب القَنْطَرَة إلى باب الشَّعْرِيَّة، ومن باب الشَّعْرِيَّة إلى باب البَحْر.

وبَنَى قَلْعَة المَقْس وهي بُرْجٌ كبيرٌ، وجَعَلَه على النِّيل بجانِب جامِع المَقْس، وانْقَطَعَ السُّورُ من هناك، وكان في أَمَلِه مَدُّ السُّور من المَقْس إلى أن يَتَّصِلَ/ بسُور مصر. وزادَ في سُور القاهِرَة قطعةً

---

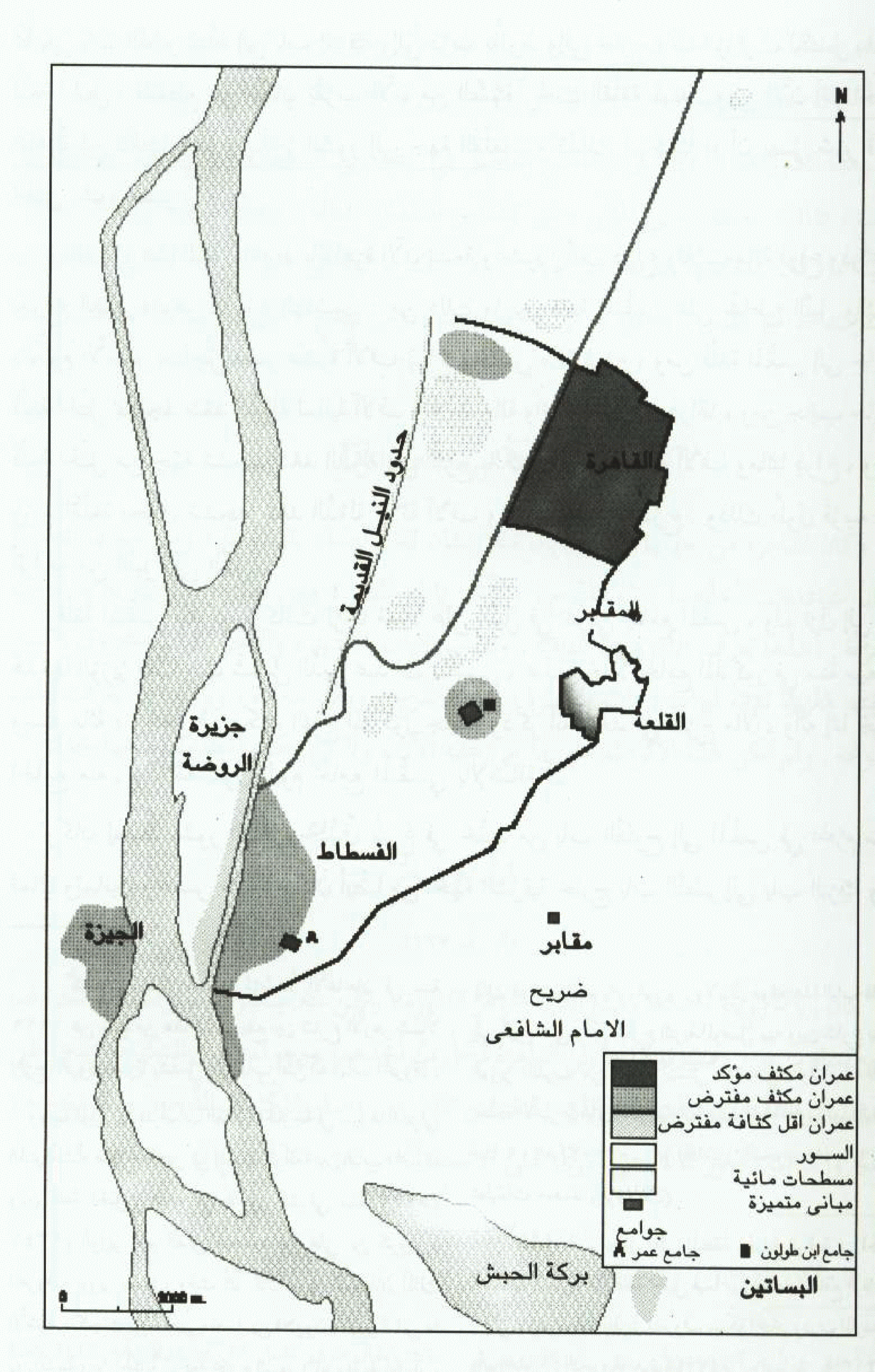
a) بولاق: الأماكن.

---

[١] عن السُّور الذي بناه بدر الجمالي فيما بين سنتي ٤٨٠هـ/١٠٨٧م و٤٨٥هـ/١٠٩٣م، والذي لم يبق منه سوى قسم من السور الشمالي بين بابي النَّصْر والفُتُوح، وقسم من السور الجنوبي على يسار الخارج من باب زَوِيلَة في موازاة شارع الدَّرْب الأحمر وحتى مدخل حارة الروم، راجع: Creswell, K. A. C., «Fortification in Islam before A.D. 1250», in *Proceedings of the British Academy 1952*, London 1952, p. 113; id., *MAE* I pp. 176-81; Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 386-99.

[٢] اكتفى المقريزي في السلوك بالإشارة إلى أنه بدئ في حفر أساس الجامع المؤيدي بجوار باب زويلة في الرابع من جمادى الآخرة (السلوك ٤: ٣٢٠).

[٣] أبو شامة: الروضتين ١: ٤٨٨، المقريزي: اتعاظ ٣: ٣٢١، وعن سور صلاح الدين الذي بدأ في بنائه بهاء الدين قراقوش في سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م انظر، أبا شامة: الروضتين ١: ٦٨٧- ٦٨٨؛ ابن واصل: مفرج الكروب ١: ٥٢- ٥٣؛ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٩- ٢٠؛ المقريزي: المسودة ٤١- ٤٢؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٦: ١٧٦- ١٧٧؛ Casanova P., *Histoire et description de la Citadelle du Caire*, pp. 535-51; Creswell, K. A. C., *MAE* II, pp. 41-63 - ; Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 634-43؛ ومؤخرًا مقال نيقولا ورنر Warner, N., «The Fatimid and Ayyubid Eastern Walls of Cairo: Missing Fragments», *An. Isl.* 33 (1999), pp. 283-305؛ وأسامة طلعت عبد النعيم: أسوار صلاح الدين وأثرها في امتداد القاهرة حتى عصر المماليك، رسالة ماجستير بكلية الآثار – جامعة القاهرة ١٩٩٢.



سُور صَلاح الدِّين الذي يربط القاهِرَة بالقَلْعَة بالفسطاط

ممَّا يلي باب النَّصْر ممتدَّة إلى باب البَرْقيَّة وإلى دَرْب بَطُّوط وإلى خارِج باب الوَزير [1]، ليتَّصل بسُور قَلْعَة الجَبَل، فانقطع من مَكانٍ يَقْرُب الآن من الصُّوَّة [2] تحت القَلْعَة لموته. وإلى الآن آثارُ الجُدُر ظاهِرَةٌ لمن تأمَّلها فيما بين آخر السُّور إلى جهة القَلْعَة. وكذلك لم يتهيَّأ له أن يصل سُور قَلْعَة الجَبَل بسُور مصر.

وجاءَ دَوْر هذا السُّور المحيط بالقاهِرَة الآن تسعة وعشرين ألف ذراع وثلاث مائة ذراع وذراعين بذِراع العَمَل، وهو الذِّراع الهاشِمي: من ذلك ما بين قَلْعَة المَقْس على شَاطئ النِّيل والبُرْج بالكُوم الأحمر بساحِل مصر عشرة آلاف ذِراع وخمس مائة ذِراع، ومن قَلْعَة المَقْس إلى حائِط قَلْعَة الجَبَل بمَسْجد سَعْد الدَّوْلَة ثمانية آلاف وثلاث مائة واثنان وتسعون ذِراعًا، ومن جانِب حائِط قَلْعة الجَبَل من جِهَة مَسْجِد سَعْد الدَّوْلَة إلى البُرْج بالكُوم الأَحْمَر سبعة آلاف ومائتا ذِراع، ومن وَرَاء القَلْعَة بحيال مَسْجِد سَعْد الدَّوْلة ثلاثة آلاف ومائتان وعشرة أَذْرُع. وذلك طُول قَوْسِه في أبْراجه من النِّيل إلى النِّيل.

وقَلْعَةُ المَقْس المذكورة كانت بُرْجًا مُطِلًّا على النِّيل في شرقيّ جامِع المَقْس، ولم تزل إلى أن هَدَمَها الوَزيرُ الصَّاحِبُ شَمْسُ الدِّين عبد الله المَقْسي، عندما جَدَّدَ الجامع المذكور في سنة سبعين وسبع مائة، وجَعَلَ في مكان البُرْج المذكور جنينته وذكر أنَّه وَجَدَ في البُرْج مالًا، وأنَّه إنَّما جَدَّد الجامِع منه، والعَامَّةُ تقول اليوم جامِع المَقْسي بالإضافة [3].

وكان يُحيطُ بسُور القاهِرَة خَنْدَقٌ شُرِعَ في حَفْره من باب الفُتُوح إلى المَقْس في المحرَّم سنة ثمانٍ وثمانين وخمس مائة، وكان أيضًا من الجِهَة الشرقية خارج باب النَّصْر إلى باب البَرْقِيَّة وما

---

[1] كَشَفَت حَفائِرُ أجرتها مُؤسَّسَةُ الأغاخان في سنة ١٩٩٩ عن جزءٍ من هذا السُّور يقع بين شارع الأزهر شمالًا وبُرْج المحْروق جنوبًا يشتمل على بابٍ أَظُنُّ أنَّه الباب المحروق.

وباب الوزير. أحد أبواب القاهرة الخارجة في سورها الشرقي الذي أنشأه صلاح الدين في المسافة الواقعة بين الباب المحروق وبين قلعة الجبل. فتحه في السور الشرقي سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م الوزير نجم الدين محمود بن علي بن شروين، المعروف بوزير بغداد، وقت أن كان وزيرًا للسلطان الملك الأشرف كجك بن الناصر محمد بن قلاوون، لمرور الناس ما بين المدينة وبين الجبّانة الواقعة خارج السور (المعروفة بقرافة باب الوزير) وعلى الأخصّ بعد سَدّ الباب المحروق، ولهذا عُرِفَ من ذلك الوقت باسم باب الوزير. ولايزال موقع هذا الباب قائمًا إلى اليوم على رأس شارع التربة الموصل بينه وبين شارع باب الوزير بالقرب من جامع أيتمش البجاسي. والباب الحالي جدَّده الأمير طراباي الشَّريفيّ صاحب القبة المجاورة لهذا الباب سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م. (أبو المحاسن: النجوم ١٠:١٨٠ هـ [2] تعليقات محمد رمزي بك).

[2] الصُّوَّه اسم يطلق على المنطقة الجبلية الواقعة في الجهة الشَّمالية البحرية من قلعة الجبل فيما بين القلعة وجامع الرفاعي الحالي، ويتوسطها الطريق المعروف بسكّة المحْجَر ودرب المارستان (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١:٤٣هـ [2] وفيما يلي ٢:٢١٣).

[3] فيما يلي ٢:٢٨٣.

بعده . وشاهَدْت آثارَ الخَنْدَق باقيةً ، ومن ورائِه سُورٌ بأبْراج له عَرْضٌ كبيرٌ مبني من حِجارَة [a]، إلّا أنَّ الخَنْدَق انطمَّ ، وتهدَّمت الأَسْوارُ التي كانت من ورائِه .

وهذا السُّورُ هو الذي ذَكَره القاضي الفاضِلُ في كِتابِه إلى السُّلْطان صَلاح الدِّين يُوسُف بن أيُّوب ، فقال : «واللهِ يُحْيي المَوْلَى حتى يَسْتَدِير بالبَلَدَيْن نِطاقُه ، ويمتدّ عليهما رِواقُه ، فهما[b] عَقيلَةٌ ما كان مِعْصَمُها لِيُتْرَك بغير سِوار ، ولا خَصْرُها ليتحلَّى بغير مِنْطَقَة نُضار . والآن قد استقرَّت خَواطِرُ النَّاس ، وأَمِنُوا به من يدٍ تتخطَّف ، ومن طَمَعٍ[c] مجرمٍ يُقْدِم ولا يتوقَّف» .

ذِكْرُ أبْوابِ القَاهِرَة

وكان للقاهِرَة من جِهَتِها القِبْلِيَّة بابان مُتَلاصِقان يُقالُ لهما : بابا زَوِيلَة ؛ ومن جِهَتِها البَحْرِيَّة بابان متباعدان : أحَدُهما بابُ الفُتُوح ، والآخر بابُ النَّصْر ؛ ومن جِهَتِها الشَّرْقِيَّة ثلاثةُ أبواب متفرِّقة : أحَدُها يُعرف الآن بباب البَرْقِيَّة ، والآخر بالباب الجَديد ، والآخر بالباب المَحْروق ؛ ومن جِهَتِها الغَرْبِيَّة ثلاثةُ أبواب : بابُ القَنْطَرَة ، وبابُ الفَرَج ، وبابُ سَعادَة ، وبابٌ آخر يُعْرَف بباب الخُوخَة . ولم تكُن هذه الأبْوابُ على ما هي عليه الآن ، ولا في مكانها عندما وَضَعَها جَوْهَر [1].

بابُ زَوِيلَة

[أثر رقم ١٩٩]

كان بابا[d] زَوِيلَة ، عندما وَضَع القائِدُ جَوْهَرٌ القاهِرَة ، بابَيْن متلاصِقَيْن بجوار المَسْجد المعروف اليوم بسَام بن نُوح ، فلمَّا قَدِمَ المُعِزُّ إلى القاهِرَة دَخَلَ من أحَدهما - وهو المُلاصِق للمَسْجِد الذي بقي منه إلى اليوم عَقْدٌ ، ويُعْرَف بباب القَوْس - فتيامَن النَّاسُ به ، وصاروا يُكْثِرون الدُّخولَ والخُروجَ منه ، وهَجَروا البابَ المجاور له ، حتى جَرَى على الألسنة أنَّ من مَرَّ به لا تُقْضَي له حاجَة .

---

a) بولاق : بالحجارة . b) بولاق : فما . c) بولاق : يد . d) بولاق : باب .

---

[1] انظر عن أبواب القاهرة الأولى التي بناها القائد جوهر عند تأسيس المدينة Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 152-62؛ ومقال هنري كاسل كاي Kay, H.C., «Al-Kahira and its Gates», *JRAS* XIV (1882), pp. 229-45.

وقد زالَ هذا البابُ ولم يبق له اليوم أثرٌ[a]، إلّا أنَّه يُفْضي إلى الموضِع الذي يُعْرَف اليوم
بالحَجَّارين، حيث تُباع آلات الطَّرَب من الطَّنابير والعيدان ونحوها، وإلى الآن مشهورٌ بين النَّاس
أنَّ من سَلَكَ[b] من هنالك[c] لا تُقْضَى حاجَتُه[d]، ويقول بعضُهم: من أجل أنَّ هناك[e] آلات
المُنْكَر، وأَهْل البَطَالَة من المُغَنِّين والمُغَنِّيات. وليس الأَمْرُ كما زُعِمَ، فإنَّ هذا القَوْلَ جارٍ على أَلْسِنَة
أهل القاهِرَة من حين دَخَلَ المُعِزُّ إليها قبل أن يكون هذا المَوْضِعُ سُوقًا للمَعازِف ومَوْضِعًا لجُلوسِ
أصحاب الملاهي[f] [1].

فلمَّا كان في سنة خمسٍ وثمانين وأربع مائة، بَنَى أميرُ الجُيوش بَدْر الجَمَالي، وَزِيرُ الخَليفَة
المُسْتَنْصِر بالله، بابَ زَوِيلَة الكبير الذي هو باقٍ إلى الآن وعلَّى أبراجَه[2]، ولم يعمل له باشُورَة[3] ـ
كما هي عادَةُ أبواب الحُصُون من أن يكون في كلِّ باب عَطْفَة[g] حتى لا تَهْجِم عليه العساكِرُ في
وَقْت الحِصار، ويتعذَّر سَوْقُ الخَيْل ودُخُولها جملة ـ لكنَّه عَمِلَ في بابه زَلَّاقَة كبيرة من حِجارَة
صَوَّان عَظيمَة، بحيث إذا هَجَمَ عسكرٌ على القاهِرَة لا تَثْبُت قوائِمُ الخَيْل على الصَّوّان. فلم تَزَل
هذه الزَّلَّاقَةُ باقية إلى أيام السُّلْطان الملك الكامِل ناصِر الدِّين محمد بن الملك العادِل أبي بكر بن
أيُّوب، فاتَّفق مرورُه من هناك[h]، فاختلَّ فَرَسُه وزَلَقَ به/ وأحسبه سَقَط عنه، فأَمَرَ بنقضها ١:١
فنُقِضَت، وبقي منها شيءٌ يسيرٌ ظاهرٌ[4].

---

a) بولاق: أثر اليوم. b) بولاق: يسلك. c) بولاق: هناك. d) بولاق: له حاجة. e) بولاق: هنالك. f) بولاق: أهل المعاصي. g) بولاق: عطف. h) بولاق: هنالك.

---

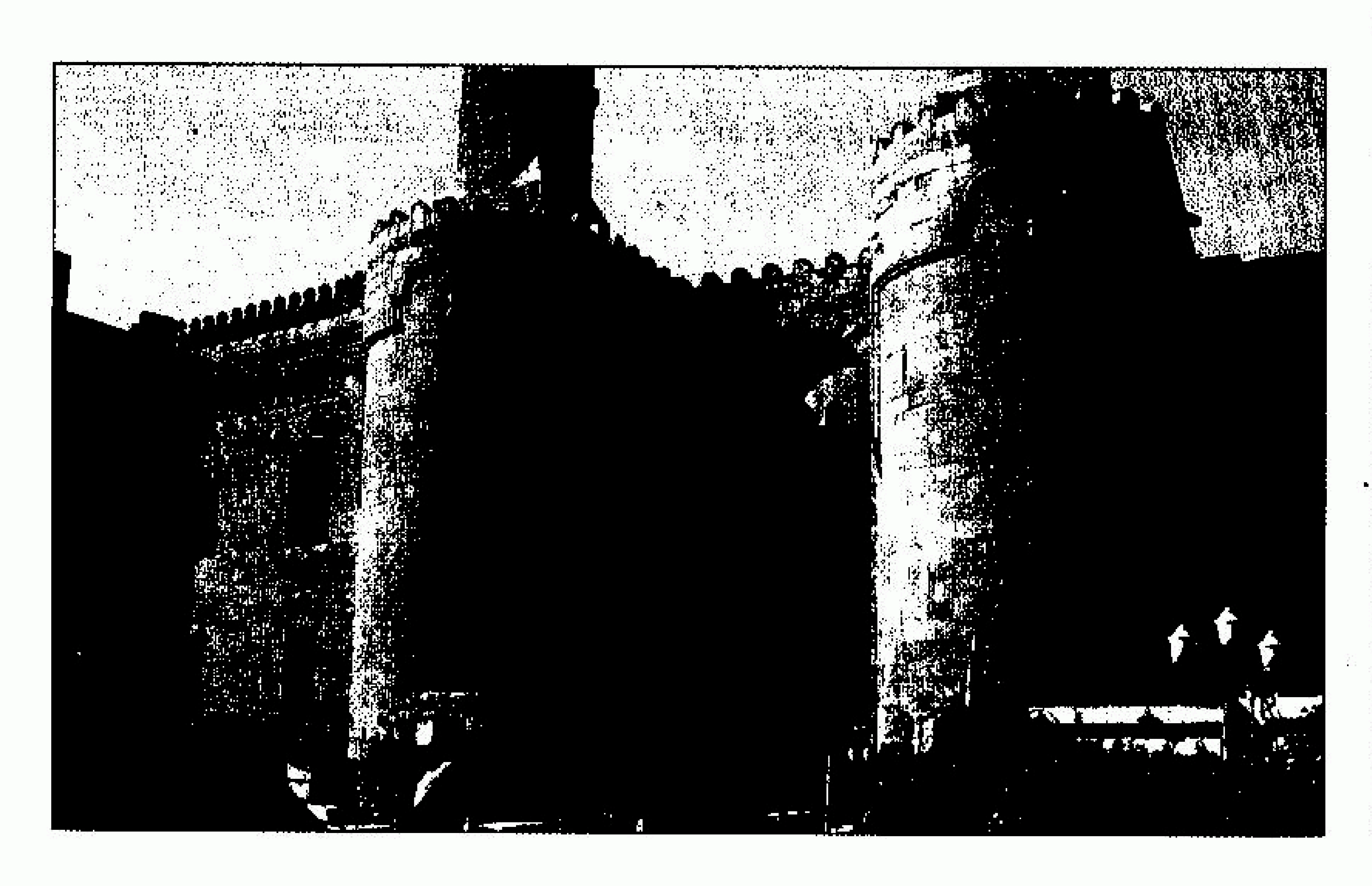
[1] قارن ذلك مع المقريزي: مسودة المواعظ ٣٥١.

[2] عن باب زَوِيلَة الذي بناه أمير الجيوش بدر الجمالي وفرغ منه في سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٣م، انظر، ابن ميسر: أخبار ٥١؛ النويري: نهاية ٢٨: ٢٣٨؛ المقريزي: اتعاظ ٢: ٣٢٧؛ Creswell, K. A. C., *MAE* I, pp. 197-205; Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 424-30.

وعن ضَبْط زَوِيلَة ـ لا زُوَيْلَة ـ (انظر فيما يلي ٢: ٤).

[3] الباشورة، أحد أساليب الدفاع عن الحصون تعرف بالمداخل أو الأبواب المنكسرة، التي ينعطف فيها الداخل يمينًا ويسارًا مرّة أو عدّة مرّات، بغرض عرقلة هجوم من يحاول اقتحام الحصن أو القلعة وتجعل العدوّ هدفًا سهلًا للمدافعين. (Creswell, K. A. C., *EMA* II, p. 11, id., *EI*[2] art. *Bâb* I, p. 854؛ فريد شافعي: العمارة العربية في مصر الإسلامية ١: ٢٧٢، ٤٣٣؛ Fu'âd Sayyid, A. *op.cit.*, p. 397).

[4] هذا النَّصّ نقله المقريزي عن ابن مُيَسَّر: أخبار مصر ٥١، وانظر كذلك النويري: نهاية ٢٨: ٢٣٨؛ المقريزي: اتعاظ ٢: ٣٢٧.



باب زَوِيلَة الذي أنشأه بَدْر الجمالي سنة ٤٨٥هـ

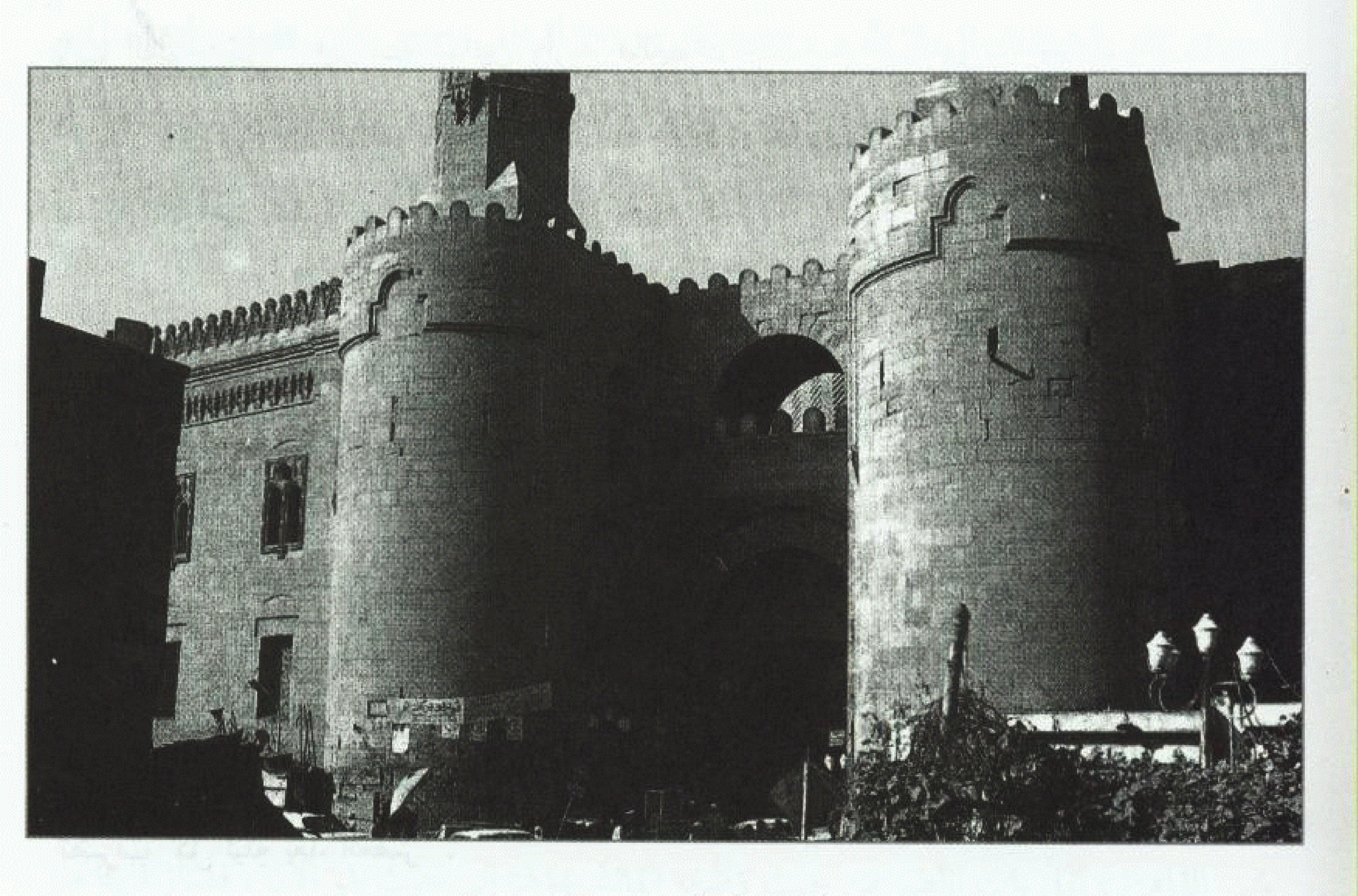
فلمَّا ابتنى الأميرُ جَمالُ الدِّين يوسُف الأُسْتادَّار المَسْجد المقابِل لباب زَوِيلَة، وجَعَلَه باسم الملك النَّاصِر فَرَج ابن الملك الظَّاهِر بَرْقوق [1]، ظَهَرَ عند حَفْره الصِّهْريج الذي به بعض هذه الزَّلَّاقَة، وأَخْرَجَ منها حِجارَة من صَوَّان لا تعمل فيها العُدَّة الماضية، وأشكالها في غاية من الكِبَر لا يستطيع جَرَّها إلَّا أربعةُ أرؤس بقر، فأَخَذَ الأميرُ جَمالُ الدِّين منها شيئًا. وإلى الآن حَجَرٌ منها مُلْقًى تِجاه قَبْوِ الخُرُنْشُف من القاهِرَة.

ويُذْكَر أنَّ ثلاثَةَ إخْوَة قَدِمُوا من الرُّها [2]، بَنَّائين بنوا باب زَوِيلَة وباب النَّصْر وباب الفُتُوح، كلٌّ واحدٍ بنى بابًا، وأنَّ بابَ زَوِيلَة هذا بُنِيَ في سنة أربعٍ وثمانين وأربع مائة، وأنَّ

---

[1] لم يخصص المقريزي – فيما وصل إلينا – أي مدخل للحديث عن مسجد الناصر فرج بن برقوق المقابل لباب زويلة؛ ومازال هذا المسجد والسَّبيل الملحق به قائمًا ومسجلًا بالآثار برقم ٢٠٣، وقد تم فكه وإعادة بنائه إلى الخلف من موضعه في عام ١٩٢٢، لتوسيع شارع تحت الرَّبْع، القادم من ميدان باب الخلق (انظر Saleh Lamei Mostafa, *Moschee des Farag ibn Barqûq in Kairo*, Glügkshdt 1972؛ ونشر هارمان Haarmann وصف الجامع من حجة وقف الناصر فرج بن برقوق في الكتاب نفسه بين صفحتي ٤٤- ٥١.

[2] ذكر أبو صالح الأرمني: تاريخ ٥١ظ أن الذي هندس سور القاهرة وأبوابها في الخلافة المستنصرية ووزارة أمير =



باب زَوْيلَة الذي أنشأه بَدْر الجمالي سنة ٤٨٥هـ

فلمَّا ابتنى الأميرُ جَمالُ الدِّين يوسُف الأُسْتادَّار المَسْجد المقابِل لباب زَوِيلَة، وجَعَلَه باسم الملك النَّاصِر فَرَج ابن الملك الظَّاهِر بَرْقوق [١]، ظَهَرَ عند حَفْره الصِّهْريج الذي به بعض هذه الزَّلَّاقَة، وأَخْرَجَ منها حِجارَة من صَوَّان لا تعمل فيها العُدَّة الماضية، وأشكالها في غاية من الكِبَر لا يستطيع جَرَّها إلَّا أربعةُ أرؤس بقر، فأَخَذَ الأميرُ جَمالُ الدِّين منها شيئًا. وإلى الآن حَجَرٌ منها مُلْقًى تِجاه قَبْوِ الخُرُنْشُف من القاهِرَة.

ويُذْكَر أنَّ ثلاثَةَ إخْوَة قَدِمُوا من الرُّها [٢]، بَنَّائين بنوا باب زَوِيلَة وباب النَّصْر وباب الفُتُوح، كلُّ واحِدٍ بنى بابًا، وأنَّ بابَ زَوِيلَة هذا بُنِيَ في سنة أربعٍ وثمانين وأربع مائة، وأنَّ

---

[١] لم يخصص المقريزي - فيما وصل إلينا - أي مدخل للحديث عن مسجد الناصر فرج بن برقوق المقابل لباب زويلة؛ ومازال هذا المسجد والسَّبيل الملحق به قائمًا ومسجلًا بالآثار برقم ٢٠٣، وقد تم فكه وإعادة بنائه إلى الخلف من موضعه في عام ١٩٢٢، لتوسيع شارع تحت الرَّبْع، القادم من ميدان باب الخلق (انظر Saleh Lamei Mostafa, *Moschee des Farag ibn Barqûq in Kairo*, Glügkshdt 1972؛ ونشر هارمان Haarmann وصف الجامع من حجة وقف الناصر فرج بن برقوق في الكتاب نفسه بين صفحتي ٤٤- ٥١.

[٢] ذكر أبو صالح الأرمني: تاريخ ٥١ظ أن الذي هندس سور القاهرة وأبوابها في الخلافة المستنصرية ووزارة أمير =

باب الفُتوح بُنِيَ[a] في سنة ثمانين وأربع مائة.

وقد ذَكَرَ ابنُ عبد الظَّاهِر في كتاب «خِطَط القاهِرَة» أنَّ بابَ زَوِيلَة هذا بناهُ العَزيزُ بالله نِزار بن المُعِزّ وتَمَّمه أميرُ الجُيُوش، وأَنْشَدَ لعلي بن محمد النِّيلي:

[الكامل]

يا صاحِ لو أَبْصَرْتَ بابَ زَوِيلَةٍ   لَعَلِمْتَ قَدْرَ مَحَلِّه بُنْيانا
بابٌ تأزَّرَ بالمجَرَّة وارتَدَى الـ   ـشِّعْرَىٰ ولاثَ برأسِه كِيوانا
لو أنَّ فِرْعَوْنًا رآهُ لم يُرِد   صَرْحًا ولا أَوْصَى به هامانا[1]

انتهى[b].

وسَمِعْتُ غير واحِدٍ يذكر أنَّ فَرْدَتَيْه يدوران في سُكُرُّجَتَيْن[2] من زُجاج.

وذَكَرَ جامِعُ «السِّيرَة النَّاصِرية[c] محمد بن قَلاوون»، أنَّ في سنة خمسٍ وثلاثين وسبع مائة رَتَّب أَيْدَكين - والي القاهِرَة في أيام الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون - على باب زَوِيلَة خَلِيلِيَّة تَضْرِبُ كلَّ ليلةٍ بعد العصر[3].

وقد أَخْبَرَني من طافَ البلاد ورأى مُدُنَ المَشْرِق، أنَّه لم يُشاهِد في مَدينَةٍ من المَدائِن عِظَم باب زَوِيلَة، ولا رأى[d] مثل بَدَنَتَيْه اللتين عن جانبيه. ومن تأمَّل الأَسْطُر التي قد كُتِبَت على أعلاه من خارِجه، فإنَّه يجد فيها اسْم أَمير الجُيُوش والخَلِيفَة المُسْتَنْصِر وتاريخ بِنائِه[4].

a) بولاق: بناه. b) ساقطة من بولاق. c) بولاق: سيرة الناصر. d) بولاق: يرى.

= الجيوش بدر شخصٌ يدعى يوحنا الراهب، وراجع مناقشة هذا الموضوع والطراز المعماري للسور والأبواب عند Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 396, 430-31.

[1] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٧-١٨ (وهو وَهْم)؛ القلقشندي: صبح ٣: ٣٤٩؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٣٤٩، وقارن كذلك: الإدريسي: أنوار علوي الأجرام ٥٢.

[2] سُكُرُّجَة وأُسْكُرُّجة، فارسي معرَّب. ترجمتها مُقَرِّب الخل، وهي هنا بمعنى وعاء زجاجي يُسَهِّل انزلاق عضادتي الباب (الجواليقي: المعرب ٢٧، ١٩٧).

[3] هو موسى بن محمد بن يحيى اليوسفي، المتوفى سنة ٧٥٩هـ/١٣٥٨م وعنوان تاريخه «نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر»، ونقل عنه المقريزي في أكثر من موضع (انظر مسودة المواعظ والاعتبار ١٤٥-١٤٦، وفيما تقدم ١: ٤٩، وورد الخبر في الكتاب في صفحة ٢٣٢.

[4] فُقِدَت اليوم الكتابة الخاصة بالنَّصّ الإنشائي لباب زويلة والتي شاهدها المقريزي في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، ومازال مكانها يرى خاليًا الآن، ولو وصلت إلينا هذه الكتابة لدَلَّتنا على الاسم الجديد الذي حمله باب زويلة مثل بقية أبواب القاهرة الأُخرى التي أنشأها بدر الجمالي (فيما يلي صفحة ٢٧١).

وقد كانت البَدَنَتان أزْيد[a] ممَّا هما الآن بكثير ، هَدَمَ أعلاهما الملك المُؤَيَّد شَيْخ لما أنشأ الجامِع داخل باب زَوِيلَة ، وعَمَّر على البَدَنَتَيْن مَنارتين . ولذلك خَبَرٌ تجده في ذِكْر الجوامِع عند ذكر الجامِع المُؤَيَّدي [b]من هذا الكتاب فانظره عند ذِكْر الجَوامِع تجده[b] [1].

بابُ النَّصْر

[أثر رقم ٧]

كان بابُ النَّصْر أوَّلًا دون مَوْضِعه اليوم ، وأَدْرَكْتُ قِطْعَةً من أَحَدِ جانبَيْه كانت تجاه رُكْن المَدْرَسَة القاصِدِيَّة الغربي بحيث تكون الرَّحْبَة التي فيما بين المَدْرَسَة القاصِدِيَّة وبين بابَيْ جامِع الحاكِم القِبْليين خارج القاهِرَة . وكذلك[c] تجد في أخبار الجامِع الحاكِمي أنَّه وُضِعَ خارِج القاهِرَة [2].

فلمَّا كان في أيام المُسْتَنْصِر وقَدِمَ عليه أميرُ الجُيُوش بَدْر الجمالي من عَكَّا وتَقَلَّد وَزارَته وعَمَّر سُور القاهِرَة ، نَقَلَ باب النَّصْر من حيث وَضَعَه القائِدُ جَوْهَرٌ إلى حيث هو الآن ، فصارَ قريبًا من مُصَلَّى العيد ، وجَعَلَ له باشُورَة أَدْرَكْتُ بعضَها إلى أن احْتَفَرَت أخْتُ الملك الظَّاهِر بَرْقوق الصِّهْريج السَّبيل تجاه باب النَّصْر ، فَهَدِمَت[d] وأقامت السَّبيل مكانه [3].

وعلى باب النَّصْر مَكْتُوبٌ[e] بالكوفيّ في أعلاه :

«لا إله إلَّا الله مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله ، عليٌّ وَليُّ الله ، صَلَوَاتُ الله عليهما» [4].

---

a) بولاق : أكبر . b-b) ساقطة من بولاق . c) بولاق : ولذلك . d) بولاق : فهدمته . e) ساقطة من النسخ .

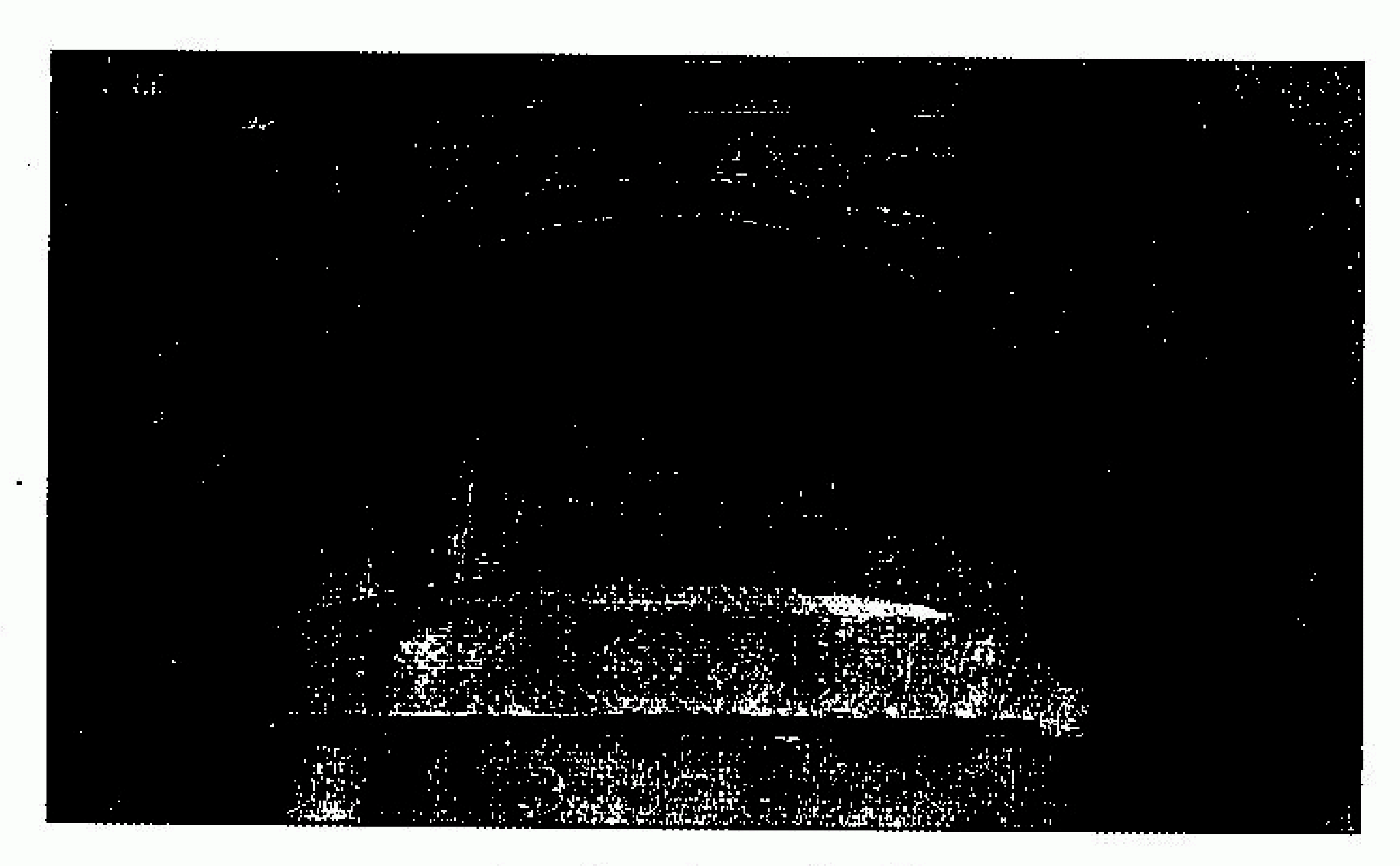
---

[1] فيما يلي صفحة ٢: ٣٢٩.

[2] فيما يلي صفحة ٢: ٢٧٧.

[3] مازال باب النَّصْر الذي أقامه أمير الجيوش بدر الجمالي موجودًا وعليه كتابة تاريخية تفيد البدء في بنائه في المحرم سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م ، ولكن هذه الكتابة لا تذكر الباب باسمه المعروف لنا – مثل الكتابة الموجودة أيضًا على بابي الفتوح والبرقية – وإنما نجدها تُطْلِقُ على باب النصر (باب العِزّ) وعلى باب الفتوح «باب الإقبال» وعلى باب البرقية «باب التوفيق» . ورغم أن المقريزي قد اطَّلع على هذه الكتابات التاريخية ، بما أنه أورد نص الاعتقاد الشيعي الوارد على باب النصر «محمد رسول الله ، عليّ وليّ الله» ، فإنه يستمر في ذكر الأبواب بأسمائها القديمة . (انظر ، Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 399-405) .

[4] مازال هذا النصّ موجودًا أسفل الكتابة التاريخية =



[النَّصُّ التأسيسي لباب النَّصْر (العز)

«(١-٢) بَسْمَلَة ... [الآية ٢٥٦ سورة البقرة] بعِزّ الله العَزيز الجَبّار (٣) يُحاطُ الإسلامُ وتُنْشَأُ المَعاقِل والأسْوار . أنْشأ هذا ؛ باب العِزّ والسُّور المحيط بالمُعِزِّيّة القاهِرَة المَحْروسَة حَمَاها الله فَتَى مَوْلانا وسَيِّدنا الإمام المُسْتَنْصِر بالله أمير المؤمنين ، صَلَوات الله عليه وعلى آبائِه الأئِمَّة الطَّاهرين وأبْنائِه الأكْرَمين ، السَّيِّد الأجَلّ (٤) أمير الجُيُوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافِل قُضَاة المُسْلمين وهادي دُعاة المؤمنين أبو النَّجْم بَدْر المُسْتَنْصِري (٥) عَضَّدَ الله به الدِّين وأَمْتَعَ بطُول بَقائِه أمير المؤمنين وأدامَ قُدْرَتَه وأعْلى كَلِمَتَه ، الذي حَصَّنَ الله بحُسْن تَدْبيره الدولة والأنَامَ ، وشَمِل صَلاحُه الخاصّ والعامّ ، ابْتِغاء ثَوابِ الله ورِضْوانِه وطَلَب فَضْله وإحسانه ، وصِيانَة كُرْسي الخِلافَة وازْدِلافًا إلى الله بحِياطَة الكافَّة . وبُدِئَ بعَمَلِه في محرَّم سنة ثمانين وأربع مائة»] .

بابُ الفُتُوح

[أثر رقم ٦]

وَضَعَه القَائِدُ جَوْهَرٌ دُون مَوْضِعه الآن ، وبقي منه إلى يومِنا هذا عَقْدُه وعَضَادَتُه اليُسْرَى ، وعليه أسْطُر من الكتابة بالكُوفي ، وهو برأْس حارَة بَهاء الدِّين من قِبليِّها دون جِدار الجامِع الحاكِمي .

= بتأسيس الباب داخل إطار مستطيل مكوَّن من أربعة أسطر بالخط الكوفي البارز والسطر الرابع خارج الإطار ونصّها «بِسْم الله الرحمٰن الرحيم لا إله إلّا الله وحده لا شَريك له ، محمد رُسُول الله عليٌّ وليّ الله صلّى الله عليهما وعلى الأئمة من ذريتهما أجمعين» (M., *CIA* I, n°34 ; Kay, H.C., «Al-Kahirah and its Gates», *JRAS* XIV (1882), p. 38; van Berchem، وانظر الصورة .



[النَّصّ التأسيسي لباب النَّصر (العِزّ)

«(١-٢) بَسْمَلَة ... [الآية ٢٥٦ سورة البقرة] بعِزّ الله العَزيز الجبّار (٣) يُحاطُ الإسلامُ وتُنْشأ المَعاقِل والأسْوار. أنشأ هذا؛ باب العِزّ والسُّور المحيط بالمُعِزّيّة القاهِرَة المحْروسَة حَماها الله فَتى مَوْلانا وسَيِّدنا الإمام المُسْتَنْصِر بالله أمير المؤمنين، صَلَوات الله عليه وعلى آبائه الأئِمَّة الطَّاهرين وأبْنائِه الأكْرَمين، السَّيِّد الأَجلّ (٤) أمير الجُيُوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافِل قُضاة المُسْلمين وهادي دُعاة المُؤْمنين أبو النَّجْم بَدْر المُسْتَنْصِري (٥) عَضَدَ الله به الدِّين وأمْتَعَ بطُول بَقائِه أمير المُؤْمنين وأدامَ قُدْرَته وأعْلى كَلِمَته، الذي حَصَّنَ الله بحُسْن تَدْبيره الدولة والأنام، وشَمِل صَلاحُه الخاصّ والعامّ، ابْتِغاء ثَوابِ الله ورِضْوانِه وطَلَب فَضْله وإحسانه، وصِيانَة كُرْسي الخِلافَة وازْدِلافًا إلى الله بحِياطَة الكافَّة. وبُدئ بعَمَلِه في محرَّم سنة ثمانين وأربع مائة»].

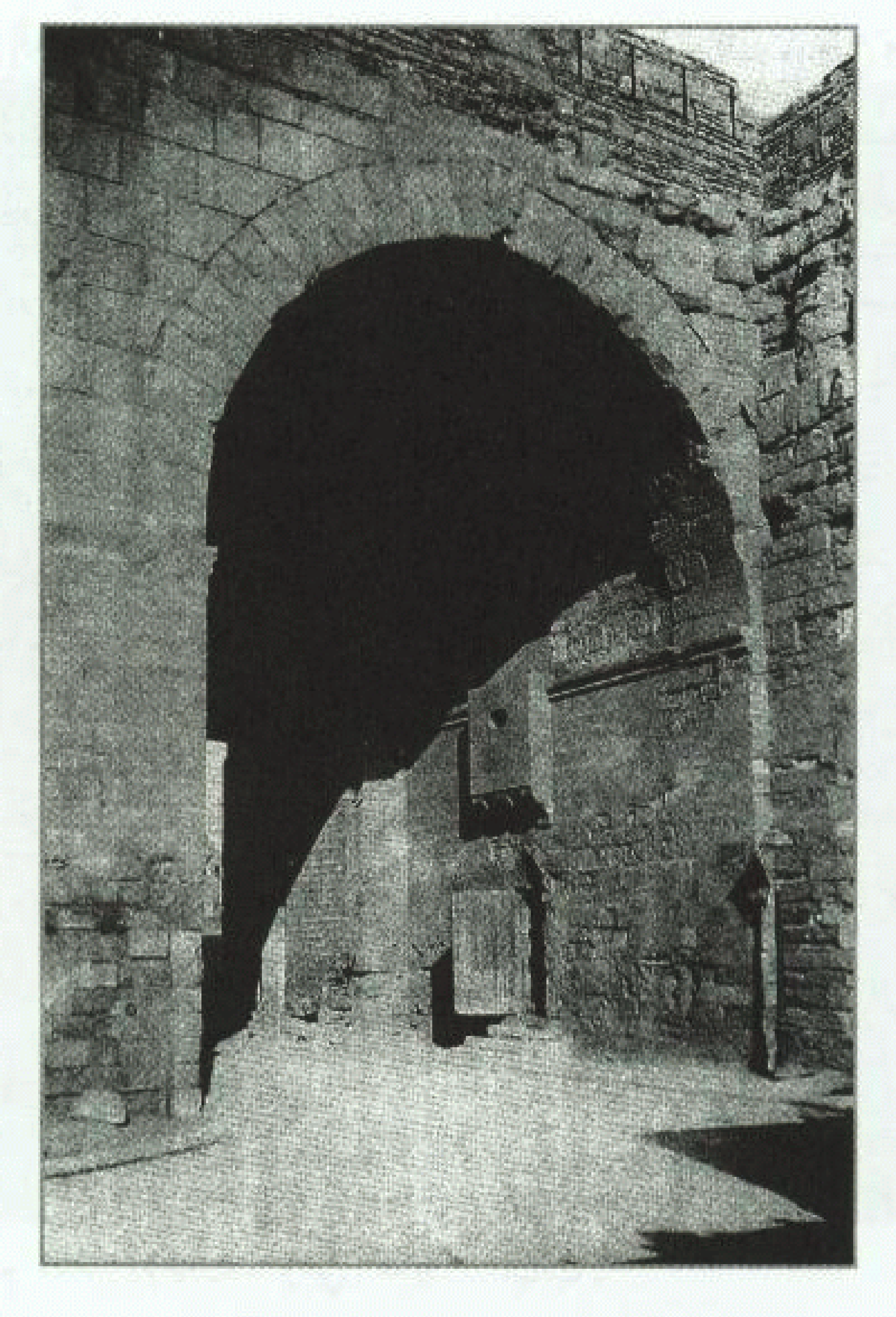
بابُ الفُتُوح

[أثر رقم ٦]

وَضَعَه القائِدُ جَوْهَرٌ دُون مَوْضِعِه الآن، وبقي منه إلى يومنا هذا عَقْدُه وعَضادَتُه اليُسْرَى، وعليه أَسْطُر من الكتابة بالكُوفي، وهو برأس حارَة بَهاء الدِّين من قِبليِّها دون جِدار الجامِع الحاكِمي.

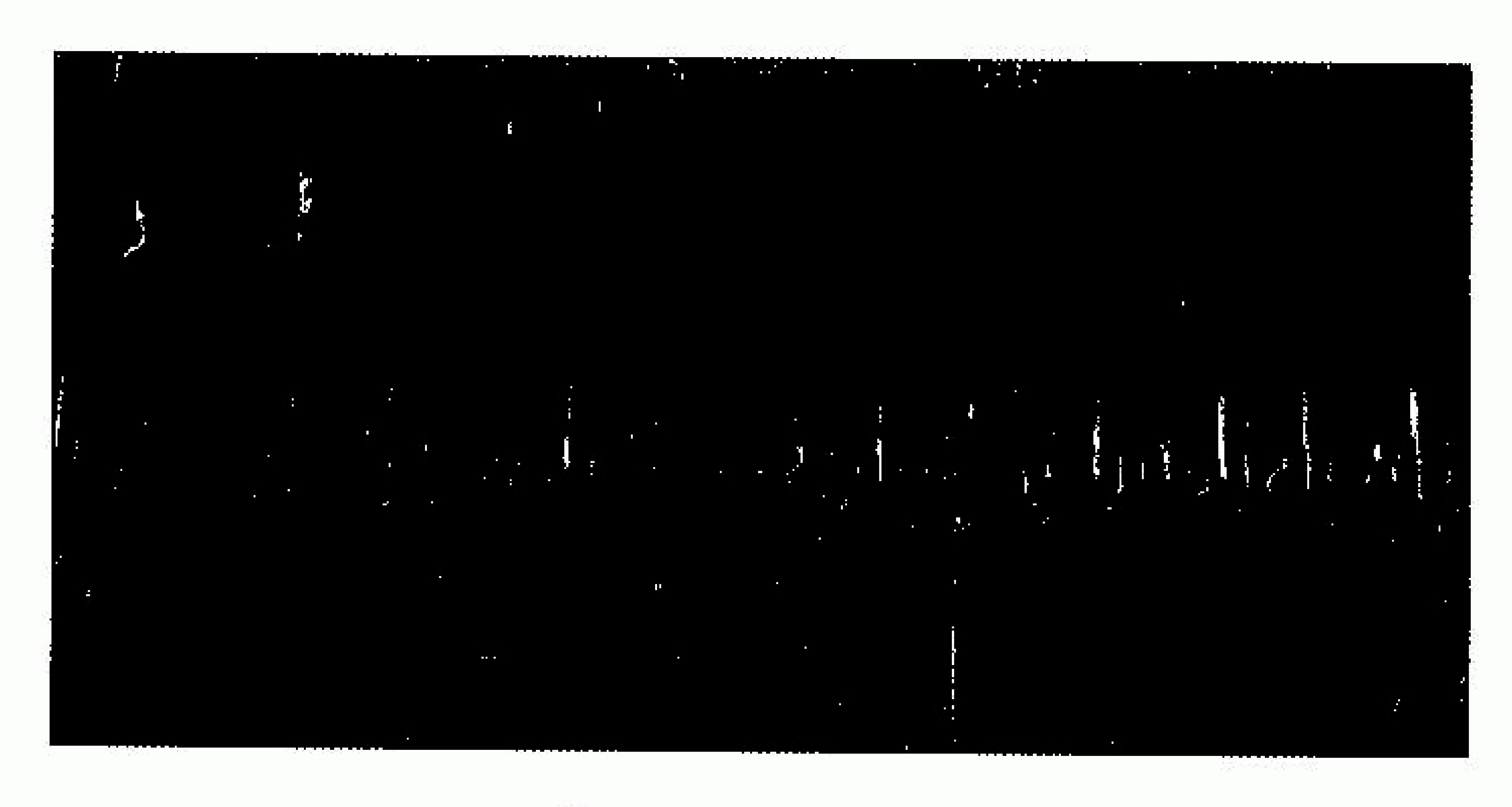
= بتأسيس الباب داخل إطار مستطيل مكوّن من أربعة أسطر بالخط الكوفي البارز والسطر الرابع خارج الإطار ونصّها «بِسْم الله الرحمٰن الرحيم لا إله إلّا الله وحده لا شَريك له، محمد رُسُول الله عليٌّ وليّ الله صلّى الله عليهما وعلى الأئمة من ذريتهما أجمعين» (Kay, H.C., «Al-Kahirah and its Gates», *JRAS* XIV (1882), p. 38; van Berchem, M., *CIA* I, n°34)، وانظر الصورة.

باب النَّصْر الذي شيَّدَه بَدْر الجمالي سنة ٤٨٠هـ



باب النَّصْر ، ظهر الباب

وأمَّا البابُ المعروف اليوم بباب الفُتُوح ، فإنَّه من وَضْع أمير الجُيُوش ، وبين يديه باشُورَة قد رَكِبَها الآن النَّاسُ بالبُنْيان لمَّا عُمِّرَ ما خَرَجَ عن باب الفُتُوح [1].



جُزءٌ من النَّصّ الإنشائي لباب الفُتُوح

[النَّصُّ التأسيسي لباب الفُتُوح (الإقْبال)

«بسملة . لا إله إلَّا الله وحده لا شَريك له ، محمَّد رسول الله ، عليّ وليّ الله ، صَلَّى الله عليهما وعلى الأئمة من ذُرِّيتهما أجمعين [الآية ٢٥٦ سورة البقرة] - بعِزِّ الله العَزيز الجَبَّار يُحاطُ الإسلامُ وتُنْشَأُ المَعاقِل والأسْوار . رأى إنْشاء هذا باب الإقْبال والسُّور المحيط بالمعزِّية القاهِرَة المحروسة حماها الله فتى مولانا وسيِّدنا معدّ أبي تَميم الإمام المُسْتَنْصِر بالله أمير المؤمنين ، صَلوات الله عليه وعلى آبائه الأئمَّة الطَّاهِرين وأبْنائِه الأكْرَمين ، السَّيِّد الأجَلُّ أمير الجُيُوش سَيْف الإسْلام ناصِر الإمام كافِل قُضَاة المُسْلمين وهادي دُعَاة المُؤْمنين أبو النَّجْم بَدْر المُسْتَنْصِري عَضَّدَ الله به الدِّين وأمْتَعَ بطُول بَقائِه أمير المؤمنين وأدامَ قُدْرَته وأعْلى كَلِمَته ، الذي حَصَّن الله بحُسْن تَدْبيره الدَّوْلة والأنام ، وشَمِلَ صَلاحُه بإذن الله تعالى الخاصّ والعامّ ، وابْتغاء ثواب الله ورِضْوانه وطَلَب فَضْله وإحْسانِه وصِيانَة كُرْسي الخِلافَة . وازْدِلافًا إلى الله بحِيَاطَة الكافَّة . وبدئ بعَمَله في محرَّم سنة ثَمانين وأربع مائة للهجرة الحنيفية ، وصَلَّى الله على سَيِّدنا محمَّد النَّبيّ وعلى آله الأئِمَّة الطَّاهرين وسَلَّم تَسْليمًا إلى يوم الدِّين ، وحَسْبنا الله ونِعْم الوَكيل»] .

---

[1] مازال بابُ الفُتوح الذي أقامه بدر الجمالي سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م موجودًا ، وأطلقت عليه الكتابة التاريخية الخاصة بالنص التأسيسي اسم «باب الإقبال» ، وهي كتابة بالقلم الكوفي البارز على الرخام ارتفاعها ٣٤سم ، وممتدة على ٥٨,٩٢مترا طوليًا تبدأ مباشرةً من على الحائط الملاصق لشرق الباب وتنتهي على الواجهة الشمالية للنتوء الذي يدعم الباب .

وأمّا البابُ المعروف اليوم بباب الفُتُوح ، فإنَّه من وَضْع أَمير الجُيُوش ، وبين يديه باشُورَة قد رَكِبَها الآن النّاسُ بالبُنْيان لمَّا عُمِّرَ ما خَرَجَ عن باب الفُتُوح [1] .



جُزْءٌ من النَّصّ الإنْشائي لباب الفُتُوح

[النَّصّ التأسيسي لباب الفُتُوح (الإقْبال)

«بسملة . لا إله إلّا الله وحده لا شَريك له ، محمّد رسول الله ، عليّ وليّ الله ، صَلّى الله عليهما وعلى الأئمة من ذُرِّيتهما أجمعين [الآية ٢٥٦ سورة البقرة] - بعزّ الله العَزيز الجَبّار يُحاطُ الإسلامُ وتُنْشأُ المَعاقِل والأسْوار . رأى إنْشاء هذا باب الإقْبال والسُّور المحيط بالمعزِّية القاهِرَة المحروسة حماها الله فتى مولانا وسيِّدنا معدّ أبي تَميم الإمام المُسْتَنْصِر بالله أمير المؤمنين ، صَلوات الله عليه وعلى آبائِه الأئمّة الطّاهِرين وأبْنائِه الأكْرَمين ، السَّيِّد الأَجَلُّ أمير الجُيُوش سَيْف الإسْلام ناصِر الإمام كافِل قُضاة المُسْلمين وهادي دُعاة المُؤمنين أبو النَّجْم بَدْر المُسْتَنْصِري عَضَّدَ الله به الدِّين وأَمْتَعَ بطُول بَقائِه أمير المؤمنين وأدامَ قُدْرَتَه وأعْلى كَلِمَتَه ، الذي حَصَّنَ الله بحُسْن تَدْبيره الدَّوْلة والأنام ، وشَمِلَ صَلاحُه بإذن الله تعالى الخاصّ والعامّ ، وابْتغاء ثواب الله ورِضْوانه وطَلَب فَضْله وإحْسانِه وصِيانَة كُرْسي الخِلافَة . وازْدِلافًا إلى الله بحِياطَة الكافَّة . وبدئ بعَمَله في محرَّم سنة ثَمانين وأربع مائة للهجرة الحنيفية ، وصَلّى الله على سَيِّدنا محمَّد النَّبيّ وعلى آله الأئِمَّة الطّاهرين وسَلَّم تَسْليمًا إلى يوم الدِّين ، وحَسْبنا الله ونِعْم الوَكيل»] .

---

[1] مازال بابُ الفُتُوح الذي أقامه بدر الجمالي سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م موجودًا ، وأطلقت عليه الكتابة التاريخية الخاصة بالنص التأسيسي اسم «باب الإقبال» ، وهي كتابة بالقلم الكوفي البارز على الرخام ارتفاعها ٣٤سم ، وممتدة على ٥٨,٩٢مترا طوليًا تبدأ مباشرةً من على الحائط الملاصق لشرق الباب وتنتهي على الواجهة الشمالية للنتوء الذي يدعم الباب .



بابُ الفُتُوحُ الذي شَيَّدَه بَدْرٌ الجَمالي سنة ٤٨٠هـ

تفاصيلُ من زَخْرَفَة باب الفُتُوح

أميرُ الجُيُوش أبو النَّجْم بَدْرٌ الجَمَالي : كان مَمْلُوكًا أرمنِيًّا لجَمَال الدَّوْلَة بن عَمَّار ، فلذلك عُرِفَ بالجَمالي ، ومازالَ يَأْخُذ بالجِدّ من زَمَن شبيبَته[a] فيما يُباشره ، ويوطِّن نفسه على قُوَّة العَزْم ، ويتنقَّل في الخِدَم حتى وَلِيَ إمارَة دِمَشْق من قِبَل المُسْتَنْصِر في يوم الأربعاء ثالث عشرين رَبيع الآخر سنة خمسٍ وخمسين وأربع مائة [1].

ثم سارَ منها كالهارِب في ليلة الثلاثاء لأربع عشرة خَلَت من رَجَب سنة ستٍّ وخمسين ، ثم وَلِيَها ثانيًا يوم الأحد سادس شَعْبان سنة ثمانٍ وخمسين ، فبَلَغَه قَتْل ولده في[b] شَعْبان بعَسْقَلان ، فخَرَجَ في شهر رَمَضان سنة ستين وأربع مائة ، فثارَ العَسْكرُ وأحْرَقوا[c] قصره ، وتقلَّد نيابَة عَكَّا .

فلمَّا كانت الشِّدَّةُ بمصر من شِدَّة الغَلاء وكَثْرَة الفِتَن ، والأحوالُ بالحضرة قد فَسَدَت ، والأمورُ قد تغيَّرت ، وطوائِفُ العَسْكَر قد شَغَبت ، والوُزَراءُ يَقْنعون بالاسم دون نَفَاذ الأَمْر والنَّهْي ، والرَّجاءُ قد أُيِسَ منه ، والصَّلاحُ لا مَطْمَعَ فيه ، ولَواتَة قد مَلَكَت الرِّيفَ ، والصَّعيدُ بأيْدي العَبيد ، والطُّرُقات قد/ انقطعت بَرًّا وبحرًا إلّا بالخِفارَة الثَّقيلة .

فلمَّا قَتَلَ بَلْدَكوش ناصِرَ الدَّوْلَة حسين بن حَمْدان ، كَتَبَ المُسْتَنْصِرُ إليه يستدعيه ليكون المتولِّي لتدبير دَوْلَته ، فاشْتَرَطَ أن يُحْضِر معه مَنْ يختاره من العَساكِر ، وأن[b] لا يُبْقي أحدًا من عَسْكر مصر ، فأجابَه المُسْتَنْصِرُ إلى ذلك .

فاسْتَخْدَم معه عَسْكَرًا ، ورَكِبَ البَحْرَ من عَكَّا في أوَّل كانون ، وسارَ بمائة مركب ، بعد أن قيل له إنَّ العادَةَ لم تَجْرِ برُكُوب البحر في الشتاء لهَيجانِه وخُوْف التَّلَف ، فأَبَى عليهم وأَقْلَع ، فتمادَى الصَّحْوُ والسُّكونُ مع الرِّيح الطيبة مُدَّة أربعين يومًا ، حتى كَثُرَ التعجُّب من ذلك ، وعُدَّ من سَعادَته .

فوَصَلَ إلى تِنِّيس ودِمياط ، واقْتَرَضَ المال من تُجَّارها ومُباشريها[d]، وقامَ بأَمْر ضِيافَته وما يحتاج إليه من الغِلال سُلَيْمان اللَّواتي كبير أهل البُحَيْرَة . وسارَ إلى قَلْيُوب فنَزَلَ بها وأَرْسَلَ إلى المُسْتَنْصِر

---

a) بولاق : سببه . b) ساقطة من بولاق . c) بولاق : أخربوا . d) بولاق : مياسيرها .

---

[1] ابن القلانسي : ذيل ٩١– ٩٢؛ ابن الأثير : الكامل ١٠ : ٣٠؛ ابن ميسر : أخبار ٢٨، النويري : نهاية ٢٨ : ٢٣٢؛ المقريزي : اتعاظ ٢ : ٢٦٨؛ ابن حجر : رفع الإصر ٩١.

يقول : لا أَدْخُل مصر[a] حتى تَقْبض على بَلْدَكوش ـ وكان أَحَد الأُمَرَاء ، وقد اسْتَبَدّ[b] على المُسْتَنْصِر بعد قَتْل ابن حَمْدان ـ فبادَر المُسْتَنْصِرُ وقَبَضَ عليه واعتقله بخِزانَة البُنود .

فقَدِمَ بَدْرٌ عَشِيّةَ الأربعاء ، لليلتين بقيتا من جُمادَى الأولى سنة خمسٍ وستين وأربع مائة ، فتهيّأ له أن قَبَضَ على جَميع أُمَرَاء الدولة . وذلك أنّه لمّا قَدِمَ لم يكن عند الأُمَرَاء عِلْمٌ من اسْتِدْعائه ، فما منهم إلّا من أضَافَه وقَدِمَ إليه ، فلمّا انقضت نُوَبُهم في ضِيافَتِه ، استدعاهم إلى منزله في دَعْوَةٍ صَنَعَها لهم ، وبَيَّت مع أصحابه أنّ القَوْمَ إذا جَنَّهم[c] اللَّيْل فإنّهم لابد يحتاجون إلى الخَلاء ، فمن قامَ منهم إلى الخَلاء يُقْتَلُ هناك ، ووَكَّل بكلٍّ واحدٍ واحِدًا من أصحابه ، وأَنْعَمَ عليه بجميع ما يتركه ذلك الأمير من دارٍ ومالٍ وإقْطاعٍ وغيره . فصارَ الأُمَرَاءُ إليه ، وظَلّوا نهارهم عنده وباتوا مطمئنين ، فما طَلَعَ ضَوْءُ النَّهار حتى اسْتَوْلَى أصْحابُه على جَميع دور الأُمَرَاء ، وصارَت رُؤوسهم بين يديه .

فقَوِيَت شَوْكَته ، وعَظُمَ أَمْرُه ، وخَلَعَ عليه المُسْتَنْصِرُ بالطَّيْلَسان المُقَوَّر ، وقَلَّدَه وَزارَة السَّيْف والقَلَم ، فصارَت القُضاةُ والدُّعاةُ وسائِرُ المستخدمين من تحت يده ، وزِيدَ في أَلْقابِه «أَميرُ الجُيُوش ، كافِلُ قُضَاة المُسْلمين ، وهَادِي دُعاةِ المُؤْمنين» ، وتتبّع المُفْسِدين فلم يُبْقِ منهم أَحَدًا حتى قَتَلَه ، وقَتَلَ من أماثِل المصريين وقُضاتِهم ووُزرائِهم جَماعَةً .

ثم خَرَجَ إلى الوَجْه البَحْري ، فأَسْرَفَ في قَتْل من هنالِك من لَواتَة ، واستصفى أموالَهم ، وأزاحَ المفسدين وأَفْناهم بأنواع القَتْل ، وصارَ إلى البَرّ الشرقي فقَتَلَ منه كثيرًا من المُفْسدين .

ونَزَلَ إلى الإسْكَنْدَرية ، وقد ثارَ بها جَماعَةٌ مع ابنه الأَوْحَد ، فحاصَرَها أيامًا من المحرّم سنة سبع وسبعين وأربع مائة إلى أن أَخَذَها عَنْوَةً ، وقَتَلَ جماعَةً ممّن كان بها ، وعَمَّر بها[d] جامِعَ العَطَّارين من مالِ المصادرات ، وفَرَغَ من بنائِه في رَبيع الأَوَّل سنة تسعٍ وسبعين وأربع مائة[1] .

---

a) بولاق : إلى مصر . b) بولاق : اشتد . c) بولاق : أجنهم . d) ساقطة من بولاق .

---

[1] ابن ميسر : أخبار مصر ٤٦؛ النويري : نهاية الأرب ٢٨ : ٢٣٨؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٣٢١؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥ : ١١٩، ١٢٠ . ولم يبن بَدْر الجمالي هذا الجامع وإنما جَدَّده وأشار إلى ذلك في لوحة تاريخية مثبتة الآن في قاعدة المنارة على يسار الداخل من الباب البحري الشرقي ونصها : «بسم الله الرَّحْمَٰن الرَّحيم ﴿إنَّما يَعْمُر مَسَاجِدَ الله مَنْ آمَنَ بالله واليوم الآخر وأَقَامَ الصَّلاةَ وآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إلَّا الله﴾ [الآية ١٨ سورة التوبة] . ممّا أمر بإنشائه السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبو النجم بدر المستنصري=

ثم سارَ إلى الصَّعيد، فحارَب جُهَيْنَة والثَّعالِبَة، وأفنى أكثرهم بالقتل، وغَنِمَ من الأموال ما لا يُعْرَف قدره كثرةً فانْصَلَحَ[a] به حالُ الإقليم بعد فَساده.

ثم جَهَّزَ العَساكِرَ لمحاربة البلاد الشَّامية، فسارَت إليها غير مَرَّة وحاربت أهلَها، ولم يظفر منها بطائل، واستناب وَلَدَه شاهِنْشاه وجَعَلَه وَلِيَّ عَهْده.

فلمَّا كان في سنة سبعٍ وثمانين وأربع مائة، ماتَ في رَبيع الآخر، وقيل في جُمادَى الأولى منها. وقد تَحَكَّم في مصر تَحَكُّم الملوك، ولم يَبْق للمُسْتَنْصِر معه أَمْرٌ، واستبدَّ بالأمور فضَبَطَها أحسن ضَبْط. وكان شَديدَ الهَيْبَة، وافِرَ الحُرْمَة، مَخُوف السَّطْوَة. قَتَلَ من مصر خَلائِقَ لا يُحصيها إلَّا خالِقُها، منها أنَّه قَتَلَ في يومٍ[b] من أهْل البُحَيْرَة نحو العشرين ألف إنسان، إلى غير ذلك من أهل دِمْياط والإسْكَنْدَرية والغَرْبيَّة والشَّرْقِيَّة وبلاد الصَّعيد وأُسْوان وأهْل القاهِرَة ومصر - إلَّا أنَّه عَمَّر البلَاد، وأصْلَحَها بعد فَسادِها وخَرابِها بإتلاف المُفْسِدين من أهْلها. وكان له يومَ ماتَ نحو الثمانين سنة.

وكانت له مَحاسِنُ منها أنَّه أباحَ الأرضَ للمُزارعين ثلاث سنين حتى ترفَّعَت[c] أحوالُ الفَلَّاحين واسْتَغْنَوا في أيَّامِه، ومنها حُضُور التُّجَّار إلى مصر لكَثْرة عَدْله بعد انْتِزاحِهم منها في أيام الشِّدَّة، ومنها كَثْرة كَرَمِه.

وكانت مُدَّةُ أيَّامه بمصر إحدى وعشرين سنة، وهو أوَّلُ وُزَرَاء السُّيُوف الذين حَجَروا على الخُلَفَاء بمصر.

ومن آثاره الباقية بالقاهِرَة: بابُ زَوِيلَة، وبابُ الفُتُوح، وبابُ النَّصْر[1].

---

a) بولاق: فصلح. b) في يوم: ساقطة من بولاق. c) بولاق: ترفهت.

=عند حلول ركابه بثغر الإسكندرية ومشاهدته هذا الجامع خرابًا، فرأى بحسن ولائه ودينه تجديده زلفًا إلى الله تعالى، وذلك في ربيع الأول سنة سبع وسبعين وأربع مائة». (van Berchem, M., CIA I, n°518; Wiet, G., «Nouvelles inscriptions fatimides», *BIE XXIV* (1941-42), pp. 147-48; id., *RCEA*, VIII, n° 2745؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١: ٦٧؛ جمال الدين الشيال: «الإسكندرية، طبوغرافية المدينة وتطورها من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر»، المجلة التاريخية المصرية ٢ (أكتوبر ١٩٤٩)، ٢١٦-٢١٧).

[1] لم يذكر المقريزي باب البرقية (باب التوفيق) من بين منشآت بدر الجمالي رغم وجود لوحة تذكارية تفيد بناء بدر الجمالي له في المحرم سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م. (فيما يلي ٢٨٣)، وعن بقيّة منشآت بدر الجمالي انظر، Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 431-53.

وقامَ من بعده بالأَمْر ابنُه شَاهِنْشاه المُلَقَّب بالأَفْضَل ابن أَمير الجُيُوش ، وبه وبابْنِه الأَفْضَل عادَت[a] أُبَّهَةُ الخِلافة[b] الفاطِمية بعد تلاشِي أَمْرها ، وعَمُرَت الدِّيارُ المصرية بعد خَرابِها واضْمِحْلال أَحْوال أَهْلها [١].

وأَظُنُّه هو الذي أَخْبَرَ عنه المُعِزُّ فيما تَقَدَّم من حِكَايَة جَوْهَر عنه ، فإنَّه لم يَتَّفق ذلك لأَحَدٍ من رِجالِ دولتهم غيره [٢]، ﴿والله يَعْلَم وأَنْتُم لا تَعْلَمُون﴾ [الآيتان ٢١٦، ٢٣٢ سورة البقرة] .

بابُ القَنْطَرَة

عُرِفَ بذلك لأنَّ جَوْهَرًا القائِد بَنَى هناك قَنْطَرَةً فوق الخَليج الذي بظاهِر القاهِرَة ، ليمشي عليها إلى المَقْس عند مَسير/ القَرامِطَة إلى مصر في شَوَّال سنة ستين وثلاث مائة [٣].

بابُ الشَّعْرِيَّة

يُعْرَف بطائِفَةٍ من البَرْبَر يُقالُ لهم بنو الشَّعْرِيَّة ، هم ومزانة وزيارة وهَوَّارَة من أَحْلاف لَواتَة الذين نَزَلوا بالمُنُوفِيَّة .

---

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : الخلفاء .

---

[١] راجع أخبار بَدْر الجمالي وسيرته وألقابه وما جدَّده من إنشاءات وما أدخله من إصلاحات أطالت عمر الدولة الفاطمية لنحو مائة عام أخرى عند ، ابن الصيرفي : الإشارة ٩٤- ٩٧؛ ابن ميسر : أخبار ٣٩- ٥٤؛ ابن خلكان : وفيات ٢:٤٤٨- ٤٥٠؛ النويري : نهاية ٢٨:٢٣٤- ٢٣٦؛ المقريزي : المقفى الكبير ٢:٣٩٤-٢-٤٠٢ ؛ ابن حجر : رفع الإصر ٩١ - ٩٦ ، وانظر السجلات المستنصرية سجل رقم ٢٠، ٣٤، ٥٦، ٥٧؛ وراجع أيضًا ، المناوي : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ٢٧٠- ٢٧١؛ Wiet, G., *CIA* Égypte II, pp. 132-158; Becker, C.H., *EI*[2] art. *Badr al-Djamâlî* I, p. 894; Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 365-453; Dadoyan, S. B., *The Fatimid Armanians* pp. 106-27؛ أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية في مصر ٢٠٩- ٢١٩، ٣٢١- ٣٢٢؛ وفيما يلي ٤٤٣ - ٤٤٤.

[٢] فيما تقدم ٢٥٩ .

[٣] لم يُحَدِّد المقريزي موضع هذه الأبواب ولا شكل عمارتها أو ما عليها من كتابات ، وفَعَلَ المقريزي الشيء نفسه عند ذكره لكثير من المساجد والمدارس والخوانق حيث يكتفي بذكر تاريخ إنشائها واسم منشئها وظروف بنائها ، دون التعرُّض لوصفها المعماري! ولولا أنَّ أبواب النَّصْر والفُتُوح وزَوِيلَة مازالت باقية إلى الآن ما كان يُمكننا تحديد موضعها بدقة ، اعتمادًا على أوصاف المقريزي .

بابُ سَعَادَة

عُرِفَ بسَعادَة بن حَيَّان غُلام المُعِزّ لدين الله ، لأنَّه لمَّا قَدِمَ من بلاد المغرب بعد بناء القائِد جَوْهَر القاهِرَة نَزَلَ بالجيزَة ، وخَرَجَ جَوْهَرٌ إلى لِقائه ، فلمَّا عايَن سَعادَة جَوْهَرًا ترجَّل وسارَ إلى القاهِرَة في رَجَب سنة ستين وثلاث مائة ، فدَخَلَ إليها من هذا الباب فعُرِفَ به وقيل له : بابُ سَعادَة .

ووافَى سَعادَةُ هذا إلى[a] القاهِرَة بجيشٍ كبيرٍ معه . فلمَّا كان في شَوَّال سَيَّره جَوْهَرٌ في عسكر مُجَرَّد[b] عند وُرود الخَبَر من دِمَشْق بمجيء الحَسَن[c] بن أحمد القَرْمَطِيّ المعروف بالأَعْصَم ، إلى الشَّام ، وقَتَلَ جَعْفَر بن فَلاح . فسارَ سَعادَةُ يُريد الرَّمْلَة فوَجَدَ القَرْمَطي قد قَصَدَها ، فانْحازَ بمن معه إلى يافا ورَجع إلى مصر . ثم خَرَجَ إلى الرَّمْلَة ، فَمَلَكَها في سنة إحدى وستين ، فأقبل إليه القَرْمَطِيُّ ، ففرَّ منه إلى القاهِرَة ، وبها ماتَ لخمسٍ بقين من المحرَّم سنة اثنتين وستين وثلاث مائة ، وحَضَرَ جَوْهَرٌ جنازَتَه ، وصَلَّى عليه الشَّريفُ أبو جَعْفَر مُسْلِم ، وكان فيه بِرٌّ وإحسانٌ[1] .

بابُ الفَرَج[a)2]

---

a) ساقطة من بولاق ، وتوجد فقط في آياصوفيا . b) بولاق : مجر . c) بولاق : الحسين .

---

[1] انظر خبر سَعادَة بن حَيَّان والباب المنسوب إليه عند المقريزي : اتعاظ الحنفا ١ : ١٣٠ ؛ Bianquis, Th., *Damas et la Syrie sous la domination fatimide*, pp. 60-61; Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, p. 160.

تَهَدَّم باب سَعادَة والخَوْخَة سنة ١١٣٥هـ/١٧٢٣م وأعادَ بناءه أحمد جُرْبَجي بن يوسف أغا من ماله ، وفرغ من بنائه ثالث عشر ذي الحجة سنة ١١٣٥هـ (أحمد شلبي عبد الغني : أوضح الإشارات فيمن تولّى مصر القاهرة من الوزراء والباشات ، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن ، القاهرة ١٩٧٨ ، ٣٧٦) . وزال كل أثر لهذا الباب سنة ١٩٦٠ عندما بنيت في موضعه وما خلفه مديرية أمن القاهرة الحالية في ميدان أحمد ماهر (باب الخلق) .

[2] لم يُخصِّص المقريزي أي وصف لباب الفرج وترك بعده بياضًا مثلما فعل مع باب البرقية ، والاسم ساقط من عائلة النُّسَخ التي اعتمدت عليها طبعة بولاق . وما ذكره المقريزي في أماكن متفرِّقة من كتابه عن هذا الباب لا يُمكِّن من تحديد موضعه بطريقة قاطعة ، يقول : «وكان فيما بين باب سعادة وباب الخوخة وباب الفرج وبين الخليج فضاء» ، (فيما تقدم ٢٢١، ٢٦٧) ، وعند ذكره لخط تحت الربع خارج باب زويلة قال : إنه فيما بين باب زويلة وباب الفرج (فيما يلي ٢ : ٣٧٩) ، وذكر في موضع ثالث : «وفي نصف جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة وثمان مائة ابتدئ بهدم السور الحجري فيما بين باب زويلة الكبير وباب الفرج» (فيما تقدم ٢٦٤) . فعلى ذلك فإن هذا الباب كان يقع في الركن الجنوبي الغربي للسور .

البَابُ المَحْرُوق

كان يُعْرَف أوَّلًا[a] بباب القَرَّاطين ، فلمَّا زالَت دَوْلَةُ بني أيُّوب ، واستقلَّ بالمُـلْك الملكُ المُعِزُّ عِزُّ الدِّين أَيْبَك التُّرْكُماني ـ أوَّلُ من ملك من المماليك بسَلْطَنَة الديار المصرية[b] في سنة خمسين وستّ مائة ـ كان حينئذٍ أكبرُ الأُمَرَاء البَحْرية ـ مماليك الملك الصَّالِح نَجْم الدين أيُّوب ـ الفارِس أَقْطاي الجَمَدار ، وقد استفحل أمرُه ، وكَثُرت أتباعُه ، ونافَس المُعِزَّ أَيْبَك ، وتزوَّج بابنة الملك المُظَفَّر صاحِب حَماة ، وبَعَثَ إلى المُعِزّ بأن ينزل من قَلْعَة الجَبَل ويُخْليها له حتى يسكنها بامرأته المذكورة .

فقَلِقَ المُعِزُّ منه ، وأَهَمَّه شأنه ، وأَخَذَ يُدَبِّر عليه ، فقرَّر مع عِدَّةٍ من مَماليكه أن يقفوا بموضعٍ من القَلْعَة عَيَّنَه لهم ، وإذا جاءَ الفارِسُ أَقْطاي فَتَكُوا به ، وأرسل إليه وَقْتَ القائلة يستدعيه ليُشاوِره في أمرٍ مهمّ . فرَكِبَ في قائِلَة يوم الاثنين حادي عشرين[c] شَعْبان سنة اثنتين وخمسين وستّ مائة في نَفَرٍ من مَماليكه ، وهو آمِن مطمئن بما صارَ له في الأَنْفُس من الحُرْمَة والمهابة ، وبما يَثِق به من شَجاعَتِه . فلمَّا صارَ بقَلْعَة الجَبَل وانتهى إلى باب[d] قاعَة العَوامِيد [1] ، عُوِّقَ من معه من المماليك عن الدُّخول معه ، ووَثَبَ به المماليكُ الذين أَعَدَّهم المُعِزُّ ، وتناولوه بالسُّيوف فهَلَكَ لوَقْته ، وغُلِّقَت أبوابُ القَلْعَة وانتشر الصَّوْتُ بقَتْله في البَلَد .

فرَكِبَ أصحابُه وخُشْداشِيَّتُه [2] ـ وهم نحو السبع مائة فارِس ـ إلى تحت القَلْعَة ، وفي ظَنِّهم أنَّ الفارِسَ أَقْطاي لم يُقْتَل ، وإنَّما قَبَضَ عليه السُّلْطانُ ، وأنَّهم يُقاتلونه حتى يُطْلِقَه لهم ، فلم يَشْعُروا إلَّا برأس الفارِس أَقْطاي وقد أُلْقِيت عليهم من القَلْعَة ، فانفضُّوا لوَقْتِهم ، وتواعَدوا على الخُروج من

a) بولاق : قديمًا . b) بولاق : بمملكة مصر . c) بولاق : حادي عشر . d) ساقطة من بولاق .

[1] قاعة العواميد (الأعمدة) - إحدى قاعات القلعة المخصصة لحاجات السلطان المنزلية وهي القاعة الكبرى ، وكانت برَسْم خُوَنْد الكبرى . ويرجع أقدم ذكر لها إلى زمن السلطانة شجر الدُّرّ ، وقد أعاد بناءها الناصر محمد بن قلاوون (ابن إياس : بدائع الزهور ١/١ : ٢٨٦؛ أبو المحاسن : النجوم ١٢ : ١٤٥؛ ابن شاهين الظاهري : زبدة كشف الممالك ٢٦-٢٧؛ Behrens-Abouseif D., «The Citadel of Cairo : Stage for Mamluk Ceremonial» *An. Isl.* XXIV (1988), pp. 52-54) .

[2] خُشْداش - خُشْداشية ويكتب أحيانًا خوشْداش : معرب اللفظ الفارسي خوجاتاش أي الزميل في الخدمة . وفي مصطلح العصر المماليكي في مصر يعني الأمراء الذين نشأوا مماليك عند سيد واحد فنبتت بينهم رابطة الزمالة القديمة (المقريزي : السلوك ١ : ٣٨٨-٣٨٩هـ[3]) .

مصر إلى الشَّام. وأكابِرُهم يومئذٍ بَيْبَرْس البُنْدُقْداري، وقلاوُون الأَلْفِي، وسُنْقُر الأَشْقَر، وبَيْسَري، وسكز [a]، وبَرامِق. فخَرَجُوا في اللَّيْل من بُيوتهم بالقاهِرَة إلى جِهَة باب القَرَّاطِين - ومن العادَة أن تُغْلَق أبوابُ القاهِرَة باللَّيْل - فألْقَوا النَّارَ في الباب حتى سَقَطَ من الحَريق وخَرَجوا منه، فقيل له من ذلك الوقت «البابُ المَحْـرُوق»، وعُرِفَ به [١]. وأمَّا القَوْمُ فإنَّهم سارُوا إلى الملك النَّاصِر يوسُف بن العَزيز صاحِب الشَّام، فقَبِلَهم وأنْعَمَ عليهم، وأقْطَعَهُم إقْطاعات، واستكْثَر بهم [٢].

وأَصْبَحَ المُعِزُّ وقد عَلِمَ بخُروجهم إلى الشَّام، فأَوْقَعَ الحَوْطة على جميع أموالِهم ونِسائهم وأولادهم وعامَّة تعلُّقاتهم وسائِر أسبابهم، وتتبَّعهم ونادَى عليهم في الأسْواق بطلب البَحْرِيَّة، وتَحْذير العامَّة من إخْفائِهم، فصارَ إليه من أموالهم ما مَلأ عَيْنَيْه [b].

واستمرَّت البَحْرِيَّةُ في الشَّام إلى أن قُتِلَ المُعِزُّ أَيْبَك، وخُلِعَ ابنه المنصور، وتَسَلْطَن الأميرُ قُطُز، فتَراجَعوا في أيَّامه إلى مصر، وآلَت أحوالُهم إلى أن تَسَلْطَن منهم بَيْبَرْس وقَلاوُون، ولله عاقِبَةُ الأمور [٣].

بابُ البَرْقِيَّة

[c]........ [٤].

---

a) بولاق: سكر. b) بولاق: عينه. c) على هامش آياصوفيا: بياض بقدر سبعة أسطر.

---

[١] ظن محمد رمزي بك أن مكان باب المحروق بسور القاهرة الشرقي على رأس درب المحروق داخل شارع فاطمة النبوية بالدرب الأحمر (أبو المحاسن: النجوم ٩: ١٨٧هـ[١])، ولكنه بعد مناقشة هذا الموضوع مع الأستاذ كريزويل مال إلى أن الباب الذي اشتهر باسم الباب المحروق لا يتجاوز عرضه مترًا وأنه ليس من أبواب المدينة، بل إنه فتحة من فتحات برج كبير مثل برج الظَّفَر، وأن هذه الفتحة لم تستعمل للمرور بل للدفاع، وعلى ذلك فإن الباب المحروق لم يكن على رأس درب المحروق عند البرج رقم ١٧، بل مكانه بين البرجين رقم ١٣ و١٤ من أبراج سور القاهرة الشرقي وأن هذا الباب هدم وسدّ مكانه من قديم ببناء يختلف شكلًا ونوعًا عن البناء القديم، فتكون الطريق التي كانت تُوَصِّل من هذا الباب إلى داخل المدينة تتجه من الباب المذكور إلى الرحبة الواقعة الآن أمام جامع أَصْلَم البهائي، على رأس درب شغلان بقسم الدرب الأحمر (نفسه ١١: ٨هـ[١])؛ وانظر فيما تقدم ٢٦٦هـ [١].

[٢] انظر فيما تقدم ١: ٥٨٠.

[٣] انظر ابن أبي الفضائل: النهج السديد (*PO* XII (1919), p. 592)؛ المقريزي: السلوك ١: ٣٩٠- ٣٩١؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٢٩١- ٢٩٢، وانظر فيما تقدم ١: ٥٨٠، وفيما يلي ٢: ٢٣٦- ٢٣٧.

[٤] من الغريب أن لا يخصص المقريزي أيّ وصف لباب البَرْقِيَّة (باب التَّوْفيق)، فالقسم المخصص له ظل شاغرًا في جميع نسخ الخطط التي رجعت إليها. وقد كُشِفَ عن هذا الباب في عام ١٩٥٧ أثناء شق طريق صلاح سالم وشارع المنصورية ويحمل نصًّا إنشائيًّا يُرْجِعُ بناءه إلى أمير الجيوش بدر الجمالي في المحرم سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م، ويطلق على =



بابُ البَرْقِيَّة (التوفيق)

[النّصُّ التأسيسي لباب البرقية (التَّوْفيق) .

«(١ – ٢) بَسْمَلة ـ لا إله إلا الله وَحْدَه لا شَريكَ له ، محمَّد رَسُولُ الله ، عليٌّ وليّ الله ، صَلّى الله عليهما وعلى الأئِمَّة من ذُرّيتهما أجمعين [الآية ٢٥٦ سورة البقرة] (٣) بِعِزّ الله العَزيز الجَبّار يُحاطُ الإسْلامُ وتُنْشأ المَعاقِلُ والأسْوار . رأى إنْشاء هذا ؛ باب التَّوْفيق والسُّور المُحيط بالمُعِزِّيَّة القاهِرَة المَحْروسَة حَماها الله فَتى مَوْلانا وسَيّدنا مَعَدّ أبي تَميم الإمام المُسْتَنْصِر (٤) بالله أمير المؤمنين ، صَلَوات الله عليه وعلى آبائه الأئِمَّة الطَّاهرين وأبْنائِه الأكْرَمين ، السَّيّد الأجَلّ أمير الجُيُوش سَيْف الإسْلام ناصِر الإمام كافِل قُضَاة المُسْلمين وهادي دُعاة المُؤْمنين أبي النَّجْم بدْر المُسْتَنْصِري ، عَضَّد الله به الدِّين ، ومَتَّعَ بطُول بقائِه (٥) أمير المؤمنين وأدامَ قُدْرَتَه وأعلى كَلِمَتَه ، الذي حَصَّن الله بحُسْن تَدْبيره الدَّوْلة والأنام وشَمِل الخاصّ والعامّ ، ابْتِغاء ثَواب الله ورضوانه وطَلَبَ فَضْلِه وإحسانِه وصِيانَة كُرْسي الخِلافَة وازْدِلافًا إلى الله بحِياطَة الكافَّة . وبُدِئ بعمله في محرَّم سنة ثمانين وأربع مائة للهجرة الحنيفية»] .

= الباب اسم «باب التَّوْفيق» . ولكن هذا الباب عبارة عن مدخل مقوَّس بسيط لا توجد به أي بدنات أو أبراج ؛ ويبدو أن هذا كان طبيعة الأبواب التي كانت تفتح في أسوار القاهرة الشرقية والغربية . ويرجع ذلك إلى أن السور الشرقي قد فقد قبل عصر المقريزي ، حتى إنه ذكر فيما سبق (٢١٣) أنه لم يتبق من البابين الشرقيين سوى أُسْكُفَّة أحد هذين البابين . أما الباب الذي كشف عنه الآن فهو ترميم عُمِلَ في زمن الحملة الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي . (راجع Wiet, G., «Une nouvelle inscription fatimide au Caire», *JA* CCXLIX (1961), pp. 13-20; Fu'âd Sayyid, A., *La Capitale de l'Égypte*, pp. 418-24) .



بابُ البَرْقيّة (التوفيق)

[النَّصّ التأسيسي لباب البرقية (التَّوْفيق)

«(١ - ٢) بَسْمَلة ـ لا إله إلا الله وَحْدَه لا شَريك له ، محمَّد رَسُولُ الله ، عليٌّ وليّ الله ، صَلَّى الله عليهما وعلى الأئِمَّة من ذُرِّيتهما أجمعين [الآية ٢٥٦ سورة البقرة] (٣) بعِزّ الله العَزيز الجبّار يُحاطُ الإسْلامُ وتُنْشأ المَعاقِلُ والأسْوار . رأى إنْشَاء هذا ؛ باب التَّوْفيق والسُّور المحيط بالمُعِزِّيَّة القاهِرَة المَحْروسَة حَمَاها الله فَتَى مَوْلانا وسَيِّدنا مَعَدّ أبي تَميم الإمام المُسْتَنْصِر (٤) بالله أمير المؤمنين ، صَلَوات الله عليه وعلى آبائه الأئِمَّة الطّاهرين وأبْنائِه الأكْرَمِين ، السَّيِّد الأَجَلّ أمير الجُيُوش سَيْف الإسْلام ناصر الإمام كافِل قُضَاة المُسْلمين وهادي دُعاة المُؤْمنين أبي النَّجم بدْر المُسْتَنْصِري ، عَضَّد الله به الدِّين ، ومَتَّعَ بطُول بقائِه (٥) أمير المؤمنين وأدامَ قُدْرَتَه وأعلى كلِمَتَه ، الذي حَصَّن الله بحُسْن تَدْبيره الدَّوْلة والأنام وشَمِل الخاصّ والعامّ ، ابْتِغاء ثواب الله ورضوانه وطَلَبَ فَضْله وإحْسانِه وصِيانَة كُرْسي الخِلافَة وازْدِلافًا إلى الله بحِياطَة الكافَّة . وبُدِئ بعمله في محرَّم سنة ثمانين وأربع مائة للهجرة الحنيفية»] .

= الباب اسم «باب التَّوْفيق» . ولكن هذا الباب عبارة عن مدخل مقوَّس بسيط لا توجد به أي بدنات أو أبراج ؛ ويبدو أن هذا كان طبيعة الأبواب التي كانت تفتح في أسوار القاهرة الشرقية والغربية . ويرجع ذلك إلى أن السور الشرقي قد فقد قبل عصر المقريزي ، حتى إنه ذكر فيما سبق (٢١٣) أنه لم يتبق من البابين الشرقيين سوى أسْكُفَّة أحد هذين البابين . أما الباب الذي كشف عنه الآن فهو ترميمٌ عُمِلَ في زمن الحملة الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي . (راجع Wiet, G., «Une nouvelle inscription fatimide au Caire», *JA* CCXLIX (1961), pp. 13-20; Fu'âd Sayyid, A., *La Capitale de l'Égypte*, pp. 418-24) .

ذِكْرُ قُصور الخُلَفاء ومَناظِرهم والإلْماع بطَرَفٍ من مَآثِرِهم، وما صارَتْ إليه أحْوالُها من بَعْدِهم

اعْلَم أنَّه كان للخُلَفاء الفاطِميين بالقاهِرَة وظَواهِرها قُصورٌ ومَناظِرُ منها: «القَصْرُ الكبير الشَّرْقي» الذي وَضَعَه القائِدُ/ جَوْهَرٌ عندما أناخَ في موضع القاهِرَة، ومنها: «القَصْرُ الصَّغير الغربي»، و«القَصْرُ النَّافعي»، و«قَصْرُ الذَّهَب»، و«قَصْرُ الإقْبَال[a]»، و«قَصْرُ الظَّفَر»، و«قَصْرُ الشَّجَرَة»، و«قَصْرُ الشَّوْك»، و«قَصْرُ الزُّمُرُّد»، و«قَصْرُ النَّسيم»، و«قَصْرُ الحَريم»، و«قَصْرُ البَحْر». وهذه كُلُّها قاعاتٌ ومَناظِرُ من داخِل سُور القَصْر الكبير، ويُقالُ لها: «القُصُورُ الزَّاهِرَة»، ويُسَمَّى مجموعها «القَصْــــر». وكان بجوار القصر الغربي «المَيْدان»، و«البُسْتان الكافوري».

وكان لهم عِدَّةُ مَناظِر وآدُر سُلْطانية غير هذه القُصور منها: «دارُ الضِّيافَة»، و«دارُ الوَزارَة الكبرىٰ[b]»، و«دارُ الوَزارة القَديمَة»، و«دارُ الضَّرْب»، و«المَنْظَرةُ بالجامِع الأَزْهَر»، و«المَنْظَرَةُ بجوار الجامِع الأَقْمَر»، و«مَنْظَرَةُ اللُّؤْلؤة» على الخَليج بظاهِر القاهِرَة، و«مَنْظَرَةُ الغَزَالة»، و«دارُ الذَّهَب»، و«مَنْظَرَةُ المَقْس»، و«مَنْظَرَةُ الدِّكَّة»، و«البَعْل»، و«الخَمْسُ وُجوه»، و«التَّاج»، و«قُبَّةُ الهَوَاء»، و«البَسَاتِينُ الجُيُوشِيَّة»، و«البُسْتانُ الكبير»، و«مَنْظَرَةُ السُّكَّرَة»، و«المَنْظَرَة ظاهِر باب الفُتُوح»، و«دارُ المُلْك» بمَدينَة مصر، و«منازِلُ العِزّ» بها، و«مَنْظَرَةُ الصِّناعَة» بالسَّاحل، و«مَنْظَرَةٌ بجوار جامِع القَرافَة الكبرىٰ» ـ المعروف اليوم بجامِع الأَوْلياء ـ و«الأَنْدلُس» بالقَرافَة، و«المَنْظَرَةُ ببِرْكَة الحَبَش».

وسأَذْكُر من أخْبَار هذه الأماكِن في مُدَّة الدَّوْلَة الفاطِمية، وما آلَ إليه حالُها بحسب ما انتهى إليَّ علمُه إن شاءَ الله.

القَصْرُ الكَبِير

هذا القَصْرُ كان في الجِهَة الشَّرقِيَّة من القاهِرَة، فلذلك يُقالُ له: «القَصْرُ الكَبير الشَّرقي»، ويُسَمَّى «القَصْرُ المُعِزِّي»؛ لأنَّ المُعِزّ لدين الله أبا تَميم مَعَدًّا هو الذي أَمَرَ عبدَه وكاتِبَه جَوْهَرًا

---

a) بولاق: الأقيال. b) ساقطة من بولاق.

ببنائِه حين سَيَّرَه من رَقَّادَة ـ أحَد بلاد إفْريقيَّة ـ بالعساكِر إلى مصر وألْقَى إليه تَرْتيبه ، فوَضَعَه على الترتيب الذي رَسَمَه له[1] .

ويُقالُ : إنَّ جَوْهَرًا لمَّا أسَّسَه في الليلة التي أناخَ قبلها في مَوْضِعِه ، وأَصْبَحَ رأَى فيه زَوْرات[a] غير معتدلة لم تعجبه ، فقيل له في تغييرها ، فقال : «قد حُفِرَ في ليلةٍ مباركةٍ وساعَةٍ سعيدةٍ» . فتركه على حالِه[2] .

وكان ابتداءُ وَضْعِه ، مع وَضْع أساس سُور القاهِرَة ، في ليلة الأربعاء الثامن عشر من شَعْبان سنة ثمانٍ وخمسين وثلاث مائة ، ورَكَّبَ عليه بابين[b] يوم الخميس لثلاث عشرة خَلَت من جُمادَى الأولى سنة تسعٍ وخمسين ، ثم إنَّه أدارَ عليه سُورًا مُحيطًا به في سنة ستين وثلاث مائة . وهذا القَصْرُ كان دارَ الخلافَة ، وبه سَكَنُ الخُـلَفَاء إلى آخِرِ وَقْتٍ[c] . فلمَّا انْقَرَضَت الدَّوْلَةُ على يد السُّلْطان صَلاح الدِّين يُوسُف بن أيُّوب ، أَخْرَجَ أهل القَصْر منه ، وأَسْكَن فيه الأُمَرَاء ، ثم خَرِبَ أوَّلًا فأوَّلًا .

وذَكَرَ ابنُ عبد الظَّاهِر في كِتاب «خِطَط القاهِرَة» ، عن مُرْهَف بَوَّاب باب الزُّهومَة ، أنَّه قال : «أَعْلَمُ هذا الباب المُدَّة الطويلة ، وما رأيته دَخَلَ إليه حَطَبٌ ، ولا رُمِي منه تُرابٌ» . قال : وهذا أحَدُ أسْباب خَرابِه لوَقود أخْشَابِه وتَكْويم تُرابِه .

قال : ولمَّا أَخَذَه صَلاحُ الدِّين وأَخْرَج من كان به ، كان فيه اثنا عشر ألف نسمة ، ليس فيهم فَحْلٌ إلَّا الخَليفَة وأهله وأولاده ، فأسكنهم دار المُظَفَّر بحارة بَرْجَوان ، وكانت تُعْرَف بدار الضِّيافَة .

---

a) بولاق : إزورارات . b) بولاق : بابان . c) بولاق : أيامهم .

---

[1] كان القصر الفاطمي الشرقي الكبير يشغل مساحة تبلغ سبعة عشر فدَّانًا تمثل نحو خُمس مساحة القاهرة ، يُحدَّد مكانها اليوم المنطقة الواقعة بين خان الخليلي والمشهد الحسيني جنوبًا والجامع الأقمر وخانقاه بيبرس الجاشنكير شمالًا (فيما تقدم ٢١٤-٢١٨) . وللأسف الشديد فنحن نجهل كل شيء عن عمارته ، حيث زال كلُّ أثر لهذا القصر وحلَّت محله الآن المدارس التي أنشئت في العصرين الأيوبي والمملوكي وحيّ خان الخليلي في الجنوب وحيّ الجمالية في الشمال . (ولتفاصيل أكثر حول حدود هذا القصر وطبوغرافيته الداخلية راجع ، Ravaisse, P. *Essai sur l'histoire et sur la topographie du Caire,* MMIFAO I, III (1887, 1890); Fu'âd Sayyid, A., *La Capitale de l'Égypte,* pp. 210-99; id., «Le grand palais fatimide au Caire», dans *L'Égypte fatimide son art et son histoire,* Paris 1999, pp. 117-25; Hampikian, N. & Cyran, M., «Recent Discoveries concerning the Fatimid Palaces uncovered during the Conservation Works on Parts of al-Salihiyya Complex», *L'Égypte Fatimide,* pp. 649-57) .

[2] فيما تقدم ٢١٢ .

قال : ووَجَدَ إلى جانِب القصر بِئْرًا تُعرف ببئر الصَّنَم ، كان الخُلَفَاءُ يرمون فيها القَتْلى ، فقيل : إنَّ فيها مَطْلبًا وقَصَدَ تغويرها ، فوَجَدها[a] معمورةً بالجان ، وقتل عمارها[b] جماعةً من أشياعه ، فرُدِمَت وتُرِكَت[1] . انتهى .

وكان صَلاحُ الدِّين لمَّا أزالَ الدولة أعْطَى هذا[c] القَصْرَ الكبير لأُمَرَاء دولته ، وأَنْزَلَهم فيه فسَكَنوه ، وأَعْطَى القَصْرَ الصَّغير الغربي لأخيه الملك العادِل سَيْف الدِّين أبي بكر بن أيُّوب فسَكَنَه ، وفيه وُلِدَ له ابنُه الكامِلُ ناصِرُ الدِّين محمد . وكان قد أَنْزَلَ والِدَه نَجْم الدِّين أيُّوب بن شاذي في مَنْظَرَة اللُّؤْلُؤَة .

ولمَّا قَبَضَ على الأمير داود ابن الخَليفَة العاضِد ـ وكان وَلِيَّ عَهْد أبيه ، ويُنْعت بـ «الحامِد لله» ـ اعتقله وجميع إخوته وهم : أبو الأمانَة جِبْرِيل ، وأبو الفُتوح وابنه أبو القاسِم ، وسُلَيْمان بن داود ابن العاضِد ، [d]وعبد الظَّاهِر بن حَيْدَر بن العاضد[d] ، وعبد الوهَّاب بن إبراهيم بن العاضِد ، وإسْماعيل بن العاضِد ، وجَعْفَر بن أبي الظَّاهِر بن جِبْرِيل ، وعبد الظَّاهِر بن أبي الفُتوح بن جِبْرِيل ابن الحافِظ وجَماعَة . فلم يَزالُوا في الاعْتِقَال بدار المُظَفَّر وغيرها ، إلى أن انتقل الكامِلُ محمد بن العادِل من دار الوَزارَة بالقاهِرَة إلى قَلْعَة الجَبَل ، فنَقَلَ معه وَلَد العاضِد وإخوته وأولاد عَمِّه ، واعتقلهم بها . وفيها مات داود بن العاضِد[2] .

ولم يزل بقيتهم معتقلين بالقَلْعَة إلى أن استبدَّ السُّلْطانُ الملكُ الظَّاهِرُ رُكْنُ الدِّين بَيْبَرْس البُنْدُقْداري ، فأَمَرَ في سنة ستين وستّ مائة[e] بالإشْهاد على كَمَال الدِّين إسماعيل بن العَاضِد ، وعِماد الدِّين أبي القاسِم ابن الأمير أبي الفُتُوح بن العاضِد ، وبَدْر الدِّين عبد الوهّاب بن إبراهيم بن العاضِد : أنَّ جَميعَ المواضِع التي قِبْليّ المَدارِس الصَّالِحِيَّة من القَصْر الكبير ، والموضع المعروف بالتُّرْبة باطِنًا وظاهِرًا بخُطِّ الخُوخ السَّبْع ، وجَميع المَوْضِع المعروف بالقَصْر النَّافِعِيّ بالخُطّ المذكور ، وجَميع المَوْضِع المعروف بالجَبَّاسة بالخُطّ المذكور ، وجَميع المَوْضِع المعروف بخَزائِن السِّلاح السُّلْطانية وما هو بخُطِّه ، وجَميع المَوْضِع المعروف بسَكَن أولاد شَيْخ/ الشُّيوخ وغيرهم من القَصْر

---

a) بولاق : فقيل إنها . b) ابن عبد الظاهر : وقتلى عمادها . c) ساقطة من بولاق . d-d) ساقطة من بولاق .

---

[1] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١١٤ - ١١٥؛ القلقشندي : صبح ٣ : ٣٤٨؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٦٨ - ٦٩، وفيما يلي ص ٦٠٩ .

[2] فيما يلي ص ٦٠٩.

الشَّارِع بابُه قُبالة دار الحَديث النَّبَوي الكامِلية ، وجَميع الموضع المعروف بالقَصْر الغربي ، وجَميع المَوْضِع المعروف بدار الفِطْرَة بخُطّ المَشْهَد الحُسَيْني ، وجَميع المَوْضِع المَعْروف بدار الضِّيافَة بحارَة بَرْجَوان ، [a]وجَميع المَوْضِع المعروف بدَار الذَّهَب بظاهِر القاهِرَة[a]، وجَميع المَوْضِع المعروف باللُّؤْلُؤَة ، وجَميع قَصْر الزُّمُرُّد ، وجَميع البُسْتان الكافوري ، مِلْكٌ لبَيْت المال بالنَّظَر المَوْلَوي السُّلْطاني الملكي الظَّاهِري ، من وَجْهٍ صَحيحٍ شَرْعي لا رَجْعَة لهم فيه ، ولا لواحِدٍ منهم في ذلك ولا في شيء منه ولا مثنوية[b]، بسبب يدٍ ولا مِلْكٍ ولا وَجْهٍ من الوجوه كلِّها ، خَلا ما في ذلك من مَسْجِد لله تعالى ، أو مَدْفَنٍ لآبائهم .

فأَشْهَدوا عليهم بذلك ، ووُرِّخ[c] الإشْهادُ بالثالث عَشَرَ من جُمادَى الأولى سنة ستين وستّ مائة ، وأُثْبِتَ على قاضي القُضَاة الصاحِب تاج الدِّين عبد الوهّاب ابن بنت الأَعَزّ الشَّافِعِي . وتقرَّر مع المذكورين أنَّه مهما كان قَبَضوه من أثمان بعض الأماكِن المذكورة التي عَاقَدَ عليها وُكلاؤهم واتَّصلوا إليه ، يُحاسَبُوا به من جملة ما تحَرَّر ثمنه عند وَكيل بيت المال .

وقُبِضَت أيْدي المذكورين عن التصرُّف في الأماكِن المذكورة وغيرها ممَّا هو منسوب إلى آبائهم ، ورُسِمَ ببَيْع ذلك ، فباعَه وَكيلُ بيت المال كمالُ الدِّين ظَافِر شيئًا بعد شيء[1]. ونُقِضَت تلك المباني ، وابْتُنِيَ في مواضِعِها على غير تلك الصِّفَة من المساكِن وغيرها كما يأتي ذكره إن شاءَ الله تعالى .

وكان هذا «القَصْرُ» يَشْتَمِل على مواضِعَ منها :

قَاعَةُ الذَّهَب

وكان يُقالُ لقَاعَةِ الذَّهَب «قَصْرُ الذَّهَب»[2]، وهو أَحَد قاعات القصر الذي هو قَصْر المُعِزّ لدين الله مُعَدّ . [d]وبَنَى قَصْرَ الذَّهَب العَزيزُ بالله نِزار بن المُعِزّ[d]، وكان يُدْخَل إليه من بابِ الذَّهَب

---

a-a) ساقط من آياصوفيا . b) بولاق : منه ولاء ولا شبهة . c) بولاق : ورخوا . d-d) ساقطة من مسودة المواعظ .

---

[1] هذه الفقرة من الممكن أن يكون مصدرها هو كتاب الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر لابن عبد الظاهر ، ولكنها غير موجودة في النص الذي وصل إلينا ، وهو نص ناقص غير تام . وانظر كذلك المقريزي : مسودة المواعظ ٦٦ – ٦٨؛ وفيما يلي ٦١٠ .

[2] يُطْلِق المُسَبِّحي المتوفى سنة ٤٢٠هـ على هذه القاعة لفظ «قصر» وسماها «قصر الذهب» (أخبار مصر ٢٨، ٣٦) ، ولكن اعتبارًا من مطلع القرن السادس الهجري نجد لفظ «قاعة» هو المستخدم في التدليل على هذا الموضع عند =

الذي كان مُقابِلًا للدار القُطْبِيَّة ـ التي هي اليوم المارِسْتان المَنْصُوري ـ ويُدْخَل إليه أيضًا من باب البَحْر الذي هو الآن تجاه المَدْرَسَة الكامِلية [1]. وجَدَّد هذا القَصْر من بعد العَزيز الخَليفَةُ المُسْتَنْصِرُ في سنة ثمانٍ وعشرين وأربع مائة.

وبهذه القَاعَة كانت الخُلَفاءُ تجلس في المَوْكِب يوم الاثنين ويوم الخَميس. وبها كان يُعْمَل سِماطُ شهر رَمَضان للأُمَراء وسِماطُ العيدين، وبها كان سَريرُ المُلْك [2].

هَيئَةُ جُلُوس الخَليفَة بمَجْلس المُلْك[a] ـ قال الفَقيهُ أبو محمد الحَسَن بن إبراهيم بنُ زُولاق في كِتاب «سِيرَة المُعِزّ»: وكان وُصُولُ المُعِزّ لدين الله إلى قَصْره بمصر في يوم الثلاث، لسبعِ خَلَوْن من شهر رَمَضان سنة اثنتين وستين وثلاث مائة. ولمَّا وَصَلَ إلى قصره خَرَّ ساجِدًا، ثم صَلَّى ركعتين، وصَلَّى بصَلاتِه كُلُّ من دَخَلَ معه. واستقرَّ في قَصْره بأوْلادِه وحَشَمِه وخواصِّ عَبيده. والقصرُ يومئذٍ يَشْتَمِل على ما فيه من عَيْن ووَرِق وجَوْهَر وحُليّ وفَرْش وأَوانٍ وثِيابٍ وسِلاح وأسْفاطَ وأعْدال وسُروج ولُجُم، وبيت المال بحاله بما فيه، وفيه جَميع ما يكون للمُلوك [3].

وللنِّصْف من رَمَضان جَلَسَ المُعِزُّ في قَصْره على السَّرير الذَّهَب الذي عمله عبدُه القائِدُ جَوْهر في الإيوانِ الجَديد، وأَذِنَ بدخول الأَشْراف أوَّلًا، ثم أَذِنَ بعدهم للأَوْلياء ولسائِر وُجوه النَّاس. وكان القائِدُ جَوْهرٌ قائِمًا بين يديه يُقَدِّم النَّاسَ قَوْمًا بعد قَوْم.

ثم مَضَى القائِدُ جَوْهَرٌ، وأَقْبَل بهديَّتِه التي عَبَّأها ظاهِرَةً يراها النَّاسُ، وهي: من الخَيْل مائة وخمسون فرسًا مُسْرَجَةً مُلْجَمَةً: منها مُذَهَّب ومنها مُرَصَّع ومنها مُعَنْبَر، وواحِد[b] وثلاثون قُبَّة على نُوق بخاتي بالدِّيباج والمناطق والفَرْش منها تسعة بدِيباج مُثْقَل، وتسع نُوق مجنوبة مُزَيَّنَة بمُثْقَل، وثلاثة وثلاثون بَغْلًا منها سبعة مُسْرَجَة مُلْجَمَة، ومائة وثلاثون بَغْلًا للنقل، وتسعون نجِيبًا، وأربعة صناديق مُشَبَّكَة يُرَى ما فيها وفيها أواني الذَّهَب والفِضَّة، ومائة سَيْف محلًّى بالذَّهَب والفِضَّة، ودرجان من فضة مُخَرَّقَة فيها جَوْهَر وشاشية مرصَّعة في غلاف، وتسع

a) مسودة المواعظ: ذكر جلوس الخليفة بمجلس الملك بالقاعة المذكورة. b) بولاق: وإحدى.

=ابن المأمون وابن الطُّوَير (راجع تخطيط هذه القاعة والنموذج الذي صُمِّمت على أساسه عند أيمن فؤاد سيد: مقدمة نزهة المقلتين لابن الطوير ٨٧* – ٩٦*؛ Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 242-46).

[1] انظر المقريزي: مسودة المواعظ ١١٥.

[2] نفسه ٧٠.

[3] المقريزي: اتعاظ ١: ١٣٥.

مائة ما بين سَفْط وتَخْت، فيها سائِر ما أَعَدَّه[a] له من ذَخائِر مصر[١].

وفي يوم عَرَفَة نَصَبَ المُعِزُّ «الشَّمْسَة» التي عَمِلَها للكَعْبَة على إيوان قَصْره، وسِعَتُها اثنا عشر شبرًا في اثني عشر شبرًا، وأرضها ديباج أحمر، ودورها اثنا عشر هِلال ذَهَب، في كلّ هِلال أُتْرُجَّة ذَهَب مُشَبَّك[b]، جَوْف كلّ أُتْرُجَّة خمسون دُرَّة كبار كبيض الحَمَام، وفيها الياقُوت الأحمر والأَصْفَر والأَزْرَق، وفيها كِتابُ دورها[c] آيات الحَجّ بزُمُرُّد أخضر قد فسر، وحَشْو الكِتاب دُرٌّ كبير لم يُرَ مثله، وحَشْو الشَّمْسَة المِسْكُ المسحوق، يراها النَّاسُ في القصر ومن خارج القصر لعُلُوّ مَوْضِعِها، وإنَّما نَصَبها عِدَّةُ فَرَّاشين، وجَرُّوها لثِقَل وَزْنها[٢].

وقال في كتاب «الذَّخائِر والتُّحَف وما كان بالقَصْر من ذلك»: إنَّ وَزْنَ ما استعمل من الذَّهَب الإبريز الخالِص في سَرير المُلْك الكبير مائة ألف مِثْقال وعشرة آلاف مِثْقال، ووَزْنُ ما حُلِّيَ به السِّتْر الذي أنشأه سَيِّد الوُزَرَاءِ أبو محمد اليَازوري من الذَّهَب أيضًا ثلاثون ألف مِثْقال، وأنَّه رُصِّعَ بألف وخمس مائة وستين قِطْعَة جَوْهَر من سائِر أَلْوانه[٣].

وذَكَرَ أنَّ في الشَّمْسَة الكبيرة ثلاثين ألف مِثْقال ذَهَبًا وعشرين ألف دِرْهم محرقة، وثلاثة
آلاف وستّ مائة قطعة جَوْهَر من سَائِر أَلْوانِه وأنواعِه، وأنَّ في الشَّمْسَة التي لم تتمّ من الذَّهَب/ ٣٨
سبعة عشر ألف مِثْقال[٤].

وقال المُرْتَضَى أبو محمد عبدُ السَّلام بن محمد بن الحَسَن بن عبد السَّلام بنُ الطُّوَيْر الفِهْري القَيْسَراني الكاتِب المصري في كِتاب «نُزْهَة المُقْلَتَيْن في أَخْبار الدَّوْلَتَيْن الفاطِمية والصَّلاحية»،

---

a) بولاق: أعد. b) بولاق: مسبك. c) بولاق: وفي دورها كتابة، وفي اتعاظ: دورها مكتوب.

---

[١] المقريزي: اتعاظ الحنفا ١: ١٣٦.

[٢] نفسه ١: ١٤٠- ١٤١، والشَّمْسَةُ حِلْيَة ضخمة كانت ترسل إلى الكعبة في موسم الحج في صحبة قائد خاص، لتعلّق في وجه الكعبة، وسميت بذلك لأنها تشبه الشمس؛ ولها اثنا عشر ذراعًا تشبه أشعة الشمس، ورجّح الدكتور جمال الدين الشيال - الذي وقف طويلًا أمام هذا النص كما ورد في اتعاظ الحنفا - أن عدد الأشعة لم يجعل اثنا عشر عفوًا بل قصدًا ليمثل عدد شهور السنة، فموسم الحج يحل بعد مضي اثني عشر شهرًا أي سنةً كاملة، والأهلّة الموجودة في نهاية الأشعة تمثل الشهور القمرية الهجرية (اتعاظ الحنفا ١: ١٤٠-١٤١ هـ١).

[٣] الذخائر والتحف ٢٦٢.

[٤] كُلُّ النص المنقول عن «سيرة المعز» لابن زولاق وكتاب «الذخائر والتحف» غير موجود في مسودة المواعظ.

الفَصْلُ العاشِر في ذِكْر هَيْئَتِهم في الجُلُوس العَام بمَجْلِس المُلْك[١]: [a)]ولا يتعدَّى ذلك يومي الاثنين والخميس، ومَنْ كان أقْرَب النَّاس إليهم، ولهم خِدَمٌ لا تخرج عنهم[a)]، ويُنْتَظَر لجُلُوس الخَلِيفَة أَحَد اليَوْمَيْنُ المذكورَيْن ـ [b)]يعني الاثنين والخميس[b)] ـ، وليس على التَّوالي بل على التَّفاريق.

فإذا تهيَّأ ذلك في يَوْمٍ من هذه الأيَّام، استدعى الوَزيرَ من داره صاحِبُ الرِّسالَة[٢] على الرَّسْم المعتاد في سرعة الحركة، فيركب في أُهْبَتِه[c)] وجَماعَته على الترتيب المقدَّم ذكره ـ يعني في ذكر الرُّكوب أوَّل العام، وسيأتي إن شاءَ الله في مَوْضِعِه من هذا الكتاب – فيصير من مكان ترجُّله عن دابَّتِه بـ «دِهْليز العَمُود» بالقصر[٣] إلى «مَقْطَع الوَزارَة»[٤]، وبين يديه أجِلَّاء أهْل الإمارة، كلّ ذلك بقَاعة الذَّهَب التي كان يسكنها السُّلْطانُ بالقصر.

وكان الجُلُوسُ قَبْل ذلك بالإيوان الكَبير ـ الذي هو خَزائِنُ السِّلاح[٥] ـ وفي صَدْره على سَرير المُلْك، وهو باقٍ في مكانِه إلى الآن من هذا المكان إلى آخِر أيام المُسْتَعْلي. ثم إنَّ الآمِرَ نَقَلَ الجُلُوسَ إلى هذا المكان، واسمه مكتوبٌ بأعْلَى باب[d)] باذْهَنْجه[٦] إلى اليوم؛ فيكون المَجْلِسُ

---

a-a) ساقطة من مسودة المواعظ. b-b) ساقطة من بولاق. c) بولاق: أبهته. d) ساقطة من بولاق.

---

[١] ابن الطوير: نزهة المقلتين ٢٠٥-٢٠٦.

[٢] صاحب الرسالة. من الأستاذين المحنَّكين، ووظيفته واحدة من تسع وظائف أصحابها هم خواصّ الخليفة (ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٥٣، ١٧٩، ٢٠٧، ٢١٠؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣:٤٨١).

[٣] دهليز العمود. رواقٌ بأعمدة كان يسبق قاعة الذَّهَب ممَّا يعطي انطباعًا بأن القاعة كانت في غاية الاتساع، وأنه كان من الضروري وجود دعائم لرفعها، مكونة من عدد من الأعمدة (ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٦١، ٢٠٦؛ ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة ٥٦:١/٣)، وهو ما يتَّفق مع وصف غليوم أسقف صور كما نقله إلى الفرنسية جستاف شُلُمْبُرجيه يقول: «Une vaste cour découverte qu'entouraient de magnifiques portiques à collonades» أي «فناء واسع مكشوف يحيط به أروقة ذات أعمدة» (Schlumberger, G., Compagnes du Roi Amaury Ier de Jérusalem en Égypte au XIIe siècle», Paris, 1906, p. 119).

[٤] مَقْطَع الوزارة. هو ما يُطْلَق عليه قَرْدكم المجلس أو «فردكم مجلس اللعبة»، كان هو الموضع المعدّ لجلوس الوزير في القاعة (ابن المأمون: أخبار مصر ٢٠، ٤٨، ٨٨؛ ابن الطوير: نزهة المقلتين ٦٨، ١٦١، ٢٠٦، ٢٠٨؛ ابن ميسر: أخبار مصر ٩٠؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٢٩٠؛ المقريزي: المقفى الكبير ٦: ٤٨٠؛ وفيما يلي ٤٤٦-٤٤٧).

[٥] المقريزي: مسودة المواعظ ٦٩، ٨٢.

[٦] حاشية بخط المؤلِّف: «الباذهنج فارسي، أصله بادكيم، فباد: الهواء، وكيم: مثل بيت، فيكون معناه بيت الهواء».

المذكور معلَّقًا بالسُّتور[a] الدِّيباج شتاءً والدَّبيقي[1] صيفًا، وفَرْشُ الشِّتاء البُسُط الحرير ـ عِوَضًا عن الصُّوف ـ مُطابِقًا للسُّتور الدِّيباج، وفَرْش الصَّيف مُطابِقًا للستور الدَّبيقي ما بين طَبَرِيّ وطَبَرِسْتاني مُذَهَّب معدوم المثل، وفي صَدْره المَرْتَبَة المؤهلة لجُلُوسه في هيئة هائلة[b] على سَرير المُلْك المُغَشّي بالقُرْقُوبي[2]، فيكون وَجْهُ الخَليفَة عليه قُبالَة وجوه الوقوف بين يديه. فإذا تهيَّأ الجُلوس اسْتُدْعي الوَزير من المَقْطَع إلى باب المجلس المذكور ـ وهو معلَّق وعليه سترا جنابه[c] ـ فيقف بحذائه، وعن يمينه زِمامُ القصر، وعن يَساره زِمامُ بَيْت المال.

فإذا انتصب الخَليفَةُ على المَرْتَبة، وَضَعَ أمينُ المُلْك مُفْلِح ـ أحد الأُسْتاذين المُحَنَّكين الخواصّ ـ الدَّواةَ مكانها من المَرْتَبة، وخَرَجَ من المَقْطَع الذي يُقال له «فَرْد الكُمّ»، فإذا الوَزيرُ واقفٌ أمامَ باب المَجْلِس، وحواليه الأُمَراء المُطَوَّقون أرباب الخِدَم الجَليلَة وغيرهم، وفي خلالهم قُرَّاءُ الحَضْرَة؛ فيُشير صاحِبُ المَجْلِس إلى الأُسْتاذين، فيَرْفَع كلٌّ منهم جانِب السِّتْر، فيظهر الخَليفَة جالِسًا بمنصبه المذكور، فيستفتح القُرَّاءُ بقراءة القرآن الكريم، ويُسَلِّم الوَزيرُ بعد دُخُوله إليه، فيقبِّل يديه ورجليه، ويتأخَّر مِقْدار ثلاثة أذْرُع وهو قائِمٌ قَدْر ساعة زمانية، ثم يُؤْمَر بأن يجلس على الجانِب الأيمن، وتُطْرَح له مَخَدَّة تشريفًا.

ويَقِفُ الأُمَراءُ في أماكِنهم المقرَّرة: فصاحِبُ الباب وإسْفِهْسَلار العَساكِر من جانبي الباب يَمينًا ويَسارًا، ويليهم من خارِجه لاصِقًا بعَتَبَته زِمامُ الآمِرية والحافِظية كذلك، ثم بَقِيَّتهم على مَقاديرهم، فكُلُّ واحِدٍ لا يتعدَّى مكانَه [d]هكذا إلى آخر الرِّواق، وهو الإفْريز العالي عن أرض القاعَة، ويعلوه الشّاباط على عُقُود القَناطِر التي على العَهْد هناك[d].

ثم أرْبابُ القَصْب والعَمّاريات يَمْنَةً ويَسْرَةً كذلك، ثم الأماثِلُ والأعْيانُ من الأجناد المترشِّحين للتَّقْدِمَة، ويقف مُسْنَدًا بالصَّدْر الذي يُقابِل باب المجْلِس بَوّابُ[e] الباب والحُجّاب. ولصاحِبِ الباب في ذلك المحلّ الخُروج والدُّخول، وهو المُوَصِّل عن كلّ قائِلٍ ما يقول.

---

a) بولاق: فيه الستور. b) بولاق: جليلة. c) ساقطة من بولاق. d-d) ساقطة من مسودة المواعظ. e) بولاق: نواب.

---

[1] الدَّبيقي. نوعٌ من الأقمشة المزركشة الموشاة بخيوط الذهب والحرير كانت له شهرة خاصة في العصر الفاطمي وينسب إلى مدينة دبيق (فيما تقدم ١: ٦١٢–٦١٣).

[2] القُرْقوبي. نسيج ينسب إلى قرقوب بالقرب من تُسْتَر من أعمال خوزستان اشتهرت بقماش مطرز يعرف بالسوسنجرد ينسب إليها (Serjeant, R.B., *Islamic Textiles*, p. 45).

فإذا انْتَظَمَ ذلك النِّظامُ ، واستقرَّ بهم المقام ، فأوَّل ماثِلٍ للخِدْمَة بالسَّلام : قاضي القُضاة ، والشُّهود المعروفون بالاستخدام ، فيُجيز صاحِبُ الباب القاضي دون من معه ، فيسلِّم متأدِّبًا ، ويقف قريبًا . ومَعْنَى الأدَب في السَّلام أنَّه يَرْفَع يَدَه اليُمْنَى ، ويُشير بالمَسْبَحَة ويقول بصَوْتٍ مَسْموعٍ : «السَّلامُ على أمير المُؤْمنين ورَحْمَةُ الله وبَرَكاته» . فيتخصَّص بهذا الكلام دون غيره من أهْل السَّلام .

ثم يُسَلِّم بالأشْراف الأقارِب زِمامُهم ، وهو من الأُسْتاذين المُحَنَّكين ، وبالأشْراف الطَّالبيين نَقيبُهم ، وهو من الشُّهود المعدَّلين ، وتارَةً يكون من الأشْراف المُمَيَّزين . فيمضي عليهم كذلك ساعتان زمانيتان أو ثلاث .

ويُخَصّ بالسَّلام في ذلك الوقت من خُلِعَ عليه لقُوص أو الشَّرْقِيَّة أو الغَرْبِيَّة أو الإسْكَنْدَرية ، فيشرَّفون بتَقْبيل العَتَبَة [a].

فإن دَعَت حاجَةُ الوَزير إلى مُخاطَبَة الخَليفَة في أَمْرٍ ، قامَ من مَكانِه وقَرُبَ منه مُنْحنيًا على سَيْفه ، فيُخاطِبه مَرَّةً أو مَرَّتين .

ثم يُؤْمَر الحاضِرون فيخرجون ، حتى يكون آخِر من يخرج الوَزيرُ بعد تقبيل يد الخَليفَة ورجله ، ويخرج فيركب على عادَته إلى داره وهو مخْدومٌ بأولئك .

ثم يُرْخَى السِّتْران [b] ويُغْلَق بابُ المَجْلس إلى يومِ مثله ، فيكون الحالُ كما ذُكِرَ ، ويَدْخُلُ الخَليفَةُ إلى مَكانِه المستقرّ فيه ومعه خَواصُّ أُسْتاذِيه .

وكان أقربُ النَّاس إلى الخُلَفاء «الأُسْتاذون المُحَنَّكون» ، وهم أصحابُ الأُنْس لهم ، ولهم من الخِدَم ما لا يتطرَّق إليه سِواهُم ، ومنهم : زِمامُ القصر ، وشادُّ التَّاج الشَّريف ، وصاحِبُ بيت المال ، وصاحِبُ الدَّفْتَر ، وصاحِبُ الرِّسالة ، وزِمامُ الأشْراف الأقارب ، وصاحِبُ المَجْلِس ، وهم المُطَّلِعون على أسْرار الخَليفَة . وكانت لهم طريقَةٌ محمودةٌ في بعضهم بعضًا ، منها أنَّه متى ترشَّح أستاذٌ للحَنَك [c] وحُنِّكَ ، حَمَلَ إليه كلُّ/ واحِدٍ من المُحَنَّكين بَدْلَةً من ثِياب ، ومِنْديلًا وسَيْفًا وفَرَسًا [d] ، فيصبح لاحِقًا بهم وفي يَدَيْه مثل ما في أَيْديهم .

وكان لا يَرْكَبُ أحدٌ في القصر إلَّا الخَليفَة ، ولا يَتَصَرَّف ليلًا ونهارًا إلَّا كذلك ، وله في الليل شَدَّادات من النِّساء يخدمن البَغْلات والحَمير الإناث ، للجَواز في السَّراديب

---

a) بولاق : القبة . b) بولاق : الستر . c) بولاق : للتحنيك . d) بولاق : فرشا .

القصيرة الأَقْباء، والطُّلوع على الزلَّاقات إلى أعالي المناظِر والأماكِن.

وفي كلِّ مَحَلَّة من محلَّات القصر فَسْقِيَّةٌ مملوءةٌ بالماء خِيفةً من حُدُوث حَريقٍ في الليل [١].

كَيْفِيَّةُ سِـماطِ شَهْر رَمَضـان بهذه القـاعَة ـ قال ابنُ الطُّوَيْر: فإذا كان اليومُ الرابع من شهر رَمَضان، رُتِّبَ عملُ السِّمَاط كلَّ ليلة بالقاعَة بالقصر إلى آخر[a] السَّادِس والعشرين منه، ويُسْتَدْعى له قاضي القُضاة في ليالي الجُمَع توقيرًا له، فأمَّا الأُمَرَاءُ ففي كلِّ ليلةٍ منهم قَوْمٌ بالنَّوْبَة، ولا يحرمونهم الإفْطار مع أولادهم وأهاليهم [b]طُول الشَّهْر[b]، ويكون حُضورهم بمَسْطورٍ يخرج إلى صاحِبِ الباب وإسْفِهْسَلاره[c]، فيعرف صاحِبُ كلِّ نَوْبَة لَيْلَته فلا يتأخَّر. ويحضر الوَزيرُ فيَجْلس صَدْرَه، فإن تأخَّر كان وَلَدُه أو أخُوه، وإن لم يَحْضُر أحَدٌ من قِبَلِه كان صاحِبُ الباب.

ويُهْتَمّ فيه اهتمامًا عظيمًا تامًّا، بحيث لا يفوته شيءٌ من أصْنافِ المأكولاتِ الفائِقة والأغذية الرائقة، وهو مَبْسوطٌ في طُول القاعَة، مادٌّ من الرِّواق إلى طُول[d] ثلثي القاعَة المذكورة. والفَرَّاشون قِيامٌ لخِدْمَة الحاضرين، وجوق[e] الأستاذين يُحْضِرون الماء المُبَخَّر في الكيزان[f] الخَزَف برَسْم الحاضِرين. ويكون انْفِصالُهم العِشَاء الآخرة، فيعمُّهم ذلك ويَصِل منه شيءٌ إلى أكثر[d] أهْلِ القاهِرَة من بَعْض النَّاس لبَعْض، ويأخُذ الرَّجُلُ الواحِدُ ما يكفي جماعَة.

فإذا حَضَرَ الوَزيرُ، أُخْرِجَ إليه ممَّا هو بحَضْرَة الخَليفَةِ، وكانت يَدُه فيه، [b]فيخصُّه به[b] تَشْريفًا له وتطْييبًا لنفسه، ورُبَّما حَمَلَ لسُحوره من خاصِّ ما يعبَّا[g] لسُحور الخَليفَة نَصيبٌ وافِرٌ. ثم يتفرَّقُ النَّاسُ إلى أماكِنِهم بعد العِشَاء الآخِرَة بسَاعَة أو ساعَتَين.

قال: ومبلغُ ما يُنْفَق في شهر رَمَضان لسِماطِه، مُدَّة سبعة وعشرين يومًا، ثلاثة آلاف دينار [٢].

عَمَلُ سِماطِ عيد الفِطْر بهذه القَاعَة ـ قال الأَميرُ المُخْتارُ عِزُّ المُلْك محمد[d] بن عبيد الله بن أحمد ابن إسماعيل بن عبد العزيز المُسَبِّحيّ في «تاريخِهِ الكَبير»: وفي آخِر يَوْم منه ـ يعني شهر رَمَضان ـ

---

a) زيادة من مسودة المواعظ. b-b) زيادة من مسودة المواعظ. c) مسودة المواعظ: والاسفهسلار. d) ساقطة من بولاق. e) بولاق: حواشي. f) بولاق: كيزان. g) بولاق: يعين.

---

[١] ابن الطوير: نزهة المقلتين ٢٠٥-٢١٠؛ المقريزي: المسودة ٧٠-٧٥، ٣٢٩؛ وقارن القلقشندي: صبح ٣: ٥١٨.

[٢] ابن الطوير: نزهة المقلتين ٢١١-٢١٢؛ القلقشندي: صبح ٣: ٥٢٣؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٧٦-٧٧.

سنة ثمانين وثلاث مائة ، حَمَلَ يانِسُ الصَّقْلَبي ، صاحبُ الشُّرْطَة السُّفْلىٰ ، السِّماطَ وقُصُورَ السكَّر والتَّماثيلَ وأَطْباقًا فيها تماثيل حَلْوَىٰ ، وحَمَلَ أيضًا عليُّ بن سَعْد المحْتَسِب القُصورَ والتَّماثيلَ[a] السكَّر .

[b]وقال في آخره : وفي آخر سَلْخ رَمَضان حُمِل السِّماطُ السكر التماثيل وخمس قصور الذي برَسْم متولي الشُّرْطَة ، وحمل عليّ بن سَعْد السِّماط الذي رَسْمه أن يعمله[b] [1].

وقال ابنُ الطُّوَيْر : فأمَّا الأَسْمِطَةُ الباطِنَة التي يحضرها الخَليفَةُ بنفسه ، ففي يوم عيد الفِطْر اثنان ، ويوم عيد النَّحْر واحِد .

فأمَّا الأوَّلُ من عيد الفِطْر ، فإنَّه يُعَبَّأ[c] في الليل بالإيوان قُدَّام الشُّبَّاك الذي يجلس فيه الخَليفَة ، فيُمَدّ ما مِقْداره ثلاث مائة ذِراع في عَرْض سبعة أذرع ، من الخُشْكنان والفانيذ والبَسَنْدود ، المقدَّم ذكر عَمَله بدار الفِطْرَة . فإذا صَلَّى الفَجْرَ في أوَّل الوقت ، حَضَرَ إليه الوَزيرُ وهو جالِسٌ في الشُّبَّاك ، ومُكِّنَ النَّاسُ من ذلك المَمْدود ، فأُخِذَ وحُمِلَ ونُهِبَ ؛ فيأخذه من يأكله في يَوْمه ، ومن يدَّخِره لغَدِه ، ومن لا حاجَة له به فيَبيعُه ، ويتسلَّط عليه أيضًا حَواشي القَصْر المُقيمون هناك .

فإذا فُرِغَ من ذلك وقد بَزَغَت الشَّمْسُ ، رَكِبَ من بابِ الملك بالإيوان ، وخَرَجَ من باب العيد إلى المُصَلَّىٰ والوَزيرُ معه ـ كما وَصَفْنا في هَيْئَة رُكوب هذا العيد في فَصْله ـ مخليًّا لقاعة الذَّهَب لسِماط الطَّعام [2]. فيُنْصَبُ له سَريرُ الملك قَدَّام بابِ المَجْلِس في الرِّواق ، ويُنْصَبُ فيه مائِدَةٌ من فِضَّةٍ يُقالُ لها «المُدَوَّرَة» [3]، وعليها من الأواني[d] الفِضِّيات والذَّهبيات والصِّيني الحاوية للأَطْعِمَة الخاصّ ، الفائِحَة الطِّيب الشَّهِيَّة ، من غير خضراوات ، سِوَى الدَّجاج الفائِق المُسَمَّن المعمول بالأَمْزِجَة الطيبة النافِعَة . ثم يُنْصَب السِّماطُ أمامَ السَّرير إلى باب المَجْلِس قُبالَته ـ ويُعْرَف بالمُحَوَّل[4] ـ طُول القاعَة ـ وهو الباب اليوم الذي يُدْخَل منه إليها من باب البَحْر ، الذي هو باب القَصْر اليوم .

---

a) بولاق : تماثيل . b-b) زيادة من مسودة المواعظ . c) بولاق : يعين . d) بولاق : وعليها أواني .

---

[1] المسبحي : نصوص ضائعة ١٣؛ المقريزي : اتعاظ ١ : ٢٦٧.

[2] انظر فيما يلي ٤٧٨ – ٤٩٤.

[3] المُدَوَّرَة . مائدة مستديرة قد تكون من الفضة – كما في النص – وقد تكون من الخشب كما ذكر ابن المأمون : أخبار مصر ١٥، ٨٩ س[2]، ٩٣ س[2].

[4] عن المُحَوَّل انظر فيما يلي ٣٠٥ – ٣٠٨.

والسِّماطُ خَشَبٌ مَدْهُونٌ شِبْه الدِّكَك اللاطية ، فيصير من جَمْعه للأواني سِماطًا عاليًا في ذلك الطول وبعرض عشرة أذرع ، فيُفْرَش فوق ذلك الأزهار المشمومات [a]، ويُرَصّ الخُبْز على حافتيه شَوَابير [b] [1]، كلٌّ واحِدٌ ثلاثة أرطال من نقيّ الدَّقيق ، ويُدْهَن وجهها عند تَخبيزها بالماء ، فيحصل لها بَريقٌ ويحسن منظرها . ويُعَمَّر داخِل ذلك السِّماط على طوله بأحَد وعشرين طَبَقًا . في كلِّ طَبَق أحَد وعشرون خَروفًا [a] ثَنِيًّا سَمينًا مَشْويًّا ، وفي كلٍّ من الدَّجاج والفَرَاريج وفِراخ الحَمَام ثلاث مائة وخمسون طائِرًا ، فيبقى طائِلًا مُستطيلًا ، فيكون كقامَة الرجل الطويل ، ويُسَوَّر بشرائِح الحَلْواء اليابِسة ، ويُزَيَّن بألوانها المصبغة . ثم يُسَدُّ خَلَل تلك الأطْباق بالصُّحون الخَزَفِيَّة التي في كلِّ واحِدٍ منها سَبْع دجاجات ، وهي مترعة بالألوان الفائقة من الحَلْواء/ المائِعة ٣/

والطَّباهِجَة المُفَسْتَقَة [c] [2]، والطِّيب غالب على ذلك كلِّه ، فلا يبعد أن تُناهِز عِدَّةُ الصُّحون المذكورة خمس مائة صَحْن ، ويُرَتَّب ذلك أحسن تَرْتيب من نصف الليل بالقاعَة إلى حين عَوْد الخَليفَة من المُصَلَّى والوَزير معه .

فإذا دَخَلَا [d] القَاعَة ، وَقَفَ الوَزيرُ على باب دخول الخَليفَة لينزع عنه الثياب العيدية التي في عِمامَتها اليَتيمَة [e] ولَبِسَ سواها من خَزائِن الكُسْوات الخاصَّة التي قَدَّمنا ذكرها .

---

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : سواميذ . c) بولاق : المشقفة . d) بولاق : دخل . e) بولاق : السمة .

---

[1] شابورة جـ . شوابير . ضرب من تحذيف شعر الجبهة كان معروفًا في عهد العباسيين ، يتخذه الرجال والنساء ، وأغلب متخذيها من الذكور المخنثين . قال أبو الفدا : «ولأصحاب جغرافيا اصطلاح في تعريف البحور فيقولون : يمتدّ كالقَوّارَة وكالشّابورة وكالطّيْلَسان ونحو ذلك . (تقويم البلدان ١٩ س٩) ، وانتقلت هذه المصطلحات للتعبير عن أشكال الموائد والأسمطة ، وتبعًا لذلك فالشابورة تعني شكل المثلث (البغدادي : كتاب الطبيخ ، الموصل ١٩٣٤، ٧٤-٧٥هـ[1]) .

[2] الطَّباهِجَة . نوعٌ من لحم الضأن المكمور ، صنعته أن يؤخذ لحم مُشَرَّح يقطع صغارًا . يعزل فيه السمين بناحية والمهزول بناحية أخرى ، ثم يؤخذ السمين ويجعل في قِدْر القِدْر ويغلى حتى يرشح ويزول شحمه ، ثم يجعل المهزول عليه ويلقى عليه قطع بَصَل وطاقات نعنع وكَرَفْس ويُحَرَّك حتى ينشف ماؤه ، ثم يلقى عليه كُزْبَره يابسة وكَمُّون وكراويا ودارصيني وزنجبيل ، الجميع مدقوقًا ناعمًا ، ويفرد نصف الأبازير ليطرح بعد النضج . ثم يؤخذ خلّ خمر وماء حصرم وماء ليمون فيُمْزَج ويلقى عليه من جملة الأبازير شيء ، ومن أحب أن يضيف إليه شيئًا من ماء السُّمّاق فعل ، ثم يسقى تلك المياه حالًا فحالًا حتى يتكامل النُّضج ويخرج منها البقول ويضاف إليها باقي الأبازير وشيءٌ يسيرٌ من فلفل . (البغدادي : كتاب الطبيخ ١٦-٤١٧؛ ابن رزين التجيبي : فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان ، تحقيق محمد شقرون ، بيروت ١٩٨٤، ١١٩) .

وقد عُمِلَ بدار الفِطْرَة قَصْران حَلْوَىٰ[a]، في كلِّ واحِدٍ سبعة عشر قِنْطارًا، وحُمِلا: فمنهما واحِدُ يُمْضَى به من طَرِيق قصر الشَّوْك إلى باب الذَّهَب[1]، والآخر يُشَقُّ به بَيْن القَصْرَيْن يحملهما العتّالون، فيُنْصَبان أوَّل السِّماط وآخره، وهما شكلٌ مَليح، مَدْهونان بأوْراق الذَّهَب، وفيهما شُخُوطٌ ناتئة لأنَّها مَسْبوكَة في قوالِب لَوْحًا لَوْحًا. فإذا عَبَرَ الخَلِيفَةُ راكِبًا، ونَزَلَ على السَّرير الذي عليه المُدَوَّرَة الفِضَّة وجَلَسَ، قامَ على رأسه أربعةٌ من كبار الأُسْتاذين المُحَنَّكين، وأربعةٌ من خَواصِّ الفَرّاشين. ثم يستدعي الوَزير فيَطْلُع إليه ويَجْلس عن يَمينه، ويَسْتَدْعي الأُمَرَاء المُطَوَّقين ومن يَليهم من الأُمَرَاء دونهم، فيَجْلِسون على السِّماط كقيامهم بين يديه، فيأكُل من أرادَ من غير إلزام، فإنَّ في الحاضِرين من لا يَعْتَقِد الفِطْرَ في ذلك اليوم. فيستولي على ذلك المَعْمُول [b]قِلَّة الأَكْل، وثِقَل الرُّسوم[b]، ويُباح فلا يبقى منه إلَّا السِّماطُ فقط، فيعمّ أهْلَ القاهِرَة ومصر من ذلك نَصيبٌ وافِرٌ.

فإذا انْقَضَى ذلك عند صَلاة الظُّهْر، انفضَّ النّاسُ، وخَرَجَ الوَزيرُ إلى دارِه مَخْدومًا بالجماعَة الحاضرين، وقد عَمِلَ سِماطًا لأَهْله وحَواشيه ومن يعزّ عليه من الأُمَرَاء[c]، [d]لا يَلْحَق بأَيْسَر يَسيرٍ من سِماط الخَليفَة[d].

وعلى هذا العَمَل يكون سِماطُ عيد النَّحْر أوَّل يوم منه، ورُكوبه إلى المُصَلَّىٰ كما ذكرنا، ولا يخرج عن هذا المِنْوال، ولا ينقص عن هذا المِثال، ويكون النَّاسُ كلُّهم مُفْطرين، ولا يفوت أحَدًا منهم شيءٌ كما ذَكَرْنا في عيد الفِطْر.

قال: ومَبْلَغُ ما يُنْفَق في سِمَاطَيِ الفِطْر والأَضْحَىٰ أربعة آلاف دينار[2].

وكان يجلسُ على أسْمِطَة الأعْياد في كلِّ سنة رَجُلان من الأجْناد، يُقالُ لأحَدهما: ابن فائِز، وللآخَر الدَّيْلَمي، يأكُل كلُّ واحِدٍ منهما خَروفًا مَشْوِيًّا وعَشْر دَجاجات مُحَلَّاة وجام

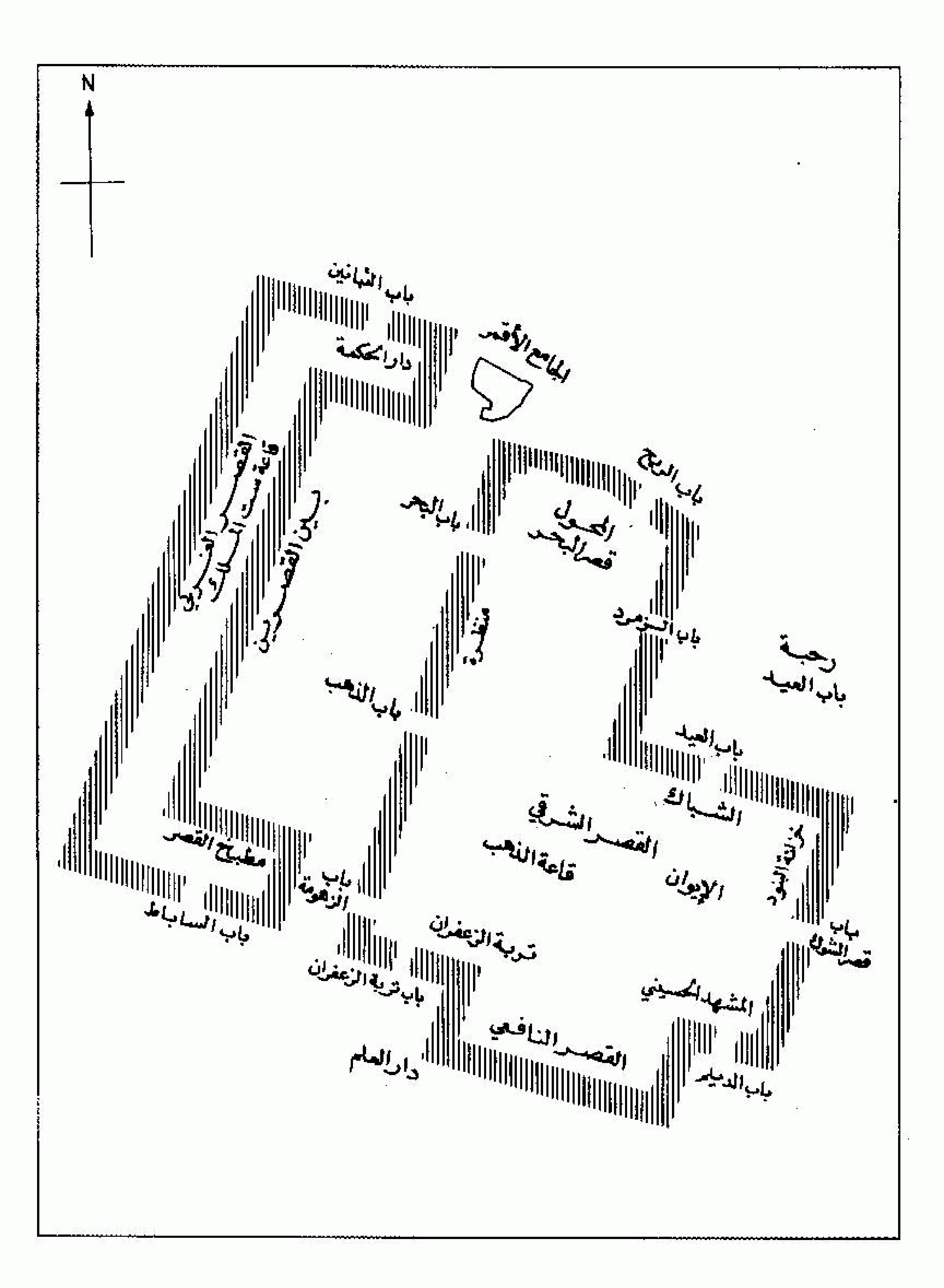
---

a) بولاق: من حلوى. b-b) بولاق: الآكلون، وينقل إلى دار أرباب الرسوم، آياصوفيا: الأكل وينقل إلى أرباب الرسوم، والمثبت من مسودة المواعظ. c) ساقطة من بولاق. d-d) ساقطة من مسودة المواعظ.

---

[1] طريق قصر الشوك إلى باب الذهب. أي من قصر الشوك في الواجهة الشرقية للقصر الكبير إلى رحبة باب العيد ثم إلى الركن المخلَّق ثم إلى باب الذهب في الواجهة الغربية للقصر، مرورًا بباب البحر.

[2] ابن الطوير: نزهة المقلتين ٢١٢- ٢١٦؛ المقريزي: المسودة ٧٧- ٨١؛ القلقشندي: صبح ٣:٥٢٣- ٥٢٤، وقارن أبا المحاسن: النجوم ٤:٩٧- ٩٨؛ ناصر خسرو: سفرنامه ١٠٦- ١٠٧.



القُصُورُ الفاطِمِيَّة

حَلْوى عشرة أرطال، ولهما رُسُوم تُحْمَل إليهما بعد ذلك من الأَسْمِطَة لبيوتهما، ودنانير وافِرَة على حُكْم الهِبَة. وكان أَحَدُهما أُسِر بعَسْقَلان في تَجْرِيدَة جُرِّد إليها، وأقامَ مُدَّةً في الأَسْر. فاتَّفق أنّه كان عندهم عِجْلٌ سَمينٌ فيه عِدَّة قَناطير لحم، فقال له الذي أَسَرَه وهو يُلاعبه: إن أَكَلْت هذا العِجْل أَعْتَقْتُك. ثم ذَبَحَه وسَوَّى لَحْمَه وأطعمه حتى أتى على جميعه، فوفَّى له وأَعْتَقَه، فقَدِمَ على أهله بالقاهِرَة، ورُتِّبَ يأكل على السِّماط [1].

الإيوانُ الكَبير

قال القاضي الرئيسُ مُحيي الدِّين عبد الله بنُ عبد الظَّاهِر الرَّوْحي الكاتِب في كتاب «الرَّوْضَة البَهِيَّة الزَّاهِرَة في خِطَط المُعِزِّيَّة القاهِرَة»: الإيوانُ الكبير بَنَاهُ العَزيزُ بالله أبو منصور نِزار بن المُعِزّ لدين الله مَعَدٌّ في سنة تسعٍ وستين وثلاث مائة [2]، انتهى.

وكان الخُلَفَاءُ أوَّلًا يجلسون به في يومي الاثنين والخميس، إلى أن نَقَلَ الخَليفَةُ الآمر بأحكام الله الجُلوسَ منه في اليومين المذكورين إلى قاعَة الذَّهَب كما تقدَّم. وبصَدْر هذا الإيوان كان الشُّبّاكُ الذي يجلس فيه الخَليفَةُ، وكان يعلو هذا الشُّبّاك قُبَّة.

وفي هذا الإيوان كان يُمَدُّ سِماطُ الفِطْرَة بُكْرَة يوم عيد الفِطْر كما تقدَّم [3]، وبه أيضًا كان يُعْمَل الاجتماعُ والخُطْبَة في يوم عيد الغَدير. وكان بجانب هذا الإيوان الدَّواوين. وكان بهذا الإيوان ضِلْعَا سَمَكَة إذا أُقيما وارَيا الفارِس بفَرَسه، ولم يَزالا حتى بَعَثَهُما السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين يوسُف إلى بَغْداد في هَدِيَّة.

عيدُ الغَدير ـ اعْلَم أنَّ عيدَ الغَدير لم يكن عيدًا مشروعًا، ولا عَمِلَه أَحَدٌ من سالِف الأُمَّة المُقْتَدَىٰ بهم. وأوَّلُ ما عُرِفَ في الإسلام بالعِراق أيام مُعِزّ الدَّوْلَة عليّ بن بُوَيْه، فإنَّه أَحْدَثَه في سنة اثنتين وخمسين وثلاث مائة، فاتَّخذه الشِّيعَةُ من حينئذٍ عيدًا [4].

وأَصْلُهم فيه ما خَرَّجَه الإمامُ أحمد في «مُسْنَده الكبير»، من حَديث البَرَاء بن عازِب ـ رضي الله عنه ـ قال: كُنَّا مع رَسُول الله ﷺ في سَفَرٍ لنا، فنزلنا بغَدير خُمّ، ونودي «الصَّلاةُ جامِعَة»،

---

[1] انظر فيما يلي ص ٤٥٤-٤٥٥.

[2] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٦.

[3] المقريزي: مسودة المواعظ ٦٩، ٨٢. وعن الإيوان راجع مقدمة ابن الطوير: نزهة المقلتين ٩٨* - ١٠٠*.

[4] نفسه ٨٣، وانظر عن غدير خُمّ Veccia Vaglieri, L., *EI*² art. *Ghadīr Khumm* II, pp. 1015-17.

وكُسِحَ لرَسُول الله ﷺ تحت شجرتين فصَلّى الظُّهر، وأَخَذَ بيد عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فقال: «أَلَسْتُم تَعْلَمون أنّي أَوْلَى بالمؤْمنين من أنفسهم؟»، قالوا: بَلَى؛ قال: «أَلَسْتُم تَعْلَمون أنّيَ أَوْلَى بكلِّ مُؤْمنٍ من نَفْسه؟»، قالوا: بَلَى؛ فقال: «مَنْ كنت مَوْلاه فعليٌّ مَوْلاه، اللَّهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه». قال: فلقيه عُمَرُ بن الخَطّاب ـ رضي الله عنه ـ فقال: هنيئًا لك يا ابن أبي طالِب، أصبحت مَوْلَى كلِّ مُؤْمِنٍ ومُؤْمِنة [١].

وغَدِيرُ خُمٍّ على ثلاثة أميال من الجُحْفَة يَسْرَة الطَّريق، وتَصُبّ فيه عَيْنٌ، وحَوْله شجرٌ كثير [٢].

ومن سُنَّتِهم في هذا العيد ـ وهو أبدًا يوم الثامن عشر / من ذي الحجة ـ أن يُحْيوا ليلته ٣٨
بالصَّلاة، ويُصَلُّوا في صبيحته ركعتين قبل الزَّوال، ويَلْبسوا فيه الجديد، ويُعْتِقُوا الرِّقاب، ويُكْثِروا من عمل البِرّ ومن الذَّبائح.

ولمَّا عَمِلَ الشِّيعَةُ هذا العيد بالعراق، أرادت عَوامُّ السُّنَّة مُضاهاة فِعْلهم ونكايتهم، فاتَّخذوا في سنة تسعٍ وثمانين وثلاث مائة ـ بعد عيد الغَدير بثمانية أيام ـ عيدًا أكثروا فيه من السُّرور واللَّهْو، وقالوا: هذا يومُ دُخُول رَسُولِ الله ﷺ الغار هو وأبو بكرٍ الصِّدّيق ـ رضي الله عنه ـ وبالَغوا في هذا اليوم في إظهار الزِّينَة ونَصْب القِباب وإيقاد النيران، ولهم في ذلك أعْمالٌ مذكورة في أخبار بغداد.

---

[١] أحمد بن حنبل: المسند، تحقيق أحمد محمد شاكر، حديث رقم ٩٥٠- ٩٥٢، ٩٦١، ٩٦٤.

ووَرَدَ في أوَّل النُّسَخ المنقولة من خَطِّ المقريزي نصّ حديث غدير خمّ، برواياته المختلفة عن النَّسائي وابن حِبّان والحاكم وابن أبي شَيْبَة وأبي يَعْلى والطَّبَراني، كما نقل عن كتاب «أخبار البَصْرَة» لأبي زَيْد عمر بن شَبَّة وكتاب «جمهرة النَّسَب» لأبي المُنْذِر هشام بن محمد الكلبي.

وجاءَ على الهامش أمام هذا الخبر، نقلًا عن خط المقريزي: «غَدير خُمّ، بضم الخاء وتشديد الميم، وموضع الغدير غدير خُمّ يقال له: الخزار. وقال أبو عُبَيْد: خُمّ بئرٌ احتفرها عبدُ شَمْس بالبَطْحاء بغية الفجور، وفي حفاره زم خم عند ردم بني جُمَح، وزمّ عند دار خديجة بنت خُوَيْلَد. وغَدير خُمّ هذا بَمِهيَعَة التي تُعْرَف بالجُحْفَة، الله سبحانه حمى المدينة بدعاء النبيّ - عليه السّلام -. قال الأَصْمَعي: لم يولد بغَدير خُمّ أحَدٌ فعاش إلى أن يحتلم إلّا أن يتَحَوَّل منها... ربما يمرّ بها الطائر فيسقط ريشه يعني من الحما. وقال أبو المُظَفَّر يوسف بن قِزْأوغلي في كتاب «تذكرة الخواصّ من الأُمّة بذكر خصائص الأئمّة»: اتَّفق عُلَماء السِّيَر على أن قصّة الغَدير كانت بعد رجوع النّبي - عليه السّلام - من حَجَّة الوَداع في الثامن عشر من ذي الحجة وكان معه الصحابة والأعراب وفيهم من يسكن حول مكة والمدينة مائة وعشرون ألفًا وهم الذين شهدوا معه حَجَّة الوَداع وسمعوا منه هذه المقالة».

[٢] ياقوت: معجم البلدان ٢: ١١١، ٣٨٩- ٣٩٠.

[a]وخَرَّج الحافِظُ أبو القاسِم عليّ بن الحَسَن بن هِبة الله بن عَساكِر من طَريق ابن شَوْذَب عن مَطَر الوَرَّاق عن شَهْر بن حَوْشَب عن أبي هُرَيْرَة قال: «من صامَ يوم ثمانية عشر من ذي الحجّة كَتَبَ الله له صيام ستّين شهرًا»، وهو يوم غَدير خُمّ. الحَديث ذكره في ترجمة عليّ ـ رضي الله عنه من «تاريخ دمَشْق»[a] [1].

وقال ابنُ زُولاق [b]في كتاب «سيرة المُعِزّ» ومن خَطِّه كتبت[b]: وفي يوم ثمانية عشر من ذي الحجة سنة اثنتين وستين وثلاث مائة، وهو يوم الغَدير، تَجَمَّع خَلْقٌ من أهل مصر والمغاربة ومن تبعهم للدُّعاء لأنَّه يومُ عيد، لأنَّ رَسُولَ الله ﷺ عَهِدَ إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب فيه واستخلفه، فأَعْجَب المُعِزَّ ذلك من فعلهم، وكان هذا أوَّلَ ما عُمِلَ بمصر [2].

قال المُسَبِّحيُّ: وفي يوم الغَدير، وهو ثامِن عَشَر ذي الحجَّة، اجتمعَ النَّاسُ بجامِع القاهِرَة والقُرَّاءُ والفُقَهاءُ والمُنْشِدون، فكان جَمْعًا عَظيمًا أقامُوا إلى الظُّهْر، ثم خَرَجُوا إلى القصر فخَرَجَت إليهم الجائزة؛ وذَكَرَ أنَّ الحاكِمَ بأَمْر الله كان قد مَنَعَ من عَمَلِ عيد الغَدير [3].

قال ابنُ الطُّوَيْر: إذا كان العَشْرُ الأَوْسَط من ذي الحِجَّة، اهتمَّ الأُمَرَاءُ والأَجْنادُ برُكوب عيد الغَدير، وهو في الثامن عشر منه، وفيه خُطْبَة ورُكوب الخَليفة بغير مِظَلَّةٍ ولا يَتيمَةٍ، ولا خُروج عن القاهِرَة، ولا يخرج لأحَدٍ شيءٌ. فإذا كان أوَّلُ[c] ذلك اليوم رَكِبَ الوزيرُ بالاستدعاء الجاري به العادَة، فيَدْخُل القصر، وفي دُخوله بُروزُ الخَليفَة لرُكُوبه من الكرسي على عادته، فيَخْدِم ويَخْرج ويَرْكَب من مَكانِه من الدِّهْليز، ويخرج فيقف قُبالَة باب القصر، ويكون ظهرُه إلى دار فَخْر الدِّين جَهَارْكَس اليوم [4]. ثم يَخْرُج الخَليفَةُ راكِبًا أيضًا فيقف في الباب ـ ويُقال له القَوْس ـ وحواليه الأُسْتاذون المُحَنَّكُون رَجّالة، ومن الأُمَرَاء المُطَوَّقين من يأمره الوَزيرُ بإيثار[d] خِدْمَة الخَليفَة على خِدْمَته، ثم يجوز زِيُّ كلٍّ من له زِيّ على مقدار هِمَّته؛ فأوَّل ما يجوز زِيُّ الخَليفَة، وهو الظَّاهِرُ في ركوبه، فتجر الجَنائِب الخاصّ التي قَدَّمنا ذكرها أوَّلًا؛ ثم زِيُّ الأُمَرَاء المُطَوَّقين لأنَّهم

a-a) ساقطة من بولاق. b-b) زيادة من مسودة المواعظ. c) ساقطة من بولاق. d) بولاق: بإشارة.

[1] ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٢٣٣.

[2] المقريزي: اتعاظ ١: ١٤٢؛ مسودة المواعظ ٨٤.

[3] المسبحي: نصوص ضائعة ٣٨؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٨٤.

[4] حاشية بخط المؤلف: «دار فخر الدين جهاركس هي اليوم المارستان المنصوري».

غِلمانه ، واحِدًا فواحِدًا بغُدَدِهم وأسلحتهم وجَنائِبهم إلى آخر أرْباب القَصَب والعَمَّاريات ؛ ثم طَوائِفَ العَسْكَر أزِمَّتها أمامها وأولادهم مكانهم لأنَّهم وُقُوفٌ في خِدْمَة الخَليفَة[a] بالباب طائِفَة طائِفَة ، فيكونون أكثر عددًا من خمسة آلاف فارس ؛ ثم المُتَرَجِّلَة الرُّماة بالقِسِيّ بالأيدي والأرجل ، وتكون عِدَّتهم قريبًا من ألف . ثم الراجِل من الطَّوائِف الذين قدَّمنا ذكرهم في الركوب [b]ـ يعني الجُيوشية والرَّيْحانية[b] ـ فتكون عِدَّتُهم قريبًا من سبعة آلاف ، كلٌّ منهم بزمام وبُنُود ورايات وغيرها ، بترتيب مَليح مستحسن .

ثم يأتي زِيُّ الوَزير مع وَلَده أو أَحَد أقاربه ، وفيه جَماعَته وحاشيته في جَمْع عَظيم وهيئة هائلة . ثم زِيُّ صاحِب الباب وهم أصحابه وأجناده ونُوَّابُ الباب وسائِر الحُجَّاب . ثم يأتي زِيُّ إسْفِهْسَلار العساكِر بأصحابه وأجناده في عِدَّة وافرة . ثم يأتي زِيُّ والي القاهِرَة ، وزِيُّ والي مصر .

فإذا فَرَغا خَرَجَ الخَليفَةُ من الباب ، والوقوف بين يديه مُشاةٌ في ركابه ، خارِجًا عن صِبْيان رِكابِه الخاصّ . فإذا وَصَلَ إلى باب الزُّهُومَة بالقصر ، انعطف على يساره داخلًا من الدَّرْب هناك ، جائِزًا على الخُوَخ .

فإذا وَصَلَ إلى باب الدَّيْلَم الذي داخِله المَشْهَد الحُسَيْني ، فيجد في دِهْليز ذلك الباب قاضي القُضَاة والشُّهود ، فإذا وازاهُم خَرَجوا للخِدْمَة والسَّلام عليه ، فيُسَلِّم القاضي كما ذَكَرْنا من تَقْبيل رِجْله الواحِدَة التي تليه ، والشُّهود أمام رأس الدَّابَّة بمِقْدار قَصَبَة . ثم يعودون ويَدْخُلون من ذلك الدِّهْليز إلى الإيوان الكبير ، وقد عُلِّقَ عليه السُّتور القُرْقُوبية جميعه على سَعَتِه وغير القُرْقُوبية سترًا فسترًا ، ثم يعلَّق بدائره على سَعَتِه ثلاثة صُفوف : الأَوْسَط طَوارِق فارسيات مدهونة ، والأَعْلى والأَسْفَل دَرَق ، وقد نُصِبَ كُرْسي الدَّعْوَة وفيه تِسع درجات لخَطابَة الخَطيب في هذا العيد ، فيَجْلِسُ القاضي والشُّهود تحته ، والعالم من الأُمَرَاء والأَجْناد والمتشيِّعين ومن يَرَى هذا الرأي من الأكابِر والأَصَاغِر .

فيَدْخُل الخَليفَةُ من باب العيد إلى الإيوان إلى باب المُلْك ، فيجلس بالشُّبَّاك وهو ينظر القَوْمَ ، ويَخْدمه الوَزيرُ عندما ينزل ، ويأتي هو ومن معه فيَجْلس بمُفْرَدِه على يَسَار مِنْبَر الخَطيب ، ويكون قد سُيِّرَ لخَطيبه بَدْلَةٌ حريرية[c] يَخْطُب فيها ، وثلاثون دينارًا ، ويُدْفَع له كُرَّاس محرَّر من ديوان

---

a) بولاق : لأنهم في خدمة الخليفة وقوف . b-b) زيادة من مسودة المواعظ . c) بولاق : حرير .

الإنْشَاء يتضمَّن نَصّ الخِلافَة من النَّبِيّ ﷺ إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ بزَعْمِهِم.

فإذا فَرَغ ونَزَل، صَلَّىٰ قاضي القُضَاة بالنَّاس رَكْعَتَيْن. فإذا قُضِيت الصَّلاةُ قامَ الوَزِيرُ إلى الشُّبَّاك فيخدم الخَلِيفَة ويمضي[a]، ويَنْفَضّ النَّاسُ بعد التهاني من الإسْماعيلية بعضهم بعضًا. وهو عندهم أعْظَمُ من عيد النَّحْر، ويَنْحَرُ فيه أكثرُهم[1].

قَالَ: وكان الحافِظُ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد، لمَّا سَلِمَ من يد أبي عليّ بن الأَفْضَل ـ الملقَّب كُتَيْفَات ـ لمَّا وَزَرَ له وخَرَجَ عليه /، عمل عيدًا في ذلك اليوم ـ وهو السَّادس عشر من المحرَّم ـ من غير رُكُوب ولا حَرَكَة، بل إنَّ الإيوان باقٍ على فَرْشه وتعليقه من يوم الغَدير[2]. فيُفْرَش المجلس الخَرَاب[b] اليوم في الإيوان الذي بابه خَوَرْنَق ـ وكان يُقابِل الإيوان الكبير الذي هو اليوم خَزائِن السِّلاح ـ بأحسن فَرْش، ويُنْصَب له مَرْتَبَةٌ هائلة قريبًا من باذَهَنْجه، فيجتمع أرْبابُ الدولة سَيْفًا وقَلَمًا، ويحضرون إلى الإيوان إلى باب المُـلْك المجاور للشُّبَّاك[3].

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: المحول.

[1] ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٨٦- ١٨٩؛ المقريزي: المسودة ٨٤- ٨٧.

[2] يُعْرَف هذا العيد بعيد النُّصْر. انظر فيما يلي ٥٩٣.

ونظرًا لأنَّ الحافظ عبد المجيد لم يكن أبوه إمامًا فقد قُرِئَ سجلٌّ مؤرَّخ في ٣ ربيع الآخر سنة ٥٢٦هـ/ ٢٣ فبراير سنة ١١٣٢م بمبايعته إمامًا (بعد أن كان وليّ عَهْدٍ كفيلٍ لمن يُذْكر اسمه). ويدور هذا السجل الذي حفظه لنا القلقشندي (صبح الأعشى ٩: ٢٩١-٢٩٧) حول فكرة أن الآمر أوصى بالإمامة إلى ابن عمه عبد المجيد تمامًا مثلما عقد النبي ﷺ الولاية لابن عمه عليّ بن أبي طالب في غدير خُمّ (انظر Sanders, P., «Claiming the Past: Ghadir Khumm and the Rise of Hâfizî Historiography in Late Fatimid Egypt», *SI* 75 (1992), pp. 81-104؛ أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٢٥١-٢٥٢).

[3] الشُّبَّاك موضع بالقصر الكبير الشرقي كان يتوصل إليه من باب العيد عن طريق الدهاليز الطوال، وهو أشبه بمقصورة عليها من ظاهرها ستر، يرفعه متى حضر الوزير وجلس على الكرسي الحديد الموجود تحت الشباك، زمام القصر وصاحب بيت المال، وفور رفعها يُرى الخليفة جالسًا في المرتبة الهائلة به. وكان الشُّبَّاك يقع بين الإيوان والسهدلا بالقصر. ولم يكن الجلوس بالشُّبَّاك من مفردات الدولة الفاطمية بل عرف للعباسيين أيضًا، فمن بين ما أرسله البساسيري إلى القاهرة سنة ٤٥٠هـ الشباك الذهب الذي كان يجلس فيه الخليفة القائم العباسي. فلما شَيَّد الأفضل شاهنشاه دار الوزارة الكبرى جعل هذا الشُّبَّاك بها. (أيمن فؤاد: مقدمة نزهة المقلتين لابن الطوير ٩٧* – ٩٨* وفيما يلي ٤٤١).

فيَخْرُج الخَليفَةُ راكِبًا إلى المجْلس، فيترجَّل على بابه وبين يديه الخَواصُّ، فيجلس على المرتبة، ويقفون بين يديه صَفَّيْن إلى باب المجْلِس، ثم يجعل قُدَّامه كرسي الدَّعْوَة وعليه غِشاءٌ قُرْقُوبِيٌّ، وحَواليه الأُمَرَاءُ الأعيانُ وأرْبابُ الرُّتَب. فيَصْعَد قاضي القضاة ويُخْرج من كُمِّه كُرَّاسَةً مُسَطَّحَةً تتضمَّن فُصولًا كـ«الفَرَج بعد الشِّدَّة» بنَظْم مَليح، يذكر فيه كلَّ من أصابَه من الأنبياء والصَّالحين والملوك شِدَّةٌ وفَرَّجَ الله عنه، واحِدًا فواحِدًا، حتى يصل إلى الحافِظ، وتكون هذه الكُرَّاسَة محمولة من ديوان الإنْشاء. فإذا تكامَلَت قراءَتها، نَزَلَ عن المنبر ودَخَلَ إلى الخَليفَة، ولا يكون عنده من الثِّياب أجَلّ ممَّا لبسه، ويكون قد حُمِلَ إلى القاضي قبل خَطابَتِه بَدْلَة مميَّزة يلبسها للخَطابَة، ويُوَصَّل إليه بعد الخَطابَة خمسون دينارًا [١].

وقال الأميرُ جَمال المُـلْك أبو عليّ موسىٰ بنُ المـأْمون أبي عبد الله محمد بن فاتِك بن مُخْتار البَطائِحي في «تاريخه»: واستهلَّ عيدُ الغَدير ـ يعني من سنة ستّ عشرة وخمس مائة ـ وهاجَرَ إلى باب الأجَلّ ـ يعني الوَزيرَ المأمُون البَطائِحي ـ الضُّعَفاءُ والمساكين من البلاد، ومن انضمَّ إليهم من العَوالي والأدْوان، على عادَتِهم في طَلَب الحَلال وتَزْويج الأَيامىٰ، وصارَ مَوْسِمًا يَرْصُدُه كلُّ أَحَدٍ، ويرتقبه كلُّ غَني وفقير فَجَرَىٰ في مَعْروفه على رَسْمه، وبالَغ الشُّعَراءُ في مَدْحه بذلك.

ووَصَلَت كُسْوَةُ العيد المذكور، فحُمِلَ ما يختصُّ بالخَليفَة والوَزير، وأُمِرَ بتفرقة ما يختصّ بأَزِمَّة العساكِر فارِسها وراجِلها، من عَيْنٍ وكُسْوَة. ومبلغ ما يختصُّ بهم من العَيْنْ سبع مائة وتسعون دينارًا، ومن الكُسْوات مائة وأربع وأربعون قطعةً. والهِبَةُ المختصَّة بهذا العيد برَسْم كُبَرَاء الدَّوْلَة وشُيوخِها وأُمَرَائِها وضُيوفِها، والأُسْتاذين المحَنَّكين والمُمَيَّزين منهم، خارِجًا عن أوْلاد الوَزير وإخوته. ويُفَرَّق من مال الوَزير بعد الخَـلْع عليه ألفان وخمس مائة دينار وثمانون دينارًا، وأُمِرَ بتعليق جَميع أبواب القُصور، وتفرقة المؤَذِّنين بالجوامع والمساجِد عليها، وتقدَّم بأن تكون الأَسْمِطَة بقاعَة الذَّهَب على حُكْم سِماط أوَّل يوم من عيد النَّحْر.

---

[٤] ابن الطوير: نزهة المقلتين ٣٤– ٣٥. ومن أشهر هذه الكتب كتاب «الفرَج بعد الشِّدَّة والضِّيقَة» لأبي الحسن عليّ ابن محمد المدائني وكتاب «الفَرَج بعد الشِّدَّة» لأبي بكر عبد الله بن محمد المعروف بابن أبي الدُّنْيا وآخر للقاضي أبي الحسين عمر بن محمد بن يوسف الأزدي، ثم كتاب «الفَرَج بعد الشِّدَّة» للقاضي أبي علي المحَسِّن بن علي التَّنوخي المتوفى سنة ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م. ولم تصل إلينا الكتب الثلاثة الأولى بينما وَصَلَ إلينا كتاب التَّنوخي وطُبع أكثر من مرَّة أتمّها وأضْبَطها نشرة عبُّود الشالجي في خمسة أجزاء صدرت في بيروت سنة ١٩٧٨.

وفي باكِر هذا اليوم، تَوَجَّه الخَليفَةُ إلى المَيْدان، وذَبَحَ ما جَرَت به العادَة، وذَبَحَ الجَزَّارون بعده مثل عَدَدِ الكِباش المذبوحة في عيد النَّحْر، وأمر بتَفْرِقَة ذلك للخُصوص دون العُموم. وجَلَسَ الخَليفَةُ في المَنْظَرَة، وخَدَمَت الرَّهَجِيَّةُ [1]، وتقدَّم الوَزيرُ والأُمَرَاءُ وسَلَّموا، فلمَّا حانَ وَقْتُ الصَّلاة والمؤذِّنون على أبواب القصر يُكَبِّرون تكبير العيد، إلى أن دَخَلَ الوَزيرُ فوَجَدَ المِنْبَر قد هُيِّئ [a]، فتقدَّم القاضي أبو الحَجَّاج يوسُف بن أيُّوب فصلَّى به وبالجماعة صَلاة العيد، وطَلَعَ الشَّريفُ بن أَنَس الدَّوْلَة وخَطَبَ خُطْبَة العيد.

ثم تَوَجَّه الوَزيرُ إلى باب المُلْك، فوَجَدَ الخَليفَة قد جَلَسَ قاصِدًا للقائه، وقد ضُرِبتَ المَقْرَمَة، فأَمَرَه بالمُضِيّ إليها، وخَلَعَ عليه خِلْعَةً مكمَّلة من بَدْلات النَّحْر، وثوبُها أحمر بالشَّدَّة الدَّائِمِيَّة، وقَلَّده سَيْفًا مرصَّعًا بالياقوت والجَوْهَر، وعندما نَهَضَ ليقبِّل الأرض، وَجَدَه قد أعَدَّ له العِقْد الجَوْهَر، وربطه بيده في عُنُقه، وبالَغ في إكرامه.

وخَرَجَ من باب المُلْك، فتلقَّاه المقربُون، وسارَع النَّاسُ إلى خِدْمَتِه، وخَرَجَ من باب العيد وأولاده وإخوته والأُمَرَاء المُمَيَّزون [b] تحجبه. وخَدَمَت الرَّهَجِيَّةُ وضربت الغَرِيبَة [c] [2]، والموكب جَميعه بزيِّه وقد اصطفَّت العساكرُ، وتقدَّم إلى وَلَده بالجُلُوس على أسْمِطَته وتَفْرِيقها [d] بِرُسُومها.

وتَوَجَّه إلى القصر واستفتح المُقْرِئون، فسَلَّم الحاضرون، وجرى الرَّسْمُ في السِّماط الأوَّل والثاني وتفرقة الرُّسوم والموائِد، على حُكْم أوَّلِ يوم من عيد النَّحْر. وتَوَجَّه الخَليفَةُ بعد ذلك إلى السِّماط الثَّالث الخاصّ بالدار الجَدِيدَة [e] لأقاربه وجُلسائه.

ولمَّا انقضى حُكْم التعييد، جَلَسَ الوزيرُ [f] في مجلسه، واستفتح المُقْرِئون، وحَضَرَ الكُبَرَاءُ وبياضُ البلدين للهَناء [g] بالعيد والخِلَع، وخَرَجَ الرَّسْمُ وتَقَدَّم الشُّعراءُ فأنشدوا وشَرَحوا الحال،

a) بولاق: فوجد الخطيب على المنبر قد فرغ. b) بولاق: المقربون. c) بولاق: العربية. d) بولاق: تفرقتها. e) بولاق: الجليلة. f) مسودة المواعظ: الأجل. g) بولاق: لتهنئ.

[1] الرَّهَجِيَّةُ. جماعةٌ كانت تخدم أمام الخليفة في المواكب الاحتفالية، وأحيانًا كانت تخدم أمام الوزير في بعض الاحتفالات، كما كانت تقوم بنفس العمل إذا ركب الخليفة عُشاري في النيل، كما كانوا بين من يتولون حراسة القصر الفاطمي ومنظرة اللؤلؤة عندما يتواجد فيها الخليفة. وكان لهم زمام يعرف دائمًا بسنان الدولة بن الكركندي كان يتلقى الخلع في المناسبات عن زم الرَّهجية والمبيت على أبواب القصور (أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٧٢٢).

[2] الغريبة. بوقٌ لطيف مُعْوَج الرأس مُتَّخذ من الذهب صوته مخالف لصوت الأبواق (ابن المأمون: أخبار مصر ٤٣س ١٦، ٧٦ س ١٤، ٨٦ س٨؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٥٠٣، وفيما يلي ٤٧٣، ٤٨٤).

وحَضَرَ متولِّي خَزائِن الكُسْوَة الخاصّ بالثِّياب التي كانت على المأمون قبل الخَلْع ، وقبَضُوا الرَّسْم الجاري به العادَة وهو مائة دينار ، وحَضَرَ متولِّي بَيْت المال وصحبته صندوق فيه خمسة آلاف دينار برَسْم فِكاك العِقْد الجَوْهَر والسَّيْف المُرَصَّع ؛ فَأَمَرَ الوَزيرُ المأمونُ الشَّيْخَ أبا الحَسَن بن أبي أُسامَة ، كاتِبَ الدَّسْت الشَّريف ، بكَتْب مُطالعةٍ إلى الخَليفَة بما حُمِلَ إليه من المال برَسْم مِنْديل الكُمّ ، وهو ألف دينار ، ورَسْم الإخْوَة والأقارِب ألف دينار ، وتسلَّم مُتَوَلِّي الدِّيوان[a] بقيَّة المال ليفرِّق على الأُمَرَاء المُطَوَّقين والمُمَيَّزين والضُّيوف والمُسْتَخْدَمين[١].

ذِكْـرُ[b] المُـحَوَّل

قال ابنُ عبد الظَّاهِر : المُحَوَّل هو مَجْلِس الداعي ، ويُدْخَلُ إليه من باب الرِّيح ، وبابُه من
٣٩ باب البَحْر /، ويُعْرَف بقصر البَحْر . وكان في أوقات الاجتماع يُصَلِّي الدَّاعي بالنَّاس في رِواقه[٢].

وقال المُسَبِّحيّ : وفي رَبيع الأوَّل - يعني من سنة خمسٍ وثمانين وثلاث مائة - جَلَسَ القاضي محمد بن النُّعْمان على كرسي بالقصر لقِراءَة عُلوم آل البيت ، على الرَّسْم المعتاد المتقدِّم له ولأخيه بمصر وأبيه[c] بالمغرب ، فماتَ في الزَّحْمَة أَحَدَ عشر رجلًا فكَفَّنَهم العَزيزُ بالله[٣].

وقال ابنُ الطُّوَيْر : وأمّا داعي الدُّعاة فإنّه يلي قاضي القُضاة في الرُّتْبَة ، ويتزيّا بزِيّه في اللِّباس وغيره[٤]. ووَضْعُه أنّه يكون عالِمًا بجميع مَذاهِب أَهْل البيت يُقْرَأ عليه ، ويَأْخُذ العَهْدَ على من ينتقل من مَذْهَبِه إلى مَذْهَبِهم ، وبين يَدَيْه من نُقباء المُؤْمنين[d] اثنا عشر نَقيبًا ، وله نُوّابٌ كنُوّاب الحُكْم في سائر البلاد ، ويحضر إليه فُقَهاءُ الدولة ، ولهم مكانٌ يُقال له «دارُ العِلْم»[٥]، ولجماعَةٍ منهم على التَّصْدير بها أَرْزاقٌ واسعة .

---

a) بولاق : الدولة . b) ساقطة من بولاق . c) بولاق : لأبيه . f) بولاق : المعلمين .

---

[١] ابن المأمون : أخبار مصر ٤٢ - ٤٤؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٨٨ - ٩١.

[٢] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٢٧؛ المقريزي : المسودة ٨١.

[٣] المسبحي : نصوص ضائعة ١٤؛ المقريزي : اتعاظ ١: ٢٨٥ ، ومسودة المواعظ ٩١ ، وفيما يلي ٢: ٢٢٦.

[٤] القلقشندي : صبح الأعشى ٣: ٤٨٣.

[٥] عن دار العلم انظر فيما يلي ٢: ٥٠٢ - ٥٠٨.

وكان الفُقَهاءُ منهم يَتَّفِقون على دَفْترٍ يُقال له «مَجْلِس الحِكْمَة»[١]، في كلِّ يوم اثنين وخميس، ويحضر مُبَيَّضًا إلى داعي الدُّعاة فينفذه إليهم، ويأخذه منهم ويدخل به إلى الخَليفَة في هذين اليومين المذكورين، فيتلوه عليه إن أمكن، ويأخذ عَلامَتَه[٢] بظاهِره، ويَجْلِس بالقصر لِتلاوته على المؤمنين في مكانين: للرجال على كُرْسي الدَّعْوَة بالإيوان الكبير، وللنِّساء بمَجْلِس الدَّاعي وكان من أعظم المباني وأَوْسَعها.

فإذا فَرَغ من تِلاوَتِه على المؤمنين والمؤمنات حَضَرُوا إليه لتَقْبيل يديه، فيَمْسَح على رؤوسهم بمكان العَلامَة ـ أعني خَطّ الخَليفَة ـ وله أَخْذ «النَّجْوى»[٣] من المؤمنين بالقاهِرَة ومصر وأعمالِهما

a) بولاق: ووصفه.

[١] مجالس الحِكْمَة أو الحِكَم. هي المجالسُ التي كان يعدها ويلقيها مرتين في الأسبوع داعي الدعاة باسم الخليفة على المؤمنين سواء في المُحَوَّل (وهو مجلس الدَّاعي بالقصر) أو على كرسي الدَّعْوة بالإيوان الكبير أو في الجامع الأزهر. وقد جاء في سجل أورده علي بن خلف في «مواد البيان» بالدعوة للدولة والمشايعة لها والموافقة على مذهبها، أمر الخليفة إلى الداعي يقول: «واتْلُ مجالس الحِكَم التي تخرج إليك في الحضرة على المؤمنين والمؤمنات والمستجيبين والمستجيبات في قصور الخلافة الزاهرة والمسجد الجامع بالمعزية القاهرة»... «واقبض ما يحمله المؤمنون لك من الزكاة والنجوى والأخماس والقُرُبات وما يجري هذا المجرى». (مواد البيان ٥٨٧، ٥٨٨، القلقشندي: صبح ١٠: ٤٣٧، ٤٣٨).

وكانت هذه المجالس من مفردات الدولة الفاطمية وأبطلها السلطان صلاح الدين في سنة ٥٦٦ ضمن خِطَّة الإصلاح السني التي بدأها في هذه السنة. (المقريزي: اتعاظ ٣: ٣٢٠).

ومن أشهر هذه المجالس «المَجَالِس المؤيدية» وهي ثمان مائة مجلس ألقاها المؤيد في الدين هبة الله الشّيرازي داعي الدُّعاة في فترة توليه الدعوة بين سنتي ٤٥٠ و٤٧٠هـ، نُشِرت المائة مجلس الأولى منها في لاهور بباكستان سنة ١٩٧٨ ثم نشر مصطفى غالب ثلاث مائة مجلس منها في بيروت، دار الأندلس ١٩٨٢ ـ ١٩٨٤، وكذلك «المجالس المستنصرية» للداعي الموسوم بعلم الإسلام ثقة الإمام عبد الحكيم بن وهب المليجي والمنسوبة خطأً إلى بدر الجمالي، وقد نشرها محمد كامل حسين في القاهرة ـ دار الفكر العربي ١٩٤٦. وراجع نماذج لهذه المجالس عند محمد كامل حسين: في أدب مصر الفاطمية ٥٤-٦٢. أما كتاب «المجالس والمسايرات» للقاضي النعمان بن حَيُّون (تونس ١٩٧٨) فهو أشبه بتقرير عن المجالس التي كان يحضرها الخليفة المعز. (راجع Madelung, W., *EI*², art. Madjlis V, p. 1029؛ أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٥٧٤-٥٨٣).

[٢] عن العلامة. انظر فيما يلي ٣٣٨.

[٣] النَّجْوى. اتخَذَها الإسماعيليون من قوله تعالى: ﴿يأيُّها الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [الآية ١٢ سورة المجادلة] (أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٣٤٠-٣٤٢).

وهنا حاشية بخط المؤلِّف نَصُّها: والأصل في النجوىٰ ما خَرَّج الحاكم من حديث جرير عن منصور عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: قال عليّ بن أبي طالب ـ=

لاسيَّما الصَّعيد، ومبلغها ثلاثة دَراهِم وثُلْث، فيجتمع من ذلك شيءٌ كثيرٌ يحمله إلى الخَليفَة من يده[a] بينه وبينه، وأمانته في ذلك مع الله تعالى، فيَفْرِض له الخَليفَة منه ما يعينه لنفسه وللنُّقَباء. وفي الإسماعيلية المُمَوِّلين من يحمل ثلاثة وثلاثين دينارًا وثُلُثَيْ دينار على حُكْم النَّجْوَىٰ، وصُحْبَة ذلك رُقْعَة مكتوبة باسمه، فيتميَّز في المُحَوَّل، فيخرج له عليها خَطُّ الخَليفَة: «بارَكَ الله فيك وفي مالِك ووَلَدِك ودِينك»، فيُدْخِر ذلك ويُفاخِر[b] به.

وكانت هذه الخِدْمَةُ متعلِّقَةً بقومٍ يُقالُ لهم بَنُو عَبْد القَوِي، أبًا عن جَدٍّ، آخرهم الجَليس. وكان الأَفْضَلُ ابن أَمير الجُيوش نَفاهُم إلى المغرب، فوُلِدَ الجَليسُ بالمغرب ورُبِّي به وكان يميلُ إلى مَذْهَب أهل السُّنَّة، ووَلِيَ القَضاء مع الدَّعْوَة، وأدركه أَسَدُ الدِّين شيركوه وأكرمه، وجَعَلَه واسِطَةً عند الخَليفَة العاضِد، وكان قد حَجَرَ على العاضِد، ولولاه لم يبق في الخَزائِن شيءٌ لكرمه، وكأنَّه عَلِمَ أنَّه آخِر الخُـلَفَاء[1].

قال المُسَبِّحِي: وكان الدَّاعي يُواصِلُ الجُلوس بالقصر لقِراءَة ما يُقرأ على الأَوْلِياء والدَّعاوَىٰ المُتَّصلة، فكان يُفْرِد للأَوْلِياء مَجْلِسًا، وللخاصَّة وشُيوخ الدَّوْلَة ومن يختصّ بالقصور من الخَدَم وغيرهم مَجْلِسًا، ولعَوامِّ النَّاس وللطارِئين على البلد مَجْلِسًا، وللنِّسَاء في جامِع القاهِرَة المعروف بالجامِع الأَزْهَر مَجْلِسًا، وللحَرَم وخواصِّ نِساء القُصور مَجْلِسًا.

وكان يَعْمَلَ المَجالِس في داره، ثم يُنْفِذُها إلى من يَخْتَصّ بخِدْمَة الدولة، ويتَّخِذ لهذه المَجالِس كُتَّابًا[c] يبيِّضونها بعد عَرْضها على الخَليفَة. وكان يَقْبِض في كلِّ مَجْلس من هذه المجالِس ما يُتَحَصَّل من النَّجْوَىٰ من كلِّ من يَدْفَع شيئًا من ذلك عَيْنًا ووَرِقًا من الرجال والنِّساء، ويَكْتُب أسْماء من يدفع شيئًا على ما يدفعه، وكذلك في عيد الفِطْر يَكْتُب ما يُدْفَع عن الفِطْرَة، ويَحْصُل

---

a) بولاق: بيده. b) بولاق: ويتفاخر. c) بولاق: كتبا.

=رضي الله عنه - إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد ولا يعمل بها أحد بعدي، آية النجوى ﴿يأيُّها الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ الآية. كان عندي دينار أرفقته بعشرة دراهم فناجيت النبيَّ ﷺ، فكنت كلما ناجيت النبيّ - عليه السَّلام - قدَّمت بين يديْ نجواي درهمًا، ثم نسخت فلم يعمل بها أحد ونزلت ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَـٰتٍ﴾ الآية [الآية ١٣ سورة المجادلة]. قال: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين.

[1] ابن الطوير: نزهة المقلتين ١١٠- ١١٢؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٩١- ٩٤.

من ذلك مالٌ جَليلٌ يُحمَل[a] إلى بَيْت المال شيئًا بعد شيء، وكانت تُسَمَّى مَجالِسُ الدَّعْوَة «مَجالِس الحِكْمَة»[1].

وفي سنة أربع مائة كُتِبَ سِجِلٌّ عن الحاكِم بأَمْر الله فيه رَفْع الخُمْس والزَّكاة والفِطْرَة والنَّجْوىٰ التي كانت تُحْمَل، ويُتَقَرَّب بها، وتجرى على أيدي القُضاة. وكُتِبَ سِجِلٌّ آخَر بقَطْعِ مَجالِس الحِكْمَة التي تُقْرأ على الأَوْلياء يوم الخَميس والجُمُعَة[2]، انتهى.

ووَظِيفَةُ داعي الدُّعاة كانت من مُفْردات الدَّوْلَة الفاطِميَّة. وقد لَخَّصْتُ من أَمْر الدَّعْوَة طَرَفًا أَحْبَبْتُ إيراده هنا[3].

وَصْفُ الدَّعْوَة وتَرْتِيبُهَا

وكانت الدَّعْوَةُ مُرَتَّبةً على منازِل، دَعْوَةً بعد دَعْوَةٍ.

الدَّعْـوَةُ الأولى ـ سُؤال الدَّاعي لمن يدعوه إلى مَذْهَبه عن المُشْكلات، وتأويل الآيات، ومَعاني الأُمور الشَّرْعِيَّة، وشيء من الطَّبيعيات ومن الأمُور الغامِضَة، فإن كان المدعو عارِفًا[b] سلَّمَ له الدَّاعي، وإلَّا تركه يُعْمل فكره فيما أَلْقاه عليه من الأسئلة، وقال له: يا هذا إنَّ الدين لمكتوم، وإن الأكثرَ له مُنْكِرون وبه جاهِلون، ولو عَلِمَت هذه الأُمَّة ما خَصَّ الله به الأئمة من العِلْم لم تختلف؛ فيتَشَوَّق[c] حينئذٍ المَدْعُو إلى معرفة ما عند الدَّاعي من العِلْم، فإذا علم منه الإقبال، أَخَذَ في ذكر مَعاني القرآن[d] وشَرائِع الدِّين [e]وتَنْزيل الآيات[e]، وتَقْرير أنَّ الآفَةَ التي نَزَلَت بالأُمَّة وشتَّت الكَلِمَة؛ وأَوْرَثت الأَهْواء المُضِلَّة، ذَهابُ الناس عن أَئِمَّة نُصِبُوا لهم، وأُقِيموا حافِظِين لشَرائِعهم يؤدُّونها على حَقيقتها[f]، ويَحْفَظون معانيها ويَعْرِفون بَواطِنَها.

---

a) بولاق: يدفع. b) المسودة: فإن اتفق له مجيب عارف جدل. c) المسودة: فيتطلع. d) بولاق: القراءات. e-e) زيادة من المسودة. f) المسودة: حقائقها.

---

[1] المسبحي: نصوص ضائعة ٣٩.

[2] نفسه ٣٩؛ المقريزي: اتعاظ ٢: ٨٢.

[3] لم يشر المقريزي في هذا الفصل إلى المصدر الذي نقل عنه هذه المعلومات، واكتفى بالإشارة في نهايته إلى أنه اختصره من مؤلَّفات الإسماعيلية التي لم يحدد عناوينها. ونقل هذا الفصل إلى الفرنسية قبل نحو مائتي عام سلفستر دي ساسي في كتابه عن دين الدروز، ثم أعاد نقله إلى الفرنسية كذلك بول كازانوفا مع تعليقات غنية ونشره سنة ١٩٢١ في مجلة المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة Casanova, P., «La doctrine secrète des Fatimides d'Égypte», *BIFAO* XVIII (1921), pp. 121-65، وانظر أيضًا المقريزي: مسودة المواعظ ٩٥- ١١١.

غير أنَّ الناسَ لمَّا عَدَلوا عن الأئمة ، ونَظَرُوا في الأُمور بعقولهم ، واتَّبعوا ما حَسُنَ في رأْيهم ، وقلَّدوا سِفْلَتَهم[a]، وأطاعوا سادَتَهم وكُبراءهم أتباع الملوك[b]، وطَلَبًا للدنيا التي هي أيدي متَّبعي الإثْم وأجْناد الظَّلَمَة وأعوان الفَسَقَة ، الذين يُحِبُّون العاجِلَة ، ويجتهدون في طَلَبِ الرِّياسَة على
٣٩ الضُّعفاء/، ومُكايَدَة رَسول الله ﷺ في أُمَّتِه ، وتغيير كِتاب الله عَزَّ وجَلّ ، وتَبْديل سُنَّة رَسُول الله ﷺ ، ومُخالَفَة دَعْوَته ، وإفْساد شريعته ، وسُلوك غير طريقته ، ومُعانَدَة الخُلَفاء الأئمة من بعده تَحَيَّر من قبل ذلك ، وصارَ النَّاسُ إلى أنواعِ الضَّلالات .

فإنَّ دينَ محمدٍ ﷺ ما جاءَ بالتحلِّي ، ولا بأماني الرجال ، ولا شَهَوات النَّاس ، ولا بما خَفَّ على الألْسِنَة وعرفته دَهْماء العامَّة . ولكنه صَعْبٌ مُسْتَصْعَب ، وأَمْرٌ مستقبل ، وعِلْمٌ خفيّ غامِض سَتَرَه الله في حُجُبِه ، وعَظُمَ شأنُه عن ابتذال أسْراره . فهو سِرُّ الله المكتوم ، وأَمْرُه المستور الذي لا يُطيق حمله ، ولا ينهض بأعبائه وثِقَله إلَّا مَلَكٌ مُقَرَّب ، أو نَبِيٌّ مُرْسَل ، أو عَبْدٌ مُؤمن امْتَحَنَ الله قلبه للتقوى[c]؛ فإذا ارتبط المَدْعو على الداعي وأَنِسَ له ، نَقَلَه إلى غير ذلك .

فمن مَسائِلِهم : ما معنى رَمْي الجِمار والعَدْو بين الصَّفا والمَرْوَة ، ولِمَ كانت الحائِضُ تقضي الصَّوْم ولا تقضي الصَّلاة ، وما بالُ الجُنُب يَغْتَسِل من ماءٍ دافِقٍ يَسير ولا يَغْتَسِل من البَوْل النَّجِس الكثير القَذَر ، وما بالُ الله خَلَقَ الدُّنيا في ستة أيام ، أَعَجَزَ عن خَلْقِها في ساعَةٍ واحدةٍ ؟ وما معنى الصِّراط المضروب في القرآن مَثَلًا ، والكاتِبَيْن الحافِظَيْن ، وما لنا لا نَراهما ، أخافَ رَبُّنا أن نُكابِرَه ونُجاحِدَه حتى أذكى[d] العيون ، وأقامَ علينا الشُّهود ، وقَيَّدَ ذلك في القِرْطاس بالكتابة ؟

وما تبديلُ الأرض غير الأرض ، وما عَذابُ جَهَنَّم ، وكيف يصحّ تبديلُ جِلْدِ مُذْنِبٍ بجِلْدٍ لم يُذنب حتى يُعَذَّب ، وما معنى ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَـٰنِيَةٌ﴾ [الآية ١٧ سورة الحاقة] ، وما إبْليس ، وما الشَّياطين ، وما وُصِفُوا به وأين مُسْتَقَرّهم ،وما مِقْدار قَدْرهم ؟ وما يأْجُوج ومأْجُوج وهَارُوت ومَارُوت ، وأين مستقرُّهم ؟ وما سبعة أبْواب النَّار ؟ وما ثمانية أبْواب الجَنَّة ؟ وما شجرة الزَّقُّوم النابتة في الجَحيم ؟ وما دابَّةُ الأرض ورؤوس الشَّياطين والشَّجَرَة الملعونة في القرآن ، والتِّين والزَّيْتُون ؟

وما الخُنَّس الكُنَّس ، وما معْنى (الٓمٓ) و(الٓمٓصٓ) [الآية ١ سورة البقرة وسورة الأعراف] ، وما معنى ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [الآية ١ سورة مريم] ؛ و﴿حمٓ * عٓسٓقٓ﴾ [الآيتان ١ ، ٢ سورة الشورى] ؟ ولِمَ جُعِلَت

---

a) المسودة : وسمعوه من سفلتهم . b) بولاق : اتباعا للملوك . c) مسودة المواعظ : للإيمان . d) بولاق : أدلى .

السَّمٰوٰاتُ سَبْعًا ، والأرضون سبعًا ، والمثاني من القُرآن سَبْع آيات ، ولمَ فُجِّرَت العُيونُ اثنتي عشرة عينًا ، ولِمَ جُعِلَت الشُّهور اثني عشر شهرًا ، وما يعمل معكم عِلْمُ[a] الكِتاب والسُّنَّة ، ومعاني الفَرائِض اللازمة ؟

فَكِّروا أوَّلًا في أنفسكم : أين أرْواحُكم ، وكيف صُوَرُها ، وأين مستقرُّها ، وما أوَّلُ أمْرِها ، والإنْسان ما هو ، وما حَقيقَته ، وما الفَرْق بين حَياتِه وحَياة البَهائِم ، وفَضْلُ ما بين حَياة البَهائم وحَياة الحَشَرات ، وما الذي بانَت به حَياةُ الحَشَرات من حَياة النَّبات ؟ وما مَعْنَى قَوْلِ رَسُول الله ﷺ : «خُلِقَت حَوَّاءُ من ضِلْعِ آدَم»؟ وما معنى قولِ الفَلاسِفَة : الإنْسانُ عالَمٌ صغيرٌ ، والعالَمُ إنسانٌ كبيرٌ ؟ ولم كانت قامَةُ الإنْسان مُنْتَصِبَة دون غيره من الحَيوانات ، ولم كان في يديه من الأصابع عَشْر ، وفي رجليه عَشْر أصابع ، وفي كلِّ إصبُع من أصابع يديه ثلاثة شُقوق ، إلَّا الإبْهام فإنَّ فيه شقَّيْنِ فقط ؟ ولِمَ كان في وَجْهه سَبْع ثُقوب وفي سائِر بَدَنِه ثُقْبان ، ولم كان في ظَهْرِه اثنتا عشرة عُقْدَه وفي عُنُقه سَبْع عُقَد ، ولِمَ جُعِل رأسُه[b] صورة ميم ، ويداه حَاء ، وبطنه ميمًا ، ورجلاه دالًا ، حتى سارَ ذلك كِتابًا مَرْسومًا يُتَرْجِم عن محمد ؟ ولم جُعِلَت قامَتُه إذا انتصب صُورَة ألف ، وإذا رَكَع صارَت صُورَة لام ، وإذا سَجَدَ صارَت صُورَة هاء ، فكان كِتابًا يدلُّ على الله ؟ ولم جُعِلَت أعْدادُ عِظام الإنسان كذا ، وأعْدادُ أسنانه كذا ، والأَعْضَاءُ الرئيسة كذا ؟ إلى غير ذلك من التَّشْريح والقَوْل في العُروق والأَعْضاء ووُجوه مَنافِع الحَيَوان .

ثم يقول الدَّاعي : ألا تتفكَّرون في حالِكم وتعتبرون ، وتعلمون أنَّ الذي خَلَقَكم حكيمٌ غير مُجازِف ، وأنَّه فَعَلَ جميعَ ذلك لحِكْمَة ، وله فيها أسْرارٌ خَفِيَّة حتى جَمَعَ ما جَمَعَ وفَرَّق ما فَرَّق ؟ فكيف يَسَعُكم الإعْراضُ عن هذه الأُمُور وأنتم تسمعون قول الله عَزَّ وجَلَّ : ﴿وَفِى الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِى أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الآيتان ٢٠، ٢١ سورة الذاريات] ، ﴿وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية ٢٥ سورة إبراهيم] ، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ وَفِى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [الآية ٥٣ سورة فصلت] .

فأَيُّ شيءٍ رآه الكُفَّار في أنفسهم وفي الأفاق حتى عرفوا أنَّه الحق؟ وأيُّ حَقٍّ عرفه من جَحَدَ الدِّيانة ؟ أَلَا يدلُّكم هذا على أنَّ الله جَلَّ اسمه أرادَ أن يُرْشِدَكم إلى بواطِن الأُمور الخَفِيَّة ، وأسْرارٍ فيها مكتومة لو تنبَّهتم لها وعَرِفْتموها لزالت عنكم كلُّ حَيْرَة ، ودَحَضَت كلُّ شُبَه[a]، وظَهَرَت لكم المعارِفُ السَّنِيَّة ؟

---

a) بولاق : عمل . a) بولاق : عنقه .

أَلَا تَرَوْن أَنَّكم جَهِلْتُم أنفسكم التي من جَهِلَها كان حَرِيًّا أَلَّا يعلم غيرها ؟ أليس الله تعالى يقول : ﴿وَمَن كَانَ فِي هَـٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الآية ٧٢ سورة الإسراء] ؛ ونحو ذلك من تأويل القرآن ، وتفسير السُّنَن والأحكام ، وإيراد أبواب من التَّجْويز والتَّعْليل .

فإذا عَلِمَ الداعي أنَّ نَفْسَ المَدْعو قد تعلَّقت بما سأله عنه ، وطَلَبَ منه الجَواب عنها ، قال له حينئذٍ : لا تَعْجَل فإنَّ دِينَ الله أعْلَى وأجلّ من أن يُبْذَلَ لغير أهله ، ويُجْعَل غَرَضًا للعب . وجَرَت عادَةُ الله وسُنَّته في عِباده ، عند شَرْع من نَصَبَه ، أن يأخذ العَهْدَ على من يُرْشده ، ولذلك قال : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الآية ٧ سورة الأحزاب] ؛ وقال/ عزَّ وَجلَّ : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الآية ٢٣ سورة الأحزاب] ؛ وقال جَلَّ جلالُه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾ [الآية ١ سورة المائدة] ، قال : ﴿وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ٭ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾ [الآيتان ٩١، ٩٢ سورة النحل] ، وقال : ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِي إِسْرَاءِيلَ﴾ [الآية ٧٠ سورة المائدة] ، ومن أمثال هذا .

فقد أَخْبَرَ الله تعالى أنَّه لم يُمَلِّك حقَّه إلَّا لمن أَخَذَ عَهْدَه ، فأعطنا صفقة يمينك ، وعاهدنا بالموكد من أَيْمانِك وعُقُودِك : أَلَّا تُفْشي لنا سِرًّا ، ولا تُظاهِر علينا أَحَدًا ، ولا تَطْلُب لنا غيلةً ، ولا تكتمنا نُصْحًا ، ولا تُوالي لنا عَدُوًّا .

فإذا أَعْطَى العَهْد قال له الداعي : أَعْطِنا جُعْلًا من مالك وغرمًا[a] نجعله مُقَدِّمة أمامَ كَشْفنا لك الأُمور وتعريفك إيَّاها ـ والرَّسْم في هذا الجُعْل بِحَسَبِ ما يَراه الداعي ـ فإن امتنع المدعُو أَمْسَكَ عنه الدَّاعي ، وإن أجابَ وأَعْطَى نَقَلَه إلى الدَّعْوَة الثانية .

وإنَّما سُمِّيَت الإسْماعيليَّةُ بالباطِنِيَّة ، لأَنَّهم يقولون : لكلِّ ظاهِرٍ من الأَحْكام الشَّرْعِيَّة باطِنٌ ، ولكلِّ تنزيل تأْويلٌ .

الدَّعْـوَةُ الثَّـانية ـ لا تكون إلَّا بعد تَقَدُّم الدَّعْوَة الأُولى . فإذا تقرَّر في نَفْس المَدْعو جَميع ما تقدَّم [b]وعاهَدَ الدَّاعي[b] وأَعْطَى الجُعْل ، قال له الداعي : إنَّ اللهَ تعالى لم يَرْضَ في إقامَة حَقِّه وما شَرَعَه لعبادِه ، إلَّا أن يأْخُذوا ذلك عن أَئِمَّةٍ نَصَبَهُم للنَّاس ، وأقامَهُم لحِفْظ شَريعَتِه على ما أرادَه

---

a) إضافة من المسودة . b-b) ساقطة من بولاق .

الله تعالى . ويَسْلُك في تَقْرير هذا ، ويَسْتَدِلّ عليه بأُمورٍ مقرَّرةٍ في كُتُبهم ، حتى يعلم أن اعْتِقاد الأئِمَّة قد ثَبَتَ في نَفْس المَدْعُو ، فإذا اعْتَقَدَ ذلك نَقَلَه إلى الدَّعْوَة الثالثة .

الدَّعْـــوَةُ الثَّالِثَة ـ مُرَتَّبة على الثانية ، وذلك أنَّه إذا عَلِمَ الداعي مِمَّن دَعاه أن ارْتِباطه على دين الله لا يُعْلَم إلَّا من قِبَل الأئِمَّة ، قرَّر حينئذٍ عنده أنَّ الأئِمَّة سَبْعَة ، قد رَتَّبهم الباري تعالى كما رَتَّبَ الأُمورَ الجَلِيلَة ، فإنَّه جَعَلَ الكَواكِب السَّيَّارَة سبعة ، وجَعَلَ السَّمٰوات سَبْعًا ، وجَعَلَ الأَرَضين سَبْعًا ، ونحو ذلك مِمَّا هو سَبْعٌ من الموجودات .

وهؤلاء السَّبْعَة الأئِمَّة[a] هم : عليّ بن أبي طالِب ، والحَسَن بن عليّ ، والحُسَيْنُ بن عليّ ، وعليُّ ابن الحُسَيْنُ الملقَّب زَيْن العابِدين ، ومحمد بن عليّ ، وجَعْفَر بن محمد الصَّادِق ، والسَّابع هو القائِم صاحِب الزَّمان . وهم ـ أعني الشِّيعَة ـ مُخْتَلفون في هذا القائِم : فمنهم من يَجْعَلُه محمَّد ابن إسْماعيل بن جَعْفَر الصَّادِق ويُسْقِط إسْماعيل بن جَعْفَر ، ومنهم من يَعُدّ إسماعيل بن جَعْفَر إمامًا ، ثم يَعُدّ ابنه محمّد بن إسماعيل .

فإذا تقرَّر عند المَدْعو أنَّ الأئِمَّة سَبْعَة ، انحلَّ عن معتقد الإمامية من الشِّيعَة القائِلين بإمامَة اثْنى عَشَر إمامًا ، وصارَ إلى مُعْتَقَد الإسْماعيلية بأنَّ الإمامَة انتقلت إلى محمَّد بن إسماعيل بن جَعْفَر .

فإذا عَلِمَ الدَّاعي ثَباتَ هذا العَقْد في نَفْس المَدْعو ، شَرَعَ في ثَلْب بقيَّة الأئِمَّة الذين قد اعْتَقَد الإمامية فيهم الإمامَة ، وقرَّر عند المَدْعُو أنَّ محمَّد بن إسماعيل عنده عِلْمُ المَسْتورات وبَواطِن المعلومات التي لا يُمْكن أن تُوجَد عند أَحَدٍ غيره ، وأنَّ عنده أيضًا عِلْمُ التَّأْويل ومَعْرِفَة وتَفْسير ظاهِر الأُمور ، وعنده سِرُّ الله تعالى في وَجْه تَدْبيره المكْتوم ، واتِّفاق[b] دَلالَته في كلِّ أمْرٍ يسأل عنه في جميع المَعْدومات ، وتَفْسير المُشْكِلات وبَواطِن الظَّاهِر كلّه ، والتأويلات وتأويل التأْويلات .

وأنَّ دُعاته هم الوارِثون لذلك كلّه من بين سائِر طَوائِف الشِّيعَة ، لأنَّهم أَخَذوا عنه ، ومن جِهَتِه رَوَوا ، وأنَّ أَحَدًا من النَّاس المخالِفين لهم لا يَسْتطيع أن يُساويهم ، ولا يَقْدر على التَّحَقُّق بما عندهم إلَّا منهم ، ويحتجّ لذلك بما هو مَعْروف في كُتُبهم مِمَّا لا يَسَع هذا الكِتاب حِكايته لطُوله . فإذا انْقادَ المَدْعُو وأَذْعَن لما تقرَّر ، نَقَلَه إلى الدَّعْوَة الرَّابِعَة .

الدَّعْـــوَةُ الرَّابِعَة ـ لا يَشْرَع الداعي في تَقْريرها حتى يتيقَّن صِحَّة انْقِياد المَدْعُو لجميع ما تقدَّم . فإذا تَيقَّن منه صِحَّة الاعْتِقاد[c] ، قَرَّر عنده أنَّ عَدَدَ الأنبياء النَّاسِخِين للشَّرائِع المُبَدِّلين لأَحْكامها

---

a) بولاق : الأئمة السبعة . b) بولاق : وإتقان . c) بولاق : الانقياد .

أصْحاب الأَدْوار وتَقْليب الأَحْوال الناطِقين بالأُمور ، سبعة فقط كَعَدَد الأَئِمَّة سَوَاء . وكلُّ واحِدٍ من هؤلاء الأنبياء لابدَّ له من صاحِبٍ يأْخُذ عنه دَعْوَتَه ويَحْفَظُها على أُمَّتِه ، ويكون معه ظَهِيرًا له في حياته ، وخَليفَةً له من بَعْد وَفاتِه إلى أن يُبَلِّغ شَريعَتَه إلى أَحَدٍ يكون سَبيله معه كسَبيله هو مع نَبِيِّه الذي اتَّبَعَه ، ثم كذلك كلّ مستخلف خَليفَة ، إلى أن يأتي منهم على تلك الشَّريعَة سبعة أشخاص ، ويُقالُ لهؤلاء : السَّبْعَة الصَّامِتُون ، لثَباتهم على شَريعَة اقتفوا فيها أَثَرَ واحِدٍ هو أوَّلهم ، ويسمَّى الأوَّل من هؤلاء السَّبْعة «السُّوس» .

وإنَّه لابدّ عند انْقِضَاء هؤلاء السَّبْعَة ونَفَاذ دَوْرِهم، من اسْتِفْتاح دَوْرٍ ثانٍ يظهر فيه نبيٌّ يَنْسَخ شَرْع من مَضَى من قَبْله ، وتكون الخُلَفاءُ من بعد أمورهم تجرى كأَمْر من كان قَبْلَهم ، ثم يكون من بَعْدهم نَبِيٌّ ناسِخٌ يقوم من بعده سَبْعَةٌ صُمْت أبدًا ؛ وهكذا حتى يقوم النَّبِيُّ السابع من النُّطَقَاء ، فيَنْسَخ جميع الشَّرائِع التي كانت قَبْلَه ، ويكون صاحِب الزَّمان الأَخير .

فكان أَوَّلُ هؤلاء الأَنْبياء النُّطَقَاء آدَمَ ـ عليه السَّلام ـ وكان صاحِبَه وسُوسَه ابنُه شيث . وعَدُّوا تَمام السبعة الصامِتين على شَريعَة آدَم .

وكان الثَّاني من الأَنْبياء النُّطَقَاء نُوحٌ ـ عليه السَّلام ـ/ فإنَّه نَطَقَ بشَريعَةٍ نَسَخَ بها شَريعَة آدمَ ، ٣٩٤ وكان صاحِبَه وسُوسَه ابنُه سام ، وتلاه بقيَّةُ السبعة الصامِتين على شَريعَة نُوح .

ثم كان الثَّالثُ من الأَنبياء النُّطَقَاء إبراهيم خَليل الرَّحْمَن ـ صَلوات الله عليه ـ فإنَّه نَطَقَ بشَريعَةٍ نَسَخَ بها شَريعَة نُوح وآدَم ـ عليهما السَّلام ـ وكان صاحِبَه وسُوسَه في حياتِه ، والخَليفَة القائِم من بعده المُبَلِّغ شَريعَته ، ابنُه إسْماعيل ـ عليه السَّلام ـ ولم يَزَل يخلفه صامِتٌ بعد صامِتٍ على شَريعَة إبراهيم حتى تم دَوْر السَّبْعة الصُّمْت .

وكان الرَّابعُ من الأَنْبياء النُّطَقَاء مُوسَىٰ بن عِمْران ـ عليه السَّلام ـ فإنَّه نَطَقَ بشَريعَةٍ نَسَخَ بها شَريعَة آدَم ونُوح وإبراهيم ، وكان صاحِبَه وسُوسَه أخوه هارون . ولمَّا ماتَ هارون في حياة مُوسَىٰ ، قامَ من بعد مُوسَىٰ يُوشَع بن نُون خَليفَةً له صَمَتَ على شَريعَته وبَلَّغَها ، فأَخَذَها عنه واحِدٌ بعد واحِدٍ إلى أن كان آخِر الصُّمْت على شَريعَة مُوسَىٰ : يحيىٰ بن زَكَرياء ، وهو آخِر الصُّمْت .

ثم كان الخامِسُ من الأَنْبياء النُّطَقَاء المَسِيحُ عِيسَىٰ بن مَرْيَم ـ صَلَوات الله عليه ـ فإنَّه نَطَقَ بشَريعَة نَسَخَ بها شَرائِع مَنْ كان قبله ، وكان صاحِبَه وسُوسَه شَمْعُون الصَّفا ، ومن بعده تَمام السَّبْعَة الصُّمْت على شَريعَة المَسِيح .

إلى أن كان السَّادِسُ من الأَنْبِياء النُّطَقَاء نَبِيُّنا محمَّد ﷺ ، فإنَّه نَطَقَ بشَرِيعَةٍ نَسَخَ بها جَميع الشَّرائِع التي جاءَ بها الأَنْبِياءُ من قَبْله ، وكان صاحِبَه وسُوسَه عليٌّ بن أبي طالِب ـ رضي الله عنه ـ ثم من بعد عليٍّ سِتَّة صَمَتُوا على الشَّريعَة المحمَّدية ، وقامُوا بميراث أَسْرارِها ، وهم : ابنه الحَسَن ، ثم ابنه الحُسَيْنُ ، ثم عليُّ بن الحُسَيْنُ ، ثم محمَّد بن عليّ ، ثم جَعْفَر بن محمَّد ، ثم إسْماعيل بن جَعْفَر الصَّادِق ، وهو آخِر الصُّمْت من الأَئِمَّة المَسْتورين .

والسَّابعُ من النُّطَقَاء هو صاحِب الزَّمان ، وعند هؤلاء الإسْماعيلية أنَّه محمَّد بن إسْماعيل بن جَعْفَر ، وأنَّه الذي انْتَهَى إليه عِلْمُ الأوَّلين ، وقامَ بعِلْم بَواطِن الأُمور وكَشْفَها ، وإليه المَرْجِع في تفسيرها دون غَيْرِه ، وعلى جَميع الكافَّة اتِّباعُه والخُضُوع له والانْقِياد إليه والتَّسْليم له ، لأنَّ الهِدايَة في مُوافَقَتِه واتِّباعه ، والضَّلال والحَيْرَة في العُدُول عنه . فإذا تقرَّر ذلك عند المَدْعُو ، انتقل الدَّاعِي إلى الدَّعْوَة الخامِسَة .

الدَّعْـوَةُ الخامِسَةُ ـ مترتِّبَةَ على ما قَبْلَها ، وذلك أنَّه إذا صارَ المَدْعُو في الرُّتْبَة الرَّابِعَة من الاعْتِقاد ، أَخَذَ الدَّاعي يقرِّر أنَّه لابد مع كلِّ إمامٍ قائِم في كلِّ عَصْرٍ حُجَجٌ متفرِّقون عليهم تقوم الأرْضُ في جَميعِ جِهاتِها ، وعِدَّةُ هؤلاء الحُجَج أبدًا اثنا عشر رَجُلًا في كلِّ زَمان ، كما أنَّ عَدَد الأَئِمَّة سَبْعَة .

ويَسْتَدِلّ لذلك بأُمورٍ : منها أنَّ الله تعالى لم يَخْلق شيئًا عَبثًا ، ولابُدَّ في خَلْق كلِّ شيء من حِكْمَة ، وإلَّا فلمَ خَلَقَ النُّجوم التي بها قَوام العالَم سبعة ، وجَعَلَ أيضًا السَّمٰوات سَبْعًا ، والأَرَضين سَبْعًا ، والبُرُوج اثنى عَشَر ، والشُّهور اثنى عَشَر شَهْرًا ، ونُقَباء بني إسْرائيل اثنى عَشَرَ نَقيبًا ، ونُقَباء رَسُول الله ﷺ من الأَنْصار اثنى عشر نَقيبًا .

وخَلَقَ تعالى في كَفّ كلِّ إنسان أَرْبَع أصابِع ، وفي كلِّ إصْبَع ثلاثة شُقوق ، تكون جملتها اثني عشر شَقًّا . على أنَّه في كُلِّ يدٍ إبْهَامٌ وفي كُلِّ إبْهامٍ شَقَّان إشارَةً ودَلالَةً على أنَّ الإنسان بَدَنُه كالأرْض ، وأصابِعُه كالجَزائِر الأَرْبَع ، والشُّقوق التي في الأصابع كالحُجَج ، والإبْهَام الذي به قِوام جَميع الكَفّ وسَداد الأصابع ، كالذي يقوم الأَرْض بعَدَد ما فيها ، والشَّقَّان اللذان في الإبهام إشارَةً إلى أنَّ الإمامَ وَسُوسَه لا يفترقان .

ولذلك صارَ في ظهر الإنْسان اثنتا عشرة خَرَزَة إشارَة إلى الحُجَج الاثنى عَشَر ، وصارَ في عُنقُه سَبْع ، فكان العُنُق عاليًا على خَرَزَات الظَّهْر ، وذلك إشارَةٌ إلى الأَنْبِياء النُّطَقَاء والأَئِمَّة السبعة ، وكذلك الأَثْقاب السَّبْعة التي في وَجْه الإنْسان العالي على بَدَنه وأشياء من هذا النَّوْع كثيرة . فإذا تَمَهَّد عند المَدْعُو ما دَعاه إليه الدَّاعي وتقرَّر ، نَقَلَه حينئذٍ إلى الدَّعْوَة السَّادِسَة .

الدَّعْـــوَةُ السَّادِسَةُ ـ لا تكون إلَّا بعد ثُبُوت جَميع ما تقدَّم في نَفْس المَدْعو ، وذلك أنَّه إذا صارَ إلى الرُّتْبة الخامِسَة ، أَخَذَ الداعي في تَفْسير معاني شَرائِع الإسْلام ـ من الصَّلاة والزَّكاة والحَجّ والطَّهارَة وغَيْر ذلك من الفَرائِض ـ بأُمورٍ مُخالِفَة للظَّاهِر ، بعد تَمْهيد قَواعِد تبين في أَزْمِنَة من غير عَجَلَة . تؤدِّي إلى أنَّ هذه الأشْياء وُضِعَت على جِهَة الرُّموز لمصلحة العامَّة وسياسَة أُمُورِهم[a]، حتى يَشْتَغِلوا بها عن بَغْي بعضهم على بَعْض ، وتَصُدّهم عن الفَسَاد في الأرض حِكْمَةً من الناصبين للشَّرائع ، وقُوَّةً في حُسْن سياستهم لأتْباعهم ، وإتْقانًا منهم لما رَتَّبوه من النَوامِيس ونحو ذلك حتى يتمكّن هذا الاعتقاد في نفس المَدْعو .

فإذا طالَ الزَّمانُ ، وصارَ المَدْعو ولابد[b] يعتقد أنَّ أحْكامَ الشَّريعَة كلَّها وُضِعَت على سَبيل الرَّمْز لسياسة العامَّة ، وأنَّ لها معاني أُخَر غير ما يدلُّ عليه الظَّاهِر ، نَقَلَه الداعي إلى الكلام في الفَلْسَفَة ، وحَضَّه على النَّظَرِ في كلام أفْلاطون وأَرِسْطُو وفيثاغُورس ومن في معناهم ، ونَهَاه عن قَبُول الأَخْبار والاحْتجاج بالسَّمْعيات ، وزَيَّن له الاقْتِداء بالأدِلَّة العقلية والتَّعْويل عليها .

٣٩٥:١ فإذا استقرّ ذلك / عنده واعتقده ، نَقَلَه بعد ذلك إلى الدَّعْوَة السَّابِعَة ، ويَحْتاج ذلك إلى زَمانٍ طويل .

الدَّعْـــوَةُ السَّابِعَة ـ لا يُفْصِح بها الدَّاعِي ما لم يَكْثُر أُنْسُه بمن دَعاه ، ويتيقَّن أنَّه قد تأهَّل إلى الانتقال إلى رُتْبَة أعلى ممَّا هو فيه ، فإذا عَلِمَ ذلك منه قال : اعْلَم[c] أنَّ صاحِبَ الدَّلالة والنَّاصِب للشَّريعَة لا يستغني بنفسه ، ولابد له من صَاحِبٍ معه يُعَبِّر عنه ، ليكون أحَدُهما الأصْل والآخَر عنه كان وصَدَرَ . وهذا إنَّما هو إشارَةُ العالَم السُّفْلي لما يحويه العالَم العُلْوي ، فإنَّ مُدَبِّر العالَم في أصْل الترتيب وقِوام النِّظام صَدَرَ عنه أوَّل موجود بغير واسِطَة ولا سَبَبَ نشأ عنه ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿إنَّما أَمْرُهُ إذا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [الآية ٨٢ سورة يس] إشارةً إلى الأوَّل في الرُّتْبَة ، والآخر هو القَدَر الذي قال فيه : ﴿إنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [الآية ٤٩ سورة القمر] ، وهذا معنى ما نسمعه من أنَّ الله أوَّل ما خَلَقَ القَلَم فقال للقَلَم «اكْتُب» فكَتَبَ في اللَّوْح ما هو كائِن .

وأشياءُ من هذا النوع موجودة في كُتُبهم ، وأصْلها مأْخُوذ من كلام الفَلاسِفَة القائِلين : الواحِد لا يَصْدُرُ عنه إلَّا واحِد ، وقد أَخَذَ هذا المعنى المُتَصَوِّفَة وبَسَطُوه بعبارات أُخَر في كُتُبهم . فإن

---

a) بولاق : سياستهم. b) ولابد : ساقطة من بولاق . c) ساقطة من بولاق .

كنت ممَّن ارْتاضَ وعَرَفَ مَقالات النَّاس ، تبينٌ لك ما ذكرت . ولا يَحْتَمِل هذا الكِتاب بَسْط القَوْل في هذا المعنى .

وإذا تقرَّر ما ذُكِرَ في هذه الدَّعْوَة عند المَدْعُو ، نَقَلَه الدَّاعي إلى الدَّعْوَة الثامِنَة .

الدَّعْــوَةُ الثامِــنَـةُ ـ متوقِّفَة على اعْتِقاد سائِر ما تَقَدَّم ، فإذا استقرَّ ذلك عند المَدْعُو دينًا له ، قال له الدَّاعي : اعْلَم أنَّ أَحَد المذكورين اللذين هما : مُدَبِّر الوجود والصادِر عنه ، إنَّما تَقَدَّم السابِق على اللاحِق تَقَدُّم العِلَّة على المَعْلول ، فكانت الأعْيانُ كلُّها ناشِئَة وكائِنَة عن الصَّادِر الثاني بترتيبٍ مَعْروفٍ في بعضهم . ومع ذلك فالسَّابِق عندهم لا اسْم له ولا صِفَة ولا يُعَبَّر عنه ولا يُقَيَّد ، فلا يُقال : هو مَوْجُودٌ ولا مَعْدومٌ ولا عالِمٌ ولا جاهِلٌ ولا قادِرٌ ولا عاجِزٌ ، وكذلك سائِرُ الصِّفات ـ فإنَّ الإثبات عندهم يقتضي شَرِكَة بينه وبين المُحْدَثات ، والنَّفْي يقتضي التَّعْطيل ـ وقالوا : ليس بقَديمٍ ولا مُحْدَثٍ ، بل القَديم أَمْرُه وكَلِمَتُه ، والمُحْدَث خَلْقُه وفِطْرَتُه ، كما هو مَبْسُوطٌ في كُتُبهم .

فإذا استقرَّ ذلك عند المَدْعُو ، قَرَّر عنده الدّاعي أنَّ التالي يَدْأَب في أعْمال منه[a] حتى يَلْحَق بمنزلة السَّابِق ، وأنَّ النَّاطِق[b] في الأرض يَدْأَب في أعْمالِه حتى يلتحق[c] بمَنْزِلة [d]التالي فيقوم مَقامَه ويَصير بمنزلته سَواء ، وأنَّ السُّوسَ يَدْأَب في أعماله حتى يصير بمنزلة[d] النَّاطِق سَوَاء ، وأنَّ الدَّاعي يَدْأَب في أعْمالِه حتى يبلغ منزلة السُّوس وحاله سَواء . وهكذا تَجْري أُمورُ العالَم في أَكْوارِه وأدْوَارِه .

ولهذا القَوْل بَسْطٌ كبيرٌ ، فإذا اعتقد المَدْعُو ذلك[d] قَرَّرَ عنده الدَّاعي أنَّ مُعْجِزَة النَّبِيّ الصَّادِق النَّاطِق ليست سوى مَجيئه بأشْياءِ[e] ينتظم بها سِياسَة الجُمْهُور ، وتَشْمَل الكافَّة مصلحتُها بترتيب من الحِكْمَة تَحْوي معاني فلسفية تُنْبِئُ عن حَقيقَة أنِيَّة السَّماء والأرض ، وما يشتمل العالَم عليه بأَسْره من الجَواهِر والأَعْراض : تارَةً برُمُوزٍ يَعْقِلها العالِمون ، وتارَةً بإفْصاحٍ يعرفه كلُّ أحَدٍ ، فينتظم بذلك للنَّبِيّ شَريعَة يَتَّبِعها النَّاسُ .

ويُقَرِّر عنده أيضًا أنَّ القِيامَةَ والقُرْآنَ والثَّوابَ والعِقابَ معناها سوى ما يَفْهَمُه العامَّةُ وغير ما يتبادَر الذِّهْنُ إليه ، وليس هو إلَّا حُدُوثُ أدْوارٍ عند انْقِضَاء أدْوارٍ من أدْوار الكَواكِب وعَوالِم اجتماعاتها ، من كَوْنٍ وفَسَادٍ جاءَ على ترتيب الطَّبائِع ، كما قد بَسَطَه الفَلاسِفَة في كُتُبهم ، فإذا استقرَّ هذا العَقْد عند المَدْعو ، نَقَلَه الدَّاعي إلى الدَّعْوَة التاسِعَة .

---

a) بولاق : في أعماله . b) بولاق : الصامت . c) بولاق : يصير . d-d) ساقطة من بولاق . e) بولاق : غير أشياء .

الدَّعْــوَة التاسِــعَة ـ هي النَّتيجَة التي يُحاوِل الدَّاعي ، بتَقْرير جَميع ما تقدَّم ، رُسُوخها في نَفْس من يَدْعُوه . فإذا تيقَّن أنَّ المَدْعو تأهَّل لكَشْف السِّرّ والإفْصاح عن الرُّموز ، أحالَه على ما تَقَرَّر في كُتُب الفَلاسِفَة من عِلْم الطَّبيعيات وما بعد الطَّبيعة والعِلْم الإلهي ، وغير ذلك من أقْسام العُلُوم الفلسفية ؛ حتى إذا تمكَّن المَدْعُو من معرفة ذلك ، كَشَفَ الدَّاعي قِناعَه وقال : ما ذُكِرَ من الحُدُوث والأُصُول رُموزٌ إلى مَعاني المَبادي وتَقَلُّب الجَواهِر ، وإنَّ الوَحْي إنَّما هو صَفَاءُ النَّفْس ، فيجد النَّبِيّ في فَهْمه ما يُلْقَى إليه ويَتَنَزَّلُ عليه ، فيُبْرِزُه إلى النَّاس ، ويُعَبِّر عنه بكلام الله الذي يَنْظُم به النَّبِيّ شَريعَتَه ، بحَسَب ما يَراهُ من المَصْلَحَة في سِياسَة الكافَّة .

ولا يجب حينئذٍ العَمَل بها إلَّا بحَسَب الحاجَة من رعاية مَصالِح الدَّهْمَاء ، بخِلاف العارِف فإنَّه لا يلزمه العَمَل بها ، ويكفيه معرفته فإنَّها اليَقين الذي يَجِب المَصير إليه ، وما عَدَا المعرِفَة من سائِر المشروعات ، فإنَّما هي أثقالٌ وآصارٌ حَمَلَها الكُفَّارُ أهل الجَهالَة لمعرفة الأغْراض والأسْباب .

ومن جملة المعرفة عندهم أنَّ الأنْبياء النُّطَقَاء أصْحاب الشَّرائِع إنَّما هم لسِياسَة العامَّة ، وأنَّ الفَلاسِفَة أنْبياء حِكْمَة الخاصَّة ، وأنَّ الإمامَ إنَّما وُجُودُه في العالَم الرُّوحاني إذا صِرْنا بالرِّياضَة في المعارِف إليه ، وظُهُورُه الآن إنَّما هو ظُهُور أَمْره ونَهْيه على لِسانِ أوْلِيائِه ، ونحو ذلك ممَّا هو مَبْسوطٌ في كُتُبِهم وهذا حاصِلُ عِلْم الدَّاعي ، ولهم في ذلك مُصَنَّفاتٌ كثيرةٌ منها اخْتَصَرْتُ ما تَقَدَّمَ ذِكْرُه .

ابْتِداءُ هٰذِهِ الدَّعْوَة

اعْلَم أنَّ هذه الدَّعْوَة مَنْسوبَة إلى شَخصٍ كان بالعِراق يُعْرَف بمَيْمون القَدَّاح ، وكان من غُلاة الشِّيعَة . فوَلَد ابْنًا عُرِفَ بعَبْد الله بن مَيْمون ، اتَّسَعَ عِلْمُه/، وكَثُرَت مَعارِفُه ، وكادَ أن يَطَّلِع على ٣٩٦:١
جَميع مقالات الخَليقَة ، فرَتَّب له مَذْهَبًا ، وجَعَلَه في سَبْع دَعْوات ، ودَعَا النَّاسَ إلى مَذْهَبِه ، فاستجابَ له خَلْقٌ ، وكان يَدْعُو إلى الإمام محمَّد بن إسماعيل ، وظَهَرَ من الأَهْواز ونَزَل بعَسْكَر مُكْرَم ، فصارَ له مالٌ واشْتَهَرَت دُعاتُه ، فأنْكَر النَّاسُ عليه وهَمُّوا به ، ففَرَّ إلى البَصْرَة ومعه من أصْحابِه الحُسَيْنُ الأَهْوازي .

فلمَّا انْتَشَرَ ذِكْرُه بها طُلِبَ ، فصارَ إلى بِلاد الشَّام وأقام بسَلَمِيَّة ، وبها وُلِدَ له ابنُه أحمد ، فقامَ من بعد أبيه عبد الله بن مَيْمُون ، فسَيَّرَ الحُسَيْنُ الأَهْوازي داعِيةً له إلى العِراق ، فلَقِي حَمْدان بن الأَشْعَث المعروف بقَرْمَط بسَواد الكُوفَة ، فدَعاهُ واسْتَجابَ له ، وأنْزَلَه عنده . وكان من أَمْره ما هو مذكورٌ في أخبار القَرامِطَة من كِتابِنا هذا ، عند ذكر المُعِزّ لدين الله مَعَدّ .

ثم إنّه وُلِدَ لأحمد بن عبد الله ابنُه الحُسَيْنُ ومحمّد المعروف بأبي الشَّلَغْلَع ، فلمّا هَلَكَ أحمد خَلَفَه ابنُه الحسين ، ثم قامَ من بعده أخوه أبو الشَّلَغْلَعِ ، وكان من أَمْرِهم ما هو مَذْكورٌ في مَوْضِعِه [1].

فانتشرت الدُّعاةُ في أقْطار الأَرْض ، وتَفَقَّهوا في الدَّعْوَة حتى وَضَعوا فيها الكُتُب الكثيرة ، وصارَت عِلْمًا من العُلُوم المدوَّنَة ، ثم اضْمَحَلَّت الآن وذَهَبَت بذَهاب أهْلِها ، ولهذا يُقالُ : إنَّ أصْلَ دَعْوَة الإسماعيلية مأخوذٌ من القَرامِطَة ، ونُسِبُوا من أجْلها إلى الإلْحاد [2].

صِفَةُ العَهْدِ الذي يُؤخَذ على المَدْعُو

وهو أنَّ الدَّاعي يقول لمن يأخُذ عليه العَهْد ويَحَلِّفه [3]: جَعَلْتَ على نَفْسك عَهْدَ الله وميثاقَه ، وذِمَّةَ رَسُوله وأنبيائه ومَلائِكَته وكُتُبه ورُسُلَه ، وما أخذه على النَّبيين من عَقْدٍ وعَهْدٍ وميثاقٍ ، أنَّك تَسْتُر جَميعَ ما تَسْمَعُه وسَمِعْتَه وعَلِمْتَه وتَعْلَمُه وعَرَفته وتَعْرِفه من أَمْري وأَمْر المُقيم بهذا البَلَد لصَاحِب الحَقّ ، الإمام الذي عَرَفْتَ إقْراري له ونُصْحي لمن عَقَدَ ذِمَّتَه ، وأمور إخْوانِه وأصْحابِه ووَلَدِه وأهل بيته المُطيعين له على هذا الدِّين ، ومُخالَصَته له من الذُّكور والإناث والصِّغار والكِبار فلا تُظْهِر من ذلك شيئًا قَليلًا ولا كثيرًا ، ولا شيئًا يَدُلُّ عليه إلَّا ما أَطْلَقْتُ لك أن تَتَكَلَّم به ، أو أَطْلَقَه لك صاحِبُ الأَمْر المقيم بهذا البَلَد ، فتعمل في ذلك بأمرنا ، ولا تَتَعَدّاه ولا تُزيد عليه .

---

[1] انظر فيما تقدم ١٧٣ حيث ذكر المقريزي هذا الموضوع في حديثه عن نسب الخلفاء الفاطميين ، وما ذُكِرَ من مراجع .

[2] راجع عن العلاقة بين الإسماعيلية (الفاطمية) والقَرامِطَة أوّلًا مقال فلاديمير ايفانوف Ivanow, W., «Ismailis and Qarmatians», *JBBRAS* N.S. 16 (1940), pp. 43-85، ثم مقال ولفرد ماديلونغ Madelung, W., «Fatimiden and Bahrein-Qarmaten», *Der Islam* 34 (1959), pp. 34-88، الذي نشره بعد مراجعته بالإنجليزية بعنوان «The Fatimids and Qarmatis of Bahrayn», in Daftary, F. (ed.), *Mediaeval Ismaili History and Thought* Cambridge 1996, pp. 21-73 وأخيرًا مقال فرهاد دفتري Daftary, F., «A Major Schism in the Early Ismâʿili Movement», *SI* 77 (1993), pp. 123-39؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٩٧-٩٩.

[3] من أوائل النصوص الإسماعيلية التي تمدنا بمعلومات عن «العَهْد» الذي كان يأخذه الدُّعاةُ على المستجيبين كتاب «العالم والغلام» لجعفر بن منصور اليمني الذي نشره جيمس موريس James W. Morris مع ترجمة إنجليزية بعنوان *The Master and the Disciple. An Early Islamic Spiritual Dialogue*, London - The Institute of Ismaili Studies 2001، وانظر كذلك مقال هانز هالم Halm, H., «The Ismaʿili Oath of Allegiance (ʿ*ahd*) and the Session of Wisdom (*majâlis al-hikma*) in Fatimid Times», in Daftary, F., (ed.), *Mediaeval Ismaʿili History and Thought*, pp. 91-115.

وليكن ما تعمل عليه قبل العَهْد وبَعْدَه بقَوْلِك وفِعْلِك : أنْ تَشْهَد أنْ لا إله إلَّا الله وَحْدَه لا شَريكَ له ، وتَشْهَدَ أنَّ مُحَمَّدًا عَبدُه ورَسُولُه ، وتَشْهَد أنَّ الجنَّة حَقّ ، وأنَّ النَّارَ حَقّ ، وأنَّ المَوْتَ حَقّ ، وأنَّ البَعْثَ حَقّ ، وأنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فيها ، وأنَّ الله يَبْعَثُ مَنْ في القُبُور ، وتُقيم الصَّلاة لوَقْتِها ، وتُؤْتِي الزَّكاة لحقِّها ، وتَصُوم رَمَضَان ، وتَحُجّ البَيْتَ الحَرَام ، وتُجاهِد في سَبيل الله حَقَّ جِهادِه على ما أمَرَ الله به ورَسُولُه ، وتُوالي أوْلِياء الله ، وتُعادي أعْدَاء الله ، وتَقُومَ بفَرائِض الله وسُنَّتِه وسُنَن رَسُول الله ﷺ وعلى آله الطاهِرين ظاهِرًا وباطِنًا وعَلانِية ، سِرًّا وجَهْرًا .

فإن ذلك يؤكد هذا العَهْد ولا يَهْدِمه ، ويُثَبِّته ولا يُزيله ، ويُقَرِّبه ولا يُباعِدُه ، ويَشُدّه ولا يُضْعِفُه ، ويُوجب ذلك ولا يُبْطِله ، ويُوَضِّحه ولا يُعَمِّيه . كذلك هو الظَّاهِر والباطِن ، وسائِر ما جاءَ به النَّبِيُّون من رَبِّهم ـ صَلوات الله عليهم أجمعين ـ على الشَّرائِط المُبَيَّنَة في هذا العَهْد ، جَعَلْتَ على نَفْسك الوَفَاءَ بذلك قُلْ نَعَم ، فيقول المدعو : نَعَم .

ثم يقول الدَّاعي له : والصِّيانَة له بذلك وأدَاء الأمانَة ، على ألَّا تُظْهِر شيئًا أُخِذَ عليك في هذا العَهْد في حياتنا ولا بعد وَفاتِنا ، لا في غَضَبٍ ولا على حالِ رَضًى ، ولا على رَغْبَةٍ ولا في حالِ رَهْبَةٍ ، ولا عند شِدَّة ولا في حال رَخَاء ، ولا على طَمَعٍ ولا على حِرْمان ؛ تلقى الله على السَّتْر لذلك والصِّيانَة له ، على الشَّرائِط المُبَيَّنَة في هذا العَهْد .

وجَعَلْتَ على نَفْسك عَهْدَ الله ومِيثاقَه وذِمَّتَه وذِمَّةَ رَسُوله ﷺ : أن تَمْنَعني وجَميع من أُسَمِّيه لكَ وأُثْبِته عندك مِمَّا تَمْنَعُ منه نفسك ، وتَنْصَح لنا ولوليّك وَلِيّ الله ، نُصْحًا ظاهِرًا وباطِنًا ، فلا تَخُن الله ووليه ولا أحَدًا من إخواننا وأوليائنا ومن تَعْلم أنَّه مِنَّا ، بسَبَبٍ في أهلٍ ولا مالٍ ، ولا رأيٍ ولا عَهْدٍ ولا عَقْدٍ تناوَل[a] عليه بما يبطله .

فإن فَعَلْتَ شيئًا من ذلك ـ وأنت تَعْلَم أنَّك قد خالَفْتَه ، وأنت على ذِكْرٍ منه ـ فأنت بَرِيءٌ من الله خالِق السَّمٰوات والأرْض الذي سَوَّى خَلْقَك وألَّفَ تَرْكيبك وأَحْسَنَ إليك في دينك ودُنْياك وآخِرَتك ، وتَبْرأ من رُسُله الأوَّلين والآخِرين وملائِكَتِه المقرَّبين الكُروبيين والرُّوحانيين والكَلِمات التامّات والسَّبْع المثاني والقُرْآن العَظيم ، وتَبْرَأ من التَّوْراة والإنْجيل والزَّبور والذِّكْر الحكيم ، ومن كلِّ دِينٍ ارْتَضاه الله في مُقَدَّم الدَّار الآخرة ، ومن كلِّ عَبْدٍ رضي الله عنه .

---

a) بولاق : تتأوّل .

وأنت خارجٌ من حِزْب الله وحِزْب أوْليائه [a]وداخِلٌ في حِزْب الشَّيطان وحِزْبِ أوْليائِه[a]، وخَذَلَك الله خُذْلانًا بيّنًا يُعَجِّل لك بذلك النِّقْمَة والعُقوبَة والمَصير إلى نارِ جَهَنَّمَ التي ليس لله فيها رَحْمة، وأنت بريءٌ من حَوْلِ الله وقُوَّته مُلجأً إلى حَوْل نفسك وقُوَّتك، وعليك لَعْنَةُ الله التي لَعَن الله بها إبْليس وحَرَّمَ عليه بها الجَنَّة وخَلَّده في النَّار، إن خالَفْتَ شيئًا من ذلك، ولقيت الله يوم تَلْقاه وهو عليك غَضْبانٌ.

ولله عليك أن تَحجَ إلى بَيْته الحَرام ثلاثين حَجَّة حَجًّا واجِبًا ماشيًا حافيًا، لا يقبل الله منك إلَّا الوَفاء بذلك. وكل ما تملك في الوقت الذي تُخالفه فيه، فهو صَدَقَة على الفُقَراء والمساكين الذين لا رَحِمَ بينك وبينهم، لا يَأْجُرك الله عليه، ولا يُدْخِل عليك بذلك مَنْفَعَة. / وكلُّ مملوكٍ لك من ذَكَرٍ أو أُنْثَى في مِلْكِك، أو تستفيده إلى وقت وَفاتِك، إن خالَفْت شيئًا من ذلك، فهم أحْرارٌ لوَجْه الله عَزَّ وجَلّ. وكلُّ امرأةٍ لك أو تَتَزَوَّجُها إلى وَقْت وَفاتِك، إن خالَفْت شيئًا من ذلك، فهنَّ طَوالِق ثلاثًا بَتَّةً، طَلاق الحَرَج لا مَثْنَوِيَّة[b] لك ولا خِيار ولا رَجْعَة ولا مَشيئَة. وكلُّ ما كان لك من أهْلٍ ومالٍ وغيرِهما، فهو عليك حَرامٌ، وكلُّ ظِهارٍ فهو لازِمٌ لك.

وأنا المُسْتَحْلِف لك لإمامِك وحُجَّتِك، وأنت الحالِفُ لهما. وإن نَوَيْت أو عَقَدْتَ أو أَضْمَرْتَ خِلافَ ما أَحْمِلك عليه وأُحَلِّفك به، فهذه اليَمين من أوَّلها إلى آخِرها مُجَدَّدَةٌ عليك لازِمَةٌ لك، ولا يَقْبَل الله منك إلَّا الوَفاءَ بها، والقِيامَ بما عاهَدْتَ بيني وبينك، قل نَعَم، فيقول: نَعَم[1].

ولهم مع ذلك وَصايا كثيرة أَضْرَبْنا عنها خَشْية الإطالَة، وفيما ذَكَرْنا لمن عَقَلَ كفاية[c].

a-a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: مثوبة. c) بولاق: وفيما ذكرناه كفاية لمن عقل.

[1] المقريزي: مسودة المواعظ ١٠٦- ١١١.

ذِكْرُ الدِّيوانِ [a]

وكانت دَواوينُ الدَّوْلَة الفاطِمية [1]، لمَّا قَدِمَ المُعِزُّ لدين الله إلى مصر ونَزَل بقَصْره في القاهِرَة، مَحلَّها بدار الإمارَة من جِوار الجامع الطُّولوني. فلمَّا ماتَ المُعِزُّ، وقَلَّدَ العَزيزُ بالله الوَزارَة ليَعْقُوب ابن كِلِّس، نَقَلَ الدَّواوينَ إلى داره؛ فلمَّا ماتَ يعقوبُ نَقَلها العَزيزُ بعد موته إلى القصر، فلم تَزَل به إلى أن استبدَّ الأَفْضَلُ ابن أمير الجُيُوش، وعَمَّرَ دارَ المُلْك بمصر، فنَقَلَ إليها الدَّواوين، فلمَّا قُتِلَ عادَت من بعده إلى القصر، وما زالَت هناك حتى زالَت الدَّوْلَة.

قالَ في كتاب «الذَّخائِر والتُّحَف»: وحدَّثني مَنْ أَثِقُ به قال: كنت بالقاهِرَة يومًا من شُهورِ سنة تسعٍ وخمسين وأربع مائة، وقد اسْتَفْحَلَ أَمْرُ المارِقين، وقَوِيَت شَوْكَتُهم، وامتدَّت أيديهم إلى أَخْذ الذَّخائر المصونة في قصر السُّلْطان بغير إذْنِه [b]؛ فرأيتُ وقد دَخَلَ من باب الدَّيْلَم، أَحَدِ أَبْواب القُصُور المعمورة الزَّاهِرَة، المعروف بتاج الملوك شَاذي، وفَخْرُ العَرَبِ عليّ بن ناصِر الدَّوْلَة ابن حَمْدان، ورَضِيُّ الدَّوْلَة بن رَضِيّ الدَّوْلَة، وأميرُ الأُمَراءِ بَختكين بن سُبُكْتكين، وأميرُ العرب ابن كَيْغَلْغ، والأَعَزُّ بن سِنان، وعِدَّةٌ من الأُمَراء أصحابهم البغداديين وغيرهم، وصاروا في الإيوان الصَّغير؛ فوَقَفوا عند ديوان الشَّام لكثرة عَدَدهم وجَماعَتهم، وكان معهم أَحَدُ الفَرَّاشين المُسْتخدمين برَسْم القُصُور المعمورة، فدَخلوا إلى حيث كان الدِّيوان النَّظَرى في الدِّيوان المذكور، وصُحْبَتُهم فَعَلَةٌ، وانتهوا إلى حائِطٍ مُجَيَّر، فأَمَروا الفَعَلَة بكَشْف الجير عنه، فَظَهَرَت حَنِيَّةُ بابٍ مَسْدود فأَمَروا بهَدْمِه، فتوصَّلوا منه إلى خِزانَة ذُكِرَ أنَّها عَزيزيَّة من أيَّام العَزيز بالله؛ فوُجِدَ [c] فيها من السِّلاح ما يروق النَّاظِرَ، ومن الرِّماح العَزيزيَّة المطلية أسنَّتُها بالذَّهَب، ذات مَهارِك فِضَّة مجرَّاة بسَوَاد مَمْسوح وفِضَّة بياض ثقيلة الوَزْن عِدَّة رُزَم، أعوادها من الزَّان الجَيِّد، ومن السُّيوف المجوهرة النُّصُول، ومن النُّشَّاب الخَلَنْج وغيره، ومن الدَّرَق اللَّمْط والحجف التبتي وغير ذلك، ومن الدُّروع المكلَّل سِلاح بعضها، والمحلَّى بعضُها بالفِضَّة المركَّبة عليه، ومن التَّخافيف

a) بولاق: الدواوين. b) بولاق: أمره. c) بولاق: فوجدوا.

[1] انظر كذلك فيما تقدم ١:٢٤٤-٢٤٥.

والجَواشِن[١] والكَزاغَنْدات[a][٢] الملبّسة ديباجًا، المكوكبة بكَوابج[b] فِضّة، وغير ذلك ممّا ذُكِرَ أنَّ قيمتَه تَزيد على عشرين ألف دينار، فحملوا جَميع ذلك إلى[c] بعد صَلاة المغرب.

ولقد شاهَدْتُ بعضَ حَواشيهم ورِكابياتهم يكسرون الرِّماحِ، ويُتْلِفون بذلك أعْوادَها الزَّان ليأخذوا المهارِكَ الفِضّة، ومنهم من يجعل ذلك في سِرْواله[d] وعِمامَته وجَيْبه، ومنهم من يَسْتَوْهِبُ من صاحِبِه السَّيْف الثَّمين.

وكان فيها من الرِّماح الطِّوال الخَطِيَّة السُّمْر الجياد عِدَّة، حَمَلوا منها ما قَدَروا عليه، وبقي منها ما كَسَرَه الرِّكَابية ومن يجري مجراهم، كانوا يبيعونه للمغازليين ولصُنّاع المَرادِين حتى كَثُرَ هذا الصِّنْف بالقاهِرَة. ولم تعترضهم الدَّوْلَة، ولا الْتَفَتَت إلى قَدْر ذلك ولا احْتَفَلَت به، وجَعَلَتْه هو وغيره فِداءً لأمْوال المسلمين وحِفْظًا لما في مَنازِلهم[٣].

دِيوانُ المجَالِسِ

قال ابنُ الطُّوَيْر: ديوانُ المجْلِس هو أَصْلُ الدَّواوين قَدِيمًا، وفيه عُلومُ الدَّوْلَةِ بأجمعها، وفيه عِدَّةُ كُتَّاب، ولكلٍّ واحِدٍ مَجْلِسٌ مُفْرَد، وعنده مُعين أو مُعينان. وصاحِبُ هذا الدِّيوان هو المتحدِّث في الإقْطاعات، ويُلْحَق بديوان النَّظَر[٤]، ويُخْلَع عليه ويُنْشَأ له السِّجِلّ، وله المَرْتَبَة والمَسْنَد والدَّواة والحاجب إلى غير ذلك[٥].

---

a) بولاق: الكراعيدات. b) بولاق: بكواكب. c) ساقطة من بولاق. d) بولاق: سراويله.

---

[١] جَوْشَن جـ. جَواشِن. الدِّرع (Cahen, Cl., *Un traité d'armurerie*, p. 116).

[٢] كَزاغَنْد جـ. كَزاغَنْدات. لفظٌ فارسي الأصل معناه المعطف القصير الذي يُلْبَس فوق الزَّرْديّة، وكان يُصْنَع من القطن أو الحرير المبطن المُنَجَّد (Dozy, R., *Supl. Dict. Ar.* II, p. 470؛ المقريزي: السلوك ١: ٢٥٣ هـ[٤]؛ ابن واصل: مفرج الكروب ٢: ٤٤هـ[٥]). وعند الطُّرَسوسي أنَّ الكازغندات ممَّا استخرجه مولَّدو الأعراب وهي زرديات رفاع يلبس عليها ثياب قد بسط فوقها مُشاقة الحرير والمصطكا وتُكسى بالثياب الديباج أو غيرها وتُخاط عليها وتُحشّن بالتنبيت بالحرير وغيره (Cahen Cl., *op.cit.*, p. 116).

[٣] هذا النَّصُّ الطويل المنقول من كتاب «الذَّخائر والتُّحف» لا يوجد في النسخة الوحيدة من الكتاب التي وصلت إلينا، وهي دليل على أن ما وَصَل إلينا من الكتاب منتخباتٌ أو مختاراتٌ منه.

[٤] انظر فيما تقدم ١: ٢٢١ س ٨، ٢٦٨ س ٢١.

[٥] ابن الطوير: نزهة المقلتين ٧٤- ٧٥.

قال : ذِكْرُ خِدَمِهم الخاصَّة المتَّصلة بهم . فأوَّلها «دَفْتَرُ المجْلِس» وصاحِبه من الأُسْتاذين المحنَّكين ، ثم يتولَّاه أجَلُّ كُتَّاب الدَّوْلَة مِمَّن يكون مترشِّحًا لرأس الدَّواوين . ويتضمَّن ذلك الدَّفْتَرُ ـ وله مكانُ ديوان بالقصر ـ الباطِن من الإنعام في العَطايا ، والظَّاهر من الرُّسوم المُفَرَّقَة[a] في غُرَّة السنة ، والضَّحايا ، والمرتَّب من الكُسْوات للأوْلاد والأقارِب والجِهات وأرباب الرُّتَب على اختلاف الطَّبَقات ، وما يَرِد من مُلوك الدُّنْيا من التُّحَف والهَدايا ، وما يُوسَل إليهم من المُلاطَفات ، ومَقادير الصِّلات/ للمترسِّلين بالمكاتَبات ، وما يَخْرُج من الأكْفان لمن يموت من أرْباب الجِهات ٣٩٨:
المحترمات .

ثم يَضْبِط ما يُنْفَق في الدَّوْلَة من المُهِمَّات ليعلم ما بين كلِّ سنة من التَّفاوُت : فالغُرَّة[b] المنعم بها في أوَّل العام من الدَّنانير والرُّباعية والقَراريط تَقْرُب من ثلاثة آلاف دينار ، وثَمَنُ الضَّحايا يَقْرُب من ألفي دينار ، وما يُنْفَقُ في دار الفِطْرَة فيما يُفَرَّق على النَّاس سبعة آلاف دينار ، وما يُنْفَقُ في دار الطِّراز للاستعمالات : الخاصّ وغيرها في كلِّ سنة عشرة آلاف دينار ، وما يُنْفَقُ في مُهِمّ فَتْح الخَليج غير المطاعِم ألفا دينار ، وما يُنْفَقُ في شهر رَمَضان في سِماطِه ثلاثة آلاف دينار ، وما يُنْفَقُ في سِماطَي الفِطْر والنَّحْر أربعة آلاف دينار ؛ هذا خارِجًا[c] عمَّا يُطْلَق للنَّاس أصْنافًا من خِزانته[d] من المآكِل والمَشارِب والمواصَلة من الهِبات ، وما تخرج به الخُطوط من التَّشْريفات والمُسامَحات ، وما يُطْلَق من الأهْراء من الغَلَّات حتى لا يفوتهم عِلْمُ شيءٍ من هذه المُطْلَقات .

وفي هذه الخِدْمَة كاتِبٌ مستقلٌّ بين يديْ صاحِب ديوانه الأصْل[e]، ومعه كاتِبان آخران لتنزيل ذلك في الدَّفْتَرِ . والدَّفْتَر عبارة عن جَرائِدَ مَسْطُوحات يُنَزِّل ذلك فيها في أوْقاته من غير فَوَات [1] .

قال : وإذا انْقَضَى عيدُ النَّحْر من كلِّ سنة ، تقدَّم بعَمَل «الاسْتِيمار» [2] لتلك السنة تَمامَ ذي الحِجَّة منها ، فيجتمع كُتَّابُ ديوان الرَّواتِب عند مُتَوَلِّيه ، وتُحْمَل العُروضُ إليه . فإذا تحرَّرت نُسْخَة

---

a) بولاق : المعروفة . b) بولاق : الصُّرَّة . c) بولاق : وهذا خارج . d) بولاق : خزائنه . e) بولاق : الأصلي .

---

[1] ابن الطوير : نزهة المقلتين ٧٤– ٧٦.

[2] الاستيمار : هو السجل الحكومي الذي يشتمل على أرزاق ذوي الأقلام وغيرهم من أرباب المناصب في الدولة مُياوَمَةً ومُشاهَرَةً ومُسانَهَةً من الرَّواتب من مبلغ عَيْنٍ وغَلَّة (ابن المأمون : أخبار مصر ٥٩، ٧٠؛ ابن أيبك : كنز الدرر ٦: ٢٩١؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣: ٤٩١؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢: ١١٢، والسلوك ١: ٨٥٠، ٢: ٧٣٨ وفيما يلي ٥٣٤، ٢: ٢٢٤).

التَّحْرير يُبَيَّضَت بعد أن يُسْتَدْعَى من المَجْلِس أوْراق بالإدْرار الذي يقبض بغير خَرْج ـ وفي الإدْرار ما هو مستقرّ بالوجهين ـ فيُضاف هذا المبلغ بجهاته إلى المبالِغ المعلومة بدِيوان الرَّواتب وجِهاتِها ، حتى لا يفوت الاسْتيمار[a] شيءٌ من كلِّ ما تقرَّر شَرْحُه ، ويعلم مِقْداره عَيْنًا ووَرِقًا وغَلَّةً وغير ذلك . فيحرَّر ذلك كلُّه بأسماء المُرْتَزقين ، وأوَّلهم الوَزير ومن يَلُوذُ به ، وعلى ذلك إلى أن ينتهي الجَميع إلى أرباب الضَّوّ[b]. فإذا تكمَّل استدعي له من خِزانَة الفُرُوش[c] وِطَاء حَرير[1] لشَدِّه ، وشُرَّابة لشكِّه[c] إمَّا خَضْرَاء أو حَمْرَاء ، ويُعْمَل له صَدْرٌ من الكَلام اللَّائِق بما بعده .

وهذا كلُّه خارجٌ عن الكُسْوات المُطْلَقَة لأرْبابها ، [e]ورَسْم الغُرَّة في أوَّل[e] كلِّ سنة ، وما يُحْمَل من دار الفِطْرَة من الأصْناف برَسْم عيد الفِطْر ، وعمَّا يَشْهَد به دَفْتَرُ المَجْلِس من العَطَايا الخافية والرُّسُوم . وقد انْعَقَدَ مَرَّةً ـ وأنا أتولَّى ديوانَ الرَّواتِب ـ على ما مبلغه نيِّف ومائة ألف دينار أو قريب من مائتيْ ألف دِرْهَم[f]، ومن القَمْح والشَّعير على عشرة آلاف أردبّ .

فإذا فَرَغَ من شكِّه[g] في الشُّرَّابة ، حُمِلَ إلى صَاحِب ديوان النَّظَر إن كان ، وإلَّا لصاحِب ديوان المَجْلِس ليعرضه على الخَليفَة إن كان ـ يعني مستبدًّا ـ أو الوَزير ، لاستقبال المحرَّم من السنة الآتية في أوْقات معلومة ، فيتأخَّر في العَرْض ، رَبَّمَا[h] يستوعب المحرَّم ليُحيط العِلْم بما فيه ، فإذا كَمُلَ العَرْض أخرج إلى الديوان وقد شُطِبَ على بعضه .

وكانوا يتحرَّجون من الإقامات على مال الدَّوْلَة التي لا أصْلَ لها وعلى غير متوفّر ، ويتنجَّزها أربابُها بالتَّشْقيلات[i] على الخُلَفَاء والوُزَراء ، ويُنْقص قوم للاستكثار ، ويُزاد قومٌ للاستحقاق ، ويُصْرَف قومٌ ويُسْتَخْدَم آخرون ، على ما تقتضيه الآراءُ في ذلك الوَقْت ، ثم يخرج فيُسَلَّم[j] لِرَبِّ هذا الدِّيوان ، فيحمل الأمر على ما شُطِبَ فيه[k]، وعَلامَة الإطْلاق خُروجه من العَرْض .

---

a) بولاق : من الاستيمار . b) بولاق : الضر . c) بولاق : الفرش . d) بولاق : لمسكه . e-e) بولاق : والرسوم المعدّة في . f) بولاق : دينار . g) بولاق : مسكه . h) بولاق : ربما . i) بولاق : بالمستقبلات . j) بولاق : ثم يسلم . k) بولاق : عليه .

---

[1] وِطَاء جـ. أوطية . والوِطَاء ككِتاب وسِحاب خلاف الغِطاء (الفيروزأبادي : القاموس المحيط ٧٠) ، ويمكن أن تكون شيئًا أشبه بالمخاد تقدم عليه الخلع من باب التشريف .

وقيل : إنّه عُمِلَ مَرّةً في أيام المُسْتَنْصِر بالله ، فلمّا استؤذن على عَرْضه قال : هل وَقَّعَ أَحَدٌ بما فيه غيرنا ؟ قيل له : مَعاذَ الله يا مولانا ، ما تَمَّ إنعامٌ إلَّا لك ، ولا رِزْقٌ إلَّا من الله على يديك . فقال : ما يُنْقَض ما خَرَجَ[a] به أمرُنا ولا خطُّنا وما صَرَفْناه في دولتنا بإذننا .

وتَقَدَّمَ إلى وَلِيِّ الدَّوْلَة ابن خَيْرَان[b][1] كاتِب الإنْشَاء بإمْضائِه للنَّاس من غير عَرْض ، وحَمَل الأمر على حكمه ، ووَقَّع[c] الخَليفَة بظاهِره :

«الفَقْرُ مُرُّ المَذاق ، والحاجَةُ تُذِلُّ الأعْناق ، وحِراسَةُ النِّعَم بإدْرار الأَرْزَاق ، فليُجْرُوا على رُسُومِهم في الإطلاق ، ﴿ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ الله بَاقٍ﴾[d][2] [الآية ٩٦ سورة النحل] .

ووُقِّعَ في خِلافَة الحافِظ لدين الله على اشتيمار الرَّواتب ما نَصُّه :

«أميرُ المؤمنين لا يستكثر في ذات الله كثير الإعْطَاء ، ولا يُكَدِّره بالتأخير له والتَّشويف والإبْطَاء . ولمَّا انْتَهَى إليه ما أَرْبابُ الرَّواتِب عليه من القَلَقِ للامْتِناع من إيجاباتهم ، وحَمْل خُروجاتهم : قد ضَعُفَت قُلوبُهم ، وقَنَطَت نُفُوسُهم ، وساءَت ظُنونُهم ، شَمِلَهم برَحْمَتِه ورَأْفَته ، وأَمَّنَهم مِمَّا كانوا وَجِلين من مَخافَتِه ، وجَعَلَ التَّوْقِيعَ بذلك بخَطِّ يَدِه تأكيدًا للإنْعام والمَنّ ، وتَهْنِئَةً بصَدَقَة لا تُتْبَع بالأذَى والمَنّ ؛ فليُعْتَمَد في دِيوان الجُيوش المَنْصُورَة إجْراءُ ما تَضَمَّنَت هذه الأَوْراقُ ذِكْرَهم ، على ما أَلِفُوه وعَهِدوه من

---

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : جبران . c) بولاق : ووقع عن . d) ورد بعد ذلك في نسخة آياصوفيا الفقرة التالية التي تبدأ بـ: وقال في كتاب كنز الدرر ، ثم كتب على هامش النسخة : لعل محله هنا أو يقدم قبل : وقال في كتاب كنز الدرر . وواضح أنها طيارة موجودة في أصل نسخة المقريزي .

---

[1] وليّ الدولة أبو محمد أحمد بن علي بن أحمد بن خَيْران . تولى ديوان الإنشاء بعد أبيه للخليفة الظاهر سنة ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م ، ثم للمستنصر بالله ، وتوفي بعد سنة ٤٤٣هـ/ ١٠٥٢م . فقد ذكر ابن القلانسي أنه كتب سجل تقليد الوزير أبي محمد اليازوري في ذي القعدة من هذه السنة . (المسبحي : أخبار مصر ، الجزء الأربعون ١: ٣١، ٢: ٤٤- ٤٦؛ ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ٨٠، ٨٥؛ ياقوت : معجم الأدباء ٤:٥- ١٣؛ ابن سعيد : النجوم الزاهرة ٦٨، ٢٤٤- ٢٤٨؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣: ٣٨٢، ٧: ٣١؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٧: ٢٣٤- ٢٣٦ ، (وفيهما أن وفاته كانت في رمضان سنة ٤٣١هـ) .

[2] ابن الطوير : نزهة المقلتين ٧٨؛ ابن الفرات : تاريخ ٤/ ١: ١٥٠ - ١٥١؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣: ٤٩١؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣: ٣٤٣.

رَواتِبهم، وإيجابها على سِياقِها لكافَّتهم[a]، من غير تأوُّل ولا تَعَنُّت، ولا اسْتِدْراك ولا تَعَقُّب. ولِيُجْروا في تَشبيباتهم على عادَتهم، لا يُنْقَض من أَمْرهم ما كان مُبْرَمًا، ولا يُنْسَخ من رَسْمِهم ما كان مُحْكَمًا، كَرَمًا من أَمير المؤْمنين وفِعْلًا مَبْرورًا، وعَمَلًا بما أَخْبَر به عَزَّ وجَلَّ في قَوْله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُم لوَجْه الله لا نُرِيدُ مِنْكُم جَزَاءً ولا شُكُورًا﴾ [الآية ٩ سورة الإنسان]. ولِيُنْسَخ في جَميع الدَّواوين بالحَضْرَة إن شاءَ الله[1]».

وقال في كتاب «كَنْز الدُّرَر»: إنَّ في سنة ستٍّ وأربع مائة، عُرِضَ على الحاكِم بأمر الله الاسْتيمار باسم المتفقِّهين والقُرَّاء والمؤَذِّنين بالقاهِرَة / ومصر، وكانت الجُمْلَة في كلِّ سنة أحدًا ٩٩:١ وسبعين ألف دينار وسبع مائة وثلاثة وثلاثين دينارًا وثلثَيْ دينار وربع دينار. فأَمْضَى جَميعَ ذلك[2].

وقال ابنُ المأْمُون: وأمَّا الاسْتيمارُ فبَلَغَني ممَّن أَثِقُ به أنَّه كان في الأيام الأَفْضَلِيَّة اثني عشر ألف دينار، وصارَ في الأيام المأمُونِيَّة لاسْتِقْبال سنة ستّ عشرة وخمس مائة ستّة عشر ألف دينار. وأمَّا «تَذْكِرَةُ الطِّراز» فالحُكْم فيها مثل الاسْتيمار. والشائِعُ فيها أنَّها كانت تشتمل في الأيام الأَفْضَلِيَّة على أَحَدٍ وثلاثين ألف دينار، ثم اشتملت في الأيام المأمُونية على ثلاثة وأربعين ألف دينار، وتَضاعَفَت في الأيام الآمِرِيَّة[3].

وعُرِضَ «رُوزْنامَج»[4] بما أُنْفِقَ عَيْنًا من بيت المال - في مُدَّة أوَّلها محرَّم سنة سبع عشرة وخمس مائة، وآخرها سَلْخ ذي الحجَّة منها - في العَساكِر المُسَيَّرَة لجهاد الفِرِنْج بَرًّا والأساطيل بحرًا، والمُنْفَق في أرباب النَّفقات من الحُجَرِيَّة والمُصْطَنِعِيَّة والسُّودان على اختلاف قُبُوضهم، وما يَنْصَرف برَسْم جِرَايَة[b] القُصور الزَّاهِرَة، وما يُبْتاع من الحَيَوان برَسْم المَطابِخ، وما هو برَسْم مَنْديل الكُمّ الشَّريف في كلِّ سنة مائة دينار، والمُطْلَق في الأعياد والمواسِم، وما يُنْعَم به عند الرُّكوبات

---

a) بولاق: ليكافئهم. b) بولاق: خزانة.

---

[1] ابن الطوير: نزهة المقلتين ٧٨- ٧٩.

[2] ابن أيبك: كنز الدرر ٦: ٢٩١.

[3] أي الفترة التي استقل فيها الآمر بأحكام الله بالحكم (٥١٩-٥٢٤هـ)، وانظر فيما يلي ٥٣٤.

[4] روزنامج. فارسي الأصل بمعنى كتاب اليوم، روز بمعنى اليوم ونامه بمعنى الكتاب؛ لأنه يكتب فيه ما يجري كل يوم من استخراج أو نفقة أو غير ذلك. (الخوارزمي، مفاتيح العلوم ٣٧).

من الرُّسوم والصَّدَقات وعند العَوْد منها، وثَمَن الأَمْتِعَة المبتاعة من التُّجّار على أيدي الوُكَلاء، والمُطْلَق برَسْم الرُّسُل والضُّيوف ومن يَصل مستأمِنًا ودار الطِّراز ودار الدِّيباج [١]، والمُطْلَق برَسْم الصِّلات والصَّدَقات ومن يهتدي للإسلام، وما يُنْعم به على الولاة عند استخدامهم في الخِدَم، ونَفَقات بَيْت المال والعَمائِر وهو من العَيْن: أربع مائة ألف وثمانية وستون ألفًا وسبع مائة وسبعة وتسعون دينارًا ونصف، من جملة خمس مائة ألف وسبعة وستين ألفًا ومائة و[a]أربعة وتسعين[a] دينارًا ونصف. يكون الحاصِلُ بعد ذلك، ممَّا يُحمَل إلى الصَّناديق الخاصّ برَسْم المُهِمّات لما يتجدَّد من تَشفير العَساكِر، وما يُحمَل إلى الثُّغور عند نَفاد ما بها: ثمانية وتسعين ألفًا ومائة وسبعة وتسعين دينارًا ورُبْعًا وسُدْسًا. ولم يكن يُكْتَب من بَيْت المال وصولٌ بجري[b] ولا تُعْرَف.

وذلك خارِجٌ عَمَّا يُحمَل مُشاهَرةً برَسْم الدِّيوان المأموني والأجِلّاء إخْوته وأوْلاده، وما أُنْعِم به على ما تضمَّنت اسمه مُشاهَرَةً من الأصحاب والحَواشي وأرْباب الخِدَم، والكُتّاب والأطبّاء والشُّعَراء، والفَرّاشين الخاصّ والجُوق والمؤذِّنين[c]، والخَيّاطين والرَّفّائين وصِبْيان بَيْت المال ونُوّاب الباب ونُقَباء الرَّسائِل، وأرْباب الرَّواتِب المستقرة من ذَوي النَّسَب والبُيوتات، والضُّعَفاء، والصَّعاليك من الرِّجال والنِّساء، عن مُشاهَرَتهم: ستة عشر ألفًا وستّ مائة واثنان وثمانون دينارًا وثُلُثا دينار، يكون في السَّنَة مائتي ألف ومائة دينار. فذلك[d] الجملة سبع مائة ألف وسبعة وستين ألفًا ومائتين وأربعة وتسعين دينارًا ونصفًا [٢].

قال: وفي هذا الوَقْت ـ يعني شَوّال سنة سبع عشرة وخمس مائة ـ وَقَعَتْ مُرافَعَةٌ في أبي البَرَكات بن أبي اللَّيْث [٣]، مُتَوَلّي دِيوان المَجْلِس، صُورَتُها:

«المَمْلُوكُ يُقَبِّلُ الأرْض، ويُنْهي أنَّه ما واصَل إنْهاء حالِ هذا الرجل وما يعتمده لأنَّه أهلٌ يَنال خِدْمَة، وإنَّما هي نَصيحَةٌ تَلْزمه في حَقِّ سُلْطانِه، وقد

a-a) بولاق: مائة وأربعين. b) بولاق: ولا بجري. c) بولاق: المؤذين. d) بولاق: فتكون.

[١] انظر عن دار الطراز ودار الديباج فيما يلي ٥١٩ – ٥٢٠، ٥٣٤ – ٥٣٦.

[٢] ابن المأمون: أخبار مصر ٧٠ – ٧١.

[٣] وَليّ الدولة أبو البركات يوحنّا (يُحنّا) بن أبي اللَّيْث النَّصراني صاحب ديوان المجلس، ظل يليه إلى أن صرف عنه سنة سبع وعشرين وخمس مائة، وتوفي مقتولًا في سنة ثمان وعشرين وخمس مائة. (ابن ميسر: أخبار مصر ٧٧، ١٠٨؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٣٩، ٤٣، ٧٥، ١٢٦، ١٤٨، وفيما يلي ٣٣٢.

حَصَلَ له من الأموال والذَّخائِر ما لا عَدَد له ولا قِيمَة عليه، ويَضْرب المَمْلوك عن وُجوه الخيانة[a] التي هي ظاهِرَة، لأنَّ السُّلْطانَ لا يَرْضَى بذكرها في عالي مَجْلِسه، ولا سَماعِها في دَوْلَته، وله ولأَهْلِه مُسْتَخْدمون في الدَّوْلَة ستّ عشرة سنة، بالجاري الثَّقيل لكلٍّ منهم.

ويَذْكُر المَمْلُوك ما وَصَلَت قُدْرَتُه إلى عِلْمه، ما هو باسْمه خاصَّةً دون من هو مُسْتَخْدَمٌ في الدَّواوين من أَهْله وأَصْحابِه، ويبدأ بما بَرَسْمِه[b] مُياوَمَةً إدرارًا من بيت المال والخَزائِن ودار التَّعْبِئة والمطابخ وشُوَن الحَطَب ـ وهو ما يُبيَّن: بَرَسْم البُقولات والتَّوابِل ـ نصف دينار، ومن الضَّأْن رأس واحِد، ومن الحَيوان ثلاثة أَطْيار، ومن الحَطَب حَمْلَة واحدة، ومن الدَّقيق خمسة وعشرون رطلًا، ومن الخُبْز عشرون وَظيفَة، ومن الفاكِهَة ثَمَرَة وزَهْرَة[c] قصريتان وشَمّامَة.

وفي كلِّ اثنين وخميس من السِّماط بقَاعَة الذَّهَب: طَيْفورٌ خاصّ [1]، وصَحْنٌ من الأوائِل، وخمسة وعشرون رَغيفًا من الخبز الموائدي والسَّميذ. وفي كلِّ يوميْ أَحَد وأربعاء من الأَسْمِطَة بالدار المأمونية مثل ذلك. وفي كلِّ يوم سبت وثلاثاء من أَسْمِطَة الرُّكوبات: خَروف شِواء[d]، وجام[2] حَلْوى، ورُباعي عَيْنًا.

ويُحْضَر إليه في كلِّ يوم من الإسْطَبْلات: بَغْلة بمركوب مُحَلَّى، وبَغْلَة بَرَسْم الراجل، وفَرّاشين من الجُوق بَرَسْم خِدْمَته وتَبيت على بابِه. وإذا خَرَجَ من بين يديِ السُّلْطان في اللَّيْل، كان له شَمْعَةٌ من المَوْكَبيات تُوَصِّله إلى دارِه وزنها سبعة عشر رطلًا، ولا تعود. وبَرَسْم وَلَده في كلِّ يوم: ثلاثة أرطال لَحْم، وعشرة أرطال دَقيق، وفي أيام الرُّكوبات رُباعي.

---

a) بولاق: الجنابه. b) بولاق: باسمه. c) بولاق: ثمرة زهرة. d) بولاق: مشوي.

---

[1] طَيْفور جـ. طَيافير. إناءٌ مُقَعَّر عميق قاعه مسطح وجوانبه مرتفعة باستقامة (Dozy, R., *Suppl. Dict. Ar.* II, p. 48).

[2] جام جـ. جامات. آنية تكون من الفخار أو الزُّجاج يصب فيها السكر بعد نضجه لصنع الحلوى (Dozy, R., *Suppl. Dict. Ar.* I, p. 168).

والمُشاهَرَة جاري ديوان الخاصّ والمَجْلِس برَسْمِه مائة وعشرون دينارًا، وبرَسْم وَلَدِه راتِبًا؛ عشرة دنانير.

وأَثْبَتَ أربعة غِلْمان نَصارَى، ونَسَبَهم للإسلام، في جملة المُسْتَخْدَمين في الرِّكاب، ولم يَخْدموا لا في اللَّيْل ولا في النَّهار، بما مبلغه سبعة دنانير. ومن السُّكَّر خمسة عشر رطلًا، ومن عَسَل النَّحْل عشرة أرطال، ومن قَلْب الفُسْتُق ثلاثة/ ٤٠٠ أرطال، وقَلْب بُنْدُق خمسة أرطال، وقَلْب لَوز أربعة أرطال، وَرْد مُرَبَّى رطلان، زيت طَيِّب عشرة أرطال، شَيْرَج خمسة أرطال، زَيْت حار ثلاثون رطلًا، خَلّ ثلاث جِرار، أُرْز نصف وَيْبَة، سُمّاق أربعة أرطال، حِصْرِم وكِشْك وحَبّ رُمّان وقَراصْيا بالسَّوِيَّة اثنا عشر رطلًا، سِدْر وأَشْنان وَيْبَة، ومن الكِيزان عشرون شَرْبَة عزيزية، وثلجية واحِدة، ومن الشَّمْع ستّ شَمْعات: منهم اثنتان مَنْويات، وأربعة رطليات.

والمُسانَهَة في بكور الغُرَّة: برَسْم خاصّه[a] خمسة دنانير، وخمس رُباعية، وعشرة قَراريط جُدُد. وبرَسْم ولده دينار رُباعي، وثلاثة قراريط، وخَروف مَقْموم، وخمسة أرؤس، ورُبْع قنطار خبز بُرّ مازِق، وصَحْن أرز بلَبَن وسُكَّر.

ومن السِّماط بالقصر في اليوم المذكور: خَروف شِواء، وزَبادي، وجام حَلْوى، والخُبْز وقطعة منفوخ، ومن القَمْح ثلاث مائة أردبّ، ومن الشَّعير مائة وخمسون أردبًّا، وفي المواليد الأربعة أَرْبع صَواني فُطْرَة.

وكُسْوَة الشِّتاء: برَسْمِه خاصَّةً مِنْديل حَريري، وشُقَّة دَبيقي حرير، وشُقَّة ديباج، ورِداء أَطْلَس، وشُقَّةُ دِيباج داري، وشُقَّتان سَقْلاطون إحداهما إسْكَنْدَراني، وشُقَّتان عَتّابي، وشُقَّتان خَزّ مغربي، وشُقَّتان إسْكَنْدَراني، وشُقَّتان دِمْياطي، وشُقَّة طَلْي مُرَيَّش[b] وفُوطَة خاصّ. وبرَسْم وَلَده شُقَّة سَقْلاطون داري، وشُقَّة عَتّابي داري، وشُقَّة خَزّ مغربي، وشُقَّتان دمياطيّ، وشُقَّتان إسْكَنْدَراني وشُقَّة طَلْي وفُوطَة. وبرَسْم من عنده مِنْديلًا

a) بولاق: الخاصة. b) بولاق: مرش، آياصوفيا: ممرش، وصوبها سرجنت: مُرَيش. (Serjeant, R.B., *Islamic Textiles*, p. 158 n. 181).

كُمٌّ أحدهما خَزائني خاصّ، ونصفيْ أردية دَبيقي، وشُقَّة سَقْلاطون داري، وشُقَّة عَتّابي، وشُقَّة سُوسي، وشُقَّة دِمْياطي، وشُقَّتان إسْكَنْدَراني وفُوطَة.

وبرَسْمه أيضًا في عيد الفِطْر: طَيْفُوران فِطْرَة مَشورَة، ومائة حَبّة بورِي، وبَدْلَة مُذَهَّبة مُكَمَّلة، ولوَلَده بَدْلَة حَرير، وبرَسْم مَنْ عنده حُلَّة مذهبة. وفي عيد النَّحْر رَسْمُه مثل عيد الفِطْر، ويَزيد عنه هِبَة مائة دينار. ولوَلَده مثل عيد الفِطْر وزيادة عشرة دنانير، ويُساق إليه من الغَنَم ما لم يكن باسمه.

وفي مَوْسم فَتْح الخَليج: أربعون دينارًا، وصينية فِطْرَة، وطَيْفور خاصّ من القصر، وخَروف شِواء، وجام حَلْواء، وبرَسْم وَلَده: خمسة دنانير.

ولخاصِّه في النَّوْروز: ثلاثون دينارًا، وشُقَّة دَبيقي حَريري، وشُقَّة لاذْ، ومَعْجَر حَريري، ومِنْديل كُمّ حَريري، وفُوطَة، ومائة بِطِّيخة، وسبع مائة حَبَّة رُمّان، وأربعة عناقِيد مَوْز، وفَرْد بُسْر، وثلاثة أقْفاص تَمْر قوصي، وقَفَصان سَفَرْجَل، وثلاث بكالي هَريسَة: واحدة بدَجاج وأخرى بلَحْم ضَأْن، والثالثة بلَحْم بَقَري، وأربعون رطلًا خبز بُرّ مازِق. ولولده خمسة دنانير، وحوائِج النَّوْروز بما تقدَّم ذكره.

وبرَسْمه في الميلاد: جام قاهِرية، ومَتْرَد سَمِيذ مُعْتَصَمي، وزَلابية، وسِتّ قَرّابات جُلّاب، وعشر حَبّات بوري.

وبرَسْم الغِطاس: خمس مائة حَبّة تُرُنْج ونارِنْج ولَيْمون مراكبي، وخمسة عشر طن قَصَب، وعشر حَبّات بوري. وبرَسْمِه في عيد الغَدير من السِّماط بالقصر مثل عيد النَّحْر.

وله هِبَة عن رَسْم الخِلَع من المَجْلس المأموني ـ يعني مجلس الوَزارَة ـ ثلاثون دينارًا، ولوَلَده خمسة دنانير.

ومَنْ تكون هذه رُسُومه، في أي وَجْه تنصرف أموالُه؟ والذي باسْم أخيه نَظير ذلك، وكذلك صِهْره في دِيوان الوَزارَة، وابن أَخيه في الدِّيوان التّاجي ووُجُوه الأَمْوال من كلّ جِهَة واصِلَة إليهم، والأَمانَة مَصْرُوفَة عنهم.

وقد اخْتَصَرَ المَمْلُوك فيما ذَكَره ، والذي باسمه أكثر . وإذا أُمِرَ بكَشْف ذلك من الدَّواوين ، تَبيَّنَ صِحَّة قَوْل المملوك ، وعُلِمَ أنَّه ممَّن يتَجَنَّب قَوْلَ المُحَال ولا يَرْضاه لنفسه ، سيَّما إنْ رَفَعَه إلى المَقَامِ الكَريم» .

وشَفَعَ ذلك بكثرة القَوْل فيهم ، وعَرَض بالقَبْض عليهم ، وأَوْجَب على نفسه أنَّه يُثْبِت في جِهاتِهم من الأَمْوال التي تَخْرُج عن هذا الإنْعام ، ما يجده حاضِرًا مذْخورًا عند من يعرفه مائة ألف دينار .

فلم يُسْمَع كلامُه إلى أن ظَهَرَ الرَّاهِبُ في الأيام الآمِرِية ، فوَجَدَ هو وغيره الفُرْصَة فيهم ، وكَثَّروا الرفايع[a] عليهم ، فقَبَضَ عليهم عن آخرهم ومن يعرفهم ، وأَخَذَ منهم الجُمْلَة الكبيرة ، ثم بعد ذلك عادُوا إلى خِدَمهم بما كان من أشمائِهم ، وتجدَّد من جاهِهم ، وانتقامهم من أعْدائِهم أكْثَر ممَّا كان أوَّلًا . انتهى[1] .

فانْظُر ـ أعَزَّك الله ـ إلى سَعَة أحْوَال الدَّوْلَة من مَعْلوم رَجُلٍ واحِدٍ من كُتَّاب دَواوينها ، يتبيَّن لك ـ بما تقدَّم ذكره في هذه المُرافَعَة ـ من عِظَم الشأن وكَثْرَة العَطاء ، ما يكون دَليلًا على باقي أحوال الدَّوْلَة .

دِيوانُ النَّظَـرِ

قال ابنُ الطُّوَيْر : أمَّا دَواوينُ الأَمْوال فإنَّ أجلَّها من يتولَّى النَّظَرَ عليهم ، وله العَزْل والوِلاية ، ومن يده عَرْضُ الأَوْرَاق في أوْقاتٍ معروفة على الخَليفَة أو الوَزير[2] ، ولم يُرَ فيه نَصْرانيٌّ إلَّا الأَخْرَم[3] ، ولم يَتَوَصَّل إليه إلَّا بالضَّمان . وله الاعْتِقَال بكُلِّ مَكان يتعلَّق بنُوَّاب الدَّوْلَة ، وله

---

a) بولاق : وكثر الوقائع .

---

[1] ابن المأمون : أخبار مصر ٦٥- ٦٨.

[2] احتفظت لنا المصادر بأسماء بعض الذين تولَّوا ديوان النَّظَر الفاطمي ؛ فتولَّاه في عهد الخليفة الحافظ الشريف معتمد الدولة عليّ بن جعفر بن غَسَّان المعروف بابن أبي العشّاف الذي تولى نظر الدواوين في سنة ٥٢٧هـ/ ١١٣٣م (ابن ميسر : أخبار مصر ١١٩؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ١٤٨:٣) والموَفَّق أبو الكرم محمد بن معصوم التنيسي الذي أعيد إليه نظر الدواوين والأتراك والخزائن في جمادى الأولى سنة ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م، ثم صرف في سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م بالقاضي المرتضى أبي عبد الله محمد بن الحسين الطرابلسي المعروف بالمُحَنَّك (أبو صالح : تاريخ ١٤؛ ابن ميسر : أخبار ١٣٦، ١٣٧؛ المقريزي : اتعاظ ٣: ١٨٠، ١٨٢، والمقفى الكبير ٢٧٦:٧) .

[3] اختلفت المصادر في ذكر الاسم الصحيح لهذا الشخص . فقد ورد اسمه في المصادر الإسلامية بالصيغة التالية : صنيعة الخلافة أبو الكرم الأَخْرَم (أو الأَكْرَم) بن =

الجُلوس بالمَرْتَبَة والمَسْنَد ، وبين يديه حاجِبٌ من أُمَرَاء الدَّوْلَة ، وتخرج له الدَّواةُ بغير كُرْسي . وهو يَنْدِبُ المترسِّلين لطَلَب الحِساب ، والحَثّ على طَلَب الأَمْوال ، ومُطالَبَة أَرْباب البُدول [a]، ولا يُعْتَرَض / فيما يَقْصده من أحَدٍ من الدَّوْلَة [١].

دِيوانُ التَّحقيق

ديوانٌ مُقْتضاه المُقابَلَة على الدَّواوين ، وكان لا يتولَّاه إلَّا كاتِبٌ خَبيرٌ ، وله الخِلَعُ والمَرْتَبَة والحاجِب ، ويُلْحَق برأس الدِّيوان ـ يعني مُتَوَلِّي ديوان النَّظَر ـ ويُفْتَقَر إليه في أكثر الأوقات [٢].

وقال ابنُ المأمُون : وفي هذه السَّنَة ـ يعني سنة إحدى وخمس مائة ـ فُتِحَ [b]ديوانٌ سُمِّيَ ديوانَ التَّحْقيق ، تولَّاه ابن أبي اللَّيْث النَّصْراني وأضيف إليه[b] ديوانُ المَجْلِس .

قال : ولمَّا كَثُرَت الأموالُ عند ابن أبي اللَّيْث صاحِب الدِّيوان ، رَغِبَ في التَّبَجُّح على الأَفْضَل ابن أَمير الجُيوش بنهضته ، فسأل[c] أن يُشاهده قبل حمله ، وذَكَر أنَّه سبع مائة ألف دينار خارِجًا عن نَفَقات الرجال . فجُعِلَت الدَّنانيرُ في صَناديق بجانب ، والدَّراهِم في صَناديق بجانب ، وقامَ ابنُ أبي اللَّيْث بين الصَّفَّيْن . فلمَّا شاهَدَ الأَفْضَلُ ابن أَمير الجُيُوش ذلك ، قال لابن أبي اللَّيْث :

---

a) بولاق : الدولة . b-b) ساقطة من بولاق وموجودة أيضا في مخطوطة Liège. c) بولاق : ينهض ويسأله .

= أبي زكريا النَّصْراني (ابن ظافر والنابلسي والمقريزي) . بينما جاء في تاريخ الكنائس والأديرة لأبي المكارم سعد الله : الشيخ الرئيس صنيعة الخلافة أبو ذكري يحيى المعروف بالأكرم بن الشيخ السعيد أبو المكارم هبة الله بن مينا المعروف بابن بولس (أبو المكارم : تاريخ الكنائس ٢؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٦ : ٧٤) . وبينما يذكر المؤرخون المسلمون أنه تولى نظر الدواوين في مدة وزارة بهرام الأرمني (٥٢٩ـ٥٣١هـ) ثم أعيد إليها في سنة ٥٣٣ بعد عزل الوزير رضوان بن ولخشي (ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ٩٩؛ النابلسي : تجريد سيف الهمة ١٤٢-١٤٣ (نص مليء بالتفصيلات) ؛ ابن ميسر : أخبار ١٤٠؛ المقريزي : اتعاظ ٣ : ١٦٥، ١٨٤-١٨٥، ١٨٩، وفيما يلي ٣٤٧-٣٤٨) . وذكر المؤتمن أبو المكارم سعد الله أنه تولى «ديوان التحقيق» ثم بعده «ديوان النظر» في سنة ٥٣٠هـ وما بعدها بين صرف واستخدام متردد فيه إلى آخر ربيع الأوّل سنة ٥٤٢هـ ، وبلغ من الرئاسة مبلغًا خطيرًا . (تاريخ الكنائس ٢، علي مبارك : الخطط التوفيقية ٦ : ٧٤) .

[١] ابن الطوير : نزهة المقلتين ٧٩- ٨١؛ ابن الفرات : تاريخ ٤/١ : ١٤١- ١٤٢؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٤٨٩؛ المقريزي : اتعاظ ٣ : ٣٣٨؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٣٤٩- ٣٥٢.

[٢] نفسه ٨١؛ نفسه ٤/١ : ١٤٢؛ نفسه ٣ : ١٨٩؛ نفسه ٣ : ٣٣٨.

«يا شَيْخ ، تُفَرِّحُني بالمال ! وتُرْبَة أمير الجيوش إن بَلَغَني أنَّ بئرًا معطَّلةً ، أو أرْضًا بائِرَةً ، أو بَلَدًا خَرابًا ، لأضربنَّ عُنُقَك» . فقال : «وحَقِّ نِعْمَتِك لقد حاشَا الله أيَّامَكَ أن يكون فيها بَلَدٌ خَرابٌ ، أو بِئْرٌ معطَّلة ، أو أرْضٌ بُور» ، فأَبَى أن [a]يَخْلَع عليه حتى[a] يَكْشِفَ عمَّا ذَكَر [1] . انتهى .

وقُتِلَ ابن أبي اللَّيْث في سنة ثمان عشرة وخمس مائة [2] .

ديوان [b] الجُيوش والرَّواتِب

قال ابنُ الطُّوَيْر : أمَّا الخِدْمَةُ في ديوان الجُيوش فتنقسم قسمين :

الأوَّل «ديوانُ الجَيْش» ، وفيه مُسْتَوْفٍ أصيل ، ولا يكون إلَّا مُسْلمًا ، وله مَيْزَة[c] على غيره لجُلوسه بين يدي الخَليفَة داخل عَتَبَة باب المَجْلِس ، وله الطُّرَّاحة والمَسْنَد ، وبين يديه الحاجِب ، وتَرِد عليه أمورُ الأجْناد ، وله العَرْض والحُلِي والشِّيَّات [d] .

ولهذا الدِّيوان خازِنان بِرَسْم دَفْع[e] الشَّواهِد . وإذا عرض أحَد الأجْناد ، ورضي به عَرَض دَوابَّه ، فلا يُثْبِت له إلَّا الفَرَس الجيِّد من ذكور الخَيْل وإناثِها ، ولا يَنْزِل[f] لأحدٍ منهم بِرْذون ولا بَغْل وإن كان عندهم البَراذين والبِغال ، وليس لهم تغيير أَحَدٍ من الأجناد إلَّا بمَرْسُوم ، وكذلك إقْطاعهم .

ويكون بين يديْ هذا المستوفي نُقَباء الأُمَرَاء يُنْهون إليه متجدِّدات الأجناد من الحياة والمَوْت والمَرَض والصِّحَّة ، وكان قد فُسِحَ للأجناد في مُقايَضَة بعضهم بعضًا في الإقْطاع بالتَّوْقيعات بغير عَلامَة ، بل بتَخْريج صاحِب ديوان المجْلِس . ومن هذا الدِّيوان تُعْمَلُ أوراقُ أرْباب الجِرايات ، وما كان لأَمير ـ وإن عَلا قدره ـ بَلَدٌ مُقَوَّرٌ [3] إلَّا نادرًا [4] .

a-a) ساقطة من بولاق . b) آياصوفيا : ديواني . c) بولاق : مرتبة . d) بولاق : الثياب . e) بولاق : رفع . f) بولاق : يترك .

[1] ابن المأمون : أخبار مصر ٤٩؛ ابن ميسر : أخبار مصر ٧٧، المقريزي : اتعاظ ٣ : ٣٩؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٣٥٢- ٣٥٥.

[2] ابن ميسر : أخبار مصر ٧٧، وفي تاريخ أبي صالح الأرمني ٦٤ أن وفاته سنة ٥٢٨هـ .

[3] عن البلاد المُقَوَّرة انظر فيما تقدم ١ :٢٢٣هـ [1] .

[4] ابن الطوير : نزهة المقلتين ٨٢- ٨٣؛ ابن الفرات : تاريخ ٤/١ : ١٤٣؛ القلقشندي : صبح ٣ : ٤٨٨؛ المقريزي : اتعاظ ٣ : ٣٣٩؛ وراجع كذلك المخزومي : المنهاج في علم خراج مصر ٦٨- ٧٢؛ وفيما تقدم ١ :٢٥٣- ٢٥٤؛ Cahen, CL., «L'administration financière de l'armée fatimide d'après Makhzûmî», *JESHO* XV (1972), pp. 163-82؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٦٥٧- ٧٢٤.

وأمَّا القِسْم الثاني من هذا الدِّيوان فهو «ديوان الرَّواتِب» ، ويَشْتَمل على أسماء كلِّ مُرْتَزِق في الدولة[a] وجارٍ وجاريه ، وفيه كاتِبٌ أصيلٌ بطُرَّاحَة ، وفيه من المعينين والمبيِّضين نحو عشرة أنْفُس . والتَّعْريفات وارِدَة عليه من كلِّ عمل باستمرار مَنْ هو مستمر ، ومُباشَرَة مَنْ استَجَدَّ ، ومَوْت مَنْ مات ، ليُوجِب اسْتِحْقاقه على النِّظام المستقيم . وفي هذا الدِّيوان عِدَّةُ عُروض :

العَرْضُ الأوَّل ـ يَشْتَمل على راتِب الوَزير وهو في الشهر خمسة آلاف دينار ، ومن يليه من وَلَدٍ وأخٍ من ثلاث مائة دينار إلى مائتي دينار ، ولم يُقَرَّر لولد وزير خمس مائة دينار سوى شُجاع بن شاوَر المنعوت بالكامِل ، ثم حَواشيهم على مقتضى عِدَّتهم من خمس مائة إلى أربع مائة إلى ثلاث مائة خارِجًا عن الإقْطاعات .

العَرْضُ الثاني ـ حَواشي الخَليفَة وأوَّلُهم الأُسْتاذون المُحَنَّكون على رُتَبِهم وجواري خِدَمهم التي لا يُباشِرها سواهُم . فزِمامُ القَصْر ، وصاحِبُ بَيْت المال ، وحامِلُ الرِّسالة ، وصاحِبُ الدَّفْتَر ، وشادُّ التاج ، وزِمامُ الأشْراف الأقارِب ، وصاحِبُ المَجْلِس : لكلِّ واحِدٍ منهم مائة دينار في كلِّ شهر . ومن دُونهم يَنْقُص عشرة دنانير ، حتى يكون آخرهم من له في كلِّ شهر عشرة دنانير ، وتزيد عِدَّتُهم على ألف نفس . ولطَبيبَي الخاصّ ، لكلِّ واحدٍ خمسون دينارًا ، ولمن دونهما من الأطباء برَسْم المقيمين بالقصر لكلِّ واحدٍ عشرة دنانير .

العَرْضُ الثالث ـ يتضمَّنُ أربابَ الرُّتَب بحَضْرَة الخَليفَة : فأوَّله كاتِبُ الدَّسْت الشَّريف وجاريه مائة وخمسون دينارًا ، ولكلِّ واحدٍ من كُتَّابه ثلاثون دينارًا ، [b]ثم من يتولَّى مُجالَسة الخَليفَة والتَّوْقيع بالقَلم الدقيق في المَظالم وجاريه مائة دينار[b]، ثم صاحِبُ الباب وجاريه مائة وعشرون دينارًا ، ثم حامِلُ السَّيْف وحامِلُ الرُّمْح لكلِّ منهما سبعون دينارًا ، وبقية الأزِمَّة على العَساكِر والسُّودان من خمسين إلى أربعين دينارًا إلى ثلاثين دينارًا .

العَرْضُ الرابع ـ يَشْتَمِل على المستقرّ لقاضي القُضاة ومن يلي قاضي القُضاة مائة دينار ، وداعي الدُّعاة مائة دينار ، ولكلٍّ من قُرّاء الحَضْرَة عشرون دينارًا إلى خمسة عشر إلى عَشْرَة ، ولخُطَباء الجَوامِع من عشرين دينارًا إلى عشرة ، وللشُّعَراء من عشرين دينارًا إلى عشرة دنانير .

العَرْضُ الخامس ـ يَشْتَمِل على أرْباب الدَّواوين ومن يجري مَجْراهم ، وأوَّلهم من يتولَّى ديوان النَّظَر وجاريه سبعون دينارًا ، وديوان التَّحْقيق جاريه خمسون دينارًا ، وديوان المَجْلِس أربعون /

---

a) ساقطة من بولاق . b-b) ساقطة من بولاق .

دينارًا ، وصاحِبُ دَفْتَر المَجْلِس خمسة وثلاثون دينارًا ، وكاتِبُه خمسة دنانير ، وديوان الجُيُوش وجاريه أربعون دينارًا ، والمُوَقِّع بالقَلَم الجَلِيل ثلاثون دينارًا ، ولجَميع أصْحاب الدَّواوين الجاري فيها المعاملاتِ لكلِّ واحِدٍ عشرون دينارًا ، ولكلِّ مُعين من عشرة دَنانير إلى سبعة إلى خمسة دنانير .

العَرْضُ السّادِس ـ يَشْتَمِل على المُسْتَخْدَمين بالقاهِرَة ومصر ، لكلِّ واحِدٍ من المُسْتَخْدمين في ولاية القاهِرَة وولاية مصر في الشهر خمسون دينارًا والحُمَاة بالأهْرَاء ، والمُناخات ، والجَوالي ، والبَساتين ، والأمْلاك وغيرها ، لكلِّ منهم من عشرين دينارًا إلى خمسة عشر إلى عشرة إلى خمسة دنانير .

العَرْضُ السّابع ـ الفَرّاشون بالقُصُور برَسْم خِدْمَتِها وتنظيفها خارِجًا وداخِلًا ، ونَصْب السَّتائر المحتاج إليها ، وخِدْمَة المناظِر الخارجة عن القصر . فمنهم خاصّ برَسْم خِدْمَة الخَليفَة وعدَّتهم خمسة عشر رجلًا ، منهم صاحِبُ المائِدَة وحامي المَطابخ ولهم[a] من ثلاثين دينارًا إلى ما حولها ، ولهم رُسُوم متميِّزة ، ويُقرَّبون من الخَليفَة في الأسْمِطَة التي يجلس عليها . ويليهم الرَّشّاشون داخِل القصر وخارِجه ولهم عُرَفاء ، ويتولَّى أَمْرَهم استاذٌ من خواصِّ الخَليفَة ، وعِدَّتهم نحو الثلاث مائة رَجُل ، وجاريهم من عشرة دنانير إلى خمسة دنانير .

العَرْضُ الثّامن ـ صِبْيانُ الرِّكاب وعِدَّتهم تزيد على ألفيْ رجل ، ومقدَّموهم أصحابُ رِكاب الخَليفَة وعِدَّتهم اثنا عشر مقدَّمًا ، منهم مُقدَّم المُقدَّمين وهو صاحِبُ الرِّكاب اليمين ، ولكلٍّ من هؤلاء المُقدَّمين في كلِّ شهر خمسون دينارًا ، ولهم نُقَباءُ من جهة المذكورين يَعْرِفونهم ، وهم مُقرَّرون جُوَقًا على قَدْر جواريهم : جُوَقَة لكلٍّ منهم خمسة عشر دينارًا ، وجُوقة لكلٍّ منهم عشرة دنانير ، وجُوقَة لكلٍّ منهم خمسة دنانير . ومنهم من يُنْتَدَب في الخِدَم السُّلْطانية ، ويكون لهم نَصيبٌ في الأعمال التي يَدْخُلونها ، وهم الذين يحملون المخلَّقات[b] لرُكوب الخَليفَة في المواسِم وغيرها [1] .

وأوَّل من قرَّرَ العَطاءَ لغِلْمانه وخَدَمِه ، وأوْلادِهم الذكور والإناث ولنِسائِهم ، وقَرَّرَ لهم أيضًا الكُسْوة العَزيزُ بالله بن المُعِزّ .

---

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : الملحقات ، وربما يكون صوابها المحفات !

---

[1] ابن الطوير : نزهة المقلتين ٨٣– ٨٥؛ ابن الفرات : الأعشى ٣ : ٤٩١، ٥٢١– ٥٢٣؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا تاريخ الدول والملوك ١/٤:١٤٣– ١٤٥؛ القلقشندي : صبح ٣ :٣٣٩– ٣٤٢.

دِيوانُ الإنشاءِ والمُكاتَبات

وكان لا يتولّاه إلّا أَجَلُّ كُتَّاب البَلاغَة، ويُخاطَب بالشَّيْخ الأَجَلّ، ويُقال له: «كاتِب الدَّسْت الشَّريف»، وإليه[a] تُسلَّم المكاتَبات الواردة مَخْتومَة، فيعرضها على الخَليفَة من يَدِه، وهو الذي يأمر بتنزيلها والإجابة عنها للكُتَّاب، والخَليفَةُ يستشيره في أكثر أُمورِه، ولا يُحْجَب عنه متى قَصَد المُثول بين يديه، وهذا أمْرٌ لا يصل إليه غيرُه، ورُبَّما باتَ عند الخَليفَة ليالي. وكان جاريه مائة وعشرين دينارًا في الشهر.

وهو أَوَّلُ أرْباب الإقْطاعات وأرْباب الكُسْوَة والرُّسوم والمُلاطَفات، ولا سَبيل أن يدخل إلى ديوانه بالقَصْر، ولا يجتمع بكُتَّابه أحَدٌ إلّا الخَواصّ، وله حاجِبٌ من الأُمَرَاء الشُّيوخ وفَرَّاشون، وله المَرْتَبَة الهائلة والمَخاد والمَسْنَد، والدَّواة لكنَّها بغير كرسي. وهي من أخَصّ الدُّوَى، ويحملها أُسْتاذٌ من أستاذي الخَليفَة [1].

التَّوقيع بالقَلَم الدَّقيق في المَظالِم

وكان لابُدّ للخَليفَة من جَليس يُذاكِرُه ما يحتاج إليه من كِتاب الله، وتَجْويد الخَطّ وأخْبار الأنْبِياء والخُلَفَاء. فهو يجتمع به في أكثر الأيَّام ومعه أُسْتاذٌ من المُحَنَّكين مؤهَّل لذلك فيكون الأُسْتاذُ ثالثهما، ويقرأ على الخَليفَة ملخَّص السِّيَر، ويُكَرِّر عليه ذِكْر مَكارِم الأخْلاق، وله بذلك رُتْبَة عَظيمَة تَلْحَق برُتْبَة كاتِب الدَّسْت.

ويكون صُحْبَته للجُلوس دَواةٌ مُحلّاة، فإذا فَرَغ من المجالَسَة أُلقي في الدَّواة كاغَدَة فيها[b] عشَرة دنانير، وقِرْطاس فيه ثلاثة مثاقيل نَدّ مثلَّث خاصّ ليتبخَّر به عند دُخُوله على الخَليفَة ثاني دُفْعة [c].

---

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: كاغد فيه. c) بولاق: مرة.

---

[1] قارن ابن الطوير: نزهة المقلتين ٨٧؛ ابن الفرات: صبح الأعشى ١٠٢:١ - ١٠٣؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا تاريخ الدول والملوك ١٤٠:١/٤ - ١٤١؛ القلقشندي: ٣٣٧:٣ - ٣٣٨.

وله مَنْصِبُ التَّوْقيع بالقَلَم الدَّقيق، وله طُرَّاحة ومَسْنَد وفَرَّاش يقدِّم إليه ما يوقِّع عليه، وله مَوْضِعٌ من حُقوق ديوان المكاتَبات لا يدخل إليه أحَدٌ إلَّا بإذن، وهو يلي صاحِب ديوان المُكاتَبات في الرُّسوم،.والكَساوي وغيرها [١].

التَّوْقِيع بالقَلَم الجَلِيل

وهي رُتْبَةٌ جَليلةٌ، ويُقالُ لها: «الخِدْمَةُ الصُّغْرى»، ولها الطُّرَّاحة والمَسْنَد بغير حاجِب، بل الفَرَّاش لترتيب ما يُوَقِّع عليه[a] [٢].

مَجْلِسُ النَّظَر في المَظَالِم

كانت الدَّوْلَةُ إذا خَلَت من وَزيرٍ صاحِب سَيْف، جَلَسَ صاحِبُ الباب في باب الذَّهَب بالقصر وبين يديه النُّقَباء/ والحُجَّاب، فينادي المنادي بين يديه: يا أرباب الظُّلامات فيحضرون: ٤٠٣:١ فمن كانت ظُلامَتُه مُشافَهَةً أُرْسِلَت إلى الوُلاة والقُضاة رِسالَةٌ بكَشْفها. ومن تَظَلَّم ممَّن ليس من أهل البلدين أَحْضَر قِصَّة بأمره، فيتسلَّمها الحاجِبُ منه. فإذا جَمَعَها أحضرها إلى المُوَقِّع بالقَلَم الدَّقيق فيوقِّع عليها، ثم تُحْمَل إلى الموقِّع بالقَلَم الجَليل، فيبسط ما أشارَ إليه الموقِّع الأوَّل، ثم تُحْمَل في خَريطَة إلى الخَليفَة، فيوقِّع عليها، ثم تَخْرُج في الخَريطَة إلى الحاجِب، فيَقِف على باب القَصْر ويسلِّم كلَّ تَوْقيعٍ لصَاحِبِه.

فإن كان وَزيرُه صاحِبَ سَيْف، جَلَس للمَظالِم بنفسه، وقُبالَته قاضي القُضاة ومن جانبيه شاهِدان مُعْتَبَران، ومن جانِب الوَزير المُوَقِّع بالقَلَم الدَّقيق، ويليه صاحِبُ ديوان المال، وبين يديه صاحِبُ الباب وإسْفِهْسَلار العساكِر، وبين أيديهما النُّوَّابُ والحُجَّابُ على طبقاتهم. ويكون الجُلوسُ بالقصر في مَجْلس المَظالِم في يومين من الأُسْبوع.

وكان الخَليفَةُ إذا رُفِعَت إليه القِصَّة وَقَّعَ عليها: «يُعْتَمَد ذلك إن شاءَ الله». ويَوقِّع في الجانب الأيمن منها: «يُوَقَّع بذلك»، فتَخْرُج إلى صاحِب ديوان المَجْلِس، فيوقِّع عليها جَليلًا، ويخلِّي

a) بولاق: فيه.

[١] نفسه ٨٨؛ نفسه ١/٤: ١٤١؛ نفسه ٣: ٤٨٧؛ نفسه ٣: ٣٣٨.
[٢] نفسه ٨٨.

مكان «العَلاَمَة» [١]، فيُعلِّم عليها الخَليفَة وتُثْبَت. وكانت علامَتُهم أبدًا: «الحَمْدُ لله رَبِّ العالَمِين».
وكان الخَليفَةُ يوقِّع في المُسَامَحَة[٢] والتَّسْويغ[٣] والتَّحْبيس[٤]: «قَدْ أَنْعَمْنا بذلك، أو قد أَمْضَيْنا

---

[١] العَلاَمة. مصطلح خاص كان يُطْلق على ما يكتبه الخليفة بيده على الرسائل أو الأوامر أو السّجلّات أو التوقيعات الصادرة عنه. ولا تصدر هذه الوثائق، على اختلاف أنواعها، إلّا بعد كتابة هذه العلامة. وكان كلُّ خليفة أو سلطان أو ملك يتّخذ لنفسه مصطلحًا خاصًّا ليكون علامته. وهذه العلامة هي التي تطوّرت في أواخر العصر المملوكي وفي العصر العثماني وأصبحت تُعْرَف «بالطُّغْراء». (المقريزي: السلوك ١: ٣٤٤هـ[١]، ابن واصل: مفرج ١: ١٧٣هـ[٣]، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار (قسم مصر والشام) ٤٣-٤٤هـ[١]، القلقشندي: صبح ١٣: ١٦٢- ١٦٦ وفيما يلي ٢: ٢١١).

ويؤكد ما ذكره ابن الطُّوَيْر من أن علامة جميع الخلفاء الفاطميين كانت: «الحمد لله رب العالمين» نص مماثل للقلقشندي، لم أتمكن من تحديد مصدره، اقتبسه عليّ بك بهجت في هامش قانون ديوان الرسائل لابن الصيرفي ١٠٩، وكذلك نص «السجلات المستنصرية» وما أورده يحيى بن سعيد الأنطاكي في تاريخه ٢٣١، ٢٣٣ وأبو شامة في الروضتين ١: ١٢٨، وما جاء في رسالة «الهداية الآمرية» (في مجموعة الوثائق الفاطمية) ٢١٥. ويذكر المؤرخ ابن حمّاد أنّه شاهد سجلات صادرة عن المستعلي بن المستنصر وعليها علامته: «الحمد لله على آلائه». (أخبار ملوك بني عبيد ٦٠). ويرى شتيرن أن العلامة التي شاهدها ابن حماد ليست صادرة عن الخليفة، وإنّما عن وزيره الأفضل بن بدر الجمالي، فهي تتفق مع علامة الوزراء التي وصلت إلينا عن الوزير الجرجرائي؛ فيذكر ابن الصيرفي وابن خلكان أن القاضي أبا عبد الله القضاعي كان يُعَلِّم عنه: «الحمد لله شكرًا لنِعْمَتِه» (الإشارة ٦٩، وفيات ٣: ٤٠١، (Stern, S. M., *Fatimid Decrees*, p. 130.
بينما كانت علامة الوزير عبّاس: «الحمد لله وبه أثق» (الروضتين ١: ٢٤٧). وكان لنساء البلاط الفاطمي أيضًا علاماتهن، فكانت علامة السيدة أم المستنصر: والسيدة أخت المستنصر «الحمد لله وليّ كل نِعْمَة» (السجلات المستنصرية رقم ٢٨ و٥١ و٥٢). أما علامة السيدة أمّ المستعلي فكانت: «الحمد لله على نِعَمِه» (السجلات رقم ٣٥). وكان لكبار الموظفين أيضًا علامتهم مثل القاضي هبة الله بن ميسر الذي كان يكتب: «الحمد لله على نعمه». (ابن ميسر: أخبار ١٢٨، المقريزي: اتعاظ ٣: ١٦٣). وكذلك الموظفون من أهل الذمة فكانت علامة أبي نصر بن عبدون المعروف بابن العدّاس متولي ديوان الشام في خلافة الحاكم: «الحمد لله على ما يستحق» (أبو صالح: تاريخ ٥١).

ولم تكن العلامة توجد على رأس السجل أو المنشور ولا مباشرة بعد البسملة وإنّما كانت تأتي بعد السطر الأول من النص. (Stern, S. M., *op.cit.*, pp. 127-135).

[٢] المُسَامَحَة جـ. مُسَامَحَات. والمقصود المسامحة ببواقي الخراج عند نقل حساب الدولة من الهلالي إلى الخراجي. (ابن المأمون: أخبار ٢٨، المقريزي: الخطط ١: ٨٣، ٨٦، والاتعاظ ٢: ١١٤، ٣: ٨٠- ٨١، ١٠٤ (وفيها نص منشور بمسامحة كافة سكان الرِّباع السلطانية بالقاهرة ومصر... بأجرة شهر رمضان سنة ٥١٧)، وقارن ابن ميسر: أخبار ٥٣، والاتعاظ ٢: ٣٢٩، ٣: ٢٥٣، والخطط ١: ٣٨٢ حيث يذكر إطلاق بدر الجمالي الخراج للمزارعين ثلاث سنوات وهو أشبه بالمسامحة). وقارن القلقشندي: صبح ١٣: ٢٣، وعمارة اليمني: النكت العصرية ٥٣.

[٣] التَّسْويغ جـ. تسويغات (مولّدة). الإذن في تناول الاستحقاق من جهة معيّنة تيسيرًا وتسهيلًا على الأخذ. (القاموس: ١٠١٢هـ[٤]).

[٤] التحبيس. هو الأمر بوَقْف أرض أو عقار للصرف من عائده على عمارة أو مؤسسة دينية أو اجتماعية.

ذلك» . وكان إذا أراد أن يُعَلِّم ذلك الشيء الذي أُنْهِي وَقَّع : «لِيَخْرُج الحالُ في ذلك» . فإذا أحضر إليه إخراجُ الحال ، عَلَّم عليه .

فإن كان حينئذٍ وَزِيرٌ ، وَقَّعَ الخَليفَةُ بخطِّه : «وَزِيرُنا السَّيِّد الأَجَلّ - وذكر نَعْتَه المعروف به - أَمْتَعَنا الله ببقائه ، يتقدَّم بنَجاز ذلك إن شاءَ الله تعالى» ، فيَكْتُب الوَزيرُ تحت خَطِّ الخَليفَة : «يُمْتَثَل أَمْرُ مَوْلانا أمير المؤمنين صَلَوات الله عليه ، ويُثْبَت في الدَّواوين»[1] .

رُتَبُ الأُمَراء

وكان أجلُّ خدَم الأُمَراء أَرْباب السُّيوف ، خِدْمَةُ البَاب ، ويُقال لمُتَوَلِّي هذه الخِدْمَة : «صاحِبُ الباب»[2] ، ويُنْعَت أبَدًا بالمُعَظَّم . وأَوَّلُ مَنْ خَدَم بها المُعَظَّم حُمَرْتاش[3] في أيَّام الخَليفَة الحَافِظ ، وكان من العُقَلاء ، ونابَ عن الحَافِظ في مَرَضِه ، فلمَّا عُوفي أراده على الوَزارَة فامْتَنَع .

وله نائِبٌ يُقال له : «النَّائِب» ، وتُسَمَّى الخِدْمَة فيها بـ«النِّيابَة الشَّريفة» ، ومُقْتَضاها أنَّها مُمَيَّزَة ، ولا يليها إلَّا أعيانُ العُدول وأَرْبابُ العَمائِم ، ويُنْعَت أبدًا بـ«عَدِيّ المُلْك» . وهو الذي يتلقَّى الرُّسُل الواصِلَة من الدُّوَل ، ومعه نُوَّابُ البَاب في خِدْمَتِه ، ويحفظهم ويُنْزِلهم بالأماكِن المُعَدَّة لهم ، ويقدِّمهم للسَّلام على الخَليفَة والوَزير مع صاحِب البَاب ، فيكون صاحِبُ البَاب يَمينًا وهو يَسارًا ، ويتولَّى افتقادَهم والحَثّ على ضِيافَتِهم ، ولا يُمَكِّن من التقصير في حُقُوقهم واجْتِماع النَّاس بهم ، والاطِّلاع على ما جاءوا فيه ، أو من يَنْقِل الأَخْبار إليهم[4] .

---

[1] ابن الطوير : نزهة المقلتين ٨٨- ٩٠؛ ابن الفرات : تاريخ ٤/١: ١٤٢ - ١٤٣؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣: ٤٨٧؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣: ٣٣٩.

[2] عن صاحب الباب انظر كذلك ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٢٢- ١٢٣؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣: ٣٧٩، Ayman F. Sayyid, *EI*[2] art. *Sâhib al-bâb* VIII, p. 860.

[3] هو الأمير المعظم أبو المُظَفَّر حُمَرْتاش الحافظي صاحب باب الإمام الحافظ لدين الله ، توفي سنة ٥٤٠هـ/ ١٠٤٩م (ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ٢٨٢؛ ابن ميسر : أخبار مصر ١٣٦) . ويبدو أنّه تولى هذا المنصب بعد استغناء الحافظ عن اتخاذ الوزراء في أعقاب هرب رضوان ابن ولخشي .

[4] ابن الطوير : نزهة المقلتين ١١٧- ١١٨؛ المقريزي : مسودة المواعظ والاعتبار ٢٥٠ تحت عنوان : ذكر رتبة متولي دار الضيافة في أيام الخلفاء ، وانظر فيما يلي ٥٠٩ حيث نسب النقل صراحةً إلى ابن الطوير تحت عنوان «الخدمة المعروف بالنيابة للقاء المترسلين» .

ويلي رُتْبَة صاحِبِ البَاب رُتْبة[a] «الإسْفِهْسَلار» ، وهو زِمام كلِّ زِمام ، وإليه أُمُور الأَجْناد [1].

ثم يليه «حامِلُ سَيْف الخَليفَة» أيام الرُّكوب بالمِظَلَّة واليَتيمَة ، ثم من يَزِمّ طائِفتي الحافِظيَّة والآمِريَّة وهُما وَجْه الأَجْناد . وهؤلاء أرْبابُ الأَطْوَاق ، ويليهم أرْبابُ القَصَب والعَمَّاريات - وهي الأعْلام - ثم زِيّ الطَّوائِف ، ثم من يَتَرَشَّح لذلك من الأماثِل .

وكانت الدَّوْلَةُ لا تَسْنِد ذلك إلَّا إلى أرْباب الشَّجاعَة والنَّجْدَة ، ولهذا دَخَلَ فيه أخلاطُ النَّاس من الأَرْمَن والرُّوم وغيرهم ، وعلى ذلك كان عَمَلُهم لا للزِّينَة والتَّباهي [2].

قَاضِي القُضَاة

وكان من عادَة الدَّوْلَة أنَّه إذا كان وَزيرُ رَبَّ سَيْف ، فإنَّه يقلِّد القَضَاء رَجُلًا نِيابَةً عنه ، وهذا إنَّما حَدَثَ من عَهْد أَمير الجُيُوش بَدْر الجَمالي . وإذا كان الخَليفَةُ مستبدًّا ، قَلَّدَ القَضَاءَ رَجُلًا ونَعَته بـ«قاضي القُضَاة» ، وتكون رُتْبَتُه أجلّ رُتَب أرْباب العَمائِم وأرْباب الأقْلام ، ويكون في بعض الأوْقات دَاعيًا ، فيُقالُ له حينئذٍ : «قاضي القُضَاة وداعي الدُّعاة» ، ولا يَخْرُجُ شيءٌ من الأمُور الدينية عنه [3].

ويَجْلِسُ في يومي[a] السَّبْت والثُّلاثاء بزِيادة جامِع عَمْرو بن العَاص بمصر على طُرَّاحَة ومَسْنَد حَرير [4] ، فلمَّا وَلِيَ ابنُ أبي[a] عَقيل[5] القَضَاء رَفَعَ المَرْتَبَة والمَسْنَد ، وجَلَسَ على طُرَّاحات السَّامان ، فاستمرَّ هذا الرَّسْمُ . ويَجْلِسُ الشُّهودُ حَوالَيْه يَمْنَة ويَسْرَه بحَسَب تاريخ عَدالَتهم ، وبين يَدَيْه خَمْسَةٌ من الحُجَّاب : اثنان بين يديه ، واثْنان على باب المَقْصُورَة ، وواحِدٌ يُنْفِذُ الخُصوم إليه .

---

a) ساقطة من بولاق .

---

[1] ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٢٣؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣: ٤٧٩.

[2] ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٢٥؛ ابن الفرات : تاريخ ١/٤: ١٣٦- ١٣٧؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣: ٣٣٦.

[3] انظر أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٣٦٤ .

[4] ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٠٧ ؛ ناصر خسرو : سفرنامه ١٠٢ ؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢: ٢٢٤، وفيما يلي ٢٥٣:٢ .

[5] قاضي القضاة الأعزّ أبو المكارم أحمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن أحمد بن أبي عقيل ، المتوفى في شعبان سنة ٥٣٣هـ/ ١١٣٩م وهو في منصب القضاء . (ابن ميسر : أخبار مصر ١٢٨ ، ١٣١ ؛ ابن أيبك : كنز الدرر ٥٢٨:٦ ؛ المقريزي : المقفى الكبير ٤٩١:١ ، اتعاظ الحنفا ١٦٣:٣ ، ١٧٢ ؛ ابن حجر : رفع الإصر ٥٩-٦٠) .

وله أربعة من المُوَقِّعين بين يديه، اثنان يُقابلان اثنين. وله كُرْسي الدَّواة، وهي دواةٌ مُحَلَّاةٌ بالفِضَّة تُحْمَلُ إليه من خَزائِن القُصُور، ولها حامِلٌ بجامَكِيّة في الشهر على الدولة.

ويُقَدَّم له من الإسْطَبْلات بِرَسْم رُكوبه على الدَّوام بَغْلَة شَهْباء، وهو مخصوص بهذا اللَّوْن من البِغال دون أرباب الدَّوْلَة، وعليها من خِزانَة السُّروج سَرْج بحُلِيّ ثَقيل ورادِفَتَيْ[a] فِضَّة، ومكان الجِلْد حَرير.

٤٠ وتأتيه في المَواسِم الأَطْواقُ، ويُخْلَع عليه/ الخِلَع المُذَهَّبَة بلا طَبْل ولا بُوق إلَّا إذا وَلِيَ الدَّعْوَة مع الحُكم، فإنَّ للدَّعْوَة في خِلَعِها الطَّبْل والبُوق والبُنود الخاصّ، وهي نَظير البُنود التي يُشَرَّف بها الوَزيرُ صاحِبُ السَّيْف.

وإذا كان للحُكْم خاصَّةً، كان حواليه القُرّاءُ رَجّالة، وبين يديه المُؤذِّنون يُعْلِنون بذكر الخَليفَة أو الخَليفَة[b] والوَزير إن كان ثَمَّ وزيرٌ صاحب سَيْف[b]، ويحمل بنُوّاب البَاب والحُجّاب، ولا يتقدَّم عليه أحَدٌ في مَحْضَرٍ هو حاضِره من رَبِّ سَيْف وقَلَم، ولا يحضر لا مِلاك ولا جنازَة إلَّا بإذن، ولا سَبيل إلى قِيامِه لأَحَدٍ وهو في مَجْلِس الحُكْم، ولا يُعدَّل شاهِدٌ إلَّا بأَمْره.

ويجلس بالقَصْر في يومي الاثنين والخَميس أوَّل النَّهار للسَّلام على الخَليفَة، ونُوّابُه لا يَفْتُرون عن الأحْكام، ويَحْضُر إليه وَكيلُ بَيْت المال[1].

قال ابن الطُّوَيْر[c]: وكان له النَّظَرُ في دار[d] الضَّرْب لضَبْط ما يُضْرَب من الدَّنانير [e]لسَبَب كان متقدِّمًا وهو: إنَّه نُقِلَ عن ابن طُولون أنَّه كان له إلمامٌ بعَيْنِ شَمْس مكان الحِجارَة التي يُسَمُّونها المَسال وأنَّ يَدَ فَرَسِه ساخَت يومًا في أرضٍ صَلْدةٍ فعَجِبَ من ذلك وأَمَرَ بحَفْر ذلك المكان فوَجَدَ الخَبيئة المشهورة وهي في قَبْوٍ عَظيم فيه خمسة نَوَاويس، فكَشَفَها فوَجَدَ في الأوْسَط منها مَيِّتًا في عَسَل نحل على صَدْره لَوْحٌ لَطيفٌ من ذَهَب فيه كِتابَةٌ لا تُعْرَف، وكلٌّ من النَّواويس مملوء بالسَّبائِك الذَّهَب، فنَقَلَ ذلك ودَفَنَ المَيِّتَ وأَخَذَ اللَّوْحَ فما وَجَدَ من يحلّه، فقيل: إن بدَيْر العَرَبَة راهِبًا شَيْخًا معمَّرًا وقد كان يُعْنَي بهذا، فأَمَرَ بإحْضاره فقيل إنَّه ما يَنْهَض فاستدعى رَجُلًا من

---

a) بولاق: وراء دفتر. b) ساقطة من بولاق. c) إضافة من مسودة المواعظ. d) في جميع النسخ: ديوان.
e-e) هذه الفقرة ساقطة من بولاق وسائر مخطوطات الخطط ومثبتة من مسودة المواعظ.

---

[1] ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٠٧-١٠٨؛ ابن الفرات: ٣:٣٣٦-٣٣٧؛ وقارن القلقشندي: صبح الأعشى ٣:٤٨٢؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ١/٤:١٣٧-١٣٨ تاريخ.

عُدُول مصر يُقال له : ابن عَمْروس فدَفَعَ له اللَّوْح وأمره بالمضيّ إلى الرَّاهب فإن فَسَّرَ له نَقَلَ عنه ما يَقُول له ونَدَب معه قومًا . فمضى إلى مكانِ الرَّاهبِ فلَطَفَ به وأَطْلَعَه على سَبَبِ حُضُورِه إليه . فلمَّا وَقَفَ على اللَّوْح قال : نَعَم هذا يقول : أنا أكبر الملوك وذَهَبي أَخْلَصُ الذَّهَب ، فسَطَر هذا وعادَ إلى أحمد بن طُولون . فلمَّا عَلِمَ ذلك قال : قَبَّح الله ، من يكون هذا الكافِر ، من أكبرَ منه ، ولا ذَهَبه أخْلَص من ذَهَبه ؟ فاستدعى أهل الخِبْرَة لاسْتِخْلاص الذَّهَب وأقامَ دارَ الضَّرْب فكان يتولَّاها بنفسه ويحصل إليه ما يُعَلَّق منها في النَّار يختمه ويَفْتَحه ويتحرَّى العِيار ، فإذا صَحَّ له أَمَر بضَرْبِه دَنانير . ولم يزل على ذلك حتى ماتَ فاعتمد ابنه خُمارَوَيْه ذلك بعده . فلمَّا انتقلت البِلادُ إلى الخُلَفاء لم يَسَعهم مُباشَرَةُ هذه الأُمور بأنفسهم فأسْنَدُوها إلى قاضي القُضَاة[e]، فكان القاضي يحضر التَّغْليق بنَفْسه ويَخْتم عليه ويحضر للمَوْعد الآخر لفَتْحه[١] .

وكان القاضي لا يُصْرَف إذا وُلِّي[a] إلَّا بجُنْحَة ، ولا يُعَدِّل أحَدًا إلَّا بتزكية عشرين شاهِدًا ، عشرة من مصر وعشرة من القاهِرَة ، ورِضَى الشُّهود به ، ولا يَحْتَمي أحَدٌ على الشَّرْع ، ومن فَعَلَ ذلك أُدِّب[٢] .

ذِكْرُ[a] قَاعَةِ الفِضَّة

وهي من جُمْلَة قاعات القَصْر ، [b]ذَكَرَها الأمير جمال المُلْك موسى بنُ المأمون البطائحي في «تاريخه»[b] [٣] .

ذِكْرُ قاعَةِ السِّدْرَة

كانت بجوار المَدْرَسَة والتُّرْبَة الصَّالِحِيَّة ، واشْتَرَاها قاضي القُضَاة شَمْسُ الدِّين محمَّد بن إبراهيم بن عبد الواحِد بن عليّ بن سُرور المَقْدِسي الحَنْبلي ، مدرِّس الحَنابِلَة بالمَدْرَسَة الصَّالِحِيَّة[٤] ،

---

a) ساقطة من بولاق . b-b) إضافة من مسودة الخطط .

---

[١] ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٠٨-١٠٩ ؛ ابن الفرات : تاريخ ٤/١: ١٣٨-١٣٩ ؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٢٧٨-٢٧٩ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٤٦١:٧-٤٦٢ .

[٢] نفسه ١٠٨-١٠٩ ؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٢٧٧-٢٧٩ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٤٦١:٣-٤٦٢ .

[٣] ابن المأمون : أخبار مصر ١٧ ؛ المقريزي : مسودة المواعظ ١١٤ ، واتعاظ الحنفا ٣: ٦٧ .

[٤] المتوفى سنة ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م (راجع ترجمته عند ، الصفدي : الوافي بالوفيات ٩:٢-١٠ ؛ المقريزي : المقفى الكبير ١٠٣:٥-١٠٧ ؛ ابن حجر : رفع الإصر ٣٤١-٣٤٢) .

بألف وخمسة وتسعين دينارًا في رابع شهر رَبيع الآخَر سنة ستين وستّ مائة، من كمال الدِّين ظافِر ابن الفَقيه نَصْر وَكيل بيْت المال، ثم باعَها شَمْسُ الدِّين المذكور للملك الظَّاهِر بَيْبَرْس في حادي عشرين رَبيع الآخر المذكور. وكان يُتَوَصَّل إليها من باب البَحْر.

ذِكْر[a] قَاعَة الخِيَم

كانت شرقي قَاعَة السِّدْرَة، وقد دَخَلَت قَاعَةُ السِّدْرَة وَقَاعَةُ الخِيَم في مكان المَدْرَسَة الظَّاهِريَّة العَتيقَة[b] [1].

ذِكْر المَنَاظِر الثَّلاث

استجدَّهن الوَزيرُ المأمونُ بن[a] البَطائِحي، وَزيرُ الخَلِيفَة الآمِر بأحْكام الله: إحداهنَّ بين باب الذَّهَب وباب البَحْر، والأخرى على قَوْس باب الذَّهَب، ومنظرة ثالثة. وكان يُقال لها: الزَّاهِرَة والفاخِرَة والنَّاضِرَة، وكان يجلسُ الخَلِيفَةُ في إحْداها لعَرْض العَساكِر يوم عيد الغَدير، ويقف الوَزيرُ في قَوْسِ باب الذَّهَب[b] [2].

ذِكْر[a] قَصْر الشَّوْك

قال ابنُ عبد الظَّاهِر: كان مَنْزِلًا لبني عُذْرَة قبل القاهِرَة يُعرف بقصر الشَّوْك، وهو الآن أحَدُ أبْواب القصر[3]. انتهى.

والعامَّةُ تقول: «قَصْر الشُّوق»[4]. وأَدْرَكْت مكانَه دارًا استجدَّت بعد الدَّوْلَة الفاطِمية، هَدَمَها الأميرُ جَمالُ الدِّين يوسُف الأُسْتادَّار في سنة إحدى عشرة وثمان مائة لِيُنْشِئها دارًا، فماتَ قبل ذلك. ومَوْضِعُه اليوم بالقُرْب من دار الضَّرْب فيما بينه وبين المارِسْتان العَتيق[5].

---

a) ساقطة من بولاق. b) بعدها بياض في الأصل.

---

[1] فيما يلي ٢: ٣٧٨، وقاعات الذهب والفضة والسِّدْرة والخيم هي القاعات التي حفظ لنا المقريزي أسماءها، ولا نعرف أسماء قاعات غيرها في القصر.

[2] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية الزاهرة ١٢٥؛ المقريزي: مسودة المواعظ ١١٣، ٢١٤؛ أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٦١٨-٦٢٠.

[3] نفسه ١٥، وفيما يلي ١: ٤٣٥.

[4] وهي التسمية الشائعة الآن، حتى إن الأديب نجيب محفوظ أطلق على الجزء الثاني من ثلاثيته «قصر الشُّوق» لا «الشَّوْك».

[5] Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 270-71.

ذِكْرُ [a] قَصْرِ أَوْلادِ الشَّيْخ

هذا المكانُ من جملة القَصْر الكَبير ، وكان قاعَةً ، فسَكَنَها الوَزيرُ الصَّاحِبُ الأَمير الكبير مُعين الدِّين حُسَيْنُ ابن شَيْخ الشُّيوخ صَدْر الدِّين بن حَمَوَيْه ، في أيام الملك الصَّالِح نَجْم الدِّين أيوب ، فعُرِفَ به [1].

وأَدْرَكْتُ هذا المكان خُطًّا يُعْرَف بالقَصْر ، يُتَوَصَّل إليه من زُقاقٍ تجاه حمَّام بَيْسَري ، وفيه عِدَّةُ دور : منها دارُ الطَّواشي سابِق الدِّين ومَدْرَسَته المعروفة بالمَدْرَسَة السَّابِقِيَّة . وكان يُتَوَصَّل إليه من الرُّكْن المُخَلَّق أَيضًا ، من الباب المظلم تجاه سُور سَعيد السُّعَداء ، المعروف قَديمًا بباب الرِّيح [2].

ثم عُرِفَ بباب[a] قَصْر ابن الشَّيْخ ، وعُرِفَ في زَمَنِنا بباب القصر ، إلى أن هَدَمَه جمالُ الدِّين الأُسْتادّار كما يأتي إن شاءَ الله [3].

قَصْرُ الزُّمُرُّد

٥:١ /هو من جُمْلَة القصر الكبير ، وعُرِفَ أخيرًا بقصر قَوْصون ، ثم عُرِفَ في زَمَنِنا بقصر الحِجازِيَّة . وقيل له : قَصرُ الزُّمُرُّد لأنَّه كان بجوار باب الزُّمُرُّد أَحَد أبواب القصر . ووُجِدَ به في سنة بضعٍ وسبعين وسبع مائة تحت التُّراب عَمودان عَظيمان من الرُّخام الأبيض ، فعَمِلَ لهما ابنُ عابِد رئيس الحَراريق السُّلْطانية أساقِيل ، وجَرَّهما إلى المَدْرَسَة التي أنشأها الملك الأَشْرَف شَعْبان بن حُسَيْنْ تجاه الطَّبْلَخاناة من قَلْعَة الجَبَل [4].

وأدركنا لجرِّ هذين العَمُودَيْن أَوْقاتًا في أيام تَجَمَّعَ النَّاسُ فيها من كلِّ أَوْبٍ لمشاهدة ذلك ، ولَهَجوا بذكرهما زَمَنًا ، وقالوا فيهما شِعْرًا وغِناءً كثيرًا ، وعَمِلوا أُنْموذَجات[b] من ثياب الحَرير وتَطْريز المناديل عُرِفَت بجَرِّ العَمود . وكانت الأَنْفُسُ حينئذٍ منبسطة ، والقُلوبُ خالية من

---

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : نموذجات .

---

[1] فيما يلي ٤٢٨، ٢: ٣٣؛ Fu'âd Sayyid, A. *op.cit.*, p. 253.

[2] فيما يلي ٢: ٣٩٣.

[3] فيما يلي ٤٢٨.

[4] انظر المقريزي : السلوك ٣: ٢٥١- ٢٥٢؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١١: ٦٧؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/ ٢: ١٥٤ وفيما يلي ٢: مسودة (المدرسة الظاهرية المستجدة) .

الهُموم ، وللناس إقبالٌ على اللَّهْو لكثرة نِعَمِهِم وطُول فَراغِهِم . وكان العَمودان المذكوران ممَّا ارْتُدِمَ من أنْقاض القصر ، فسُبْحان الوارِث !

ذِكْر [a] الرُّكْن المُخَلَّق

مَوْضِعُه الآن تِجاه حَوْض الجامِع الأَقْمَر ، على يَمْنَة من أراد الدُّخول إلى المَسْجِد المعروف الآن بمَعْبَد مُوسَىٰ . وقيل له : الرُّكْنُ المُخَلَّق لأنَّه ظَهَر في سنة ستين وستِّ مائة في هذا المَوْضِع حَجَرٌ مكتوبٌ عليه : «هذا مَسْجِدُ مُوسَىٰ عليه السَّلام» ، فخُلِّقَ بالزَّعْفَران ، وسمِّي من ذلك اليوم بالرُّكْن المُخَلَّق [1] .

وأَخبَرَني الأميرُ الوَزيرُ أبو المعالي يَلْبُغَا السَّالِمي أنَّه قرأ في الأسطر المكتوبة بأُسْكُفَّة باب الجامِع الأَقْمَر كَلامًا من جملته : «والحَوانِيتُ التي بالرُّكْن المُخَوَّق» بواو بعد الخاء . فرأيتُ بعد ذلك في «الأمالي» للقَالي : «وقال أبو عُبَيْد [b]، عن أبي عَمْرو : الخَوْقاء الصَّحْراء التي لا ماءَ بها ، ويُقال الواسِعَة ، وأَخْوَق : واسِع» . فلعلَّه سُمِّي المُخَوَّق بمعنى الاتِّساع ، فكان رُكْنًا مُتَّسعًا وفي بناء واسِعٍ ، أو يكون المُخَلَّق باللام من قولهم : قَدَحٌ مُخَلَّق ـ بضم الميم وفَتْح الخاء وتشديد اللام وفَتْحها ـ أي مستوٍ أمْلَس . وكلُّ ما لُيِّنَ ومُلِّس فقد خُلِّق ، فكلُّ مملَّس مُخَلَّق ، وسَمَّته العامَّةُ بعد ذلك «الرُّكْن المُخَلَّق» عندما خَلَّقوه بالزَّعْفَران ، والله أَعْلَم .

السَّفِينَة [c]

وكان من جُمْلَة القَصْر الكبير مَوْضِعٌ يُعْرَف بالسَّفِينَة[c] يقف عنده المتظلِّمون ، وكانت عادَةُ الخَليفَة أن يجلس هناك كلَّ ليلة لمن يأتيه من المتظلِّمين ، فإذا ظُلِمَ أحَدٌ وَقَفَ تحت السَّفِينَة[c] وقال

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : أبو عبيدة . c) بولاق : السقيفة .

[1] ابن أبي الفضائل : النهج السديد ١٠٤ - ١٠٥. ويحتفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة تحت رقم ٦٩٠١ بنقش بارز على قطعة من الرخام يشتمل على ثلاثة أسطر بالخط النسخي المملوكي تحمل النص التالي : «أمر بفتح هذا المسجد المبارك الذي يسمى معبد موسى عليه السَّلام مولانا السُّلطان الملك الظاهر خَلَّد الله ملكه و....» وهي مؤرخة سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م (Wiet, G., *Inscriptions historiques saur pierre* (Catalogue général du Musée de l'art islamique au Caire, pp. 56-57; Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 250-51).

[2] المقريزي : مسودة المواعظ ١١٨.

بصَوْت عال : «لا إله إلّا الله محمد رَسُول الله ، عليّ وَليّ الله» . فيسمعه الخَليفَةُ فيَأْمُر بإحْضاره إليه ، أو يُفَوِّض أمره إلى الوَزير أو القاضي أو الوالي [١] .

ومن غَريب ما وَقَعَ أنَّ المُوَفَّق بن الخَلَّال [٢] لمَّا كان يتحدَّث في أمور الدَّواوين أيَّام الخَليفَة الحافِظ لدين الله ، وخَرَجَ مَنْ انْتَدَب بعد انحطاط النِّيل من العُدول والنَّصارىٰ الكُتَّاب إلى الأعْمال ، لتَحْرير ما شمله الرَّيّ وزُرِعَ من الأراضي ، وكِتابَة المُكَلَّفات [٣] . فخَرَجَ إلى بعض النَّواحي من يَمْسَحُها من شادٍّ وناظِر وعُدُول ، وتأخَّر الكاتِبُ النَّصْراني ثم لحقهم وأراد التعدية إلى الناحية ، فحمله ضامِنُ تلك المَعَدِّيَة إلى البَرّ ، وطَلَبَ منه أُجْرَة التَّعْدِيَة ، فنَفَرَ فيه النَّصْراني وسَبَّه وقال : أنا ماسِحُ هذه البَلْدَة ، وتُريد منّي حق التَّعْدِيَة ؟ فقال له الضَّامِنُ : إن كان لي زَرْعٌ خُذْه . وقَلَعَ لِجام بَغْلَة النَّصْراني ، وألقاه في معديته . فلم يجد النَّصْراني بُدًّا من دَفْع الأجرة إليه حتى[a] أَخَذَ لِجام بَغْلَته .

فلمَّا تَمَّ مِساحَة البلد ، وبَيَّضَ مُكَلَّفَة المِساحَة ليحملها إلى دَواوين الباب ـ وكانت عادَتُهم حينئذٍ هذا[b] ـ كَتَبَ الجملة بزيادة عشرين فَدَّانًا وتَرَكَ بياضًا في بعض الأوراق ، وقابَل العُدول على المُكَلَّفَة ، وأَخَذَ خُطوطَهم[c] عليها بالصِّحة ، ثم كَتَبَ في البَياض الذي تَرَكَه : «أَرْض اللِّجام ـ باسْم ضامِن المَعَدِّيَة ـ : عشرين فَدَّانًا قطيعة . كلُّ فَدَّان أربعة دنانير ، عن ذلك ثمانون دينارًا» . وحَمَل المُكَلَّفَة إلى ديوان الأَصْل .

وكانت العادَةُ إذا مضَى من السنة الخَراجية أربعة أشهر ، نُدِبَ من الجُنْد مَنْ فيه حَماسَة وشِدَّة ، ومن الكُتَّاب العُدول ، وكاتِب نَصْراني . فيخرجون إلى سائر الأعمال كذلك[b]

a) بولاق : حين . b) ساقطة من بولاق . c) بولاق : الخطوط .

[١] في مسودة المواعظ جاءت هذه الكلمة بخط المقريزي الشَّفينَة لا الشَّقيفَة كما اشتهر عنها بمعنى سقيفة أو جزء مسقوف في فناء وتابعت نشرة بولاق في ذلك في كتابي *la capitale de l'Égypte*، ولكن يبدو من خلال مسودات المقريزي والنسخ المنقولة من خطه أن صواب الكلمة «السفينة»، وربما كانت جزءًا بارزًا في القصر يجلس فيه الخليفة كل ليلة ويأتي إليه المتظلمون ، لا بسقيفة يقف تحتها المتظلمون!

[٢] المُوَفَّق أبو الحجّاج يوسف بن علي بن الخلَّال صاحب ديوان الإنشاء في دولة الحافظ لدين الله ومن بعده من الخلفاء ، توفي في ٢٣ جمادى الآخرة سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م (العماد الأصفهاني : خريدة القصر (قسم مصر) ١: ٢٣٥ – ٢٣٧؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٦: ٢١٩ – ٢٢٥؛ ابن ميسر : أخبار مصر ١٥١؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣: ٢١٨) .

[٣] عن المُكَلَّفات . انظر فيما تقدم ١: ٢٣٠.

لاستخراج ثُلث الخَراج على ما تَشهَد به المُكَلَّفات المذكورة ، فيُنْفَق في الأجناد ، فإنّه لم يَكُن حينئذٍ للأَجْناد إقْطاعاتٌ كما هو الآن [1] . وكان من العادَة أن يخرج إلى كلّ ناحية مِمَّن ذكر من لم يكن خَرَجَ وقت المِساحَة ، بل يُنْتَدَب قَوْمٌ سواهم . فلمّا خَرَجَ الشادُّ والكاتِبُ والعُدول لاستخراج ثُلُث مال الناحية ، استدعوا أرْباب الزَّرْع على ما تَشْهَد به المُكَلَّفَة ، ومن جملتهم ضامِن المَعَدِّيَّة . فلمّا حَضَرَ أُلْزِمَ بستة وعشرين دينارًا وثلثيْ دينار ، عن نظير ثُلُث المال الثمانين دينارًا التي تَشْهَد بها المُكَلَّفَة عن خَراج أرض اللِّجام .

فأنْكَرَ الضَّامِنُ أن تكون له زِراعَة بالناحية ، وصَدَّقَه أهلُ البلد . فلم يَقْبَل الشادّ ذلك ـ وكان عَسُوفًا ـ وأَمَرَ به فضُرِبَ بالمَقَارِع ، واحتجَّ بخَطّ العُدول على المُكَلَّفَة ، ومازال به حتى باعَ مَعَدِّيته وغيرها ، وأوْرَد ثُلُث المال الثابت في المُكَلَّفَة . /وسارَ إلى القاهِرَة ، فوَقَفَ تحت السَّفِينَة [a]، وأعلن
٤٠٦: بما تقدَّم ذكره ، فأَمَرَ الخَليفَةُ الحافِظ بإحضاره . فلمّا مَثُل بحضرته قَصَّ عليه ظُلامَتَه مُشافَهَةً ، وحكى له ما اتَّفَق منه في حَقّ النَّصْراني ، وما كادَه به . فأُحْضِرَ ابنُ الخَلّال وجَميعُ أرْباب الدَّواوين ، وأُحْضِرَت المُكَلَّفات التي عُمِلَت للناحية المذكورة في عِدَّة سنين ماضية ، وتُصُفِّحَت بين يديه سنةً سنةً ، فلم يُوجَد لأرض اللِّجام ذكرٌ ألبتَّة . فحينئذٍ أَمَرَ الخَليفَةُ الحافِظُ بإحضار ذلك النَّصْرانيّ وسُمِّرَ في مَرْكَب ، وأقامَ له مَنْ يُطْعمه ويسقيه ، وتقدَّم بأن يُطافَ به سائِر الأعمال ، ويُنادَى عليه ، ففُعِل ذلك . وأمر بكَفّ أيدي النَّصْرانية كلّها عن الخِدَم في سائِر المملكة ، فتعطَّلوا مُدَّةً إلى أن ساءَت أحوالُهم [2] .

وكان الحافِظُ مُغْرَمًا بعِلْم النُّجوم ، وله عِدَّةٌ من المنجِّمين من جملتهم شخصٌ صارَ إليه عِدَّةٌ من أكابِر كُتّاب النَّصارَىٰ ، ودَفَعُوا إليه جملةً من المال ، ومعهم رَجُلٌ منهم يُعْرَف بالأَخْرَم بن أبي زكريا [3]، وسألوه أن يذكر للحافِظ في أحْكام تلك السَّنَة حِلْيَة هذا الرجل ، فإنّه إن أقامَه في تَدْبير

a) بولاق : الشقيفة .

[1] انظر فيما تقدم ١ : ٢٣٠.

[2] حدَث هذا الموقف من النصارىٰ في أعقاب سيطرة الأرمن على الأمور في مصر في ظل وزارة الوزير بهرام الأرمني والإجراءات التي اتخذها الوزير السني رضوان بن ولخشي ضدهم (راجع ، Leiser, G., «The Madrasa and the Islamization of the Middle East. The Case of Egypt», *JARCE* XII (1985), pp. 29-47؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٢٦٤- ٢٦٦.

[3] انظر عن الأَخْرَم بن أبي زكريا فيما تقدم ٣٣١ - ٣٣٢.

دَوْلَته زادَ النّيل ، ونَمَا الارتفاعُ ، وزَكَت الزُّروعُ ، ونَتَجَت الأغنامُ ، ودرَّت الضُّروع ، وتضاعَفَت الأسْماكُ ، ووَرَدَ التُّجّارُ ، وجَرَت قوانينُ المملكة على أجمل الأوْضاع . فطَمِعَ ذلك المُنَجِّم في كثرة ما عايَنَه من الذَّهَب ، وعَمِلَ ما قَرَّره النَّصارَىٰ معه .

فلمَّا رأى الحافِظُ ذلك تَعَلَّقَت نفسُه بمشاهَدَة تلك الصِّفَة ، فأَمَرَ بإحضار الكُتّاب من النَّصارَىٰ ، وصارَ يتصفَّح وجوهَهم من غير أن يُطْلِع أحَدًا على ما يُريده ، وهم يؤخِّرون الأَخْرَم عن الحُضور إليه ـ قَصْدًا منهم ، وخشيةَ أن يَفْطِن بمَكْرهم ـ إلى أن اشتدَّ إلزامهم بإحْضار سائِر من بقي منهم ، فأَحْضَروه بعد أن وَضَعوا من قَدْره (aوليُشينوا أمره a).

فلمَّا رآه الحافِظُ ، رأَى فيه الصِّفات التي عَيَّنَها منجِّمُه ، فاستدناه إليه وقرَّبه ، وآل أَمْرُه إلى أن وَلّاه أَمر b) الدَّواوين . فأعادَ كُتَّابَ النَّصارَىٰ أَوْفَر ما كانوا عليه ، وشَرَعوا في التَّجَبُّر ، وبالَغوا في إظْهار الفَخْر ، وتظاهروا بالملابس العَظيمَة ، ورَكبوا البَغْلات الرائعة والخُيول المُسَوَّمَة بالسُّروج المحلَّاة واللُّجُم الثَّقيلة ، وضايَقُوا المسلمين في أرْزاقِهم واسْتَولوا على الأحْباس الدِّينية والأَوْقاف الشَّرعية ، واتَّخذوا العَبيد والمماليك والجَواري من المسلمين والمُسْلمات . وصُودرَ بعضُ كُتَّابِ المسلمين فألجأته الضَّرورَةُ إلى بَيْع أَوْلاده وبَناتِه ، فيُقالُ إنَّه اشتراهم بعضُ النَّصارَىٰ ، وفي ذلك يقول ابنُ الخَلَّال :

[الوافر]

إذا حَكَمَ النَّصارَىٰ في الفُروجِ　　وغَالُوا بالبِغال وبالسُّروجِ
وذَلَّت دَوْلَةُ الإسْلام طُرًّا　　وصارَ الأَمْرُ في أيْدي العُلُوجِ
فقُل للأعْوَر الدَّجّال هذا　　زَمَانُك إن عَزَمْتَ على الخُروجِ

ومَوْضِعُ السَّفينَة c) فيما بين دَرْب السَّلّامي وبين خِزانَة البُنُود ، يُتَوَصَّل إليه من تِجاه البِئْر التي قُدّام دارٍ كانت تُعْرَف بقاعَة ابن كُتَيْلَة ؛ ثم استولى عليها جَمالُ الدِّين الأُسْتادّار وجَعَلَها مَسْكنًا لأَخيه ناصِر الدِّين الخَطيب ، وغَيَّر بابَها .

---

a-a) ساقطة من بولاق .　b) بولاق : أمير .　c) بولاق : السقيفة .

ذِكْرُ دارِ الضَّرْبِ

هذا المكانُ ـ الذي هو الآن دارُ الضَّرْب من بعض القصر ـ كان خِزانَةً بجوار الإيوان الكبير ، سُجِنَ بها الخَليفَةُ الحافِظُ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد ابن الأمير أبي القاسم محمد بن المُسْتَنْصِر بالله أبي تميم مَعَدّ . وذلك أنَّ الآمِرَ لمَّا قُتِل في يوم الثلاثاء رابع عشر ذي القِعْدَة سنة أربعٍ وعشرين وخمس مائة قامَ العادِلُ بَرْغَش وهَزَّارُ الملوك جَوامَرْد ـ وكانا أخصّ غِلْمان الآمِر ـ بالأمير عبد المجيد ، ونَصَّباه خَليفَةً ، ونَعَتاه بالحافِظ لدين الله ، وهو يومئذٍ أكْبَرُ الأقارِب سِنًّا [1].

وذُكِرَ أنَّ الآمِرَ قال قبل أن يُقْتَل بأسبوع عن نفسه : «المِسْكين المقتول بالسِّكِّين» [2]، وأنَّه أشارَ إلى أنَّ بعضَ جِهَاتِه حامِلٌ منه ، وأنَّه رَأَى أنَّها سَتَلِد ذَكَرًا وهوالخَليفَةُ من بَعْده ، وأنَّ كَفالَته للأمير عبد المجيد . فجَلَسَ على أنَّه كافِلٌ للمذكور ، ونَدَبَ هَزَّار الملوك للوَزارَة ، وخَلَعَ عليه [3].

فلم يَرْضَ الأَجْنادُ بوَزارَتِه[a]، وثارُوا بين القَصْرَيْن ـ وكبيرُهم رِضْوانُ بن وَلَخْشي ـ وأقاموا أبا عليّ[b] أحمد[c] بن الأَفْضَل الملقَّب بكُتَيْفات ، وقالوا : لا نَرْضَى إلَّا أن تَصْرِف هَزَّار المُلُوك وتُفَوِّضُ الوَزارَة لأَحْمَد بن الأَفْضَل [d]فنُزِعَت الخِلَعُ من هَزَّار الملوك في مجلس الخِلافَة وقُبِضَ عليه وقُتِلَ وخُلِعَ على أحمد بن الأَفْضَل[d] في سادس عشره . فكان أوَّلَ ما بدأ به أن أحاطَ على الخَليفَة الحافِظ وسَجَنَه بالقاعَة المذكورة وقَيَّدَه ، وهَمَّ بخَلْعِه فلم يتأتَّ له ذلك . وكان إماميًّا ، فأَبْطَلَ ذِكْر الحَافِظ من الخُطْبَة ، وصارَ يدعو للقائِم المُنْتَظَر ، ونَقَشَ على السِّكَّة : «الله الصَّمَد ، الإمام مُحَمَّد» [4].

---

a) بولاق : به . b) بولاق : وقاموا بأبي علي . c) ساقطة من بولاق . d-d) ساقطة من بولاق .

---

[1] فيما تقدم ١٩٩ - ٢٠٠ .

[2] أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥ : ١٨٥ .

[3] راجع ، أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٢٤٢-٢٤٣ .

[4] راجع أخبار أبي علي الأفضل والانقلاب الذي قام به ضد الدولة الفاطمية حيث أسقط اسم إسماعيل بن جعفر الصادق الذي تنتسب إليه الإسماعيلية ، ودعا للإمام المنتظر الاثنا عشري وأعلن نهاية الأسرة الفاطمية ـ عند أيمن فؤاد : المرجع السابق ٢٤٢-٢٤٨ وما ذكر من مصادر ومراجع ، ووصل إلينا درهمٌ مؤرخ في سنة ٥٢٦هـ محفوظ في مجموعة الدكتور هنري أمين عوض بالقاهرة باسم :

(الإمام محمد المنتظر لأمر الله ،
الله الصَّمَد)

وهو ما يتفق مع ما ذكره المقريزي .

فلمَّا قُتِلَ في يَوْم الثلاثاء سادس عشر المحرَّم سنة ستٍّ وعشرين وخمس مائة ، بالمَيْدان خارِج باب الفُتُوح ، سارَع صِبْيانُ الخَاصّ الذين تولَّوا قَتْلَه إلى الحافِظ ، وأَخْرَجُوه من الخِزانَة/ المذكورة ، ٧:١ وفَكُّوا عنه قَيْدَه ـ وكان كبيرَهُم يانِس ـ وأجلسوه في الشُّبَّاك على مَنْصِب الخلافَة ، وطِيف برأس أحمد بن الأَفْضَل ، وخَلَعَ على يانِس خِلَع الوَزارَة [1] .

ومازالَت الخِلافَةُ في يَدِ الحافِظ حتّى ماتَ لَيْلَة الخميس لخمسٍ خَلَوْن من جُمادَى الآخرة سنة أربعٍ وأربعين وخمس مائة ، عن سَبْعٍ وستين سنة : منها خَليفَة ، من حين قُتِلَ ابن الأَفْضَل ، ثمان عشرة سنة وأربعة أشهر وأيام .

ذِكْر [a] خَزائِن السِّلاح

كانت بالإيوان الكَبير الذي تَقَدَّم ذكره ، في صَدْر الشُّبَّاك الذي يجلس فيه الخَليفَة ، تحت القُبَّة التي هُدِمَت في سنة سبعٍ وثمانين وسبع مائة كما تقدَّم .

وخَزائِنُ السِّلاح المذكورة هي الآن باقية بجوار دار الضَّرْب خَلْف المَشْهَد الحُسَيْني ، وعَقْدُ الإيوان باقٍ وقد تَشَعَّث [2] .

ذِكْر [a] المارِسْتان العَتِيق

قال القاضي الفاضِلُ في «مُتَجَدِّدات» سنة سبعٍ وسبعين وخمس مائة [b]ومن خَطِّه نَقَلْت[b]: في تاسع ذي القعدة أَمَرَ السُّلْطانُ ـ يعني صَلاح الدِّين يوسُف بن أَيُّوب ـ بفَتْح مارِسْتان للمرضَى والضُّعَفاء ، فاختير له مكانٌ بالقصر ، وأفرد برَسْمِه مِنْ أُجْرَة الرِّباع الدِّيوانية مُشاهَرَةً مَبْلَغُها مائتا دينار ، وغَلَّات جهاتها الفَيُّوم . واسْتَخْدَم له أطِبَّاءَ وطَبائِعيين وجَرائِحيين ومُشارِف وعامِلًا وخُدَّامًا . ووَجَدَ النَّاسُ به رِفْقًا ، وإليه مستروحًا ، وبه نَفْعًا [3] .

---

a) ساقطة من بولاق . b-b) إضافة من مسودة المواعظ .

---

[1] أمير الجيوش سيف الإسلام أبو الفتح . يانس الحافظي ، أحد غلمان الوزير الأفضل شاهنشاه تقدم في الرتب حتى أصبح «صاحب الباب» ، قبل أن تسند إليه الوزارة ، وتنسب إليه إحدى طوائف الجند المعروفة بـ«الطائفة اليانِسِيَّة» . (ابن الطوير : نزهة المقلتين ٣٥- ١٣٦؛ ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ٩٨؛ ابن ميسر : أخبار مصر ١١٧- ١١٨؛ النويري : نهاية الأرب ٢٨: ٢٩٩؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣: ١٤٤- ١٤٥؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥: ٢٤٠؛ وفيما يلي ٢: ١٦-١٧) .

[2] انظر كذلك فيما يلي ٣٨٠ - ٣٨١ .

[3] المقريزي : السلوك ١: ٧٦ .

وكذلك بمصر أَمَر بفَتْح مارِسْتانها القَديم ، وأَفْرَد برَسْمِه من ديوان الأَحْباس ما تقدير ارْتِفاعه عشرون دينارًا ، واسْتَخْدَمَ له طَبيبٌ وكَحَّالٌ[a] ومُشارِفٌ ، وارْتَفَق به الضُّعفاء ، وكَثُر بسبب ذلك الدُّعاء[1] .

وقال ابنُ عبد الظَّاهِر : كان قاعَةً بَنَاها العَزيزُ بالله في سنة أربع وثمانين وثلاث مائة . وقيل إنَّ القرآنَ مكتوبٌ في حِيطانها ، ومن خَواصِّها أنَّه لا يدخلها نَمْلٌ لطِلَّسْم بها . ولمَّا قيل ذلك لصَلاح الدِّين ـ رحمه الله ـ قال : هذا يَصْلُح أن يكون مارِسْتانًا . وسَأَلْتُ مُباشِريه عن ذلك [في سنة سبع وخمسين وستّ مائة][b] فقالوا : إنَّه صَحيح .

وكان قَديمًا المارِسْتان ـ فيما بَلَغني ـ القَشَّاشين ، وأظنُّه المكان المعروف بدار الضَّرْب[c]. انتهى[2] .

والقَشَّاشينُ المذكورة تُعْرَف اليوم بالخَرَّاطين ، المسلوك فيها إلى الخَيَمِيِّين والجامِع الأَزْهَر .

ذِكْرُ التُّرْبَة[d]

كان من جُمْلَة القَصْر الكَبير التُّرْبَة المُعِزِّيَّة ، وفيها دَفَنَ المُعِزُّ لدين الله آباءَه الذين أحضرهم في تَوابيت معه من بلاد المغرب وهم : الإمامُ المَهْدي عبيد الله ، وابنُه الإمام[e] القائِم بأَمْر الله محمد ، وابنُه الإمام المَنْصور بنَصْر الله إسْماعيل . واستقرَّت مَدْفَنًا يُدْفَن فيه الخُلَفاءُ وأولادُهم ونِساؤهم ، وكانت تُعْرَف بتُرْبَة الزَّعْفَران ، وهو مَكانٌ كبيرٌ من جملتها المَوْضِعُ الذي يُعْرَف اليوم بخُطِّ الزَّراكِشَة العَتيق ، ومن هناك بابها[3] .

---

a) بولاق : عامل . b) إضافة من الروضة البهية . c) جميع النسخ . دار الديلم ، والتصويب من ابن عبد الظاهر ٣٣. d) بولاق : التربة المعزية . e) ساقطة من بولاق .

---

[1] المقريزي : مسودة المواعظ ٣١٩ .

[2] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٦١؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣: ٣٦٥.

[3] Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, p. 291، ويُطلق عليها أيضًا «تربة القصر» كما في نص المسبحي الآتي ذكره ، وعند ابن ميسر : أخبار مصر ١٥٠؛ أو «تربة الأئمة بالقصر» كما في نص ابن المأمون الآتي ذكره ، وكذلك «تربة الزعفران» كما ذكرها المقريزي في أكثر من موضع ؛ وأخيرًا «التربة المقدّسة تُرْبَة الأئمة» كما في نصّ ابن المأمون الآتي ذكره ، وهي تسمية معاصرة لزمن الفاطميين ، وانظر كذلك دراسة توماس ليستين .Leisten, Th «Dynastic Tomb or Private Mausolea: Observations on the Concept of Funerary Structures of the Fâtimid and Abbâsid Caliphs», in Barrucan, M. (ed.), *L'Égypte Fatimide son art et son histoire*, pp. 473-79.

ولمَّا أنشأ الأميرُ جَهَارْكَس الخَليليّ خانَه المعروف به بالخُطّ المذكور، أَخْرَجَ ما شاءَ الله من عِظامِهم، فأُلْقِيت في المزابِل على كيمان البَرْقِيّة. ويمتدُّ من هناك من حيث المَدْرَسَة البَديريَّة، خَلْف المدارِس الصَّالحِيَّة النَّجْمِيَّة، وبها إلى اليوم بَقايا من قُبُورِهم[١].

وكان لهذه التُّرْبَة عَوائِدُ ورُسومٌ: منها أنَّ الخَليفَةَ كلَّما رَكِبَ بِمِظَلَّة وعادَ إلى القصر، لابد أن يدخل إلى زيارة آبائه بهذه التُّرْبَة، وكذلك لابد أن يدخل في يوم الجُمُعَة دائمًا، وفي عيدي الفِطْر والأَضْحَى، مع صَدَقات ورُسُوم تُعْرَف[a][٢].

[b] قال المُسَبِّحيّ في حوادث سنة خمسٍ وثمانين وثلاثمائة: وفي نصف شَوَّال توفِّيَت السَّيِّدَةُ العَزيزية أمُّ وَلَد أمير المؤمنين العَزيز بالله وزَوْجَته، بالمخيَّم في مِنَى جَعْفَر، فحُملت إلى القصر وصَلَّى عليها العَزيزُ بالله ودَفَنَها في تُرْبَة القصر وستر قَبْرَها بالمُثْقَل والجوهر؛ وكُفِّنَت بما مبلغه عشرة آلاف دينار، وأخَذَت الغَاسِلَةُ ما كان تحتها من فَرْشٍ وما كان عليها من الثِّياب وكان ذلك بمبلغ ستة آلاف دينار. ورثاها جماعةٌ من الشُّعَراء، فأُطْلِقَت لهم جَوائِزُ خمس مائة دينار. ورَجَعَ العَزيزُ إلى المضارب، وأقامَت ابنتها المناحة على قَبْرِها والقُوَّادُ والغِلْمانُ والخدَّامُ بالثِّياب المسَخَّمة وعلى رءوسهم كرازي الصُّوف، وأيديهم مُشَبَّكة على رؤسهم يصيحون: وا سِتَّنا! وهم حُفاة، فإذا تَوسَّطوا الطَّريق حَفَنُوا حِفْنات من تُراب وحَثَوها على رءوسهم ودَخَلوا، وأقامَوا كذلك شهرًا كامِلًا والعَزيزُ بالله يُواصِل زيارَتها في كلِّ يوم والنَّاسَ يُطعم، ويُفَرِّق الأطعمة على سائِر النَّاس مع الحَلْوَى، وَفَرَّقَ على الشُّعَراء بعد ذلك ألفي دينار[b][٣].

قال ابنُ المَأْمُون: وفي هذا الشهر - يعني شوَّالًا سنة ستّ عشرة وخمس مائة - تَنَبَّه ذكرُ الطَّائِفَة النِّزاريَّة، وتَقَرَّر بين يَدَي الخَليفَة الآمِر بأحكام الله أن يَسير رَسولٌ إلى صاحِب أَلَمُوت، بعد أن جَمَعوا الفُقَهاءَ من الإسماعِيليَّة والإماميَّة، وقال لهم الوَزيرُ المأمون البَطائِحي: ما لكم من الحُجَّة في الرَّدّ على هؤلاء الخارِجين على الإسْماعِيلِيَّة؟ فقال كلٌّ منهم: لم يكن لِنِزار إمامَة، ومن اعْتَقَدَ هذا فقد خَرَجَ عن المَذْهَب وضَلّ، ووَجَب قَتْلُه. وذَكَروا حُجَّتهم، فكُتِبَ الكِتاب.

---

a) بولاق: تفرق. b-b) ساقطة من بولاق ومضافة من النسخ المنقولة من خط المقريزي.

---

[١] فيما يلي ٢: ٣٥، ٩٤.

[٢] فيما يلي ٤٦٢ س٨، ٤٨٧ س٣، حيث يذكر ابن المأمون توجه الخليفة إلى تربة آبائه للترحم بعد انقضاء ركوب أوّل العام.

[٣] المسبحي: نصوص ضائعة ١٥.

ووَصَلَت كُتُبٌ من خَواصّ الدَّوْلَة تتضمَّن أنَّ القَوْمَ قَوِيَت شَوْكَتُهم، واشتدَّت في البلاد طَمْعتُهم، وأنَّهم سَيَّرُوا الآن ثلاثة آلاف بِرَسْم النَّجْوَىٰ وبِرَسْم المؤمنين الذين تنزل الرُّسُلُ عندهم، ويختفون في مَحَالِّهم. فتقدَّم الوَزيرُ بالفَحْص عنهم، والاحْتِراز التَّام على الخَليفَة في رُكوبِه ومُتَنَزَّهاته، وحِفْظ الدُّور والأَسْوَاق. ولم يزل البحثُ في طَلَبهم إلى أن وُجِدُوا فاعْتَرَفُوا بأنَّ خمسةً منهم هم الرُّسُل الواصِلون بالمال فصُلِبُوا.

وأمَّا المالُ، وهو ألفا دينار، فإنَّ الخَليفَةَ أبَىٰ قبولَه، وأَمَرَ أن يُنْفَق في السُّودان عَبيد الشِّراء. وأُحضِر من بيت المال نَظير المبلغ، وتقدَّم بأن يُصاغ به قِنْديلان من ذَهَب وقِنْديلان/ من فِضَّة، وأن يُحْمَل منها قِنْديلٌ ذَهَبٌ وقِنْديلٌ فِضَّة إلى مَشْهَد الحُسَيْن بثَغْر عَسْقَلان [1]، وقِنْديلٌ إلى التُّرْبَة المقدَّسة تُرْبَة الأئِمَّة بالقَصْر.

وأَمَرَ الوَزيرُ المأْمُون بإطْلاقِ ألْفي دينار من مالِه، وتقدَّم بأن يُصاغَ بها قِنْديلُ ذَهَبٍ وسِلْسِلَة فِضَّة بِرَسْم المَشْهَد العَسْقَلاني، وأنَّ يُصاغَ على المُصْحَف الذي بخَطِّ أَمير المُؤْمنين عليّ بن أبي طالِب - رضي الله عنه[a] - بالجامِع العَتيق بمصر من فَوْق الفِضَّة ذَهَب.

وأُطْلِق حَاصِل الصَّناديق التي تشتمل على مال النَّجاوىٰ برسم الصَّدَقات عشرة آلاف دِرْهَم تُفَرَّق في الجَوامِع الثلاثة: الأَزْهَر بالقاهِرَة، والعَتيق بمصر، وجامِع القَرافَة، وعلى فُقَراء المؤمنين على أبواب القُصُور.

وأَطْلَقَ من الأَهْراء ألفيْ أردَبّ قَمْحًا، وتصدَّق على عِدَّة من الجهات بجملة كثيرة، واشْتُرِيَت عِدَّةُ جَوار من الحُجَر، وكَتَب عِتْقهن للوقت، وأَطْلَقَ سَراحَهُنَّ [2].

وقال في كتاب «الذَّخائِر»: إنَّ الأَتْراكَ طَلَبُوا من المُسْتَنْصِر نَفَقَةً في أيام الشِّدَّة فماطَلَهُم، وأنَّهم هَجَموا على التُّرْبَة المَدْفُون فيها أجْدادُه فأخَذوا ما فيها من قَنادِيل الذَّهَب. وكانت قِيمَةُ ذلك مع ما اجتمع إليه من الآلات الموجودة هناك - مثل المَداخِن والمَجامِر وحُلِيّ المحاريب وغير ذلك - خمسين ألف دينار [3].

---

a) ساقطة من بولاق.

---

[1] انظر عن هذا المَشْهَد فيما يلي ٤٠٦ - ٤٠٨.

[2] ابن المأمون: أخبار مصر ٤٩-٥٠.

[3] المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٢٩٢، والنَّصّ غير موجود فيما وصل إلينا من الذخائر.

ذِكْرُ[a] القَصْرِ النَّافِعِيّ

قال ابنُ عبد الظَّاهِر : القَصْرُ النَّافِعِيّ قُرْب التُّرْبَة ، يقرب من جهة السَّبْع خُوَخ ، كان فيه عَجائِزُ من عَجائِز القصر وأقارِب الأشْراف [١] ، انتهى .

ومَوْضِعُ هذا القصر اليوم فُنْدُق المِـهْمَنْدار الذي يُدَقّ فيه الذَّهَب ، وما في قِبْليه من خان مَنْجَك ، ودار خَواجا عبد العزيز المجاورة للمَسْجد الذي بحِذاء خان مَنْجَك ، وما بجوار دار خَواجا من الزُّقاق المعروف بدَرْب الحُبَيْشي[b] [٢] .

وكان حَدُّ هذا القَصْر الغَرْبي ينتهي إلى الفُنْدق الذي بالخَيْمِيِّين ، المعروف قَديمًا بخَان مَنْكَوَرَس ، ويُعْرَف اليوم بخَان القاضي [٣] .

واشْتَرَى بعضَ هذا القَصْر ، لمَّا بيعَ بعد زَوَال الدَّوْلَة ، الأميرُ ناصِرُ الدِّين عُثْمان بن سُنْقُر الكامِلِي المِـهْمَنْدار ، [c]وعَمَّره الفُنْدُق[c] الذي يُعْرَف بفُنْدُق المِـهْمَنْدار ، بعد أن كان إسْطَبْلًا له .

واشْتَرَى بعضَه الأميرُ حُسامُ الدِّين لاجِين الأَيْدَمُري ـ المعروف بالدَّرْفيل ـ دَوادار الملك الظَّاهِر بَيْبَرْس ، وعَمَّره إسْطَبْلًا ودارًا ، وهي الدَّار التي تُعْرَف اليوم بخَواجا عبد العَزيز على باب دَرْب الحَبَشي ، ثم عَمِلَ الإسْطَبْل الخان الذي يُعْرَف اليوم بخَان مَنْجَك .

وابْتَنَى النَّاسُ في مَكانِ دَرْب الحُبَيْشي[b] الدُّور [٤] ، وزال أَثَرُ القَصْر فلم يَبْق منه شيءٌ ألبتَّة .

---

a) ساقطة من بولاق .   b) بولاق : الحبشي .   c-c) ساقطة من بولاق .

---

[١] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٣٣، ٣٩.

[٢] فيما يلي ٢: ٣٥، ولم يفرد المقريزي أي مدخل للحديث عن فندق المهمندار أو خان منجك .

[٣] فيما يلي ٢: ٩٣.

[٤] فيما يلي ٢: ٤٠.

الخَزائِنُ التي كانت بالقَصْر [a]

وكانت بالقَصْر الكبير عِدَّةُ خَزائِن، منها: خِزانَةُ الكُتُب، وخِزانَةُ البُنُود، وخَزائِنُ السِّلاح، وخَزائِنُ الدَّرَق، وخَزائِنُ السُّرُوج، وخِزانَةُ الفَرْش، وخِزانَةُ الكُسْوات، وخَزائِنُ الأُدْم، وخَزائِنُ الشَّراب، وخِزانَةُ التَّوابِل، وخَزائِنُ الخِيَم، ودارُ التَّعْبِئَة، وخَزائِنُ دارِ أَفْتِكِين، ودارُ الفِطْرَة، ودارُ العِلْم، وخِزانَةُ الجَوْهَر والطِّيب.

وكان الخَليفَةُ يَمضي إلى مَوْضِعٍ من هذه الخَزائِن، وفي كلِّ خِزانَة دِكَّة عليها طُرَّاحَة، ولها فَرَّاشٌ يخدمها وينظِّفها طُول السَّنَة، وله جارٍ في كلِّ شهر فيطوفها كلَّها في كُلِّ[b] السَّنَة.

خِزانَةُ الكُتُب

قال المُسَبِّحِيُّ [c]في «تاريخه الكبير» في حَوادِث سنة ثلاثٍ وثمانين وثلاث مائة[c]: وذُكِرَ عند العَزيز بالله كتابُ «العَيْن» للخَليل بن أحْمَد، فأَمَرَ خُزَّانَ دَفاتِره فأَخْرَجوا من خِزانَتِه نيفًا وثلاثين نُسْخَةٍ من كتاب «العَيْن» منها نُسْخَة بخَطِّ الخَليل. وحَمَلَ إليه رَجُلٌ نُسْخَةً من[d] «تاريخ الطَّبَرِيّ» اشتراها بمائة دينار، فأَمَرَ العَزيزُ الخُزَّانَ فأَخْرَجُوا من الخِزانَة ما يَنيف عن عشرين نُسْخَةٍ من «تاريخ الطَّبَري»، منها نُسْخَة بخَطِّه. وذُكِرَ عنده كتابُ «الجَمْهَرَة» لابن دُرَيْد، فأَخْرَج من الخِزانَة مائة نُسْخَة منها[1].

وقال في كتاب «الذَّخائِر»: عِدَّةُ الخَزائِن التي برَسْم الكُتُب في سائِر العُلُوم بالقصر، أربعون خِزانَة: خِزانَةٌ من جُمْلَتِها ثمانية عشر ألف كِتاب من العُلوم القَديمَة؛ وأنَّ الموجودَ فيها من جُمْلَة الكُتُب المُخَرَّجَة في شِدَّة المُسْتَنْصِر، ألفان وأربع مائة خَتْمَة قُرْآن في رَبْعات بخُطوطٍ مَنْسوبَة زائِدَة الحُسْن، مُحَلَّاة بذَهَب وفِضَّة وغيرهما[2]. وأنَّ جَميعَ ذلك كلّه ذَهَبَ فيما أَخَذَه الأَتْراكُ في واجِباتِهم ببعض قيمتِه، ولم يَبْقَ في خَزائِن القَصْر البَرَّانية منه شيءٌ بالجملة، دون خَزائِن القَصْر الدَّاخِلة التي لا يُتَوَصَّل إليها.

---

a) ورد هذا العنوان في آياصوفيا قبل ذكر القصر النافعي. b) ساقطة من بولاق. c-c) إضافة من مسودة المواعظ. d) بولاق: من كتاب.

---

[1] المسبحي: نصوص ضائعة ١٧، المقريزي: مسودة المواعظ ١٤٠-١٤١، اتعاظ الحنفا ١: ٢٧٨.
[2] الرشيد بن الزبير: الذخائر والتحف ٢٦٢.

ووُجِدَت صَناديقُ مملوءةٌ أقْلامًا مبرية من بِرايَة ابن مُقْلَة وابن البَوَّاب وغيرهما [١].

قال : وكُنْتُ بمصر في العَشْر الأُوَل من محرَّم سنة إحدى وستين وأربع مائة ، فرأيتُ فيها خمسة وعشرين جَمَلًا مُوقَرَةً كُتُبًا محمولة إلى/ دار الوَزير أبي الفَرَج محمد بن جَعْفَر المَغْرِبي ، فسألتُ عنها ، فعَرَفْتُ أنَّ الوَزيرَ أَخَذَها من خَزائِن القَصْر هو والخَطير ابن المُوَفَّق في الدِّين بإيجابات[a] وَجَبَت لهما عمَّا يستحقَّانه وغِلْمانهما من ديوان الحَلَبِيِّين ، وأنَّ حِصَّةَ الوَزير أبي الفَرَج منها قُوِّمَت عليه ، من جاري مَماليكه وغِلْمانه ، بخمسة آلاف دينار . وذَكَرَ لي من له خِبْرَةٌ بالكُتُب أنَّها تَبْلُغ أكثر من مائة ألف دينار . ونُهِبَ جَميعُها من دارِه يوم انْهَزَم ناصِرُ الدَّوْلَة ابن حَمْدان من مصر في صَفَر من السنة المذكورة ، مع غيرها ممَّا نُهِبَ من دُور من سارَ معه من الوَزير أبي الفرج وابن أبي كُدَيْنَة وغيرهما .

هذا سِوَى ما كان في خَزائِن دار العِلْم بالقاهِرَة ، وسِوَى ما صارَ إلى عِماد الدَّوْلَة أبي الفَضْل ابن المُحْتَرِق بالإسْكَنْدَرية ، ثم انْتَقَلَ بعد مَقْتَله إلى المغرب ؛ وسِوَى ما ظَفِرَت به لَواتَة مَحْمُولًا مع من صارَ إليه بالابتياع والغَصْب في بحر النِّيل إلى الإسْكَنْدَرية ، في سنة إحدى وستين وأربع مائة وما بعدها ، من الكُتُب الجَليلَة المِقْدار المَعْدومة المِثْل في سائِر الأَمْصار صِحَّةً وحُسْن خَطٍّ وتَجْليدٍ وغَرابَة ، التي أَخَذَ جُلودَها عبيدُهم وإماؤهم برَسْم عَمَل ما يَلْبَسُونَه في أرْجُلهم ، وأُحْرِقَ وَرَقُها تأوُّلًا منهم أنَّها خَرَجَت من قصر السُّلْطان ـ أعَزَّ الله نَصْره ـ وأنَّ فيها كلامَ المشارِقَة الذي يُخالف مَذْهَبَهُم . سوى ما غَرِق وتَلِف وحُمِلَ إلى سائِر الأقطار ، وبقي منها ما لم يُحْرق وسَفَت عليه الرِّياحُ التُّراب ، فصارَ تِلالًا باقيةً إلى اليوم في نواحي أبيار تعرف بتِلال الكُتُب [٢].

وقال ابنُ الطُّوَيْر : خِزانَةُ الكُتُب كانت في أَحَد مَجالِس البيمارِسْتان[b] اليوم ـ يعني المارِسْتان

a) بولاق : بإيجاب . b) بولاق : المارستان .

[١] يقصد المقريزي الوزير أبا عليّ محمد بن علي بن الحسن ابن مُقْلَة وزير الخلفاء العباسيين المقتدر والقاهر والراضي ، المتوفى سنة ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م ، وأبا الحسن علي بن هلال البغدادي الكاتب المعروف بابن البَوَّاب ، المتوفى سنة ٤٢٣هـ/ ١٠٣٢م رائدي الخط العربي واللذين بدءا تحويله من الشكل الكوفي إلى الشكل الذي هو عليه الآن ، وأصبحت طريقتهما وأسلوبهما في الكتابة هي السائدة حتى ظهرت مدرسة ياقوت المستعصمي في النصف الثاني للقرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي (راجع ، أيمن فؤاد : الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات ٥٥- ٦٢، ٣٠٧- ٣١٢).

[٢] لم أقف على هذا الخبر فيما وَصَل إلينا من كتاب «الذخائر والتحف» المنسوب إلى الرشيد بن الزبير ، وقارن المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢: ٢٩٤- ٢٩٥.

ظهرية كتاب «حَذْف من نسب قريش»، وهي بخط أبي إسحاق النجيرمي ، وعليها ما يفيد أنها كانت في خزانة الظافر الفاطمي



ظَهرِيَّة كتاب التَّعْليقات والنَّوادِر عن أبي علي الهَجَري، وعليها ما يُفيد أنها كانت بين كتب خزانة الوزير الأفضل بن بدر الجمالي ثم انتقلت إلى خزانة الفائز الفاطمي

العَتيق ـ ، فيجيء الخَليفَةُ راكِبًا [a]ويَدْخُل إليها[a] ويترجَّل على الدَّكَّة المنصوبة ويَجْلِس عليها ، ويَحْضَر إليه من يتولَّاها ـ وكان في ذلك الوَقْت الجَليس ابن عَبْد القَويّ ـ فيُحْضِر إليه المَصاحِف بالخُطوط المَنسوبة ، وغير ذلك مِمَّا يقترحه من الكُتُب . فإن عَنَّ له [b]أَخْذ شيءٍ منها أخَذَه[b] ثم يُعيده .

وتَحْتَوي هذه الخزانَة على عِدَّة رُفُوف في دُور ذلك المَجْلس العَظيم ، والرُّفُوف مُقَطَّعة بحَواجِز ، وعلى كلِّ حاجِزٍ باب مُتْقَن[c] بمُفَصَّلات وقِفْل . وفيها من أصْنافِ الكُتُب ما يَزيد على مائتي أَلْف كِتاب من المُجَلَّدات ، ويَسيرٌ من المجرَّدات : فمنها الفِقْه على سائِر المَذاهِب ، والنَّحْو واللُّغَة ، وكُتُب الحَديث النَّبوي[d] ، والتَّواريخ وسِيَر الملوك ، والنِّجامَة والرُّوحانيات والكيمياء ، من كلِّ صِنْفٍ النسخة والعشرة[e] . ومنها النَّواقِص التي ما تُمِّمَت ، كل ذلك تُتَرجِمُه وَرَقَةٌ مُلْصَقَةٌ على باب كلِّ خِزانَة[f] ، وما فيها من المَصاحِف الكريمة في مكانٍ فوقها . وفيها من الدُّروج بخَطِّ ابن مُقْلَة ونَظـائِره كابن البَوَّاب وغيره ، وتولَّى بَيْعَـها ابن صُورَة في أيام الملك النَّاصِر صَلاح الدِّين .

فإذا أرادَ الخَليفَةُ الانْفِصال ، مَشَى فيها مِشْيَةً لنَظَرِها ، وفيها ناسِخان وفَرَّاشان : صاحِبُ المَرْتَبَة[g] وآخَر ، فيُعْطي الشَّاهِد عشرين دينارًا ، ويَخْرُج إلى غيرها [١] .

وقال ابنُ أبي طَيّ ، بعدما ذَكَرَ اسْتيلاء صَلاح الدِّين على القَصر : ومن جُمْلة ما باعُوه خِزانَةُ الكُتُب ، وكانت من عَجائِب الدُّنْيا ، ويُقالُ إنَّه لم يَكُن في جميع بلاد الإسْلام دارُ كُتُبٍ أعْظَم من التي كانت بالقاهِرَة في القَصْر . ومن عَجائِبها أنَّه كان فيها ألف ومائتا نُسْخَةٍ من «تاريخ الطَّبَري» إلى غير ذلك . ويُقالُ إنَّها كانت تحتوي[h] على ألف ألف[i] وستّ مائة ألف كِتاب ، وكان فيها من الخُطُوط المَنسوبة أشياءٌ كثيرةٌ [٢] . انتهى .

---

a-a) إضافة من المسودة . b-b) المسودة . أخذ شيئًا منها للمطالعة . c) بولاق : مقفل . d) إضافة من المسودة . e)بولاق : نسخ والمثبت من المسودة . f) المثبت من المسودة ، وسائر النسخ : بورقة مترجمة ملصقة على كل باب خزانة . g) إضافة من المسودة . g) بولاق : المكتبة . h) بولاق : تشتمل . i) ساقطة من بولاق .

---

[١] ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٢٦- ١٢٨؛ المقريزي : مسودة المواعظ والاعتبار ١٣٨- ١٣٩.

[٢] أبو شامة : الروضتين ١ : ٥٠٧؛ المقريزي : مسودة المواعظ والاعتبار ١٣٩- ١٤٠، واتعاظ الحنفا ٣ : ٣٣١.

وممَّا يؤيِّد ذلك أنَّ القاضي الفاضِل عبد الرَّحيم بن عليّ ، لمَّا أنشأ المَدْرَسَة الفاضِلِيَّة بالقاهِرَة ، جَعَلَ فيها من كُتُبِ القصر مائة ألف كِتابٍ مُجَلَّد [1] ، وباعَ ابن صَوْرَة دَلَّالُ الكُتُب منها جُمْلَةً في مُدَّةِ أعْوام ، فلو كانت كلُّها مائة ألف لما فَضَلَ عن القاضي الفاضِل منها شيءٌ .

وذكر ابنُ وَاصِل أنَّ خِزانَةَ الكُتُب كانت تَزيد على مائة وعشرين ألف مُجَلَّد [2].

خِزانَةُ الكُسْوات

قال ابنُ أبي طَيّ : وعَمِلَ - يعني المُعِزَّ لدين الله - دارًا وسمَّاها دار الكُسْوَة ، كان يُفَصَّل فيها من جَميعِ أنواع الثِّياب والبزّ ، ويكسو بها النَّاس على اختلاف أصْنافِهم كُسْوَةَ الشِّتاء والصَّيْف ، وكانت لأوْلاد النَّاس ونِسائِهم كذلك . وجَعَلَ ذلك رَسْمًا يتوارَثونه في الأعقاب ، وكَتَبَ بذلك كُتُبًا ، وسَمَّى هذا المَوْضِع «خِزانَة الكُسْوَة» .

وقال ، عند ذِكْر انْقِراض الدَّوْلَة : ومن أخْبارِهم أنَّهم كانوا يُخْرِجُون من خَزائِن الكُسْوَة إلى جميع خَدَمِهم وحَواشيهم ، ومَنْ يَلُوذ بهم من صَغير وكَبير ورَفيع وحَقير ، كُسْوات الصَّيْف والشِّتاء من العِمامَة إلى السَّراويل ، وما دونه من الملابِس والمَناديل ، من فاخِر الثِّياب ونَفيس المَلْبوس . ويقومون لهم بجميع ما يَحْتاجون إليه من نَفيس المَطْعُومات والمَشْروبات .

---

[1] انظر فيما يلي ٢: ٣٦٦.

[2] ابن واصل : مفرج الكروب ١: ٢٠٣.

وانظر أيضًا خبر هذه الخزانة وما اشتملت عليه وما خرج منها عند أبي شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ١: ٥٠٧، ٦٨٦-٦٨٧؛ وكذلك Khoury, R. G., «Une description fantastique des fonds de la Bibliothèque, *Hizânat al-Kutub*, au Caire», *Proceedings of the Ninth Congress of the Union Européenne des Arabisants et Islamisants*, Leiden 1981, pp. 123-40؛ ووَصَل إلينا من بين الكتب التي كانت في تلك الخزانة ثلاث مخطوطات : النسخة الوحيدة من كتاب «التَّعْليقات والنوادر» لأبي عليّ الهجري ، كانت أوَّلًا في خزانة كتب الوزير الأفضل شاهنشاه ثم دخلت في الخزانة الفائزية (محفوظة الآن في دار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ٣٤٢ لغة و٦٥٥٣هـ، وبقيتها في مكتبة الجمعية الآسيوية للبنغال في الهند) ؛ والنسخة الوحيدة أيضًا من كتاب «حَذْف من نَسَب قريش عن مؤرج بن عمرو السَّدوسي كانت في خزانة الظافر بأمر الله الفاطمي (محفوظة الآن بالخزانة العامة بالرباط) (انظر صفحة ٣٥٧) ؛ والمجلد العاشر من كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني يحوي الجزأين التاسع عشر والعشرين من الكتاب ، كان أيضًا في خزانة الظافر بأمر الله ثم وَقَفَهُ السلطان الناصر حسن على مدرسته بالقاهرة سنة ٧٥٥هـ/ ١٣٥٥م (محفوظ الآن بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٧ أدب) . (راجع Fu'âd Sayyid, A., «L'art du livre», *Dossiers d'Archéologie* 233 (Mai 1998), pp. 80-83؛ أيمن فؤاد : «خزانة كتب الفاطميين هل بقي منها شيء؟» ، مجلة معهد المخطوطات العربية ٤٢ (مايو ١٩٩٨) ، ٧-٣٢، والدولة الفاطمية في مصر ٥٩٤-٦٠٩) .

[قال] : وسَمِعْتُ من يقول : إنَّه حَضَرَ كُسَا القَصْر التي تُخْرَج في الصَّيْف والشِّتاء ، فكان مِقْدَارها ستّ مائة ألف دينار وزيادة .

قال : وكانت خِلَعُهم على الأُمَرَاء الثِّياب الدَّبيقي والعَمائِم القَصَبa) بالطُّرُز الذَّهَب . وكان طِرازُ الذَّهَب والعِمامة من خمس مائة دينار ، ويُخْلَع على أكابِر الأُمَرَاء الأطْواق والإسْوِرَة والسُّيوف المحلَّاة . وكان يُخْلَع على/ الوَزير عِوَضًا عن الطَّوْق عِقْدُ جَوْهَر [١] .

وقال ابنُ المَأْمُون : وجَلَسَ الأَجَلُّ - يعني الوَزير المأمُون - في مَجْلِس الوَزارَة لتنفيذِ الأُمُور وعَرْض المُطالَعات ، وحَضَرَ الكُتَّابُ ومن جُمْلَتهم ابنُ أبي اللَّيْث كاتِب الدَّفْتَر ، ومعه ما كان أُمِرَ به من عَمَل جَرائِد الكُسْوَة للشِّتاء بحُكْم حُلوله وأوَان تَفْرِقتها ، فكان ما اشْتَمَل عليه المُنْفَقُ فيها ، لسنة ستّ عشرة وخمس مائة ، من الأصْناف أربعة عشر ألفًا وثلاث مائة وخمس قِطَع ؛ وأنَّ أكثرَ ما أُنْفِقَ عن مثل ذلك في الأيام الأفْضَليَّة ، في طُول مُدَّتها ، في سنة ثلاث عشرة وخمس مائة : ثمانية آلاف وسبع مائة وخمس وسبعون قِطْعَة ، يكون الزَّائِد عنها - بحُكْم ما رُسِمَ به في مُنْفَق سنة ستّ عشرة - خمسة آلاف وخمس مائةb) وأربعًا وثلاثين قطعة [٢] .

ووَصَلَت الكُسْوَةُ المختصَّةُ بالعيد في آخِر الشَّهْر ، وقد تَضاعَفَت عَمَّا كانت عليه في الأيَّام الأفْضَلِيَّة لهذا المَوْسِم ، وهي تَشْتَمِل على ذُهوب وسُلَف دون العشرين ألف دينار ، وهو عندهم المَوْسِم الكبير ، ويسمَّى بـ « عيد الحُلَل » ؛ لأنَّ الحُـلَلَ فيه تَعُمّ الجماعَة ، وفي غيره للأَعْيان خاصَّة .

فأُحْضِرَ الأميرُ افْتِخارُ الدَّوْلَة ، مُقَدَّمُ خِزانَة الكُسْوَة الخاصّ ، ليتسلَّم ما يختصُّ بالخَليفَة ، وهو برَسْم المَوْكِب : بَدْلَة خاصّ جَليلَة مذهبة ، ثوبُها موشَّح مُجاوَم مُذايَل ، عِدَّتُها باللِّفافتين إحدى عشرة قطعة : السُّلَف عنها مائة وستة وسبعون دينارًا ونصف ، ومن الذَّهَب العَالي المَغْزول ثلاث مائة وسبعة وخمسون مِثْقالاً ونصف ، كلُّ مثقال أجرة غَزْله ثُمْن دينار ، ومن الذَّهَب العِراقي ألفان وتسع مائة وأربع وتسعون قَصَبَة .

تفصيل ذلك : شاشِيَّةٌ طَميمٌ : السُّلَف ديناران وسبعون قَصَبة ذَهَبًا عِراقيًّا . مِنْديل بعَمود ذَهَب : السُّلَف سبعون دينارًاa) وألفان ومائتان وخمسون قَصَبة ذَهَبًا عِراقيًّا ، فإن كان الذَّهب

---

a) ساقطة من بولاق . b) الأصول وبولاق : ست مائة ، والتصويب من المسودة .

---

[١] المقريزي : مسودة المواعظ والاعتبار ١٥٧ - ١٥٨ . المواعظ والاعتبار ١٥٦ - ١٥٧ ، وصواب الرقم ٥٥٣٠ قطعة

[٢] ابن المأمون : أخبار مصر ٤٨ ؛ المقريزي : مسودة لا ٥٥٣٤ قطعة .

نَظير المصري ، كان الذي يُرْقَم فيه ثلاث مائة وخمسة وعشرين مِثْقالًا ، لأنَّ كلَّ مِثْقال نَظير تسع قَصَبات ذَهَبًا عِراقيًا .

وَسَط شَرْب بِطانَة للمِنْديل : السُّلَف عشرة دنانير وسبعون قَصَبَة ذهبًا عِراقيًا . ثَوْبٌ موشَّح مُجاوَم مُطَرَّف : السُّلَف خمسون دينارًا وثلاث مائة وأحد وخمسون مثْقالًا ونصف ذَهَبًا عاليًا ، أجرة كلِّ مِثْقال ثُمْن دينار ، تكون جملة مبلغه وقيمة ذهبه ثلاث مائة وأربعة وتسعين دينارًا ونصفًا .

ثَوْبٌ دَبيقي حَريري وَشطاني : السُّلَف اثنا عشر دينارًا . غِلالَة دَبيقي حريري : السُّلَف عشرون دينارًا . مِنْديل كُمّ أوَّلَ مُذَهَّب : السُّلَف خمسة دنانير ومائتان وأربع قَصَبات ذَهَبًا عِراقيًا . مِنْديل كُمّ ثان حَريري : السُّلَف خمسة دنانير . حجرة : السُّلف أربعة دنانير . عَرَضي مذهب : السُّلف خمسة دنانير وخمسة عشر مثقالًا ذهبًا عاليًا . عَرَضي لُفافَة للتُّخْت : دينار واحد ونصف .

بَدْلَةٌ ثانية برَسْم الجُلوس على السِّماط ، عِدَّتُها باللُّفافتين عَشْر قِطَع : السُّلَف مائة وأربعة عشر دينارًا ، ومن الذَّهب العالي خمسة وخمسون مِثْقالًا ، ومن الذهب العراقي سبع مائة وأربعون قَصَبَة .

تفصيلُ ذلك : شاشِيَة طَميم : السُّلَف دينارِان وسبعون قَصَبَة ذَهَبًا عراقيًا . مِنْديل : السُّلَف ستون دينارًا وستّ مائة قَصَبَة ذهبًا عراقيًا . شُقَّة وكُمّ : السُّلَف ستة عشر دينارًا وخمسة وخمسون مِثْقالًا ذهبًا عاليًا ، أُجرَة كلّ مِثْقال ثُمْن دينار . شُقَّة دَبيقي حَريري وَشطاني : اثنا عشر دينارًا . شُقَّة دَبيقي غلالة : ثمانية دنانير . مِنْديل الكُمّ الحريري : خمسة دنانير . حجرة : أربعة دنانير . عَرَضي : خمسة دنانير . عَرَضي برَسْم التُّخْت : دينار واحد ونصف . وهذه البَدْلَةُ لم تَكُن فيما تقدَّم في أيام الأَفْضَل ، لأنَّه لم يكن ثَمّ سِماطٌ يَجْلس عليه الخَليفَة ، فإنَّه كان قد نَقَلَ ما يُعْمَل في القُصُور من الأَسْمِطَة والدَّواوين إلى داره فصارَ يُعْمَل هناك .

ما هو برَسْم الأجَلّ أبي الفَضْل جَعْفَر أخي الخَليفَة الآمِر : بَدْلة مُذْهبَة سُلَفُها تسعون دينارًا ونصف ، وخمسة وعشرون مِثْقالًا ذَهَبًا عاليًا ، وأربع مائة وسبعون قَصَبَة ذَهَبًا عِراقيًا .

تفصيلُ ذلك : مِنْديل : السُّلف خمسون دينارًا وأربع مائة وسبعون قَصَبَة ذهبًا عِراقيًا . شُقَّة دَبيقي حَريري وَشطاني : السُّلَف عشرة دنانير . شُقَّة غلالة دَبيقي : السُّلَف ثمانية دنانير . حجرة : ثلاثة دنانير وثلث . عَرَضي دَبيقي : ثلاثة دنانير .

الجِهَةُ العالية بالدارِ الجديدة التي يَقُوم بخِدْمَتِها جَوْهَر : حُلَّة مُذَهَّبة مُوَشَّح مُجاوَم مُذايل مُطَرَّف ، عدَّتها سَبْع[a] عشرة قطعة : [b]سُلَفُها ثلاث مائة وستّة وثلاثون دينارًا ، ومن الذَّهَب العِراقي ستة آلاف وثمان مائة وخمسة وثلاثون قَصَبَة[b].

تفصيلُ ذلك : مُكَلَّف مُذَهَّب مُوَشَّح مُجاوَم : السُّلَف خمسة عشر دينارًا وستّ مائة وستون قَصَبة [b]عُصَابَة مُوَشَّح مُذَهَّب ، السُّلَف عشرون دينارًا وستّ مائة وستون قَصَبَة[b]. سداسي مُذَهَّب : السُّلَف ثمانية عشر دينارًا ومائتا قَصَبَة . مَعْجَر أوَّل مُذَهَّب مَوشَّح مُجاوَم مُطَرَّف : السُّلَف خمسون دينارًا وألف وتسع مائة قَصَبَة . مَعْجَر ثانٍ حَريري : السُّلَف خمسة وثلاثون دينارًا ونصف . رِداء حَريري أوَّل : السُّلَف عشرة دنانير ونصف . رداء حَريري ثان : السُّلَف تسعة دنانير . دُرّاعَة مُوَشَّح مُجاوَم مذايل مُذَهَّبة : السُّلَف خمسة وتسعون دينارًا ، ومن الذهب العراقي ألفان وستّ مائة وخمس وخمسون قَصَبة .

شُقَّةٌ دَبيقي حَريري وَسْطاني : السُّلَفَ عشرون دينارًا ونصف . شُقَّة دَبيقي بغير رَقْم برَسْم عَجْز التفصيل : ثلاثة دنانير . مُلاءَة دَبيقي : السُّلَف أربعة وعشرون دينارًا وستّ مائة قصبة . مِنْديل / كُمّ أوَّل : السُّلَف ستة دنانير ومائة وستون قَصَبة . مِنْديل كُمّ ثان : السُّلف خمسة دنانير ومائة وستون قَصَبَة ، مِنْديل كُمّ ثالث : السُّلَف خمسة دنانير . حجرة : ثلاثة دنانير . عَرَضي دَبيقي : ثلاثة دنانير .

جِهَة مَكْنون القاضي بمثل ذلك على الشَّرْح والعِدَّة . جِهَةُ مُرْشِد : حُلَّة مُذَهَّبة عِدَّتها أربع عشرة قطعة : السُّلَف مائة وأحد وأربعون دينارًا ، ومن الذَّهَب العِراقي ألف وستّ مائة وتسع وثمانون قَصَبَة . جِهَة عَنْبَر مثل ذلك . السَّيِّدَة جِهَة ظِلّ مثل ذلك . جِهَة مُنْجِب مثل ذلك .

الأمير أبو القاسِم عبد الصَّمَد : بَدْلَة مُذَهَّبَة . الأمير داود مثله . السَّيِّدة العَمَّة : حُلَّة مُذَهَّبَة . السَّيِّدَة العابِدَة العَمَّة مثل ذلك .

الموالي الجُلَساء من بني الأعْمام ، وهم : أبو المَيْمون عبد المجيد ، والأميرُ أبو اليُسْر ابن الأمير مُحْسن ، والأميرُ أبو عليّ ابن الأَمير جَعْفَر ، الأميرُ حَيْدَرَة ابن الأَمير عبد المجيد ، والأميرُ مُوسَىٰ ابن الأَمير عبد الله ، والأميرُ أبو عبد الله ابن الأَمير دَاود : لكلٍّ منهم بَدْلَة مُذَهَّبَة .

البَنُون والبَنات من بني الأعْمام غير الجُلَساء : لكلٍّ منهم بَدْلة حَريري . سِتّ سَيِّدات : لكلٍّ منهن حُلَّة حَريري . جِهَةُ المَوْلَى أبي الفَضْل جَعْفَر التي يقوم بخِدْمَتِها رَيْحان : حُلَّة مذهبة . جِهَةُ

a) بولاق : خمس .   b-b) ساقطة من بولاق .

المَوْلَى عبد الصَّمد : حُلَّة حَريري . ما يَخْتَصُّ بالدَّار الجُيُوشِيَّة والمُظَفَّرِيَّة [1] ، فعلى ما كان بأَسْمائِهم .

المُسْتَخْدمات بخِزانَة الكُسْوَة الخاصّ : زَيْن الخُزَّان [2] المُقَدَّمة حُلَّة مذهبة . سِتّ خُزَّان لكلّ منهن حُلَّة حَريري . عشر وَقَّافات لكلّ منهن كذلك . المُعَلِّمَة مُقَدَّمَة المائِدَة كذلك . راياتُ مُقَدَّمَة خِزانَة الشَّراب كذلك .

المُسْتَخْدِمات من أَرْباب الصَّنائِع من القُصوريات ومِمَّن انْضاف إليهن من الأَفْضَلِيَّات : مائة وسبعون حُلَّة مُذَهَّبَة وحَريري ، على التفصيل المتقدِّم .

المُسْتَخْدِمات عند الجِهَة العالية جِهَة جَوْهَر عشرون حُلَّة مُذَهَّبَة وحَريري ، وكذلك المُسْتَخْدَمات عند جِهَة[a] مَكْنون .

الأُمَراءُ الأُسْتاذون المُحَنَّكون : الأَميرُ الثِّقَة زِمامِ القُصُور : بَدْلَة مُذَهَّبَة . الأميرُ نَسيب الدَّوْلة مُرْشِد ، مُتَوَلِّي الدَّفْتَر ، كذلك . الأميرُ خاصَّة الدَّوْلَة رَيْحان ، مُتَوَلِّي بيت المال ، كذلك . الأميرُ عَظيمُ الدَّوْلَة وسَيْفُها ، حامِلُ المِظَلَّة ، كذلك . الأميرُ صارِمُ الدَّوْلَة صاف ، متولِّي السِّتْر ، كذلك . وَفيّ الدولة إسْعاف ، مُتَوَلِّي المائِدَة ، مثله . الأميرُ افْتِخارُ الدَّوْلَة جُنْدُب : بَدْلَة مُذَهَّبَة نظير البَدْلَة المختصَّة بالأمير الثِّقَة . ولكلِّ مَنْ غير هؤلاء المذكورين حُلَّة حريري أَرْبَع قِطَع ، ولُفافة فُوطَة .

مُخْتار الدَّوْلَة ظِلّ : بَدْلَة حَريري . ستة أُسْتاذين في خِزانَة الكُسْوة الخاصّ عند الأمير افْتخار الدَّوْلَة جُنْدُب : لكلٍّ منهم بَدْلَة مُذَهَّبَة . جَوْهَر زِمام الدَّار الجَديدة: بَدْلَة حَريري . تاجُ الملك عَنْبَر نائب[b] بيت المال مثله . مُفْلِح برَسْم الخِدْمَة في المَجْلس مثله . مَكْنون مُتَوَلِّي خِدْمَة الجِهَة العالية مثله . فُتُون متولِّي خِدْمَة التُّرْبة مثله . مُرْشِد الخاصّ مثله .

النُّوَّابُ عند الأَمير الثِّقَة في زِمام القُصُور – وعدَّتهم أربعة – لكلٍّ منهم بَدْلَة حَريري . خُسْرُواني العَظِمِي ، مُقَدَّم خِزانَة الشَّراب ، ورفيقه : لكلٍّ منهما بَدْلَة كذلك . [c]مُتَوَلِّي المائِدَة عند المُعَلِّمَة بَدْلَة كذلك[c] الصَّقالِبَة أَرْباب المَذَاب – وعِدَّتهم أربعة – لكلٍّ منهم بَدْلَة حَريري وشُقَّة وفُوطَة . نائِب السِّتْر مثل ذلك .

---

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : تاج الملك أمين . c-c) ساقطة من بولاق .

---

[1] انظر عن الدار المظفرية فيما يلي ٢ : ٥٢.

[2] انظر عن زَيْن الخُزّان فيما يلي ٣٦٩، وهو نعت من تتولى أمر خزانة الكسوة الباطنة .

الأُسْتاذون بَرَسْم خِدْمَة المِظَلَّة - وعِدَّتهم خمسة - لكلٍّ منهم مَنْديل سُوسي وشُقَّة دِمْياطي وشُقَّة إسْكَنْدَراني وفُوطَة. الأُسْتاذُون الشَّدَّادون بَرَسْم الدَّواب - وعِدَّتهم ستة - كذلك.

ما حُمِلَ بَرَسْم السَّيِّد الأَجِلّ المأمون - يعني الوَزير - : بَدْلَة خاصَّة مُذَهَّبَة كبيرة مَوْكِبيَّة، عِدَّتها إحدى عشرة قِطْعَة[a]. وما هو بَرَسْم جِهاتِه، وبَرَسْم أوْلادِه: الأَجَلّ تاج الرِّئاسَة[1]، وتاج الخِلافَة، وسَعْد المُـلْك محمود، وشَرَف الخِلافَة جَمال المُـلْك مُوسَىٰ - وهو صَاحِب التاريخ[2] - نَظير ما كان باسْم أولاد الأَفْضَل بن أمير الجُيُوش، وهم حَسن وحُسَيْنٌ وأَحْمَد. الأَجَلّ المُؤْتَمَن سُلْطان المُـلُوك - يعني أخَا الوَزير - عن تَقْدِمَة العَساكِر وزَمّ الأزِمَّة، وبَرَسْم الجِهَة المختصة به. ورُكْن الدولة عِزّ الملوك أبو الفَضْل جعفر عن حَمْل السَّيْفِ الشريف - خارِجًا عمَّا له من حماية خِزانَة الكُسْوات وصناديق النَّفَقات، وما يُحْمَل أيضًا للخزائن المأْمُونية، ممَّا يُنْفَق منها على من يُحْسن في الرأي من الحاشِيَة المأْمُونية - ثلاثون بَدْلَة.

الشَّيْخُ الأَجَلُّ أبو الحَسَن بن أبي أُسامَة، كاتِب الدَّسْت الشَّريف، بَدْلَة مُذَهَّبَة عِدَّتها خَمْس قِطَع، وكُمّ وعَرَضِي.

الأميرُ فَخْرُ الخِلافَة حُسام المُـلْك، متولِّي حَجْبَةِ الباب، بَدْلَة مُذَهَّبَة كذلك. القاضي ثِقَة المُـلْك ابن الرشعَني[a] النَّائِب في الحُكْم: بَدْلَة مُذَهَّبَة عِدَّتها أربع قطع، وكُمّ وعَرَضي.

الشَّيْخ الدَّاعِي وَليّ الدَّوْلَة ابن عَبْد[b] الحَقِيق: بَدْلَة مُذَهَّبَة. الأميرُ الشَّريف أبو عليّ أحمد بن عَقيل، نقيب الأَشْراف، بَدْلَة حريري ثلاث قطع، وفُوطَة. الشَّريف أَنَس الدَّوْلة، متولِّي ديوان الإنْشاء، بَدْلَة كذلك.

دِيوانُ المُكاتَبات: الشَّيْخ أبو الرِّضَىٰ ابن الشَّيْخ الأَجَلّ أبي الحَسَن، النَّائِب عن والِدِه في الدِّيوان المذكور: بَدْلَة مُذَهَّبَة عَدَّتها ثلاث قِطَع وكُمّ. أبو المكارِم هِبَة الله أخوه: بَدْلَة مُذَهَّبَة ثلاث قِطَع وفُوَطة. أبو محمد حَسَن أخوهما كذلك. أخُوهُم أبو الفَتْح: بَدْلَة حَريري قطعتان وفُوطَة.

---

a) ساقطة من بولاق. b) الأصل وبولاق: أبي.

---

[1] توفي تاج الرئاسة ابن المأمون مقتولًا في سنة ٥٤٤هـ/ ١٠٥٢م (ابن ميسر: أخبار مصر ١٤٤).

[2] الأمير جمال الملك أبو علي موسى بن المأمون البطائحي، المتوفى سنة ٥٨٨هـ/ ١١٩١م صاحب كتاب «أخبار مصر» أو «السيرة المأمونية». (المقريزي: السلوك ١/ ١ : ١١١، وانظر المقدمة).

٤١ الشَّيْخُ أبو الفَضْل يحيى بن سعيد المَيْدَمي[a]، مُنْشِئ ما يَصْدُر عن/ دِيوان المُكاتَبات، ومُحَرِّر ما يُؤْمَر به من المُهِمَّاتِ: بَدْلَة مُذَهَّبَة عِدَّتها ثلاث قِطَع وكُمّ ومُزَنَّر. أبو سعيد الكاتِب: بَدْلَة حَريري. أبو الفَضْل الكاتِب كذلك. الحاج مُوسىٰ المُعين في الإلْصاق كذلك.

وأمّا الكُتَّابُ بدِيوان الإنْشاء فلم يَتَّفِق وُجودُ الحِساب الذي فيه أسماؤُهم فيُذْكروا، ومن القِياس أن يكونوا قَرِيبًا من ذلك.

الشَّيْخُ وَليّ الدين أبو البَرَكات، مُتَوَلِّي دِيواني[b] المَجْلِس والخاصّ، بدْلَة مُذَهَّبة عِدَّتها خَمْس قِطع وكُمّ وعَرَضي. ولامرأته حُلَّة مُذَهَّبَة.

الشَّيْخُ أبو الفَضائِل هِبَةُ الله بن أبي اللَّيْث، مُتَوَلِّي الدَّفْتَر وما جُمِع إليه، بَدْلَة. أبو المَجْد وَلَدُه: بَدْلَة حَريري. عَدِيُّ المُلْك أبو البَرَكات، مُتَوَلِّي دار الضِّيافَة، بَدْلَة مُذَهَّبة. وبعده الضُّيُوف الوارِدون إلى الدَّوْلَة جَميعهم منهم مَنْ له بَدْلَة مُذَهَّبة، ومنهم من له بَدْلَة حريري. وكذلك من يَتَّفِق حضُورُه من الرُّسُل على هذا الحُكْم.

مُقَدَّمو الرِّكاب: عَفِيفُ الدَّوْلة مُقْبِل: بَدْلَة مُذَهَّبَة. القائِد مُوَفَّق والقائد تَمِيم مثل ذلك. أربعةٌ من المقدَّمين برَسْم الشُّكيمةِ، لكلٍّ منهم بَدْلَة حَريري. الرُّوّاض عِدَّتهم ثلاثة لكلٍّ منهم بَدْلَة حريري. الخاصّ من الفَرّاشين - وهم اثنان وعشرون رجلًا - منهم أربعة مميَّزون لكلٍّ منهم بَدْلَة مُذَهَّبَة، وبقيَّتهم لكل واحدٍ بَدْلَة حريري.

الأَطِبّاء: السَّديد أبو الحَسَن عليّ بن أبي السَّديد: [c]بَدْلَة مُذَهَّبَة، أبو الفَضْل بن رَحْمُون مثل ذلك، أبو المنصُور وَلَدُه[c]: بَدْلَة حَريري. أبو الفَضْل النَّسْطوري: بَدْلَة حَريري. وكذلك البَقِيَّة[d] المُسْتَخْدَمون برَسْم الحَمّام - وهم ثمانية - مقدَّمهم: بَدْلَة مُذَهَّبة، والبَقِيَّة لكلٍّ منهم بَدْلة حَريري. [c]المُسْتَخْدَمُون برَسْم عَمَل التَّقاوِيم أربعة، لكُلٍّ منهم بَدْلَة حَريريّ[c].

والي القاهِرَة ووالي مصر: لكلٍّ منهما بَدْلَةٌ مُذَهَّبَة.

المُسْتَخْدَمون في المَواكِب: الأمير كَوْكَب الدَّوْلَة، حامِل الرُّمْح الشَّريف وَرَاء المَوْكب والدَّرَقة المُعِزِّيَّة، بَدْلَة حَريري. حامِلا الرُّمْحَين المُعِزِّيَّة أيضًا أمام الموكب بغير دَرَق: لكلٍّ منهما مِنْديل وشُقَّة وفُوطَة. وهؤلاء الثلاثة رِماح ما هي عربية، بل هي خُشُوت قَدِمَ بها المُعِزّ من المغرب.

حامِلا لِواء الحَمْد المختصّان بالخَليفَة عن يمينه ويساره: لكلٍّ منهما بَدْلَة.

---

a) بولاق: الندمي. b) بولاق: ديوان. c-c) ساقطة من بولاق. d) بولاق: الفئة.

مُتوَلّي بَغْل المَوْكِب الذي يُحْمل عليه جَميع العُدَّة المغربية : بَدْلَة حَريري .

متولّي حَمْل المِظَلَّة كذلك . عشرة نَفَر من صِبيان الخاصّ ، برَسْم حَمْل العشرة رِماح العربية المغشّاة بالدِّيباج وَرَاء المَوْكِب ، لكلٍّ منهم مِنْديل وشُقَّة وفُوطَة . حامِل السَّبُع وَرَاء المَوْكِب : بَدْلَة حَريري .

المُقَدَّمون من صِبْيان الخاصّ ـ وهم عشرون ـ لكلٍّ منهم بَدْلَة . عُرَفاءُ الفَرّاشين الذين يَنْحَطُّون عن فَرّاشي الخاصّ وفَرّاشي المَجْلس وفَرّاشي خَزائِن الكُسْوَة الخاصّ : لكلٍّ منهم بَدْلَة حَريري .

الفَرّاشون في خَزائِن الكُسْوات المستخدمون بالإيوان ـ وهم الذين يشدُّون ألْوِيَة الحَمْد بين يديِ الخَليفَة لَيْلَة المَوْسِم ، فإنّها لا تُشَدُّ إلّا بين يديه ، ويبدأ هو باللّفّ عليها بيده على سَبيل البركة ، ويُكْمِل المستخدمون بقيّة شَدّها ، وما سوى ذلك من القُضْب الفضة وألْوِيَة الوَزارَة وغيرها ـ وعِدَّتهم سبعة : لكلٍّ منهم مِنْديل سُوسي وشُقَّتان إسْكَنْدَراني .

المُسْتَخْدَمون برَسْم حَمْل القُضْب الفِضَّة ولِوَاءَي الوَزارَة : أربعة عشر كذلك . مُشارف خِزانَة الطِّيب ـ وكانت من الخِدَم الجَليلَة ، وكان بها أعْلام الجَوْهَر التي يركب بها الخَليفَة في الأعْياد ، ويَسْتدعي منها عند الحاجَة ، ويُعاد إليها عند وُقُوعِ الغِنَى عنها ، وكذلك السَّيْف والثلاثة رِماح المُعِزِّيّة ـ مُشارِف خِزانَة السُّروج : بَدْلَة حريري .

مُشارِفُ خَزائِن الفَرْش ، وكاتِب بَيْت المال ، ومُشارِف خَزائِن الشَّراب ، ومُشارِف خَزائِن الكُتُب : كلٌّ منهم بَدْلَة حَريري . بَرَكات الآدمي ، والمسْتَخْدمون بالبَاب ، وسِنان الدَّوْلَة ابن الكَرْكَنْدِي عن زَمّ الرَّهَجِيَّة ، والمبيت على أبواب القصور ـ وكانت من الخِدَم الجَليلَةِ ـ والصِّبيانُ الحُجَرِيَّة المُنْشِدّون تلو المَوْكِب بعد المقرَّبين وعِدَّتهم عشرون : لكلٍّ منهم الكُسْوَة في الشِّتاء والصَّيْف والعِيدَيْن وغيرهما .

وعِدَّةُ الذين يَقْبِضون الكُسْوَة في العِيدَيْن من الفَرّاشين أكثر من صِبْيان الرِّكاب ، وذلك أنّهم يتولَّوْن الأَسْمِطَة ويَقِفون في تَقْدِمتها ، وينفرد عنهم المستخدَمون في الرِّكاب بما لهم من المتحصَّل في المخلَّفات في العيدين ، وهو ما مَبْلَغه ستَّة آلاف دينار ، ما لأحَدٍ معهم فيها نَصيب .

وكان يُكْتب في كلِّ كُسْوَة هي برَسْم وُجوه الدَّوْلَة رُقْعَة من ديوان الإنْشاء ، فممّا كُتِبَ به من إنشاء ابن الصَّيْرَفي [1] ، مقترنة بكُسْوَة عيد الفِطْر من سنة خمسٍ وثلاثين وخمس مائة :

« ولم يَزَل أميرُ المؤمنين مُنْعِمًا بالرَّغائب ، مُولِيًا إحْسانَه كلَّ حاضِرٍ من

---

[1] ابن الصَّيْرَفي انظر فيما تقدم ١: ٢٧٩.

> أوْليائه وغَائِب، مُجْزِلاً حَظَّهم من مَنائِحِه ومَواهِبه، مُوَصِّلاً إليهم من الحِبَاء ما يَقْصُر شُكْرُهم عن حَقِّه ووَاجِبِه. وإنَّكَ أيُّها الأمير [a] لأوْلاهم من ذلك بجَسيمه، وأحْراهم باسْتِنْشَاق نَسيمِه، وأخْلَقهم بالجزء الأوْفى منه عند فَضِّه وتَقْسيمه. إذ كنت في سَمَاء المُشايَعَة[b] بَدْرًا، وفي جَرائِد المُناصَحَة صَدْرًا، وممَّن أخْلَص في الطَّاعة سِرًّا وجَهْرًا، وحظِيَ في خِدْمَة أمير المؤمنين بما عَظَّمَ[c] له وَصْفًا وسَيَّر له ذِكْرا.
>
> ولمَّا أَقْبَلَ هذا العِيدُ السَّعيد ـ والعادَةُ فيه أن يُحْسِن النَّاسُ هيئَتَهم، ويأْخُذوا عند كلِّ مَسْجِدٍ زينَتَهم ـ ومن وَظائِف كَرَم أمير المؤمنينَ تَشْريف أوْليائِه وخَدَمِه فيه، وفي المَواسِم التي تُجاريه، بكُسْواتٍ على حَسَب مَنازِلِهم ٤١٣:٢ تَجْمَع بين الشَّرَف والجَمال، ولا يَبْقى بعدها مَطْمَحٌ للآمال، وكنت من/ أحَقِّ[d] الأُمَرَاء المقدَّمين...» [1].

قال: وَوَصَلَت الكُسْوَةُ المُخْتَصَّةُ بغُرَّة شهر رَمَضَان وجُمْعَتَيْه: برَسْم الخَليفَة للغُرَّة بَدْلَة كبيرة مَوْكِبِيَّة مكمَّلة مُذَهَّبَة. وبرَسْم الجَامِع الأزْهَر للجُمُعَة الأولى من الشهر، بَدْلَة مَوْكبية حَريري مكمَّلة، مِنْديلها وطَيْلَسانُها بَياض، وبرَسْم الجَامِع الأنْوَر للجُمُعَة الثانية بَدْلَة مِنْديلها وطَيْلَسانُها شَعْري.

وما هو برَسْم أَخي الخَليفَة، للغُرَّة خاصَّةً، بَدْلَةٌ مُذَهَّبة، وبرَسْم أربع[e] له مع جِهات الخَليفَة أَرْبَع حُلَل مُذَهَّبات. وبرَسْم الوَزير للغُرَّة بَدْلَة مُذَهَّبَة مكمَّلة مَوْكِبِيَّة، وبرَسْم الجُمْعَتين بَدْلَتان حَريري. ولم يَكُن لغير الخَليفَة وأخيه والوَزير في ذلك شيءٌ فيُذْكَر.

ووَصَلَت الكُسْوَة المختصَّة بفَتْح الخَليج، وهي برَسْم الخَليفَة تَخْتان ضمنهما بَدْلَتان: إحداهما مِنْديلُها وطَيْلَسانُها طَميم برَسْم المُضِيّ، والأخرى جَميعُها حَريري برَسْم العَوْد. وكذلك ما يَخْتَص بإخْوَته وجِهاتِه: بَدْلَتان مُذَهَّبتان، وأربع حُلَل مذهبة. وبرَسْم الوَزير بَدْلَةٌ موكبية مُذَهَّبة في تَخْت. وبرَسْم أوْلاده الثلاثة ثلاث بَدْلات مذهبة. وبرَسْم جِهته حُلَّة مذهَّبة في تَخْت. وبقية

---

a) في آياصوفيا: بياض قدر كلمة. b) بولاق: المسابقة. c) بولاق: عطر. d) بولاق: أخص. e) بولاق: وبرسم له مع.

---

[1] ابن المأمون: أخبار مصر ٤٨- ٥٤.

ما يَخُصُّ المستخدمين وابن أبي الرَّدَّاد في تُخوت ، في[a] كلِّ تَخْت عِدَّةُ بَدْلات .

وحَضَرَ مُتَوَلِّي الدَّفْتَر ، واسْتَأْذَن على ما يُحْمَل برَسْم الخَلِيفَة ، وما يُفَرَّق ويُفَصَّل برَسْم الخِلَع ، وما يَخْرُج من حَاصِل الخَزائِن غَيْر الوَاصِل - وهو ما يُفَصَّل برَسْم الغِلْمان الخاصّ[b] - برَسْم سبع مائة قِباء : خمس مائة وشُقَّتَيْن سَقْلاطون داري ، وبرَسْم رؤساء العُشَارِيَّات من الشُّقَق الدِّمْياطي والمناديل السُّوسي والفُوَط الحَرِير الحُمْر ، وبرَسْم النَّوَاتية التي برَسْم الخاصّ من العُشارِيَّة من الشُّقَق الإسْكَنْدَراني والكَلُّوتات .

وقد تقدَّم تَفْصيلُ الكُسْوات جَميعُها وعَدَدُها ، وأسْمَاء المستمرين لقَبْضِها [١] .

وقال في كتاب « الذَّخَائِر » : وحدَّثني مَنْ أثِق به ، عن ابن عبد العزيز [الأنْماطي] [c]، أنَّه قال : قَوَّمْنا ممَّا أُخْرِج من خَزائِن القَصْر - يعني في سِنِي الشِّدَّة أيام المُسْتَنْصِر - من سائِر ألْوان الخُسْرواني ما يزيد على خمسين ألف قِطْعَة ، أكثرها مُذَهَّب [٢] .

وسألت ابن عبد العزيز فقال : أُخْرِجَ من الخَزائِن ما حُرِّرت قيمَته على يَدَيّ وبحَضْرَتي أكثر من مائة ألف قِطْعَة [٣] .

وحدَّثني أبو الفَضْل يحيى بن إبراهيم البَغْدادي - أحَدُ أصْحاب الدَّواوين بالحَضْرة - أنَّ الذي تَوَلَّى أبو سعيد النَّهاوَنْدي ، المعروف بالمُعْتَمِد ، بَيْعَه خاصَّةً من مُخْرَج القصر ، دون غيره من الأُمَناء ، في مُدَيْدَةٍ يسيرة ثمانية عشر ألف قطعة من بِلَّوْر ومُحْكَم [d]، منها ما يُساوي الألف دينار إلى عشرة دنانير ونيِّف ، وعشرون ألف قطعة خُسْرواني .

وحدَّثني عميدُ المُلْك أبو الحَسَن عليٌّ بن عبد الجَلِيل فَخْر الوُزَراء بن عبد الحاكِم ، أنَّ ناصِرَ الدَّوْلَة أرْسَلَ يُطالِب المُسْتَنْصِر بما بقي لِغِلْمانِه ، فذَكَر أنَّه لم يَبْق عنده شيءٌ إلَّا مَلابِسَه ، فأخْرَج ثمان مائة بَدْلَة من ثِيابِه بجميع آلاتها كاملة ، فقُوِّمَت وحُمِلَت إليه [٤] .

---

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : برسم الخاص من الغلمان . c) زيادة مما يلي ٣٧٧. d) بولاق : وبحكم .

---

[١] ابن المأمون : أخبار مصر ٥٤- ٥٥.

[٢] الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ٢٥٣، وفيما يلي ٣٧٧.

[٣] فيما يلي ٣٧٨.

[٤] لم أقف على هذا الخبر فيما وصل إلينا من الذخائر والتحف .

وقال ابنُ الطُّوَيْر: الخِدْمَةُ في خَزائِن الكُسْوات لها رُتْبَة عَظيمَة في المُباشَرات، وهما خِزانَتان [a]ظاهِرَة وباطِنَة[a]: فالظَّاهِرَة يتولّاها خاصَّةً أكبرُ حَواشي الخَليفَة إمَّا أُسْتاذٌ أو غيره. وفيها من الحَواصِل ما يدلُّ على إسْبَاغ نِعَم الله تعالى على من يَشاء من خَلْقِه من الملابس الشُّروب، والخاصّ الدَّبيقي الملوَّنة رجالية ونِسائية، والدِّيباج الملوَّنة والسَّقْلاطون. وإليها يُحْمَل ما يُسْتَعْمَل في دارِ الطِّراز بتنِّيس ودِمْياط وإسْكَنْدَرية من خاصِّ المستعمل. وبها «صاحبُ المَقَصّ» - وهو مُقَدَّم الخَيَّاطين - ولأَصْحابه مكانٌ لخياطَتهم، والتفصيل يُعْمَل على مِقْدار الأَوامِر وما تَدْعو الحاجَةُ إليه.

ثم يُنْقَل إلى خِزانَة الكُسْوَة الباطِنَة ما هو خاصٌّ للباس الخَليفَة. ويتولَّاها امْرَأَةٌ تُنْعَت بـ «زَيْن الخُزَّان» أبدًا - [a]وكانت هذه رُومِيَّة في عَصْرِنا[a] - وبين يديها ثلاثون جارِيَة فلا يُغَيِّر الخَليفَة أبدًا ثيابَه إلَّا عندها ولِباسَه، خَافِيًا الثِّياب الدَّارية، وسَعَة أكمامِها سَعَة نصف أكمام الظَّاهِر. وليس في جِهَةٍ من جِهاتِه ثِيابٌ أصْلًا، و لا يَلْبَس إلَّا من هذه الخِزانَة.

وكان بَرَسْم هذه الخِزانَة بُسْتانٌ من أمْلاك الخَليفَة على شاطئ الخَليج - يُعْنى فيه أبدًا بالنَّسْرين والياسَمين - فيُحْمَل في كلِّ يومٍ منه شيءٌ في الصَّيْف والشِّتاء، لا ينقطع ألبتَّة، برَسْم الثِّياب والصَّناديق.

فإذا كان أوانُ التَّفْرِقَة الصَّيْفِيَّة أو الشَّتْوِيَّة، شُدَّ لمن تقدَّمَ ذكره من أَوْلاد الخَليفَة وجِهاتِه وأقاربه وأَرْباب الرَّواتب والرُّسوم: من كلِّ صِنْفٍ شَدَّة - على ترتيبِ المَفْرُوضِ لهم[b] من شُقَق الدِّيباج الملوَّن والسَّقْلاطون والشُّروب[c] إلى السُّوسي والإسْكَنْدري[d]، على مِقْدار الفُصُول من الزَّمان، ما يَقْرُب من مائتي شَدَّة. فالخواصُّ في العَراضي[1] الدَّبيقي، ودونهم

a-a) إضافة من مسودة المواعظ. b) بولاق: مفروض. c) ساقطة من بولاق. d) بولاق: الإسكندراني.

[1] عَرَضي جـ. عراضي. وَرَدَ هذا المصطلح في مواضع كثيرة عند ابن المأمون وابن الطُّوَيْر والمقريزي وأبي المحاسن بأكثر من معنى، فيرد أحيانًا بالصيغة التالية: «عَرَضي مذهب»، «عَرَضي لفافة للتخت»، «عرضي دبيقي» (فيما يلي ص ٤٦٩: ١٧، ابن المأمون: أخبار ٤٦، ٥٠). وفي هذه الأمثلة يعني المصطلح أحيانًا قطعة من الملابس قد تكون على شكل وشاح. وفي مواضع أخرى ينطبق هذا المصطلح على نوع من الأغطية المنسوجة لتغطية الأطباق والأواني مثل: «كان يعمل في الطراز للولائم التي تتخذ برسم تغطية الصواني عدة من عراضي دبيقي، ثم قوّارات شرب تكون من تحت العراضي على الصواني ...» (فيما يلي ٥٤٣: ٥) أو «ثلاجي وموكبيات مملوءة ماء ملفوفة في عراضي دبيقي» (فيما يلي ٤٨١: ١٤). وفي أحيان أخرى يعني المصطلح نوعًا من المناطق أو أغطية الرأس مثل: «بأوساطهم العراضي=

في أَوْطِية[١] حَرير، ودونهم في فُوَط[٢] إسْكَنْدَرية. ويَدْخُل في ذلك كُتَّابُ ديواني الإنْشاء والمُكاتبات دون غيرهم من الكُتَّاب، على مِقْدارِهم وذلك يخرج من الجَواري في الشهر المُطْلَقات[٣].

وقال القاضي الفاضِلُ في «مُتَجَدِّدات» سنة سبع وستين وخمس مائة[٤]، بعد وَفاة العَاضِد[٥]: وكُشِفَ حاصِلُ الخزائِن الخاصَّة بالقَصْر، فقيل: إنَّ الموجودَ فيها مائة صندوق كُسْوَة فاخِرة: من مُوَشًّى ومُرَصَّع، وعُقُود ثَمينَة، وذَخائر فَخْمَة، وجَواهِر نَفيسَة، وغير ذلك من ذَخائِر عَظيمَة الخَطَر، وكان الكاشِفُ بهَاء الدين قَراقوش وبَيان[٥].

/ خزائنُ الجَوْهَر والطِّيب والطَّرائِف[٦] ١:

قال ابنُ المَأْمُون: وكان بها الأعْلامُ والجَوْهَرُ التي يركب بها الخَليفَة في الأعياد، ويستدعي منها عند الحاجَة، ويُعادُ إليها عند الغِنَى عنها، وكذلك السَّيْفُ الخاصّ والثلاثةُ رِماح المُعِزِّيَّة[٧].

وقال في كتاب «الذَّخائِر والتُّحَف»: وذَكَرَ بعضُ شُيوخ دار الجَوْهَر بمصر أنَّه استُدعي يومًا، هو وغيره من الجَوْهَرِيين من أهْل الخِبْرَة بقيمة الجَوْهَر، إلى بعض خَزائِن القَصْر - يعني في أيَّام الشِّدَّة زمن المُسْتَنْصِر - فأُخرِجَ صُنْدوقٌ كِيلَ منه سبعة أَمْداد زُمُرّد، قيمتها على الأقلّ ثلاث مائة ألف دينار. وكان هناك جالِسًا فَخْرُ العَرب ابن حَمْدان، وابنُ سِنان، وابنُ أبي كُدَيْنَة، وبعضُ المخالفين. فقال بعضُ من حَضَر من الوُزَراء المعطّلين للجَوْهَريين: كم قيمةُ هذا الزُّمُرُّد؟ فقالوا: إنّما

= الدبيقي المقصورة» (فيما يلي ٥٤٦:١١). وتبعًا لما ورد في نص ابن الطوير، فإن مصطلح العراضي الدبيقي والأوطية الحرير والفُوَط الإسكندرية، كما جاءت في النص، تحمل معنى متقارب. (راجع، Canard, M., *La Procession du nouvel an*, p. 383 n. 74).

وعلى الهامش عن خط المؤلِّف: «سُوسَة من بلاد إفريقية تُنْسَب إليها الثِّيابُ الرَّفيعة السوسية».

[١] وِطَاء جـ. أوطية. في القاموس الوِطاء ككتاب وسحاب خلاف الغطاء (القاموس ٧٠). ويمكن أن تكون شيئًا أشبه بالمخاد تقدم عليه الخلع من باب التشريف.

[٢] فُوطَة جـ. فُوَط. نوع من القماش القطني يصلح لاستخدامات مختلفة، ويلف بها في العادة. (Dozy, *op.cit.*, 1, 297)، وانظر ابن المأمون: أخبار ٦٧).

[٣] ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٢٨-١٣٠؛ المقريزي: مسودة المواعظ ١٥٤-١٥٦؛ وقارن القلقشندي: صبح ٣: ٤٧٢؛ زكي محمد حسن: كنوز الفاطميين ٣٥-٣٩؛ مرزوق: الزخرفة المنسوجة في الأقمشة الفاطمية ٤٩-٥٣.

[٤] في ثالث عشرين ربيع الآخر (فيما يلي ٦٠٨).

[٥] قارن مع المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٣٣٠-٣٣١ وفيما يلي ٦٠٨.

[٦] نَقَلَ هذا الفصل إلى الألمانية باول كاله بعنوان «كنوز الفاطميين» Kahle, P., «Die Schätze der Fatimiden», *ZDMG* 89 (1935), pp. 329-62.

[٧] ابن المأمون: أخبار مصر ٨٩.

تُعْرَف[a] قيمَةُ الشيء إذا كان مثله مَوْجودًا ، ومثل هذا لا قِيمَة له ولا مِثْل ، فاغتاظَ . وقال ابنُ أبي كُدَيْنَة : فَخْرُ العَرَب كثير المؤنة ، وعليه خَرْج . فالْتَفَتَ إلى كُتَّاب الجَيْش وبَيْت المال فقال : يُحْسَب عليه فيه خمس مائة [ألف][b] دينار ، فكَتَبَ ذلك وقَبَضَه [1] .

وأُخْرِجَ عِقْدُ جَوْهَر قيمته على الأقل من ثمانين ألف دينار فصاعِدًا ، فتحَيَّرْنا فيه ، فقال : يُكْتَب بألفي دينار . وتشاغَلوا بنَظَر ما سِواه ، وانْقَطَع سِلْكُه فتناثَر حَبُّه ، فأَخَذَ واحدٌ منهم واحدةً فجعلها في جيبه ، وأخذ ابن أبي كُدَيْنة أخرى ، وأَخَذَ فَخْرُ العَرَب بعض الحَبّ ، وباقي المخالفين الْتَقَطُوا ما بقي منه ، وغاضَ كأن لم يكن .

وأُخِذَ ما كان أَنْفَذَه الصُّلَيْحيُّ من نَفيس الدُّرّ الرَّفيع الرائِع وكَيْلُه - على ما ذُكِرَ - سَبْع وَيْبات [2] .

وأَخَذُوا ألفًا ومائتي خاتم ذَهَبًا وفِضَّة ، فُصُوصُها من سائِر أَنْواع الجَوْهَر المختلف الألوان والقِيَم والأثمان والأنواع - ممَّا كان لأَجْدادِه وله ، وصارَ إليه من وُجُوه دَوْلَته - منها ثلاثة خَواتِم ذَهَب مربَّعة عليها ثلاثة فُصُوص ، أَحَدُها زُمُرُّد والاثنان ياقُوت سُمَّاقي ورُمَّاني ، بيعت باثني عشر ألف دينار بعد ذلك [3] .

وأَحْضَر خَريطَةً فيها نحو وَيْبَة جَوْهَر ، وأَحْضَرَ الخُبَرَاءُ من الجَوْهريين وتقدَّم إليهم بقيمتها ، فذكروا أن لا قِيمَة لها ، ولا يَشْتَري مثلها إلَّا المُلوك ، فقُوِّمَت بعشرين ألف دينار . فدَخَلَ جَوْهَرُ الكاتِب ، المعروف بالمختار عِزّ الملك ، إلى المُسْتَنْصِر وأعْلَمَه أنَّ هذا الجَوْهَرَ اشتراه جَدُّه بسبع مائة ألف دينار واسترخصه ، فتقدَّم بإنْفاقه في الأَتْراك ، فقَبَضَ كلُّ واحِدٍ منهم جزءًا بقِيمَة الوَقْت ، وفُرِّق عليهم [4] .

قالَ : فأمَّا ما أُخِذَ ممَّا في خَـزائِن البِلَّوْر والمُحْكَم والمـينا المجراة بالذهب والمجْرود والبَغْدادي والخَيازر[c] والمدهون ، والخَـلَنْج والعينـي والصِّيني والدهيمي[d] وخَزائِن الفَرْش

---

a) بولاق : نعرف . b) زيادة من الذخائر . c) بولاق : الخياري . d) بولاق : الدهيمي والآمدي .

---

[1] الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ٢٥٢ - ٢٥٣؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٢٨٠.

[2] الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ٢٥٣؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٢٨١.

[3] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٢٨١ ، وغير موجودة في نص الذخائر والتحف .

[4] الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ٢٥٤؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٢٨١.

والبُسُط والسُّتور والتَّعاليق، فلا يُحْصَى كثرة.

وحدَّثنى مَنْ أَثِقُ به من المُسْتَخْدَمين في بَيْت المال أنَّه أخرج يومًا في جملة ما أُخْرِج من خَزائِن القصر عِدَّة صَناديق، وأنَّ واحِدًا منها فُتِحَ فوُجِدَ فيه على مثال كِيزان الفُقَّاع من صافي البِلَّوْر المَنْقُوش والمَجْرود شيءٌ كثيرٌ، وأنَّ جَميعَها مملوءٌ من ذلك وغيره[1].

وحدَّثني من أَثِقُ به أنَّه رأى قَدَح بِلَّوْر بيع مَجْرُودًا بمائتين وعشرين دينارًا، ورأى خردادي بِلَّوْر بيع بثلاث مائة وستين دينارًا، وكوز بِلَّوْر بيع بمائتين وعشرة دنانير، ورأى صُحونَ مِينا كثيرة تُباع من المائة دينار إلى ما دونها.

وحدَّثنى من أَثِقُ بقَوْلِه أنَّه رَأَى بطَرابُلُس قطعتين من البِلَّوْر السَّاذَج الغاية في النَّقاء وحُسْن الصَّنْعَة: إحداهما خَرْدادي، والأخرى باطِيَة، مكتوبٌ على جانِب كلٍّ واحِدَةٍ منهما اسْم العَزيز بالله، تَسَع الباطِيَة سبعة أرطال بالمصري ماء، والخَرْدادي تسعة. وأنَّه عَرَضَهما على جَلال المُلك أبي الحَسَن عليّ بن عَمَّار، فدَفَعَ فيهما ثمان مائة دينار. فامتنع من بيعهما، وكان اشتراهما من مصر من جملة ما أُخْرِج من الخَزائِن[2].

وأنَّ الذي تولَّى أبو سَعيد النَّهاوَنْدي بَيْعَه من مُخْرَج القصر، دون غيره من الأُمَناء، في مُدَيْدَة يسيرة ثمانية عشر ألف قطعة من بِلَّوْر ومُحكم، منها ما يُساوي الألف دينار وإلى عشرة دنانير[3].

وأُخْرِجَ من صَواني الذَّهَب المجراة بالمينا وغير المجرَّاة، المنقوشة بسائِر أنواع النُّقوش، المَمْلُوء جَميعُها من سائِر أنواعه وألوانه وأجْناسه، شيءٌ كثيرٌ جدًّا.

ووُجِدَ فيما وُجِدَ غلف خَيازِر مبطَّنة بالحَرير مُحَلَّاة بالذَّهَب، مختلفة الأشْكال، خالِيَة ممَّا فيها من الأواني، عِدَّتها سبعة عشر ألف غُلاف، كان في كلِّ قِطْعَة إمَّا بِلَّوْر أو مَجْرودٍ أو مُحْكَم أو ما يُشاكِله.

ووُجِدَ أكثر من مائة كأس بازَهْر ونصب وأشْباهها على أكثرها اسْم هارون الرَّشيد وغيره[4].

ووُجِدَ في خَزائِن القَصْر عِدَّةُ صَناديق كثيرة مَمْلوءةٌ سَكاكين مُذَهَّبة ومفضَّضَة بنَصْب مختلفة من سائِر الجَواهِر، وصَناديق كثيرة مَمْلوءةٌ من أنْواع الدُّوَىٰ المربَّعة والمدوَّرة والصِّغار والكِبار،

---

[1] المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٢٨٣.

[2] نفسه ٢: ٢٨٣.

[3] المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٢٨٣.

[4] الرشيد بن الزبير: الذخائر والتحف ٢٥٤؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٢٨٥.

المعمولِة من الذَّهَب والفِضَّة والصَّنْدل والعُود والأَبنوس الزَّنجي والعَاج، وسَائِر أنواع الخَشَب المحلّاة بالجَوْهَر والذَّهَب والفِضَّة، وسائِر أنْواع الحَلْيِ الغريبة[a]، والصَّنْعَة المعجزة الدَّقيقَة بجَميع آلاتها فيها ما يُساوي الألف دينار والأكثر والأقَلّ، سِوَى ما عليها من الجوَاهِر[١].

٤١ وصَناديقُ مَملوءةٌ مَشارِب ذَهَب وفِضَّة محرقة بالسَّواد صِغار وكِبار، مصنوعة بأحسن/ ما يكون من الصَّنْعَة وعدَّةُ أَزْيار صيني كِبار مختلفة الألوان، مَمْلُوءَةٌ كافُورًا فَنْصوريا[b] [٢]. وعِدَّة من جَماجِم العَنْبَر الشِّحْري، ونَوافِش[c] المِسْك التُّبتي وقواريرُه، وشجرُ العُود وقطعه[٣].

ووُجِدَ للسَّيِّدَة رَشيدَة[d] ابنة المُعِزّ حين ماتَت في سنة اثنتين وأربعين وأربع مائة، ما قيمته ألف ألف دينار وسبع مائة ألف دينار: من جملته ثلاثون [ألف][e] ثَوْب خَزٍّ مقطوع، واثنا عشر ألفًا من الثِّياب المُصْمَتة ألوانًا، ومائة قاطْرَميز مملوءةٌ كافورًا فنصوريًّا[b]. وممَّا وُجِدَ لها معمَّمات بجواهرها، من أيام المُعِزّ وبَيْت هارون الرَّشيد الخَزّ الأسود الذي ماتَ فيه بطُوس. وكان مَنْ وَلِيَ من الخُلَفاء[f] ينتظرون وَفاتِها، فلم يُقْض ذلك إلّا للمُسْتَنْصِر بالله، فحازَه في خِزانَته[٤].

ووُجِدَ لعَبْدَة بنت المُعِزّ أيضًا ـ وماتَت في سنة اثنتين وأربعين وأربع مائة ـ ما لا يُحْصَى[٥]. حدَّثني بعضُ خُزَّان القصر أنَّ خَزائِنَ السَّيِّدة عبْدَة ومَقاصيرها وصَناديقها وما يجب أن يُخْتَم عليه [من موجودها][e]، ذَهَبَ من الشَّمْع في خَواتِمه ـ على الصِّحَّة والمُشاهَدَة ـ أربعون رطلًا بالمصري، وأنَّ بَطائِقَ المَتاع الموجود كُتِبَت في ثلاثين رِزْمَة وَرَق[٦].

---

a) بولاق: الأنواع الغريبة. b) بولاق: قيصوريا. c) بولاق: نوافج. d) الذخائر: راشدة. e) زيادة من الذخائر. f) الذخائر: من أولاد المعز.

---

[١] نفسه ٢٥٤؛ نفسه ٢: ٢٨٥.

[٢] نسبة إلى فَنْصور بلدة في جنوب جزيرة جاوه (الذخائر والتحف ٢٢٣، ٣٣٨).

[٣] الرشيد بن الزبير: الذخائر والتحف ٢٥٥؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٢٨٥.

[٤] نفسه ٢٤١.

[٥] نفسه ٢٤١. وبقية الخبر في الذخائر: ولدتا في رَقَّادة بظاهر القيروان، وماتتا في القاهرة في سنة اثنتين وأربعين وأربع مائة، وبين كلِّ واحدة والأخرى ثلاثة أيام. وعمرت كلُّ واحدة منهنّ نحوًا من تسعين سنة، وهما عمَّتا الحاكم بأمر الله (الذخائر ٢٤١).

[٦] الرشيد بن الزبير: الذخائر والتحف ٢٤١ – ٢٤٢.

ومِمَّا وُجِدَ لها أيضًا أربع مائة قمطرة، وألف وثلاث مائة قطعة مينا فضَّة محرقة، زِنَة كلّ مينا عشرة آلاف درهم، وأربع مائة سَيْف مُحَلًّى بالذهب، وثلاثون ألف شُقَّة صِقِلِّيَّة، ومن الجَوْهَر ما لا يُحَدُّ كثرة، وزُمُرُّد كيلُه أردب واحد[1].

وأنَّ سَيِّدَ الوُزَراء أبا محمد اليازُوري وَجَدَ في موجوداتها طَشتًا وإبْريقًا، فلفَرْط اسْتِحْسانه لهما سأل المُسْتَنْصِر فيهما، فوَهَبَهُما له[2]. ووُجِدَ [أيضًا لها][a] مَدْهَنُ ياقُوت أحمر وزنه سبعة وعشرون مِثْقالًا. وأُخْرِجَ أيضًا تسعون طَشتًا وتسعون إبْريقًا من صافي البِلَّوْر[3].

ووُجِدَ في القصر خَزائِن مملوءةٌ من سائِر أنواع الصِّيني. منها أجاجين[4] صيني كبار مُحَلَّاة، كل إجّانَة منها على ثلاثة أرجل، على صورة الوُحوش والسِّباع، قيمةُ كلِّ قطعة منها ألف دينار، معمولة لغَسْل الثِّياب[5].

ووُجِد عِدَّةُ أَقْفاص مَمْلُوءَةٌ ببَيْضٍ صيني، مَعْمُول على هيئة البَيْض في خلقتِه وبياضِه، يجعل فيها ماءُ البيض النيمرشت يوم القَصَّاد.

ووُجِدَ حَصيرٌ ذَهَب وزْنُها ثمانية عشر رطلًا، ذكر أنَّها الحَصير التي جُلِيَت عليها بُوران بنت الحسن بن سَهْل على المأمون [في سنة عشر ومائتين][a][6].

وأُخْرِج ثمانٌ وعشرون صِينيَّة مينا مجراة بالذَّهَب بكُعُوب، كان أرسلَها ملكُ الرُّوم إلى العَزيز بالله، قُوِّمَت كلُّ صِينيَّة منها بثلاثة آلاف دينار، أُنفِذَ جَميعُها إلى ناصِر الدَّوْلَة.

ووُجِدَ عِدَّةُ صَناديق مَمْلُوءَةٌ مرائي حَديد من صِيني ومن زُجاج المينا لا يُحْصى ما فيها كثرة، جميعها مُحَلًّى بالذهب المُشَبَّك والفِضَّة، ومنها المُكَلَّل بالجَوْهَر في غلف الكِيمُخْت، وسائِر أنواع الحَرير والخَيْزُران وغيره، مُضَبَّب بالذهب والفضَّة، ولها المقابِضُ من العَقيق وغيره.

وأُخْرِجَ من المِظال وقُضُبِها الفِضَّة والذَّهَب شيءٌ كثيرٌ. وأخرج من خزائن الفِضَّة ما يقارب الألف درهم من الآلات المصوغة[b] من الفِضَّة، المجراة بالذَّهَب، فيها ما زِنة القِطْعَة الواحدة منه خمسة آلاف درهم، الغَريبَة النَّقْش والصَّنْعَة، التي تُساوي خمسة دراهم بدينار. وأنَّ جَميعَه بيع

a) إضافة من الذخائر.   b) بولاق: المصنوعة.

[1] الرشيد بن الزبير: الذخائر والتحف ٢٤٢.

[2] نفسه ٢٤٢-٢٤٣.

[3] نفسه ٢٤٣.

[4] إجّانَة جـ أجاجين: الإناء المُعَدّ لغَسْل الثِّياب.

[5] الرشيد بن الزبير: الذخائر والتحف ٢٥٥؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢:٢٨٥-٢٨٦.

[6] نفسه ٢٥٦؛ نفسه ٢: ٢٨٦.

كلَّ عشرين دِرهمًا بدينار [١]، سِوى ما أُخِذَ من العُشارِيَّات الموكبية، وأعْمِدة الخيام وقُضُب المَظال، والمَنْجوقات والأعلام والقناديل والصناديق، والبوقات والزَّراريق [a])، والسُّروج واللُّجُم، والمناطِق التي للعَمّارِيّات، والقِباب وغيرها مثل ذلك وأضْعافه.

وأُخْرِجَ من الشِّطْرَنْج والنَّرْد المعمولة من سائِر أنواع الجَوْهَر والذَّهب والفضَّة والعاج والأَبَنُوس، بِرِقاع الحرير والمذهب، ما لا يُحَدّ كثرة ونفاسةً [٢]. وأُخْرِج آلاتُ فِضَّة وَزْنُها ثلاث مائة ألف ونيف وأربعون ألف درهم، تساوي ستة دراهم بدينار.

وأُخْرِجَ أقْفاصٌ مَمْلوءَةٌ من سائِر آلات مَصُوغَةٍ مجراة بالذَّهب، عِدَّتُها أربع مائة قَفَص كِبار، شُبكَت جميعُها وفُرِّقَت على المُخالِفين. وأُخْرِجَت أربعة آلاف نرجسية مجوَّفة بالذهب يُعْمل فيها النَّرْجس، وألفا بنَفْسجية كذلك [٣].

وأُخْرِجَ من خِزانَة الطَّرائِف ستة وثلاثون ألف قطعة من مُحْكم وبِلَّوْر، وقَوَّم السَّكاكين بأقل القِيَم، فجاءَت قِيمتها على ذلك ستة وثلاثين ألف دينار. وأخرج من تَماثيل العَنْبَر اثنان وعشرون ألف قطعة، أقلّ تِمْثال منها وَزْنه اثنا عشر مَنًّا وأكبره يُجاوز ذلك، ومن تماثيل الكافُور [b]) ما لا يُحَدّ، من جملتها ثمان مائة بِطِّيخة كافور.

وأُخْرِجَت الكَلُّوتَة المَرَصَّعة بالجَوْهَر، وكانت من غَريب ما في القصر ونَفيسه، ذُكِر أنَّ قيمتها ثلاثون ألف دينار ومائة ألف دينار، قُوِّمت بثمانين ألف دينار، وكان وَزْنُ ما فيها من الجَوْهَر سبعة عشر رطلًا. اقتسمها فَخْرُ العرب وتاجُ الملوك، فصارَ إلى فَخْر العَرَب منها قطعة بَلَخْش وزنها ثلاثة وعشرون مِثْقالًا، وصارَ إلى تاج الملوك ـ ممَّا وَقَعَ إليه ـ حبَّاتُ دُرٍّ، كلّ حَبَّة ثلاثة مَثاقيل، عدَّتها مائة حَبَّة. فلمَّا كانت هزيمَتُهم من مصر نُهِبَت [٤].

وأُخْرِجَ من خَزائِن الطِّيب خَمسةُ صَواري عُود هِنْدي، كلّ واحد من تسعة أَذْرُع إلى عشرة أذرع. وكافور قَنْصوري [c]) زِنَة كل حَبَّة من خمسة مَثاقيل إلى ما دونها [لم ير مثله] [d]). وقِطَع عَنْبَر تَزِن [e]) القطعة ثلاثة آلاف مِثْقال [٥].

---

a) بولاق: التوقات والزوازين. b) بولاق: الخليفة. c) بولاق: قيصوري. d) إضافة من الذخائر. e) بولاق: وزن.

---

[١] الرشيد بن الزبير: الذخائر والتحف ٢٥٦–٢٥٧.
[٢] نفسه ٢٥٧؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٢٨٩.
[٣] نفسه ٢٥٧–٢٥٨.
[٤] نفسه ٢٥٨–٢٥٩.
[٥] نفسه ٢٥٩.

وأُخْرِجَ مَثارِدُ صيني محمولة على ثلاثة أرجل، مِلْء كلّ وعاء منها مائتا رطل من الطَّعام، وعِدَّة قِطَع يَشْب / وبازَهْر: منها جامٌ سَعَته ثلاثة أشبار ونصف وعُمْقُه شبر مليح الصَّنْعَة، وقاطَرْميز بِلَّوْر فيه صُوَر ناتئة[a] [b[عن جسمِه]b] تَسَع [c[من الشَّرَاب]c] سبعة عشر رطلًا، ودَ كُوجَة[c] بِلَّوْر مجرود تَسَع عشرين رطلًا وقَصْرية يَشْب[d] كبيرة جدًّا[1]، وطابع نَدّ فيه ألف مِثْقال كان فَخْرُ الدَّوْلَة أبو الحَسَن عليّ ابن رُكْن الدَّوْلَة بن بُوَيْه الدَّيْلَمي عمله، مكتوبٌ في وَسَطه «فَخْرُ الدَّوْلة شَمْسُ المِلَّة»، وأبياتٌ منها:

[البسيط]

ومَنْ يَكُن شَمْسَ أهلِ الأرض قاطِبَةً   فنَدُّه طابِعٌ من ألف مِثْقال

وطاووس ذَهَب مُرَصَّع بنَفيس الجَوْهَر، عَيْناه من ياقُوت أحمر، وريشُه من الزُّجاج المِينا المجري بالذَّهَب على ألوان ريش الطَّاوُوس. وديكٌ من الذَّهَب له عُرْفٌ مفروق كأكبر ما يكون من أعْراف الديوك، من الياقُوت الأحمر، مُرَصَّع بسائِر الدُّرّ والجَوْهَر، وعَيْناه ياقُوت. وغَزالٌ مُرَصَّعٌ بنفيس الدُّرّ والجَوْهَر، وبطنه أبيض، قد نُظِمَ من دُرٍّ رائع. ومَجْمَعُ سَكارِج [b[مخروط من قطعة بِلَّور بغطائه، وفيه سَكارِج]b] من بِـلَّور تخرج منه وتعود فيه، فتحته أربعة أشبار، مَليح الصَّنْعَة في غُلاف خَيْزُران [b[مُذَهَّب، فامتنع من أخْذه فَخْرُ العَرَب احتقارًا له]b]. وبِطِّيخَة من الكافُور في شُبَّاك ذَهَب مرصَّعة، وزنها خالصة سبعون مثقالًا من كافور. وقطعةُ عَنْبَر تسمَّى الخَشروف[e]، وزنها سوى ما يمسكها من الذهب ثمانون مَنًّا. وبِطِّيخَة كافُور أيضًا وُجِدَ ما عليها من الذَّهَب ثلاثة آلاف مثقال. ومائِدَة يَشْب[c] كبيرة واسعة، قوائمُها منها. وبيضةُ بَلَخْش، وَزْنُها سبعة وعشرون مِثْقالًا، أشَدُّ صَفاءً من الياقوت الأحْمَر. وقاطَرْميز بِلَّوْر مَليح التقدير يسع مروقتين، قُوِّمَ في المُخَرَّج بثمان مائة دينار، دُفِعَ إلى تاج الملوك فيه بعد ذلك ألف دينار، فامتنع من بَيْعه. ومائِدَةُ جزع يَقْعُد عليها جَماعَةٌ قوائمها مخروطة منها. ونخلة ذَهَب مكلَّلة بالجَوْهَر وبَديع الدُّرّ في إجّانة ذَهَب، تجمع الطَّلْع والبَلَح والرُّطَب بشَكْله ولَوْنه وعلى صِفَته وهيئته، من الجَواهِر لا قيمة لها. وكُوز زير بِلَّوْر يَحْمِل عشرة أرْطال ماء.

---

a) بولاق: ثابتة. b) إضافة من الذخائر. c) بولاق: بلوجة. d) بولاق: نصب، النُّسَخ: يصب، والمثبت من الذَّخائر. e) الأصل وبولاق: الخروف والمثبت من الذخائر.

---

[1] الرشيد بن الزبير: الذخائر والتحف ٢٥٩-٢٦٠؛ والقاطرميز: وعاء عميق ذو غِطاء بِلَّوْر؛ والدَّكُوجة: الجَرَّة الصغيرة؛ والسكرجة: القصعة أو الجفنة.

ودواج مرصَّع بنفيس الجَوْهَر لا قِيمَة له. ومَزَرَّة مكلَّلة بحَبّ لُؤْلُؤ نفيس[١]. وقُبّة العُشَاري وقاربه[a] وكُسْوَة رَحْلِه الذي استعمله عليّ بن أحمد الجَرْجَرائي، وفيه مائة ألف وسبعة وستون ألفًا وسبع مائة دِرْهَم نُقْرَة، وأطلق للصُّنَّاع عن أُجْرَة صِياغَتِه، وثَمَن ذَهب للطِّلاء، ألفان وتسع مائة دينار. وكان سعرُ الفِضَّة حينئذٍ كلّ مائة درهم بستة دنانير ورُبْع، سعر ستة عشر دِرْهمًا بدينار.

وأُخرِج العُشاريُّ الفِضّي الذي استعمله عليّ بن أحمد لأمّ المُسْتَنْصِر، وكان فيه مائة ألف وعشرون ألف دِرْهَم نُقْرَة، وصَرْف أجرة صياغة وطِلاء ألفان وأربع مائة دينار، وكَسوه بمالٍ جَليل.

وأُخْرِج جميعُ كُسا العُشاريَّات التي برَسْم النُّزَه البحْرية[b]، وعدَّتها ومناطِقُها ورءوس مَنْجوقات[c] وأَهِلَّة وصُفْريات - وكانت أربع مائة ألف دينار لستة وثلاثين عُشاريًّا - وعدَّة مناكيم[d] فِضَّة فيها ما وَزْنُه مائة وتسعة أرْطال فِضَّة.

وأُخرجَ بُسْتانٌ أرضه فِضَّة محرقة مُذْهَّبَة، وطينه نَدّ، وأشجاره فِضَّة مذهبة مصوغة، وأثماره عَنْبَر وغيره، وزنه ثلاث مائة وستة أرطال. وبِطِّيخَة كافور وزنها [e]عشرة آلاف مِثْقال مُشَبَّكَة بذَهَب وتماثيل عَنْبَر وكافور، وَزْنَها[e] ستة عشر ألف مِثْقال. وقِطَع ياقوت أزرق زِنَة كلّ قطعة سبعون درهمًا. وقِطَعُ زُمُرُّد، زِنَة كلّ قطعة ثمانون درهمًا. ونصاب مرآة من زُمُرُّد له طول وثَخَن، كلُّ ذلك أَخَذَهُ المُخالِفُون.

خَزائِنُ الفُرُوش[f] والأَمْتِعَة

قالَ في كتاب «الذَّخائِر»: وحدَّثني من أَثِقُ به، عن ابنِ عبد العَزيز الأَنْماطي أنَّه[g] قال: قَوَّمْنا ممَّا[h] أُخْرِج من خَزائِن القَصْر من سائِر [ألوان][i] الخُسْرواني ما يزيد على خمسين ألف قطعة، أكثرها مُذَهَّب[٢].

---

a) بولاق: كارته. b) بولاق: البرية والبحرية. c) بولاق: منحرفات. d) بولاق: مياكيم. e-e) ساقطة من بولاق. f) بولاق: الفرش. g) ساقطة من بولاق. h) بولاق: ما. i) إضافة مما تقدم ٣٦٨.

---

[١] الرشيد بن الزبير: الذخائر والتحف ٢٦٠-٢٦١ مع تقديم وتأخير في النّصّ.

[٢] نفسه ٢٥٣ وفيما تقدم ٣٦٨.

وسَأَلْتُ ابنَ عبد العَزيز، فقال: أُخْرِج من الخَزائِن ما حُرِّرَت قيمتُه على يديّ وبحَضْرَتي أكثر من مائة ألف قطعة[١].

وأُخْرِج مَرْتَبَةٌ خُسْرَواني حَمْراء بيعت بثلاثة آلاف وخمس مائة دينار، ومَرْتَبة قلموني بيعت بألفين وأربع مائة دينار، وثلاثون سُنْدُسِيّة بيعت كلٌّ واحدة منها بثلاثين دينارًا ونيف، وعشرون ألف قِطْعَة خُسْرواني في هَدْبِه لم يُقْطَع منها شيء.

وكانت قِيمَةُ العَرْض المبيع بأَقَلّ القيم وأَبْزَر الأثمان في مُدَّة خمسة عشر يومًا من صَفَر سنة ستين وأربع مائة - سوى ما نُهِبَ وسُرِقَ - ثلاثون ألف ألف دينار، فَقَبَضَ جَميعَها الجندُ والأتراك ليس لأحَدٍ منهم دِرْهَمٌ واحِدٌ قَبْضَة عن استِحْقاق.

وحدَّثَني الأميرُ أبو الحَسَن عليُّ بن الحَسَن - أحَد مُقَدَّمي الخيمَيين بالقصر - أنَّ الفَرّاشين دَخلوا إلى بعض خَزائِن الفَرْش، لمَّا اشتدَّت مُطالَبَةُ المارِقين للمُسْتَنْصر بالمال، إلى الخِـزانَة المعروفة بخِزانَة الرُّفوف - وسُمِّيت بذلك لكثرة رُفوفها، ولكلِّ رَفٍّ منها سُلَّم مفرد - فأنْزَلوا منها ألفي عَدْل شُقَق طَميم بهَدْبِها، من سائِر أنْواع الخُسْرواني وغيره، لم تُسْتَعْمَل بعد، وجَميع ما فيها مُذَهَّب معمولٌ بسائر الأشكال والصُّوَر. وأنَّهم فتحوا عَدْلًا منها فوَجَدُوا ما فيه أَجِلَّةٌ معمولة للفِيلَة من /خُسْرواني ٧:١ أحمر مُذَهَّب كأحسن ما يكون من العَمَل، وموضع نُزول أفْخاذ الفِيل ورِجْلَيْه ساذَجَة بغير ذَهَب.

وأُخْرِج من بعض الخَزائِن ثلاثة آلاف قِطْعَة خُسْرواني أحمر مطرَّز بأبيض في هَدْبها لم يُفَصَّل، من كُسا بيوت كاملة بجَميع آلاتها ومَقاطِعِها، وكلُّ بيتٍ يشتمل على مَسانِدِه ومَخادِّه ومسَاوِرِه ومَراتِبِه وبُسُطِه وعَتَبِه ومَقاطِعه وسُتوره، وكلّ ما يُحْتَاج إليه فيه.

قال: وأُخْرِجَ من خَزائِن القَصْر[a] من البيوت الكامِلَة الفَرْش، من القَلَموني والدُّبيقي من سائِر ألْوانه وأنْواعه، المُخَمَّل والخُسْرواني والدِّيباج الملكي والخَزّ وسائر الحَرير من جَميع ألوانه وأنْواعه ما لا يُحْصَى كثرةً، ولا يُعْرَف قَدْرُه نَفاسَةً[٢].

وأُخْرِجَ من الحُصْر والأَنْخاخ السّاماني المُطَرَّزة بالذَّهب والفِضَّة وغير المُطَرَّزة من المُجَوَّمة والمُطَيَّرَة والمُفَيَّلة[b] والمُصَوَّرَة بسائر الصُّوَر، شيءٌ كثير.

---

a) بولاق: خزائن الفرش. b) بولاق: المخرمة والطيور والفيلة.

---

[١] فيما تقدم ٣٦٨.
[٢] المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٢٩٠.

والْتَمَس بَعْضُ الأتْراك من المُسْتَنْصِر مَقْرَمَةً ـ يعني سِتارَة ـ سُنْدس أَخْضَر مذهَّبَة ، فأُخْرِج عَدْلٌ منها مَكْتُوبٌ عليه «مائة وثمانية وثمانون» ، من جملة أعدادِ[a] أعْدالٍ فيها من المتاع [1].

ووُجِدَ من السُّتور الحَرير المنسوجة بالذَّهَب ، على اختلاف ألْوانِها وأطْوالِها ، عِدَّةُ مئين تُقارب الألف ، فيها صُوَرُ الدُّوَل ومُلوكها والمشاهير فيها ، مكتوبٌ على صُورَة كلِّ واحِدٍ منهم[a] اسمُه ومُدَّةُ أيامه وشَرْحُ حالِه [2].

وأُخْرِج من خَزائِن الفَرْش أربعة آلاف رِزْمَة خُسْرواني مُذَهَّب ، في كلِّ رِزْمَة فَرْش مَجْلِس بِبُسُطه وتَعاليقِه وسائِر آلاتِه ، منسوجةً في خَيْطٍ واحِد ، باقية على حالِها لم تُمَسّ [3].

وصارَ إلى فَخْر العَرَب مَقْطَعٌ من الحَرير الأزرق التُّسْتَري[b] القُرْقُوبي غَريب الصَّنْعَة ، مَنسوجٌ بالذَّهَب وسائِر ألوان الحَرير تَنْبيتًا[a]، كان المُعِزُّ لدين الله أَمَرَ بعَمَله في سنة ثلاثٍ وخمسين وثلاث مائة . فيه صُورةُ أقاليم الأرض وجِبالها وبحارِها ومُدُنِها وأنْهارِها ومَسالِكِها شِبْه جغرافيا ، وفيه صُورةُ مَكَّة والمَدينَة مبيَّنًا للناظر ؛ مَكْتُوبٌ على كلِّ مَدينَة وجَبَل وبَلَد ونَهْر وبَحْر وطَريق اسمُه بالذَّهَب أو الفِضَّة أو الحَرير ، وفي آخره :

«مِمَّا أَمَرَ بعَمَله المُعِزُّ لدين الله شَوْقًا إلى حَرَم الله وإشْهارًا لمعالِم رَسُول الله
في سنة ثلاثٍ وخمسين وثلاث مائة» .

والنَّفَقة عليه اثنان وعشرون ألف دينار [4].

وصارَ إلى تاج المُلُوك بيتٌ أرْمَنيّ أحمر مَنسوج بالذهب ، عُمِل للمُتَوَكِّل على الله ، لا مِثْل له ولا قِيمَة ، وبِساطٌ خُسْرواني دُفِعَ إليه فيه ألف دينار فامتنع من بيعه .

وقال ابنُ الطُّوَيْر: خِزانَةُ الفَرْش ـ وهي قَريبَةٌ من باب المُلْك ـ يَحْضُر إليها الخَليفَةُ من غير جُلُوس ، ويَطُوفُ فيها ويَسْتَخْبِر عن أحْوالِها ، ويأمرُ بإدامَة الاستعمال . وكان من حُقُوقِها استعمال الشَّامان في أماكِن خارِجَها بالقاهِرَة ومصر ، ويُعْطَى مُسْتَخْدمها خمسة

---

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : التستوري .

---

[1] المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢: ٢٨٤.

[2] الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ٢٥٤.

[3] نفسه ٢٥٨.

[4] راجع ، Wiet, G., *RCEA* IV, p. 186 n° 1564؛ زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ٥٢– ٥٣.

عشر دينارًا - يعني يوم يُطوف فيها الخَليفة [١].

خـزائن السّـلاح

قالَ في كتاب « الذَّخائِر » : فأمَّا خَزائِنُ السُّيوف والآلات والسِّلاح ، فإنَّ بعضَها أُخِذَ وقُسِّم بين العشرة الثائرين - يعني[a] على المُسْتَنْصِر - وهم : ناصِرُ الدَّوْلة بن حَمْدان ، وأخواه ، وبَلْدَكوش[b] ، وابن سُبُكْتكين ، وسَلامٌ عليك ، وشاوَر بن حُسَيْن [٢]. حتى صَارَ ذو الفِقَار إلى تاج المُلوك ، وصِمْصَامَه عَمْرو بن مَعْدي كَرِب ، وسَيْف عبد الله بن وَهْب الراسي ، وسَيْف كافُور ، وسَيْف المُعِزّ ، وسَيْف أبي المُعِزّ ، إلى الأعزّ بن سِنان ، ودِرْع المُعِزّ لدين الله - وكانت تُساوِي ألف دينار - وسَيْف الحُسَيْن بن عليّ بن أبي طالب - عليهما السّلام - ودَرَقَة حَمْزَة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - وسَيْف جَعْفر الصَّادق . ومن الخُوَذ والدُّروع والتَّخافيف ، والسُّيوف المُحَلَّاة بالذهب والفِضَّة ، والسُّيوف الحَديدية ، وصَناديق النُّصُول ، وجِعاب السِّهام الخَلَنْج ، وصَناديق القِسِيّ ، ورُزَم الرِّماح الزَّان الخَطِيّة ، وشَدَّات القَنا[c] الطِّوال ، والزَّرْد والبيض ، مئين أُلوف وكان كلُّ صِنْفٍ منها مفردًا عشرات أُلوف [٣].

وقال ابنُ الطُّوَيْر : خِزانَةُ السِّلاح يدخُلُ إليها الخَليفَةُ ويطوفها قبل جُلوسه على السَّرير هناك ، ويتأمَّل حَواصِلها من الكَزاغَنْدات المدفونة بالزَّرْد المُغَشَّاة بالدِّيباج المحكمة [٤] الصِّناعَة ، والجَواشِن [٥] المُبَطَّنَة المذهبة ، والزَّرْديات السابِلَة برءوسها ، والخُوَذ المحلَّاة بالفِضَّة ، وكذلك أكثر الزَّرْديات

---

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : بلد قوس . c) بولاق : القسي .

---

[١] ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٣٣؛ وقارن ، القلقشندي : صبح الأعشى ٣: ٤٧٣؛ زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ٥٢- ٥٣، ونقل سرجنت هذه الفقرة إلى الإنجليزية في كتابه Serjeant, R. B., *Islamic Textiles*, p. 159.

[٢] لم يستوف النّصّ أسماء العشرة الثائرين .

[٣] هذا النَّص غير موجود فيما وصل إلينا من كتاب «الذخائر والتحف» .

[٤] كَزَاغَنْد جـ. كَزَغَنْدات . لفظٌ فارسيٌ الأصل معناه المعطف القصير الذي يُلْبَس فوق الزَّرْدِيَّة ، كان يُصْنَع من القطن أو الحرير المبطَّن المُنَجَّد (Dazy, R., Suppl. Dict. Ar. I, p. 470؛ المقريزي : السلوك ١: ٢٥٣هـ [٤]؛ ابن واصل : مفرج الكروب ٢: ٤٤هـ [٥]) . وعند الطرسوسي أن الكازَغَنْدات ممَّا استخرجه مُوَلَّدو الأعراب . وهي زَرْديات رفاع يلبس عليها ثياب قد بسط فوقها مُشاقة الحرير والمصطلكا وتكسى بالثياب الديباج أو غيرها وتخاط عليها وتُحَشَّن بالتنبيت بالحرير وغيره . (Cahen, Cl., *Un traité d'armurerie* p. 116) .

[٥] جَوْشَن جـ. جَواشِن . الدرع (*Ibid.*, p. 116) .

والسُّيوف، على اختلافها من العَرَبِيّات والقَلْجوريات [١]، والرِّماح والقَنَا، والقُنْطارِيّات [٢] المدهونة والمذهبة، والأسِنَّة الخِرْصانية[a] [٣]، والقِسِيّ لرماية اليد، المنسوبة إلى صُنّاعها مثل الخُطوط المنسوبة إلى أرْباها.

فيُحضَر إليها منها ما يجرِّبه، ويتأمَّل النُّشّاب ـ وكانت نصولُه مثلثة الأركان ـ على اختلافِها، ثم قِسِيّ الرِّجْل والرِّكاب: وقِسِيّ اللَّوْلَب الذي زِنَة نَصْله خمسة أرطال، ويُرْمَى من كلِّ سَهْم بين يديه فينظر كيف مَجْراه. والنُّشّاب الذي يُقال له الجَراد، وطُوله شِبْر، يُرْمَى به عن قِسِيّ في مَجارٍ معمولة برَسْمه، فلا يَدْري به الفارِسُ أو الراجِلُ إلّا وقد نَفَذ.

فإذا فَرَغ من نَظَرِ ذلك كلِّه، خَرَجَ من خِزانَة الدَّرَق ـ وكانت في المكان الذي هو خان مَسْرور، وهو برَسْم الاسْتِعْمالات/ للأساطيل، من الكَبْورة الخَرَجية والخُوَذ الجُلُودية إلى غير ٤١٨ ذلك ـ فيُعْطَى مُسْتَخْدَمها خمسة وعشرين دينارًا، ويُخْلَع على مُقَدَّم الاسْتِعْمالات بُوكانيَّة مزيدة حَريرًا، وعِمامَة لطيفة [٤].

خَزائِنُ السُّروج

قالَ في كتاب «الذَّخائِر»: أُخْرِجَ فيما أُخْرِجَ صَناديقُ سُروج مُحلّاة بِفِضَّة مجراة بسَواد ممسوحة، وُجِدَ على صَنْدُوقٍ منها «الثامن والتسعون والثلاث مائة»، وعِدَّة ما فيها زيادة على أربعة آلاف سَرْج.

---

a) بولاق: البرصانية.

---

[١] القَلْجوريّات. لعل أصلها من قَلْج التركية بمعنى سيف. (زكي محمد حسن: كنوز الفاطميين ٥٧).

[٢] قُنطارِيَّة جـ. قُنطاريات. من اليونانية Kontarion، جنس من الرِّماح يصنع من الخشب الزّان والشوح ليست بالطويلة، اشتهر بصنعها بنو الأصفر ومن جانسهم من الروم وأسنتها قصار عراض كهيئة البلطة وما جرى مجراها (Cahen, Cl., *op.cit.*, p. 11؛ أبو شامة: الروضتين ١: ٤٦٠؛ ابن واصل: مفرج ١: ١٨٣؛ Dozy, R., *op.cit.*, II, p. 421).

[٣] الخِرْصانية. لعلها من الخرص بمعنى السنان والرمح اللطيف القصير يتخذ من خشب منحوت (الفيروزأبادي: القاموس المحيط ٧٩٥؛ Dozy, R., *op.cit.*, I, p. 362؛ زكي محمد حسن: كنوز الفاطميين ٥٧هـ[٢]).

[٤] ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٣٣– ١٣٤؛ المقريزي: مسودة المواعظ والاعتبار ١٥٠– ١٥١؛ وقارن القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٤٧٣ وزكي محمد حسن: كنوز الفاطميين ٥٤– ٥٨، وفيما يلي ٢: ٩٢.

وأَخْرَجَ المُسْتَنْصِرُ من خَزائِن السُّروج خمسة آلاف سَرْج كان أبو سَعْد إبراهيم بن سَهْل التُّسْتَري ذَخَرها له فيها وتقدَّم بحِفْظِها ، كلُّ سَرْجٍ منها يساوي من سبعة آلاف دينار إلى ألف وأكثرها عالٍ . سُبِكَ جميعُها وفُرِّق في الأتراك . كان برَسْم رِكابِه منها أربعة آلاف سَرْج . وأُخِذَ من خَزائِن السَّيِّدَة والدته أربعة آلاف سَرْج مثلها ودونها ، صُنِعَ بها مثل ذلك [1].

وقال ابنُ الطُّوَيْر : خِزانَةُ السُّروج تحتوي من المُلْك[a] على ما لا تَحْتَوي عليه مملكةٌ من الممالِك ، وهي قاعَةٌ كبيرةٌ [بالقصر[b]] بدورها مَسْطَبَة علوّها ذِراعان ، ومَجالسها كذلك . وعلى تلك المَسْطَبَة مُتَّكآت مَخَلَّصَة الجانبين ، على كلِّ متَّكأ ثلاثة سُروج مُتطابِقَة ، وفوقه في الحائِط وَتَدٌ مَدْهُونٌ مَضْروبٌ في الحائِط قبل تبييضه ، وهو بارزٌ بُروزًا بمُتَّكأٍ عليه المَرْكبات الحُلِيّ على لُجُم تلك السُّروج الثلاثة من الذَّهَب خاصَّة أو الفِضَّة خاصَّة أو الذَّهب والفِضَّة ، وقلائِدها وأطواقُها لأعناق الخَيْل ، وهي لخاصّ الخَليفَة وأرْباب الرُّتَب ما يَزيد على ألف سَرْج . ومنها لجامٌ هو الخاصّ ، ومنها الوَسَط ، ومنها الدُّون ، وهي خيار غيرها برَسْم العَواري لأرباب الرُّتَب والخِدَم ، ومنها ماهو قَريبٌ من الخاصّ ، فيكون عند المستخدم بشدّاده الدائم ، وجاريه على الخَليفَة ما دام مُسْتَخْدَمًا ، والعَلَف مُطْلَقٌ من الأَهْراء . أمَّا الصَّاغَة فإنَّ فيها منهم ومن المُرَكِّبين والخَزّازين عَددًا جَمًّا دائمين لا يفترون عن العمل . وكلُّ مَجْلِسٍ مَضْبُوطٌ بعدد متَّكآته وما عليها من السُّروج والأَوْتاد واللُّجُم . وكلُّ مَجْلِس لذلك عند مستخدميه في العَرْض ، فلا يختلّ عليهم منها شيءٌ . وكذلك وَسَط قاعتها بعدَّة متوالية أيضًا . والشُّدَّادون مطلوبون بالنَّقائِص منها أيَّام المَواسِم ، وهم يُحْضرونها أو قيمتها ، فتُعَوَّض وتُرَكَّب[c]. ويَحْضُر إليها الخَليفَةُ ويطوفها من غير جُلُوس ، ويُعْطي حامِيها للتفرقة في المستخدمين عشرين دينارًا . ويُقال : إنَّ الحافِظَ لدين الله عَرَضَت له فيها حاجَة ، فجاءَ إليها مع الحامي ، فوَجَدَ الشَّاهِدَ غير حاضِر وخَتْمُه عليها ، فرَجَعَ إلى مكانه وقال : لا يَفُكَّ خَتْم العَدْل إلَّا هو ، ونحن نعود في وَقْت حضوره [2]. انتهى .

---

a) زيادة من مسودة المواعظ . b) زيادة من صبح الأعشى . c) بولاق : فيعرض ويركب .

---

[1] الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ٢٥٧؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٢٨٤.

[2] ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٣١- ١٣٢؛ المقريزي : مسودة المواعظ والاعتبار ١٥٣- ١٥٤؛ وقارن القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٤٧٣ وزكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ٥٩- ٦١.

وكان الخَليفَةُ الآمِر بأحْكام الله تُحدِّثه نَفْسه بالسَّفَر إلى المَشْرق والغارَة على بَغْداد ، فأعَدَّ لذلك سُرُوجًا مجوَّفة القَرابيص ، وبَطَّنها بصَفائِح من قَصْدير ليجعل فيها الماء ، وجَعَلَ لها فَمًا فيه صُفَّارة ، فإذا دَعَت الحاجَةُ إلى الماء شَرِب منه الفارِس ، وكان كلُّ سَرْجٍ منها يَسَع سبعة أرطالِ ماء . وعمل عِدَّةَ مَخالٍ للخَيْل من دِيباج وقال في ذلك :

[الطويل]

دَعِ اللَّوْمَ عَنِّي لَسْتَ مِنِّي بمُوثِقِ فلا بُدَّ لي من صَدْمَة المُتَحقِّقِ
وأَسْقي جيادي من فُراتٍ ودِجْلَةٍ وأَجْمَع شَمْلَ الدِّين بعد التَّفَرُّق [a][1]

وأوَّل من أرْكَبَ المتصرِّفين في دَوْلَته من خُيوله بالمراكِب الذَّهَب في المواسِم ، العَزيزُ بالله نِزار بن المُعِزّ .

خزائن الخيم

قالَ في كتاب « الذَّخائر » : وأخبرني سَمَاءُ الرُّؤساء أبو الحَسَن عليّ بن أحمد بن مُدَبِّر ، وَزير ناصِر الدَّوْلَة ، قال : أُخْرِج فيما أُخْرِجَ من خَزائِن القَصْر عِدَّةٌ لم تُحْصَ من أعْدالِ الخِيَم والمضارِب والفَازات والمُسَطَّحات والخَرْكاوات والحُصُون والقُصُور والشُّرُاعات والمَشَارع والفَساطيط المعمولة من الدَّبيقي والمُخَمَّل والخُسْرُواني والدِّيباج الملكي والأرْمَنيّ والبَهْنَساوي والكردواني ، والجَيِّد من الحلَبي ، وما أَشْبَه ذلك من سائِر ألوانه وأنواعه .

ومن الشُّنْدُس والطُّميم أيضًا : منها المُفَيَّل والمُسَبَّع والمُخَيَّل والمُطَوَّس والمُطَيَّر ، وغير ذلك من سائِر صُوَر[b] الوُحُوش ، والآدَميين من سائِر الأشْكال والصُّوَر البديعة الرائعة . ومنها السَّاذَج والمنقوش في ظاهِره بغَرائِب النُّقوش بجميع آلاتها ، من الأعمدة الملبَّسة أنابيب الفِضَّة ، والثِّياب المُذَهَّبة وغير المُذَهَّبة من سائِر أنواعها وألْوانِها ، والصُّفْريات الفِضَّة على أقدارها ، والحِبَال الملبَّسة القطن والحَرير ، والأوْتاد وسائِر ما يُحْتاج إليه من جميع آلاتها وعُدَّتها ، المبطَّن جميعها بالدَّبيقي الطُّميم المُذَهَّب والخُسْرُواني المُذَهَّب ، وثياب الحَرير الصِّيني والتُّسْتري والمُصْمَت[c] / والرَّاخْتَج[d] ٤١٩

a) بولاق : تفرق ، ابن ميسر : تمزق . b) ساقطة من بولاق . c) بولاق : المضبب . d) بولاق : الرجيح .

[1] ابن ميسر : أخبار مصر ١١٢؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣ : ١٣٢؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥ : ١٩٦ ، وانظر فيما يلي ٢ : ٢٩١ .

والشَّرَفي والشَّعْري والدِّيباج والمُرَيَّش، وسائِر أنواع الحَرير من سائِر الألْوان وأنْواعِها كِبارًا وصغارًا، منها ما يُحْمَل خِرَقُه وأوتادُه وعُمُدُه وسائِر عُدَّته على عشرين بَعيرًا ودون ذلك وفوقه.

فالمُسَطَّح بيتٌ مُرَبَّع له أربعة حيطان وسَقْف بستة أعمدة، منها عَمودان للحائِط الواحِد المرفوع للدُّخول والخُروج. والخَيْمَةُ ظهرُها حائِطٌ مربَّع، وسَقيفتها إلى الباب حائِط مربَّع، وأركانها شَوازِك من الجانبين على قَدْر القائِم، وفيها أربعة أَعْمِدَة: اثنان في الباب، واثنان في وَسَطها. وكلَّما زادَت زاد عُمُدها وسَقْفُها، ولها خَدَّان مُشَوْزَكان[a] من الجانبين. والشُّراعُ حائِطٌ في الظَّهْر بسَقْفٍ[b] على الرأس بعمودين، من أي مَوْضِع دارت الشَّمْسُ حُوِّلَ إلى ناحية الشَّمْس. والمُشَرَّعَة فيه مثل المِظَلَّة على عَمُود واحِد تام وشُراع سابِل خَلْفَها، من أي مَوْضِع دارَت الشَّمس أُدير والقُبَّة على حالِها.

وحدَّثني أبو الحَسَن عليُّ بن الحَسَن الخَيِّمي قال: أَخْرَجْنا في جُمْلَة ما أُخْرِج من خَزائِن القصر أيَّام المارِقين، حين اشتدَّت المُطالَبَة على السُّلْطان، فُسْطاطًا كبيرًا أكبر ما يكون، يُسَمَّى «المُدَوَّرَة الكَبيرَة»، يقوم على فَرْد عمود طوله خمسة وستون ذراعًا بالكبير، ودائر فَلْكَتِه عشرون ذِراعًا، وقُطْرها ستة أَذْرُع وثُلُثا ذِراع، ودائره خمس مائة ذِراع، وعدَّة قِطَع خِرَقه أربع وستون قطعة كلّ قطعة منها تُحْزَم في عَدْلٍ واحِد يُجْمَع بعضُه إلى بعض بعُرًى وشَراريب حتى يُنْصَب، تُحْمَل خِرَقُه وحِبالُه وعُدَّته على مائة جَمَل.

وفي صُفْريته المعمولة من الفِضَّة ثلاثة قَناطير مصرية، يحملها من داخِلها قُضْبان حَديد من سائِر نَواحيها، تمتلئ ماءً من راوية جَمَل، قد صُوِّر في رَفْرَفه كلُّ صورة حَيوان في الأرض، وكلُّ عِقْدٍ مَليح وشَكْلٍ ظَريف. وفيه باذَهَنْج طوله ثلاثون ذراعًا في أعلاه. كان أبو محمد الحَسَن بن عبد الرَّحْمَن اليازُوري أَمَرَ بعَمَلِه أيَّامَ وزارَته فعَمِلَه الصُّنَّاعُ - وعِدَّتُهم مائة وخمسون صانِعًا - في مُدَّة تسع سنين، واشتملت النَّفَقَةُ عليه على ثلاثين ألف دينار. وكان عمله على مثال «القَاتُول» الذي كان العَزيزُ بالله أَمَر بعَمَلِه أيَّام خِلافَته، إلَّا أن هذا أعْلَى عَمودًا منه وأَوْسَع وأَعْظَم وأَحْسَن.

وكان الخَليفَةُ أنْفَذ إلى مُتَمَلِّك الرُّوم في طَلَب عمودين للفُسْطاط طول كلِّ واحِدٍ منهما سبعون ذِراعًا بعد أن غَرِمَ عليهما ألف دينار: أحدهما في هذا الفُسْطاط بعد أن قَطَعَ منه خمسة

---

a) بولاق: مشروكان. b) بولاق: مسقف.

أذرع ، والآخر حَمَلَه ناصِرُ الدولة بن حَمْدان حين خَرَجَ على الخَليفَة المُسْتَنْصِر بالله إلى الإسْكَنْدَرية ، وما أَدْري ما فَعَلَ به .

قال : وأَقَمْنا مُدَّةً طويلةً في تَفْصيل بعضه من بَعْض ، وتقطيعه خِرقًا وشُقَقًا قُوِّمَت على المذكورين بأقلّ القِيَم ، وتَفَرَّق في الآفاق .

وقال لي أيضًا : أَخْرَجْنا مُسَطَّحًا قَلمونيًّا مُخْملًا موجَّهًا من جانبيه ـ عُمِلَ بتِنِّيس للعَزيز بالله ـ يسمَّى دار البِطِّيخ . وسطه تكنيس[a] على ستة أَعْمِدَة أربعة منها في أركان الكنيسة [b] [c]الأربعة ، وعمودان في وسطها وفي كلّ رُكْن من أرْكان الكنيسة قُبَّة[c] وفي الأربعة الأرْكان أربع قِباب ، ومن القُبَّة إلى القُبَّة رِواقٌ دائرٌ عليه والقِباب دونه ، وفي كلّ قُبَّة أربعة أعمدة ، طول كلّ عمود من أعمدة التَّكْنيس[b] ثمانية عشر ذِراعًا وكذلك طُول قائِم القِباب . وفَعَلْنا به مثل ما فَعَلْنا بالأوَّل [d].

وقال لي : أَخْرَجْنا مُسَطَّحًا عُمِلَ للظَّاهِر لإعْزاز دين الله بتِنِّيس ، ذَهَبٌ في ذهب طَميم قائِم على عَمُود ، له ستّ صفاري بِلَّوْر ، وستَّة أعمدة فِضَّة ، أُنْفِق عليه أربعة عشر ألف دينار [c]وأخرجنا عشرين مُسَطَّحًا مُصْمتًا من سائر ألوانه وأخرجنا مُسَطَّحًا دار بطيخ أيضًا كبيرًا طَميم [c]. ومُسَطَّحًا دَبيقيًّا كبيرًا مُذَهَّبًا بدوائر كِرْدواني منقوش .

وأخرجنا قُصُورًا تُحيط بالخيام ، بشُرُفات من المُخْمَل والقَلَموني والدَّبيقي والدِّيباج الخُسْرواني ، والحَرير من سائِر أنْواعِه وأَلْوانِه [c]لا تُحْصى كَثْرَةً وأخرجنا عِدَّة حَمَّامات عُمِلَت للعزيز من اللُّبُود الطالقانية والأدم[c] المُذَهَّبة المنقوشة ، بحياضها ودِكَكِها ومَساطِبها وقُدُورها وزُجاجِها وسائِر عُدَدِها . [c]وأَخْرَجْنا من الخيام الدَّبيقي أكثر من خمس مائة قطعة ومن الحرير والسُّنْدُس والطَّميم ما لا يُحدّ كثرةً [c].

وأخرجنا من الخيام الكِرْدواني شيئًا كثيرًا . وأخرجنا خَيْمة كبيرةً مدوَّرةً كردواني مَليحَة النَّقْش والصَّنْعَة ، عدَّتها قِطَع كبيرة ، طول عمودِها خمسة وثلاثون ذِراعًا . فَعَلْنا بجميعها مثل ما فَعَلْنا بالأوَّل .

وأُخْرِجَ في جملتها الفُسْطاط الكبيرالمعروف بـ « المُدَوَّرَة الكبيرة » ، المتولّي عمله بحَلَب أبو الحَسَن عليّ بن أحمد المعروف بابن الأَيْسَر في سني نَيِّف وأربعين وأربع مائة ، المُنْفَق على خِرَقِه ونَقْشه وعمله وعُدَّته ثلاثون ألف دينار ، الذي عموده أطول ما يكون من صَواري درامين الرُّوم

---

a) بولاق : بكنيس. b) بولاق : الكنيس. c-c) ساقطة من بولاق. d) بولاق : في الأول.

البنادِقَة أربعون ذراعًا، ودائر فَلَكَة عَمُوده أربعة وعشرون شبرًا، ويُحْمَل على سبعين جَمَلًا، ووَزْن صُفْريته الفِضَّة قِنْطاران سوى أنابِيب عُمُده، ويتولَّى إيقاف[a] عُمُده ونَصْبه مائتا رجل من فَرَّاش ومُعين. وهو شبيه بالقَاتُول العَزيزي، وسُمِّيَ بالقَاتُول لأنَّه ما نُصِبَ قَطّ إلَّا وقَتَلَ رجلًا أو رجلين ممَّن يتولَّى إيقافه[b] من فَرَّاشٍ وغيره.

قال: ووُجِدَ في خَزائِن مملوءَة من سائِر أنواع الصَّواني المدهونة ببَغْداد المُذَهَّبَة، [c]التي سَعَة كلِّ واحدة منها من العشرة أشْبار إلى ما دونها قد جعل في كلِّ واحدة منها دونها في السَّعَة[c] إلى ما سَعَته دون الدِّرْهَم ومن سائِر أنواع الأَطْباق الخَلَنْج[d] الرازي في هذه السَّعَة، وفوق ذلك ودونه، قد حُشِيَت بُطُونُها بما دونها في السَّعة إلى ما سَعَته دون الدينار. ومن الموائِد القَوائِمية الصِّغار والكِبَار ألوف. ومن مَوائِد الكَرْم وما أشبهها شيءٌ كثير. ومن الجِفان الجُور الواسعة التي قد عُمِلَت مقابِضُها من الفِضَّة، وحُلِّيَت بأنواع/ الحُلِيّ التي لا يَقْدِر الجَمَلُ القَوِيّ على حَمْل جَفْنَتَيْن منها لعِظَمِها، تُساوي الواحِدَة منها مائة دينار وفوقها ودونها شيءٌ كثيرٌ.

ووُجِدَ من الدِّكَك والمحاريب والأَسِرَّة، العُود والصَّنْدل والعاج والأَبَنُوس والبَقْم شيءٌ كثيرٌ مَليحُ الصَّنْعَة[1].

وقال ابنُ مُيَسَّر: وعَمِلَ الأَفْضَلُ ابن أمير الجُيوش خَيْمَة سَمَّاها «خَيمة الفَرَح»، [ثم سُمِّيَت بالقَاتُول؛ لأنَّها إذا نُصِبَت يموت تحتها من الفَرَّاشين واحدٌ أو اثنان][e]، اشْتَمَلَت على ألف ألف وأربع مائة ألف ذِراع، وقائمها ارتفاعه خمسون ذراعًا بذِراع العمل. صَرَف عليها عشرة آلاف دينار، ومَدَحَها جَماعَةٌ من الشُّعَراء[2].

---

a) بولاق: إتقان. b) بولاق: إتقانه. c-c) ساقطة من بولاق. d) بولاق: الخلع. e) إضافة من ابن ميسر.

---

[1] كلُّ هذا النَّصّ المنقول من كتاب «الذخائر والتحف» غير موجود في القسم الذي وَصَلَ إلينا منه.

[2] ابن ميسر: أخبار مصر ٨٥-٨٦؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٢٨٥؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٧٢-٧٣؛ وقارن القلقشندي: صبح الأعشى ٢: ١٣٨، ٣: ٤٧١.

خِزانَةُ الشَّراب

قال ابنُ المأمُون: ولم يَكُن في الإيوان فيما تقدَّم شرابٌ حُلْو، بل إنَّها قُرِّرت في استقبال النَّظَر المأموني، وأُطْلِقَ لها من السُّكَّر مائة وخمسة عشر قِنْطارًا، وبرَسْم الوَرْد المربَّى خمسة عشر قِنطارًا. وأمَّا ما يُسْتَعْمَل بالكافُوري من الخَلِّين الفاسِد[a] والحامِض [b]وقُفف النُّقُولات[b]، فالمبلَغ في ذلك ـ على ما حَصَره شاهِدُه ـ في السنة ستة آلاف وخمس مائة دينار. وما يُحْمَل للكافوري أيضًا برَسْم كَوْك الماوَرْد ما يستدعيه مُتَوَلِّي الشَّراب[1].

وقال ابنُ الطُّوَيْر: خِزَانَةُ الشَّراب وهي أَحَدُ مَجالِسه أيضًا ـ يعني القاعَة التي هي الآن المارِسْتان العَتيق ـ فإذا جَلَسَ الخَليفَةُ على السَّرير عَرَضَ عليه ما فيها حاميها ـ وهو من كِبار الأُسْتاذين ـ وشاهِدُها فيُحضر إليه فرّاشُوها بين يديْ مُستخدمها من عُيُون الأَصْناف العالية من المعاجِين العجيبة في السَّكارِج[c] الصِّيني والطَّيافير الخَلَنْج، فيذوق ذلك شاهِدُها بحَضْرَته، ويَسْتَخْبِر عن أحْوالِها بحُضور أطِبّاء الخاصّ.

وفيها من الآلات والأزْيار الصِّيني والبَراني عِدَّةٌ عَظيمةٌ للوَرْد والبَنَفْسج والمَرْسين، وأصناف الأدوية من الرَّاوِنْد الصِّيني وما يجري مَجْراه ممَّا لا يَقْدر أحَدٌ على مثله إلَّا هناك، وما يَدْخُل في الأدوية من آلات العِطْر إلى غير[c] ذلك. ويُسْأَل عن الدِّرْياق الفاروق، ويأمرهم بتَحْصيل أصْنافِه ليستدرك عمله قبل انْقِطاع فِعْل[c] الحاصِل منه، ويؤكِّد في ذلك تأكيدًا عظيمًا.

ويستأذن على ما يُطْلَق منها في رِقاع، أطبّاء الخاصّ للجهات وحواشي القصر، فيأذن في ذلك، ويُعْطى الحامي للتفرقة في الجماعة ثلاثين دينارًا[2].

خِزانَةُ التَّوابل

وقال ابنُ المأمُون: فأمَّا التَّوابِلُ، العالي منها والدُّون، فإنَّها جُمْلَةٌ كثيرة، ولم يَقَعْ لي شَاهِدٌ بها، بل إنَّني اجتمعتُ بأحَدٍ من كان مُسْتَخْدمًا في خِزانَة التَّوابل فذَكَرَ أنَّها تشتمل على خمسين

---

a) بولاق: الحلو الفانيد. b-b) ساقطة من بولاق. c) ساقطة من بولاق.

---

[1] ابن المأمون: أخبار مصر ٩٠. القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٤٧٢.

[2] ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٣٠-١٣١، وقارن

ألف دينار في السنة ، وذلك خارجٌ عمَّا يُحْمَل من البُقولات ـ وهي باب مُفْرَد ـ مع المستخدم في الكافوري [1] .

و[2]الذي استقرَّ إطْلاقُه على حُكْم الاسْتِيمار من الجِرايات المختصَّة بالقُصُور والرَّواتِب المستجدَّة ، والمُطْلَق من الطِّيب وتَذْكِرَة الطِّراز وما يُبْتاع من الثُّغُور ويُسْتَعمل بها ، وغير ذلك [3] .

فأوَّلُها جِرايَة القُصور وما يُطْلَق لها من بَيْت المال إدرارًا لاستقبال النَّظر المأموني ـ ستة آلاف وثلاث مائة وثلاث وأربعون دينارًا . تفصيله : مِنْديل الكُمّ الخاصّ الآمِري في الشهر ثلاثة آلاف دينار عن مائةِ دينار كلَّ يوم ، أرْبَع جُمَع ، الحَمَّام في كلِّ جمعة مائة دينار ، أربع مائة دينار . وبرَسْم الإخْوَة والأَخَوات والسَّيِّدة الملكة والسَّيِّدات ، والأمير أبي عليّ وإخوته ، والموالي والمُسْتَخْدَمات ، ومن استجدّ من الأفْضَليات : ألفان وتسع مائة وثلاثة وأربعون دينارًا .

ولم يكُن للقُصُور في الأيام الأفْضَلِيَّة من الطِّيب راتِبٌ فيُذْكَر ، بل كان إذا وَصَلت الهَدِيَّة والنجاوِيُ[a] من البلاد اليَمَنِيَّة تُحْمَل برُمَّتها إلى الإيوان ، فيُنْقَل منها بعد ذلك للأفْضَل والطِّيب المطْلَق للخليفة من جملتها . فانْفَتَحَ هذا الحُكْمُ ، وصارَ المُرَتَّبُ من الطِّيب مُياوَمَةً ومُشاهَرَةً على ما يأتي ذكره .

ما هو برَسْم الخاصّ الشَّريف في كلِّ شهر : نَدّ مثلَّث : ثلاثون مثقالاً ، عُود صِيني[b]: مائة وخمسة دَراهم ، كافُور قَديم : خمسة عشر درهمًا ، عَنْبر خَام ، عشرة مَثاقيل ، زَعْفَران عشرون درهمًا ، ماء وَرْد : ثلاثون رطلًا .

برَسْم بَخُور المَجْلس الشَّريف في كلِّ شهر في أيام السَّلام : نَدّ مثلَّث عشرة مَثاقيل ، عود صيني[b] عشرون دِرْهمًا ، كافور قَديم ثمانية دراهم ، زَعْفَران شَعْر عشرة دَراهم .

ما هو برَسْم بَخور الحَمَّام في كلِّ ليلة جُمُعَة عن أرْبع جُمَع في الشهر : نَدّ مثلَّث أربعة مَثاقيل ، عود صيني[b] عشرة مثاقيل .

---

a) بولاق : الجاوي . b) بولاق : صيفي .

---

[1] ابن المأمون : أخبار مصر ٩٠؛ المقريزي : مسودة المواعظ والاعتبار ١٦٠؛ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٤٤.

[2] من هنا يتّفق نص الخطط مع ما أورده المقريزي في ترجمته للوزير المأمون بن البطائحي في المقفى الكبير ٦: ٤٨٤.

[3] انظر فيما يلي ٤٦٢ .

ما هو برَسْم السيِّدات والجِهات والأُخْوة في كلِّ شهر : نَدّ مثلَّث خمسة وثلاثون مثقالًا ، عود صيني[a] مائة وعشرون دِرْهمًا ، زَعْفَران شَعْرٍ خمسون دِرْهَمًا ، عَنْبَر خام عشرون مِثْقالًا ، كافور قَديم عشرون دِرْهمًا ، مِسْك خمسة عشر مِثْقالًا ، ماء وَرْد أربعون رطلًا .

ما هو برَسْم المائِدَة الشَّريفة ممَّا تَتَسلَّمه[b] المُعَلِّمة : مسْك خمسة عشر مِثْقالًا ، ماء وَرْد خمسة عشر رطلًا .

٤٢١ ما هو برَسْم خِزانَة الشَّراب الخاصّ : مِسْك ثلاثة مَثاقيل ، نَدّ/ مُثَلَّث سبعة مَثاقيل ، عُود صيني[a] خمسة وثلاثون دِرْهمًا ، ماء وَرْد عشرون رطلًا .

ما هو برَسْم بَخُور المَواكِب السِّتَّة ، وهي الجُمُعَتان الكائِنتان في شهر رَمَضان برَسْم الجامِعين بالقاهِرَة ـ يعني الجامِع الأزْهَر والجامِع الحاكِمي ـ والعيدان ، وعيد الغَدير ، وأوَّل السَّنَة بالجوامِع والمُصَلَّى : نَدّ خاصّ جملة كثيرة لم تتحقَّق فتُذْكَر . ولم يكن للغُرَّتَيْن : غُرَّة السَّنَة ، وغُرَّة شهر رَمضَان ، وفَتْح الخَليج ، بَخورٌ فيُذْكَر .

وعِدَّة المبخِّرين في المواكِب ستة : ثلاثة عن اليمين ، وثلاثة عن الشِّمال . وكلٌّ منهم مَشْدود الوَسَط ، وفي كُمِّه فَحْمٌ برَسْم تَعْجيل المَدْخَنة ؛ والمداخِن فِضَّة . وحامِلُ الدَّرْج الفضَّة الذي فيه البَخُور أحَدُ مُقَدَّمي بيْت المال ، وهو فيما بين المُبَخِّرين طول الطَّريق ، ويضع بيده البَخُور في المَدْخَنَة . فإذا[c] ماتَ أحَدُ هؤلاء المُبَخِّرين لا يَخْدم عِوضًا عنه إلَّا من يتبرَّع بمَدْخَنة فِضَّة ؛ لأنَّ لهم رُسُومًا كثيرة في المواسِم ، مع قُرْبِهم في المواكِب من الخَليفَة . من الوقت الذي يتبرَّع فيه بالمَدْخَنة يرجع في حاصِل بَيْت المال . وإذا توفِّي حامِلُها لا تَرْجِع لوَرَثته .

وعِدَّة ما يُبَخَّر في الجَوامِع والمُصَلَّى غير هؤلاء ، في مَداخِن كِبار في صَواني فِضَّة ، ثلاث صَوان : في المِحْراب إحداهن ، وعن يَمين المنبر وشماله اثنتان ، وفي المَوْضِع الذي يجلس فيه الخَليفَة إلى أن تُقام الصَّلاة صينية رابعة .

وأمَّا البَخُور المُطْلَق برَسْم المأمُون فهو في كلِّ شهر : نَدّ مثلَّث خمسة عشر مِثْقالًا ، عود صيني ستون درهمًا ، عَنْبَر خام ستة مثاقيل ، كافور ثمانية دَراهِم ، زَعْفَران شَعْر عشرة دراهم ، ماء وَرْد خمسة عشر رطلًا[1] .

---

a) بولاق : صيفي . b) بولاق : ما تستلمه . c) بولاق : وإذا .

---

[1] ابن المأمون : أخبار مصر ٩٠- ٩٢؛ المقريزي : المقفى الكبير ٦: ٤٨٤- ٤٨٦.

ومنها مُقَرَّر المجامِع : وما قُرِّر من خِزانَة التَّفْرِقَة في كلّ يوم اثنا عشر مَجْمَعًا ، كلّ بيت عياره رطلٌ واحد . ولكلّ مَجْمَع ثلاثة أرطال جُبْن تَشوير[a]، وفاكِهَة نصف درهم . والمستقرّ لهذه المجامِع في كلّ يوم من اللَّبَن [الرّاتِب][b] خمسة وثمانون رطلًا .

ومنها مُقَرَّر الحَـلْوى والفستُق ، وممَّا استجدَّ ما يُعْمَل في الإيوان برَسْم الخاصّ في كلّ يوم من الحَـلْوى اثنا عشر جامًا رَطْبَة ويابسة نصفين ، وَزْن كلّ جام من الرَّطب عشرة أرطال ومن اليابِس ثمانية أرطال[1].

ومُقَرَّر الخُشْكَنانْج والبَسَندود : في كلّ ليلة على الاستمرار ، برَسْم الخاصّ الآمري والمأموني ، قِنْطارٌ واحدٌ سُكَّر ، ومِثْقالان مِسْك ، وديناران برَسْم المُؤَن لعَمَلِ خُشْكَنانْج وبَسَندود في قعبات وسِلال صَفْصَاف . ويُحْمَل ثُلُثا ذلك إلى القصر ، والثُّلُث إلى الدار المأمونية[2].

قال : وجَرَت مُفاوَضَةٌ بين متولّي بَيْت المال ودار الفِطْرَة بسَبَب الأَصْنَاف ، ومن جملتها الفُسْتُق وقِلَّة وُجوده وتزايدُ سعره إلى أن بَلَغَ رطلٌ ونصف بدينار . وقد وَقَف منه لأرْباب الرُّسوم ما حَصل شَكْوَاهُم بسببه . فجاوَبَه مُتَولّي الدِّيوان بأن قال : ما تَمَّ مُوجِب الإنْفاق لما هو راتِبٌ من الدِّيوان . وطَالَعَا المَقامَ العالي بأنَّه لمَّا رَسَمَ لهما ، ذكر جَميع ما اشتمل عليه ما هو مستقرّ الإنفاق من قَلْب الفُسْتُق ، والذي يُطْلَق من حاصِل[c] الخزائِن من قَلْب الفُسْتُق إدْرارًا مستقرًّا بغير استدعاء ولا تَوْقيع ، مُياوَمَةً كلّ يوم حِسابًا في الشهر التَّام عن ثلاثين يومًا : خمس مائة وخمسة وثمانون رطلًا ، وفي الشهر النَّاقص عن تسعة وعشرين يومًا : خمس مائة وخمسة وستون رطلًا ، حِسابًا عن كلّ يوم تسعة عشر رطلًا ونصف .

من ذلك ما يتسلَّمه[d] الصُّنَّاعُ الحَلاويون والمستخدَمون بالإيوان ممَّا يُصْنَع به خاصّ ، خارجًا عما يُصْنَع بالمطابِخ الآمِرية ، عن اثني عشر جام حلوى خاصّ ، وزنها مائة وثمانية أرطال : منها رُطَب ستون رطلًا ، ويابِس وغيره ثمانية وأربعون رطلًا ممَّا يَصِلُ في يومه وساعَته : منها ما يُحْمَلُ مَخْتومًا برَسْم المائِدتين الآمِريتين بالباذَهَنْج والدار الجَديدَة ، اللتين ما يحضرهما إلَّا من كَبُرَت مَنْزِلَته وعَظُمَت وجاهتُه ، جامان رَطْبًا ويابِسًا . وما يُفَرَّق في العوالي من الموالي والجِهات ، على

---

a) بولاق : قريش . b) إضافة من المقفى . c) ساقطة من بولاق . d) بولاق : يستلمه .

---

[1] المقريزي : المقفى ٦ : ٤٨٧ .

[2] ابن المأمون : أخبار مصر ٩٢ .

أوضاعِ مختلفة ، تِسْع جامات . وما يُحمَل إلى الدار المأمُونية ، برَسْم المائِدَة بالدار دون السِّماط ، جام واحِد تتمّة المُياوَمَة المذكورة . ما يتسلَّمه مُقَدَّم الفَرّاشين المُسْتَخْدَمين في خِدْمَة المائِدَة الشَّريفَة التي تتولّاها المُعَلِّمَة بالقصور الزَّاهِرَة ، أربعة أرطال فُسْتق . ما يستلِمه الشَّاهِدُ والمُشارِفُ على المطابخ الآمِرية ، ممَّا يُصْنَع فيها برَسْم الجامات الحَلْوَى وغيره ، ممَّا يكون على المُدَوَّرَة في الأَسْمِطَة المستمرّة بقاعَة الذَّهَبِ في أيام السَّلام وفي أيام الرُّكوبات وحُلُول الرِّكاب بالمناظِر : أربعة أرطال . وما يستلِّمه الحاجُّ مُقْبِل الفَرّاش برَسْم المائِدَة المأمونية ممَّا يُوَصِّله لِزمام الدار دون المطابخ الرجالية : رطلان .

الحُكْم الثاني يُطْلَق مُشاهَرَةً ـ بغير تَوْقيع ولا استِدْعاء ـ بأسْماءِ كُبَراء الجِهات والمستخدمين من الأصحاب والحَواشي في الخِدَم المميَّزة ، وهو في الشهر ثلاثة عشر رطلًا . والدِّيوانُ شاهِدٌ بأسماء أرْبابه .

وما يُطْلَق من هذه الخَزائِن السَّعيدَة بالاستدعاءات والمُطالَعات ويوقِّع عليه بالإطْلاق من هذا الصِّنْف في كلِّ سنة على ما يأتي ذكره .

وما يُسْتَدْعى برَسْم التَّوْسِعَة في الرَّاتِب ، عند تَحْويل الرِّكاب العالي إلى اللؤلؤة مُدَّة أيام النِّيل المبارك ، في كلِّ يوم رطلان .

. وما يُسْتَدعى برَسْم الصِّيام مُدَّة تسعة وخمسين يومًا ، رَجَب وشَعْبان ، حِسابًا عن كلِّ يوم رطلان : مائة وثمانية عشر رِطْلًا .

٤٢٢ /وما يُسْتَدْعى لما يُصْنَع بدار الفِطْرَة في كلِّ لَيْلَةٍ برَسْم الخاصّ خُشْكَنانْج لَطيف وبَسَنْدود وجُوارْشَنات ونَواطِف ، ويحمل في سِلال صَفْصاف لوقته ، عن مدَّة أوَّلها مستهلُّ رَجَب وآخرها سَلْخ رَمَضان ، عن تسعة وثمانين يومًا : مائة وثمانية وسبعون رطلًا ، لكلِّ ليلة رِطْلان ، ويسمَّى ذلك بالتَّعْبِئَة .

وما يَسْتَدْعيه صاحِبُ بَيْت المال ومُتَوَلّي الدِّيوان ، فيما يُصْنَع بالإيوان الشَّريف برَسْم المواليد الشَّريفَة الأربعة : النَّبَوي ، والعَلَوي ، والفاطِمي ، والآمِري ـ ممَّا هو برَسْم الخاصّ والموالي والجِهات بالقُصُور الزَّاهِرَة والدَّار المأمونية والأَصْحاب والحَواشي ـ خارجًا عمَّا يُطْلَق ممَّا يُصْنَع بدار الوَكالَة ، ويُفَرَّق على الشُّهود والمتصدِّرين والفُقَراء والمساكين ممَّا يكون حسابُه من غير هذه الخَزائِن : عشرون رطلًا قَلْب فُسْتُق ، حِسابًا لكلِّ يوم مؤبَّد منها خمسة أرطال .

ما يُسْتَدْعى برَسْم لَيالي الوَقود الأَرْبَع الكائِنات في رَجَب وشَعْبان [١]، ممَّا يُعْمَل بالإيوان برَسْم الخاصَّيْن والقُصور خاصَّةً: عشرون رطلًا، لكلِّ ليلة خمسة أرطال.

وأمَّا ما يَنْصَرِف في الأَسْمِطَة واللَّيالي المذكورات، في الجامِع الأَزْهَر بالقاهِرَة والجامِع الظَّاهِري بالقَرافَة، فالحُكْم في ذلك يَخْرُج عن هذه الخَزائِن، ويرجع إلى مُشارِف الدار السَّعيدَة.

وكذلك ما يَسْتَدْعيه المُسْتَخْدَمون في المَطابِخ الآمِرية من التوسِعَة من هذا الصِّنْف المذكور في جملة غيره، برَسْم الأَسْمِطَة لمدَّة تسعة وعشرين يومًا من شهر رَمَضان ويوم[a] سَلْخه لأَسْماطٍ فيه، وفي الأعياد جَميعها بقاعَة الذَّهَب.

وما يَسْتَدْعيه النَّائِبُ برَسْم ضِيافَة من يُصْرَف من الأُمَراء في الخِدَم الكِبار ويَعُود إلى الباب، ومن يَرِد إليه من جَميع الضُّيُوف.

وما يَسْتَدْعيه المُسْتَخْدَمُون في دار الفِطْرَة برَسْم فَتْح الخَليج، وهي الجملتان الكبيرتان فجَميع ذلك لم يكن في هذه الخَزائِن مُحاسَبته ولا ذِكْر جملته؛ والمعاملة فيه مع مُشارِف الدَّار السَّعيدة.

وأمَّا ما يُطْلَق من هذا الصِّنْف من هذه الخَزائن في هذه الوَلائم والأَفْراح وإرسال الإنْعام، فهو شيءٌ لم تتحقَّق أوقاتُه ولا مبلغ استدعائه أنْهَى المملوكان ذلك. وللمَجْلِس فَضْل السُّمُوّ والقُدْرَة فيما يأمُر به إن شاءَ الله تعالى [٢].

دارُ التَّعْبِئَة

قال ابنُ المأمُون: دارُ التَّعْبِئَة كانت في الأيام الأَفْضَلِيَّة تشتمل على مبلغ يسير، فانتهى الأَمْرُ فيها إلى عشرة دنانير كلَّ يوم، خارجًا عمَّا هو موظَّف على البَساتين السُّلْطانية، وهو النَّرْجِس والنُّوفرين[b] الأصفر والأحمر، والنَّخْل الموقوف برَسْم الخاصّ، وما يَصل إليه من الفَيُّوم وثَغْر الإسْكَنْدَرية.

ومن جملتها تَعْبِئَة القُصُور للجهات والخاصّ والسَّيِّدات ولدار الوَزارَة، وتَعْبِئَة المناظِر في الرُّكوبات إلى الجُمَع في شهر رَمَضان، خارجًا عن تَعْبِئَة الحَمَّامات وما يُحْمَل كلَّ يومٍ من الزَّهْرَة، وبرَسْم خِزانَة الكُسْوَة الخاصّ، وبرَسْم المائِدة، وتفرقة الثَّمَرَة الصيفية في كلِّ سنة على

---

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: النينوفران.

---

[١] انظر فيما يلي ٥٢٢ - ٥٢٨.

[٢] ابن المأمون: أخبار مصر ٩٢- ٩٤.

الجِهات والأُمَراء والمُسْتَخْدَمين والحَواشي والأَصْحاب ، وما يُحْمَل لدار الوَزارَة والضُّيوف وحاشِيَة دار الوَزارَة [١].

خِزانَةُ الأَدَم

قال : وأمَّا الرَّاتِبُ من عند بَرَكات الأَدَمي ، فإنَّه في كلِّ شهر ثمانون[a] زَوْجًا أَوْطِيَة ، من ذلك : بِرَسْم الخاصّ ثلاثون زَوْجًا ، بِرَسْم الجِهات أربعون زَوْجًا ، بِرَسْم الوَزارَة عشرة أزْواج خارجًا عن السَّباعيات ، فإنَّها تُسْتَدْعى من خِزانَة الكُسْوَة ، وفي كلِّ مَوْسِم تكون مُذَهَّبَة [٢].

خَزائِنُ دارِ أَفْتَكين

قال ابنُ الطُّوَيْر : وكانت لهم دارٌ كبرىٰ يسكنها نَصْرُ الدَّوْلَة أَفْتَكين الذي وافَق نِزار بن المُسْتَنْصِر بالإسْكَنْدَرية ، جَعَلوها بِرَسْم الخَزْن ، فقيل : خَزائِن دار أَفْتَكين . وتحتوي على أصْناف عَديدَة من الشَّمْع المحمول من الإسْكَنْدَرية وغيرها ، وجميع القُلُوب المأكولة من الفُسْتُق وغيره ، والأعْسال على اختلاف أصْنافِها ، والسكَّر والقَنْد والشَّيْرج والزَّيْت .

فيَخْرُج من هذه الخَزائِن بيد حاميها ـ وهو من الأُسْتاذين المميَّزين ـ ومُشارِفها ـ وهو من المعدَّلين ـ راتِبُ المطابخ خاصًّا وعامًّا ليوم أو لأيام يَتَّفِقُ عليها[b] للمُسْتَخْدَمين ثم لأرْباب التَّوْقيعات من الجِهات ، وأرْباب الرُّسوم في كلِّ شهر من أرباب الرُّتَب ، حتى لا يخرج عمَّا يحتاجونه منها إلَّا اللَّحْم والخُضْراوات ، فهي أبدًا معمورة بذلك . انتهى [٣].

/خَبَرُ نِزار وأَفْتَكين ـ لمَّا ماتَ الخَليفَةُ المُسْتَنْصِر بالله أبو تَميم مَعَدّ ابن الإمام الظَّاهِر لإعْزاز دين الله أبي الحَسَن عليّ بن الحاكِم بأمْر الله أبي عليّ مَنْصور في ليلة الخميس الثامن عشر من ذي الحجَّة سنة سبع وثمانين وأربع مائة ، بادَرَ الأَفْضَلُ شاهِنْشاه ابن أمير الجُيوش بَدْر الجمالي إلى القصر وأَجْلَسَ أبا القاسِم أحمد بن المُسْتَنْصِر في مَنْصِب الخِلافَة ولَقَّبه بـ«المُسْتَعْلي بالله» . وسَيَّر ٤٢٣:١

---

a) بولاق : ثمان . b) بولاق : ينفق منها .

---

[١] ابن المأمون : أخبار مصر ٩٤؛ ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٤٣؛ المقريزي : مسودة المواعظ والاعتبار ١٦٢.

[٢] نفسه ٩٤؛ نفسه ٤٥؛ المقريزي : المقفى الكبير ٦: ٤٨٨.

[٣] ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٤٢-١٤٣؛ المقريزي : مسودة المواعظ ١٦١-١٦٢.

إلى الأَمير نِزار والأَمير عبد الله والأَمير إسماعيل أولاد المُسْتَنْصِر فجاءوا إليه ، فإذا أخوهم أحمد ـ وهو أَصْغَرُهم ـ قد جَلَسَ على سَرير الخِلافَة ، فامْتَعَضُوا لذلك وشَقَّ عليهم . وأَمَرَهُم الأَفْضَلُ بتَقْبيل الأَرض ، وقال لهم : قَبِّلُوا الأرض لمولانا «المُسْتَعْلي بالله» وبايِعوه ، فهو الذي نَصَّ عليه الإمامُ المُسْتَنْصِرُ قبل وفاته بالخِلافَة من بعده . فامْتَنَعوا من ذلك وقال كلٌّ منهم إنَّ أباه وَعَدَه[a] بالخِلافَة .

وقال نِزارُ : لو قُطِّعتُ ما بايَعْتُ مَنْ هو أصغر مِنِّي سِنًّا ، وخَطُّ والدي عندي بأنِّي وَلِيُّ عَهْده وأنا أُحْضِرُه . وخَرَجَ مُسْرِعًا ليُحْضِر الخَطّ ، فمَضَى لا يَدْري به أَحَدٌ ، وتوجَّه إلى الإسْكَنْدَرية . فلمَّا أبطأَ مَجيئُه بَعَثَ الأَفْضَلُ إليه ليَحْضُر بالخَطّ ، فلم يَعْلَم له خَبَرًا ، فانْزَعَجَ لذلك انزعاجًا عظيمًا .

وكانت نَفْرَة نِزار من الأَفْضَل لأُمور : منها أنَّه خَرَجَ يومًا فإذا بالأَفْضَل قد دَخَلَ من باب القصر وهو راكبٌ ، فصاحَ به نِزار : انزل يا أَرْمَنيَّ الجِنْس ، فحَقَدَها عليه ؛ وصارَ كلٌّ منهما يكره الآخر . ومنها أنَّ الأَفْضَل كان يُعارِض نِزارًا في أيَّام أبيه ، ويستخفّ به ، ويَضَع من حَواشيه وأسبابه ، ويَبْطِش بغِلْمانِه . فلمَّا ماتَ المُسْتَنْصِرُ خافَه لأنَّه كان رَجُلًا كبيرًا ، وله حاشية وأَعْوان ، فقَدَّمَ لذلك أحمد بن المُسْتَنْصِر بعدما اجتمع بالأُمَرَاء وخَوَّفَهم من نِزار ، وما زالَ بهم حتى وافَقُوه على الإعْراض عنه .

وكان من جُمْلَتهم محمود بن مَصَال ، فسيَّر خِفْيَةً إلى نِزار ، وأَعْلَمَه بما كان من اتِّفاق الأَفْضَل مع الأُمَرَاء على إقامَة أَخيه أحمد وإدارته لهم عنه . فاستعدَّ للمسير إلى الإسْكَنْدَرية هو وابن مَصَال .

فلمَّا فارَقَ الأَفْضَل ليَحْضُر إليه بخَطِّ أبيه ، خَرَجَ من القصر مُتَنَكِّرًا وسارَ هو وابن مَصَال إلى الإسْكَنْدَرية وبها الأمير نَصْر الدَّوْلَة أَفْتكين ـ أحدُ مَماليك أمير الجُيُوش بَدْر الجَمالي ـ ودَخَلا عليه لَيْلًا وأَعْلَماه بما كان من الأَفْضَل وتَراميا عليه ، ووَعَدَه نِزارُ بأن يجعله وَزيرًا مكانَ الأَفْضَل فَقَبِلَهما أتمَّ قَبُول وبايَعَ نِزارًا ، وأَحْضَرَ أهل الثَّغْر لمبايعته فبايعوه ، ونَعَتَه بـ «المُصْطَفَى لدين الله »[1].

فبَلَغَ ذلك الأَفْضَل ، فأَخَذَ يتجهَّز لمحاربتهم وخَرَجَ في آخر المحرَّم سنة ثمانٍ وثمانين بعساكِره وسارَ إلى الإسْكَنْدَرية ؛ فبَرَزَ إليه نِزارُ وأَفْتكين ، وكانت بين الفريقين عِدَّةُ حُروبٍ شَديدَة انْكَسَرَ

---

a) بولاق : قد وعده .

---

[1] يؤكِّد إعلان نِزار لنفسه إمامًا وخَليفَةً في الإسكندرية ظُهور دينار جديد إلى النور عام ١٩٩٤م ، هو أول نموذج معروف من هذا النوع ، ضرب في الإسكندرية سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م في الوقت الذي ثار فيه نزار هناك . ويحمل هذا الدينار الكتابة التالية :

(المصطفي لدين الله * ودعا الإمامُ نِزار) =

فيها الأَفْضَل ورَجَعَ بمن معه منهزمًا إلى القاهِرَة . فقَوِيَ نِزارٌ وأَفْتَكين وصارَ إليهما كثيرٌ من العرب ، واشتدَّ أَمْرُ نِزار وعَظُمَ واستولى على بِلاد الوَجْه البَحْري .

وأَخَذَ الأَفْضَلُ يتجهَّز ثانيًا إلى المسير لمُحارَبَة نِزار ، ودَسَّ إلى أكابِر العُرْبان ووُجُوه أصحاب نِزار وأَفْتَكين (aمَنِ استمالَهُم إليه وسارَ وكانت بينه وبينهم وَقْعَةٌ عَظيمَةٌ انْهَزَمَ فيها نِزار وأَفْتَكين a)، وصاروا إلى الإسْكَنْدَرية فنَزَلَ الأَفْضَلُ إليها وحاصَرَها حِصارًا شديدًا ، وأَلَحَّ في مُقاتلتهم ، وبَعَثَ إلى أكابِر أصحاب نِزار ووَعَدَهم . فلمّا كان في ذي القِعْدَة ، وقد اشتدَّ البَلاءُ من الحِصَار ، جَمَعَ ابنُ مَصَال مالَه وفَرَّ في البحر إلى جِهَة بلاد المغرب ، ففَتَّ ذلك في عَضُد نِزار وتَبَيَّن فيه الانْكِسار .

واشْتَدَّ الأَفْضَلُ وتكاثَرَت جُموعُه ، فبَعَثَ نِزارٌ وأَفْتَكين إليه يَطْلُبان الأمان منه فأَمَّنَهما ، ودَخَلَ الإسْكَنْدَرية ، وقَبَضَ على نِزار وأَفْتَكين ، وبَعَثَ بهما إلى القاهِرَة . فأمَّا نِزارٌ فإنَّه قُتِلَ في القصر بأن أُقيم بين حائطين بُنِيا عليه فماتَ بينهما ، وأمَّا أَفْتَكين فإنَّه قَتَلَه الأَفْضَلُ بعد قُدومِه [1].

ودارُ أَفْتَكين هذه كانت خارج القَصْر ، ومَوْضعها الآن حيث مَدْرَسَة القاضي الفاضِل[2] وآدُرُه بدَرْب مُلوخِيًا [3].

خِزانَةُ البُنُود

«البُنُود» هي الرّايات والأعْلام ، ويُشْبِه أن تكون هي التي يُقال لها في زَمَنِنا «العَصائِب السُّلْطانية» [4].

---

a-a) ساقطة من بولاق .

= Daftary, F., «Hasan Sabbâh and the Origins of the Nizâri Ismâʿili Movement» in *Medieval Ismâʿili History and Thought*, Cambridge University Press 1996, p. 194؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٢٢٢).

[1] راجع خبر نزار وأفتكين كذلك عند ، ابن ميسر : أخبار مصر ٥٩- ٦١؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١٠ : ٢٣٧- ٢٣٨؛ ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة ٢/ ٣ : ٢٤٤- ٢٤٥؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ١ : ٤٠٧؛ النويري : نهاية الأرب ٢٨ : ٢٤٤- ٢٤٥؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣ : ١١- ١٣؛ المقفى الكبير ٢ : ٢٢٨- ٢٢٩؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٢٢٠- ٢٢٤، وفيما تقدم ١٩٨.

[2] انظر فيما يلي ٢ : ٣٦٦.

[3] المقريزي : مسودة المواعظ ١٦٢.

[4] قارن ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار (ممالك مصر والشام) ٣٢، ٣٨.

وكانت خِزانَةُ البُنُودِ مُلاصِقَةً للقَصْر الكبير ومن حُقُوقِه فيما بين قَصْر الشَّوْك وباب العِيد، بناها الخَليفَةُ الظَّاهِرُ لإعْزاز دين الله أبو هاشِم عليّ بن الحاكِم بأَمْر الله، وكان فيها ثلاثة آلافِ صانِع مبرِّزين في سائِر الصَّنائع، [a]على ما ذَكَرَ ابنُ أبي طَيٍّ في «تاريخه»[a] [١].

وكانت أيامُ الظَّاهِر هذا سُكونًا وطُمأنينة، وكان مُشْتَغِلًا بالأكل والشُّرْب والتَّنَزُّه وسَماع الأغاني. وفي زَمانه تأنَّقَ أهلُ مصر والقاهِرَة في اتِّخاذ المغاني[b] والرَّقَّاصات، وبَلَغَ من ذلك المبالِغ العَجيبَة، واتُّخِذت له حُجَر[c] المماليك، وكانوا يُعَلِّمونهم فيها أنواع العُلوم وأنْواع آلة الحَرْب، وصُنُوف حِيَلِها من الرِّماية والمُطاعَنَة والمُسابَقَة وغير ذلك، [d]ذَكَرَ ذلك ابنُ أبي طَيّ في سنة ٤٢٧[d] [٢].

وقال في كتاب «الذَّخائِر والتُّحَف [d]وما كان بالقَصْر من ذلك» وهو جَمْعُ بعض المصريين مَجْهول المصنِّف وفيه فَوائِد جَمَّة ومنه نَقَلْت ما نصّه[d]: ولمَّا وَهَبَ السُّلْطان - يعني الخَليفَة المُسْتَنْصِر - لسَعْد الدَّوْلَة المعروف بـ«سَلام عليك»، ما في خِزانَة البُنُود من جَميع المَتاع والآلات وغير ذلك، في اليوم السَّادِس من صَفَر سنة إحدى وستين وأربع مائة، حَمَلَ جَميعه ليلًا. وكان فيما وَجَدَ/ سَعْدُ الدَّوْلَة فيها ألفٌ وتسع مائة دَرَقَة لَمْطي[e]، إلى ما سوى ذلك من آلات الحَرْب وما سواه وغير ذلك من القُضُب الفِضَّة والذَّهَب والبُنود وما سواه. وفي خلال ذلك سَقَطَ من بعض الفَرَّاشين نَقْطُ شَمْع يتَوَقَّد نارًا، فصادَف هناك أعدالَ كَتَّان ومَتاعًا كثيرًا، فاحترق جميعُه. وكانت لتلك غَلَبَةٌ عَظيمَة وخَوْفٌ شَديد فيما يليها من القصر ودُور العامَّة والأَسْواق [٣].

وأَعْلَمَني من له خِبْرَة بما كان في خِزانَة البُنُود أنَّ مبلغ ما كان فيها من سائِر الآلات والأَمْتِعَة والذَّخائر لا تُعْرَف[f] له قيمةٌ عِظمًا، وأنَّ المُنْفَق فيها كلّ سنة من سبعين ألف دينار إلى ثمانين

a-a) إضافة من المسودة، وفي الأصول: قال ابن أبي طيّ: خزانة البنود أنشأها الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم وكان فيها ثلاثة آلاف صانع مبرزين في سائر الصنايع. b) بولاق: الأغاني. c) بولاق: حجرة. d-d) إضافة من المسودة. e) ساقطة من بولاق. f) بولاق: يعرف.

[١] كانت خزانة البنود تُكوِّن القسم الأكبر من المباني التي يحدها اليوم من الشمال شارع قصر الشوق ومن الشرق امتداد نفس الشارع ودرب القَزّازين ومن الجنوب عطفة القزازين. ويقسم هذه المباني دَرْب عليّ الدين الذي يخترقها من الشرق إلى الغرب (راجع Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 268-69).

[٢] المقريزي: مسودة المواعظ ١٤١.

[٣] الرشيد بن الزبير: الذخائر والتحف ٢٥١؛ المقريزي: مسودة المواعظ ١٤١ - ١٤٢، اتعاظ الحنفا ٢: ٢٨٠.

ألف دينار، من وَقْت دُخُول القائِد جَوْهَر وبناء القَصْر من سنة ثمانٍ وخمسين وثلاث مائة إلى هذا الوقت، وذلك زائِدٌ عن مائة سنة، وأنَّ جميعَه باقٍ فيها على الأيام لم يتغيَّر، وأنَّ جَميعَه احْتَرَق حتى لم يَبْق منه باقية ولا أَثَرٌ، وأنَّه احْتَرَق في هذه الليلة من قَرابات النَّفْط عشرات ألوف، ومن زَرَّاقات النَّفْط أمثالها. فأمَّا الدَّرَق والسُّيوف والرِّماح والنُّشَّاب فلا تُحْصَى بوجه ولا سَبَب، مع ما فيها من قُضُب الفِضَّة وثيابها المذهبة وغيرها، والبُنُود المُحَمَّلة، وسروج ولجم، وثياب الفَرَجية المصبَّغات والبَنَّادين وغيرها، بعد أن أَخَذُوا ما قَدَروا عليه، حتى لِواء الحَمْد وسائر البُنُود وجَميع العَلامات والألْوية والرَّايات[a].

وحدَّثني من أَثِق به [b]أيضًا أنَّه احترق فيها من السُّيوف عَشَرات أُلوف وما لا يُحْصَى كثرةً، و[b]أنَّ السُّلْطانَ بعد ذلك بمُدَّة طويلة احْتاج إلى إخْراج شيءٍ من السِّلاح لبعض مُهِمَّاته، فأَخْرَجَ من خِزانَة واحدة - ممَّا بقي وسَلِم - خمسة عشر ألف سَيْف مُجَوْهَرَة سوى غيرها. [c]حَدَّثني بجَميعه الأَجَلُّ عَظِيمُ الدَّوْلَة متولِّي السِّتْر الشَّريف[c] [1]. انتهى.

وجُعِلَت خِزانَةُ البُنُود بعد هذا الحَريق حَبْسًا. وفيها يقول القاضي المُهَذَّب بن الزُّبَيْر[2] لمَّا اعْتُقِلَ بها، وكَتَبَ بها للكامِل بن شاوَر:

[الطويل]

أَيَا صَاحِبَيْ سِجْن الخِزانَة خَلِّيَا ... نَسيمَ الصَّبَا يُرْسِلْ إلى كَبِدِي نَفْحَا
وقُولَا لضَوْء الصُّبْح هل أنت عائِدٌ ... إلى نَظَري أم لا أَرَى بَعْدَها صُبْحَا؟
ولا تَيْأَسَا من رَحْمَةِ الله أنْ أَرَى ... سَريعًا بفَضْلِ الكامِلِ العَفْوَ والصَّفْحَا

---

a) ساقطة من بولاق. b-b) ساقطة من الذخائر. c-c) ساقطة من بولاق.

---

[1] الرشيد بن الزبير: الذخائر والتحف ٢٥١- ٢٥٢؛ المقريزي: المسودة ١٤١- ١٤٣؛ ونَقَلَ ابن عبد الظاهر هذا الخبر في الروضة البهية ٤٦-٤٧ وسبقه بالعبارة التالية: «ورأيت كِتابًا ذُكِرَ فيه جملةٌ من الذَّخائر والهدايا والتحف وشيءٌ من أخبار الدولة المصرية، قال: أخبرني عَظيم الدَّولة صاحب الستر أن مبلغ ما كان ....

[2] القاضي المهذَّب أبو محمد الحسن بن عليّ بن إبراهيم الملقب بالقاضي المهذب بن الزبير، المتوفى سنة ٥٦١هـ/ ١١٦٦م (العماد الكاتب: خريدة القصر (قسم مصر) ١:٢٠٤- ٢٢٥؛ ياقوت: معجم الأدباء ٩:٤٧- ٧٠؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٢:١٣١- ١٣٨؛ ابن شاكر: فوات الوفيات ١:٣٣٧- ٣٤١؛ المقريزي: المقفى الكبير ٣:٣٤٦-٣٤٨).

وقال:

[الطويل]

أَيَا صَاحِبَيَّ سِجْنِ الخِزانَة خَلِّيَا — من الصُّبْح ما يَبْدو سَنَاهُ لناظِري
فـوالله مـا أَدْري أَطَـرْفِيَ سـاهِـرٌ — على طُولِ هذا اللَّيْل أم غَيْر سَاهِر؟
ومـالِيَ مَنْ أشكـو إليـه أَذاكُـما — سِوَى مَلِكِ الدُّنيا شُجاعِ بنِ شَاوَرِ[1]

واستمرَّت سِجْنًا للأُمَرَاء والوُزَراء والأَعْيان إلى أن زَالَت الدولةُ، فاتَّخَذَها مُلوكُ بني أَيُّوب أيضًا سِجْنًا يُعْتَقَل فيه الأُمَرَاء والمماليك[2].

ومن غَريب ما وَقَع بها أنَّ الوَزيرَ أحمد بن علي الجَرْجَرائي لمَّا توفي، طَلَبَ الوَزارَة الحَسَن بن عليّ الأَنْبَاري فأُجيب إليها، فتعجَّل من سُوء التدبير قَبْل تمامه ما فَوَّتَه مُرادَه، وضَيَّعَ مالَه ونفسَه[3]. وذلك أنَّه كان قد نَبَغَ في أيام الحاكِم بأَمْر الله أَخَوَانِ يهوديَّان يتصرَّف أحدُهما في التِّجارَة، والآخَر في الصَّرْف وبَيْع ما يحمله التُّجَّار من العِراق، وهما أبو سَعْد إبراهيم وأبو نَصْر هارون ابنا سَهْل التُّسْتَري، واشتهر من أَمْرِهما في البُيوع وإظْهار ما يَحْصُل عندهما من الوَدائِع الخَفِيَّة لمن يُفْتَقَد من التجّار في القُرْب والبُعْد، ما ينشأ به جَميل الذِّكْر في الآفاق، فاتَّسَع حالُهما لذلك.

واسْتَخْدَمَ الخَليفَةُ الظَّاهِرُ لإعْزاز دين الله أبا سَعْد إبراهيم بن سَهْل التُّسْتَري في ابْتياع ما يَحْتاج إليه من صُنوف الأمتعة، وتقَدَّم عنده فبَاعَ له جارِيةً سوداء فتَحَظَّى بها الظَّاهِرُ وأَوْلَدَها ابنه المُسْتَنْصِر. فرَعَت لأبي سَعْدٍ ذلك، فلمَّا أَفْضَت الخِلافَةُ إلى المُسْتَنْصِر وَلَدِها، قَدَّمَت أبا سَعْدٍ وتخصَّصت به في خِدْمَتِها[4].

فلمَّا ماتَ الوَزيرُ الجَرْجَرائي، وتكلَّم ابنُ الأَنْباري في الوَزارَة، قَصَدَه أبو نَصْر أخو أبي سَعْد، فجَبَهَه أَحَدُ أصحابه بكلام مُؤْلم، فظَنَّ أبو نَصْر أنَّ الوَزيرَ ابن الأَنْباري إذا بَلَغَه ذلك يُنْكر على غُلامه ويعتذر إليه، فجاءَ منه خِلافُ ما ظَنَّه، وبَلَغَه عنه أَضْعاف ما سَمِعَه من الغُلام، فشَكا ذلك

---

[1] هذا الخبر نقله المقريزي في المسودة عن ابن عبد الظاهر وهو موجود في الروضة الزاهرة ٤٧ – ٤٨، وانظر الأبيات عند محمد عبد الحميد سالم: شعر المهذب بن الزبير – تحقيق ودراسة، القاهرة – هجر للطباعة والنشر ١٩٨٨، ١٨٢، ١٩٥.

[2] المقريزي: مسودة المواعظ والاعتبار ١٤٤.

[3] سيفصل المقريزي هذا الخبر بعد قليل.

[4] انظر كذلك ابن ميسر: أخبار مصر ٣ – ٥، ٢٥؛ ناصر خسرو: سفرنامه ١٠٨ – ١٠٩؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٢٢٥؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ١٩٥ – ١٩٦، ٢٦٦ – ٢٦٧؛ Fishel, W. I., *Jews in the Economic and Political Life of Mediaeval Islam*, N.Y. 1969, pp. 68-89.

إلى أخيه أبي سَعْدٍ وأَعْلَمَه بأنَّ الوَزيرَ متغيِّرُ النِّيَّة لهما . فلم يَفْتُرْ أبو سَعْد عن ابن الأَنْباري ، وأَغْرَى به أمَّ المُسْتَنْصِر مَوْلاته ، فتحدَّثت مع ابنها الخَليفَة المُسْتَنْصِر في أَمْره حتى عَزَلَه عن الوَزارَة . فسَعَى أبو سَعْد عند أمِّ المُسْتَنْصِر لأبي نَصْرٍ صَدَقَة بن يوسُف الفَلاحي في الوَزارَة ، فاستوْزَرَه المُسْتَنْصِرُ ، وتولَّى أبو سَعْد الإشْرافَ عليه ، وصارَ الوَزيرُ الفَلاحي مُنْقادًا لأبي سَعْد تحت حُكْمِه .

وأَخَذَ الفَلاحِيُّ يعمل على ابن الأَنْباري ويُغْري به ، ويَضَعُ عليه ذُنوبًا [a]، ويذكر عنه ما يُوجِب الغَضَب عليه حتى تَمَّ له ما يُريد ، فقُبِضَ عليه ، وخرَّج عليه من الدَّواوين أمْوالًا كثيرة ممَّا كان يتولَّاه قَديمًا ، وأُلزمه بحَمْلها ، ونَوَّعَ له أصناف العَذاب ، واسْتَصْفَى أمواله وهو معتقل/ بخِزانَة ٤٢٥ البُنُود ، ثم قَتَلَه في يوم الاثنين الخامِس من المحرَّم سنة أربعين وأربع مائة بها [1].

فاتَّفَق أنَّ الفَلاحِيَّ لمَّا صُرِفَ عن الوَزارَة ، اعتُقِل بخِزانَة البُنُود حيث كان ابنُ الأَنْباري ثم قُتِلَ بها . وحُفِرَ له ليُدْفَن فظَهَرَ في الحَفْر رأسُ ابن الأَنْباري ، قبل أن يَمْضي فيه القَتْل ، فقال : لا إله إلَّا الله ، هذا رأسُ ابن الأَنْباري أنا قَتَلْته ودَفَنْته ههنا ، وأَنْشَد :

[الخفيف]

رُبَّ لَحْدٍ قد صارَ لَحْدًا مِرارًا ضاحِكًا من تَزاحُم الأَضْدادِ

فقُتِلَ ودُفِنَ في تلك الحُفْرَة مع ابن الأَنْباري ، فعُدَّ ذلك من غَرائِب الاتِّفاق [2].

ثم إنَّ خِزانَةَ البُنُود جُعِلَت مَنازِلَ للأَسْرَى من الفِرِنْج المأسورين من البلاد الشَّامية أيام كانت مُحارَبَةُ المسلمين لهم . فأَنْزَلَ بها الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون الأسارَى بعد حُضُوره من الكَرَك ، وأَبْطَل السِّجْن بها . فلم يزالوا فيها بأهاليهم وأوْلادهم في أيام السُّلْطان الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون . فصارَ لهم فيها أفعالٌ قبيحةٌ وأُمُورٌ منكرةٌ شَنيعَةٌ من التَّجاهُر ببَيْع الخَمْر ، والتَّظاهُر بالزِّنا واللِّياطَة ، وحِمايَة من يَدْخُل إليها من أرْباب الدُّيون وأَصْحَاب الجَرائِم وغيرهم ، فلا يَقْدِر أحَدٌ ـ ولو جَلَّ ـ على أَخْذ مَنْ صارَ إليهم واحتمى بهم والسُّلْطانُ يُغْضي عنهم لما يرى في ذلك من مُراعاة المَصْلَحَة ، والسِّياسَة التي اقتضاها الحالُ من مَهادَنَة مُلوك الفِرِنْج .

---

a) بولاق : ويصنع عليه ديونا .

---

[1] نقل المقريزي هذا الخبر في مسودة المواعظ ١٤٨- ١٤٩ من كتاب «تاريخ وزراء المصريين» لمن يدعى يحيى بن سعيد ، وهو مصدر غير معروف لنا .

[2] هذا النّصّ نسبه المقريزي في المسودة إلى ابن مُيَسَّر وهو موجود في أخبار مصر ٨- ٩؛ والبيت المذكور لأبي العلاء المعري .

وكان يَسْكُن بالقُرْب منها الأمير الحاج آل مَلِك الجُوكَنْدار[١]، ويَبْلُغه ما يفعله الفِرَنْجُ من العَظائِم الشَّنيعَة فلا يقدر على منعهم. وفَحُشَ أمرُهم، فرَفَعَ الخَبَرَ إلى السُّلْطان، وأكثر من شِكايتهم غير مَرَّة، والسُّلْطانُ يتغافَل عن ذلك إلى أن كَثُرَت مُفَاوضَةُ الحاج آل مَلِك للسُّلْطان في أمرهم، فقال له السُّلْطان: انتقل أنت عنهم يا أمير. فلم يَسَعه إلَّا الإعْراض عن ذلك جملةً، وعَمَّرَ دارَه التي بالحُسَيْنِيَّة والإسْطَبْل والجامِع المعروف بجامع آل مَلِك والحَمَّام والفُنْدقِ[٢]، وانتقل من دارِه التي كان فيها بجوار خِزانة البُنُود، وسَكَنَ بالحُسَيْنِيَّة إلى أن ماتَ السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِرُ في أُخْريات سنة إحدى وأربعين وسبع مائة.

وتَنَقَّل المُـلْك في أوْلاده إلى أن جَلَسَ الملكُ الصَّالِحُ عِمادُ الدِّين إسماعيل ابن الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون، وضَرَب شُورَى على مَنْ يكون نائِبَ السَّلْطَنَة[٣] بالدِّيار المصرية يُدَبِّر أحوال المملكة ـ كما كانت العادَةُ في ذلك مُدَّة الدولة التركية ـ فأُشير بتولية الأمير بَدْر الدِّين جَنْكَلي بن البابا[٤]، فتنصَّل من ذلك وأَبَى قبوله. فعُرِضَت النِّيابَةُ على الأمير الحاج آل مَلِك، فاسْتَبْشَر وقال: لي شُروطٌ أَشْرُطها على السُّلْطان، فإن أجابَنِي إليها فَعَلْت ما يَرْسِم به، وهي: ألَّا يُفْعَل شيءٌ في المملكة إلَّا برأيي، وأن يَمْنَع النَّاسَ من شُرْب الخَمْر، ويُقامُ مَنارُ الشَّرْع، ولا يُعْتَرض على أَمْرٍ من الأمور فأُجيب إلى ما سأل.

وأُحْضرت التَّشارِيفُ، فأُفيضَت عليه بالجامِع من قَلْعَة الجَبَل في يوم الجُمُعَة الثاني عشر من المحَرَّم سنة أربعٍ وأربعين وسبع مائة، وأصْبَحَ يوم السبت جالِسًا في دار النِّيابة من القَلْعَة، وحَكَمَ بين النَّاس. وأوَّل ما بدأ به أن أَمَرَ والي القاهِرَة بالنُّزول إلى خِزانَة البُنُود، وأن يَحْتاطَ على جَميع ما فيها من الخَمْر والفَواحِش، ويُخْرِج الأَسْرَىٰ منها، ويَهْدِمها حتى يجعلها دَكًّا ويُسَوّي بها الأرض. فنَزَلَ إليها ومعه الحاجِبُ في عِدَّةٍ وافِرَةٍ، وهَجَمُوا على مَنْ فيها وهم آمِنون، وأحاطُوا بسائِر ما تَشْتَمِل عليه ـ وقد اجْتَمَعَ من العامَّة والغَوْغاء ما لا يقع عليه حَصْرٌ ـ فأراقُوا منها خُمورًا كثيرة تتجاوَز الحَدَّ في الكثرة، وأُخْرج مَنْ كان فيها من النِّساء البَغَايا وغيرهن من

---

[١] انظر عنه فيما يلي ٢: ٣١٠- ٣١١.

[٢] انظر عنها فيما يلي ٢: ٣١٠.

[٣] عن نيابة السَّلْطَنَة انظر فيما يلي ٢: ٢١٥.

[٤] الأمير بدر الدين جَنْكَلي بن محمد بن البابا بن جَنْكَلي ابن خَليل بن عبد الله العجلي، المتوفى سنة ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م (الصفدي: أعيان العصر ١: ١٦٣- ١٦٦، الوافي ١١: ١٩٩- ٢٠١؛ المقريزي: المقفى الكبير ٣: ٧٥- ٧٧، السلوك ٢: ٨٧١؛ ابن حجر: الدرر الكامنة ٢: ٧٦، أبو المحاسن: المنهل ٥: ٢٢- ٢٥، النجوم ١٠: ١٤٣).

الشَّباب وأرْباب الفَساد، وقُبِضَ على الفِرِنْج والأَرْمَن، وهَدَمَها حتى لم يَبْق لها أَثَرٌ.

ونُودِيَ في النَّاس فحَكَروها، وبنوا فيها الدُّور والطَّواحين على ما هي عليه الآن، وأَمَرَ بالأَسْرَىٰ فأُنْزِلوا بالقُرْب من المَشْهَد النَّفِيسي بجوار كيمان مصر فهم هناك إلى الآن، وأَنْزَل مَنْ كان منهم أيضًا بقَلْعَة الجَبَل فأُسْكِنُوا معهم.

وطَهَّرَ الله تلك الأرض منهم، وأراحَ العِبادَ من شَرِّهم، فإنَّها كانت شَرَّ بُقْعَةٍ من بِقاعِ الأرض: يُباع فيها لَحْمُ الخِنْزير على الوَضْم كما يُباع لَحْمُ الضَّأْن، ويُعْصَر فيها من الخُمُور في كلِّ سنةٍ ما لا يستطيع أَحَدٌ حَصْره، حتى يُقال إنَّه كان يُعْصَر بها في كلِّ سنة اثنان وثلاثون ألف جَرَّة خَمْر، ويُباعُ فيها الخَمْرُ نحو اثني عشر رطلًا بدرهم، إلى غير ذلك من سَائِرِ أنْواع الفُسُوق[1].

دَارُ الفِطْـرَة

قال ابنُ الطُّوَيْر: دارُ الفِطْرَة خارِج القَصْر بناها العَزِيزُ بالله، وهو أوَّل من بناها، وقَرَّرَ فيها ما يُعْمل ممَّا يُحْمَل إلى النَّاس في العيد. وهي قُبالَة باب الدَّيْلَم من القصر الذي يُدْخَل منه إلى المَشْهَد الحُسَيْني.

ويكون مبدأُ الاستعمال فيها تَحْصِيلُ جميع أصنافِها من السُّكَّر والعَسَل والقُلوب والزَّعْفَران والطِّيب والدَّقيق، لاستقبال النِّصف الثاني من شهر رَجَب كلَّ سنةٍ لَيْلًا ونَهارًا، مِن الخُشْكَنانج[2] والبَسَنْدود، وأصناف الفانيد الذي يُقال له كَعْب/ الغَزال، والبَزْماوَرْد[3] ٤٢٦:أ

---

[1] قارن المقريزي: مسودة المواعظ ١٤٤-١٤٨ الذي أورد الخبر في روايتين واحدة منهما نقلًا عن كتاب «نزهة الناظر في سيرة السلطان الملك الناصر ومن وَلِيَ من أولاده» لعماد الدين موسى بن محمد بن يحيى اليوسفي عن نسخة بخط المؤلف من فصل عنوانه «ذكر نيابة الحاج آل ملك» وهو غير موجود في الجزء الذي وصل إلينا من الكتاب. وانظر المقريزي: السلوك ٢: ٦٤٠-٦٤١؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/١: ٤٩٩-٥٠٠ وفيما يلي ٢: ٣٦.

[2] الخُشْكنانج، ويرد أحيانًا الخشكنان. فارسي معرَّب، هو دقيق الحِنْطَة إذا عجن بشيرج (الجواليقي: المعرب ١٨٢). وصفة عمله أن يؤخذ الدقيق السميذ الفائق ويجعل على كل رطل ثلاثة أواقي شيرج ويُعْجَن عجنًا قويًّا ويترك حتى يختمر، ثم يُقَرَّص مستطيلًا ويجعل في وسط كل واحدة بمقدارها من اللوز والسكر المدقوق المعجون بماء الورد المطيب، وليكن اللوز مثل نصف السكر، ثم تجمع على العادة وتخبز في الفرن وترفع. (البغدادي: كتاب الطبيخ ٧٨).

[3] البَزْمـاوَرْد، ويقال له أيضًا الزُّماوَرْد. معرَّب، وهو الرُّقاق الملفوف باللحم (المعرب ٢٢١). وصفة عمله أن يؤخذ الشواء الحار الذي قد فتر وهجه ويُقَطَّع ويجعل عليه ورق النَّعْنَع ويسير من خَلٍّ وليمون مملوح ولبّ جَوْز ويُرَش عليه يسير ماء وَرْد ويُدَقّ بالساطور دقًّا نعيمًا، ولا يزال =

والمُفَسْتَق[a]، وهو شَوابير مِثال الصَّنج.

والمُسْتَخْدَمون يَرْفَعون ذلك إلى أماكِن وَسيعة مصونَة، فيحصل منه في الحاصِل شيءٌ عَظيمٌ هائلٌ بيد مائة صانِع: وللحَلاويين مقدَّم، وللخُشْكَنانيين آخَر. ثم يُنْدَب لها مائة فَرَّاش لحَمْل طَيافير التَّفْرِقَة على أرْباب الرُّسوم، خارِجًا عمَّن هو مُرَتَّب لخِدْمَتها من الفَرَّاشين الذين يَحْفَظون رُسومَها ومَواعِينها الحاصِلَة بالدَّائم، وعِدَّتهم خمسة.

فيحضر إليها الخَليفَةُ والوَزيرُ معه، ولا يَصْحَبُه في غيرها من الخَزائِن لأنَّها خارِج القصر وكلُّها للتَّفْرِقَة. فيَجْلِس على سَريره بها، ويَجْلِس الوَزيرُ على كُرسي مُلَيَّن[b] على عادَتِه في النصف الثاني من شهر رَمَضان، ويَدْخُل معه قَوْمٌ من الخَواصّ، ثم يُشاهِد ما فيها من تلك الحَواصِل المعمولة المعبَّأةِ مثل الجبال من كلِّ صِنْف، فيفرِّقها من رُبْع قِنْطار إلى عشرة أرطال إلى رَطْل واحِد وهو أقَلّها. ثم ينصرفُ الخَليفَةُ والوَزيرُ بعد أن يُنْعِم على مُسْتَخْدَميها بستين دينارًا.

ثم يُحْضَر إلى حاميها ومُشارِفها الأَدْعِيةُ المعمولة المُخَرَّجَة من «دَفْتَر المَجْلِس»، كلُّ دَعْوٍ لفَريقٍ فَريقٍ من خاصٍّ وغيره، حتى لا يبقى أحَدٌ من أرباب الرُّسوم إلَّا واسْمُه وارِدٌ في دَعْوٍ من تلك الأَدْعِية.

ويَنْدُبُ صاحِبُ الدِّيوان الكُتَّاب المسلَّمين في الدِّيوان، فيُسَيِّرهم إلى مُسْتَخْدميها، فيُسَلِّم كلُّ كاتِبٍ دَعْوًا أو دَعْوَيْن أو ثلاثة، على كثرة ما تحتويه وقلته، ويُؤْمَر بالتَّفْرِقَة من ذلك اليوم، فيُقَدِّمون أبدًا مائتي طَيْفور من العالي والوَسَط والدُّون، فيحملها الفَرَّاشون برِقاعٍ من كُتَّاب الأَدْعِيَة باسم صَاحِب ذلك الطَّيْفُور عَلا أو دَنا، وينزل اسم الفَرَّاش [c]أمام اسْمه[c] بالدَّعْو وعَريفه حتى لا يَضيع منها شيءٌ ولا يَخْتَلط.

ولا يزال الفَرَّاشُون يَخْرُجون بالطَّيافير مَلأَى ويدْخلون بها فارِغَة، فبمقدار ما تُحْمَل المائة الأولى عبئت المائة الثانية، فلا يَفْتُر ذلك طول التفرقة. فأَجَلُّ الطَّيافير ما عَدَدُ خُشْكَنانه مائة حَبَّة،

a) بولاق: الفستق. b) بجوارها في آياصوفيا: كذا. c-c) ساقطة من بولاق.

= يسقي خلًّا إلى أن يشربه جيدًا. ويؤخذ الخبز السميد الفائق المُلَبَّب فيخرج لُبابه ثم يُحْشَى من ذلك الشِّواء حَشْوًا جيدًا ويُقَطَّع بالسكين قطعًا متوسطة مستطيلة. ويؤخذ بركن فخار يبل بالماء وينشف ويرش فيه ماء ورد ثم يفرش فيه نعنع طري ويعبأ فيه بعضه فوق بعض ثم يغطى أيضًا بشيءٍ من النَّعْنَع ويُتْرَك ساعةً ويستعملُ ويؤكل أيضًا باتًا فيكون طيبًا (نفسه ٥٩).

ثم إلى سبعين وخمسين. ويكون على صاحِب المائة طَرْحَة فوق قَوَّارَته [١]، ثم إلى خمسين، ثم إلى ثلاث وثلاثين، ثم إلى خمس وعشرين، ثم إلى عشرين. ونسبة منثور كلّ واحِدٍ على عَدَد خُشْكَنانه. ثم العَبيدُ السُّودان بغير طَيافير، كلُّ طائِفَةٍ يتسلَّمه لها عُرَفاؤها في أفراد الخواصّ، لكلِّ طائِفَةٍ على مقدارها؛ الثلاثة الأفراد والخمسة والسبعة إلى العشرة. فلا يَزالُون كذلك إلى أن يَنْقَضي شهرُ رَمَضان، ولا يفوت أحَدًا شيءٌ من ذلك، ويتهاداه النَّاسُ في جَميع الإقليم.

قال: وما يُنْفَق في دار الفِطْرَة، فيما يُفَرّق على النَّاس منها، سبعة آلاف دينار [٢].

وقال ابنُ عبد الظَّاهِر: دارُ الفِطْرَة بالقاهِرَة قُبالَة مَشْهَد الإمام الحُسَيْن ـ عليه السَّلام ـ وهي الفُنْدُق الذي بناه الأميرُ سَيْفُ الدين بَهادُر الآن في سنة ستٍّ وخمسين وست مائة [٣]؛ أوَّلُ من رَتَّبها الإمامُ العَزيزُ بالله، وهو أوَّلُ من سَنَّها.

وكانت الفِطْرَةُ ـ قبل أن ينتقل الأَفْضَلُ إلى مصر ـ تُعْمَل بالإيوان وتفرَّق منه [٤]؛ وعندما تَحَوَّل إلى مصر نَقَلَ الدَّواوين من القصر إليها، واستجدَّ لها مَكانًا قُبالَة دار المُـلْك، إلَّا ديوانيِ[a] المُكاتَبات والإنْشَاء فإنَّهما كانا بقُرْب الدَّار، ويُتَوَصَّل إليهما من القاعَة الكبرى التي فيها جُلوسُه [٥].

ثم استجدَّ للفِطْرَة دارًا عُمِلَت بعد ذلك وَرَّاقَة، وهي الآن دارُ الأمير عِزّ الدِّين الأَفْرَم بمصر قُبالَة دار الوَكالَة [٦]، وعُمِلَت بها الفِطْرَة مُدَّةً، وفُرِّق منها إلَّا ما يَخُصّ الخَليفَة والجِهات والسَّيِّدات.

a) بولاق: بإيواني.

[١] قَوَّارة جـ. قَوَّارات. ما قُوِّر من الثوب وغيره، وما قطعت من جوانب الشيء (الفيروزأبادي: القاموس المحيط ٦٠٠). وكانت القَوَّارات تستخدم في تغطية الصواني، يقول ابن المأمون: كان يستعمل في الطراز للولائم التي تتخذ برسم تغطية الصواني عدَّة من عراضي ديبقي، ثم قوّارات شرب تكون من تحت العراضي على الصواني مفتح كل قوّارة منهن دون أربعة أشبار (فيما يلي ٥:٥٤٣).

[٢] ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٤٣– ١٤٦؛ المقريزي: مسودة المواعظ ١٧٣– ١٧٤؛ وقارن القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٥٢٥.

[٣] هذا تاريخ تدوين ابن عبد الظاهر لكتابه، ولم يفرد سواء ابن عبد الظاهر أو المقريزي هذا الفندق بحديث مستقل، وإنما أفرد المقريزي حديثًا لدار بهادر بجوار المشهد الحسيني التي يبدو أنها هي المقصودة (المقريزي: مسودة المواعظ ٣٩٨– ٤٠٠، وفيما يلي ٢:٦٧–٦٨).

[٤] أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ١٢٢.

[٥] انظر فيما يلي ٥٧٤، ٢: ٢٩١.

[٦] كانت هذه الدار في الفسطاط وقد اشتراها الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير مع دور أخرى وأخذ ما كان فيها من أنقاض ليبني الخانقاه المنسوبة إليه سنة ٧٠٦هـ=

والمُسْتَخْدمات والأُسْتاذين فإنَّه كان يُعْمَل بالإيوان على العادَة .

ولمَّا توفّي الأَفْضَلُ ، وعادَت الدَّواوينُ إلى مواضِعها ، أنْهَى خاصَّةُ الدَّوْلَة رَيْحان ـ وكان يتولَّى بَيْت المال ـ أنَّ المكانَ بالإيوان يَضيق بالفِطْرَة ، فأَمَرَه المَـأْمُون أن يجمع المهندسين ، ويقطع قِطْعَةً من إسْطَبْل الطَّارِمَة يَبْنيه دارَ الفِطْرَة . فأنشأ الدَّارَ المذكورة قُبالَة مَشْهَد الحُسَيْن ، والبابُ الذي بمَشْهَد الحُسَيْن يُعْرَف بباب الدَّيْلَم ، وصارَ يُعْمَل بها ما استجدَّ من رُسُوم المواليد والوُقودات .

وعُقِدَت لها جملتان : إحداهما وُجِدَت فسُطِرَت ، وهي عشرة آلاف دينار ، خارِجًا عن جَواري المستخدمين . والجُمْلَةُ الثانية فُصِّلَت فيها الأصنافُ ، وشَرْحُها : دَقيقٌ ألف حملة ، سُكَّر سبع مائة قِنطار ، قَلْب فُسْتُق ستة قَناطير ، قَلْب لَوْز ثمانية قَناطير ، قَلْب بُنْدُق أربعة قَناطير ، تَمْر أربع مائة أرْدَبّ ، زَبيب ثلاث مائة أردب ، خَلّ ثلاثة قَناطير ، عَسَل نَحْل خمسة عشر قِنطارًا ، شَيْرَج مائتا قِنطار ، حَطَب ألف ومائتا حملة ، سِمْسِم أردبَّان ، آنيسون أردبَّان ، زَيْت طَيِّب برَسْم الوقود ثلاثون قِنْطارًا ، ماء وَرْد خمسون رطلًا ، مِسْك خَمْس نَوافِج ، كافُور قَديم عشرة مَثاقيل ، زَعْفَران مطحون مائة وخمسون درهمًا . وبيد الوَكيل برَسْم المواعين والبيض والسَّقَّائين وغير ذلك من المُؤَن ، على ما يُحاسب به ، ويَرْفَع المخازيم [١] : خمس مائة دينار .

ووَجَدْتُ بخَطِّ ابن ساكِن قال : كان المُرَتَّبُ في دار الفِطْرَة ولها ما يُذْكَر ، وهو : زَيْتٌ طَيِّبٌ برَسْم القناديل خمسة عشر قنطارًا ، مَقاطِع سَكَنْدري برَسْم القَوَّارات ثلاث مائة مَقْطَع ، طَيافير جُدُد برَسْم السِّماط ثلاث مائة طَيْفور ، شَمْع برَسْم السِّماط وتوديع الأُمَراء ثلاثون قنطارًا ، أُجْرة الصُّنَّاع ثلاثة مائة دينار ، جاري الحامي مائة وعشرون دينارًا ، جاري العامِل والمُشارِف[a] مائة/ وثمانون دينارًا [٢] .

و[للمُشارف][b] شُقَّة دَبيقي بياض حَريري ، ومِنْديل دَبيقي كبير حَريري ، وشُقَّة سَقْلاطون أندلسي يلبسها قُدَّام الفِطْرَة يوم حملها ، [c]ليفرِّق طَيافير الفِطْرَة على الأُمَراء وأَرْباب الرُّسومات

a) ابن عبد الظاهر : المباشرين والعامل. b) إضافة من ابن عبد الظاهر. c-c) ساقطة من ابن عبد الظاهر.

=الواقعة الآن في شارع الجمالية تجاه الدرب الأصفر (فيما يلي ٢: ٤١٦).

[١] مخزومة جـ. مخازيم . نوعٌ من الدفاتر يُخرَق .

[٢] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٢٦–٢٨.

وعلى طَبَقات النَّاس، حتى تعمّ الكبير والصغير والضَّعيف والقويّ[c]. ويبدأ بها من أوَّل رَجَب إلى آخر شهر[a] رَمَضَان.

ذِكْرُ ما اخْتُصِر من صِفَة الطَّوافِير[b][1]: الأعْلَى منها طَيْفور [مُشَوَّر][c] فيه مائة حَبّة خُشْكَنانْج وزنها مائة رطل، وخَمْس عشرة قطعة حَلاوَة زنتها مائة رطل، سُكَّر سُلَيْماني وغيره عشرة أرطال، قُلُوبات ستة أرطال، بَسَنْدود عشرون حبّة، كَعْك وزَبيب وتَمْر قنطار، جملة الطَّيْفور ثلاثة قناطير وثُلْث [d]ويحمله عِدَّةُ فراشين[d] إلى ما دون ذلك، على قدر الطَّبقات، إلى عشر حبّات[2].

وقال ابنُ أبي طَيّ: وعَمِلَ المُعِزُّ لدين الله دارًا سَمَّاها دار الفِطْرَة. فكان يُعْمَل فيها من الخُشْكَنانْج والحَلْواء والبَسَنْدود والفانِيد والكَعْك والتَّمْر والبُنْدُق شيءٌ كثيرٌ من أوَّل رَجَب إلى نصف رَمَضان، فيفرِّق جَميعُ ذلك في جَميع الناس، الخاصّ والعامّ على قَدْر مَنازلهم في أوانٍ لا تُسْتَعاد. وكان قَبْل ليلة العيد يفرِّق على الأُمَرَاء الخُيُول بالمراكب الذَّهَب والخِلَع النَّفيسة والطِّراز الذَّهَب، والثِّياب بِرَسْم النساء[3].

المَشْهَدُ الحُسَيْنيّ

قال الفاضِلُ محمد بن عليّ بن يُوسُف بن مُيَسَّر: وفي شَعْبان ـ سنة إحدى وتسعين وأربع مائة ـ خَرَجَ الأَفْضَلُ ابن أَمير الجُيُوش بعَساكِر جَمَّة إلى بيت المَقْدِس، وبه سَكْمَان[e] وإيلغازي ابنا أُرْتُق في جَماعَةٍ من أقاربهما ورجالهما وعَساكِر كثيرة من الأتراك، فراسَلَهُما الأَفْضَلُ يَلْتَمس منهما تَسْليم القُدْس إليه بغير حَرْب، فلم يُجيباه لذلك، فقاتَل أهْلَ[a] البَلَد، ونَصَب عليها المَجانِيق وهَدَم منها جانبًا، فلم يجدا بُدًّا من الإذْعان له وسَلَّماه إليه، فخَلَعَ عليهما وأَطْلَقَهما[4]. وعادَ في

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: ما اختص من صفة الطيافير؛ المسودة: من وصف. c) إضافة من ابن عبد الظاهر. d-d) ساقطة من بولاق. e) في النسخ: سكان.

[1] عن الطيفور جـ. الطوافير، الطيافير، انظر فيما تقدم ٣٢٨.

[2] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٢٩؛ المقريزي: مسودة المواعظ ١٧٢.

[3] المقريزي: مسودة المواعظ ١٧٤-١٧٥ وأضاف هنا: قول ابن أبي طيّ مخالف لما قاله ابن الطوير وابن عبد الظاهر وهما أعلم منه بأخبار المصريين، وكل أهل بلد أعلم بأخباره.

[4] ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ١٣٥؛ ابن الأثير: الكامل ١٠:٢٨٢-٢٨٤، ٢٨٦؛ ابن خلكان: وفيات=

عَساكِرِه وقد مَلَكَ القُدْس ، فَدَخَلَ عَسْقَلان ، وكان بها مكانٌ دارِسٌ فيه رأسُ الحُسَيْنِ بن عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ فأَخْرَجَه وعَطَّرَه ، وحَمَلَه في سَفَطٍ[1] إلى أجَلِّ دارٍ بها ، وعَمَّرَ المَشْهَدَ ، فلمَّا تكامَلَ حَمَلَ الأَفْضَلُ الرَّأْسَ الشَّريف على صَدْره ، وسَعَى به ماشِيًا إلى أن أحَلَّه في مقرّه .

وقيل إنَّ المَشْهَدَ الذي بعَسْقَلان بناه أميرُ الجُيوش بَدْرُ الجَمالي ، وكَمَّلَه ابنُه الأَفْضَل[2].

وكان حَمْلُ الرأس إلى القاهِرَة من عَسْقَلان ووصُوله إليها في يوم الأحد ثامِن جُمادَى الآخرة سنة ثمانٍ وأربعين وخمس مائة . وكان الذي وَصَلَ بالرَّأْس من عَسْقَلان الأمير سَيْفُ المملكة تَميم واليها كان ، والقاضي المُؤْتَمَن ابن مِسْكين مُشارِفُها . وحَصَلَ في القصر يوم الثلاثاء العاشِر من جُمادَى الآخرة المذكور[3].

= الأعيان ١ : ١٩١؛ النويري : نهاية الأرب ٢٨: ٢٤٦–٢٤٧.

وعن الأُرْتُقيين والأمير إيلغازي راجع ، ابن العديم ، زبدة الحلب ٢: ١٨٠–١٩٨؛ Cahen, Cl., *EI*[2] art. *Artukides* I, pp. 683-88; Sussheim, K., *EI*[2] art. *Ilghâzî* III, p. 1146.

[1] سَفَط جـ أسْفاط . محركة كالجُوالق أو كالقُفَّة (الفيروزأبادي : القاموس المحيط ٨٦٥) .

[2] هذه الرواية التي شَكَّ فيها ابن مُيَسَّر – هي الرواية الصحيحة ، فتوجد على منبر جامع عَسْقَلان – الموجود الآن في مدينة الخليل – كتابتان تاريخيتان تؤكدان أن أمير الجيوش بدر الجمالي هو الذي بنى مشهد عَسْقَلان سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م في خلافة المستنصر بالله (راجع van Berchem, M., «La chaire de la mosquée d'Hébron», *Festschrift Eduard Sachau zum siebzigsten Geburtstage gewidmet Freunden und Schülern*, Berlin 1915, p. 131; Jaussen, J.-A., «Inscriptions coufiques de la chaire du martyr al-Husayn à Hébron», *Revue Biblique* (1923), pp. 575-95; Wiet, G., «Notes d'épigraphie syro-musulmanes», *Syria* V (1924), pp. 216-28; id., *RCEA* VII n° 2790-91; Grabar, O., *Ars Orientalis* VI (1966), pp. 29-30 n°55؛ وفيما يلي نص إحدى الكتابتين وهي ستة أسطر من الخط الكوفي المزهر الدقيق بحرف بارز على الخشب :

«بسم الله الرَّحْمٰن الرَّحيم ﴿نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ لعبد الله ووَلِيِّه معدّ أبي تميم الإمام المُسْتَنْصِر بالله أمير المؤمنين صَلوات الله عليه وعلى آبائه الطَّاهِرين وأبنائه البَرَرَة الأَكْرَمين صَلاةً باقيةً إلى يوم الدين . مِمَّا أَمَرَ بعَمل هذا المِنْبَر فَتاه السَّيِّد الأجلّ أميرُ الجُيُوش سَيْفُ الإسْلام ناصِرُ الإمام كافِلُ قُضَاة المسلمين وهادي دُعاة المؤمنين أبو النَّجْم بَدْر المُسْتَنْصِري عضَّد الله به الدِّين وأمْتَع بطُول بقائِه أمير المؤمنين وأدامَ قُدْرَتَه وأعلى كَلِمَتَه للمَشْهَد الشَّريف بثَغْر عَسْقَلان مَسْجِد مَوْلانا أمير المؤمنين أبي عبد الله الحُسَيْن بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهما في شُهور سنة أَرْبَع وثمانين وأربع مائة» .

وجاء في النص الثاني :

« .... وتقدَّم بإنْشاء هذا المِنْبَر بِرَسْم المَشْهَد الشَّريف الذي أنشأه ودَفَن فيه هذا الرأس في أشْرَف محلة ..... وأَنْفَقَ على جَميع ذلك من فَضْل ما أتاه الله من حُرِّ ماله وخالِص ما مَلَكَه .... وكان إنشاءُ هذا المِنْبَر في سنة أربع وثمانين وأربع مائة» .

[3] ابن ميسر : أخبار مصر ٦٥–٦٦؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣: ٢٢ والمقفى الكبير ٣: ٦١٥ ، ومسودة المواعظ =

تابوت المَشْهَد الحسيني (قبل سنة ٥٧٨هـ/١١٨٣م)

محفوظ في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة

ويُذْكَر أنَّ هذا الرَّأْس الشَّريف لمَّا أُخْرِجَ من المَشْهَد بعَسْقَلان، وُجِدَ دمُه لم يجفّ، وله ريحٌ كريح المِسْك؛ فقَدِمَ به الأستاذ مَكْنُون في عُشاري من عُشارِيَّات الخِدْمَة، وأُنزل به إلى الكافوري، ثم حُمِلَ في السِّرْداب إلى قَصْر الزُّمُرُّد، ثم دُفِنَ عند قُبَّة الدَّيْلَم بباب دِهْليز الخِدْمَة [1].

فكان كلُّ من يدخل الخِدْمَة يُقَبِّل الأرض أمام القَبْر، وكانوا يَنْحَرون في يوم عاشُوراء عند القَبْر الإبِل والبَقَر والغَنَم، ويكثرون النَّوْح والبُكاء، ويَسُبُّون من قَتَل الحُسَيْن. ولم يزالوا على ذلك حتى زالَت دولَتُهم.

وقال ابنُ عبد الظَّاهِر: مَشْهَدُ الإمام الحُسَيْن ـ صلواتُ الله عليه وسَلامُه[a] ـ قد ذَكَرْنا أنَّ طَلائِعَ بن رُزِّيك المنعوت بالصَّالِح، كان قد قَصَدَ نَقْل الرأس الشَّريفة من عَسْقَلان لمَّا خافَ عليها من الفِرِنْج، وبَنَى جامِعَه خارج باب زَوِيلَة ليدفنه به ويَفُوزُ بهذا الفَخَار. فغَلَبَه أهلُ القصر على ذلك وقالوا: لا يكون ذلك إلَّا عندنا، فعَمَدَوا إلى هذا المكان وبَنَوه له ونَقَلُوا الرُّخامَ إليه، وذلك في خِلافَة الفائِز على يد طَلائِع في سنة تسعٍ وأربعين وخمس مائة [2].

وسَمِعْتُ من يَحْكي حكايةً يُسْتَدَلّ بها على بعض شَرَفِ هذه الرأس المباركة[b]، وهي أنَّ السُّلْطانَ الملكَ النَّاصِرَ ـ رحمه الله ـ لمَّا أَخَذَ هذا القصر، وُشِيَ إليه بخادِمٍ له قَدْرٌ في الدولة المصرية ـ وكان زِمامَ القصر ـ وقيل إنَّه يَعْرِف الأموال التي بالقصر والدَّفائن، فأُخِذَ وسُئِل، فلم

---

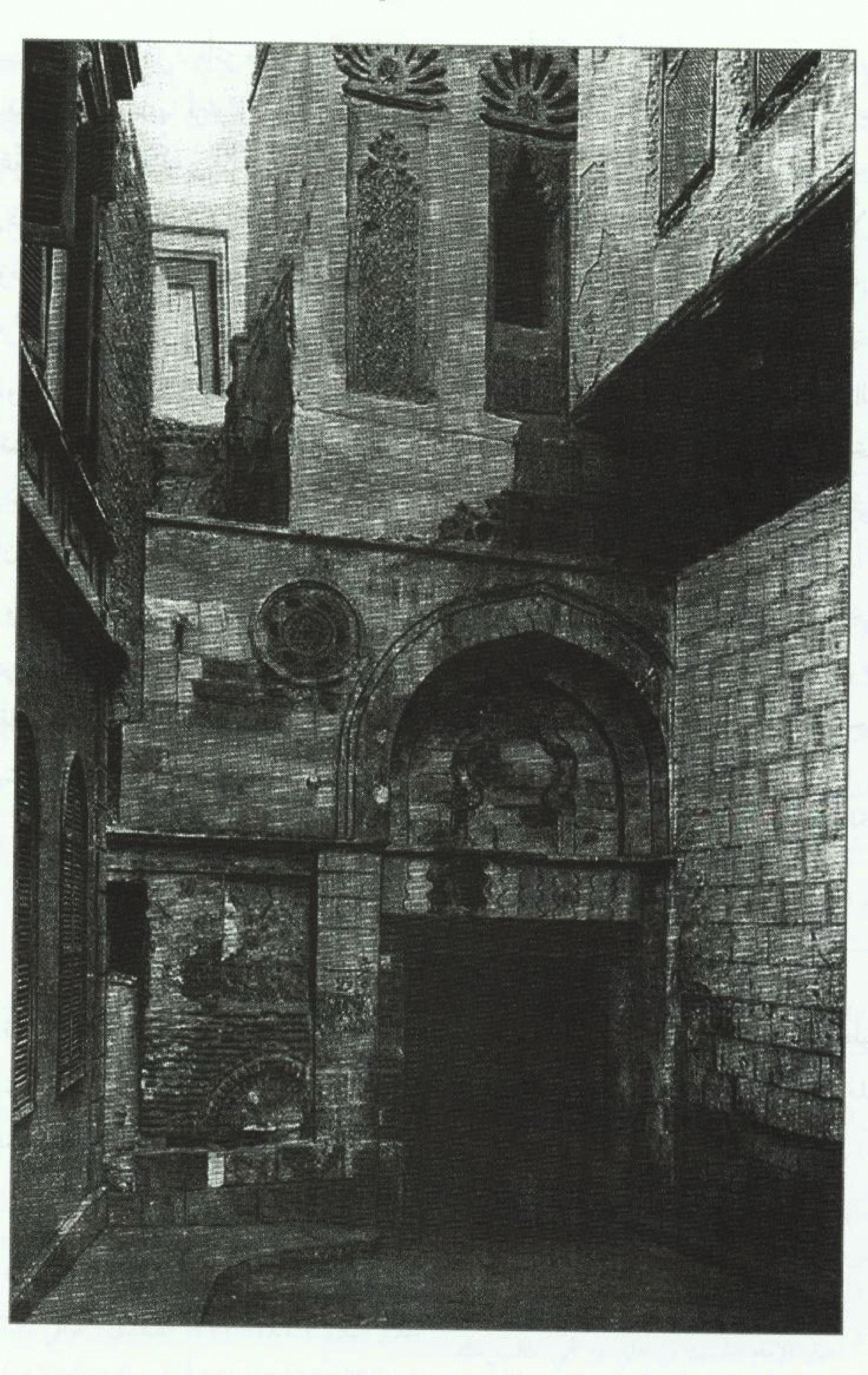
a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: هذا الرأس الكريم المبارك.

= ٣١٠-٣١١، وقارن القلقشندي: صبح الأعشى ٣:٣٤٧، ٣٦٣، ١١:٢٦٤-٢٦٨؛ حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ١:٧٦-٨٣؛ De Smet, D., «La *translation* du Ra's al-Husayn au Caire fatimide», *Egypt and Syria in Fatimid, Ayyubide and Mamluk Eras*, Leuven 1999, II, pp. 29-44.

[1] Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 276-78.

[2] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٣٠، ٧٤-٧٥؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٣١٢.

وأنكر ابن فضل الله العمري وصول رأس الحسين إلى مصر وقال: «والأغلب أنه لم يتجاوز دمشق لأنه إنما حمل إلى يزيد بن معاوية، وكانت دمشق دار ملكه وملك بني أمية. ومن المحال أن يتجاوز الرأس المحمول إلى السلطان لغير حضرته. وله بدمشق مشهدٌ معروف داخل باب الفراديس وفي خارجه مكان الرأس، على ما ذكروا. وقد جاء في أخبار الدولة العباسية أنهم حملوا أعظُم الحسين ورأسه إلى المدينة النبوية حتى دفنوه بقبر أخيه الحسن. والمدى بعيد بين مقتل الحسين ومبنى مشهد عسقلان (مسالك الأبصار ١:٢١٩-٢٢٠).



البابُ الأَخْضَر الذي حَلّ محل باب الدَّيْلَم
والمُؤَدِّي إلى المشهد الحسيني

يُجب بشيءٍ وتجاهَل . فأَمَرَ صَلاحُ الدِّين نُوَّابَه بتَعْذيبه ، فأَخَذَه مُتَوَلِّي العُقُوبة ، وجَعَلَ على رأسه خَنافِس ، وشدَّ عليها قُرْمُزِيَّة ـ وقيل إنَّ هذه أشَدّ العُقوبات ، وأنَّ الإنسان لا يَطيق الصَّبْرَ عليها ساعَةً إلَّا تَنْقِب دماغَه وتَقْتُله ـ ففُعِلَ ذلك به مِرارًا وهو لا يتأوَّه ، وتُوجَد الخَنافِسُ مَيِّتَة ؛ فعَجِبَ من ذلك وأحضره ، وقال : هذا سِرٌّ فيك ، ولابد أن تُعَرِّفني به . فقال : والله ما سَبَبُ هذا إلَّا أنّي لمَّا وَصَلَت رأسُ الإمام الحُسَيْن حَمَلْتُها ؛ قال : وأيُّ سَبَبٍ[a] أعْظَم من هذا ! وراجَع في شأنه ، فعَفَا عنه [1].

ولمَّا مَلَكَ السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِرُ جَعَلَ به حَلْقَة تدريس وفُقَهاء ، وفَوَّضَها للفقيه البَهاء الدِّمَشْقي ، وكان يجلس للتَّدْريس عند المِحْراب الذي الضَّريح خَلْفَه . فلمَّا وَزَرَ مُعينُ الدِّين حَسَن ابن شَيْخ/ الشُّيوخ بن حَمَوَيه ، ورُدَّ إليه أمْرُ هذا المَشْهَد بعد إخوته ، جَمَعَ من أوْقافِه ما بَنَى به ٨:١
إيوان التَّدْريس الآن وبُيوت الفُقَهاء العُلْوية خاصَّةً .

واحْتَرَقَ هذا المَشْهَدُ في الأيام الصَّالِحِيَّة في سنة بضع وأربعين وستّ مائة ، وكان الأميرُ جَمالُ الدين بن يَغْمور نائبًا عن الملك الصَّالِح في القاهِرَة . وسببُه أنَّ أحَدَ خُزَّان الشَّمْع دَخَل ليأخذ شيئًا فسَقَطَت منه شُعْلَةٌ ، فوَقَفَ الأميرُ جَمالُ الدِّين المذكور بنفسه حتى طفِئ . وأنشدته حينئذٍ فَقُلْتُ :

[الكامل]

قالوا تَعَصَّبَ للحُسَيْنِ ولم يَزَل — بالنَّفْس للهَوْل المَخُوف مُعَرِّضَا
حتَّى انْضَوَى ضَوْءُ الحريق وأُصبح الـ — ـمُسَوَّد من تلك المَخاوِف أبْيَضَا
أَرْضَى الإلـه بِمـا أَتَـى فـكـأنَّـه — بين الأنامِ بفِعْلِه مُوسَىٰ الرِّضَا [2]

قالَ : ولحَفَظَة الآثار وأصْحاب الحَديث ونَقَلَة الأخْبار ما إذا طُولِع وُقِف منه على المَسْطور ، وعُلِمَ منه ما هو غير المَشْهور . وإنَّما هذه البَرَكات مُشاهَدَةٌ مرئيَّةٌ ، وهي بصِحَّة الدَّعْوَىٰ مليَّة ، والعَمَل بالنيَّة [3].

---

a) بولاق : سر .

---

[1] ابن عبد الظاهر : الروضة ٣٠- ٣١؛ المقريزي : المسودة ٣١٢- ٣١٣، المقفى الكبير ٣: ٦١٥- ٦١٦.

[2] نفسه ٣١- ٣٢؛ نفسه ٣١٣.

[3] المقريزي : مسودة المواعظ ٣١٣ ، ولم ترد هذه الفقرة عند ابن عبد الظاهر وهي دليل على اعتماد المقريزي على نسخة مخالفة من كتاب ابن عبد الظاهر مثل مواضع أخرى=

وقال في كِتاب «الدُّرّ النَّظيم في أوْصاف القاضي الفاضِل عبد الرَّحيم»[1]: ومن جُمْلَة مَبانيه: المَيضأة قَريب مَشْهَد الإمام الحُسَيْن بالقاهِرَة والمَسْجِد والسَّاقِية، ووَقَفَ عليها أراضي قَريب الخَنْدَق ظاهِر القاهِرَة، ووَقْفُها دارٌّ جارٍ، والانتفاع بهذه المثوبة عظيم. ولمَّا هُدِمَ المكانُ الذي بُني موضعه مِئْذَنَة، وُجِدَ فيه شيءٌ من طِلَّسْم لم يُعْلَم لأي شيءٍ هو، فيه اسم الظَّاهِر بن الحاكِم واسم أُمِّه رَصَد[2].

خَبَرُ الحُسَين ـ هو الحُسَيْن بن عليّ بن أبي طالب ـ واسمه عَبْد مَناف ـ بن عبد المُطَّلِب بن هاشِم بن عبد مَناف بن قُصَيّ، أبو عبد الله، وأُمُّه فاطِمَة الزَّهْراء ابنة[a] رَسُول الله ﷺ[3]. وُلِدَ لخمسٍ خَلَوْن من شَعْبان سنة أربعٍ، وقيل سنة ثلاثٍ، وعَقَّ عنه رَسُولُ الله ﷺ يوم سابعه بكَبْشٍ، وحَلَقَ رَأْسَه وأَمَرَ أن يُتَصَدَّق بزنته فِضَّة، وقال: «أَروني ابني، ما سَمَّيْتُموه؟». فقال عليُّ ابن أبي طالِب: حَرْبًا. فقال: «بل هو حُسَيْنٌ».

وكان أَشْبَه النَّاس بالنَّبيّ ﷺ ما كان أَسْفَل من صَدْرِه، وكان فاضِلًا دَيِّنًا، كَثيرَ الصَّوْم والصَّلاة والحَجّ[4]. وقُتِلَ يوم الجُمُعَة، لعَشْرٍ خَلَوْن من المحرَّم يوم عاشُوراء سنة إحدى وستين من الهجرة، بموضِعٍ يُقالُ له «كَرْبَلاء» من أرض العِراق بناحية الكُوفَة، ويُعْرَف المَوْضِع أيضًا بالطَّفّ، قَتَلَه سِنان بن أَنَس النَّخعي[b]، وقيل قَتَلَه رَجُلٌ من مَذْحِج، وقيل: قَتَلَه شَمِر بن ذي الجَوْشَن وكان أَبْرَص، وأَجْهَزَ عليه خَوْليّ بن يزيد الأَصْبَحي من حِمْيَر حَزَّ رأسَه وأَتَى به[c] عُبيد الله بن زِياد وقال:

---

a) بولاق: بنت. b) بولاق: اليحصبي. c) ساقطة من بولاق.

= من الكتاب.

[1] كتاب «الدُّرّ النَّظيم في أوصاف [في تقريظ] القاضي الفاضل عبد الرحيم»، نشره أحمد أحمد بدوي في القاهرة، وصدر عن مكتبة نهضة مصر سنة ١٩٥٩.

[2] لم أجد هذا النَّص فيما وصل إلينا من الكتاب.

[3] أخبار الإمام الحسين بن عليّ بن أبي طالب سَيِّد الشُّهداء، كثيرة في كتب التاريخ، وأكتفي هنا بالإشارة إلى أهمها وما كان منها مصدرًا للمقريزي، فقد أفرد المقريزي ترجمةً مطوَّلةً للإمام الحسين في كتاب المقفى الكبير ٣:٥٦٧- ٦١٨، اعتمد فيها على ما ذكره ابن عبد البَرّ في الاستيعاب ١: ٣٩٢، ويحيى بن معين في التاريخ، والمسعودي: مروج الذهب ٣:٢٤٨- ٢٥٩؛ وانظر كذلك أبا الفرج الأصفهاني: الأغاني ١٦:١٣٧-١٧٤ ومقاتل الطالبيين ٧٨- ٧٩، ٩٥- ١٢٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣:٢٨٠- ٣٢١؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٢:٤٢٣- ٤٢٩؛ Veccia Vaglieri, L., *EI*[2] art. *al-Husayn b*ʿ*Alī* III, pp. 632.

[4] المقريزي: المقفى الكبير ٣:٥٦٨- ٥٦٩.

[الرجز]

أُوَقِّر رِكابي فِضَّةً وذَهَبَا ... إنّي قَتَلْتُ المَلِكَ المحَجَّبا
قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاس أُمًّا وأَبًا ... وخَيْرَهم إذ يُنْسَبون نَسَبَا

وقيل قَتَلَه عُمَر[a] بن سَعْد بن أبي وَقَّاص، وكان الأميرَ على الخَيل التي أَخْرَجَها عبيد الله بن زِياد إلى قَتْل الحُسَيْن، وأَمَّرَ عليهم عُمَر[a] بن سَعْد، ووَعَدَه أن يُوَلِّيه الرَّيّ إن ظَفِرَ بالحُسَيْن وقَتَلَه[1].

وقال ابنُ عَبَّاس - رضي الله عنهما -: رأيتُ النَّبِيَّ ﷺ فيما يَرَى النَّائِمُ نِصْفَ النَّهار، وهو قائِمٌ أَشْعَثَ أَغْبَرَ بيده قارورَة فيها دَمٌ، فقلت: بأَبِي أنت وأُمّي ما هذا؟ قال: «هذا دَمُ الحُسَيْن لم أَزَل أَلْتَقِطُه منذ اليوم». فوُجِدَ[b] قد قُتِلَ في ذلك اليوم[2].

وهذا البَيْتُ زَعَمُوا قَديمًا لا يُدْرَى قائِلُه:

[الوافر]

أَتَرجُو أُمَّةٌ قَتَلَت حُسَيْنًا ... شَفاعَةَ جَدِّه يَوْمَ الحِسابِ؟!

وقُتِلَ مع الحُسَيْن سَبْعَة عَشَر رَجُلًا، كلُّهم من وَلَدِ فاطِمَة، وقيل قُتِلَ معه من أَهْل بيته وإخْوَته ثلاثة وعشرون رجلًا.

وكان سَبَبُ قَتْله أنَّه لمَّا مات مُعاويَة بن أبي سُفْيان - رضي الله عنه - [c]وأفْضَت الإمارَةُ إلى ابنه يزيد بن مُعاوية[c] في سنة ستين، وَرَدَت بَيْعَتُه[d] على الوَليد بن عُقْبَة بالمَدينَة ليأخُذ البَيْعَة على أهلها. فأرسل إلى الحُسَيْن بن عليّ وإلى عبد الله بن الزُّبَيْر ليلًا، فأَتَى بهما فقال: بايِعا. فقالا: مِثْلُنا لا يُبايع سِرًّا، ولكِنَّا نُبايِعُ على رُءوس النَّاس إذا أَصْبَحْنا.

فَرَجَعَا إلى بيوتهما وخَرَجَا من ليلهما إلى مَكَّة، وذلك ليلة الأحد لليلتين بقيتا من رَجَب. فأقامَ الحُسَيْن بمَكَّة شَعْبان ورَمَضَان وشَوَّالًا وذا القِعْدَة، وخَرَجَ يوم التَّرْوِيَة يُريد الكُوفَة بكُتُب أَهْل العِراق إليه.

فلمَّا بَلَغَ عبيدَ الله بن زِياد مَسيرُ الحُسَيْن من مَكَّة، بَعَثَ الحُصَيْن بن تَميم التَّميمي صاحِب شُرْطَته، فنَزَلَ القادِسِيَّة ونَظَمَ الخَيْل ما بينهما وبين جَبَل لَعْلَع. فبَلَغَ الحُسَيْن الحاجِز له عن البلاد،

---

a) بولاق: عمرو. b) بولاق: فوجدته. c-c) ساقطة من بولاق. d) بولاق: بيعة اليزيد.

---

[1] المقريزي: المقفى الكبير ٣: ٥٩١، ٥٩٢- ٥٩٣. [2] نفسه ٥٩١:٧- ٥٩٢.

فكَتَبَ إلى أهل الكُوفَة يُعَرِّفهم بقُدومه مع قَيْس بن مُسْهِرَ ، فظَفِرَ به الحُصَيْنُ ، وبَعَثَ به إلى ابن زِياد فقَتَلَه .

وأَقْبَلَ الحُسَيْنُ يَسير نحو الكُوفَة ، فأتاه خَبَرُ قَتْل مُسْلم بن عَقيل وخَبَرُ قَتْل أُخيه من الرَّضاعَة ، فقامَ حتى أَعْلَمَ النَّاسَ بذلك ، وقال : قد خَذَلَنا شِيعَتُنا ، فمن أَحَبَّ أن يَنْصَرِف فلْيَنْصَرِف ، فليس عليه ذِمامٌ مِنَّا ، فتفرَّقُوا حتَّى بقي في أصحابه الذين / جاءُوا معه من مَكَّة ، وسارَ فأَدْرَكَتْه الخَيْلُ ، ٤٢٩ وهم ألف فارِس مع الحُرّ بن يزيد التَّميمي ، ونَزَلَ الحُسَيْنُ فوقَفُوا تجاهَه وذلك في نَحْر الظهيرة ، فسَقَى الحُسَيْنُ الخَيْل .

وحَضَرَت صَلاةُ الظُّهْر فأَذَّن مُؤَذِّنُه ، وخَرَجَ فحَمِد الله وأَثْنَى عليه ، ثم قال : أَيُّها النَّاسُ إنَّها مَعْذِرَةٌ إلى الله وإليكم ، إنِّي لم آتِكم حتى أَتَتْني كُتُبُكُم ورُسُلُكُم : أن أَقْدِم علينا فليس لنا إمامٌ لعلَّ الله أن يَجْمَعَنا بك على الهُدَى . وقد جِئْتُكم فإن تُعْطوني ما أَطْمَئِنّ إليه من عُهُودِكم أَقْدِم مِصْرَكم ، وإن لم تَفْعَلوا وكنتم لِمَقْدَمي كارِهين انْصَرَفْت عنكم إلى المكان الذي أقبلتُ منه ، فسَكَتُوا ؛ وقال للمُؤَذِّن : أَقِم ، فأقامَ ؛ وقال الحُسَيْنُ للحُرّ : أتُريد أن تُصَلِّي أنت بأصْحابِك ؟ قال : بل صَلِّ أنت ونُصَلِّي بصَلاتِك ؛ فصَلَّى بهم ، ودَخَلَ فاجتمع إليه أصحابُه ، وانصرف الحُرُّ إلى مكانه .

ثم صَلَّى بهم العَصْر ، واستقبلهم فحَمِد الله وأَثْنَى عليه ، وقال : يا أَيُّها النَّاس إنَّكم إن تَتَّقُوا الله وتَعْرِفوا الحَقّ لأهله يكن أَرْضَى لله ؛ ونحن أَهْلَ البَيْت أَوْلَى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المُدَّعين ما ليس لهم ، السَّائِرين فيكم بالجَوْر والعُدْوان ، فإن أنتم كَرِهْتُمونا وجَهِلْتُم حَقَّنا وكان رأيُكم غير ما أَتَتْني به كُتُبُكُم ورُسُلُكُم[a]، انْصَرَفْتُ عنكم . فقال الحُرُّ : إنَّا والله ما نَدْري ما هذه الكُتُب والرُّسُل التي تَذْكُر ؛ فأَخْرَج خُرْجَيْنِ مَمْلوءَيْن صُحُفًا فنَشَرَها بين أيديهم ؛ فقال الحُرُّ : إنَّا لَسْنا من هؤلاء الذين كَتَبُوا إليك ، وقد أُمِرْنا إذا نحن لَقِيناك أَلَّا نُفارِقَك حتى نُقْدِمك الكُوفَة على عُبيد الله بن زِياد . فقال الحُسَيْنُ : المَوْتُ أَدْنَى إليك من ذلك . ثم أَمَرَ أصحابَه ليَنْصَرِفوا فرَكِبُوا ، فمَنَعَهم الحُرُّ من ذلك ، فقال له الحُسَيْنُ : ثَكِلَتْك أُمُّك ، ما تُريد ؟ فقال له : والله لو كان غيرك من العَرَب يقولها ما تَرَكْتُ ذِكْر أُمِّه بالثُّكْل كائِنًا من كان ، والله ما لي إلى ذِكْر أُمِّك من سَبيل إلَّا بأَحْسَن ما نَقْدِر عليه ؛ فقال له الحُسَيْنُ : ما تُريد ؟ قال : أُريد أن أَنْطَلِق بك إلى ابن زِياد .

وتَزايَدَ[b] الكلامُ ، فقال الحُرُّ : إنِّي لم أُومَر بقِتالِك ، إنَّما أُمِرتُ أن لا أُفارِقَك حتى أُقْدِمَك[c]

---

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق وليدن : وتراد . c) بولاق وليدن : أدخلك .

الكُوفَة ، فخُذ طَريقًا لا تُدْخِلُك الكوفَة ولا تزول إلى المَدينَة حتى أكتب إلى ابن زِياد ، وتَكْتُب أنت إلى يَزيد أو إلى ابن زِياد ، فلعلَّ الله أن يأتي بأَمْرٍ يَرْزُقُني فيه العافِيَة من أن أُبْتَلى بشيءٍ من أمْرك . فتياسَر عن طَريق العُذَيْب والقادِسِيَّة ، والحُرّ يُسارُه .

فلمَّا كان يومُ الجُمُعَة الثالث من المحرَّم سنة إحدى وستين ، قَدِمَ عُمَر[a] بن سَعْد بن أبي وَقَّاص من الكُوفَة في أربعة آلاف ، وبَعَثَ إلى الحُسَيْنِ رَسُولًا يسأله : ما الذي جاءَ به ؟ فقال : كَتَبَ إليّ أَهْلُ مِصْركم هذا أن أَقْدَمَ عليهم ، فإذا كَرِهوني فأنا أَنْصَرِف عنهم .

فكَتَبَ عُمَر[a] إلى ابن زياد يُعَرِّفه ذلك ، فكَتَبَ إليه أن يَعْرِضَ على الحُسَيْنِ بَيْعَة يَزيد ، فإن فَعَلَ رأينا فيه رَأْيَنا ، وإلّا تَمْنَعه ومَنْ معه الماءَ .

فأَرْسَلَ عُمَر[a] بن سَعْد خمس مائة فارِسٍ ، فنَزَلوا على الشَّريعَة وحالوا بين الحُسَيْنِ وبين الماء ، وذلك قبل قَتْله بثلاثة أيام ، ونادَى مُنادٍ : يا حُسَيْنُ ألا تَنْظُر إلى[b] الماءِ ، لا تَرَوْن[c] منه قَطْرَةً حتى تَمُوت عَطَشًا !

ثم الْتَقى الحُسَيْنُ بعُمَر[d] بن سَعْد مِرارًا ؛ فكَتَبَ عُمَر[a] بن سَعْد إلى عبيد الله بن زِياد :

«أمَّا بَعْدُ ، فإنَّ الله قد أَطْفَأَ النَّائِرَة وجَمَعَ الكَلِمَة . وقد أَعْطاني الحُسَيْنُ أن يَرْجِع إلى المكان الذي أَتَى منه ، أو أن نُسَيِّره إلى أيّ ثَغْرٍ من الثُّغُور شِئْنا[e]، أو أن يأتي يَزيدُ أميرُ المؤمنين فيَضَع يدَه في يده ، وفي هذا لكُم رِضًى وللأُمَّة صَلاح» .

فقال ابنُ زِياد لشَمِر بن ذي الجَوْشَن : اخْرُج بهذا الكِتاب إلى عُمَر[a]، فليعرض على الحُسَيْنِ وأَصْحابه النُّزُولَ على حُكْمي ، فإن فَعَلُوا فليَبْعَث بهم ، وإن أَبَوْا فليُقَاتِلهم . فإن فَعَلَ فاسْمَع له وأَطِع ، وإن أَبَى فأنت الأميرُ عليه وعلى النَّاس ، واضْرِب عُنُقَه وابْعَث إليّ برأسه ؛ وكَتَبَ إلى عُمَر[a] بن سَعْد :

«أمَّا بَعْدُ ، فإنّي لم أَبْعَثْك إلى حُسَيْنٍ لتَكُفَّ عنه ولا لتُمَنِّيه ولا لتُطاوله ولا لتَقْعُد له عندي شافِعًا . انْظُر فإن نَزَلَ حُسَيْنٌ وأصحابُه على الحكم

a) بولاق : عمرو. b) ساقطة من بولاق. c) بولاق : لا ترى. d) بولاق : بعمرو. e) بولاق : شاء.

[1] العُذَيْب . ماءٌ بين القادسية والمغثية بينه وبين القادسية أربعة أميال (ياقوت : معجم البلدان ٤ : ٩٢) .

واسْتَسْلَموا ، فابْعَث بهم إليّ سُلْمًا ، وإن أَبَوا فازْحَف إليهم حتى تَقْتُلهم وتُمَثِّل بهم ، فإنَّهم لذلك مُستَحِقُّون ، فإن قُتِلَ حُسَينْ فأوْطئ الخَيْلَ صَدْرَه وظَهْرَه ، فإنَّه عاقٌّ شاقٌّ قاطِعٌ ظَلوم . فإن أنت مَضَيْتَ لأمرنا جَزَيْناك جَزاءَ السَّامِع المُطيع ، وإن أنت أَبَيْتَ فاعْتَزِل جُنْدَنا ، وخَلّ بين شَمِر وبين العَسْكَر . والسَّلام» .

فلمَّا أتاهُ الكِتابُ رَكِبِ والنَّاسُ معه بعد العَصْر، فأرْسَلَ إليهم الحُسَيْن : ما لكُم ؟ فقالوا : جاءَ أَمْرُ الأمير بكذا ؛ فاسْتَمْهَلَهم إلى غُدْوَة .

فلمَّا أمْسَوا قامَ الحُسَيْنُ ومَنْ معه الليلَ كلَّه يُصَلُّون ويَسْتَغْفِرون ويَدْعون ويَتَضَرَّعون . فلمَّا صَلَّى عُمَر[a] بن سَعْد الغَداة يوم السبت ـ وقيل يوم الجُمُعَة يوم عاشُوراء ـ خَرَجَ فيمن معه . وعَبَّأَ الحُسَيْنُ أصحابَه ـ وكان معه اثنان وثلاثون فارِسًا وأربعون راجِلًا ـ ورَكِبَ ومعه مُصْحَفٌ بين يديه وَضَعَه أمامَه ، واقْتَتَل أَصْحابُه بين يديه .

وأَخَذَ عُمر[a] بن سَعْد سَهْمًا فرَمَى به وقال : اشْهَدُوا أنّي أوَّل من رَمَى النَّاس . وحَمَلَ أَصْحابُه فَصَرَعُوا رِجالًا ، وأحَاطُوا بالحُسَيْنْ من كلِّ جانِبٍ ، وهم يُقاتِلون قِتالًا شَديدًا حتى انْتَصَفَ النَّهارُ، ولا يقدرون يأْتُونَهم إلّا من وَجْهٍ واحِد . وحَمَل شَمِر حتى بَلَغَ فُسْطاط الحُسَيْنْ .

وحَضَر وَقْتُ الصَّلاة فسأل الحُسَيْنُ أن يَكُفُّوا عن القِتال حتى يُصَلّي ، ففَعَلوا . ثم اقْتَتَلوا بعد الظهر أَشَدَّ قِتالٍ ، ووَصَلَ إلى الحُسَيْنْ وقد صُرِعَت أصحابُه ، ومَكَثَ طَويلًا ، /من النَّهار كُلَّما ٤٣٠ انتهى إليه رَجُلٌ من النَّاس رَجَع عنه وكَرِهَ أن يَتَوَلَّى قَتْلَه .

فأَقْدَمَ[b] عليه رَجُلٌ من كِنْدَة يُقالُ له مَالِك ، فضَرَبَه على رأسِه بالسَّيف قَطَع البُرْنُس وأَدْماه ، فأَخَذَ الحُسَيْنُ دَمَه بيده فصَبَّه في الأرض ، ثم قال : «اللّهم إن كنت حَبَسْتَ عَنَّا النَّصْرَ من السَّماء ، فاجْعَل ذلك لما هو خَيْرٌ ، وانْتَقِم من هؤلاء الظَّالِمين» .

واشْتَدَّ عَطَشُه فدَنَا ليَشْرَب ، فرَماه حُصَيْنُ بن تَميم بسَهْمٍ فوَقَع في فَمِه ، فتَلَقَّى الدَّم بيده ورَمَى به إلى السَّماء ، ثم قال بعد حَمْد الله والثَّناء عليه : « اللّهم إنّي أشْكُو إليك ما يُصْنَعُ بابن بنت نَبِيِّك ؛ اللّهم أَحْصِهم عَدَدًا ، واقْتُلْهم بَدَدًا ، ولا تُبْقِ منهم أحدًا » .

---

a) بولاق : عمرو . b) بولاق : فأقبل .

فأقْبَل شَمِرُ في نحو عشرة إلى منزل الحُسَيْن ، وحالوا بينه وبين رَحْله ، وأقْدَمَ عليه وهو يحمل عليهم وقد بقي في ثلاثة ، ومَكَثَ طَويلًا من النَّهار ، ولو شاءُوا أن يَقْتُلوه لقَتَلُوه ، ولكنَّهم كان يَتَّقي بعضُهم ببعض ، ويُحِبّ هؤلاء أن يَكْفيهم هؤلاء . فنادَى شَمِر في النَّاس : وَيْحَكُم ما تنتظرون بالرَّجُل ؟ اقْتُلوه ثَكِلَتْكُم أُمّهاتكُم[a] . فحَمَلوا عليه من كلِّ جانِب ، فضَرَبَ زُرْعَة بن شَرِيك التَّميمي كَفَّه الأيسر ، وضَرَبَ عاتِقَه وهو يقوم ويَكْبو . فحَمَل عليه في تلك الحال سِنان ابن أنَس النَّخَعي فطَعَنه بالرُّمْح فوَقَعَ ، وقال لخَوْلي بن يزيد الأصْبَحي : احْتَزّ رأسَه ، فأُرْعِد وضَعُفَ [1] .

فنَزَلَ إليه[b] وذَبَحه ، وأخَذَ رأسَه فدَفَعَه إلى خَوْلي ، وسَلَبَ الحُسَيْنَ ما كان عليه حتى سَراويلَه ، ومالَ النَّاسُ فانْتَهَبوا ثِقَلَه ومَتاعَه وما على النِّساء . ووُجِدَ بالحُسَيْنِ ثلاثٌ وثلاثون طَعْنَة وأرْبَعٌ وأربعون ضَرْبَة . ثُمَّ[c] نادَى عُمَر[d] بن سَعْد في أصحابه : مَنْ يُنْتَدَبُ للحُسَيْنِ فيُوطئه فَرَسَه ؟ فانْتَدَب عشرة فداسوا الحُسَيْنَ بخُيولهم حتى رَضُّوا ظَهْرَه وصَدْرَه .

وكان عِدَّةُ من قُتِلَ معه اثنين وسبعين رجلًا ، ومن أصحاب عُمَر[d] بن سَعْد ثمانية وثمانين رجلًا غير الجَرْحَى .

ودَفَن أَهْلُ الغاضِرِيَّة من بني أسَد الحُسَيْنَ بعد قَتْله بيوم [2] ، وبعد أن أَخَذَ عُمَر[d] بن سَعْد رأسه ورءوس أصحابه ، وبَعَثَ بها إلى ابن زِياد ، فأحْضَر الرءوس بين يَدَيْه ، وجَعَلَ يَنْكِث بقَضيبٍ ثَنايا الحُسَيْنِ وزَيْدُ بن أرْقَم حاضِرٌ .

وأقَام ابنُ سَعْد بعد قَتْل الحُسَيْنِ يومين ، ثم رَحَلَ إلى الكُوفَة ومعه بَناتُ[e] الحُسَيْنِ وأخَواتِه ومَنْ كان معه من الصِّبْيان ،وعليّ بن الحُسَيْنِ مَريض ، فأدْخَلَهم على زِياد . ولمَّا مَرَّت زَيْنَبُ بالحُسَيْنِ صَريعًا صاحَت : يا مُحَمَّداه هذا حُسَيْنٌ بالعَراء مُزَمَّلٌ بالدِّماء مُقَطَّعُ الأعْضاءِ ، يا مُحَمَّد بناتُك سَبايا وذُرِّيتُك مُقَتَّلَة ! فأبْكَت كُلَّ عَدُوٍّ وصَديق .

وطِيفَ برأْس الحُسَيْنِ في الكُوفَة[f] على خَشَبَةٍ ، ثم أرْسَلَ بها إلى يَزيد بن مُعاوية ، وأرْسَل

---

a) بولاق : أمكم . b) بولاق : عليه . c) بولاق : و . d) بولاق : عمرو . e) بولاق : ثياب . f) بولاق : وطيف برأسه بالكوفة .

---

[1] قارن مع المسعودي : مروج الذهب ٣ : ٢٥٨ .
[2] المسعودي : مروج الذهب ٣ : ٢٥٩ .

النِّساء والصِّبْيان وفي عُنُقِ عليّ بن الحُسَيْن ويديه الغل، وحُمِلُوا على الأقْتاب.

فدخَلَ بعضُ بني أُمَيَّة على يَزِيد، فقال: أَبْشِر يا أميرَ المؤمنينَ، فقد أَمْكَنَكَ اللهُ من عَدُوِّ الله وعَدُوِّك، قد قُتِلَ ووُجِّه برأسه إليك. فلم يَلْبَث إلَّا أيَّامًا حتى جِيءَ برأس الحُسَيْن، فوُضِعَ بين يدَيْ يَزِيد في طَسْت، فأمَرَ الغُلام فرفَعَ الثَّوْب الذي كان عليه، فحين رآه خَمَّر وَجْهَه بكُمِّه كأنَّه يشَمّ منه رائِحة، وقال: الحَمْدُ لله الذي كفانا المُؤْنَة بغَيْر مُؤْنَة ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [الآية ٦٤ سورة المائدة].

قالت رَيَّا حاضِنَةُ يَزِيد: فدَنَوْتُ منه فنَظَرْتُ إليه وبه رَدْغٌ من حِنَّاء. والذي أَذْهَب نفسه، وهو قادِرٌ على أن يَغْفِرَ له، لقد رأيتُه يَقْرَع ثَنَاياه بقَضيبٍ في يده، ويقول أبياتًا من شِعْر ابن الزِّبَعْرَى.

ومَكَثَ الرأسُ مَصْلوبًا بدِمَشْق ثلاثة أيام ثم أُنْزِلَ في خَزائِن السِّلاح حتى وَلِيَ سُلَيْمانُ بن عبد الملك المُلْك فبَعَثَ إليه، فجيء به وقد نَحَلَ وبقي عَظْمًا أبيض، فجَعَلَه في سَفَط وَطيَّبه، وجَعَلَ عليه ثَوْبًا، ودَفَنه في مَقابِر المسلمين. فلمَّا وَلِيَ عُمَر بن عبد العَزيز، بَعَثَ إلى خازِن بَيْت السِّلاح: أن وَجِّه إليَّ برأس الحُسَيْن بن عليّ، فكَتَبَ إليه أنَّ سُلَيْمانَ أَخَذَه وجعَلَه في سَفَط، وصَلَّى عليه ودَفَنَه. فلمَّا دَخَلَت المُسَوِّدَةُ سألوا عن مَوْضِع الرأس[a]، فنَبَشوه وأخَذُوه. والله أعْلَم ما صُنِعَ به.

وقال السُّنْدي[b]: لمَّا قُتِلَ الحُسَيْن بن عليّ بَكَت السَّماءُ عليه، وبُكاؤها حُمْرَتُها. وعن عَطَاء في قَوْله تعالى: ﴿فَمَا بَكَت عَلَيْهِم السَّمَاءُ والأَرْضُ﴾ [الآية ٢٩ سورة الدخان] قال: بُكاؤُها حُمْرَةُ أَطْرافِها. وعن عليّ بنِ مُسْهِر، قال: حَدَّثَتْني جَدَّتي قالت: كنت أيَّام الحُسَيْن جارِيَةً شابَّةً، فكانت السَّماءُ أيَّامًا كأنَّها عَلَقَة. وعن الزُّهْري: بَلَغَني أنَّه لم يُقْلَب حَجَرٌ من أحْجار بيت المَقْدِس يوم قُتِلَ الحُسَيْن إلَّا وُجِدَ تحته دم عَبيط.

ويُقال إنَّ الدُّنْيا أَظْلَمَت يوم قُتِلَ ثَلاثًا، ولم يَمَسّ أحَدٌ من زَعْفرانِهم شيئًا فجعله على وَجْهِه إلَّا احترق. وأنَّهم أصابوا إبِلًا في عسكر الحُسَيْن يوم قُتِلَ، فنَحَروها وطَبَخوها فصارَت مثل العَلْقَم، فما استطاعوا أن يُسيغوا منها شيئًا. ورُوِي أنَّ السَّماءَ أَمْطَرَت دَمًا، فأصْبَحَ كلُّ شيءٍ لهم ملآن دَمًا.

ما كان يُعْمَل في يَوْم عاشُوراء ـ [c]أوَّلُ من تَظَاهَرَ بالحُزْن في يوم عاشُوراء من الملوك مُعِزّ الدَّولة أحمد بن بُوَيْه، وذلك أنَّه أَمَرَ في عاشِر المحرَّم من سنة اثنتين وخمسين وثلاث مائة أن يُغْلِق النَّاس

---

a) بولاق: الرأس الكريمة الشريفة. b) بولاق وليدن: السري. c-c) هذه الفقرة ساقطة من بولاق وليدن.

ببغداد الحوانيت ويُظْهِروا النِّياحة وتَخْرُج النِّساءُ مُنْتشرات الشعور مسوِّدات الوجوه وقد شَقَقْن ثيابهنّ وهنّ يلطمنْ وينحن على الحُسين، ففَعَلَ النَّاسُ ذلك وما قَدَر أحدٌ على إنكاره. ومن حينئذٍ تناقل الناسُ هذا الفعل وعُمِل بمصر[c].

قال ابنُ زُولاق في كِتاب: «سِيرَة المُعِزّ لدين الله»: في يوم عاشُوراء سنة ثلاثٍ وستين وثلاث مائة، انْصَرَفَ خَلْقٌ من الشِّيعَة وأشياعِهم إلى المَشْهَدَين قَبْر كُلْثُم[a] ونَفِيسَة، ومعهم جَماعَةٌ من فُرسان المغاربة ورجالِهم بالنِّياحة والبُكاء على الحُسَيْن ـ عليه السَّلامُ ـ وكَسَرُوا أواني السَّقَّائين في الأسْواق، وشَقَّقوا الرَّوايا، وسَبُّوا من يُنْفِق في هذا/ اليوم، ونزلوا حتى بَلَغُوا مَسْجِدَ الرِّيح، وثارَت عليهم جَماعَةٌ من رَعِيَّة أسْفَلَ. فَخَرَجَ أبو محمد الحُسَيْنُ بن عَمَّار ـ وكان يسكُن هناك في دار محمَّد بن أبي بكر ـ وأغلق الدَّرْبَ وَمنَعَ الفريقين، ورَجَعَ الجَميعُ، فحَسُن مَوْقعُ ذلك عند المُعِزّ. ولولا ذلك لعَظُمتِ الفِتْنَةُ؛ لأنَّ النَّاسَ قد غلَّقوا الدَّكاكين وأبواب الدور، وعَطَّلوا الأسْواق [1].

وإنَّما قويت أنْفُسُ الشِّيعَة بكَوْن المُعِزّ بمصر، وقد كانت مصرُ لا تَخْلُو[b] في أيام الإخْشيدية والكافورية من الفِتَن[c] في يوم عاشُوراء عند قَبْر كُلْثُم[a] وقَبْر نَفيسَة. وكان سُودانُ كافور[d] يتعصَّبون على الشِّيعَة، ويتعلَّق السُّودان في الطُّرُقات[e] بالنَّاس ويقولون للرجل: من خالُك؟ فإن قال مُعاوية أكْرَموه، وإن سَكَت لقي المكروه، وأُخِذَت ثيابه وما معه ـ حتى كان كافورُ قد وَكَّلَ بالصَّحْراء، ومَنَع النَّاس من الخُروج [2].

وقال المُسَبِّحيُّ: وفي يوم عاشُوراء ـ يعني من سنة ستٍّ وتسعين وثلاث مائة ـ جَرَى الأمْرُ فيه على ما يجري كلَّ سنةٍ من تَعْطيل الأسْواق وخُروج المُنْشدين إلى جامِع القاهِرَة، ونُزُولهم مُجْتَمعين بالنَّوْح والنَّشيد.

ثم جَمَعَ بعد هذا اليوم قاضي القُضَاة عبد العَزيز بن النُّعْمان سائِر المُنْشِدين الذين يتكسَّبون بالنَّوْح والنَّشيد، وقال لهم: لا تُلْزموا النَّاسَ أخْذَ شيءٍ منهم إذا وَقَفْتُم على حَوانيتهم، ولا تُؤْذوهم، ولا تتكسَّبوا بالنَّوْح والنَّشيد، ومن أرادَ ذلك فعليه بالصَّحْراء.

---

a) بولاق: كلثوم. b) بولاق: لا تخلو منهم. c) من الفتن ساقطة من بولاق وليدن. d) بولاق وليدن: السودان وكافور. e) آياصوفيا: الطرق.

---

[1] المقريزي: اتعاظ الحنفا ١: ١٤٥ - ١٤٦؛ ابن ميسر: أخبار مصر ١٦٤. [2] نفسه ١: ١٤٦.

ثم اجْتَمَع بعد ذلك طائِفَةٌ منهم يوم الجُمُعَة في الجامِع العَتِيق بعد الصَّلاة وأنشدوا، وخَرَجُوا على الشَّارِع بجَمْعهم وسَبُّوا السَّلَف. فقَبَضوا على رَجُلٍ، ونُودي عليه: هذا جَزاءُ من سَبَّ عائِشة وزَوْجها ﷺ. (aفاجتمع الرّعاعُ والغَوْغاءُ معه وسَبُّوا السَّلَفa) وقُدِّم الرجلُ بعد النِّداء وضُرِبَ عنقُه[١].

وقال ابنُ المَأْمُون: وفي يوم عاشُوراء ـ يعني من سنة خمس عشرة وخمس مائة ـ عُبِّئَ السِّماطُ بمَجْلِس العَطايا من دار المُلْك بمصر ـ التي كان يسكُنها الأفْضَل ابن أمير الجُيُوش ـ وهوالسِّماط المختصّ بعاشُوراء، وهو يُعَبَّأُ في غير المكان الجاري به العادَة في الأعياد، ولا يُعْمَل مُدَوَّرَة خَشَب بل سُفْرَة كبيرة من أدَم، والسِّماطُ يعلوها من غير مَرافِع نُحاس، وجميع الزُّبادي أجْبان وسَلائقb) ومخلَّلات وجميع الخبز من شَعير.

وخَرَجَ الأفْضَلُ من باب فَرْد الكُمّ، وجَلَسَ على بِساط صُوف من غير مِشْوَرَة[٢]، واستفتح المُقْرِئون، واسْتُدْعيتc) الأشْرَافُ على طَبقاتهم، وحُمِلَ السِّماطُ لهم. وقد عُمِلَ في الصَّحْن الأوّل الذي بين يدي الأفْضَل إلى آخِر السِّماط عَدَسٌ أسود، ثم بعده عَدَسٌ مُصَفًّى إلى آخر السِّماط، ثم رُفِعَ وقُدِّمت صُحونٌ جميعها عَسَلٌ نَحْل[٣].

ولمَّا كان يوم عاشُورَاء ـ يعني من سنة ستّ عشرة وخمس مائة ـ جَلَسَ الخَلِيفَةُ الآمِرُ بأحْكام الله على بابِ الباذْهنج ـ يعني من القصر ـ بعد قتل الأفْضَل وعَوْد الأسْمِطَة إلى القصر، على كُرْسي جَريد بغير مخدَّة، متلثِّمًا هو وجميع حاشيته، فسَلَّم عليه الوَزيرُ المأمون وجميعُ الأُمَراءُ الكبار والصِّغار بالقَرامِيز[٤]، وأذِنَ للقاضِي والداعي والأشْرَاف والأُمَراء بالسَّلام عليه، وهم بغير مَنادِيل ـ (dيعني عَمائِمd) ـ ملثَّمون حُفاة.

وعُبِّئَ السِّماطُ في غير موضعه المعتاد، وجَميعُ ما عليه خُبْز الشَّعير والحواضِر على ما كان في الأيام الأفْضَلِيَّة. وتقدَّم إلى والي مصر والقاهِرَة بألَّا يمكِّنا أحَدًا من جَمْع ولا قِراءَة مَصْرَع الحُسَيْن. وخَرَجَ

---

a-a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: سلائط. c) بولاق: واستدعي. d-d) ساقطة من بولاق وليدن.

---

[١] المسبحي: نصوص ضائعة ٢٣؛ المقريزي: اتعاظ ٢: ٦٧.

[٢] حاشية بخط المؤلّف: «المِشْوَر والمِشْورة – بكسر الميم – مُتَّكأٌ من أدَم، وهي التي يقالُ لها في زمننا المُدَوَّرة».

[٣] ابن المأمون: أخبار مصر ١٥.

[٤] القِرْمِز جـ. قرامِيز. صبغٌ أرمني يكون من عصارة دود (القاموس المحيط).

الرَّسْمُ المطلق للمتصدِّرين والقُرّاء الخاصّ والوُعّاظ والشُّعَراء وغيرهم على ما جَرَت به عادَتُهم[1].

قال : وفي لَيْلَة عاشُوَراء ـ من سنة سبع عشرة وخمس مائة ـ اعتمد الأَجَلُّ الوَزير المَـأْمون الوَزير[a] على السُّنَّة الأَفْضَلِيّة من المُضِيّ فيها إلى التُّرْبَة الجُيوشية ، وحُضور جميع المتصدِّرين والوُعّاظ وقُرّاء القرآن إلى آخر الليل ، وعَوْده إلى داره . واعتمد في صَبيحَة الليلة المذكورة مثل ذلك ، وجَلَسَ الخَليفَةُ على الأرض متلثِّمًا بزيّ[b] الحُزْن ، وحَضَرَ مَنْ شَرُف بالسَّلام عليه والجُـلُوس على السِّماط بما جَرَت به العادَة[2].

قال ابنُ الطُّوَيْر : إذا كان اليومُ العاشِر من المحرَّم احْتَجَب الخَليفَةُ عن النّاس ، فإذا عَلَا النَّهارُ رَكِبَ قاضي القُضاة والشُّهود وقد غَيَّروا زِيَّهم ـ فيكونون كما هم اليوم ـ ثم صاروا إلى المَشْهَد الحُسَيْني ـ وكان قبل ذلك يُعْمَل في الجامِع الأَزْهَر ـ فإذا جَلَسُوا فيه ومَنْ معهم من قُرّاء الحَضْرَة والمتصدِّرين في الجَوامِع ، جاءَ الوَزيرُ فجَلَسَ صَدْرًا ، والقاضي والدّاعي من جانبيه ، والقُرّاءُ يقرأون نَوْبَةً بنَوْبَة ، ويُنْشِد قومٌ من الشُّعراء غير شُعَراء الخَليفَة شعرًا يَرْثُون به أهل البيت عليهم السَّلام . فإن كان الوَزيرُ رافِضِيًّا تغالَوْا ، وإن كان سُنِّيًّا اقْتَصَدُوا[3]. ولا يزالون كذلك إلى أن تَمْضي ثلاثُ ساعات ، فيُسْتَدْعَوْن إلى القصر بنُقَباء الرَّسائل ، فيَرْكَب الوَزيرُ وهو بمِنْديل صغير إلى داره ، ويَدْخُل قاضي القُضاة والدّاعي ومن معهما إلى باب الذَّهَب فيجدون الدَّهاليزَ قد فُرِشَت مَساطِبُها بالحُصْر بَدَل البُسُط ، ويُنْصَب في الأماكِن الخالية من المصاطِب دِكَك لتَلْحَق بالمَساطِب وتُفْرَش[c]، ويجدون صَاحِب الباب جالِسًا هناك فيجلس القاضي والدّاعي إلى جانبه ، والنّاسُ على اختلاف طَبَقاتهم ، فيَقْرأ القُرّاءُ ويُنْشد المُنْشِدُون أيضًا ، [d]ثم يُفْرَش وَسَطُ القاعَة بالحُصْر المقلوبة ليس على وُجُوهها وإنّما تخالف مقاربتها[d] ، ثم يُفْرَش عليها « سِماطُ الحُزْن » مقدار ألف زبدية من العَدَس والملوحات والمخلَّلات والأجْبان والألْبان السّاذجة والأعْسال النَّحْل والفَطير والخُبْز المغيَّر لونُه بالقَصْد . فإذا قَرُبَ الظُّهْرُ وَقَفَ صاحِبُ الباب وصاحِبُ المائِدَة ، وأدْخَلا[e]/ النّاس للأكل منه . فيدخُل القاضي والدّاعي ، ويجلس صاحِبُ الباب نِيابَةً عن الوَزير ، ٤٣٢:١

a) ساقطة من بولاق وليدن . b) بولاق وليدن : يرى به . c) بولاق : لتفرش . d-d) ساقطة من بولاق وليدن . e) بولاق وليدن : أدخل .

[1] ابن المأمون : أخبار مصر ٣٥.

[2] نفسه ٥٩.

[3] حدثَ هذا التميز منذ أن ولي الوزارة الوزير السني رضوان بن وَلَخْشي سنة ٥٣١هـ.

والمذكوران إلى جانبيه [a]، وفي النَّاس من لا يَدْخل، ولا يُلْزَم أحَدٌ بذلك. فإذا فَرَغَ القَوْمُ انفصلوا إلى أماكِنِهم رُكْبانًا بذلك الزّيّ الذي ظَهَروا فيه، وطافَ النُّوَّاحُ بالقاهِرَة ذلك اليوم، وأَغْلَق البَيَّاعون حَوانيتَهم إلى جَواز العَصْر، فيَفْتَح النَّاسُ بعد ذلك ويتصرَّفون [1].

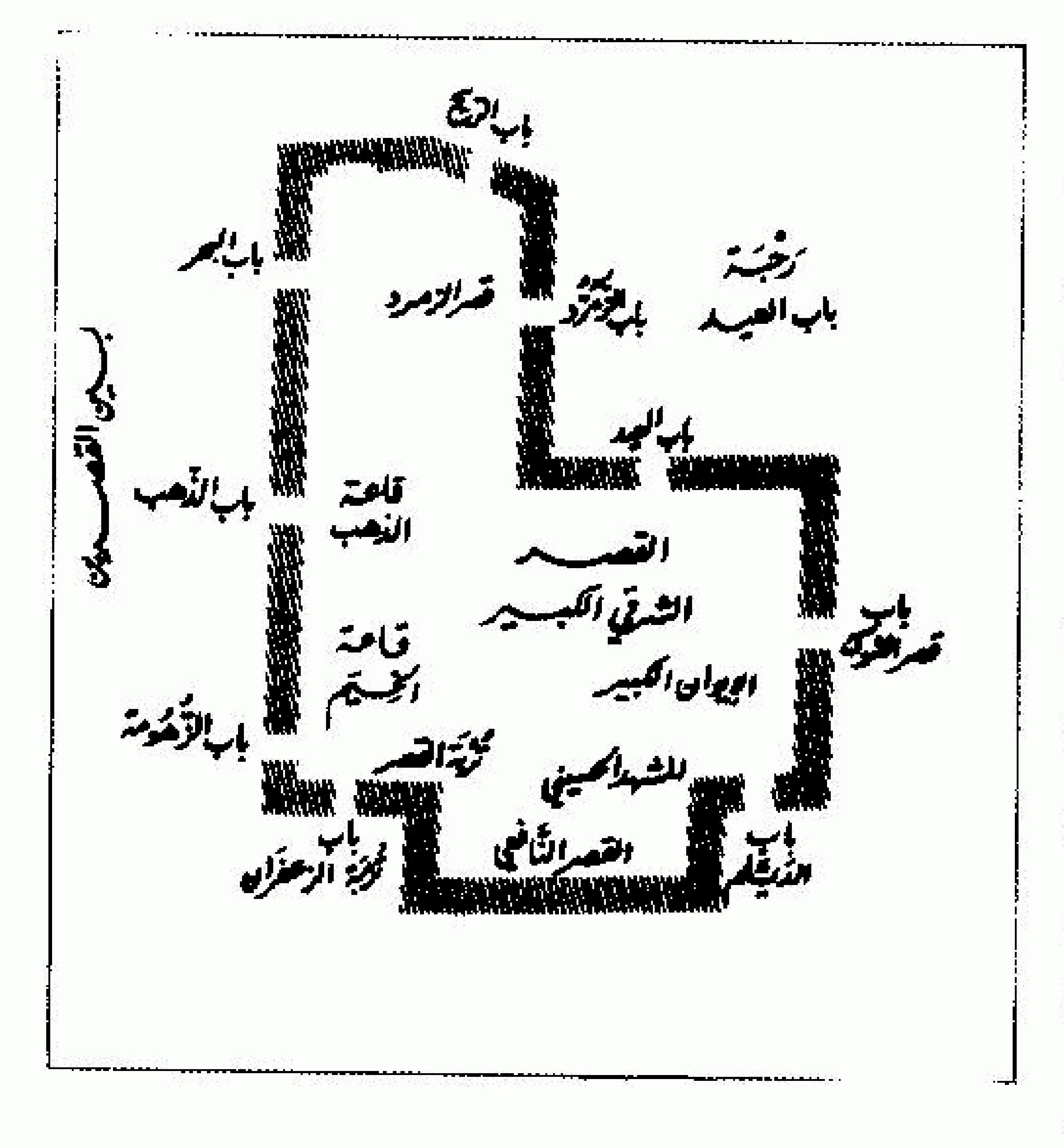
ذِكْرُ أبْوابُ القَصْرِ الكَبيرِ الشَّرْقي

وكان لهذا القَصْر الكَبير الشَّرْقي تِسْعَةُ أَبْواب: أكبرُها وأجلُّها بابُ الذَّهَب، ثم بابُ البَحْر، ثم بابُ الرِّيح، ثم بابُ الزُّمُرُّد، ثم بابُ العِيد، ثم بابُ قَصْر الشَّوْك، ثم بابُ الدَّيْلَم، ثم بابُ تُرْبَة الزَّعْفَران، ثم بابُ الزُّهُومَة [2].

بابُ الذَّهَب

وهو بابُ القصر الذي تَدْخُل منه العَساكِرُ وجَميعُ أهل الدولة، في يومي الاثنين والخميس، للمَوْكِب المقدَّم ذكره بقاعَة الذَّهَب [3].

قال ابنُ أبي طَيّ عن المُعِزّ لدين الله: إنَّه لمَّا خَرَجَ من بلاد المغرب أخرج أمْوالًا كانت له ببلاد المغرب، وأمَرَ بسَبْكِها أرْحِيَةً كأرْحِيَة الطَّواحين، وأمَرَ بها حين دَخَلَ إلى مصر فأُلْقيت على باب قصره، وهي التي كان النَّاسُ يسمُّونَها الحَشَرات. ولم تَزَل على باب القَصْر



أبوابُ القَصْر الفاطِمي الكَبير

a) بولاق وليدن: جانبه.

[1] ابن الطوير: نزهة المقلتين ٢٢٣ – ٢٢٤، وفيما يلي ١: ٤٩٠.

[2] راجع حول أبواب القصر وتحديد مواضعها Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 223-95.

[3] انظر فيما تقدم ٢٨٨ – ٢٩٣.

إلى أن كان زَمَنُ الغَلاء في أيَّام الخَليفَة المُستَنصِر بالله ، فلمَّا ضاقَ بالنَّاس الأمْرُ ، أذِنَ لهم أن يَبْرُدوا منها بمَبارِد ، فاتَّخَذَ النَّاسُ مَبارِدَ حادَّة ، وغَرَّهم الطَّمَعُ حتى ذَهَبُوا بأكثرها ، فأمَرَ بحَمْل الباقي إلى القصر فلم تُر بعد ذلك .

وقال ابنُ مُيَسَّر : إنَّ المُعِزَّ لمَّا قَدِمَ إلى القاهِرَة كان معه مائة جَمل عليها الطَّواحين من الذَّهَب . وقال غيرُه : كانت خمس مائة جَمَل على كلِّ جَمَلٍ ثلاثة أرْحِيَة ذَهَبًا ، وإنَّه عَمِلَ عِضَادَتي الباب من تلك الأرْحِيَة ، واحِدة فوق أخرى ، فسُمِّي باب الذَّهَب .

جُلـوسُ الخَليفَة في المواليد بالمَنْظَرة عُلـوَّ باب الذَّهَب ـ قال ابنُ المأْمُون في أخبار سنة ستّ عشرة وخمس مائة : وفي الثاني عشر من المحرَّم كان المَوْلِد الآمريّ ، واتَّفَقَ كَوْنه في هذا الشهر يوم الخميس ، وكان قد تقرَّر أن يعمل أربعون صينية خُشْكَنانج وحَلْوَى وكَعْك ، و أطْلَق برَسْم المَشَاهِد المحتوية على الضَّرائح الشَّريفَة لكلِّ مَشْهَدٍ شُكَّر وعَسَل ولَوْز ودَقيق وشَيْرَج . وتقدَّم بأن يُعْمَل خمس مائة رطل حَلْوَى ، وتُفَرَّق على المتصدِّرين والقُرَّاء والفُقَراء : للمتصدِّرين ومن معهم في صُحون ، وللفُقَراء على أرغفة السَّميد .

ثم حَضَرَ في الليلة المذكورة القاضي والدَّاعي والشُّهود ، وجَميعُ المُتَصدِّرين وقُرَّاءُ الحَضْرَة ، وفُتِحَت الطَّاقات التي قِبْليّ باب الذَّهَب ، وجَلَسَ الخَليفَةُ وسَلَّموا عليه . ثم خَرَجَ مُتَوَلِّي بَيْت المال بصندوق مختوم ، ضمنه عَيْنًا : مائة دينار وألف وثمان مائة وعشرون دِرْهَمًا برَسْم أهْل القَرافَة وساكِنيها وغيرهم . وفُرِّقَت الصَّواني بعد ما حُمِلَ منها للخاصّ ، وزِمام القصر ، ومتولِّي الدَّفْتر خاصَّةً ، وإلى دار الوَزارَة ، والأَجلاَّء الأخوة والأولاد ، وكاتِب الدَّسْت ، ومتولِّي حَجْبَة الباب ، والقاضي ، والدَّاعي ،ومُفْتي الدَّوْلَة ، ومُتَوَلِّي دار العِلْم ، والمُقْرئين الخاصّ ، وأئمَّة الجَوامِع بالقاهِرَة ومصر وبقية الأشْراف [1].

قالَ : وخَرَجَ الأمْرُ ـ يعني في سنة سبع عشرة وخمس مائة ـ بإطْلاق ما يخصُّ المَوْلِد الآمِري برَسْم المَشَاهِد الشَّريفَة [2] من سكر وعَسَل وشَيْرَج ودقيق ، وما يُصْنَع ممَّا يُفَرَّق على المساكين بالجَامِعين الأزْهَر بالقاهِرَة والعَتيق بمصر وبالقَرافَة خمسة قناطير حَلْوى وألف رطل دَقيق ، وما يُعْمَل بدار الفِطْرَة ويُحْمَل للأعْيان والمستخدمين من بعد القصور والدَّار المأمونية أربعين صينية خُشْكَنانج .

---

[1] ابن المأمون : أخبار مصر ٣٥- ٣٦.

[2] نفسه ٦٠.

وحَضَرَ القاضي والدَّاعي والمستخدمون بدار العيد[a] والشُّهود في عَشِيَّة اليوم المذكور، وقُطِعَ سُلوك الطريق بَيْنَ القَصْرَيْن، وجَلَسَ الخَليفَةُ في المَنْظَرَة، وقبَّلوا الأرض بين يديه، والمُقرِئُون الخاصّ جميعهم يقرأون القرآن، وتقدَّم الخَطِيبُ وخَطَبَ خُطبَةً وَسَّعَ القول فيها، وذَكَرَ الخَليفَة والوَزير، ثم حَضَرَ مَنْ أَنْشَدَ وذَكَرَ فضيلة الشَّهْر والمولود فيه. ثم خَرَجَ متولِّي بيت المال ومعه صندوق من مال النَّجاوىٰ خاصَّة، مما يُفَرَّق على الحُكْم المتقدِّم ذِكْرُه[1].

قالَ: واستهلَّ رَبيع الأوَّل، ونبدأ بما شَرُفَ به الشهر المذكور، وهو ذِكْرُ مَوْلد سَيِّد الأوَّلين والآخرين مُحَمَّد ﷺ لثلاث عشرة منه، وأُطْلِقَ ما هو برَسْم الصَّدَقات من مال النَّجاوى خاصَّةً ستة آلاف درهم، ومن الأصناف من دَار الفِطْرَة أربعون صينية فِطْرَة، ومن الخَزائِن برَسْم المتولِّين والسَّدَنَة للمَشاهِد الشَّريفة[2] التي بين الجَبَل والقَرافَة التي فيها أَعْضَاءُ آل رَسُول الله ﷺ سُكَّر وعَسَل ولَوْز وشَيْرَج لكلِّ مَشْهَد، وما يتولَّى تفرقته سَنَاءُ المُلْك بن مُيَسَّر أربع مائة رَطْل حَلاوَة وألف رَطْل خبز[3].

قالَ: وكان الأفْضَلُ بن أمير الجُيوش قد أَبْطَلَ أَمْرَ المواليد الأربعة: النَّبوي، والعَلَوي، ٤٣ والفاطِمي، والإمام الحاضِر وما يهتم به، وقَدُمَ العَهْدُ به حتى نُسِيَ / ذكرها، فأَخَذَ الأُسْتاذُون يجدِّدون ذكرها للخَليفَة الآمِر بأحكام الله ويردِّدون الحَديث معه فيها، ويُحَسِّنون له مُفاوَضَة[b] الوَزير بسببها وإعادتها وإقامة الجواري والرُّسوم فيها. فأجابَ إلى ذلك، وعَمِلَ ما ذُكِر[4].

وقال ابنُ الطُّوَيْر: ذِكْرُ جُلُوس الخَليفَة في الموالِد السِّتَّة في تواريخ مختلفة، وما يُطْلَق فيها ـ وهي: مَوْلِدُ النَّبيّ ﷺ[5]، ومَوْلِدُ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالِب، ومَوْلِدُ فاطِمَة عليها السَّلام، ومَوْلِدُ الحَسَن، ومَوْلِدُ الحُسَيْن عليهما السَّلام، ومَوْلِدُ الخَليفَة الحاضِر ـ ويكون هذا الجُلُوس في

---

a) كذا بالنسخ ولعل المقصود: دار الفِطرة. b) بولاق: معارضة.

---

[1] ابن المأمون: أخبار مصر ٦٠.

[2] أي المشاهد التسعة انظر عنها فيما يلي ٢: ٤٣٦–٤٤٢.

[3] ابن المأمون: أخبار مصر ٦٤.

[4] نفسه ٦٢؛ المقريزي: المقفى الكبير ٦: ٤٨٤.

[5] عن تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي انظر Kaptein, N.J.G., *Muhammad's Birthday Festival. Early History in the Central Muslim Land and Development in the Muslim West until the 10th/16th Century*, Leiden - Brill 1993.

المَنْظَرَة التي هي أَنْزَل المناظِر، وأقْرَب إلى الأرض، قُبالَة دار فَخْر الدِّين جَهارْكَس والفُنْدُق المستجدّ.

فإذا كان اليومُ الثاني عشر من رَبيع الأوَّل، تقدَّم بأن يُعْمَل في دار الفِطْرة عشرون قِنْطارًا من السُّكَّر اليابِس حَلْواء يابِسة من طرائفها، وتُعبأ في ثلاث مائة صينية من النُّحاس - وهو مَوْلِد النَّبِيّ ﷺ - فتُفَرَّق تلك الصَّواني في أرْباب الرُّسوم من أرباب الرُّتَب، وكلّ صينية في قَوّارَة، من أوَّل النَّهار إلى ظُهْره [1]. فأوَّل أرْباب الرُّسوم قاضي القُضاة، ثم داعِي الدُّعاة، ويَدْخُل في ذلك القُرَّاءُ بالحضرة، والخُطَباءُ والمتصدِّرون بالجَوامِع بالقاهِرَة وقَوَمَةُ المَشاهِدِ. ولا يخرج ذلك عمَّا يتعلَّق بهذا الجانِبِ بدَعْو يخرج من دَفْتَر المَجْلِس كما قدَّمناه [2].

فإذا صُلِّيَ الظُّهْر رَكِبَ قاضِي القُضاة والشُّهود بأجمعهم إلى الجامِع الأزْهَر، ومعهم أرْبابُ تَفْرِقَة الصَّواني، فيجلسون مِقْدار قِراءَة الخَتْمَة الكريمة. ثم يُسْتَدْعى قاضي القضاة ومن معه، فإن كانت الدَّعْوَةُ مضافةً إليه وإلّا حَضَر الدَّاعي معه بنُقَباء الرَّسائل، فيركبون ويسيرون إلى أن يصلوا إلى آخر المضيق من السُّيوفيين، قبل الابتداء بسُلوك[a] بَيْنَ القَصْرَيْن، فيقفوا هناك. وقد مُسِكَت[b] الطريق على السالكين من الرُّكْنِ المُخَلَّقِ ومن سُوَيْقَة أمير الجُيُوش عند الحَوْض هناك، وكُنِسَت الطريقُ فيما بين ذلك ورُشَّت بالماء رَشًّا خفيفًا، وفُرِشَ تحت المنظرة المذكورة بالرَّمْل الأصفر.

ثم يُسْتَدْعَى صاحِبُ البَاب من دَار الوَزارَة، ووَالِي القاهِرَة ماضٍ وعائِد يَحْفَظ[c] ذلك المَوْضِع[d] من الازْدِحام على نَظَرِ الخَليفَة. فيكون بُروزُ صاحِب البَاب من الرُّكْن المُخَلَّق هو وَقْتُ استدعاء القاضِي ومَنْ معه من مكان وُقوفِهم، فيقربون من المَنْظَرة، ويترجَّلون قبل الوُصُول إليها بخُطوات، فيجتمعون تحت المَنْظَرَة دون السَّاعة الزَّمانية بسَمْتٍ وتشوُّفٍ لانتظار الخَليفَة. فتُفْتَح إحدى الطَّاقات فيَظْهَر منها وَجْهُه وما عليه من المِنْديل، وعلى رأسِه عِدَّةٌ من الأُسْتاذين المُحَنَّكين وغيرهم من الخَواصّ منهم. ويَفْتَح بعضُ الأُسْتاذين طاقةً، ويُخْرِج منها رأسه ويده اليُمْنَى في كمِّه، ويُشير به قائِلًا: «أميرُ المؤمنين يَرُدُّ عليكم السَّلام»، فيسلِّم بقاضي القُضاة أوَّلًا بنُعوته، وبصاحِب الباب بعده كذلك، وبالجماعة الباقية جملةً جملةً من غير تعيين أحَدٍ.

a) بولاق: بالسلوك. b) بولاق وليدن: سلكت. c) بولاق: لحفظ. d) بولاق وليدن: اليوم.

[1] فيما تقدم ٤٠١.
[2] فيما تقدم ٣٢٣.

فيستفتِح قُرّاءُ الحضْرَة بالقِراءَة ، ويكونون قِيامًا في الصَّدْر وجُوهُهم للحاضِرين ، وظهورُهم إلى حائِط المَنْظَرة . فيُقدَّم خَطيبُ الجامِع الأنْوَر ـ المعروف بجامِع الحاكِم ـ فيَخْطُب كما يَخْطب فوق المِنْبَر إلى أن يصل إلى ذكر النَّبيّ ﷺ فيقول : وإنَّ هذا يوم مولده إلى ما مَنَّ الله تعالى[a] به على مِلَّة الإسلام من رسالته ، ثم يَخْتم كلامَه بالدُّعاء للخَليفَة ؛ ثم يُؤخَّر ، ويُقدَّم خَطيبُ الجامِع الأزْهَر فيخطب كذلك ، ثم خَطيبُ الجامِع الأقْمَر فيخطب كذلك . و القُرّاءُ في خلال خَطابَة الخُطَباء يقرأون . فإذا انتهت خَطابَةُ الخُطَباء ، أَخْرَجَ الأُسْتاذُ رأسَه ويَدَه في كُمِّه من طاقَتِه ، وردَّ على الجَماعَة السَّلام ، ثم تُغْلَق الطَّاقتان فتنفضُّ النَّاسُ . ويجري أمْرُ الموالِد الخمسة الباقية على هذا النِّظام إلى حين فَراغِها على عِدَّتها من غير زيادة ولا نَقْص[1] . انتهى .

وهذا البابُ صارَ بعد زَوالِ الدَّوْلَة الفاطِمية يُقابِلُ دارَ الأمير فَخْر الدِّين جَهارْكس الصَّلاحِي ، التي عُرِفَت بعد ذلك بالدَّار القُطْبِيَّة ، وهي الآن المارِسْتان المَنْصوري ، وصارَ مَوْضِعَ هذا الباب مِحْرابُ المَدْرَسَة الظَّاهِرِية الركنية بَيْبَرْس[b] .

بابُ البَحْر

هو من إنْشَاء الحاكِم بأمْر الله أبي عليّ منصور ، وهُدِمَ في أيَّام الملك الظَّاهِر رُكْن الدِّين بَيْبَرْس البُنْدُقْداري ، وشُوهِد فيه أمرٌ عجيب . قال جامِعُ « السِّيرَة الظَّاهِريَّة » : لمَّا كان يومُ عاشُوراء ـ يعني من سنة اثنين وسبعين وست مائة ـ رُسِمَ بنَقْض عُلُوّ أحَد أبواب القصر المسمَّى بباب البَحْر ، قُبالَة المَدْرَسَة دار الحَديث الكامِلية ، لأجْل نَقْل عُمُد فيه لبعض العَمائِر السُّلْطانية ، فظَهَرَ صندوقٌ في حائِطٍ عليه . فللوَقْت أُحضِرت الشُّهودُ وجَماعَةٌ كثيرةٌ ، وفُتِحَ الصُّنْدُوق فوُجِدَ فيه صُورةٌ من نُحاسٍ أصفر مفرَّغ على كرسي شَكْل الهَرَم ارتفاعه قدر شِبْر ، له أربعة أرجل تحمل الكرسي ، والصَّنَمُ جالسٌ عليه[a] متورِّكًا ، وله يدان مرفوعتان ارتِفاعًا جيدًا ، يحمل صَفِيحَةً[d] دورها قدر ثلاثة أشبار . وفي هذه الصَّفيحة[e] أشْكالٌ نابِتَة[f] ، وفي الوَسَط صُورَة رأس بغير جَسَد ، ودائِره مَكْتوب كِتابَة بالقِبْطي وبالقَلْفَطيريات ، وإلى جانبها في الصَّفيحة[e] شَكْلٌ له قَرْنان يُشْبه شكل

---

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : مدرسة الظاهر ركن الدين بيبرس . c) بولاق : شبه . d) بولاق : صحيفة . e) بولاق : الصحيفة . f) بولاق : نابتة .

---

[1] ابن الطوير : نزهة المقلتين ٢١٧ - ٢١٩ .

السُّنْبُلَة ، وإلى الجانِب الآخر/ شكلٌ آخر وعلى رأسه صَليب ، والآخر في يده عُكّاز وعلى رأسه صَليب ، وتحت أرجلهم أشكالُ طُيور ، وفَوْق رُءوس الأشكال كتابة . ١:٣٢٤

ووُجِدَ مع هذا الصَّنَم في الصُّنْدوق لَوْحٌ من أَلْواح الصِّبْيان التي يكتبون فيها بالمكاتِب ، مَدْهُونٌ وَجْهُه الواحد أبيض ، ووَجْهُه الواحد أحمر ، وفيه كِتابَةٌ قد تَكَشَّط أكثرُها من طول المُدَّة . وقد بَلِيَ اللَّوْح ، وما بقيت الكِتابَةُ تَلْتئم ولا الخَطُّ يُفْهَم[1] . وهذا نَصُّ ما فيه ، وأُخْلِيَت مكانَ كتابته التي تَكَشَّطَت ، وأمَّا الوَجْهُ الأبيض فهو مكتوبٌ بقلم الصُّفيحَة[a] القِبْطي . والمكتوب في الوَجْه الأحمر على هذه الصُّورَة :

السَّطْر الأوّل : بقي منه مكتوبًا الإسْكَنْدَر . السَّطْر الثاني : الأَرْض وهَبَها له . السَّطْر الثالث : وجَرَّب لكلٍّ . السَّطْر الرابع : أَصْحاب . السَّطْر الخامس : وهو يَحْرص . السَّطْر السادِس : واحْتِرازه بقوَّة . السَّطْر السابع : الملك مرجو وأبواب . السَّطْر الثامن : غير بيته سبعة . السَّطْر التاسع : عالِمٌ حكيم عالِمٌ في عَقْله . السَّطْر العاشر : وَصَفَها فلا تَفْسَد . السَّطْر الحادي عشر : طارِد كلّ سوء ، والذي صاغَها النِّساء . السَّطْر الثاني عشر : سَدّ أيضًا كلّ آثار أسديَّة بَيْبَرس وهي أحد . السَّطر الثالث عشر : بَيْبَرس ملكُ الزمانِ والحِكْمَة ، كلمة الله عزّ وجلّ .

هذا صورةُ ما وُجِدَ في اللَّوْح ممَّا بقي من الكِتابَة ، والبقيَّة قد تَكَشَّط .

وقيل إنَّ هذا اللَّوْح بخَطِّ الخَليفَة الحاكِم ، وأَعْجَب ما فيه اسم السُّلْطان ، وهو بَيْبَرْس .

ولمَّا شاهَدَ السُّلْطانُ ذلك أَمَرَ بقراءَته ، فعُرِضَ على قُرَّاء الأقلام فقرئ ، وذلك بالقَلَم القِبْطي . ومضمونُه : طِلَّسْمٌ عُمِلَ للظَّاهِر بن الحاكِم ، واسم أُمّه رَصَد ، وفيه أسماء الملائكة وعَزائم ورُقًى وأسماء رُوحانية وصُوَر ملائكة ، أكثره حَرْسٌ لدِيار مصر وثُغورها ، وصَرْفُ الأعداء عنها[2] وكَفُّهم عن طروقهم إليها ، وابْتِهالٌ إلى الله تعالى بأقْسام كثيرة بحماية الديار المصرية ، وصَوْنها من الأعْداء ،

---

a) بولاق : الصحيفة .

---

[1] فيما يلي ٢: ٣٧٨. وأدّى فتح شارع بيت القاضي سنة ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٤م في عهد الخديوي إسماعيل إلى هَدْم القسم الأكبر من المدرسة الظاهرية القديمة ، وإن كانت بقاياها مازالت قائمة داخل عطفة طاهر ، على يمين الداخل إلى شارع بيت القاضي من جهة شارع المعز لدين الله . (انظر Fu'âd (Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 239-42 .

[2] ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ٤١٨-٤١٩ والنص الذي أورده المقريزي بعد ذلك ساقط من ابن عبد الظاهر ؛ وقارن ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ٧٠؛ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ٧: ٢؛ المقريزي : السلوك ١: ٦٠٩؛ أبا المحاسن : النجوم ٧: ١٦٣.

وحِفظها من كلّ طارِق من جَميع الأجْناس . وتضمَّن هذا الطِّلَّسْم كِتابَةً بالقَلْفطيريات وأوْفاقًا وصُوَرًا وخَواصّ لا يعلمها إلَّا الله تعالى . وحُمِلَ هذا الطِّلَّسْم إلى السُّلْطان ، وبقي في ذخائره .

قال : ورأيتُ في كِتابٍ عَتيقٍ رَثٍّ سَمَّاه مُصَنِّفُه « وَصِيَّة الإمام العَزيز بالله والِد الإمام الحاكِم بأمر الله لوَلَده المذكور » ، وقد ذَكَرَ فيه الطِّلَّسمات التي على أبواب القصر ، ومن جملتها أنَّ أوَّل البُروج[a] الحَمَل ، وهو بيت المَرِّيخ وشَرف الشَّمْس ،وله القوَّة على جَميع سُلْطان الفَلَك لأنَّه صاحِبُ السَّيْف وإسْفهسِلارية العَسْكر بين يدِي الشَّمْس الملكة ، وله الأمْرُ والحَرْب والسُّلْطان والقُوَّة ، والمستولي لقُوَّة رُوحانيته على مَدينتِنا . وقد أقَمْنا طِلَّسْمًا لساعته ويومه ، لقَهْر الأعْداء[1] وذُلّ المنافِقين ، في مَكانٍ أحكمناه على إشرافه عليه ، والحِصْن الجامِع لقَصْره[b]، مجاورًا لأوَّل باب بنيناه ، هذا نَصُّ ما رأيته . انتهى .

ولعلَّ معنى كتابة بَيْبَرْس في هذا اللَّوْح إشارة إلى أنَّ هَدْم هذا الباب يكون على زَمان بَيْبَرْس ، فإنَّ القَوْمَ كانت لهم مَعارِفُ كثيرة ، وعنايتهم بهذا الفَنّ وافِرَة كبيرة . والله أعْلَم .

ومَوْضِعُ باب البَحْر هذا اليوم يُعْرَف بباب قَصْر بَشْتاك قُبالَة المَدْرَسَة الكامِلية[2] .

بابُ الرِّيح

كان على ما أدركته تجاه سُور سَعيد السُّعَداء ، على يَمْنَة السالِك من الرُّكْن المُخَلَّق إلى رَحْبَة باب العيد . وكان بابًا مربَّعًا كبيرًا[c] يُسْلَك فيه من دِهْليز مُستطيل مُظْلِم إلى حيث المَدْرَسَة السَّابِقيَّة[3] ودار الطَّواشي سابِق الدِّين وقَصْر أمير السِّلاح[4]، وينتهي إلى بَيْنَ القَصْرَيْن تجاه حَمَّام البَيْسَري .

---

a) الروض الزاهر : الكواكب .   b) بولاق : لقصر .   c) ساقطة من بولاق .

---

[1] ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ٤١٩ وبقية النص ساقط من نسخة الروض الزاهر .

[2] فيما يلي ٢ : ٧٠؛ Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 246-51.

وما زالت بقايا قصر بشتاك قائمة إلى الآن عند زاوية التقاء شارع المعز لدين الله مع دَرْب قِرْمِز ومسجلة بالآثار برقم ٣٤ ، ويقع محل الواجهة الغربية للقصر الفاطمي المطلة على بين القصرين الآن بين شارع خان الخليلي جنوبًا وسبيل عبد الرحمن كتخدا شمالاً .

[3] فيما يلي ٢ : ٣٩٣.

[4] فيما يلي ٢ : ٧٠.

وعُرِفَ هذا الباب في الدَّوْلَة الأيوبية بباب قَصْر ابن الشَّيْخ ، وذلك أنَّ الوَزيرَ الصَّاحِبَ مُعين الدِّين حسن[a] بن شَيْخ الشُّيوخ ، وَزير الملك الصَّالِح نَجْم الدِّين أيُّوب ، كان يسكُن بالقصر الذي في داخِل هذا الباب ، ثم قيل له في زَمانِنا باب القصر . وكان على حالِه له عِضادَتان من حجارة ، ويعلوه أَسْكُفَّة حَجَر مكتوبٌ فيها نَقْرًا في الحَجَر عِدَّةُ أسْطُر بالقَلَم الكوفي لم يتهيَّأ لي قِراءَة ما فيها ، وكان دِهْليزُ هذا الباب عَريضًا يتجاوز عَرْضُه فيما أُقَدِّر العشرة أذرع في طولٍ كبير جدًّا ، ويعلو هذا الباب دُور للسُّكْنَى تُشْرِفُ على الطريق .

وما زالَ على ذلك إلى أن أنْشأ الأميرُ الوَزيرُ المُشيرُ جمالُ الدِّين يوسُف الأُسْتادّار مَدْرَسَته برَحْبَة باب العيد [١] ، واغتصب لها أملاكَ النَّاس ، وكان مِمَّا اغتصب ما بجوار المَدْرَسَة المذكورة من الحَوانيت والرِّباع التي فَوْقَها وما جاوَر ذلك ، وهَدَمها ليبنيها على ما يُريد . فهَدَمَ هذا الباب في صَفَر سنة إحدى عشرة وثمان مائة ، وبَنَى في مَكانه ومَكان الدِّهْليز المُظْلِم الذي كان ينتهي بالسَّالِك فيه من هذا الباب إلى المَدْرَسَة السَّابقيَّة ، هذه القَيْسارية الكبيرة ذات الحَوانيت والفَسْقِيَّة[b] والأبواب الجَديدَة ، ودَخَلَ فيها بعضٌ مِمَّا كان بجانبي هذا الباب من الحَوانيت وعُلوّها [٢] .

ولمَّا هُدِمَ هذا الباب ظَهَر في داخِل بُنْيانه شَخْصٌ ؛ وبَلَغَني ذلك فسِرْتُ إلى الأمير المذكور ـ وكان بيني وبينه صُحْبَة ـ لأُشاهِدَ[c] الشَّخص المذكور ، والتمست منه إحْضارَه . فأخْبَرني أنَّه أُحْضِرَ إليه شَخْصٌ من حِجارَة قَصير القامَة إحدى عينيه أصغر من أختها[d] . فقلت : لابد لي من مُشاهَدَته ؛ فأَمَر/ بإحْضار الموكَّل بعمارَتِه[e] ـ وأنا معه إذ ذاك في مَوْضِع البابِ ، وقد هُدِمَ ما كان ٤٣٥:١ فيه من البِناء ـ [f]وأَمَرَهُ بإحضار الشخص[f] ، فذَكَر أنَّه رَماه بين أحْجار العمارة ، وأنَّه تكَسَّر وصارَ فيما بينها ، ولا يستطيع تمييزه منها ، فأَغْلَظ عليه وبالَغ في الفَحْص عنه ، فأعْياهُم إحْضارُه .

---

a) بولاق : حسين . b) بولاق : السقيفة . c) بولاق : لأشاهد هذا . d) بولاق : الأخرى . e) بولاق : بالعمارة . f-f) ساقطة من بولاق .

---

[١] فيما يلي ٢: ٤٠١ .

[٢] فيما يلي ٢: ٤٠١ـ٤٠٣؛ ويشغل محل باب الريح الآن وكالة الكَتْخُدا المعروفة كذلك باسم وكالة بازَرْعَة (رقم ٢٥ شارع التُّمْبَكْشِيَّة ، ومسجلة بالآثار برقم ٣٩٨)، والمجاورة لمدرسة جمال الدِّين الأُسْتادّار ، المسجلة بالآثار برقم ٣٥. والمسافة بين باب البَحْر وباب الرِّيح كانت نحو ١٨٤ مترًا ، بينما يبلغ طول الواجهة التي يفتح فيها باب الرِّيح نحو ١٥٠ مترًا وهي تمثل الجانب الشمالي للقصر الفاطمي الكبير وهي تقع الآن بين سبيل عبد الرحمن كتخدا غربًا والمدرسة الجمالية شرقًا (Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 253-55) .

فسألْت الرَّجُل حينئذٍ عنه فقال لي : إنَّهم لمَّا انتهوا في الهَدْم إلى حيث كان هذا الشَّخْص إذا بدائِرَةٍ فيها كِتابَةٌ وبوَسَطِها شَخْصٌ قَصيرٌ ، صَغيرُ إحدى العينين من حجارة ؛ وهذه كانت صِفَةَ جَمَال الدِّين ، فإنَّه كان قَصيرَ القامَة إحْدَى عينيه أصْغَر من الأخرى . ويُشْبه ـ والله أَعْلَم ـ أن يكون قد عُيِّنَ في تلك الكتابَة التي كانت حَوْلَ الشَّخْص أنَّ هذا الباب يَهْدِمه مَنْ هذه صِفَته ، كما وُجِدَ في باب البحر اسم بَيْبَرْس الذي هُدِمَ على يديه وبأمره .

وقد ظَفِرَ جَمالُ الدِّين هذا بأموالٍ عَظيمَةٍ وَجَدَها في داخِل هذا القصر ، لمَّا أنشأ دارَه الأولى في الحَدْرَة من داخِل هذا الباب في سنة ستٍّ وتسعين وسبع مائة . وكان لكَثْرَة هذا المالِ لا يستطيع كِتْمانه ؛ ومن شِدَّة خَوْفِه يومئذٍ من الظَّاهِر بَرْقوق أن يَظْهَر عليه لا يَقْدِر أن يُصَرِّح به . فكان يقول لأصحابه وخَواصِّه : وَجَدْتُ في هذا المكان سبعين قُفَّة من حَديد . أخبرني اثنان رئيسان من أعيان الدَّوْلَة عنه أنَّه قال لهما هذا القَوْل .

وكنت إذ ذاك ، أيام عِمارَته لهذه القَاعَة ، أتردَّدُ لشَيْخنا سِراج الدِّين عُمَر بن المُلَقِّن[a] بالمَدْرَسَة الشَّابِقِيَّة ـ وبها كان يَسْكُن ـ فتعرَّفت بجَمال الدِّين منه . وكان يومئذٍ من عَرَض الجُنْد ، ويُعْرَف بأُسْتادّارِ بِجاس[b]، فاشْتُهِرَ هناك أنَّه وَجَدَ ـ حال هَدْمه وعِمارَته القاعَة والرِّواق بالحَدْرَة ـ مَكانًا مبنيًّا تحت الأرض مُبَيَّض الحيطان فيه مالٌ ، فما كان عندي شَكٌّ أنَّه من أموال خَبايا الفاطِميين ، فإنَّه قد ذَكَرَ غيرُ واحِدٍ من الإخباريين أنَّ السُّلْطانَ صَلاح الدِّين ، لمَّا اسْتَوْلى على القصر بعد مَوْت العاضِد ، لم يَظْفَر بشيءٍ من الخَبَايَا ، وعاقَبَ جَماعَةً فلم يُوقفوه على أمرها .

بابُ الزُّمُرُّد

سُمِّي بذلك لأنَّه كان يُتَوَصَّل منه إلى قَصْر الزُّمُرُّد . وموضِعه الآن المَدْرَسَة الحِجازية بخُطِّ رَحْبَة باب العيد [1].

a) بعد ذلك في بولاق : رحمه الله تعالى . b) بولاق : نحاس .

[1] كان باب الزُّمُرُّد يفتح في الجانب الشرقي لرحبة باب العيد حيث تقع الآن المدرسة الحجازية (فيما يلي ٢: ٣٨٢) ويُتَوَصَّل منه إلى قصر الزُّمُرُّد (Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, p. 260).

بابُ العِيد

هذا البابُ مكانه اليوم في داخِل دَرْب السَّلَّامي بخُطّ رَحْبَة باب العيد. وهو عَقْدٌ مُحْكَم البناء، ويعلوه قُبّة قد عُمِلَت مَسْجدًا، وتحتها حانُوتٌ يَسْكُنُه سَقَّاءٌ، ويُقابله مَسْطَبَةٌ. وأدْرَكْتُ العامَّة وهم يُسَمُّون هذه القُبّة بالقاهِرَة، ويَزْعُمون أنَّ الخَليفَة كان يجلس بها ويُرْخي كُمَّه، فتأتي النَّاسُ وتُقَبِّله. وهذا غير صَحيح.

وقيل لهذا الباب بابُ العيد؛ لأنَّ الخَليفَةَ كان يَخْرُج منه في يومي العيد إلى المُصَلَّى بظاهِر باب النَّصْر، فيَخْطُب بعد أن يُصلِّي بالنَّاس صَلاة العيد، كما ستقف عليه عند ذِكْر المُصَلَّى إن شاءَ الله[1].

وفي سنة إحدى وستين وستّ مائة، بَنَى المَلكُ الظَّاهِرُ بَيْبَرْسُ خَانًا للسبيل بظاهِر مَدينَةِ القُدْس، ونَقَلَ إليه بابَ العيد هذا فعمله بابًا له؛ وتم بناؤه في سنة اثنتين وستين[2].

بابُ قَصْر الشَّوْك

وهو الذي كان يُتَوَصَّل منه إلى قَصْر الشَّوْك، وموضعه الآن تِجاه حَمَّام عُرِفَت بحَمَّام الأَيْدَمُري ـ ويُقالُ لها اليوم حَمَّام يُونُس[3] ـ عند مَوْقِف المكارِيّة بجوار خزانَة البُنود، على يَمْنَة السَّالِك منها إلى رَحْبَة الأَيْدَمُري.

وهو الآن زُقاقٌ ينتهي إلى بئرٍ يُسْقَى منها بالدِّلاء، ويُتَوَصَّل من هناك إلى المارِسْتان العَتيق وغيره. وأدْرَكْتُ منه قِطْعَةً من جانبه الأيسر[4].

---

[1] فيما يلي ٤٧٨ - ٤٩٢.

[2] ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر ٣٥١؛ المقريزي: السلوك ١: ٤٩١؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٧: ١٩٤.

وكان باب العيد يقع في الواجهة الشمالية الشرقية للقصر في شقة جدار القصر المواجهة للواجهة الجنوبية لدار الوزارة الكبرى (خانقاه بيبرس الجاشنكير الآن). وكان هذا الباب يقع داخل دَرْب السَّلَّامي - أحد الدروب الأربعة التي حلّت محل مساحة رحبة باب العيد - وموضعه اليوم ظهر مدرسة عمر مكرم الابتدائية بشارع قصر الشوق بالجمالية، التي بنيت مكان وقف الست نفيسة الشهيرة بوكالة عبده رقم ٢٠ بالشارع (Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 263-64).

[3] لم يفرد المقريزي هذه الحمام بمدخل خاص.

[4] Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 270-71.

بابُ الدَّيْلَم

وكان يُدْخَل منه إلى المَشْهَد الحُسَيْني، وموضعُه الآن دَرَجٌ يُنْزَل منها إلى المَشْهَد تجاه الفُنْدُق الذي كان دار الفِطْرَة، ولم يَبْقَ لهذا الباب أثَرٌ ألبتَّة[١].

بابُ تُرْبَة الزَّعْفَران

مكانُه الآن بجوار خَان الخَليلي من بحْريه، مُقابِل فُنْدُق المِهْمَنْدار الذي يُدقّ فيه وَرَقُ الذَّهَب، وقد بُنِيَ بأعلاه طَبَقة ورِواق، ولا يكاد يعرفه كثيرٌ من النَّاس، وعليه كتابَةٌ بالقَلَم الكوفي. وهذا البابُ كان يُتَوصَّل منه إلى تُرْبَة القَصْر المذكورة فيما تقدَّم[٢].

بابُ الزُّهُومَة

كان في آخر رُكْن القَصْر، مُقابِل خِزَانة الدَّرَق التي هي اليوم خان مَسْرور. وقيل له باب الزُّهُومة لأنَّ اللُّحومَ وحَوائِجَ الطَّعام، التي كانت تَدْخُل إلى مَطْبَخ القصر الذي للحُرَم[a]، إنَّما يُدْخَل بها من هذا الباب، فقيل له باب الزُّهُومة، يعني باب الزَّفِر[٣].

وكان تجاهَه أيضًا دَرْبُ السِّلْسِلَة الآتي ذكره إن شاءَ الله[٤]. وموضعه الآن باب[b] قاعَةِ الحَنابِلَة من المَدارِس الصَّالِحيَّة، تجاه فُنْدُق مَسْرور الصَّغير[٥]، ومن بعد باب الزُّهُومَة المذكورة بابُ الذَّهَب الذي تَقَدَّم ذكره. فهذه أبوابُ القَصْر الكبير التسعة، والله أعْلَم[b].

ذِكْرُ المَنْحَر[٦]

/وكان بجوار هذا القَصْر الكبير «المَنْحَــر»، وهو المَوْضِعُ الذي اتَّخذه الخُلَفاءُ لنَحْر ٤٣٦:١

---

a) بولاق: للحوم. b) ساقطة من بولاق.

---

[١] Fu'âd Sayyid, A., *op. cit.*, p. 274-78.

[٢] فيما تقدم ٣٥١-٣٥٣؛ Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 291-95.

[٣] حاشية بخط المؤلف: «قال صاحب العين: الزُّهُومة رائحة لحم سمين منتن، ولحم زهم وزهومة».

[٤] فيما يلي ٢: ٣٨.

[٥] فيما يلي ٢: ٣٧٤؛ Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 235-37.

الأَضَاحي في عيد النَّحْر وعيد الغَدير، وكان تجاه رَحْبَة باب العيد. وموضعُه الآن يُعْرَف بالدَّرْب الأَصْفَر[١] تجاه خانْقاه بَيْبَرْس، وصارَ موضعُه ما في داخل هذا الدَّرْب من الدُّور والطَّاحون وغيرها، وظاهِره تجاه رأس حارَة بَرْجَوان، يفصل بينه وبين حارَة بَرْجَوان الحَوانيت التي تُقابِل باب الحارَة.

ومن جملة المَنْحَر السَّاحَةُ العَظِيمَةُ التي عَمِلَت لها خُونْد بَرَكَة، أمّ السُّلْطان الملك الأَشْرَف شَعْبان بن حُسَيْن، البَوَّابة العَظِيمَة بخُطّ الرُّكْن المُخَلَّق بجوار قَيْسارية الجُلُود التي عُمِلَ فيها حَوانيت الأَساكِفَة.

وكان الخَليفَةُ إذا صَلَّى صَلاة عيد النَّحْر وخَطَب، يَنْحَر بالمُصَلَّى، ثم يأتي المَنْحَر المذكور وخلفه المؤذِّنون يَجْهَرون بالتكبير، ويَرْفَعون أصواتهم كُلَّما نَحَر الخَليفَةُ شيئًا. وتكون الحَرْبَة في يد قاضي القُضاة وهو بجانب الخَليفَة ليُناوله إيّاها إذا نَحَر. وأوَّل من سَنَّ منهم إعْطاء الضَّحايا وتَفْرِقَتها في أوْلياء الدَّوْلَة، على قَدْر رُتَبهم، العَزيزُ بالله نِزار[٢].

ما كان يُعْمَل في عيد النَّحْر - قال المُسَبِّحيُّ: وفي يوم عَرَفَة - يعني من سنة ثمانين وثلاث مائة - حَمَل يانِس صاحِبُ الشُّرْطَة السِّماط، وحَمَلَ أيضًا عليُّ بنُ سَعْد المُحْتَسِب سِماطًا آخر. ورَكِبَ العَزيزُ بالله يوم النَّحْر فَصَلَّى وخَطَبَ على العادة، ثم نَحَرَ عِدَّة نُوق بيده، وانصرف إلى قَصْره، فنَصَبَ السِّماطَ والموائِدَ وأكل، ونُحِرَ بين يديه، وأَمَرَ بتفرقة الضَّحايا على أَهْل الدولة؛ وذَكَرَ مثل ذلك في باقي السنين[٣].

وقال ابنُ المأْمُون في عيد النَّحْر من سنة خمس عشرة وخمس مائة: وأُمِرَ بتفرقة كُسْوَة[a] عيد النَّحْر والهِبَة وجملة العَيْن ثلاثة آلاف وثلاث مائة وسبعون دينارًا، ومن الكُسْوات مائة قطعة وسَبْع قطع برَسْم الأُمَراء المُطَوَّقين والأُسْتاذين المُحَنَّكين وكاتِب الدَّشْت ومتولِّي حُجْبَة الباب وغيرهم من المستخدمين.

---

a) ساقطة من بولاق.

---

[١] فيما يلي ٢: ٤٤.

[٢] قارن المقريزي: مسودة المواعظ ١٧٦؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٥١١؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ٩٨؛ Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 255-57.

[٣] المقريزي: مسودة المواعظ ١٧٦-١٧٧؛ اتعاظ الحنفا ١: ٢٦٩.

وعِدَّةُ ما ذُبِحَ ثلاثة أيام النَّحْر ، في هذا العيد وعيد الغَدير ، ألفان وخمس مائة وأحد وستون رأسًا . تفصيله : نُوق : مائة وسبعة عشر رأسا ، بَقَر : أربعة وعشرون رأسًا ، جامُوس : عشرون رأسًا ، هذا الذي يَنْحره ويَذْبَحه الخليفَةُ بيده في المُصَلَّى والمَنْحَر وباب السَّاباط ؛ ويَذْبَح الجَزَّارون من الكِباش ألفين وأربع مائة رأس .

والذي اشتملت عليه نَفَقاتُ الأَسْمِطَة في الأيام المذكورة ـ خارِجًا عمَّا يُعْمَل بالدار المأمونية من الأَسْمِطَة ، وخارِجًا عن أسْمِطَة القصور عند الحَرَم ؛ وخارِجًا عن القُصُور الحَلْواء والقُصُور المَنْفوخ المصنوعة بدار الفِطْرَة : ألف وثلاث مائة وستة وعشرون دينارًا ورُبْع وسُدْس دينار ؛ ومن السُّكَّر بِرَسْم القُصُور والقِطَع المنفوخ : أربعة وعشرون قنطارًا . تفصيله : عن قصرين في أوَّل يوم خاصَّةً اثنا عشر قِنطارًا ، المَنْفوخ عن ثلاثة الأيام اثنا عشر قِنطارًا [1] .

وقال في سنة ستَّ عشرة وخمس مائة : وحَضَرَ وَقْتُ تَفْرِقَة كُسْوة عيد النَّحْر ، ووَصَل ما تأخَّر فيها بالطِّراز ، وفُرِّقت الرُّسوم على من جَرَت عادَته بها[a] ـ خارِجًا عمَّا أمر به من تفرقة العَيْنْ المختصّ بهذا العيد وأُضْحيته ، وخارِجًا عمَّا يُفَرَّق على سبيل الشُّرَف من[b] المُناخ ، ومن باب السَّاباط مَذْبوحًا ومَنْحورًا : ست مائة دينار وسبعة عشر دينارًا .

وفي التاسع من ذي الحِجَّة جَلَسَ الخَليفَةُ الآمِرُ بأحكام الله على سَرير المُـلْك ، وحَضَرَ الوَزيرُ وأولادُه ، وقاموا بما يجب من السَّلام ، واستفتح المقرئون ، وتقدَّم حامِلُ المِظَلَّة وعَرَضَ ما جَرَت عادته من المَظال الخمسة التي جميعها مُذَهَّب ، وسَلَّم الأُمَراءُ على طَبقاتِهم ، وخَتَم المُقْرئون ، وعُرِضَتِ الدَّوابُّ جَميعها والعَمَّاريات والوُحوش ، وعادَ الخَليفَةُ إلى محلِّه .

فلمَّا أَسْفَر الصُّبْح خَرَجَ الخَليفَةُ وسَلَّمَ على من جَرَت عادَته بالسَّلام عليه ـ ولم يخرج شيءٌ عما جَرَت به العادَة في الرُّكوب والعَوْد ـ وغَيَّرَ الخَليفَةُ ثيابَه ولَبِس ما يختصّ بالنَّحْر ـ وهي البَدْلَة الحَمْراء بالشَّدَّة التي تسمَّى بـ « شَدَّة الوَقار » [2] ، والعَلَم الجَوْهَر في وجهه بغيرِ قَضيب مُلْك في يده ـ إلى أن دَخَلَ المَنْحَر . وفُرِشَت الملاءَة الدَّبيقي الحمراء ، وثلاث بَطائن مصبوغة حُمْر ليتَّقي بها الدم ، مع كَوْن كلٍّ من الجَزَّارين بيده مَكَبَّة صَفْصاف مدهونة يُلْقي بها الدم عن الملاءَة ، وكَبَّر

---

a) ساقطة من بولاق . b) الشرف من : زيادة من المسودة ومخطوطة Liège.

---

[1] ابن المأمون : أخبار مصر ٢٥ - ٢٦ ؛ المقريزي : مسودة المواعظ ١٧٧ .

[2] انظر عن شَدَّة الوَقار فيما يلي ٤٦٨ - ٤٦٩ ، ٥٤٥ .

المؤذِّنون ، ونَحَرَ الخَليفَةُ أربعًا وثلاثين ناقَة ، وقَصَدَ المَسْجِد الذي آخر صَفّ المَنْحَر ، وهو مُعَلَّق بالشُّروب والفاكهة المعبَّأة فيه ، بمقدار ما غَسَلَ يديه ، ثم رَكِب من فَوْره .

وجُمْلَةُ ما نَحَرَه وذَبَحَه الخَليفَةُ خاصَّةً في المَنْحَر وباب السَّاباط ـ دون الأَجَلّ الوَزير المأْمون وأولاده وإخْوَته ـ في الثلاثة الأيام ما عِدَّته ألف وتسع مائة وستة أربعون رأسًا ، تفصيله : نُوق : مائة وثلاث عشرة ناقة ، نَحَرَ منها في المُصَلَّىٰ عقيب الخُطْبَة ناقَة ، وهي التي تُهْدَى وتُطْلَب من آفاق الأرض للتبرُّك بلحمها . ونَحَرَ في المُناخ مائة ناقَة ، وهي التي يُحْمَل منها للوَزير وأولاده وإخوته والأُمَرَاء والضُّيوف والأَجْناد والعسكرية والمُمَيَّزين من الرَّاجل ، وفي كلّ يوم يُتَصَدَّق منها على الضُّعَفَاء والمَسَاكِين بناقَةٍ واحِدَة ، وفي اليوم الثالث من العيد تُحْمَل ناقَةٌ منحورةٌ للفُقَراء في القَرافَة [١] .

ويُنْحَر في باب السَّاباط ما يُحْمَل إلى من حَوَتْه القصور ، وإلى دار الوَزارَة ، وإلى الأَصْحاب والحَواشي ، اثنتا عشرة ناقَة وثماني عشرة بَقَرَة / وخمس عشرة جامُوسَة ، ومن الكِباش ألف ٤٣٧:١
وثمان مائة رأس ، ويُتَصَدَّق كل يوم في باب السَّاباط بسَقْط ما يُذْبَح من النُّوق والبَقَر .

وأمَّا مَبْلَغُ المُنْصَرف على الأَسْمِطَة في الثلاثة الأيام ، خارِجًا عن الأَسْمِطَة بالدار المأمونية . فألف وثلاث مائة وستة وعشرون دينارًا ورُبْع وسُدْس دينارٍ . ومن السُّكَّر بِرَسْم قُصُور الحَلاوَة والقِطَع المنفوخ المصنوعة بدار الفِطْرَة خارِجًا عن المطابِخ ، ثمانيةٌ وأربعون قِنْطارًا [٢] .

وقال ابنُ الطُّوَيْر : فإذا انْقَضَى ذو القِعْدة وأَهَلَّ ذو الحِجَّة ، اهتمّ بالركوب في عيد النَّحْر ـ وهو يوم عاشِرِه ـ فيجري حالُه كما جَرَى في عيد الفِطْر من الزِّيّ والرُّكوب إلى المُصَلَّىٰ ، ويكون لِباسُ الخَليفَة فيه الأحمر الموشَّح ، ولا يَنْخَرِم منه شيءٌ .

وركوبه ثلاثة أيام متوالية ، فأوَّلُها وهو[a] يوم الخُروج إلى المُصَلَّىٰ والخَطابَة كعيد الفِطْر ، وثاني يوم وثالثه إلى المَنْحَر ـ وهو المُقابِل لباب الرِّيح الذي في رُكْن القصر ، المُقابِل لسُور دار سَعيد السُّعَداء الخانْقاه اليوم وكان بَراحًا خاليًا لا عمارة فيه ـ فيخرج من هذا الباب الخَليفَةُ بنفسه ،

---

a) ساقطة من بولاق .

---

[١] ابن المأمون : أخبار مصر ٤٠ – ٤١؛ المقريزي : مسودة المواعظ ١٧٧ – ١٧٩.

[٢] نفسه ٤٢؛ نفسه ١٧٩ ، وفيما يلي ٥٠١.

ويكون الوَزيرُ واقِفًا عليه ، فيترجَّل ويدخل ماشيًا بين يديه بقربه ؛ هذا بعد انفصالهما من المُصَلَّى . ويكونُ قد قُيِّدَ إلى هذا المَنْحَر أحد وثلاثون فَصيلًا وناقَة أمام مَسْطَبة مفروشة يطلع عليها الخَليفَةُ والوَزيرُ ثم أكابِر الدَّوْلَة ، وهو بين الأُسْتاذين المُحَنَّكين ، فيُقَدِّم الفَرّاشون له إلى المَسْطَبَة رأسًا فرأسًا[a]، ويكون بيده حَرْبَة من رأسها الذي لا سِنان فيه ، ويَدُ قاضي القُضاة في أصل سِنانها ، فيجعله القاضي في نَحْر النَّحيرة ، ويَطْعَن بها الخَليفَة ، وتُجَرّ من بين يديه حتى يأتي على العِدَّة المذكورة . فأوَّلُ نَحيرَة هي التي تُقَدَّدُ وتُسَيَّرُ إلى داعي اليَمَن - وهو الملك فيه - فيفرِّقها على المعتقدين من وَزْن نِصْف دِرْهَم إلى رُبْع درهم .

ثم يُعْمَل ثاني يوم كذلك ، فيكون عَدَدُ ما يُنْحَر سبعًا وعشرين ، ثم يُعْمَل في اليوم الثالث كذلك ، وعِدَّة ما يُنْحَر ثلاث وعشرون . هذا وفي مُدَّة هذه الأيام الثلاثة يسير رَسْم الأُضْحية إلى أرْباب الرُّتَب والرُّسوم - كما سُيِّرَت الغُرَّة في أوَّل السنة - من الدَّنانير ، بغير رِباعية ولا قَراريط ، على مِثال الغُرَّة من عشرة دنانير إلى دينار . وأمَّا لَحْمُ الجَزور فإنَّه يُفَرِّق في أرْباب الرُّسوم للتبرُّك في أطباق مع أدوان الفَرّاشين . وأكثر ذلك تفرقةً قاضي القُضاة وداعِي الدُّعاة للطَّلَبَة بدار العِلْم ، والمتصدِّرين بجوامِع القاهِرَة ، ونُقباء المؤمنين بها من الشِّيعة للبَرَكَة[b].

فإذا انقضى ذلك خَلَعَ الخَليفَةُ على الوَزير ثيابَه الحَمْراء[c] التي كانت عليه ، ومِنْديلًا آخر بغير اليتيمة والعِقْد المنظوم من القصر عند عَوْد الخليفة من المَنْحَر . فيركب الوَزيرُ من القصر بالخِلَع المذكورة شاقًّا القاهِرَة ، فإذا خَرَجَ من باب زَوِيلَة انعطف على يمينه سالِكًا على الخَليج ، فيدخل من باب القَنْطَرَة إلى دار الوزارَة ؛ وذلك انفصالُ عيد النَّحْر[1].

وقال ابنُ أبي طَيِّ : عِدَّةُ ما يُذْبَح في هذا العيد ، في ثلاثة أيام النَّحْر وفي يوم عيد الغَدير ، ألفان وخمس مائة وأحد وستون رأسًا ، تفصيله : نُوق : مائة وسبعة عشرَ رأسًا ، بَقَر : أربعة وعشرون رأسًا ، جامُوس : عشرون رأسًا . هذا الذي يَنْحَره الخَليفَة ويذبحه بيده في المُصَلَّى والمَنْحَر وباب السّاباط ؛ ويَذْبَح الجَزّارون بين يديه من الكِباش ألفًا وأربع مائة رأس[2].

---

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : للتبرك . c) بولاق : الحمر .

---

[1] ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٨٢ - ١٨٥؛ المقريزي : مسودة المواعظ ١٨١ - ١٨٢.

[2] المقريزي : مسودة المواعظ ١٨٠.

وقال ابنُ عبد الظَّاهِر: كان الخَليفَةُ يَنْحَر بالمَنْحَر مائة رأس، ويعود إلى خِزانَة الكُسْوَة، فيُغَيِّر قُماشَة ويتوجَّه إلى المَيْدان ـ وهو الخُرُنْشُف بباب السَّاباط ـ للنَّحْر والذَّبْح، ويعود بعد ذلك إلى الحَمَّام ويُغَيِّر ثيابَه للجُلُوس على الأَسْمِطَة. وعِدَّةُ ما يذبحه ألف وسبع مائة وستة أربعون رأسًا: نُوق[a]: مائة وثلاث عشرة ناقَة، والباقي بَقَر وغَنَم[١].

قال ابنُ الطُّوَيْر: وثَمَنُ الضَّحايا ـ على ما تَقَدَّم[b] ـ ما يقرب من ألفي دينار[٢].

وكانت تَخْرُجُ المُخَلَّقات[٣] إلى الأعمال بَشائِر برُكُوب الخَليفَة في يوم عيد النَّحْر. فممَّا كَتَبَ به الأُسْتاذُ البارِع أبو القاسِم عليُّ بنُ مُنْجب بن سُلَيْمان الكاتِب، المعروف بابن الصَّيْرفي المنعوت بتاج الرِّئاسَة[٤]:

«أمَّا بَعْدُ، فالحَمْدُ لله الذي رَفَعَ مَنَارَ الشَّرْع وحَفظَ نِظامَه، ونَشَرَ رايَةَ هذا الدِّين وأوْجَب إعْظامَه، وأَطْلَعَ بخِلافَة أمير المؤمنين كَواكِبَ سُعودِه، وأَظْهَرَ للمُؤالِف والمُخالِف عِزَّةَ أحزابه وقُوَّة جُنودِه، وجَعَلَ فَرْعَه ساميًا ناميًا وأصلَه ثابِتًا راسِخًا، وشَرَّفه على الأدْيان بأَسْرِها، وكان لعُراها فاصِمًا ولأحْكامِها ناسِخًا.

يَحْمَدُهُ أميرُ المؤمنين أن أَلْزَمَ طاعته الخَليقَة، وجَعَلَ كراماتِه الأسْباب الجَديرَة بالإمارة الخَليقَة. ويَرْغَب إليه في الصَّلاة على جَدِّه مُحَمَّد الذي حازَ الفَخَارَ أجمعه، وضَمِنَ الجَنَّة لمن آمَنَ به واتَّبع النُّورَ الذي أُنْزِلَ معه، ورَفَعه إلى أعْلى مَنْزِلَةٍ تَخَيَّر له منها المَحَلّ، وأرْسَلَه بالهُدَى ودين الحَقّ، فزَهَقَ الباطِلُ وخَمَدَت نارُه واضْمَحَلّ.

---

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: تقرَّر.

---

[١] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٠٢؛ المقريزي: مسودة المواعظ ١٧٩.

[٢] ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٨٥؛ المقريزي: مسودة المواعظ ١٨٢، وقارن القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٥١١؛ أبا المحاسن: النجوم ٤: ٩٨-٩٩.

[٣] المُخَلَّقات. نوع من السجلَّات يبشر بركوب الخليفة في المواكب الرسمية وعودته بسلامة الله منها، وانظر فيما يلي ٤٩٢.

[٤] انظر فيما تقدم ١: ٧٥٧.

صَلَّى الله عليه وعلى أخيه وابن عمِّه ، أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالِب ، خَيْرِ الأُمَّة وإمامِها ، وحَبْرِ المِلَّة وبَدْرِ تَمامِها ، والمُوَفِّي يومه في الطَّاعات على ماضي أَمْسه ، ومَنْ أقامَه رَسُولُ الله ﷺ في المباهَلَة مُقامَ نفسه ، واخْتَصَّه بأبْعَد غاية في [a]الفَخْر وأَشْرَفها وأَفْضلها فبَعَثَه لمَّا نَسَخ الله مُعاهَدَة المشركِين وأنزل[a] «سُورَة بَراءَة» ، فنادَى في الحَجّ بأوَّلها ، ولم يكن غيره يَنْفُذُ نَفاذَه ولا يَسُدّ مكانَه ، لأنَّه قال : «لا يُبَلِّغ عَنِّي إلَّا رَجُلٌ من أَهْل بَيْتي» . عَمَلًا في ذلك بما أَمَرَ الله به[b] سبحانه .

٤٣٨:١ وعلى/ الأئمة من ذُرِّيتهما خُلَفَاء الله في أرْضِه ، والقائمِين في سِياسَة خَلْقِه بصَريح الإيمان ومَحْضِه ، والمُحَكِّمين من أَمْر الدِّين ما لا وَجْه لحَلِّه ولا سَبيلَ إلى نَقْضِه . وسلَّم عليهم أجمعين سَلامًا يتَّصل دَوامُه ولا يُخْشى انْصرامُه ، ومَجَّد وكَرَّم ، وشَرَّف وعَظَّم .

وكتابُ أمير المؤمنين هذا إليك يوم الأحد عيد النَّحْر ، من سنة ستٍّ وثلاثين وخمس مائة ، الذي تبَلَّجَ فَجْرُه عن سَيِّئاتٍ مُحِّصَت ، ونُفوسٍ من آثار الذُّنوب خُلِّصَت ، ورَحْمَةٍ امتدت ظِلالها وانتشرت ، ومَغْفِرةٍ هَنَّأت وبَشَّرَت .

وكان من خَبَر هذا اليوم أنَّ أَميرَ المؤمنين بَرَزَ لكافَّة مَنْ بحَضْرَته من أوْليائِه ، مُتَوَجِّهًا لقَضاء حَقِّ هذا العيد السَّعيد وأدائِه ، في عترةٍ راسِخَةٍ قواعدُها متمكِّنة ، وعَساكِرَ جَمَّةٍ تضيق عنها ظُروفُ الأمكنة ، ومواكِب تتوالى كتوالي السَّيْل ، وتُهاب هَيْبَة مَجيئِه في الليل ، بأسلحةٍ تَحْسَر لها الأبصارُ وتَبْرُق ، وتَرْتاعُ الأفئدةُ منها وتَفْرَق : فمن مشرقي إذا وَرَدَ تورَّد ، ومن سَمْهَري إذا قَصَد تَقَصَّد ، ومن عُمُدٍ إذا عَمِدت تبرَّأت المغافِر من ضَمانِها ، ومن قِسِيٍّ إذا أرسلت بَنانَها وَصَلَت إلى القُلوب بغير اسْتِئْذانها .

ولم يَزَل سائِرًا في هَدْي الإمامَة وأنْوارها ، وسَكينَة الخِلافَة ووَقارِها ، إلى أن وَصَلَ إلى المُصَلَّى قُدَّام المِحْراب ، وأدَّى الصَّلاةَ إذ لم يكن بينه وبين التَّقْبيل حِجابٍ . ثم عَلا المِنْبَر فاستوى على ذُرْوَتِه ، ثم هلَّل الله وكَبَّرَه وأثنى

---

a-a) ساقطة من بولاق . b) ساقطة من بولاق .

على عَظَمَتِه ، وأحسن إلى الكافَّة بتبليغ موعظته ، وتوجَّه إلى ما أُعِدَّ من البُدْن فنَحَرَه تكميلًا لقربته ، وانتهى في ذلك إلى ما أَمَر الله عزَّ وجَلَّ ، وعادَ إلى قُصُوره المكرَّمة ومَنازِله المقدَّسة قد رضي الله عَمَلَه ، وشَكَرَ فِعْلَه وتَقَبَّلَه .

أَعْلَمَكَ أميرُ المؤمنين ذلك لتَشْكُر الله على النِّعْمَة فيه ، وتُذيعه قِبَلَك على الرَّسْم فيما يُجاريه ، فاعْلَم هذا واعْمَل به إن شاءَ الله»[١].

ذِكْرُ دَارِ الوَزَارَةِ الكُبْرَى

وكان بجوار هذا القَصْر الكبير الشَّرْقي ، تجاه رَحْبَة باب العِيد ، دارُ الوَزارَة الكُبْرَى ، ويُقال لها « الدارُ الأَفْضَلِيَّة » و « الدارُ السُّلْطانية »[٢].

قال ابنُ عبد الظَّاهِر : دَارُ الوَزارَة بَنَاها بَدْرٌ الجَمالي أمير الجُيُوش ، ثم لم يزل يشكُنها من يلي إمْرَة الجُيُوش إلى أن انتقل الأَمْرُ عن المصريين وصارَ إلى الغُزّ[a] بني أيُّوب . فاستقرَّ سَكَنُ الملك الكامِل بقَلْعَة الجَبَل خارِج القاهِرَة ، وسَكَنَها السُّلْطانُ الملكُ الصَّالِحُ وَلَده ، ثم أُرْصِدَت دَارُ الوَزارَة لمن يَرِد من الملوك ورُسُل الخَليفَة إلى هذا الوَقْت .

وكانت دارُ الوَزارَة قَديمًا تُعْرَف بدار القِباب ، وأضافَها الأَفْضَلُ إلى دور بني هَرِيسَة وعَمَّرها دارًا ، وسمَّاها « دارَ الوَزارَة »[٣]. انتهى .

---

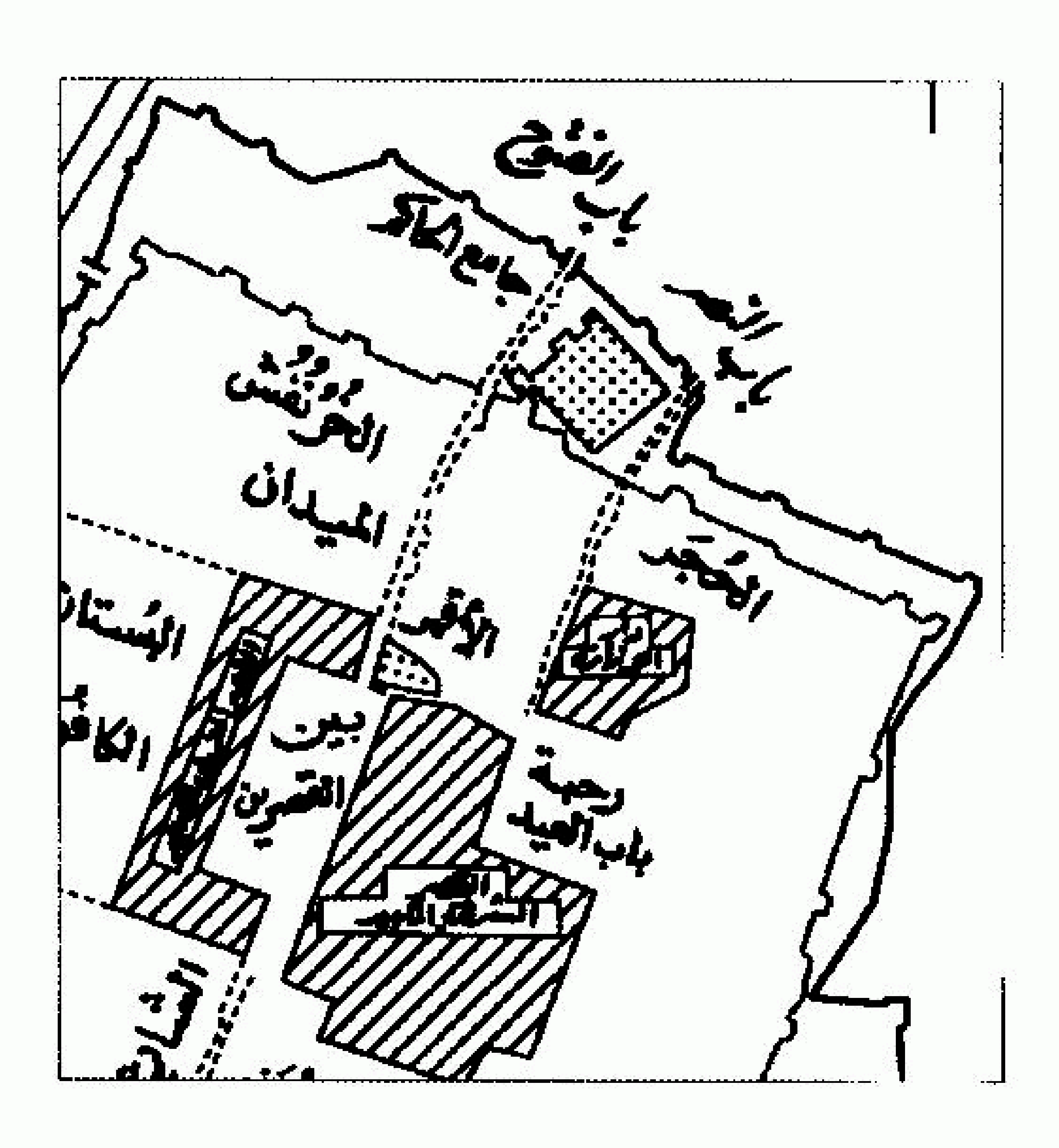
a) ساقطة من بولاق .

---

[١] انظر ابن الطوير : نزهة المقلتين (الملاحق) ٢٤١-٢٤٢.

[٢] دار الوزارة الكبرى هي التي يحدد مكانها الآن الأرض الواقعة بين حارة المبيضة من الجنوب والشرق ، ووكالة عطا من الشمال ، وشارع الجمالية من الغرب ، والتي يشغل قسمًا كبيرًا منها الآن بقايا المدرسة القراسنقرية من الجنوب (فيما يلي ٢:٣٨٨) وخانقاه بيبرس الجاشنكير من الشمال (فيما يلي ٢:٤١٦) في مواجهة الدرب الأصفر (راجع، Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 462-68; Mackenzie, N. D., *Ayyubid Cairo*, p. 80).

[٣] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٥٠-٥١؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٢٥١-٢٥٢.



مَوْقِعُ دار الوزارة الكبرىٰ من القاهِرَة الفاطمية

والذي تدلُّ عليه كُتُب ابْتياعات الأَمْلاك القَديمَة التي بتلك الخِطَّة أنَّها من بناء الأَفْضَل لا من عِمَارة أبيه بَدْر. والدَّارُ التي عَمَّرها أميرُ الجُيُوش بَدْر هي دَارُه بحارَة بَرْجَوان التي قيل لها دارُ المُظَفَّر [1].

وما زالت وُزَراءُ الدَّوْلَة الفاطِمِيَّة أرْبابُ السُّيوف من عَهْد الأَفْضَل ابن أمير الجُيوش، يسكنون بدارِ الوَزارَة هذه إلى أن زالَت الدَّوْلَةُ، فاستقرَّ بها السُّلطانَ الملكُ النَّاصِرُ صَلاحُ الدِّين يوسُف بن أيُّوب، وابنُه من بعده الملكُ العَزيزُ عُثْمان، ثم ابنُه الملكُ المَنْصور، ثم الملكُ العادِلُ أبو بكر بن أيُّوب، ثم ابنُه الملكُ الكامِل، وصاروا يُسَمُّونها «الدَّار السُّلْطَانِيَّة».

وأوَّلُ من انتقل عنها من الملوك وسَكَن بالقَلْعَة الملكُ الكامِلُ ناصِرُ الدِّين محمد بن الملك العادِلِ أبي بكر بن أيُّوب، وجَعَلها منزِلًا للرُّسُل [2].

فلمَّا وَلِيَ قُطُز سَلْطَنَة ديار مصر وتلقَّب بالملك المُظَفَّر في سنة سبعٍ وخمسين وستّ مائة، وحَضَر إليه البَحْرِيَّة ـ وفيهم بَيْبَرْس البُنْدُقْداري وقَلاوون الألْفي ـ من الشَّام، خَرَج الملكُ المُظَفَّر قُطُز إلى لِقائهم، وأنزلَ الأمير رُكْن الدِّين بَيْبَرْس بدار الوَزارَة، فلم يزل بها حتى سافَرَ صُحْبَة قُطُز إلى الشَّام وقَتَلَه، وعادَ إلى مصر فتَسَلْطَن وسَكَنَ بقَلْعة الجَبَل.

وفي سنة ثلاثٍ وتسعين وستّ مائة لمَّا قُتِلَ الأَشْرَفُ خَليل بن قَلاوون في وَاقِعَة بَيْدَرا، ثم قُتلَ بَيْدَرا وأُجْلِس الملكُ النَّاصِرُ محمَّد بن قَلاوون على تَخْت الملك [3]، وثارَت الأَشْرَفِيَّةُ من المماليك

---

[1] ابن الطوير: نزهة المقلتين ٣١-٣٢؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٢٥٢-٢٥٣؛ وفيما يلي ٥٠٨-٥٠٩؛ Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 431-32, 531-32.

[2] فيما تقدم ٢٢٣، وفيما يلي ٢: ٢٠٣.

[3] بَيْدَرا بن عبد الله المنصوري نائب السلطنة في الدولة الأشرفية خليل بن قلاوون، تولَّى نيابة السلطنة عِوضًا عن الأمير طرنطاى سنة ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م، ثم خرج على الأشرف خليل وقتله بالاشتراك مع الأمير حسام الدين خليل سنة=

على الأُمَرَاء، وقُتِلَ من قُتِلَ منهم ـ خافَ بقيّةُ الأُمَرَاء من شَرِّ المماليك الأَشْرَفِيّة، فقُبِضَ منهم على نحو السِتّ مائة مملوك، وأُنْزِلَ بهم من القَلْعَة، وأُسْكِنَ منهم نحو الثلاث مائة بدار الوَزارَة، وأُسْكِنَ منهم كثيرٌ في مَناظِر الكَبْش، وأُجْرِيَت عليهم الرَّواتِبُ، ومُنِعوا من الرُّكوب، إلى أن كان من أمْرِهم ما هو مَذْكورٌ في موضعه من هذا الكتاب [1].

ولمَّا كانت سنة سبع مائة أَخَذَ الأميرُ شَمْسُ الدِّين قَراسُنْقُر المنصوري، نائِبُ السَّلْطَنَة في أيام الملك المَنْصور حُسام الدِّين لاجين، قطعةً من دار الوَزارَة وبَنَى فيها[a] الرَّبْع المقابل خانْقاه سَعيد السُّعَداء، ثم بَنَى المَدْرَسَة المعروفة بالقَراسُنْقُريّة ومكتب الأَيْتام [2].

فلمَّا كانت دولةُ البُرْجِيَّة[3] بَنَى الأميرُ رُكْنُ الدِّين بَيْبَرْس الجاشَنْكير الخانْقاه الرُّكْنِيَّة والرِّباط بجانبها من جملة دار الوَزارَة، وذلك في سنة/ تسعٍ وسبع مائة [4]، ثم استولى النَّاسُ على ما بقي من دار الوَزارَة وبَنَوا فيها.

فمن حُقوقُ هذه الدَّار ـ أعني دار الوَزارَة ـ من بَحْرِيِّها[b]: الرَّبْع تجاه الخانقاه الصَّلاحية دار سَعيد السُّعَداء، والمَدْرَسَة القَراسُنْقُرِيّة، وخانْقاه رُكْن الدِّين بَيْبَرْس، وما بجوارها من دارِ قُزْمان ودار الأمير شَمْس الدِّين سُنْقُر الأَعْسَر الوَزير ـ المعروفة بدار السِّتّ[c] خُوَنْد طُولوباي النَّاصِريّة جِهَة السُّلْطان[c] الملك النَّاصِر حَسَن بن محمد بن قَلاوون ـ وحَمَّام الأَعْسَر التي بجانبها، وحَمَّام الحُسام المجاورة[d] لها. ومن حُقوقِ هذه الدار أيضًا قِبْلِيّ هذه الأماكِن المذكورة[e]، وهي الفُرْن

---

a) بولاق: فبنى بها. b) بولاق: فمن حقوقها، والمثبت من المسودة. c) زيادة من المسودة. d) بولاق: الحمام المجاورة، والمثبت من المسودة. e) بولاق: وما وراء هذه الأماكن من الآدر وغيرها، والمثبت من المسودة.

= ٦٩٣هـ/١٢٩٣م، بتزوجه من جهة البحيرة وهو يتصيّد غدرًا. وحلف الأمراء لبيدرا وتلقب بالملك الأوحد ولم يلبث أن قتله المماليك الأشرفية في اليوم التالي في الطرانة من أعمال البحيرة (ابن حبيب: تذكرة النبيه ١: ١٣٦، ١٦٧- ١٦٨؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٠: ٣٦٠- ٣٦٢؛ المقريزي: السلوك ١: ٧٨٢، ٧٩٢، والمقفى الكبير ٢: ٥٦٢- ٥٦٨؛ النويري: نهاية الأرب ٣١: ٢٥٩- ٢٦٧؛ ابن الفرات: تاريخ الدول ٨: ١٧١؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٨: ٣٤٥، أبو المحاسن: المنهل الصافي ٣: ٤٩٣- ٤٩٥).

[1] فيما يلي ٢: ١٣٤؛ المقريزي: السلوك ١: ٨٠٢.

[2] فيما يلي ٢: ٣٨٨؛ المقريزي: المسودة ٢٥٥.

[3] يُعَدُّ السلطان ركن الدين بيبرس الجاشنكير هو السلطان الشُّرْكسي (الجركسي) الوحيد بين سلاطين الدولة التركية (البحرية) فلذلك أطلق المقريزي على فترة سلطنته: دولة البرجية.

[4] فيما يلي ٢: ٤١٦.

والطَّاحون التي قِبْلي المَدْرَسَة القَراسُنْقُرِيَّة - [a]وهم جاريان في أوْقَاف قَراسُنْقُر[a] - ومن الآدرّ والخَرِبَة التي قبليّ رَبْع قراسُنْقُر، وما جاوَر باب سِرّ المَدْرَسَة القَراسُنْقُرِيّة من الآدرّ والمساكِن[b]، وخَرِبَة أخرى هناك، والدَّار الكبرى المعروفة بدار الأمير سَيْف الدِّين بَرْلَغي الصغير صِهْر الملك المُظَفَّر بَيْبَرْس الجاشَنْكير - المعروفة اليوم بدار الغَزّاوي - وفيها السِّرْداب الذي كان رُزِّيك بن الصَّالح رُزِّيك فَتَحه في أيام وَزارته[c] من دار الوَزارَة إلى دار[d] سَعيد السُّعَداء، وهو باقٍ إلى الآن في صَدْر قاعتها، وذُكِرَ أنَّ فيه حَيَّة عَظيمَة. ومن حُقُوق دار الوَزارَة المُناخ المجاوِر لهذه القاعَة.

وكان على دار الوَزارة سُورٌ عَظيمٌ مُرْتفع بناؤه بالحَجَر المَنْحوت[e]، وقد بقي الآن منه قِطْعَةٌ في حَدِّ دارالوَزارَة الغربي وفي بعض[f] حدِّها القِبْلي - وهو الجِدار الذي فيه باب الطَّاحون والسَّاقية تجاه باب سَعيد السُّعَداء، من الزُّقاق الذي يعرف اليوم بخَرائِب تَتَر - ومنه قطعة في حَدِّها الشرقي عند باب الحَمَّام والمُسْتَوْقَد بباب الجُوَّانِيَّة[1].

وكان بدار الوَزارَة هذا «الشُّبّاك الكبير» المعمول من الحَديد في القُبَّة التي دُفِنَ تحتها بَيْبَرْس الجاشَنْكير من خانْقاهه، وهو الشُّبَّاك الذي يَقْرأ فيه القُرَّاءُ، وكان مَوْضوعًا في دار الخِلافَة ببغداد يجلس فيه الخُلَفاءُ من بني العَبَّاس[2]. فلمَّا استولى الأميرُ أبو الحارِث البَساسيري على بغداد، وخَطَب فيها للخَليفَة المُسْتَنْصِر بالله الفاطِمي أربعين جُمُعَة وانتهب قَصْر الخِلافَة، وصارَ الخَليفَةُ القائِم بأمْر الله العَبّاسي إلى عَانَة، وسَيَّرَ البَساسيري الأموال والتُّحَف من بغداد إلى المُسْتَنْصِر بالله بمصر في سنة سبعٍ وأربعين وأربع مائة، كان من جملة ما بَعَثَ به مِنْديل الخَليفَة القائِم بأمْر الله الذي عَمَّمَه بيده في قالَب من رُخام قد وُضِعَ فيه كما هو حتى لا تتغيَّر شَدَّته، ومع هذا المِنْديل رداؤه، والشُّبَّاك الذي كان يجلس فيه ويتَّكئ عليه[3]. فاحْتُفِظَ بذلك إلى أن عُمِّرَت دار الوَزارَة على يد الأفْضَل ابن أمير الجُيوش، فجَعَلَ هذا الشُّبَّاك بها يجلس فيه الوَزيرُ ويتَّكئ عليه. وما زالَ بها إلى أن عَمَّرَ الأميرُ رُكْنُ الدِّين بَيْبَرْسُ الجاشَنْكير الخانْقاه الرُّكْنِيَّة، وأَخَذَ من دار

---

a-a) إضافة من المسودة. b) زيادة من المسودة. c) المسودة: ملكه. d) ساقطة من بولاق. e) بولاق: سور بناؤه بالحجارة، والمثبت من المسودة. f) زيادة من المسودة.

---

[1] المقريزي: مسودة المواعظ ٢٥٥-٢٥٦، وفيما يلي ٢: ٤١٦-٤١٧.

[2] الرشيد بن الزبير: الذخائر والتحف ١٩٦.

[3] عن الشباك ودوره في الرسوم الفاطمية انظر فيما تقدم ٣٠٢.

الوَزارَة أنْقاضًا منها هذا الشُّبّاك، فجَعَلَه في القُبّة؛ وهو شُبّاكٌ جَليل.

وأمّا العِمامَةُ والرِّداءُ فما زالا بالقصر حتى ماتَ العاضِدُ، وتملَّكَ السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين ديار مصر، فسيَّرهما في جملة ما بَعثَ من مصر إلى الخليفَة المُسْتَضيء بأَمْر الله[a] العَبّاسي ببغداد، ومعهما الكتابُ الذي كَتَبَه الخَليفَةُ القائِم على نفسه وأَشْهَد عليه العُدول فيه أنّه لا حَقّ لبني العَبّاس، ولا له من جملتهم، في الخِلافَة مع وُجود بني فاطِمَة الزَّهْراء ـ عليها السَّلام ـ وكان البَساسيريُّ أَلْزَمَه حتى أَشْهَد على نفسه بذلك، وبَعَثَ بالإشْهاد إلى مصر ـ فأَنْفَذَه صلاحُ الدِّين إلى بغداد مع ما سَيَّر به من التُّحَف التي كانت بالقصر[1].

وأَخْبَرَني شيخٌ مُعَمَّرٌ [b]أدْركته بالخانقاه الركنية بَيْبَرْس ـ يُعْرَف بابن الرَّصّاص ويقال له الشيخ عليّ السُّعودي[b]، وُلِدَ في سنة سبعٍ وسبع مائة، [b]على ما ذكر لي مُشافهةً ـ وكانت لي به صُحْبَة لكثرة ما كان عنده من الأخبار[b] قال: رأيتُ مرّةً وقد سَقَطَ من ظهر الرِّباط المجاور لخانقاه بَيْبَرْس، من جملة ما بقي من سُور دار الوَزارَة، جانِبٌ ظَهَرت منه علبة فيها رأسُ إنسانٍ كبير. وعندي أنّ هذه الرَّأْس من جملة رُءوس الأُمَراء البَرْقِيّة الذين قَتَلَهُم ضِرْغامُ في أيام وَزارَته للعاضِد بعد شاوَر. فإنّه كان عمل الحيلة عليهم بدار الوَزارَة، وصارَ يستدعي واحِدًا بعد واحِدٍ إلى خِزانَةٍ بالدّار، ويُوهمهم[c] أنّه يَخْلَع عليهم، فإذا صارَ الواحِدُ[d] منهم في الخزانَة قُتِلَ وقُطِعَ رأسُه، وذلك في سنة ثمانٍ وخمسين وخمس مائة.

وكانت دارُ الوَزارَة في الدَّوْلَة الفاطِمية تشتمل على عِدَّة قاعات ومَساكِن وبُسْتان وغيره، وكان فيها مائة وعشرون مَقْسمًا للماء الذي يجري في بِرَكِها ومَطابِخها ونحو ذلك[2].

ذِكْرُ رُتْبَة الوَزارَة وهَيْئَة خِلَعهم ومِقْدار جارِيهم وما يَتَعَلَّق بذلك ـ [e]الوَزارَة عبارة عن رَجُلٍ موثوقٍ به في دينه وعَقْله يُشاوره الخَليفَةُ فيما يَعِنّ له من الأُمُور. واشْتُقَّ الوَزيرُ من الوِزْر ـ بكسر الواو ـ وهو الثِّقَل، فكأنّه يحمل عن الخَليفَة ثِقَل الأمور؛ وقيل مشتقٌّ من الوَزَر ـ بفتح الواو والزاي ـ وهو المكان الممتنع في الجَبَل يُلْجأ إليه ويُمْتَنَع فيه، فكأنَّ الوَزيرَ يَلْجأ إليه الخَليفَةُ فيما يَعِنّ

a) بولاق: المستضيء بالله. b-b) إضافة من المسودة. c) بولاق: يوهم. d) بولاق: واحد، المسودة: أحدهم. e-e) حاشية بخط المؤلف.

[1] مصدر هذا الخبر في المسودة هو ابن دحية: النبراس في مناقب بني العباس ١٣٩؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٢٥٧.

[2] المقريزي: المسودة ٢٥٧-٢٥٨.

له من الأُمُور ويَمْتَنع برأيه من الخطأ ؛ وقيل مشتقٌّ من الأَزْر - بفتح الهمزة وسكون الزاي - فكأنَّ الوَزيرَ يَشُدّ أَزْرَ الخَليفَة ويُقَوِّيه ، ومن هنا ذَهَبَ بعضُهم إلى أنَّ الواو في الوَزير بَدَلٌ من الهمزة ، ويُقال الوِزارَة - بكسر الواو وفتحها - والكسر أفْصَح [e].

أمّا المُعِزّ لدين الله ، أوّلُ الخُـلَفاء الفاطِميين بديار مصر ، فإنَّه لم يُوَقِّع اسْم الوَزارَة على أحَدٍ في أيامه . وأوّلُ من قيل له الوَزير في الدَّوْلَة الفاطِمية الوَزيرُ يَعْقوبُ بن كِلِّس ، وَزيرُ العَزيز بالله أبي مَنْصور نِزار بن المُعِزّ ، وإليه تُنْسَب الحارَة الوَزيريَّة ، كما ستقف عليه عند ذِكْر الحارات من هذا الكتاب [١] . فلمّا ماتَ ابنُ كِلِّس لم يَسْتَوْزر العَزيزُ بالله بعده أحَدًا ، وإنَّما كان رُجُلٌ يلي الوَساطَة والسِّفارَة ، فاستقرَّ في ذلك جَماعَةٌ كثيرةٌ بقيَّة أيام العَزيز وسائِر أيام ابنه أبي عليّ مَنْصور الحاكِم بأَمْر الله .

ثم وَلِيَ الوَزارَة أحمد بن عليّ الجَرْجَرائي في أيام الظّاهِر أبي هاشم عليّ بن /الحاكِم [٢] . وما زال الوُزَراء من بعده واحِدًا بعد واحِدٍ - وهم أرْبابُ أقْلامٍ - حتى قَدِمَ أميرُ الجُيُوش بَدْرٌ الجَمالي . ٤٤٠:١

قال ابنُ الطُّوَيْر : وكان من زِيِّ هؤلاء الوُزَراء أنَّهم يَلْبَسون المَناديل الطَّبَقيات - يعني العمائم بالأحْناك تحت حُلوقهم مثل العُدول الآن - وينفردون بلبس ثيابٍ [a] يُقال لها : « الدَّراريع » [٣] (واحِدَتها دُرّاعَة) وهي مشقوقة أمام وجهه إلى قَريبٍ من رأس الفُؤاد بأزرار وعُرى ، ومنهم من تكون أزرارُه من ذَهَب مشبَّك ، ومنهم من أزرارُه لُؤلؤ ، وهذه عَلامَة الوَزارَة .

ويُحْمَل له الدَّواة المحلّاة بالذَّهَب ، ويقف بين يديه الحُجّابُ ، وأمْرُه نافِذٌ في أرْباب السُّيوف من الأجناد وأرْباب الأقْلام . وكان آخِرُهم الوَزيرُ ابن المَـغْربي [٤] الذي قَدِمَ عليه أَميرُ الجُيُوش بَدْرٌ

---

a) بولاق : ثياب قصار .

---

[١] فيما يلي ٢ : ٥ .

[٢] في سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م ، حيث أصبحت الوزارة منذ هذا التاريخ منصبًا وتكليفًا ، وكانت كل مسئوليات وزير التنفيذ مسئوليات إدارية فقط ، فلا يُشير سجل تولية الجرجرائي المؤرخ في ذي الحجة سنة ٤١٨هـ (أورد نصه ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ٨١) إلى أية مسئوليات عسكرية أو قضائية .

[٣] دُرّاعَة جـ. دَراريع . هي اللباس المعروف بالجُبَّة أو الفَرَجيَّة وهي من خصائص لباس المشايخ وأرباب العمائم في العصور الإسلامية (Ma'yer L. A., *Mamluk Costume*, Genève 1952, pp. 15-16) .

[٤] الوزير أبو الفرج محمد بن جعفر المغربي ، أحد أفراد أسرة لعبت دورًا كبيرًا في الحياتين السياسية والثقافية في العراق ومصر في القرنين الرابع والخامس للهجرة . تولى الوزارة أول=

الجَماليّ من عَكّا ، وَوَزَرَ للمُسْتَنْصر وَزيرَ سَيْفٍ ، ولم يتقدَّمه في ذلك أحَدٌ[١] انتهى .

وتَرْتيبُ وَزارَته بأن تكون وَزارتُه وَزارَة صاحِب سَيْف ، بأن تكون الأمورُ كلُّها مردودة إليه[b] ومنه إلى الخَليفَة دون سائِر خَدَمه ، فعَقَدَ له هذا العَقْد ، وأُنشئ له السِّجِل ، ونُعِتَ بـ « السَّيِّد الأَجَلّ أمير الجُيُوش »[٢] ـ وهو النَّعْتُ الذي كان لصاحِب ولاية دِمَشْق ـ وأُضيف إليه « كافِلُ قُضَاة المُسْلِمين ، وهادي دُعاة المُؤْمنين » ، وجَعَلَ القاضي والدّاعي نائِبَيْن عنه ومقلَّدَيْن من قِبَلِه . وكُتبَ له في سجلّه :

« وقد قَلَّدَك أميرُ المؤمنين جَميع[a] جَوامِع تدبيره ، وناطَ بك النَّظَر في كلّ ما وَراء سَريره . فباشِر ما قَلَّدَك أميرُ المؤمنين من ذلك مُدَبِّرًا للبلاد ، ومُصْلِحًا للفَسَاد ، ومُدَمِّرًا أهلَ العِناد »[٣] .

وخُلِعَ عليه بالعِقْد المنظوم بالجَوْهَر مكان الطَّوْق ، وزيد له الحَنَك مع الذُّؤابَة المُرْخاة والطَّيْلَسان المُقَوَّر زِيّ قاضي القُضاة ، وذلك في سنة سبعٍ وستين وأربع مائة . فصارَت الوَزارَةُ من حينئذٍ وَزارَة تَفْويض ويُقال لمتوليها :« أميرُ الجيُوش » ، وبَطَلَ اسم الوَزارَة[b] [٤] .

---

a) ساقطة من آياصوفيا . b) بولاق : الوزير .

=مرة في ربيع الأول سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م ، وصرف عنها سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م ، ولم يكن هو الوزير الذي قدم عليه بدر الجمالي وإنما ساعد الخليفة المستنصر في استدعاء بدر الجمالي من عكا وهو يتولى ديوان الإنشاء ، أما الوزير الذي قدم عليه بدرٌ الجمالي فهو الحسن بن القاضي ثقة الدولة وسنائها المعروف بابن أبي كُدَيْنَة (ابن الصيرفي : الإشارة ٨٩-٩٠) . (راجع ، ابن الصيرفي : الإشارة ٨٣-٨٥؛ ابن ميسر : أخبار مصر ١٨، ٢٢، ٢٥، ٣٤، ٤٧، ٥٥ ، وفيما يلي ٢:١٥٨) .

وعن الوزارة في العصر الفاطمي راجع ابن الصيرفي : الإشارة إلى من نال الوزارة ، ومن الدراسات الحديثة ، عطية مصطفى مشرفة : نظم الحكم في عصر الفاطميين (٣٥٨-٥٦٧هـ/ ٩٦٨-١١٧١م) ، القاهرة ١٩٤٨؛ ٩٦-١٢٠؛ عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ، القاهرة ١٩٥٣-١٩٥٥، ١:٧٨-٩٣؛ جمال الدين الشَّيّال : مجموعة الوثائق الفاطمية ، القاهرة ١٩٥٨، ١٢٧-١٧٨؛ محمد حمدي المناوي : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، القاهرة ١٩٧٠؛ Laila Sami al-ʿImâd, *The Fatimid Vizirate 969-1172*, Berlin 1990؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٣٢٠-٣٢٧.

[١] ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٠٦؛ القلقشندي : صبح ٢: ٤٨٦.

[٢] السجلات المستنصرية ، السجلات أرقام ٥٦، ٥٧، ٥٨.

[٣] المقريزي : المقفى ٢: ٣٩٧؛ ابن حجر : رفع الإصر ٩٢.

[٤] ابن الصيرفي : الإشارة ٩٦؛ النويري : نهاية الأرب=

فلمَّا قامَ شاهِنْشاه ابن أَمير الجُيُوش من بعد أبيه ، وماتَ الخَليفَةُ المُسْتَنْصِر ، وأَجْلَس ابنُ بَدْر في الخِلافَة أحمدَ بن المُسْتَنْصر ولَقَّبه بـ « المُسْتَعْلي » ، صارَ يُقالُ له : « الأَفْضَل » ، ومن بعده صارَ من يتولَّى هذه الرُّتْبَة يتلقَّب به أيضًا [1] .

وأوَّلُ من نُعِت[a] بـ « المَـلِك » مِنهم مُضافًا إلى بقيَّة الألقاب رِضْوان بن وَلَخْشي عندما وَزَرَ للحافِظ لدين الله ، فقيل له : « السَّيِّد الأَجلّ المَلِك الأَفْضَل » ، وذلك في سنة ثلاثين وخمس مائة [2] . وفُعِلَ ذلك مِنْ بعده ، فتلقَّب طَلائِعُ بن رُزِّيك بـ « الملك الصَّالح » [b]، وتلقَّب ابنه رُزِّيك ابن طلائِع بـ « الملك العادِل » ، وتلقَّب شاوَر بـ « المَلِك المَنْصور » ، وتلقَّب آخرهم صَلاحُ الدِّين يوسُف بن أيُّوب بـ « المَلِك النَّاصِر » . وصارَ وَزِيرُ السَّيْف من عَهْد أمير الجُيُوش بَدْر إلى آخِر الدَّوْلَة هو « سُلْطَان مصر ، وصاحب الحَلّ والعَقْد ، وإليه الحُكْم في الكافَّة من الأُمَرَاء والأَجْناد والقُضاة والكُتَّاب وسائِر الرَّعِيَّة ، وهو الذي يُوَلّي أَرْباب المناصِب الدِّيوانية والدينية » . وصارَ حالُ الخَليفَة معه كما هو حالُ ملوك مصر من الأَتْراك إذا كان السُّلْطان صَغيرًا والقائِم بأَمْره من الأُمَراء ، وهو الذي يتولَّى تَدْبيرَ الأمور كما كان الأَميرُ يَلْبُغا الخاصَّكِيّ مع الأَشْرَف شَعْبان ، وكما أدركنا الأمير بَرْقوق .

---

a) بولاق : لقب . b) بولاق : المنصور .

=٢٨: ٢٣٥. وأضفى بدر الجمالي شهرة على هذا اللقب حتى إنه حَلَّ محلّ اسمه الشخصي للتدليل عليه ؛ فرغم أن خلفاءه تلقَّبوا كذلك بلقب «أمير الجيوش» ـ بما أنّهم كانوا «وزراء سيوف» أي قادة للجيش في نفس الوقت ـ فإنَّ بدرًا احتفظ وحده لدى المؤرخين بميزة أنهم كانوا يكتفون فقط لتعريفه بذكر لقبه «أمير الجيوش» . (أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٣٢٢) .

[1] استقرَّ ترتيبُ ألقاب وزراء السيوف الفاطميين ابتداءً من بدر الجمالي وحتى ظهور لقب «الملك» بين ألقاب الوزير كالآتي : «السَّيِّد الأجلّ [النعت الشخصي للوزير الذي أصبح ابتداءً من الصَّالح طلائع لقب «ملك»] ، أمير الجُيُوش ، سَيْف الإسلام ، ناصر الإمام ، كافِل قُضَاة المسلمين وهادي دُعاة المؤمنين ، (ثم اسم وكنية ولقب الوزير الشخصي)» . (أيمن فؤاد : المرجع السابق ٣٢٢) .

[2] هذه المعلومة غير دقيقة ومصدرها ابن الأثير : الكامل ١١: ٤٨ ، وكرَّرها المقريزي في اتعاظ الحنفا ٣: ١٦١ . ولكن ما ذكره المقريزي يُناقضُ نَصًّا آخر له في اتعاظ الحنفا ٣: ٢١٨ حيث يذكر في ترجمة الوزير طلائع بن رُزِّيك أنه نُعِت في سجل توليته بـ «الملك الصَّالح» وأنه «لم يُلَقَّب أحَدٌ من الوُزراء قبله بالملك وذلك في يوم الخميس ٤ ربيع الآخر سنة ٥٤٩هـ» ، وأضاف بعد قليل (٣: ٢٥١) : «وهو أوَّل من خوطب بالملك في ديار مصر ونعت به» . يؤكّد ذلك ما ورد عند ابن ميسر (أخبار ١٢٦) وسِجِلّ تقليد رضوان الوزارة الذي لم يرد فيه لفظ الملك . (القلقشندي : صبح ٨: ٣٤٢- ٣٤٦) .

قال ابنُ أبي طَيّ [a] في « تاريخ حَلَب » [a]: وكانت خِلَعُهم - يعني الخُلَفاء الفاطِميين - على الأُمَرَاء الثِّياب الدَّبيقي والعَمائِم القَصَب بالطِّراز الذَّهَب ؛ وكان طِرازُ الذَّهب والعِمامة من خمس مائة دينار ، ويُخْلَع على أكابر الأُمَراء الأطْواقُ الذَّهب والإسْوِرَةُ والسُّيوفُ المحلّاة . وكان يُخْلَع على الوَزير عِوَضًا عن الطَّوْق عِقْدُ جَوْهَر [1].

قال ابنُ الطُّوَيْر : وخُلِعَ عليه - يعني على أمير الجُيُوش بَدْر الجماليّ - بالعِقْد المنظوم بالجَوْهَر مكان الطَّوْق ، وزيد له الحَنَك مع الذُّؤابَة المُرْخاة والطَّيْلَسان المُقَوَّر زِيّ قاضي القُضاة [2].

[a]قال المؤلِّف [a]: وهذه الخِلَعُ تُشابه خِلَع الوُزَراء أرْباب الأقْلام في زَمَنِنا هذا ، غير أنَّه لقُصُور أحْوال الدولة ، جُعِلَ عِوَض العِقْد الجَوْهَر الذي كان للوَزير - ويُفَكُّ بخمسة آلاف مِثْقال ذَهبًا - قِلادَةٌ من عَنْبَر مَغْشوش يُقال لها « العَنْبَرِيَّة [b] » ، ويتميَّز بها الوَزيرُ خاصَّةً ، ويلبس أيضًا الطَّيْلَسان المُقَوَّر ويُسَمَّى اليوم بـ « الطَّرْحَة » ، ويشاركه فيها جَميعُ أرْباب العَمائِم إذا خُلِعَ عليهم ، فإنَّه تكون خِلَعُهم بالطَّرْحَة .

وتُرِكَ أيضًا اليوم من خِلْعَة الوَزير وغيره الذُّؤابَة المُرْخاة وهي « العَذَبَة » ، وصارَت الآن من زِيّ القُضَاة فقط وهَجَرَها الوُزَراء . ويُشْبِه - والله أعْلَم - أن يكون وَضْعُها في الدولة الفاطِمية للوَزير في خِلَعِه إشارةً إلى أنَّه كبير أرْباب السُّيوف والأقْلام ، فإنَّه كان مع ذلك يتقلَّد بالسَّيْف . وكذلك تُرِكَ في الدَّوْلَة التركية من خِلَع الوَزارَة تَقْليد السَّيْف ؛ لأنَّه لا حُكْم له على أرْباب السُّيوف .

ولمَّا قام الأَفْضَلُ ابن أمير الجُيُوش خُلِعَ أيضًا عليه بالسَّيْف والطَّيْلَسان المُقَوَّر ، وبعد الأَفْضَل لم يُخْلَع على أحَدٍ من الوُزراء كذلك ، إلى أن قَدِمَ طلائِعُ بن رُزِّيك ولُقِّب بـ « المَلك الصَّالِح » عندما خُلِعَ عليه للوَزارَة ، وجُعِلَ في خِلْعَته السَّيْفُ والطَّيْلَسانُ المُقَوَّر [3].

قال ابنُ المأمُون : وفي يوم الجُمُعَة ثانيه - يعني ثاني ذي الحجَّة سنة خمس عشرة وخمس مائة - أُخْلِعَ [c] على القائِد ابن فاتِك البَطائِحي من الملابس الخاصّ الشَّريفة في فَرْد كُمّ مَجْلِس

---

a-a) إضافة من المسودة . b) بولاق : العنبرية . c) بولاق : خلع .

---

[1] المقريزي : مسودة المواعظ ٢٦٠. المواعظ ٢٦٠.

[2] ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٢١؛ المقريزي : مسودة [3] المقريزي : مسودة المواعظ ٢٦٠- ٢٦١.

٤٤١ اللُّعْبَة [١]، وطُوِّق بطَوْقٍ ذهب مُرَصَّع/ وسَيْفٍ ذهب كذلك، وسَلَّمَ على الخَليفَة الآمر بأحكام الله. وأمَرَ الخَليفَةُ الأُسْتاذين المحَنَّكين بالخُروج بين يديه، وأن يَرْكَب من المكان الذي كان الأَفْضَلُ ابن أمير الجيُوش يركب منه. ومَشَى في ركابه القُوّادُ على عادَة مَنْ تقدَّمه، وخَرَجَ بتَشْريف الوَزارَة ـ يعني من باب الذَّهَب ـ [a]شاقًّا بَيْنَ القَصْرَيْن[a]، ودَخَلَ من بابِ العيد راكِبًا، وجَرَى الحُكْمُ فيه على ما تقدَّم للأَفْضَل، ووَصَلَ إلى داره فضاعَف الرُّسوم، وأَطْلَقَ الهِبات.

قال[b]: ولمَّا كان يوم الاثنين خامس ذي الحجَّة، اجتمع أُمَراءُ الدَّوْلَة لتَقْبيل الأرض بين يدي الخَليفَة الآمِر على العادَة التي قَرَّرَها مستجدَّة، واستدعى الشَّيْخَ أبا الحَسَن بن أبي أُسامَة ـ [c]يعني صاحِب ديوان الإنْشاء والمكاتبات[c] ـ فلمَّا حَضَرَ أُمِرَ بإحضار السِّجِلّ ـ [c]يعني تقليد الوزارة ـ فأحضره في لُفافة خاصّ مُذَهَّبة وسَلَّمَ الخَليفَة السِّجِلّ[c] للأَجَلّ الوَزير المأْمُون من يده، فقبَّله وسَلَّمه لزِمام القصر، وأَمَرَ الخَليفَةُ الوَزيرَ المأْمُون بالجلُوس عن يمينه. وقُرِئَ السِّجِلُّ على باب المجْلس ـ [a]يعني الذي كان يجلس فيه الخَليفَة بقاعَة الذَّهَبِ في يومي المَوْكب[a] وهو أوَّلُ سِجِلٍّ قُرِئَ في هذا المكان، وكانت سِجِلَّاتُ الوُزَراء قبل ذلك تُقْرأ بالإيوان [٢] ـ ورُسِمَ للشَّيْخ أبي الحسن أن يَنْقِل النِّسْبَة للأُمَراء والمحَنَّكين من الآمِري إلى المأموني للنَّاس أجْمَع، ولم يَكُن أحَدٌ منهم يَنْتَسِب للأَفْضَل ولا لأمير الجيُوش. وقُدِّمَت الدَّواةُ للمَأمون فعَلَّم في مَجْلِس الخَليفَة، وتقدَّمت الأُمَراءُ والأَجْنادُ، فقبَّلوا الأرض وشَكَروا [a]أميرَ المؤمنين[a] على هذا الإحسان.

وأَمَرَ الخَليفَةُ بإحْضَار الخِلَع لحَاجِب الحُجَّاب حُسام الملك [a]أَفْتَكين فأُحْضِرت وأُفيضت عليه[a] وطُوِّقَ بطَوْقٍ ذهب وسيفٍ ذَهَب ومِنْطَقَةٍ ذهب. ثم أَمَرَ بالخِلَع للشَّيْخ أبي الحَسَن بن أبي أُسامَة باستمراره على ما بيده من كِتابَة الدَّسْت الشَّريف، وشَرَّفه بالدُّخول إلى مَجْلس الخَليفَة.

ثم استدعى الشَّيْخ أبا البَرَكات بن أبي اللَّيْث [متولِّي ديوان المجْلِس][d]، وأَخْلَع عليه بَدْلَةً مُذَهَّبة، وكذلك أبو الرِّضَى سالِم ابن الشيخ أبي الحَسَن، وكذلك أبو المكارِم أخوه وأبو محمد أخوهما، ثم أبو الفَضْل بن المَيْدَمي [مُنْشِئ ما يَصْدُر عن ديوان المكاتبات ومُحرِّر ما يُؤْمَر به من المهمَّات][a]، ووَهَبَه دَنانير كثيرة بحُكْم أنَّه الذي قَرَأَ السِّجِلّ، وخَلَعَ أيضًا[e] على الشيخ أبي

a-a) زيادة من مسودة المواعظ. b) إضافة من مسودة المواعظ. c-c) ساقطة من بولاق. d) زيادة من المقفى الكبير. e) إضافة من المسودة.

[١] انظر فيما تقدم ٢٩٠؛ وفيما يلي ٥١٣.

[٢] انظر فيما يلي ٥١٤.

الفضائل بن أبي اللَّيْث صاحِب دَفْتَر المجْلِس . ثم استدعى عَدِيّ المُـلْك سَعيد بن عِماد الضَّيْف، متولّي أمور الضِّيافات والرُّسُل الواصلين إلى الحضرة من (a جَميع الجِهات، وأَخَذ العلامَة على التَّوقيعات فأخلع عليه . وما كان أحَدٌ يَدْخل a) مَجْلس الأَفْضَل، ولا يصل لعَتَبَته أحَدٌ، لا حاجِب الحُجّاب ولا غيره سوى عَدِيّ المُلْك هذا، فإنَّه كان يقف من داخل العَتَبَة . وكانت هذه الخِدْمَةُ في ذلك الوقت من أَجَلّ الخِدَم وأكبرها، ثم عادَت من أَهْوَن الخِدَم وأقلّها [1].

فعند ذلك قال القاضي أبو الفَتْح [محمود] b) بن قادوس [2] يَمْدَح الوَزير المأمُون عند مُثُوله بين يديه، وقد زِيدَ في نُعوته :

[الكامل]

قَالوا أَتَاهُ النَّعْتُ وهو السَّيِّدُ الـ … مأمون حَقًّا والأَجَلُّ الأَشْرَفُ
ومُغيثُ أمَّة أحمدٍ ومجيرُها … ما زادَنا شيئًا على ما نَعْرِفُ

قال : ولمَّا استمرَّ حُسْنُ نَظَر المأمون للدولة وجَميل أفعالِه، بَلَغَ الخَليفَةَ الآمِر بأحكامِ الله، فشكره وأثْنَى عليه، فقال له المأمُون : ثَمَّ كلامٌ يحتاج إلى خُلْوَة . فقال الخَليفَةُ : تكون في هذه السَّاعة c)، وأَمَرَ بخُلُوِّ المجلس . فعند ذلك مَثَلَ بين يديِ الخَليفَة وقال له : يا مولانا امتثالُنا الأَمْر صَعْبٌ ومخالفتُه أصعب، وما يتَّسع خِلافُه قُدَّام أُمَراء دَوْلته وهو في دَسْتِ خِلافَتِه ومَنْصِب آبائِه وأجدادِه، وما في قُواي ما يرومه مِنّي، ويكفيني هذا المِقْدار، وهَيْهات أن أقومَ به، والأمرُ كبير . فعند ذلك تَغَيَّر الخَليفَةُ وأَقْسَم لا كان d) لي وَزيرٌ غيرك، وهو في نَفْسي من أيام الأَفْضَل؛ وهو مستمرٌّ على الاسْتِعفاء إلى أن بانَ له التَّغَيُّر في وَجْه الخَليفَة، وقال : ما اعتقدْتُ أنَّك تَخْرُج عن أمْري ولا تُخالِفُني؛ فقال له المَـأْمُون عند ذلك : لي شُروطٌ، وأنا أذكرها؛ فقال له : مهما شِئْت اشْتَرِط؛ فقال له : قد كنتُ بالأمس مع الأفْضَل، وكان قد اجتهد في [أن يشرِّفني بعدَّة] b)

a-a) ساقطة من بولاق. b) زيادة من المقفى الكبير. c) بولاق في هذا الوقت. d) بولاق : إن كان والمثبت من المقفى.

[1] ابن المأمون : أخبار مصر ٢٠ - ٢١؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٢٦١-٢٦٢ والمقفى الكبير ٦ : ٤٨٠-٤٨١ واتعاظ الحنفا ٣ : ٧٥- ٧٧.

[2] القاضي المفضل كافي الكفاة أبو الفتح محمود بن إسماعيل بن حميد الدمياطي المعروف بابن قادوس، شاعر منشئ من كتاب ديوان الإنشاء بمصر، توفي سنة ٥٥٣هـ. (ابن ميسر : أخبار ١٥٧؛ العماد الأصفهاني : خريدة القصر (قسم مصر) ١ : ٢٢٦- ٢٣٤؛ السيوطي : حسن المحاضرة ١ : ٥٦٣).

النُّعوت وحَلّ المِنْطَقَة [مِنْ وَسَطي][a] فلم أَفْعَل؛ فقال الخَليفَةُ: عَلِمْتُ ذلك في وَقْتِه؛ قال: وكان أولادُه يكتبون إليه بما يعلمه مَوْلايَ من كَوْني قد خُنْته في المال والأَهْل، وماكان واللهِ العَظيم ذلك منّي يومًا قَطّ! ثم مع ذلك مُعاداة الأَهْل جَميعًا والأَجْناد وأَرْباب الطَّيالِس والأَقْلام، وهو يُعطيني كلَّ رُقْعَة تَصِل إليه منهم، وما سَمِعَ كلامَ أَحَدٍ منهم فيّ؛ فعند ذلك قال له الخَليفَةُ: فإذا كان فِعْلُ الأَفْضَل معك ما ذكرته، إيش يكون فِعْلي أنا؟ فقال المأمون: يُعَرِّفني المَوْلَى ما يَأْمُر به فأَمْتَثِله بشَرْط أَلَّا يكون عليه زائِد.

فأوَّل ما ابتدأ به أن قال: أُريدُ الأموالَ لا تُجْبَى إلَّا بالقَصْر، ولا تَصِلُ الكُسْواتُ من الطِّراز والثُّغور إلَّا إليه، ولا تُفَرَّق إلَّا منه، وتكون أَسْمِطةُ الأعياد فيه، ويُوَسَّع في رَواتِب القُصور من كلّ صِنْف، وزيادة رَسْم مِنْديل الكُمّ. فعند ذلك قال له المأمون: سَمْعًا وطاعَةً؛ أمَّا الكُسْواتُ والجِبايَةُ والأَسْمِطَةُ فما تكون إلَّا بالقُصور، وأمَّا تَوْسِعةُ الرَّواتِب فما ثَمَّ من يُخالِفُ الأمر، وأمَّا زيادةُ رَسْم مِنْديل الكُمّ فقد كان الرَّسْم في كلّ يوم ثلاثين دينارًا، يكون في كلّ يوم مائة دينار؛ ومولانا ـ سلامُ الله عليه ـ يُشاهِدُ ما يُعْمَل بعد ذلك في الرُّكوبات وأَسْمِطَة الأعياد وغيرها في سائِر الأيام. ففَرِحَ الخَليفَةُ، وعَظُمَت مسرَّتُه.

ثم قال المأمونُ: أُريدُ بهذا مَسْطورًا بخَطّ أَمير المؤمنين، ويُقْسِم لي فيه بآبائه الطَّاهرين أَلَّا يَلْتَفِت لحاسِدٍ ولا مُبْغِض، ومهما ذُكِرَ/ عنّي[b] يُطْلِعني عليه، ولا يأمرُ فيَّ بأمرٍ سِرًّا ولا جَهْرًا ٤٤٧ يكون فيه ذَهابُ نَفْسي وانْحِطاطُ قَدْري. [وتكون][a] هذه الأَيْمانُ باقية إلى وَقْت وفاتي، فإذا تُوُفِّيت تكون لأولادي ولمن أُخَلِّفه بعدي. فحَضَرَت الدَّواةُ، وكُتِبَ ذلك جَميعُه، وأَشْهَد الله تعالى في آخرها على نفسه؛ فعندما حَصَلَ الخَطُّ بيد المأمون، وَقَفَ وقَبَّلَ الأرض وجَعَلَه على رأسِه. وكان الخَطُّ بالأَيْمان نُسْخَتَيْن، إحداهُما في قَصَبَةٍ فِضَّة.

قال: فلمَّا قُبِضَ على المأمون في شهر رَمَضان سنة تسع عشرة[c] وخمس مائة، أَنْفَذَ الخَليفَةُ الآمِر بأحكام الله يَطْلُب الأَيْمان، فنَفَّذَ له التي في القَصَبَة الفِضَّة، فحَرَقَها لوقتها، وبقيت النُّسْخَةُ الأخرى عندي، فعُدِمَت في الحَرَكات التي جَرَت[1].

---

a) زيادة من المقفى الكبير. b) بولاق: فيَّ. c) في النسخ: وعشرين، خطأ.

---

[1] ابن المأمون: أخبار مصر ٢٠-٢٣؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٧٥-٧٧؛ والمقفى الكبير ٦: ٤٨٠-٤٨٣.

وقال ابنُ مُيَسَّر في حَوادِث سنة خمس عشرة وخمس مائة : وفيها تَشَرَّفَ القائِدُ أبو عبد الله محمد بن الأَمير نور الدَّوْلَة أبي شُجاع فاتِك ابن الأمير مُنْجِد الدَّوْلَة أبي الحسن مُخْتار المُسْتَنْصِري المعروف بابن البَطائِحي ، في الخامس من ذي الحِجَّة ، وكان قبل ذلك عند الأَفْضَل أسْتادَّاره [1] ، وهو الذي قَدَّمه إلى هذه المرتبة .

واستقرَّت نُعُوتُه في سِجِلّه المَقْروء على كافَّة الأُمَرَاء والأَجْناد بـ « الأَجَلّ المأمُون ، تاج الخِلافَة ، وَجيه المُـلْك ، فَخْر الصَّنائِع ، ذُخْر أَمير المؤمنين » . ثم تجدَّد له من النُّعوت بعد ذلك « الأَجَلُّ المأمُون ، تاجُ الخِلافَة ، عِزُّ الإسْلام ، فَخْرُ الأَنام ، نِظامُ الدّين والدُّنْيا » . ثم نُعِتَ بما كان يُنْعَت به الأَفْضَل ، وهو « السَّيِّدُ الأَجَلُّ المأمُون ، أَميرُ الجيُوش ، سَيْفُ الإسْلام ، ناصِرُ الأَنام ، كافِلُ قُضَاة المسلمين وهادي دُعاة المؤمنين » [2] .

ولمَّا كان يوم الثلاثاء التاسع[a] من ذي الحجَّة ـ وهو يَوْمُ الهَنَاء بعيد النَّحْر ـ جَلَسَ المأْمونُ في داره عند أذان الصُّبْح ، وجاءَ النَّاسُ لخِدْمَتِه للهنَاء على طَبَقاتِهم من أرْباب السُّيوف والأقْلام ، ثم الأُمَرَاءُ والأُسْتاذون المُحَنَّكون والشُّعَراءُ بعدهم . فرَكِبَ إلى القصر ، وأتى باب الذَّهَب ، فوَجَدَ المَرْتَبَة المختصَّة بالوَزارَة قد هُيِّئَت له في موضعها الجاري به العادَة ، وأُغْلِق البابُ الذي عندها على الرَّسْم المعتاد لوُزَراء السُّيوف والأقْلام . وهذا البابُ يُعْرَف بباب السِّرْداب . فعندما شاهَدَ الحال في المرتبة ، توقَّفَ عن الجُلوس عليها لأنَّها حالَة لم يَجْرِ معه حَديثٌ فيها ، ثم ألجأته الضَّرورَةُ لأجْل حُضُور الأُمَرَاء إلى الجُلوس ، فجَلس عليها وجَلَسَ أولادُه الثلاثة عن يمينه وأَخَواه عن يَساره ، والأُمَرَاءُ المُطَوَّقون ـ خاصَّةً دون غيرهم ـ قيامٌ بين يديه ، فإنَّه لا يَصِلُ أحَدٌ إلى هذا المكان سواهم . فلم يكن بأسرع من أن فُتِحَ الباب وخَرَج عِدَّةٌ من الأسْتاذين المُحَنَّكين بسَلام أمير المؤمنين .

---

a) عند ابن ميسر : السابع ، وعند النويري : الثالث عشر .

---

[1] الأستادّار : كلمة فارسية مركبة بمعنى متولّي قبض المال أو كبير الدار أو البيت ، وهي من الوظائف التي عرفت في عصر الدولة المملوكية . ويبدو أن إشارة ابن ميسر هذه هي الإشارة الوحيدة لوجود هذه الوظيفة عند الفاطميين . وانظر فيما يلي ٢: ٢٢٢.

[2] راجع ألقاب المأمون البطائحي عند ، ابن ظافر : أخبار ٨٨؛ النويري : نهاية ٢٨: ٢٨٨؛ ابن أيبك : كنز الدرر ٦: ٤٨٨؛ المقريزي : المقفى ٦: ٤٧٨-٤٧٩ ، وفيما يلي ٥١٤.

وخَرَجَ إليه الأميرُ الثِّقَةُ مُتَوَلِّي الرِّسالة وزمام القُصُور، فعند حُضُوره وَقَفَ له أوْلادُ المأمون وأخَواه، فطلَعَ عند خروجه قُبالَة[a] المَرْتَبَة وقال: أميرُ المؤمنين يردُّ على السَّيِّد الأَجَلّ المأمون السَّلام. فوَقَف عند ذلك الأَجَلّ[b] المأمون وقَبَّلَ الأرض، وعادَ فجَلَسَ مكانَه. وتأَخَّر الأميرُ إلى أن نَزَلَ من المَصْطَبة، وقَبَّلَ الأرض وقَبَّلَ يد المأمون، ودَخَلَ من فَوْره من الباب، وأُغْلِقَ البابُ على حالِه على ما كان عليه الأَفْضَل.

وكان الأَفْضَلُ يقول: ما أَزالُ أَعُدُّ نفسي سُلْطانًا حتى أَجْلِسَ على تلك المَرْتَبَة والبابُ يُغْلَق في وَجْهي والدُّخان في أَنْفي، فإنَّ الحَمَّامَ كانت من خَلْف الباب في السِّرْداب.

ثم فُتِحَ البابُ وعاد الثِّقَةُ، وأشارَ بالدُّخول إلى القصر، فدَخَلَ إلى المكان الذي هُيِّئَ له ودُعِيَ[c] لمجلس الوَزارَة، وبقي الأُمَرَاءُ بالدِّهاليز إلى أن جَلَسَ الخَلِيفَةُ، واستفتح القُرَّاءُ، واسْتُدْعي المأمون فحَضَرَ بين يديه، وسَلَّم عليه أولادُه وإخْوتُه، وأَحَلَّ الأُمَرَاء على قَدْر طَبَقاتِهم: أوَّلُهم أَرْبابُ الأَطْواق، ويليهم أَرْبابُ العَمَّاريات والأَقْصَاب، ثم الضُّيوفُ والأَشْراف. ثم دَخَلَ ديوانُ المكاتبات وسَلَّم بهم الشَّيْخ أبو الحَسَن بن أبي أُسامَة، ثم ديوانُ الإنْشاء وسَلَّم بهم الشَّريف ابن أَنَس الدَّوْلَة، ثم بقيَّةُ الطَّالبيين من الأَشْراف، ثم سلَّم القاضي ابنُ الرَّسْعَني بشُهوده، والداعي ابن عبد الحَقيق بالمؤمنين، ثم سَلَّم القائدُ مُقْبِل مقدَّم الرِّكاب الآمِري بجَميع المقدَّمين الآمرية، ثم سَلَّم بعدهم الشَّيْخُ أبو البَرَكات بن أبي اللَّيْث متولِّي ديوان المملكة. ثم دَخَلَ الأَجْنادُ من باب البَحْر، وسَلَّم كلُّ طائِفَةٍ بمقدَّمها.

فلمَّا انقضى ذلك دَخَل والي القاهِرَة ووالي مصر وسَلَّم كلٌّ منهما ببَياض أهل البلدين، ثم دَخَلَ البَطْرَكُ بالنَّصارَىٰ وفيهم كُتَّاب الدَّوْلَة من النَّصارَىٰ، ورَئِيسُ اليَهُود[1] ومعه الكُتَّابُ من اليَهُود، ثم سَلَّم المقرَّبون وقد قارَب القصر. ودَخَلَ الشُّعراءُ على طَبقاتِهم، وأَنْشَدَ كلٌّ منهم ما سَمَحَت به قَريحَتُه.

---

a) بولاق: وقبل الأرض وعاد فجلس مكانه. b) زيادة من ابن ميسر. c) بولاق: عاد.

---

[1] رئيس اليهود هو المعروف بـ«الناجد Nâgid»، وهو المصطلح الذي كان يُطْلَق على رئيس يهود مصر اعتبارًا من النصف الثاني للقرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي (انظر، Goitein, S. D., «The Title and Office of the Nagid: A Reexamination», *JQR* 53 (1962), pp. 93-119; id., *A Mediterranean Society* II, pp. 23-40; Cohen, M., *Jews Self-Government in Medieaval Egypt - The Origins of the Office of Head of the Jews, Ca. 1065-1126*, Princeton 1980.

قال: فكان هذا رُتْبَةَ الوَزير المأْمُون [في هذا اليوم][a] [١].

قال ابنُ المأْمُون: وأمَّا ما قُرِّرَ للوَزارَة عَيْنًا في الشهر، بغير إيجاب بل يُقْبَض من بَيْت المال، فهو ثلاثة آلاف دينار. تَفْصيلها: ما هو على حُكْم النِّيابَة في العَلامَة ألف دينار، وما هو على حُكْم الرَّواتِب ألف وخمس مائة دينار، وما هو على مائة غُلام - برَسْم مَجْلسه وخِدْمَته - لكلّ غُلام خمسة دنانير في الشهر. فأمَّا الغِلْمانُ الرِّكابية وغيرهم من الفَرّاشين والطَّبّاخين، فعلى حُكْم ما يُرْغَب في إثباته.

وفي السنة: من الإقْطاعات خمسون ألف دينار، منها دَهْشور وجَزيرَة الذَّهَب، وبقيَّة الجملة في البلاد[b] صَفَقات. ومن البَساتين ثلاثة: بُسْتان / الأمير تَميم [٢]، وبُسْتانان بكُوم أَشْفين. ومن القُوت - يعني القمح - ومن القَضيم - يعني الشَّعير - والبَرْسيم في السنة عشرون ألف أردبّ قمحًا وشَعيرًا. ومن الغَنَم برَسْم مَطابِخه مُساقَة من المراحات ثمانية آلاف رأس.

وأمَّا الحَيَوانُ والأَحْطابُ وجَميعُ التَّوابل، العال منها والدون، فمهما استدعاه متولّي المطابخ يُطْلَق من دار أَفْتكين وشُوَن الأَحْطاب وغير ذلك [٣].

وقد تقدَّم مُقَرَّر كُسْوة الوَزارَة في العيدين، وفَصْلَي الشِّتاء والصَّيْف، ومَوْسِم عيد الغَدير، وفَتْح الخَليج. وغير ذلك من غُرَّتَيْ شهر رَمَضان وأوَّل العام وغيره، كما سيردُ في موضعه من هذا الكتاب إن شاءَ الله تعالى.

وقد اسْتَقْصَيْتُ سِيَرَ الوُزَراء في كِتابي الذي سَمَّيْتُه «تَلْقيحُ العُقُول والآرَاء في تَنْقيح أَخْبار الجِلَّة الوُزَراء» [٤] فانظره.

---

a) زيادة من ابن ميسر. b) في البلاد: ساقطة من بولاق.

---

[١] ابن ميسر: أخبار مصر ٨٧-٩١؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٢٨٨-٢٩٠ ومصدر النويري هو ناظم سيرة المأمون، وفيما يلي ٥١٣ - ٥١٤.

[٢] حاشية بخط المؤلف: «بستان الأمير تميم يعرف اليوم بالمعشوق وهو بجوار رباط الآثار».

[٣] ابن المأمون: أخبار مصر ٨١.

[٤] لم يصل إلينا هذا الكتاب للأسف، وانظر فيما يلي ٢٢٣:٢ حيث يذكر المقريزي أنه جمع في وزراء الإسلام كتابًا جليل القدر وأفرد وزراء مصر في تصنيف بديع هو دون شك كتاب «تلقيح العقول».

ذِكْرُ الحُجَر التي كانت برَسْم الصِّبيان الحُجَريّة

وكان بجِوار دار الوَزارَة مَكانٌ كبيرٌ يُعْرَف بالحُجَر (جَمْعُ حُجْرَة) فيها الغِلْمان المختصُّون بالخُلَفاء، كما أدركنا بالقَلْعَة البيوت التي كان يُقال لها الطِّباق[a][1]. وكانت هذه الحُجَرمن جانِب حارَة الجُوَّانِيّة، وإلى حيث المَسْجِد الذي يُعْرَف بمَسْجد القاصِد[b]، تجاه باب الجامِع الحاكِمي الذي يُفْضي إلى باب النَّصْر[2].

فمن حُقوق هذه الحُجَر: دارُ الأمير بَهادُر اليُوسُفي السِّلاحْدار النَّاصِري التي تُجاوِر المَسْجِد الكائن على يَمْنَة من سَلَك من باب الجُوَّانِيَّة طالبًا باب النَّصْر، ومنها الحَوْضُ المجاور لهذه الدَّار، ودَارُ الأمير أحمد قَريب الملك النَّاصِر محمد بن قَلاوون، والمَسْجِدُ المعروف بالنَّخْلَة، وما يُجاوره من القاعتين اللتين تُعْرَف إحْداهُما بقاعَة الأمير عَلَم الدِّين سِنْجر الجَاوْلي، وما في جانبها إلى مَسْجد القاصِد، وما وَراءَ هذه الدور[3].

وكان لهؤلاء الحُجَريَّة إسْطَبْلٌ برَسْم دَوابِّهم ـ سيأتي ذكره إن شاءَ الله[4].

وما زالَت هذه الحُجَر باقية بعد انْقِضَاء دولة الخُلَفَاء الفاطِميين إلى ما بعد السبع مائة فهُدِمَت، وابْتَنَى النَّاسُ مكانَها الأماكِن المذكورة[5].

قال ابنُ أبي طَيّ [في «تاريخ حلب» عند وفاة][d] المُعِزّ لدين الله: وجَعَلَ كلَّ ماهِرٍ في صَنْعَةٍ صانِعًا للخاصّ، وأفْرَدَ لهم مَكانًا برَسْمِهم، وكذلك فَعَلَ بالكُتَّاب والأفاضِل، وشَرَطَ على وُلاة الأعمال عَرْض أوْلاد النَّاس بأعمالهم، فمَنْ كان ذا شَهامَة وحُسْن خِلْقَة أرْسَله ليَخْدِم في الرِّكاب. فسَيَّروا إليه عالمًا من أوْلاد النَّاس، فأفْرَد لهم دُورًا وسمَّاها «الحُجَر»[6].

---

a) أضاف في المسودة: ويقرب من صبيان الحجر في زماننا المماليك السلطانية. b) في المسودة: الذي في الرحبة التي هي أمام الجامع الحاكمي مقابلة لوكالة قوصون الآن. d) في بولاق: قال ابن أبي طيّ عن المعز لدين الله، والمثبت من المسودة.

---

[1] انظر فيما يلي ٢: ٢١٣.

[2] المقريزي: مسودة المواعظ ٢٧٠.

[3] نفسه ٢٧٠ وعن هذه الدور انظر فيما يلي ٢: ٦٥.

[4] انظر فيما يلي ٥١٠.

[5] المقريزي: مسودة المواعظ ٢٧٠.

[6] نفسه ٢٦٩، وعن أولاد الناس انظر Ayalon, D., *EI*² art. *Awlâd al-Nâs* I, p. 786.

وقال ابنُ الطُّوَيْر : وكُوتِبَ الأَفْضَلُ بن أمير الجُيوش من عَسْقَلان باجتماع الفِرِنْج ، فاهتمَّ للتوجُّه إليها ولم[a] يُبْق مُمْكنًا من مالٍ وسِلاحٍ [b]ورجالٍ وخَيْلٍ[b]، واسْتنابَ أخاه المُظَفَّر أبا محمد جَعْفَر بن أمير الجُيُوش يَدْر بين يديِ الخَليفَة مكانَه ، وقَصَدَ استنقاذ السَّاحِل من يد الفِرِنْج ، فوَصَل إلى عَسْقَلان وزَحَفَ عليها بذلك العسكر ، فخُذِلَ من جهة عسكره ـ وهي نوبة النَّصَّة[1] ـ وعَلِمَ أنَّ السَّبَبَ في ذلك من جُنْده ، ولمَّا غُلِبَ حَرَّق جَميع ما كان معه من الآلات .

وكان عند الفِرِنْج شاعِرٌ منتجع إليهم ، فقال يُخاطِب صَنْجِل [Saint Angilles] ملك الفِرِنْج :
[متقارب]

نَصَرْتَ بسَيْفِكَ دِينَ المَسيحِ فَلِلَّهِ دَرُّكَ مِنْ صَنْجَلِ
وَمَا سَمِعَ النَّاسُ فيما رووه بأَقْبَحَ من كَسْرَةِ الأَفْضَلِ

فتوَصَّل الأَفْضَلُ إلى ذَبْح هذا الشَّاعِر ، ولم ينتفع بعد هذه النَّوْبَة أحَدٌ من الأَجْناد بالأَفْضَل ، وحَظَرَ عليهم النُّعوتَ ، ولم يَسمَعْ لأحَدٍ منهم كلمة . وأنشأ سَبْعَ حُجَر ، واختار من أوْلاد الأَجْناد ثلاثة آلاف راجل وقَسَمَهم في الحُجَر ، وجَعَلَ لكلٍّ مائة زِمامًا ونَقيبًا ، وزَمَّ الكلَّ بأمير يُقالُ له «المُوَفَّـق» ، وأطلق لكلٍّ منهم ما يحتاج إليه من خَيْلٍ وسلاحٍ وغيره ، وعُنِيَ بهؤلاء الأَجْناد . فكانَ إذا دَهَمَه أمْرٌ مهم ، جَهَّزَهُم إليه مع الزِّمام الأكبر[c] [2].

وقال ابنُ المأمُون : وكان من جملة الحُجَرِيَّة الذين يحضرون السِّمَاط رَجُلٌ يُعْرف بابن زَحْل ، وكان يأكُل خَروفًا كبيرًا مشويًّا ويستوفيه إلى آخره ، ثم يُقَدَّم له صَحْنٌ كبيرٌ من القصور المعمولة بالسكر ، وجَميع صُنوف الحَيَوانات على اخْتِلاف أجْناسِها ما لم يُعْمَل قَطّ مثله من الأطعمة ، فيأكُل معظمه . وكان يَقْعُد في طَرَف المُدَوَّرَة حتى يكون بالقُرْب من نَظَر الخَليفَة لا لميزته ، وكان من الأَجْناد وأُسِرَ في أيام الأَفْضَل ، وقَيَّدَه الفِرِنْجِيُّ الذي أَسَرَهُ وعَذَّبَه ، وطالَت مُدَّتُه في الأَسْر وكان فقيرًا [3].

---

a) بولاق : فلم . b-b) بولاق : خيل ورجال . c) المسودة : الزمام الكبير .

---

[1] النَّصَّة أو البَصَّة . لم يرد هذا الاسم في المصادر الأخرى سوى فيما ذكره ابن ظافر : أخبار ٨٢ . وقد جرت هذه الواقعة لتسع ليالٍ بقين من رمضان سنة ٤٩٢هـ .

[2] ابن الطوير : نزهة المقلتين ٣ – ٤ ، ٥٧ ؛ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك – خ ١ : ١٦٣و–١٦٣ظ المقريزي : المسودة ٢٦٧ – ٢٦٨ ؛ وانظر أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية في مصر ٦٨٣ – ٦٨٥ .

[3] فيما تقدَّم ٢٩٧ – ٢٩٨ .

فاتَّفق أن ذُكِرَ للفِرِنْجي كَثْرَةُ أكله ، فأرادَ أن يَمْتَحِنه ، فقال له : أَحْضِر لي عِجْلًا ، أكبر عِجْل عندكم ، آكُلُه إلى آخره . فضَحِكَ منه الفِرِنْجيّ ، ونَقَصَ عَقْلَه وأتاه بعِجْلٍ كبير ، ويُقالُ بخِنْزِير ، فقال له : اذْبَحْه واشْوه ، وائتني معه بجَرَّة خَلّ . ثم قال : إذا أكلته ما يكون لي عندك ؟ فغَلِط الفِرِنْجيّ وقال له : أُطْلِقُكَ تمضي إلى أَهْلك . فاسْتَحْلَفَه على ذلك ، وغَلَّظَ عليه اليمين .

وأَحْضَرَ الفِرِنْجي عِدَّةً من أصحابه ليُشاهِدوا[a] فعله . فلمَّا استوفى العِجْلَ جميعه ، صَلَّب كلٌّ
٤٤٤ من الحاضِرين على وَجْهِه/، وتَعَجَّب من فعله وأَطْلَقَه ؛ فقال : أخافُ من أن يُعْتَقَد أنَّني هربت ، فأُرَدُّ إليكم . فأَحْضَرَ الفِرِنْجيُّ من العُرْبان من سَلَّمه إليهم ولم يشعر به إلَّا بباب عَسْقَلان فَطَلَعَ منها ، وأُعْفِيَ بعد ذلك من السَّفَر ، وبقي برَسْم الأَسْمِطَة [1] .

وقال ابنُ عبد الظَّاهِر : الحُجَرُ قَرِيبٌ من باب النَّصْر ، وهو مَكانٌ كبيرٌ في صَفِّ دار الوَزارَة ، إلى جانبه باب القَوْس الذي يُسَمَّى باب النَّصْر قديمًا على يَمْنَة الخارج من القاهِرَة ، كان تُرَبَّى فيه جَماعَةٌ من الشَّباب يُسَمَّوْن «صِبْيان الحُجَر» يكونون في جِهاتٍ متعدِّدةٍ ، وهم يُناهزون خمسة آلاف نَسَمَة . ولكلِّ حُجْرَةٍ اسم تُعْرَف به وهي : المَنْصُورَة والفَتْح والجَديد ، وغير ذلك مُفْرَدَةً لهم ، وعندهم سِلاحُهم .

فإذا جُرِّدوا خَرَجَ كلٌّ منهم لوقته لا يكون له ما يمنعه ، وكانوا في ذلك على مِثال الدَّاوية والإسْبِتارِيَّة[c] [2] ، وكانوا إذا سَمِيَ الرجلُ منهم بعقلٍ وشجاعة خَرَجَ من هناك إلى الإمْرَة أو التقدمة ، مثل عليّ بن السَّلار وغيره ، ولا يأوي أحَدٌ منهم إلَّا بحجرته بفَرَسِه وعُدَّته وقماشه . وللصِّبْيان الحُجَرِيَّة حجرة مفردة عليهم أُسْتاذون يبيتون عندهم ، وخُدَّامٌ برَسْمِهم [3] .

---

a) المسودة : لمشاهدة . b) بولاق : الذؤابة والاستار .

---

[1] ابن المأمون : أخبار مصر ٩٦؛ المقريزي : المسودة ٢٦٩ - ٢٧٠.

[2] أي فرسان المعبد عند الفرنج المعروفين بالـ Templiers وهم جماعة أسَّسها Hugue de Payns سنة ١١١٩م لحماية طريق الحجاج المسيحيين بين يافا والقدس ، والإسبتارية Hospitaliers التي أسَّسها لنفس الغرض سنة ١٠٩٩م Blessed Gerard.

[3] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٥١؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣: ٤١٨؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٢٦٧، وانظر فيما يلي ٥١٠.

ذكر المناخ السعيد

وكان من وَراءِ القَصْر الكبير، فيما يلي ظَهْر دارِ الوَزارَة الكُبْرَىٰ والحُجَر، «المُنَـاخُ»، وهو مَوْضِعٌ بِرَسْم طَواحين القَمْح التي تَطْحَن جِرايات القُصور، وبِرَسْم مَخازِن الأَخْشاب والحَديد ونحو ذلك.

قال ابنُ الطُّوَيْر: وأمَّا المُناخاتُ ففيها من الحَواصِل ما لا يحصره إلَّا القَلَم من الأَخْشاب والحَديد والطَّواحين النجدية والغشيمة، وآلات الأساطيل من الأسلحة المعمولة بيد الفِرنْج القاطِنين فيه، والقِنَّب والكَتَّان والمَنجنيقات المعدَّة، والطَّواحين الدائرة برسم الجرايات المقدم ذكرها، والزِّفْت في المخازن الذي عَلَتْه الأتربة ولا ينقطع إلَّا بالمعاوِل. وقد أَدْرَكْت هذه الدولة ـ يعني دَوْلَة بني أَيُّوب ـ منه شيئًا كثيرًا في هذا المكان انْتُفِعَ به.

وإليه يأوي الفِرنْـجُ في بيوت بِرَسْمِهِم، وكانت عِدَّتهم كثيرة، ففيه من النَّجَّارين والجَزَّارين والدَّهَّانين والفَرَّانين[a] والخَيَّاطين والفَعَلَة، ومن العَجَّانين والطَّحَّانين في تلك الطَّواحين، والفَرَّانين في أفْران الجِرَايات.

وفي هذا المكان مادَّةُ أكثر أهل الدَّوْلَة، وحاميه أَمِيرٌ من الأُمَراء، ومُشَارِفُه من العُدُول. وفيه أيضًا شاهِدُ النَّفَقات، وعامِلٌ يتولَّى التنفيذ مع المُشارِف، وعامِلٌ بِرَسْم نَظْم الحِساب من تعلُّقاتهما بجارٍ غير جَواريهم، لأنَّ أوقاتَهم مستغرقة في مُباشرة الإطْلاقات وغيرها[1].

وذَكَرَ ابنُ عبد الظَّاهِر[b] أنَّ المأمون بن البَطائِحي استجـدَّ طَواحين بِرَسْم الرَّواتب[2].

---

a) بولاق: الخبازين. b) في جميع النسخ: وذكر ابن الطوير، والصواب ما أثبته.

---

[1] ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٤١- ١٤٢؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٢٤٩؛ وقارن القلقشندي: صبح ٣: ٤٧٥.

[2] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١١٧؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٢٤٩.

ذكر إسطَبْل الطَّارِمَة

الطَّارِمَةُ بيتٌ من خَشَب، وهو دَخيلٌ[١]. وكان بجوار القَصْر الكبير، تجاه باب الدَّيْلَم من شرقيّ الجامِع الأَزْهَر: إسْطَبْل[٢].

قال ابنُ الطُّوَيْر: وكان لهم إسْطَبْلان: أحَدُهما يُعْرَف بالطَّارِمَة يُقابِل قَصْر الشَّوْك، والآخر بحارة زَوِيلَة يُعْرَف بالجُمَّيزَة.

وكان يكون[a] للخَليفَة الحاضِر ما يَقْرُب من ألف رأس - في كلّ إسْطَبْل النصف من ذلك - منها ما هو برَسْم الخاصّ، ومنها ما يخرج برَسْم العَواري لأرْباب الرُّتَب والمستخدمين دائمًا، ومنها ما يَخْرُج أيّام المَواسِم. وهي التغييرات المتقدّم ذكر إرسالها لأرْباب الرُّتَب والخِدَم.

والمُرَتَّبُ لكلّ إسْطَبْل منهما: لكلّ ثلاثة أرؤس «سَائِس» واحِد مُلازِم، ولكلّ واحِدٍ منها «شَدَّادٌ» برسم تسييرها. وفي كلّ إسْطَبْل بِئْر بساقية تدور إلى أحْواض، ومَخازِن فيها الشعير والأقْراط اليابسة المحمولة من البلاد إليها، ولكلّ عشرين رَجُلًا من السُّوَّاس «عَرِيف» يلتزم دركهم بالضَّمان، لأنّهم الذين يتسلّمون من خَزائِن السُّروج المركبات بالحُلِيّ، ويعيدونها إليها على ما[b] تقدّم ذكره في خَزائِن السُّروج[٣].

ولكلّ من الإسْطَبْلَيْن «رائِضٌ» كأمير آخور[٤]، ولهما مِيرَة وجامَكِيَّة متَّسِعَة. وللعُرَفاء على السُّوَّاس مِيْرَة، وللجَماعات الجِرايات من القَمْح والخُبْز خارِجًا عن الجامَكِيَّات. فإذا بقى لأيّام

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: كما.

[١] الجواليقي: المعرب من الكلام الأعجمي ٢٢٤؛ وفي اللسان (١٥: ٢٥٤): «الطارمة بيت من خشب كالقُبّة، وهو دخيل أعجمي معرب» وانظر كذلك Dozy, R., *Suppl. Dict. ar.* II, 42.

[٢] كان إسطبل الطارمة يقع جنوب شرقي القصر الكبير في مواجهة باب الدَّيْلَم وإلى الشرق من السبع خُوَخ ويشرف عليه قصر الشوك والقصر النافعي. عرف بذلك لأنه كانت فيه طارِمة يجلس الخليفة تحتها؛ وكان يقع في الوقت نفسه على يمين الجامع الأزهر، ففي خلال العصر الفاطمي لم يكن يوجد بين رحبة الجامع الأزهر ورحبة قصر الشوك سوى إسطبل الطارمة هذا. وقد زال الإسطبل نهائيًا من موضعه في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وأصبح أحد أخطاط القاهرة، به عِدّة مساكن وسوق وحمّام ومساجِد ويعرف بخط إسطبل الطارمة.

ويحدِّد موضع إسطبل الطارمة اليوم المكان الواقع شرق الباب الأخضر - وهو الباب الشرقي لمشهد الحسين - بينه وبين شارع أم الغلام.

[٣] فيما تقدم ٣٨٢.

[٤] الأمير آخور هو الذي يتحدَّث عن إسْطَبْل السلطان =

المَواسِمِ التي يركَب فيها الخَليفَةُ بالمِظَلَّة مُدَّة أسبوع، أُخْرِجَ إلى كلِّ رائضٍ في الإسْطَبْل مع أُسْتاذِ مِظَلَّة دَبيقي مَركبة على قُفْطارية مَدْهونَة، ويَخْتَصِر الرَّائِض على ما يركبه الخَليفَة إمَّا فرسين أو ثلاثة، وعليهما المركبات الحُلي التي يركبها الخَليفَةُ، فيركبها الرَّائِضُ بحائل بينه وبين السَّرْج، ويركب الأستاذُ بَغْلَةً بمِظَلَّة، ويحمل تلك المِظَلَّة ويَسير في بَراح الإسْطَبْل - وفيه سَعَة عَظيمَة - مارًّا وعائِدًا وحولها البُوق والطَّبْل. فيُكَرِّر ذلك عِدَّةَ دَفْعات في كلِّ يوم مُدَّة ذلك الأسبوع، ليستقرَّ ما يركبه الخَليفَةُ من الدَّواب على ذلك، ولا يَنْفِر منه في حال الرُّكوب عليه، فيعمل كذلك في كلِّ إسْطَبْل من الإسْطَبْلَيْن.

والدَّوابُّ والبَغْلَةُ التي تتهيَّأ هي التي يَرْكَبُها الخَليفَةُ وصاحِبُ المِظَلَّة يوم المَوْسم، ولا يختل ذلك. ويُقال إنَّه ما راثت دابَّةٌ/ ولا بالَت والخَليفَةُ راكبها، ولا بَغْلَة صاحِب المِظَلَّة أيضًا إلى حين نزولهما عنهما[١]. ٥:١

وكان في السَّاحِل بطَريقِ مصر من القاهِرَة[٢]، في البَساتين المنسوبة إلى مِلْك صارم الدِّين خَطْلُبا[a] [٣]، شُونَتان مملوءَتان تِبْنًا، معبئتان كتعبئته في المراكب كالجبلين الشاهِقَيْن، ولهما مُسْتَخْدَمون: حَامٍ ومُشارِفٌ وعامِلٌ بجامَكيَّة جَيِّدَة، تَصِلُ بذلك المَراكِبُ التَّبَّانة المؤهلَّة له من مُوَظَّف الأتْبان بالبلاد السَّاحلية، وغيرها ممَّا يدخل إليه في أيام النِّيل. ولها رُؤساءُ، وأمرها جارٍ في ديوان العَمائِرِ والصِّناعَة. والإنْفاقُ منها بالتَّوقيعات السُّلْطانية للإسْطَبْلات المذكورة وغيرها من الأواسي الديوانية وعَوامِل بَساتين الملك.

وإذا جَرَى بين المستخدمين خُلْفٌ في الشُّنْف التِّبْن المعتبر، عادوا إلى قَبْضِه بالوَزْن، فيكون الشُّنْفُ التِّبْن ثلاث مائة وستين رطلًا بالمصرى نقيًّا. وإذا أنفقوا دَريسًا قد تغيَّرت صُورَة قَتِّه، كان

---

a) بولاق: حللبا.

= أو الأمير ويتولّى أمر ما فيه من الخيل والإبل في العصر المملوكي (القلقشندي: صبح ٥: ٤٦١؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف ١٧٤-١٨١).

[١] ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٣٥-١٣٧؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٢٤٢-٢٤٤، وقارن القلقشندي: صبح ٣: ٤٧٤-٤٧٥.

[٢] المقصود هنا ساحل الخليج فبستان صارم الدين خَطْلُبا أقيم في موضع الحارة المنصورية التي خرَّبها صلاح الدين وكانت سكنًا للسودان في أعقاب واقعة العبيد، وكانت تقع إلى جانب الباب الجديد خارج باب زويلة عند رأس الحارة المنتجبية فيما بينها وبين الحارة الهلالية.

[٣] الأمير صارم الدين خَطْلُبا بن موسى الفارسي التبتي=

عن القَتَّة اثنا عشر رطلًا ونصف[a]. ولم يزل ذلك كذلك إلى آخر وقت[b] [١].

وممَّا يُخْبَر عنهم أنَّهم لم يركبوا حِصَانًا أدْهَم قَطّ، ولا يرون إضافَته إلى دَوابِّهم بالإسْطَبْلات [٢].

وقال ابنُ عبد الظَّاهِر: إسْطَبْلُ الطَّارِمَة كان إسْطَبْلًا للخَليفَة، فلمَّا زالَت تلك الأيام اخْتُطَّ وبُنِيَ آدرًا [٣].

ذِكْرُ دَارِ الضَّرْبِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا

[c]يُقال إنَّ أوَّلَ ما ظَهَرت دارُ ضَرْب الدَّنانير والدَّراهم وصياغَة الحُلِيّ من الذَّهَبِ والفِضَّة في أيام فالغ بن عابِر بن شالِخ بن أرْفَخْشد بن سَام بن نُوح، فاقتدى به من بَعْده في ذلك[c].

وكان بجوار خِزانَة الدَّرَق - التي هي اليوم خانُ مَسْرور الكبير - دارُ الضَّرْب. وموضعها كان حينئذٍ بالقَشَّاشين التي تُعْرَف اليوم بالخَرَّاطين [d]المسلوك فيها من السُّقْطيين إلى الخِيَميِّين والجامع الأزْهَر[d]. وصارَ مكانَ دار الضَّرْب اليوم دَرْبٌ يُعْرَف بدَرْب الشَّمْسي في وَسَط سُوق السُّقْطيين المهامِزِيين. وبابُ هذا الدَّرْب تجاه باب[e] قَيْسارية العُصْفُر. فإذا دَخَلْتَ هذا الدَّرْب، فما كان على يَسارِك من الدُّور فهو مَوْضِعُ دار الضَّرْب، وبجوارها دار الوَكالَة الحافِظِيَّة. فجَعَلَت الحَوانيت التي على يَمْنَة من سَلَكَ من رأس الخَرَّاطين تجاه سُوق العَنْبَر، طالِبًا الجامِع الأزْهَر، في ظهر دار الضَّرْب.

وأنْشَأ هذه الحَوانيت وما كان يعلوها من البيوت الأميرُ المُعَظَّم خَمَرْتاش الحافِظي [٤]، وجَعَلَها وَقْفًا، وقال في كِتاب وَقْفِها: وحَدُّ هذه الحوانيت الغربي ينتهي إلى دار الضَّرْب وإلى دار الوَكالة [٥]. وقد صارَت هذه الحَوانيت الآن من جملة أوقاف المَدْرَسَة الجَمَاليَّة ممَّا اغْتَصَبَه[f] من الأوْقاف [٦].

---

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: وقته. c-c) حاشية بخط المؤلف. d-d) زيادة من المسودة. e) ساقطة من بولاق. f) بولاق: اغتصب.

= الموصلي الكاملي، المتوفى سنة ٦٣٥هـ (فيما يلي ٢: ١٢٠).

[١] ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٤٠- ١٤١؛ المقريزي: المسودة ٢٤٤- ٢٤٥، وقارن القلقشندي: صبح ٣: ٤٧٥.

[٢] ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٣٨؛ القلقشندي: صبح ٣: ٤٧٥.

[٣] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٢٩.

[٤] عن الأمير المعظم خمرتاش الحافظي انظر فيما تقدم ٣٣٩، وفيما يلي ٢: ٢٨.

[٥] المقريزي: مسودة المواعظ ٢٧١- ٢٧٢.

[٦] انظر فيما يلي ٢: ٣٨.

ومازالَت دارُ الضَّرْب هذه في الدَّوْلَة الفاطِمية باقية إلى أن استبدَّ السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين، فصارَت دارُ الضَّرْب حيث هي اليوم كما تقدَّم ذكره. وكان لدار الضَّرْب المذكورة في أيَّامِهم أعمالٌ، ويُعْمَلُ بها دَنانيرُ الغُرَّة ودَنانيرُ خَميس العَدَس، ويتولَّاها قاضي القُضَاة لجَلالَة قَدْرها عندهم.

قال ابنُ المأمُون: وفي شَوَّال منها ـ وهي سنة ستّ عشرة وخمس مائة ـ أمر الأَجَلُّ ببناء دار الضَّرْب بالقاهِرَة المحروسة، لكونها مَقرّ الخِلافَة ومَوْطن الإمامة، فبُنِيَت بالقَشَّاشين قُبالَة المارِسْتان، وسُمِّيَت بالدار الآمِرية، واسْتخْدَم لها العُدُول، وصارَ دينارُها أعلى عِيارًا من جميع ما يُضْرَب بجميع الأمصار[1]. انتهى.

وكانت دارُ الضَّرْب المذكورة تجاه المارِسْتان فكان المارِسْتانُ بجوار خِزانَة الدَّرَق: فما عن يمينك الآن، إذا سَلَكْتَ من رأس الخَرَّاطين، فهو مَوْضِع دار الضَّرْب ودار الوَكالَة هكذا إلى الحَمَّام التي بالخَرَّاطين وما وراءَها، وما عن يَسارِك فهو مَوْضِع المارِسْتان.

قال ابنُ عبد الظَّاهِر: في أيام المأْمُون بن البَطائِحي، وَزير الآمِر بأحكام الله، بُنِيَت دارُ الضَّرْب في القَشَّاشين قُبالَة المارِسْتان الذي هناك، وسُمِّيَت بالدَّار الآمِرِيَّة[2].

ذِكْر[a] دار العِلْم الجَديدَة

وكان بجوار القَصْر الكبير الشَّرْقي دارٌ في ظَهْر خِزانَة الدَّرَق من باب تُرْبَة الزَّعْفَران، لمَّا أَغْلَق الأَفْضَلُ بن أمير الجُيُوش دار العِلْم التي كان الحاكِمُ بأمْر الله فَتَحَها في باب التَّبَّانين، اقتضى الحالُ بعد قَتْله إعادَة دار العِلْم [b]التي كان الحاكِمُ فَتَحَها[b]. فامْتَنَعَ الوَزيرُ المأْمُون من إعادَتها في مَوْضِعِها، فأشارَ الثِّقَةُ زِمامُ القُصُور بهذا المَوضِع، فعُمِلَ دارُ العِلْم في شهر رَبيع الأوَّل سنة سبع

a) ساقطة من بولاق. b-b) ساقطة من بولاق.

[1] ابن المأمون: أخبار ٣٨؛ ابن ميسر: أخبار ٩٢؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٢٧١، واتعاظ الحنفا ٣: ٩٢.

[2] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٣٣؛ المقريزي: المسودة ٢٧١، ووردت الفقرة الخاصة بدار الضرب في نسخة آياصوفيا بعد ذكر دار العلم الجديدة الآتي ذكرها، وهذا أيضًا بسبب إساءة نقل الطيارات التي كان يضيفها المقريزي.

عشرة وخمس مائة ، وولّاها لأبي محمد حَسَن بن آدَم ، واستخدم فيها مُقْرئين . ولم تَزَل دارُ العِلْم هذه[a] حتى زالَت الدَّوْلَةُ الفاطِمية[1] .

قال ابنُ عبد الظّاهِر : رأيتُ في بعض كُتُب الأمْلاك القَديمَة ما يدلُّ على أنَّها قَريبَة من القَصْر النّافِعِيّ . وكذا ذَكَرَ لي الشَّريفُ السَّيِّد الحَلَبي أنَّها دارُ ابن أَزْدَمُر ـ المجاورة لدار سَكَني الآن ـ خَلْف فُنْدُق مَسْرُور الكبير ، وكذا قال لي والدي ، رحمه الله . وقد بَنَاها جَمالُ الدِّين الأُسْتادار الحِلِّي[b] دارًا عَظيمَةً غَرِمَ عليها مائة ألف وأكثر من ذلك على ما ذَكَره[2] . انتهى .

ومَوْضِعُ دار العِلْم هذه دارٌ كبيرة ذات زَلّاقة بجوار دَرْب ابن عبد الظّاهِر ، قَريبًا من خان الخَليلي بخُطّ الزَّراكِشَة العَتيق .

ذِكْرُ[c] مَوْسِم أوّل العام

٤٤٦:١ قال ابنُ المـأْمُون : وأَسْفَرَت غُرَّةُ سنة سبع عشرة وخمس مائة ، وبادَر المستخدمون / في الخَزائِن وصَناديق الإنْفاق بحَمْل ما يُحْضَر بين يدي الخَليفَة من عَيْنٍ ووَرِقٍ من ضَرْب السَّنَة المستجدَّة[3] ، ورَسْم جَميع من يختصّ به من إخْوَتِه وجهاتِه وقَرابَتِه ، وأرْباب الصَّنائع والمُسْتَخْدَمات ، وجميع الأُسْتاذين العَوالي والأدْوان . وثَنَّوا بحمل ما يختصُّ بالأَجَلِّ المأمُون وأوْلاده وإخْوَتِه ، واستأذنوا على تَفْرِقَة ما يختصُّ بالأَجَلّ المـأْمُون وأولاده والأصحاب والحَواشي والأُمَراء والضُّيوف والأجْناد ، فأُمِرُوا بتفرقته . والذين اشتمل عليه المبلغ في هذه السَّنَة نَظير ما كان قبلها .

وجَلَسَ المأْمُونُ باكِرًا على السِّماط بداره ، وفُرِّقَت الرُّسوم على أرْباب الخِدَم والمميَّزين من جَميع أصنافه على ما تضمَّنته الأوْراق ، وحضرت التَّغايير[d] والتَّشريفات وزِيّ المَوْكِب إلى الدار المأمونية ، وتسلَّم كلٌّ من المستخدمين المدارج بأسماء من شَرُفَ بالحُجْبَة ومَصَفّات العَساكِر وتَرْتيب الأسْمِطَة ، واجتهد[e] كلٌّ منهم إلى شغله وتوجَّه لخِدْمَتِه .

---

a) بولاق : عامرة . b) بولاق : الحلبي . c) ساقطة من بولاق . d) بولاق : التعاشير . e) بولاق : وأحمد .

---

[1] انظر فيما يلي ٥٠٢– ٥٠٨.

[2] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٣٣؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٣٠٣، وفيما يلي ٥٠٢.

[3] يقصد دنانير الغُرّة التي تضرب بدار الضرب خصيصًا لهذه المناسبة (فيما يلي ٤٧٦) .

ثم رَكِبَ الخَليفَةُ ، واستدعى الوَزير المَأْمُون ، ثم خَرَجَ من باب الذَّهَب وقد نُشِرَت مِظَلَّتُه ، وخَدَمَت الرَّهَجيَّةُ ، ورُتِّب المَوْكِبُ والجَنائِب ومَصَفَّات العَساكِر عن يَمينه وشماله ، وجَميع تُجَّار البلدين - من الجَوْهريين والصَّيارِف والصَّاغَة والبزَّازين وغيرهم - قد زَيَّنوا الطَّريق بما تقتضيه تِجارَةُ كلِّ منهم ومَعاشُه لطَلَب البَرَكَة بنَظَر الخَليفَة . وخَرَجَ من باب الفُتُوح ، والعَساكِرُ فارِسُها وراجِلُها بتجَمُّلِها وزِيِّها ، وأبوابُ حارات العبيد مُعَلَّقَة بالستور ، ودَخَلَ من باب النَّصْر ، والصَّدَقات تَعُمُّ المساكين ، والرُّسوم تُفَرَّقُ على المستقرِّين ، إلى أن دَخَلَ من باب الذَّهَب ، فلقيه المُقْرِئون بالقُرْآن الكريم في طُول الدَّهاليز ، إلى أن دَخَلَ خِزانَة الكُسْوَة الخاصّ وغَيَّر ثيابَ الموكب بغيرها ، وتوجَّه إلى تُرْبَة آبائِه للترحيم على عادَته[١] ، وبعد ذلك إلى ما رآه من قُصُوره على سَبيل الرَّاحَة .

وعُبِّيَت الأَسْمِطَة - وجَرَى الحالُ فيها وفي جُلوس الخَليفَةِ ومن جَرَت عادَتُه وتَهْيئَة قُصُور الخِلافَة وتَفْرِقَة الرُّسوم - على ما هو مستقرّ . وتوجَّه الأَجَلُّ المأمُون إلى داره ، فوَجَدَ الحال في الأَسْمِطَة على ما جَرَت به العادَة ، والتَّوْسِعَة فيها أكثر ممَّا تقدَّمها ، وكذلك الهَناءُ في صَبيحَة المَوْسم بالدَّار المأمونية والقُصُور ، وحَضَرَ من جَرَت العادَةُ بحُضوره للهَناء ، وبعدهم الشُّعَراء على طَبقاتهم ، وعادَت الأمورُ في أيام السَّلام والرُّكوبات وتَرْتيبها على المعهود .

وأَحْضَر كُلٌّ من المستخدمين في الدَّواوين ما يتعلَّق بديوانه من التَّذاكِر[٢] والمُطالَعات بما[a] تحتاج إليه الدَّوْلَة في طُول السَّنَة ، ويُنْعَم به ويُتَصَدَّق ، ويحمل إلى الحَرَمَيْن الشَّريفَيْن من كلِّ صِنْف على ما فُصِّل في التَّذاكر على يد المندوبين ، ويُحْمَل إلى الثُّغور ويُخَزَّن من سائِر الأَصْناف ممَّا يُسْتَعْمَل ويُباع في الثُّغور والبلاد ، والاسْتيمار[٣] ، وجَريدَة الأبواب ، وتَذْكِرَة الطِّراز والتَّوْقيع عليها[٤] .

وقال ابنُ الطُّوَيْر[٥] : فإذا كان العَشْرُ الأُخَر من ذي الحِجَّة في كلِّ سنة ، انتصب كلٌّ من المستخدمين بالأماكِن لإخراج آلات المَوْكِب من الأَسْلِحَة وغيرها ، فيخرج من خَزائِن الأَسْلِحَة ما

---

a) بولاق : مما .

---

[١] انظر فيما تقدم ٣٥٢ ؛ وفيما يلي ٤٨٧.

[٢] التذكرة جـ. تذاكر . هي الورقة التي تُضَمَّن جمل الأموال التي يسافر بها الرسول ليعود إليها إن أغفل شيئًا منها أو نسيه ، أو تكون حجة فيما يورده ويصدره (القلقشندي : صبح ١:١٣٣- ١٣٦، ١٣:٣٧) .

[٣] الاستيمار (انظر فيما تقدم ٣٢٣) .

[٤] ابن المأمون : أخبار مصر ٥٨- ٥٩.

[٥] هذا الوصف ممَّا انفرد به ابن الطُّوَيْر ، فكل ما نعرفه =

يحمله صِبْيانُ الرِّكاب حَوْل الخَليفَة من السِّلاح[a] وهو : الصَّماصِم المَصْقولة المُذَهَّبَة مكان السُّيُوف المُحَدَّبَة لغيرهم[b]، والدَّبابيس المُلَبَّسَة[c] بالكِيمُخْت[1] الأحمر والأسود ورءوسها مُدَوَّرَة مُضَرَّسَة أيضًا[b]، واللُّتوت[2] كذلك ورءوسها مستطيلة مضرَّسة أيضًا ، وآلاته[d] يُقالُ لها المُسْتَوفيات ، وهي عُمُد حديد من طُول ذراعين مربَّعة الأشكال ، بمقابض مدوَّرة في أيديهم بعِدَّة معلومة من كلِّ صِنْف فيتسلَّمها نُقَباؤهم في[e] ضَمانِهم ، وعليهم إعادتها إلى الخَزائِن بعد تقضِّي الخِدْمَة بها .

a) بولاق : الأسلحة .   b) ساقطة من بولاق .   c) زيادة من المسودة .   d) بولاق : آلات .   e) بولاق : وهي في .

= عن ركوب الخلفاء الفاطميين في المواكب العظام والمواكب المختصرة وكذلك جلوس الخلفاء في مجلس الملك والأَسْمِطَة التي كانت تُمَدّ في قاعة الذَّهَب في المواسم والأعياد المختلفة نَدين به إلى ابن الطُّوَيْر .

وقد تنبَّه إلى أهمية ما أورده ابن الطُّوَيْر عن رُكُوب الخُلَفَاء في مَوْسم أوَّل العام – وحَفِظَه لنا مُؤَرِّخو القرن التاسع – المستشرق الروسي إنسترونزف فنقل إلى الروسية ما كتبه ابن الطُّوَيْر عن ركوب أوَّل العام اعتمادًا على المقريزي مع الاسترشاد بما وَرَدَ عند أبي المحاسن والقلقشندي (الذي لم يكن قد نشر بعد وإن وجدت له ترجمةٌ ألمانية) مع مقدِّمة وتعليقات في غاية الأهمية Inostrantsev, K. A., Toryestvenii Viezd Fatimidiskikh Khalifov in *Zap. Vost. Otdyel. Imp. Russ. Arkheol. Obshcestva*, XVII (St-Petersbourg 1905).

ونظرًا لعدم تيسُّر الرجوع إلى ما كتبه إنسترونزف فقد نَقَلَ ماريوس كانار كلام ابن الطُّوَيْر إلى الفرنسية مذيَّلًا بتعليقات المستشرق الروسي وملاحظات كانار الشخصية . (Canard, M., «La procession du nouvel an chez les Fatimides», *AIEO* X (1952), pp. 364-395) ، وقد استفدت كثيرًا من عملهما في نشر ما يتعلّق بركوب أوَّل العام .

وهو كذلك وَصْفٌ نموذجيٌّ لترتيب الموكب في آخر الدولة الفاطمية . وللأسف فإنَّنا لا نعرف إذا كان الفاطميون قد عرفوا الاحتفال بهذا اليوم على هذا الترتيب في أوَّل دولتهم أم لا ؛ فمخطوطة «أخبار مصر» للمُسَبِّحي ، والتي نشرتها في سنة ١٩٧٨، يوجد بها سَقْطٌ ضاعَ معه حوادث أوَّل المحرم سنة ٤١٥هـ فلم نتعرف على كيفية الاحتفال بركوب أوَّل العام في هذا الوقت المتقدِّم ، إلَّا أنَّ المقريزي ذكر في حَوادِث سنة ٣٩٠هـ (في أغلب الظن نقلًا عن المُسَبِّحي) أنَّ الخليفة الحاكم ظهر في أوَّل المحرم ودخل الناس فهنئوه بالعام (اتعاظ ٢ : ٢٥) ، ولاشكّ أنَّ ذلك كان من عادَة القوم ، وأخذ يَتَكرَّر في الأعوام التالية .

أمَّا أول إشارة تقابلنا في المصادر عن ركوب الخلفاء في مَوْسم أوَّل العام وما كان يصحبها من استعدادات ، فقد وَرَدَت عند ابن المأمون في حوادث سنة ٥١٧هـ ولكن بدون التفصيلات الغنية التي ذكرها ابن الطُّوَيْر .

وراجع كذلك ، أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٤١١ – ٤٣٢ ؛ Sanders, P., *EI*^{2} art. *Mawâkib* VI, pp. 841-42; id., *Ritual, Politics, and the City in Fatimid Cairo*, New York 1994, pp. 83-98.

[1] الكيمُخْت . ضربٌ من الجلود المدبوغة كان يستخدم في عمل الدروع والجواشن (Dozy, R., *Suppl. Dict. Ar.* II, p. 515; Cahen, Cl., *Un traité d'armirerie* pp. 114, 116-117) .

[2] اللُّتوت جمع لُتّ . فارسي معرب وهو القَدوم والفأس العظيمة (Cahen, Cl., *op.cit.*, p. 117) .

ويُخْرَج للطائِفَة من العَبيد الأقوياء السُّودان الشُّباب - ويقال لهم «أرْبابُ السِّلاح الصَّغير[a]» ، وهم ثلاث مائة عبد - لكلِّ واحِدٍ حَرْبَتان بأسِنَّة مصقولة تحتها جُلَب فِضَّة كلّ اثنتين في شَرَّابة ، وثلاث مائة دَرَقَة بكوابج[b][1] فِضَّة يتسلَّم ذلك عُرَفاؤهم على ما تقدَّم ، فيسلِّمونه للعَبيد لكلِّ واحِدٍ حَرْبتان ودَرَقَة[2] .

ثم يُخْرَج من خِزانَة التَّجَمُّل - وهي من حُقوق خَزائِن السِّلاح - القَصَب الفِضَّة برَسْم تَشْريف الوَزير والأُمَراء أرْباب الرُّتَب ، وأزِمَّة العَساكِر والطَّوائِف من الفارِس والرَّاجِل . وهي رِماحٌ مُلَبَّسَة بأنابيب الفِضَّة المنقوشة بالذهب إلَّا ذراعين منها ، فيُشَدّ في ذلك الخالي من الأنابيب عِدَّةٌ من المَعاجِر الشَّرْب[3] الملوَّنة ، ويترك أطرافُها المرقومة مُسْبَلة كالسَّناجِق[c] ، وبرءوسها رَمَّامين منفوخة فِضَّة مَذهَّبة وأَهِلَّة مجوَّفة كذلك ، وفيها جَلاجِل لها حِسٌّ إذا تحرَّكت ، وتكون عِدَّتُها ما يَقْرُب من مائة .

ومن العَمَّاريات - وهي شبه الكَجاوات[d] - من الدِّيباج الأحمر - وهو أجلّها - والأصفر والقُرْقُوبي والسِّقْلاطون مبطَّنة مضبوطة بزَنانير حَرير ، وعلى دائِر التَّرْبيع منها مَناطِق بكوابج[e] فِضَّة مَسْمُورَة في جِلْد نَظير عَدَد القَصَب ، فيسير من القَصَب عشرة ، ومن العَمَّاريات مثلها من الحمر خاصَّة للوَزير[f] [4] .

ويُخْرَج للوَزير خاصَّةً لواءان على رُمْحَيْن طويلين ملبَّسين بمثل تلك الأنابيب ، ونفس اللِّواء ملفوفٌ غير مَنْشُور . وهذا التَّشْريف يسير أمام الوَزير ، وهو للأُمَراء من ورائهم . ثم يسير للأُمَراء

---

a) بولاق : الصفر . b) بولاق : كوامخ . c) بولاق : كالصناجق . d) بولاق : الكخاوات . e) بولاق : بكوامخ . f) زيادة من مسودة المواعظ .

---

[1] الكوابج عن الكلمة التركية göbek بمعنى سُرَّة ، أي أن في وسطها حلية أو زخرفة محدبة أو مقعرة (Canard, M., *op.cit.*, p. 370 n.18) .

[2] القلقشندي : صبح ٣ : ٤٧٠ .

[3] المِعْجَر كمِنبر جـ. معاجر . ثوب يلف به (القاموس المحيط ٥٦٠) ، وفي لسان العرب ٢١٨:٦ أنه ثوب تعتجر به المرأة أصغر من الرداء وأكبر من المَقْنَعَة ، وقد استخدمه ابن المأمون (فيما تقدم ٣٦٢) بهذا المعنى عند حديثه على ملابس إحدى جهات الخليفة . والمعجر كذلك ضربٌ من ثياب اليمن . (اللسان والقاموس) .

والشَّرْب جـ. شروب . وهو ما رَقّ من الكتان . ولكن دوزي يرى أن وصف هذا المصطلح كما ورد في المصادر يدل على نوع من الكتان (Dozy, R., *op.cit.*, I, p. 740) .

[4] القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٤٧٠ - ٤٧١ .

أرْباب الرُّتَب في الخِدَم ـ وأوَّلهم صَاحِبُ الباب ، وهو أجَلّهم ـ خَمْس قَصَبات وخمس عَمَّاريات ، ويُرْسَل لإسْفِهْسَلار/ العَساكِر أربع قَصَبات وأربع عَمَّاريات من عِدَّة ألوان ، ٤٤٧
ومَنْ سِواهما من الأُمَرَاء على قَدْر طَبقاتِهم ثلاث ثلاث ، واثنتان اثنتان ، وواحِدَة واحِدَة .

ثم يُخْرَج من البُنُود الخاصّ الدَّبيقي المرقوم الملوَّن عشرة برِماح مُلبَّسة بالأنابيب ، وعلى رءوسها الرُّمَّامين والأهِلَّة للوَزير خاصَّةً ؛ ودون هذه البُنُود ممَّا هو من الحَرير على رِماحٍ غير ملبَّسة ، ورءوسها ورمَّامينها من نُحاس مجوَّف مطلي بالذَّهَب فتكون هذه أمام الأُمَرَاء المذكورين ، من تسعة إلى سبعة [a]إلى خمسة .

ثم يخرج لقومٍ يقال لهم : الشَّبَرْبَرِيَّة[١] سِلاحٌ كلُّ قطعة طول سبعة[a] أذرع برأسها طَلْعَة مَصْقولة ، وهي من خَشَب القُنْطاريات[٢] داخلة في الطَّلْعَة وعَقِبُها حَديد مدوَّر السُّفْل[b]، فهي في كفِّ حامِلِها الأيمن ، وهو يَفْتِلها فيه فَتْلًا مُتَدارك الدوران[٣]، وفي يده اليسرى نُشَّابة كبيرة يخطر بها ، وعِدَّتها ستون مع ستين رجلًا يسيرون رَجَّالَة في الموكب يسيرون يَمْنَةً ويَسْرَةً .

ثم يُخْرَج من النَّقَّارات حمل عشرين بَغْلًا ، على كلِّ بغْل ثلاث ، مثل نَقَّارات الكُوسات بغير كوسات ، يقال لها «طُبُول حَلَب[c]» يتسلَّمها صُنَّاعُها ، ويسيرون في المَوْكِب اثنين اثنين ، ولها حِسٌّ مستحسن[٤]، وكان لها مَيْزَة عندهم في التَّشْريف .

ثم يُخْرَج لقَوْمٍ متطوِّعين ـ بغير جارٍ ولا جِراية ـ تقرب عِدَّتهم من مائة رجل ، لكلِّ واحِدٍ دَرَقَة من دَرَق اللَّمْط[٥]، وهي واسعة ، وسَيْف ، ويسيرون أيضًا رَجَّالة في الموكب[٦]. هذا وَظيفَةُ خَزائِن السِّلاح .

---

a-a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : أسفل . c) حلب : إضافة من مسودة المواعظ .

---

[١] الشَّبَرْبرية : نسبة إلى الشَّبَرْبرات ، وهي جنس من الرماح جاء في كتاب «تبصرة أرباب الألباب» أن طولها خمسة أذرع وأسنتها عراض طوال يكون عرضها سعة الفتر وطولها ذراع وأكثر (Cahen, Cl., *op.cit.*, p. 11) .

[٢] قُنْطارية جـ. قنطاريات . انظر فيما تقدم ٣٨١ هـ[٢] .

[٣] القلقشندي : صبح الأعشى ٣: ٤٧٠ .

[٤] نفسه ٣: ٤٧١ .

[٥] اللَّمْط . أرضٌ لقبيلة من البربر بأقصى المغرب ينسب إليها الدَّرَق ، لأنهم ينقعون الجلود في الحليب سنة ، فينبو عنها السيف القاطع . (القاموس المحيط ٨٨٦) .

[٦] القلقشندي : صبح الأعشى ٣: ٤٧٠ .

ثم يَحْضُر حامي خَزائِن السُّروج ـ وهو من الأُسْتاذين المُحَنَّكين ـ إليها مع مُشارِفها ـ وهو من الشُّهود المُعَدِّلين ـ فيُخْرِج منها برَسْم خاصّ الخَليفَة من المُرَكَّبات الحُلِيّ ما هو برَسْم رُكوبه وما يُجَنَّب في مَوْكِبه مائة سَرْج : منها سبعون على سبعين حِصانًا ، ومنها ثلاثون على ثلاثين بَغْلَة ؛ كلُّ مُرَكَّب مَصْنُوع من ذَهَب ، أو من ذَهَبٍ وفِضَّة ، أو من ذَهَبٍ مُنَزَّل فيه المينا ، أو من فِضَّةٍ مُنَزَّلة بالمينا ، ورَوادِفها وقَرابِيسها[1] من نسبتها ، ومنها ما هو مُرَصَّع بالجَواهِر الفائقة . وفي أعْناقِها الأَطْواقُ الذَّهَبُ وقَلائِدُ العَنْبَر ، وربّما يكون في أيدي وأرجل أكثرها خَلاخِل مسطوحة دائرة عليها ، ومكان الجلد من السُّروج الديباج الأحمر والأصفر وغيرهما من الألوان ، والسِّقْلاطون المنقوش بألوان الحرير قيمة كلّ دابّة وما عليها من العُدَّة ألف دينار .

فيُشَرَّف الوَزيرُ من هذه بعشرة حُصُن لرُكوبه وأَوْلاده وإخْوَته ومن يَعِزّ عليه من أقارِبه . ويُسَلَّم ذلك لعُرَفاء الإسْطَبْلات ، بالعَرْض عليهم من الجَرائِد التي هي ثابتة فيها علاماتها في أماكِنها وأعْدادها ، وعَدَد كلّ مُرَكَّب منقوش عليه مثل أوّل وثان وثالث إلى آخرها ـ كما هو مسطورٌ في الجَرائِد ـ فتُعَرَّف بذلك قطعة قطعة ، ويسلِّمها العُرَفاءُ للشَدّادين بضَمان عُرَفائهم إلى أن تعود ، وعليهم غَرامَة ما نَقَصَ منها وإعادَتها برُمَّتها .

ثم يُخْرَج من الخَزائِن المذكورة لأَرْبابِ الدَّواوين المرتَّبين في الخِدَم ، على مَقاديرهم ، مُرَكَّبات أيضًا من الحُلِيّ ـ دون ما تقدَّم ذكره ـ ما تقرب عِدَّتُه من ثلاث مائة مُرَكَّب على خَيْل وبَغْلات وبِغال ، يتسلَّمها العُرَفاءُ المتقدِّم ذكرهم على الوَجْه المذكور ، ويُنْتَدَب حاجِبٌ يُحْضِر على التفرقة لفُلان وفُلان من أرْباب الخِدَم سَيْفًا وقَلَمًا ، فيَعْرِف كلُّ شَدَّادٍ صاحِبَه ، فيحضر إليه بالقاهِرَة ومصر سَحَرَ يوم الرُّكوب ، ولهم من الرُّكاب رُسُومٌ من دينارٍ إلى نصف دينار إلى ثُلُث دينار .

فإذا تَكامَل[a] هذا الأَمْرُ ، وسُلِّم أيضًا الجَمَّالون بالمُناخات أغشية العَمّاريات ، وتكون إزاحة العِلَّة[b] في ذلك كلّه إلى آخِر الثامن والعشرين من ذي الحِجَّة ، وأَصْبَحَ اليوم التاسع والعشرون ـ وهو سَلْخه على رأي القَوْم ـ عَزَمَ الخَليفَةُ على الجُلُوس في الشُّبّاك[2] لعَرْض دَوابه الخاصّ المقدَّم

a) بولاق : تكمل . b) ساقطة من بولاق .

[1] الروادف : ما يوضع على ردف الفرس ، والقَرَبوس جـ. قَرابيس . الخشبة الصغيرة القائمة في مقدم السرج (Dozy, R., op.cit., I, p. 324).

[2] عن الشُّبّاك . انظر فيما تقدم ٣٠٢.

ذكرها، ويُقالُ له «يَوْمُ عَرْض الخَيْل». فيَسْتَدعي الوَزيرَ صاحِبُ الرِّسالَة - وهو من كِبار الأُسْتاذين المُحَنَّكين وفُصَحائِهم وعُقَلائِهم ومُحَصِّليهم - فيمضي إلى اسْتِدْعائِه في هَيْئَة المسرعين على حِصان دِهْراج[١]، امْتثالًا لأَمْر الخَلِيفَة بالإسْراع، على خِلاف حَرَكَتِه المعتادة. فإذا عادَ مَثَلَ بين يدي الخَليفَة وأعلمه باسْتِدْعائِه الوَزير. فيَخْرُج راكِبًا من مكانه في القصر - ولا يركب أحَدٌ في القصر إلَّا الخَليفَة[٢] - وينزل في السُّهْدِلّا بدِهْليز باب المُلْك الذي فيه الشُّبَّاك[٣]، وعليه من ظاهِره للنَّاسِ سِترٌ، فيقف من جانبه الأيمن زِمامُ القصر، ومن جانبه الأيسر صاحِبُ بَيْت المال، وهما من الأُسْتاذين المُحَنَّكين. فيَرْكَب الوَزيرُ من دارِه وبين يديه الأُمَرَاءُ، فإذا وَصَلَ إلى باب القصر ترجَّل الأُمَرَاءُ وهو راكِبٌ، ويكون دُخُولُه في هذا اليوم من باب العيد، ولا يزالُ راكبًا إلى أوَّل بابٍ من الدَّهاليز الطِّوال[٤]، فينزل هناك ويمشي فيها وحَواليه حاشيَتُه وغِلْمانُه وأصحابُه ومن يَرَاه من أوْلاده وأقارِبه، ويصلُ إلى الشُّبَّاك فيجد تحته كُرْسيًّا كبيرًا من كَراسي السلين الحَديد[b]، فيجلس عليه ورِجْلاه تطأ الأرض. فإذا استوى جالِسًا، رَفَعَ كلُّ أستاذٍ السِّتْر من جانبه، فيَرى الخَلِيفَة جالِسًا في المرتبة الهائِلة، فيقف ويسلِّم ويَخْدم بيده إلى الأرض ثلاث مرَّات، ثم يُؤْمَر بالجُلُوس على كُرْسيه فيجلس، ويستفتح القُرَّاءُ بالقِراءَة قبل كلِّ شيءٍ بآيات لائقة بذلك الحال مِقْدار نصف ساعَة، ثم يُسَلِّم الأُمَرَاءُ.

a) المسودة: الدّواب. b) بولاق: البلق الجيد، وهي قراءة لا توجد في أية نسخة. c) المسودة: المكان.

[١] الدَّهْرَجَة. السير السريع، وحصان دهراج أي سريع السير. (القاموس المحيط ٢٤٢).

[٢] انظر فيما تقدم ٢٩٢، واستثني من ذلك الوزير النّاصِر صلاح الدين يوسف بن أيوب - آخر وزراء الفاطميين - فقد كان يدخل على العاضد في القصر راكبًا (أبو شامة: الروضتين ١: ٤٤٠).

[٣] لاشك أن «عَرْض الخَيْل» كان يتم في فناء داخلي للقصر الشرقي الكبير بالقرب من «دهليز باب الملك» حيث كانت توجد «السُّهْدِلّا» و«الشُّبَّاك» ويتوصل إليه من باب العيد.

و«السُّهْدلي» أو «السُّدِلَّا» أو «السُّدِلِّي»: لفظ فارسي معرب. (الجواليقي: المعرب ٢٣٥) وأصله بالفارسية «سهدله» كأنه ثلاثة بيوت في بيت كالحيري بكُمَّيْن (لسان العرب ١٣: ٣٥٥). وقد صوَّر إنسترونزف السّدلّا الفاطمية ببناء مغلق من ثلاثة جوانب ومفتوح من الجانب الرابع حيث كان يوجد الشُّبّاك، وحَدَّد موضعها على وجه التقريب في وسط القصر بين باب العيد وباب البحر. (مقدمة نزهة المقلتين لابن الطوير ٩٦*-٩٧*).

[٤] الدهاليز الطوال: هي دون شك ما أسماه غليوم أسقف صور، كما نقل كلامه إلى الفرنسية جستاف شلمبرجيه: «longues et étroites allées voutées tout à fait obscures»، «دهاليز طويلة وضيقة مُقَبَّبة حالكة الظّلام لا يستطيع الإنسان أن يتبين فيها شيئًا». (Schlumberger, G., *Campagnes du Roi Amaury I^er de Jérusalem en Égypte au XII^e siècle*, p. 118).

ويُشْرَع[a] في عَرْض [b]الخَيْل والبِغال[b] الخاصّ المقدَّم ذكرها دابّةً دابّة، وهي هادئة كالعَرائِس بأيدي شَدّاديها، إلى أن يتكمَّل[c] /عَرْضُها، فيقرأ القُرّاءُ لخَتْم ذلك الجُلوس، ويُرْخي الأُستاذان السِّتْرين[d]، فيقُوم[e] الوَزيرُ ويَدْخُل إليه ويُقَبِّل يديه ورجليه، وينصرف عنه إلى دَاره، فيركب من مَكان نزولِه والأُمَرَاءُ بين يديه لوَداعِه إلى داره رُكْبانًا ومُشاةً إلى قريب المكان، [f]وينْقَضي هذا الأَمْر[f] [1]. ١:

[آلاتُ المَوْكِب]

فإذا صَلَّى الخَليفَةُ الظُّهْرَ بعد انْفِضاض ما تَقَدَّم، جَلَس لعَرْض ما يَلْبَسُه في غَدِ[g] تلك الليلة ـ وهو «يومُ اسْتِفْتاح[h] العام» [2] ـ بخَزائِن الكُسْوات الخاصّ [3]، ويكون لِباسُه فيه البَيَاض غير الموشَّح، فيعين على مِنْديل خاصّ [4] وبَدْلَة [5]. فأمّا المِنْديلُ فيُسَلَّم لشادّ التّاج الشَّريف. ويقال لها[i] «شَدَّةُ الوَقَار» ـ وهو من الأسْتاذين المُحَنَّكين، وله مَيْزَة لمماسّه ما يَعْلو تاج الخَلِيفَة ـ فيشدّها شَدَّة غَريبَةً لا

---

a) بولاق: ويسرع. b-b) المسودة: تلك الدواب. c) بولاق: تكمل. d) بولاق: الستر. e) بولاق: فيقدم. f-f) زيادة من المسودة. g) بولاق: عيد. h) النسخ وبولاق: افتتاح، والمثبت من مسودة المواعظ. i) بولاق: له.

---

[1] المقريزي: مسودة المواعظ ١٨٩ - ١٩٦.

[2] استخرج القلقشندي من هذا العرض الذي قدمه ابن الطوير، الفصل الذي أفرده لذكر الآلات الموكبية (صبح الأعشى ٣: ٤٦٨ - ٤٧١)، وكذلك التعريف بأهم وظائف الأستاذين المحنّكين وغير المحنّكين.

[3] انظر فيما تقدم ٣٦٩.

[4] المِنْديل. آلة قديمة للملوك، وذكر القلقشندي أنه كان للوزير الفاطمي الأفضل شاهنشاه مائة بدلة معلقة على أوتاد من ذهب، على كل بدلة منها منديل من لونها. (صبح الأعشى ٢: ١٣٢).

ولم يكن التاج الفاطمي تاجًا بمعنى الكلمة بل كان عمامة ضخمة يلفها موظف مختص شَدَّة غريبة مفردة ذات شكل منفوخ ذي استطالة يزينها في وسطها الجوهرة بالمعروفة بـ«اليتيمة». وفي أوائل عهد الدولة الفاطمية في مصر لم تكن عمامة الخليفة بهذا الشكل؛ فيحدثنا المُسَبِّحي عن استخدام الخليفة لعددٍ من العمائم المختلفة الأنواع (أخبار مصر ١٤٧)؛ كما يحدثنا ناصر خسرو عن استخدام الخليفة للعمامة أثناء احتفال فتح الخليج (سفرنامه ٩٦)، كما يذكر أبو صالح الأرمني ـ عند وصفه لفتح الخليج ـ أن الخليفة المستنصر كان مُتَوَّجًا أثناء الاحتفال بمنديل الجوهر والمظلة منشورة عليه وهو جالس فوق دكة الوقار (تاريخ أبي صالح ٣٢). وأشار ابن الطُّوَيْر أيضًا عند حديثه على احتفال فتح الخليج إلى المنديل أو شَدَّة الوَقار.

أمّا ابن المأمون فقد ذكر أن شَدَّة الوَقار هي المنديل بالشدة الغريبة التي يتفرد الخليفة بلباسها في الأعياد والمواسم خاصّة لا على الدَّوام، وكانت تُرَصَّع بغالي الياقوت والزُّمُرُّد والجَوْهَر. (فيما تقدم ٤٣٣ وفيما يلي ٥٤٥؛ Canard, M., *Le cérémonial fatimide*, pp. 390-92.

[5] انظر وَصْفا لعدد من بِدَل الخليفة عند ابن المأمون: أخبار مصر ٤٨، ٤٩، ٥٤، ٥٥.

يعرفها سِواه شكلِ الإهليلجة . ثم تُحْضَر إليه «اليَتيمَة» ، وهي جَوْهَرَةٌ عَظيمَةٌ لا تُعْرَف لها قيمةٌ ، فتَنْتَظِم هي وحَواليها دونها[a] من الجَواهِر[١] ، وهي موضوعة في الحَافِر ، وهو شكل الهِلال من ياقُوتٍ أحمر ليس له مِثال في الدُّنْيا[٢] ، فتنظم على خِرْقَة حَرير أحسن وَضْع ، ويخيطها شادّ التاج بخياطة خَفيَّة[b] ممكنة فتكون بأعلى جبهة الخَليفَة ـ ويُقال إنَّ زِنَة الجَوْهَرَة سبعة دراهم ، وزِنَة الحافِر أحَد عشر مِثْقالًا ـ وبدائرها قَصَبُ زُمُرُّد ذُبَّابي له قدرٌ عَظيمٌ[٣].

ثم يُؤْمَر بشَدّ المِظَلَّة التي تُشاكِل[c] تلك البَدْلَة المُحْضَرَة بين يديه ، وهي مُناسِبَة للثياب[٤] ، ولها عندهم جَلالَة لكَوْنها تَعْلو رأس الخَليفَة . وهي اثنا عَشْر شَوْزَكًا ، عَرْضُ سِفْل كلّ شَوْزَك شِبْر ، وطول ثلاثة أذرع وثلث ، وآخر الشَّوْزَك من فوق دَقيقٌ جدًّا ، فيجتمع ما بين الشَّوازِك في رأس عَمُودها[d] بدائرة ، وهو قُنْطارية[٥] من الزَّان مُلَبَّسة بأنابيب الذَّهَب ، وفي آخر أُنْبُوبَة تلي الرأس من جسمه فَلْكَة بارِزَة مِقْدار عَرْض إبهام ، فيُشَدّ آخِر الشَّوازِك في حَلْقَة من ذهب ، ويترك مُتَّسعا في رأس الرُّمْح وهو مفروض ، فتَلْقى تلك الفَلْكَة فتمنع المِظَلَّة من الحُدُور في العمود المَرْكوز[e]. ولها أَضْلاعٌ من خَشَب الخَـلَنْج مُرَبَّعات مكسوة بوَزْن الذَّهَب ، على عَدَد الشَّوازِك ، خِفافٌ في الوزن طولها طول الشَّوازِك ، وفيها خَطاطِيف لِطاف وحِلَق يُمْسك بعضُها بعضًا ، وهي تَنْضَم وتَنْفَتِح على طَريقَة شَوْكات الكيزان ، ولها رأسٌ شِبْه الرُّمَّانَة ، ويعلوه رُمَّانَة صغيرة كلّها ذَهَب مُرَصَّع بجَوْهَر يظهر للعِيان ، ولها رَفْرَف دائِر يفتحها من نسبتها عَرْضُه أكثر من شِبْر ونصف ، وسِفْل الرُّمّانَة فاصِلٌ يكون مقداره ثلاث أصابع . فإذا أُدْخِلَت الحَـلْقَة الذهب الجامِعَة لآخر شَوازِك المِظَلَّة في رأس العمود ، رُكِّبَت الرُّمَّانة عليها ولُفَّت في عَرَضٍ دَبيقي مذهَّب ، فلا يكشفها منه

---

a) بولاق : ما دونها . b) بولاق : خفيفة . c) بولاق : تشابه . d) بولاق : عودها . e) بولاق : المذكور .

---

[١] القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٤٦٨ .

[٢] انتقل الفص الحافر ، وهو من ياقوت أحمر وزنه سبعة دراهم ، إلى الخلفاء الفاطميين بمصر من بني العباس (الذخائر والتحف ١٩٣) .

[٣] القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٤٦٨ ، ٤٦٩ .

[٤] أكد ابن الطُّوَير في أكثر من موضع على ضرورة أن تكون المظلة من نفس لون الثياب التي يرتديها الخليفة الفاطمي في المواكب . ويبدو أن هذا التقليد استجدّ في القرن السادس ، فالمُسَبِّحي في مطلع القرن الخامس يذكر في أكثر من موضع أن المظلة كانت تخالف لون ثياب الخليفة . (أخبار مصر ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٨٠) ، وكانت دائمًا مظلة مذهبة مثقل ، وانظر كذلك ناصر خسرو : سفرنامه ٩٦ ؛ Canard, M., *op.cit.*, p. 389 n.3 ؛ وفيما يلي ٤٨٩) .

[٥] عن معنى قنطارية ، انظر فيما تقدم ٣٨١ .

إلَّا حامِلُها عند تسليمها إليه أوَّل وَقْتِ الركُوب[a].

ثم يُؤْمَر بشَدّ «لِوَاءَيِ الحَمْد» المختصَّين بالخَليفَة، وهما رُمْحان طَويلان مُلَبَّسان بمثل أنابيب عَمُود المِظَلَّة إلى حَدّ نَقْشهما[b]، وهما من الحَرير الأبيض المَرْقُوم بالذهب، وغير مَنْشورَيْن بل مَلْفوفَيْن على جِسْم الرُّمْحَيْن، فيشدان ليخرجا بخروج المِظَلَّة إلى أميرين من حاشِيَة الخَليفَة بِرَسْم حَمْلهما[1].

ويخرج إحدى وعشرون «رَايَة» لِطاف من الحَرير المرْقُوم مُلَوَّنة بِكِتابَة تُخالِف أَلْوانها من غيره، ونَصّ كتابتهما: ﴿نَصْرٌ من الله وفَتْحٌ قَريبٌ﴾ [الآية ١٣ سورة الصف]، على رِماحٍ مُقَوَّمة من القَنا المنتقى، طُولُ كلِّ رايَة ذِراعان في عَرْض ذِراعٍ ونصف، في كلِّ واحدة ثلاث طَرَّادات[c] فتُسلَّم لأحَد وعشرين رَجُلًا من فُرْسان صِبْيان الخاصّ[2]، ولهم بِشارَة عَوْد الخَليفَة سالمًا أحَد و[d] عشرون دينارًا[3].

ثم يُخْرَج «رُمْحان» رءوسهما أهِلَّة من ذَهَب صامتة، في كلِّ واحِدٍ سَبُعٌ من ديباج أحْمَر وأصْفَر، وفي فَمِه طارَة مستديرة يدخل فيها الرِّيحُ، فيَنْفَتِحان فيظهر شَكلهما، ويتسلَّمهما فارسان من صِبْيان الخاصّ، فيكونان أمام الرَّايات[4].

ثم يُخْرَج «السَّيْفُ الخاصّ»، وهو من صاعِقَة وَقَعَت على ما يُقال، وحِلْيَتُه[e] ذَهَب مُرَصَّعَة بالجَوْهَر في خَريطَة مَرْقومَة بالذَّهَب، لا يظهر إلَّا رأسُه ليُسلَّم إلى حامِلِه وهو أميرٌ عَظيمُ القَدْر. وهذه عندهم رُتْبَةٌ جَليلَةُ المقدار، وهو أكبر حامِل[5].

---

a) بولاق: ركوبه. b) بولاق: نصفهما. c) بولاق: طرازات. d) أحد و: ساقطة من بولاق. e) بولاق: جلبته.

---

[1] القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٤٦٩.

[2] صبيان الخاص. أولاد الأجناد والأمراء وعبيد الدولة، كان إذا مات الرجل منهم وله أولاد حُمِلُوا إلى حضرة الخلافة ويودعوا في أماكن مخصوصة، ويؤخذ في تعليمهم الفروسية ويقال لهم «صبيان الخاص». (ابن ميسر: أخبار مصر ١٤٣؛ ابن الطوير: نزهة المقلتين ٦٣، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٩؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ١٩٩؛ أسامة بن منقذ: الاعتبار ٣٢)، وهم في ذلك أشبه بصبيان الحجر وإن كان هؤلاء يستخدمون في الحرب مثلهم مثل المماليك.

[3] القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٤٧٠.

[4] نفسه ٣: ٤٧٠.

[5] المقريزي: المقفى الكبير ٣: ٤٠ في ترجمة جعفر بن فاتك أخي الوزير المأمون بن البطائحي، فقد رَتَّبه أخوه لحمل السيف الخاص عندما تولى الوزارة للخليفة الآمر بأحكام الله. ويكون في وقت مسير الخليفة راكبًا في الجانب الأيسر هو-

ثم يُخْرَج «الرُّمْح» [١]، وهو رُمْحٌ لَطيفٌ في غُلافٍ منظوم من اللُّؤْلُؤ، وله سِنانٌ مختصرٌ بحِلْيَةِ ذَهَب [٢]، ودَرَقَة بكَوابِج[a] ذَهَب، فيها سَعَة منسوبة إلى حَمْزَة بن عبد المُطَّلِب - رضي الله عنه - في غِشاءٍ من حَرير، لتَخْرُج إلى حامِلِها وهو أميرٌ مُمَيَّزٌ. ولهذه الخِدْمَة وصاحِبِها عندهم جَلالَةٌ.

ثم يُعْلَم[b] النَّاسُ بطَريق المَوْكِب، وسُلوكُه لا يتعدَّى دَوْرَتَيْن: إحداهُما كبرىٰ، والأخرى صغرىٰ. أمَّا الكبرىٰ فمن باب القَصْر إلى باب النَّصْر، مارًّا إلى حَوْض عِزّ المُلْك نَبَا - ومَسْجده هناك وهو أقصاها [٣] - ثم يَنْعَطِف على يَسارِه طالِبًا باب الفُتُوح إلى القَصْر. والأخرى إذا خَرَجَ من باب النَّصْر سارَ حافًّا بالسُّور، ودَخَلَ من باب الفُتُوح.

فيَعْلَم النَّاسُ بسُلُوك أحَدهما[c]، فيسيرون إذا رَكِبَ الخَليفَة فيها من غير تبديلٍ للمَوْكب، ولا تَشْويشٍ ولا اخْتِلال. فلا يَصْبح الصُّبْحُ من يوم الرُّكُوب إلَّا وقد اجْتَمَعَ مَنْ بالقاهِرَة ومصر من أرْباب الرُّتَب وأرْباب التَّغْييرات[d] من أرباب السُّيُوف والأقْلام قِيامًا بَيْن القَصْرَيْن - وكان بَراحًا واسِعًا خالِيًا من البِناء الذي فيه اليوم - فيَسَع القَوْم لانتظار رُكوب[e] الخَليفَة.

ويُبكِّر الأُمَراءُ إلى الوَزير إلى دارِه، فيَرْكَب إلى القَصْر من غير اسْتِدْعاء لأنَّها خِدْمَة لازِمَة للخَليفَة، فيسير أمامَه تَشْريفُه المقدَّم ذكره، والأُمَراءُ بين يَدَيْه رُكْبانًا ومُشاةً، وأمامَه أوْلادُه
٤٤٩ وإخْوَتُه/ وكلٌّ منهم مَرْخي الذُّؤابَة بلا حَنَك، وهو في أُهْبَةٍ[f] عَظيمَةٍ من الثِّياب الفاخِرَة والمِنْديل وهو بالحَنَك، ويَتَقلَّد بالسَّيْف المُذَهَّب.

فإذا وَصَلَ القَصْر تَرَجَّل قَبْله أهْلُه في أخَصّ مكانٍ لا يَصِل الأُمَراءُ إليه، ودَخَلَ من باب القَصْر وهو راكِبٌ دون الحاضرين إلى دِهْليز يُقالُ له «دِهْليزُ العَمُود»، فيَتَرَجَّل على مَسْطَبَةٍ هناك، ويَمْشي بقيَّة الدِّهْليز إلى القَاعَة، فيَدْخُل «مَقْطَع الوَزارَة» [٤] هو وأوْلادُه وإخْوَتُه وخَواصّ حاشِيَتِه،

---

a) بولاق: بكوامخ. b) النسخ وبولاق: يشعر والمثبت من مسودة المواعظ. c) بولاق: إحداهما. d) بولاق: التميزات. e) ساقطة من بولاق. f) بولاق: أبهة.

=وحامل الدواة، وهو أيضًا ممّن يرخي الذؤابة ما دام حاملًا للسيف.

[١] انظر وصف ابن المأمون للرمح الشريف الذي كان يحمل وراء الموكب (فيما تقدم ٣٦٥: ٢١).

[٢] القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٤٦٩.

[٣] لم يرد ذكر لهذا المسجد في غير هذا الموضع، ويبدو أنه ضاعت معالمه بعد العصر الفاطمي.

[٤] عن «دهليز العمود» و«مَقْطَع الوزارة»، انظر فيما تقدم ٢٩٠.

ويجلس الأُمَرَاءُ بالقاعَة على دِكَك مُعَدَّة لذلك مَكْسُوَّة في الصَّيْف بالحُصْر السَّامان وفي الشِّتاء بالبُسُط الجَهْرَمِيَّة المَحْفُورَة.

فإذا أُدْخِلَت الدَّابَّةُ لرُكوب الخَلِيفَة، وأُسْنِدَت إلى الكُرْسي الذي يَرْكَب عليه من باب المجْلِس، أُخْرِجَت المِظَلَّة إلى حامِلها، فيَكْشِفها ممَّا هي ملفوفة فيه غير مُطْنَبَة [a]، فيَتَسَلَّمها بإعانة أربعة من الصَّقالِبَة برَسْم خِدْمَتِها، فيُرَكِّزها في آلة حَديد مُتَّخِذَة شَكْل القَرْن المُصْطَخَب [b]، وهو مَشْدود في رِكاب حامِلها الأيمن بقُوَّة وتأكيد بعقبها [b]، فيُمسك العَمُود بحاجِزٍ فوقِ يده فيَبْقى وهو مُنْتَصب واقِف. ولم يُذْكَرْ قَطّ أنَّها اضْطَرَبَت في رِيح عاصِف.

ثم يُخْرَج «بالسَّيْفِ»، فيَتَسَلَّمه حامِلُه، فإذا تَسَلَّمَه أُرْخِيَت ذُؤابَتُه ما دامَ حامِلًا له. ثم تُخْرَج «الدَّوَاة» فتُسَلَّم لحامِلِها وهو من الأُسْتاذين المُحَنَّكين، وكان الوُزَراءُ حَمَلوها لقَوْمٍ من الشُّهُود المُعَدَّلين. وهي الدَّواةُ التي كانت من أعاجِيب الزَّمان، وهي في نَفْسها من الذَّهَب وحِلْيَتها مَرْجان، وهي ملفوفة في مِنْديل شَرْب بياض مُذَهَّب [٢]. وقد قال فيها بَعْضُ الشُّعَراء يُخاطِبُ

---

a) بولاق: مطوية. b) زيادة من مسودة المواعظ.

---

[١] تُقَدِّم لنا هذه الفقرة وصفًا من الأوصاف القليلة للطبوغرافيا الداخلية للقصر الفاطمي الكبير.

[٢] القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٤٦٨.

وجاء هنا في حاشية بخط المؤلف: «هذه الدَّواة كانت من عَنْبَر بلق وحليتها من المرجان، عملها الأفضل بن أمير الجيوش فلما وقف عليها القاضي الرشيد بن الزُّبَيْر أنشده: أُلين لداود.. البيتين. وقال فيها الحَيْص بَيْص الشاعر البغدادي لمّا بلغه بيتا ابن الزُّبَيْر:

صِيغَت دواتك من يوميك فاشتبهت
على الأنـام بِلُـؤْر ومَرْجـان
فيوم سِلْمِـكَ مبيضٌ بفيض نَدَى
ويومُ حـربكَ قانٍ بالدَّم القـاني

ثم إن الأفضل أهدى للخليفة الآمر في سنة اثنتين وخمس مائة هدايا جليلة منها قطعة مرجان فصنع منها الآمر دواة فقال فيها أحمد بن منصور البيتين. وهذا القول عندي هو الأشبه». وفي حاشية أخرى: «هذان البيتان من نظم القاضي الرشيد أحمد بن علي بن الزبير وذكر أنهما من نظم أحمد بن منصور». ا.هـ.

وذكر ابن خلكان في ترجمة الوزير العباسي عون الدين يحيى بن هُبَيْرَة أن هذه الأبيات أنشدت في مجلسه عندما أهديت إليه دواة بلُوْر مرصعة بمرجان أنشدها شاعرٌ ضرير لم يقف على اسمه. فقال الحَيْص بيض - وكان حاضرًا في المجلس -: إنما وصفت صانع الدواة ولم تصفها، فقال الوزير: مَنْ عَيَّرَ غَيَّر. فقال الحيص بيص الأبيات التي أوردها المقريزي. ثم أضاف ابن خلكان أنه وجد البيتين الأولين في كتاب «الجنان» للقاضي الرشيد أحمد بن الزبير الغساني ونسبهما إلى القاضي الرشيد أحمد بن قاسم الصقلي قاضي مصر وأورد الرواية المنسوبة إلى الأفضل (وفيات الأعيان ٦: ٢٣٦-٢٣٧). وانظر رواية مشابهة للرواية التي أوردها المقريزي في الهامش عند ابن أيبك: كنز الدرر ٦: ٤٧٣؛=

الخَليفَة الذي[a] صُنِعَت حِلْيَةُ المَرْجان في وَقْته، وهذا من أَغْرَب ما يكون، ذَكَرَ ذلك في بَيْتَيْن وهما:

[الطويل]

أَلِينَ لداودَ الحَديدُ كَرامَةً ... فقَدَّر منه السَّرْدُ كيف يُريد
ولانَ لَكَ المَرْجان وهو حِجارَةٌ ... ومَقْطَعُه صَعْبُ المَرَام شَديدُ

فيَخْرُج الوَزيرُ ومن كان معه من المَقْطَع، وتَنْضَمّ إليه الأُمَراءُ، ويَقِفُون إلى جانِب الدَّابَّة[b].

فيَرْفَع صاحِبُ المَجْلِس السِّتْر، فيخرج من كان عند الخَليفَة للخِدْمَة منهم، وفي أَثَرهم يَبْرُز الخَليفَةُ بالهَيْئَة المشروح حالُها في لِباسه: الثِّياب المعروضة عليه، والمِنْديل الحامِل لليَتِيمَة بأعلى جَبْهَته، وهو مُحَنَّك مَرْخِيّ الذُّؤابَة مِمَّا يلي جانِبَه الأيسر، ويَتَقلَّد بالسَّيْف العَرَبي[c]، وبيده قَضيبُ المُلْك وهو طُول شِبْر ونصف من عُود مكسو بالذَّهَب المُرَصَّع بالدُّرّ والجَوْهَر[1]. فيُسلِّم على الوَزير قَوْمٌ مُرَتَّبون لذلك، وعلى أَهْله وعلى الأُمَراءِ بعدهم، ثم يَخْرُج أولَئِك أَوَّلًا فأَوَّلًا، والوَزيرُ يَخْرُج بعد الأُمَراء فيركب ويقف قُبالَة باب القَصْر بهَيْئَتِه.

ويَخْرُجُ الخَليفَة [راكِبًا][d] وحَوالَيْه الأُسْتاذون، ودابَّته ماشِيَة على بُسُط مَفْروشَة خِيفَةً من زَلَقها على الرُّخام[2]. فإذا قارَب البابَ وظَهَرَ وَجْهُه، ضَرَبَ رَجُلٌ ببُوقٍ لَطيفٍ من ذَهَب مُعَوَّج الرأس ـ يُقالُ له «الغَرِيبَة»[3] ـ بصَوْتٍ عَجيبٍ يُخالِف أَصْوات البُوقات.

فإذا سُمِعَ ذلك ضُرِبَت الأَبْواقُ في المَوْكِب، ونُشِرَت المِظَلَّة، وبَرَزَ الخَليفَةُ من الباب، ووَقَفَ وَقْفَةً يسيرةً بمِقْدار رُكُوب الأُسْتاذين المُحَنَّكين وغيرهم من أَرْباب الرُّتَب الذين كانوا بالقاعَة للخِدْمَة، و سارَ الخَليفَةُ وعلى يساره صاحِبُ المِظَلَّة وهو يُبالِغ أَلَّا يَزول عنه ظِلُّها.

---

a) بولاق: التي. b) بولاق: الراية. c) بولاق: المغربي. d) إضافة من صبح الأعشى.

=وعندي أن المقريزي أورد روايته نقلًا عن ابن أيبك.

[1] القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٤٦٨.

[2] هذه العبارة توضح أن أرضية القصر كانت مبلّطة بالرخام وهو ما يؤكده وصف غليوم أسقف صور Guillaume de Tyr، كما نقله جستاف شلمبرجيه إلى الفرنسية، حيث يصف من بين أجزاء القصر «فناءً مكشوفًا تحيط به أروقة ذات أعمدة» وأرضيته مرصوفة بأنواع من الرخام متعددة الألوان «Une vaste cour découverte qu'entouraient de magnifiques portiques à colonnades, Cour toute pavée de marbres de diverses couleurs». (Schlumberger, G., *op.cit.*, pp. 118-19).

[3] عن الغريبة انظر فيما تقدم ٣٠٤؛ وفيما يلي ٤٨٤.

ثم يَكْتَنِف الخَليفَة مُقَدَّمو صِبْيان الرِّكاب : منهم اثنان في الشَّكيمَتَيْن[a]، واثنان في عُنُق الدَّابَّة من الجانبين، و اثنان في رِكابيه[b]. فالأَيْمَن مُقَدَّم المُقَدَّمين، وهو صاحب المَقْرَعَة التي يتناوَلها ويُناولها، وهو المُؤَدِّي عن الخَليفة مُدَّة رُكوبه الأوامِر والنَّواهي.

ويَسيرُ المَوْكِب بالحَثّ، فأوَّلُه فُرُوعُ الأَمَراء وأوْلادهم، وأخْلاطُ بَعْض العَسْكَر الأماثِل، إلى أرْباب القُضُب، إلى أرْباب الأَطْواق، إلى الأُسْتاذين المُحَنَّكين، إلى حامِل اللِّواءَيْن من الجانبين، إلى حامِل الدَّواة - وهي بينه وبين قَرَبوس السَّرْج[1] - إلى صاحِب السَّيْف وهما في الجانِب الأيسر كلّ واحِدٍ ممَّن تَقَدَّم ذِكْره بين عشرة إلى عشرين من أصْحابِه. ويَحْجُبُه أَهْلُ الوَزير المقدَّم ذكرُهم من الجانِب الأيمن بعدَ الأُسْتاذين المُحَنَّكين.

ثم يأتي الخَليفَةُ وحَوالَيْه «صِبْيانُ الرِّكاب» المذكور[c] تَفْرِقَةُ السِّلاح فيهم، وهم أكثر من ألف رَجُل، وعليهم المنادِيل الطَّبَقِيَّات، وهم متقلِّدون[d] بالسُّيوف، وأوْساطُهم مَشْدودة بمَناديل، وفي أيديهم السِّلاح مَشْهور، وهم من جانبي الخَليفَة كالجَناحَيْن المادَّيْن، وبينهما فُرْجَة لوَجْه الدَّابَّة[e] ليس فيها أَحَدٌ، وبالقُرْب من رأسها الصَّقْلَبيان الحامِلان للمَذَبَّتَين، وهما مرفوعتان كالنَّخْلتين، لما يَسْقُطُ من طائِرٍ وغيره[2]، وهو سائِرٌ على تُؤَدَة ورِفْق.

وفي طُول المَوْكِب من أوَّله إلى آخره «والي القاهِرَة» مارًّا وعائدًا لفَسْح الطُّرُقات وتَسْيير[f] الرُّكْبان، فيَلْقَى في عَوْده الإسْفِهْسَلار كذلك مارًّا وعائِدًا لحَثّ [g]النَّاس و[g] الأجناد في الحركة والإنْكار على المُزاحمين المُعْتَرِضين، ويَلْقَى في عَوْدِه صاحِب الباب - ومُروره في زُمْرَة الخَليفَة - إلى أن يَصل إلى الإسْفِهْسَلار، فيَعُود لتَرْتيب المَوْكِب وحراسَة طُرُقات الخَليفَة، وفي يد كلٍّ منهم دَبُّوس، وهو راكِبٌ خَيْر دَوابِّه، وأَسْرَعه، هذا لمن هو[h] أمام المَوْكِب.

ثم يَسيرُ خَلْفَ دابَّة الخَليفَة قَوْمٌ من صِبْيان الرِّكاب لحِفْظ أعْقابِه، ثم عَشْرَة يحملون/ ٠:١
عشرة سُيوف في خَرائِط ديباج أحْمَرَ وأَصْفَر بشَراريب غَزيرَة - يُقالُ لها «سُيوف الدَّم» - برَسْم ضَرْب الأعْناق[3].

---

a) بولاق : الشكيمة. b) بولاق : ركابه. c) بولاق : المذكورة. d) بولاق : ويتقلدون. e) بولاق : الفرس والمثبت من المسودة. f) بولاق : يفسح ... ويسير. g-g) ساقطة من بولاق. h) ساقطة من بولاق.

---

[1] القلقشندي : صبح الأعشى ٣: ٤٦٨.

[2] نفسه ٣: ٤٧٠.

[3] نفسه ٣: ٤٧٠، وكان صبيان الركاب في أوَّل الدولة الفاطمية يعرفون بـ«الشَّغْبِيَّة»، وهم نحو مائة رجل=

ثم يَسير بعدهم «صِبْيانُ السِّلاح الصَّغير» أرْباب الفَرَنْجِيّات المقدَّم ذكرهم أوَّلاً[١].

ثم يأتي الوَزِيرُ في هيئته[a]، وفي رِكابِه من أصحابِه قَوْمٌ يُقالُ لهم «صِبْيانُ الزَّرَد»[٢]، من أقْوياء الأجْناد يختارهم لنفسه[b]، ما مِقْداره خمس مائة رَجُل من جانبيه بفُرْجَة لطيفَة أمامه دون فُرْجَة الخَليفَة، وكأنّه على وَفاز من حِراسَة الخَليفَة، ويجتهد ألَّا يَغيب عن نَظَره، وخَلْفه الطُّبول والصُّنُوج والصَّفافير، وهو مع عِدَّةٍ كثيرةٍ تُدَوِّي بأصْواتِها وحِسِّها الدنيا.

ثم يأتي حامِلُ الرُّمْح المُقَدَّم ذكره ودَرَقَةُ حَمْزَة[c]، ثم طَوائِف الرَّاجل من الرَّيْحانيَّة[d] والجُيُوشية وقبلهما المَصامِدَة، ثم الفَرَنْجِيَّة، ثم الوَزيرية زُمْرَةً زُمْرَةً في عِدَّةٍ وافرةٍ تَزيدُ على أربعة آلاف في الوَقْت الحاضِر وهم أضْعافُ ذلك، ثم أصْحابُ الرَّايات والسَّبْعَيْن، ثم طَوائِف العَساكِر من الآمِرِيَّة والحُجَرِيَّة الكِبار والحافِظِيَّة والحُجَرِيَّة الصِّغار المنقولين والأَفْضَلِيَّة والجُيُوشِيَّة، ثم الأتراك المُصْطَنَعون ثم الدَّيْلَم، ثم الأكْراد، ثم الغُزّ المُصْطَنَعَة.

وقد كان تَقَدَّم هؤلاء الفُرْسان عِدَّةٌ وافِرَة من المُتَرَجِّلَة أرْباب قِسِيّ اليد وقِسِيّ الرِّجْل في أكثر من خمس مائة، وهم المعدون للأساطيل، ويكون من الفُرْسان المُقَدَّم ذِكْرِهم ما يَزيد على ثلاثة آلاف. وهذا كُلُّه بَعْضٌ من كُلّ[٣].

فإذا انتهى المَوْكِبُ إلى المكان المحْدود عادُوا على أدْراجِهم، ويَدْخُلون من باب الفُتُوح، ويَقِفُون بين القَصْرَيْن بعد الرُّجوع[f] كما كانوا قبله.

---

a) بولاق: هيبة. b) في مسودة المواعظ: باختياره لنفسه. c) بولاق: ودرقته حمراء. d) بولاق: الركابية.
e) مسودة المواعظ: الركوب. f) مسودة المواعظ: الركوب.

= يختصون بركاب السلطان (الخليفة) ويحملون سيوفًا محلاة بين يديه، يعرفون لأجلها بـ «أصحاب السيوف الحلي». وقد جرت عادتهم في أيام الحاكم بأمر الله أن يتولَّوا قَتْل من يؤمر بقتله. (المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢:١٢٧).

[١] انظر فيما تقدم ٤٦٤ حيث يذكر ابن الطوير مجموعة من العبيد الأقوياء السودان الشباب يقال لهم «أرباب السّلاح الصغير» عددهم ثلاث مائة عبد.

[٢] صبيان الزَّرَد. هم أوباش العَسْكَر وزُعّار النّاس الذين اجتمعوا إلى الحسن بن الحافظ في صراعه مع أبيه الخليفة الحافظ لدين الله سنة ٥٢٩هـ، ففَرّقَ فيهم الزَّرَد وسمّاهم صبيان الزَّرَد وجعلهم خاصّته (ساويرس بن المقفع: تاريخ بطاركة الكنيسة ٣/١: ٢٨؛ المقريزي: المقفى الكبير ٣:٤١٦).

ويدل هذا النص على أن الوزير، خلال هذا الموكب، كان على غير وفاق مع الخليفة لحرصه على أن يكون مخفورًا بصبيان الزَّرَد. وأُرَجِّح أن يكون هذا الوزير هو العادل بن السّلار.

[٣] ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٤٧-١٦٦، ٢٧٥-٢٧٦؛ المقريزي: مسودة المواعظ ١٨٩ - ٢٠٨.

فإذا وَصَلَ الخَلِيفَةُ إلى الجامِع الأَقْمَر بالقَمَّاحين اليوم ، وَقَفَ وَقْفَةً بجملته في مَوْكِبه ، وانْفَرَج المَوْكِبُ للوَزير فيتَحَرَّك[a] مُسْرِعًا ليصير أمامَ الخَلِيفَة حتى يَدْخُل بين يَدَيْه ، فيمرُّ الخَلِيفَةُ فيَسْكَع له سَكْعَةً ظاهِرَةً ، فيُشِير الخَلِيفَةُ للسَّلام عليه إشارَةً خَفِيفَةً[b] ـ وهذه أَعْظَمُ مُكارَمَةٍ تَصْدُر عن الخَلِيفَة ، ولا تكون إلّا للوَزير صَاحِب السَّيْف ـ فيفارقه[c] ويَسْبِقُه[d] إلى دُخُول باب القَصْر راكِبًا على عادَته إلى مَوْضِعه ، ويكون الأُمَرَاءُ قد نَزَلُوا قَبْلَه لأنَّهم في أوائِل المَوْكِب .

فإذا وَصَلَ الخَلِيفَةُ إلى باب القَصْر ودَخَلَه ، وترجَّل الوَزيرُ ، ودَخَلَ قَبْلَه الأُسْتاذون المُحَنَّكون وأَحْدَقُوا به ، والوَزيرُ أمامَ وَجْه دابَّته مِن[e] مكان تَرَجُّله إلى الكُرْسِي الذي رَكِبَ منه ، فيَنْزِل عليه ويَدْخُل إلى مَكانِه بعد خِدْمَةِ المذكورين له .

فيَخْرُج الوَزيرُ ويَرْكَب من مَكانِه الجاري به على عادَته ، والأُمَرَاءُ بين يَدَيْه وأقاربُه حَوالَيْه ، فيركبون من أماكِنهم ويَسيرون صُحْبَتَه إلى دارِه ، فيَدْخُل وينزل أيضًا إلى مَكانِه على كُرْسي ، فتَخْدِمه الجَماعَةُ بالوَداع[1].

[f]دنانير الغُرَّة التي كانت تُضْرَب وتُفَرَّق في أوَّل السَّنَة في أيام الخلفاء

قال ابن الطُّوَيْر في الفَصْل الخامس من كتابه بعد ذِكْر رُكوب أوَّل العام ما نصّه[f]: وتَتَفَرَّقُ النَّاسُ إلى أماكِنهم ، فيجدون قد أُحْضِرَ إليهم الغُرَّة . وهو أنَّه يتقدَّم أَمْرُ[c] الخَلِيفَةِ بأن يُضْرَب بدار الضَّرْب في العَشْر الأُخَر من ذي الحجَّة ، بتاريخ السَّنة التي رَكِبَ أوَّلها في هذا اليوم ، جُمْلَةٌ من الدَّنانير والرُّباعية والدَّراهم المُدَوَّرة المُقَشْقَلة .

فيُحْمَلَ إلى الوَزير منها ثلاث وستون دينارًا وثلاث مائة وستون رُباعيًّا وثلاث مائة وستون قِيراطًا ، وإلى أولاده وإخوته من كلِّ صِنْف من ذلك خمسون ، وإلى أَرْباب الرُّتَب من أصْحاب السُّيوف والأَقْلام من عشرة دنانير وعشر رُباعيات وعَشْرة قَراريط إلى دِينار واحِد ورُباعيّ واحِد وقيراطٍ واحِد[2]، فيَقْبَلون ذلك على حُكْم البَرَكَة من قِبَل[g] الخَلِيفَة .

a) بولاق : فتحرك . b) بولاق : خفيه . c) زيادة من مسودة المواعظ . d) بولاق : وسبقه . e) النسخ وبولاق : وجه الفرس ، والمثبت من مسودة المواعظ . f-f) زيادة من مسودة المواعظ . g) بولاق : البرمكيه من مبلغ .

[1] ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٦٦ – ١٦٧؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٢٧٦ – ٢٧٧.

[2] يسمى الرُّباعي لأن وزنه أربع حبّات بينما وزن القيراط حبة واحدة .

قالَ : ومَبْلَغُ الغُرّة التي يُنْعَم بها في أوَّل العام المقدّم ذكرها ، من الدّنانير والرّباعيات والقَراريط ، ما يَقْرُب من ثلاثة آلاف دينار [1].

ذِكْرُ ما كان يُضْرَبُ في خَميسِ العَدَسِ من خَراريبِ الذَّهَبِ

قال ابنُ المأمُون : وأحْضَرَ الأَجَلُّ المأمُون كاتِبَ الدَّفْتَر ، وأَمَرَه بالكَشْف عمّا كان يُضْرَب برَسْم خَميس العَدَس من الخَراريب الذَّهَب ، وهو خمس مائة دينار عن عشرين ألف خَرُّوبَة . فاسْتَدْعى[a] كاتِبَ بيتِ المال ووَقَّعَ له بإطْلاقِ ألف دينار ، وأَمَرَهُ بإحْضار مُشارِف دار الضَّرْب وسَلَّمَها إليه . فاعتمد ذلك ، وضُرِبَت عشرون ألف خَرُّوبَة وأحضرها ، فأَمَرَ بحَمْلِها إلى الخَليفَة ، فسَيَّرَ الخَليفَةُ منها إلى المـأْمُون ثلاث مائة دينار . وذُكِرَ أنّها لم تُضْرَب في مُدَّة خِلافَةِ الحافِظ لدين الله غير سنةٍ واحدةٍ ، ثم بَطَلَ حُكْمُها ونُسِيَ ذكرُها [2].

قالَ : وصارَ ما يُضْرَب باسم الخَليفَة ـ يعني الآمِر بأحكام الله ـ في ستة مواضِع : القاهِرَة ، ومِصْر ، وقُوص ، وعَسْقَلان ، وصُور ، والإسْكَنْدَرية [3].

وقال ابنُ عبد الظّاهِر : خَميسُ العَدَس كان يُضْرَب فيه خمس مائة دينار[b] تُعْمَل عشرة آلاف خَرُّوبَة ، كان الأَفْضَلُ بن أمير الجُيُوش يَحْمِل منها للخَليفَة مائتي دينار ، والبقيّة برَسْمِه . ثم جُعِلَت في الأيام المأْمُونية ألف دينار ، ورُبَّما زادَت أو نَقَصَت يسيرًا [4].

وقد تقدَّمَ أنَّ قاضي القُضاة كان يتولَّى عِيار دار الضَّرْب ، ويحضر التَّغْليق بنفسه ويَخْتِم عليه ، ويَحْضُر للمَوْعِد الآخر لفَتْحه [5].

---

a) بولاق : واستدعى . b) ساقطة من بولاق .

---

[1] ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٦٧؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٢٧٢-٢٧٣.

[2] ابن المأمون : أخبار مصر ٩٥؛ المقريزي : المسودة ٢٧٧.

[3] ابن المأمون : أخبار مصر ٩٥.

[4] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١١٩؛ المقريزي : المسودة ٢٧٧.

[5] فيما تقدم ٣٤٢ .

ذِكْرُ دار الوَكالَة الآمِريَّة

/كانت دارُ الوَكالَة المذكورة بجانب دار الضَّرْب، وموضعها الآن على يَمْنَة السَّالِك من رأسِ الخَرَّاطين إلى سُوق الخِيَمِيِّين والجامِع الأَزْهَر.

قال ابنُ المأمُون في شَوَّال سنة ستّ عشرة وخمس مائة: ثم أنْشَأ ـ يعني المـأْمُون بن البَطائِحي، وَزير الخَليفَة الآمِر بأحكام الله ـ دار الوَكالَة بالقاهِرَة المحروسة لمن يَصل من العِراقين والشَّاميين وغيرهما من التُّجّار، ولم يُسْبَق إلى ذلك[1].

ذِكْرُ مُصَلَّى العيد

وكان في شَرقيّ القَصْر الكبير مُصَلَّى العيد من خارِج باب النَّصْر، وهذا المُصَلَّى بناه القائِدُ جَوْهَرُ لأَجْل صَلاة العيد في شهر رَمَضان سنة ثمانٍ وخمسين وثلاث مائة [a]على ما نقلته من «سيرة المُعِزّ لدين الله» تأليف الفقيه الحَسَن بن إبراهيم بن زولاق[a]، ثم جَدَّدَه العَزيزُ بالله. وقد بَقِيَ إلى الآن بعضُ هذا المُصَلَّى، واتُّخِذَ في جانِب منه مَوْضِع مُصَلَّى الأَمْوات اليوم[2].

ذِكْـرُ هَيْئَة صَلاةِ العِيد وما يَتَعلَّق بها ـ قال ابنُ زُولاق [a]في «سيرة المعز لدين الله» ومن خطِّه نقلت[a]: ورَكِبَ المُعِزُّ لدين الله يوم الفِطْر لصَلاة العيد إلى مُصَلَّى القاهِرَة التي بَناها القائِدُ جَوْهَر، وكان محمَّدُ بن أحمد بن الأَدْرَع الحَسَني قد بَكَّر وجَلَسَ في المُصَلَّى تحت القُبَّة في مَوْضِع، فجاءَ الخَدَمُ وأقاموه وأقْعَدوا مَوْضِعَه أبا جَعْفَر مُسْلِمًا، وأقْعَدوه هو دونه، وكان أبو جَعْفَر مُسْلِم خَلْفَ المُعِزّ عن يَمينه وهو يُصَلِّي. وأقْبَلَ المُعِزُّ في زِيِّه وبُنودِه وقِبابِه، وصَلَّى بالنَّاس صَلاةَ العيد تامَّةً طَويلَةً، قَرَأَ في الأولى بأُمّ الكتاب و﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الغَاشِيَةِ﴾ [الآية ١ سورة الغاشية]، ثم كَبَّر بعد القِراءَة، ورَكَع فأطالَ، وسَجَدَ فأطالَ ـ أنا سَبَّحْتُ خَلْفَه في كلِّ رَكْعَةٍ وفي كلِّ سَجْدَةٍ

---

a-a) زيادة من مسودة المواعظ.

---

[1] ابن المأمون: أخبار ٣٩؛ ابن ميسر: أخبار ٩٢؛ المقريزي: اتعاظ ٣: ٩٢، مسودة المواعظ ٢٧٩.

[2] قارن، ابن عبد الظاهر: الروضة ١١٨-١١٩؛ المقريزي: مسودة المواعظ ١٨٣؛ وانظر Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 188-89.

نَيِّفًا وثلاثين تَسْبيحَة ـ وكان القاضي النُّعْمان بن محمَّد يُبَلِّغ عنه التَّكْبير. وقَرَأَ في الثانية بأُمّ الكِتاب وسُورَة ﴿والضُّحَىٰ﴾ ثم كبَّرَ أيضًا بعد القِراءَة ـ وهي صَلاةُ جَدِّه عليّ بن أبي طالِب ـ عليه السَّلام ـ وأطالَ أيضًا في الثانية الرُّكوعَ والسُّجودَ ـ أنا سَبَّحْت خلفه نَيِّفًا وثلاثين تَسْبيحَة في كلِّ رَكْعَة وفي كلِّ سَجْدَة ـ وجَهَرَ بِبِسْم الله الرَّحْمٰن الرَّحيم في كلِّ سُورَة.

وأَنْكَر جَماعاتٌ يَتَوَسَّمون بالعِلْم قِراءَتَه قبل التَّكْبير لقِلَّة عِلْمِهم، وتَقْصيرهم في العُلوم.

حدَّثنا محمد بن أحمد قال: حَدَّثنا عُمَر بن شَبَّة، حدَّثنا عبدُ الله ورَجاءٌ عن إسْرائيل، عن أبي إسحاق، عن الحارِث عن عليّ ـ عليه السَّلام ـ، أنَّه كان يَقْرأ في صَلاةِ العِيد قَبْل التَّكْبير.

فلمَّا فَرَغَ المُعِزُّ من الصَّلاة صَعِدَ المِنْبَر، وسَلَّم على النَّاس يمينًا وشمالًا، ثم نُشِرَ بالبَنْدَيْن[a] اللذين كانا على المِنْبر، فخَطَب وراءَهما على رَسْمِه. وكان في أعلا دَرَجَة من المنبر وسادَة ديباج مُثْقَل، فجَلَسَ عليها بين الخُطْبَتَيْن، واسْتَفْتَحَ الخُطْبَة بِبِسْم الله الرَّحْمَٰن الرَّحيم ـ وكان معه على المِنْبَر القائِدُ جَوْهَرُ وعمَّارُ بن جَعْفَر وشَفيع صاحِبُ المِظَلَّة ـ ثم قال: الله أكبر الله أكبر، واسْتَفْتَح بذلك، وخَطَبَ وأَبْلَغ وأَبْكَى النَّاس، وكانت خُطْبَةً بخُشُوعٍ وخُضُوعٍ.

فلمَّا فَرَغَ من خُطْبَته، انْصَرَفَ في عَساكِره، وخَلْفه أوْلاده الأربعة بالجَواشِن والخُوَذ على الخَيْل بأحسن زِيٍّ، وساروا بين يديه بالفيلَيْن.

فلمَّا حَضَرَ في قَصْرِه أَحْضِر النَّاسُ فأكلوا، وقُدِّمت إليهم السُّمُط، ونَشَّطَهم إلى الطَّعام، وعَتَبَ على من تأخَّر، وهَدَّدَ من بَلَغَه عنه صِيامُ العيد[1].

وقال المُسَبِّحيُّ في حَوادِث آخر يوم من رَمَضان سنة ثمانين وثلاث مائة: وبُنِيَت مَساطِبُ ما بين القصور والمُصَلَّىٰ الجَديدة ظاهِر باب النَّصْر يكون[b] عليها المؤذِّنون، حتى يتَّصل التكبير من المُصَلَّىٰ إلى القصر.

وفيه تقدَّم أَمْرُ القاضِي محمد بن النُّعْمان بإحضار المتفقِّهة والمؤمنين ـ يعني الشِّيعَة ـ وأَمَرَهُم بالجُلوس يوم العيد على هذه المَساطِب، ولم يزل يُرَتِّب النَّاس، وكَتَبَ رِقاعًا فيها أسماءُ النَّاس، فكانت تخرج رُقْعَةً رُقْعَةً، فيجلس النَّاسُ على مَسْطَبَةٍ مَسْطَبَةٍ بالترتيب.

a) بولاق: ستر بالسترين. b) ساقطة من بولاق.

[1] ابن ميسر: أخبار مصر ١٥٩- ١٦٠؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ١٤٤؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ١: ١٣٨، مسودة المواعظ ١٨٤- ١٨٥.

وفي يوم العيد رَكِبَ العَزيزُ بالله لصَلاة العيد، وبين يديه الجَنائِبُ والقِبابُ الدِّيباج بالحُلِيّ، والعَسْكَر في زِيِّه من الأتْراك والدَّيْلَم والعَزيزية، والإخشيدية والكافُورية، وأهْل العِراق بالدِّيباج المُثْقَل والسُّيوف والمناطِق الذَّهَب، وعلى الجَنائِب السُّروج الذَّهَب بالجَوْهَر والسُّروج بالعَنْبَر، وبين يَدَيْه الفِيَلة عليها الرجّالة بالسِّلاح والزَّرافَة. وخَرَجَ بالمِظَلَّة الثقيلة بالجَوْهَر، وبيده قَضيبُ جَدِّه ـ عليه السَّلام ـ فصَلَّى على رَسْمه وانْصَرَف [1].

وقال ابنُ المأمُون (a في «تاريخه» a): ولمَّا توفِّي أميرُ الجُيوش بَدْرُ الجَماليّ، وانتقل الأمْرُ إلى وَلَدِه الأفْضَل ابن أمير الجُيُوش، جَرَى على سُنَن والده في صَلاة العيدِ، ويقف في قَوْس باب داره الذي عند باب النَّصْر ـ يعني دار الوَزارَة ـ؛ فلمَّا سَكَنَ بمصر [2]، صارَ يَطْلُع من مصر باكِرًا، ويقف على باب دارِه على الحالَة الأولى إلى أن b) تستحقّ الصَّلاة، فيدخُل من باب العيد إلى الإيوان، ويُصَلِّي به القاضي ابنُ الرَّسْعَني، ثم يجلس بعد الصَّلاة على المَرْتَبَة إلى أن تنقضي الخُطْبَة، فيَدْخُل من باب المُلْك ويسلِّم على الخَليفَة بحيث لا يراه أَحَدٌ غيره، ثم يَخْلَع عليه، ويتوجَّه إلى دارِه بمصر، فيكون / السِّماطُ بها مَدَى الأعياد. ١

فلمَّا قُتِلَ الأفْضَلُ، و استقرَّ بعده المأمونُ بنُ البطائِحي في الوَزارَة، قال: هذا نَقْصٌ في حَقِّ العيد، ولا يُعْلَم السَّبَبُ في كَوْن الخَليفَة لا يَظْهَر. فقال له الخَليفَةُ الآمِر بأحْكام الله: فما تَراهُ أنت؟ فقال: يجلس مَوْلانا في المَنْظَرَة التي اسْتُجِدَّت c) بين بابِ الذَّهَب وباب البَحْر، فإذا جَلَسَ مَوْلانا في المَنْظَرَة وفُتِحَت الطَّاقات، وَقَف المملوك بين يديه في قَوْس باب الذَّهَب، وتجوزُ جميعُها d) فارسُها وراجلُها، وتشملها بَرَكَةُ نَظَر مَوْلانا إليها. فإذا حانَ وَقْتُ الصَّلاة توَجَّه المملوك بالمَوْكِب والزِّيّ وجَميع الأُمَراء والأجْناد، واجتازَ بأبواب القصر ودَخَلَ الإيوان. فاسْتَحْسَن ذلك منه واسْتَصْوَبَ رأيه e)، وبالَغَ في شُكْرِه [3].

---

a-a) زيادة من مسودة المواعظ. b) بولاق: حتى. c) مسودة المواعظ: استحدثت. d) ساقطة من بولاق. e) مسودة المواعظ: واستصوبه.

---

[1] المسبحي: نصوص ضائعة ١٣؛ المقريزي: مسودة المواعظ ١٨٥–١٨٦، اتعاظ الحنفا ١: ٢٦٧.

[2] انتقل الأفضل بن أمير الجيوش إلى دار الملك التي أنشأها على النيل جنوب فسطاط مصر سنة ٥٠١هـ.

[3] ابن المأمون: أخبار مصر ٢٣–٢٤؛ المقريزي: مسودة المواعظ ١٨٦–١٨٧.

ثم عادَ المأمونُ إلى مَجْلِسه ، وأَمَرَ بتفْرِقَة كُسْوَة العيد والهِبات ، يعني في عيد النَّحْر سنة خمس عشرة وخمس مائة . وجُمْلَة العَيْن ثلاثة آلاف وثلاث مائة دينار وسبعة دنانير ، ومن الكُسْوات مائة قطعة وسَبْع قِطَع ، برَسْم الأُمَراء المُطوَّقين والأُسْتاذين المحَنَّكين وكاتِب الدَّسْت ومُتَوَلِّي حُجْبَة الباب وغيرهم [١] .

قال : ووَصَلَت الكُسْوَةُ المختَصَّة بالعيد في آخر شهر رَمَضان ـ يعني في سنة ستّ عشرة وخمس مائة ـ وهي تشتمل على دون العشرين ألف دينار ، وهو عندهم المَوْسِم الكبير ، ويُسَمَّى بـ « عِيد الحُلَل » لأنَّ الحُلَل فيه تعُمّ الجَماعَة ، وفي غيره للأعيان خاصَّة [٢] . وقد تقدَّم تَفْصيلها عند ذِكْر خِزانَة الكُسْوَة من هذا الكتاب [٣] .

قال : ولمَّا كان في التاسع والعشرين من شهر رَمَضان ، خَرَجَت الأَوامِرُ بأَضْعاف ما هو مستقرّ للمُقَرِّئين والمُؤَذِّنين في كلِّ لَيلَة برَسْم السُّحور ، بحُكْم أنَّها لَيلَة خَتْم الشهر . وحَضَرَ المأمونُ في آخِر النَّهار إلى القصر للفُطُور مع الخَليفَة والحُضُور على الأَسْمِطَة على العادَة ، وحَضَرَ إخْوتُه وعُمومتُه وجَميعُ الجُلَساءُ ، وحَضَرَ المُقْرِئون والمُؤَذِّنون ، وسَلَّموا على عادَتهم وجَلَسُوا تحت الرَّوْشَن [٤] .

وحُمِلَ من عند مُعْظَم الجِهات والسَّيِّدات والمُمَيَّزات من أهل القُصُور ثلاجي[a] ومَوْكِبيات مملوءةً ماءً ملفوفَة في عَراضِي دَبيقي ، وجُعلَت أمامَ المذكورين ليشملها بَرَكَةُ خَتْمِ القرآنِ ، واستفتح المُقْرِئون من الحَمْد إلى خاتِمَة القُرْآن تلاوَةً وتَطْريبًا .

ثم وَقَفَ بعد ذلك من خَطَبَ فأَسْمَعَ ودَعَا فأَبْلَغَ ، ورَفَعَ الفَرَّاشُون ما أعَدُّوه برسْم الجِهات ، ثم كَبَّرَ المؤَذِّنون وهَلَّلوا ، وأَخذوا في الصُّوفِيَّات إلى أنْ نُثِرَ عليهم من الرَّوْشَن دَراهِم ودَنانير ورُباعيات .

---

a) بولاق : بلاحي .

---

[١] ابن المأمون : أخبار مصر ٢٤ – ٢٥ .

[٢] نفسه ٣٨ .

[٣] فيما تقدم ١ : ٤٠٩ .

[٤] الرَّوْشَن جـ. الرَّواشن بمعنى النافذة أو الكوة للإضاءة ، وأيضًا بمعنى الخرجات أو البروز في العمائر بغرض زيادة سطح الأدوار العليا (محمد محمد أمين وليلى علي إبراهيم : المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية ٥٨) .

وقُدِّمَت جِفانُ القَطائِف على الرَّسْم مع الحَلْوى، فجَرَوْا على عادَتهم وملأُوا أكمامَهم، ثم خَرَجَ أسْتاذٌ من باب الدار الجَليلَة بخِلَع خَلَعَها على الخَطيب وغيره، ودَراهم تُفَرَّق على الطَّائِفَتين من المُقْرِئين والمُؤذِّنين[١].

و[٢]رُسِمَ أن تُحْمَلَ الفِطْرَة إلى قاعةَ الذَّهَب، وأن تكون التَّعْبِئَة في مَجْلِس المُلْك، وتُعَبَّأ الطَّيافير المَشورة الكِبار من السَّرير إلى باب المَجْلس، وتُعَبَّأ من باب المَجْلِس إلى ثُلُثَي القاعَة سِماطًا واحِدًا مثل سِماط الطَّعَام، ويكون جَميعُه سَدًّا واحِدًا من حَلاوَة المَوْسِم، وتُزَيَّن بالقِطَع المَنْفوخ، فامْتُثِلَ الأَمْرُ.

وحَضَرَ الخَليفَةُ إلى الإيوان، واستدعى المَـأْمُون وأوْلاده وإخوته، وعُرِضَت المَظالُّ المُذَهَّبَة المجاوَمَة، وكان المُقْرِئُون يُلَوِّحُون عند ذكرها بالآيات التي في سُورَة النَّحْل: ﴿والله جَعَلَ لكُم مِمَّا خَلَقَ ظِلالًا﴾ [الآية ٨١ سورة النحل] إلى آخرها. وجَلَسَ الخَليفَةُ، ورُفِعَت السُّتور، واسْتَفْتَحَ المُقْرِئون، وجَدَّدَ المأْمونَ السَّلامَ عليه، وجَلَسَ على المَرْتَبَة عن يمينه، وسَلَّم الأُمَرَاءُ جَميعُهم على حُكْم مَنازِلهم لا يتعدَّى أحَدٌ منهم مكانَه، والنُّوَّابُ جَميعُهم يستدعونهم بنُعُوتهم وتَرْتيب وُقُوفِهم، وسَلَّم الرُّسُلُ الواصِلون من جَميع الأقاليم، ووَقَفوا في آخر الإيوان، وخَتَمَ المُقْرِئون وسَلَّموا.

وخَدَمَت الرَّهَجِيَّةُ، وتَقَدَّم مُتَوَلِّي كلِّ إسْطَبْلٍ من الرُّوَّاض وغيرهم يُقَبِّل الأرض ويقف، ودَخَلَت الدَّوابُّ من باب الدَّيْلَم، والمستخدمون في الرِّكاب بالمناديل يتسلَّمونها من الشَّدَّادين، ويَدْنُون بها إلى[a] الإيوان. ودَوابُّ المِظَلَّة متميِّزة عن غيرها يتسلَّمها الأُسْتاذون دون المُسْتَخْدَمين[b] في الرِّكاب، ويَعْلُون بها إلى قَريب من الشُّبَّاك الذي فيه الخَليفَة.

وكلَّما عُرِضَ دَوابُّ إسْطَبْلٍ قَبَّل الأرض مُتَوَلِّيه وانصرف، وتقدَّم مُتَوَلِّي غيره على حُكْمِه، إلى أن يُعْرَض جَميع ما أَحْضَرُوه، وهو ما يَزيد على ألف فَرَس، خارِجًا عن البِغال وما تأخَّر من الجُشارات[c] والحُجُورَة والمَهارى.

---

a) بولاق: ويدورون بها حول. b) بولاق: الأستاذون والمستخدمون. c) بولاق: العشاريات.

---

[١] ابن المأمون: أخبار ٨٣، وفيما يلي ٥٩٦ – ٥٩٧.

[٢] من هنا أورده المقريزي في مسودة المواعظ ٢٢٩ تحت عنوان: «بقية سماط الفِطْرَة بقاعة الذهب وخروج الخليفة إلى المُصَلَّى».

ولمَّا عُرِضَت الدَّوابُّ ، أبطلت الرَّهَجِيَّة ، وعادَ اسْتِفْتاح المُقْرِئين ، وكانوا مُحْسنين فيما يَنْتَزِعونَه من القُرْآن الكريم ممَّا يُوافِق الحال ، مثل الآية من آل عِمْران : ﴿زُيِّنَ للنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوات﴾ [الآية ١٤ سورة آل عمران] إلى آخِرها ، ثم بعدها ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ [الآية ٢٦ سورة آل عمران] إلى آخرها .

وعُرِضَت الوُحُوش بالأَجِلَّة الدِّيباج [a]مُزَيَّنَة بالذَّهَب والفِضَّة . وعُرِضَت العَمّاريات بالأغشية الطَّميم والدِّيباج[a] والدَّبيقي بقِبابِ الذَّهَب والمناطِق والأَهِلَّة ، وبعدها النُّجُب والبَخاتي بالأَقْتاب الملبَّسَة بالدَّبيقي الملوَّن المَرْقُوم ، وعُرِضَ السِّلاحُ وآلاتُ المَوْكِب جَميعُها ، ونُصِبَت الكُسْواتُ على باب العيد ، وضُرِبَت طُول اللَّيْل .

وحُمِلَت الفِطْرَةُ الخاصّ التي يُفْطِر عليها الخَليفَةُ بأصنافِ الجَوارْشَنات بالمِسْك والعُود والكافُور والزَّعْفران ، والتُّمور المصبَّغة التي يُسْتَخْرَج ما فيها وتُحْشَى بالطِّيبِ وغيره وتُسَدّ وتُخْتَم ، وسُلِّمَت للمستخدمين في القُصُور ، وعُبِّيَت / في مَواعين الذَّهَب المكلَّلة بالجَواهِر ، وخَرَجَت الأعلامُ ٤٥٣ظ والبُنودُ . ورَكِبَ المَـأْمُون ، فلمَّا حَصَل بقاعَة الذَّهَب ، أَخَذَ في مُشاهَدَة السِّماط من سَرير المُـلْك إلى آخرها .

وخَرَجَ الخَليفَةُ لوَقْتِه من الباذَهَنْج ، وطَلَعَ إلى سَرير مُلْكِه وبين يديه الصَّواني المقدَّم ذكرها ، واستدعى بالمأمون فجَلَسَ عن يَمينه بعد أداءِ حَقِّ السَّلام ، وأمرَ بإحْضارِ الأُمَراءِ المميَّزين والقاضي والدَّاعي والضُّيوف ، وسَلَّمَ كلٌّ منهم على حُكْم مَيْزَتِه ، وقَدِمَت الرُّسُلُ فشَرُفوا بتَقْبيل الأرض ، والمُقْرئون يَتْلون ، والمُؤَذِّنون يُهَلِّلون ويُكبِّرون .

وكُشِفَت القَوّاراتُ الشُّروب[b] المُذَهَّبات عمَّا هو بين يدي الخَليفَة ، فبدأ وكَبَّرَ ، وأَخَذَ بيده تَمْرَةً فأَفْطَرَ عليها ، وناوَلَ مثلها لوَزيره[c] فأَظْهَرَ الفِطْرَ عليها ، وأَخَذَ الخَليفَةُ في آنٍ يستعمل من جَميع ما حَضَر ، ويُناوِل وَزيرَه منه وهو يُقَبِّله ويحمله في كُمِّه .

وتقدَّمَت الأجلاَّءُ [d]الإخْوَة والأَوْلاد ـ يعني[d] إخْوَة الوَزير وأَوْلاده ـ من تحت السَّرير ، وهو يُناوِلُهم من يده ، فيجعلونه في أكْمامِهم بعد تقبيله ، وأَخَذَ كلٌّ من الحاضرين كذلك ، ويُومِئ بالفُطُور ويجعله في كُمِّه على سبيل البَرَكَة . فمن كان رأْيُه الفُطُور أَفْطَرَ ، ومن لم يكن رأيه أَوْمأ وجَعَلَه في كُمِّه لا يُنْتَقَد على أَحَدٍ فعله .

---

a-a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : الشرب . والمثبت من مسودة المواعظ . c) بولاق : الوزير . d-d) زيادة من مسودة المواعظ .

ثم قال المأمُونُ بعد ذلك : ما على مَنْ يأخُذ من هذا المكان نَقيصَة ، بل به له الشَّرَفُ والمَيْزَة . ومَدَّ يَدَهُ وأَخَذَ من الطَّيْفور الذي كان بين يَدَيْه عُود نَبات وجَعَلَه في كُمِّه بعد تَقْبيله ، وأشارَ إلى الأُمَرَاء فاعتمد كلٌّ من الحاضِرين ذلك ، ومَلأوا أكْمامَهم ، ودَخَلَ النَّاسُ فأخَذوا جَميعَ ذلك ، ثم خَرَجَ المأْمُون[a] إلى داره والجَماعَةُ في رِكابِه ، فوَجَدَ التَّعْبِئَة فيها من صَدْر المجْلس إلى آخِره على ما أَمَرَ به ، ولم يُعْدَم ممَّا كان بالقَصْر غير الصَّواني الخاصّ . فجَلَسَ على مَرْتَبَتِه والأجِلَّاء أوْلاده وإخْوَته[b]، واستدعى بالعَوالي من الأُمَرَاء والقاضي والدَّاعي والضُّيوف ، فحَضَرُوا وشَرَّفَهم[c] بجُلوسِهم معه ، وحَصَل من مَسَرَّتهم بذلك ما بَسَطَهم ، ورَفَعُوا اليسير ممَّا حَضَرَ على سَبيل الشَّرَف ، ثم انصرفوا ، وحَضَرَت الطَّوائِفُ والرُّسُلُ على طَبقاتِهم ، إلى أن حُمِلَ جَميعُ ما كان بالدَّار بأسره . وانقضى حُكْمُ الفُطُور ، وعادَ التَّنْفيذُ في غيره .

وضُرِبَت الطُّبُولُ والأبْواقُ على أبواب القصور والدَّار المأْمُونية ، وأُحْضِرَت التَّغايير وفُرِّقَت على أرْبابها من الأجْناد والمستخدمين ، وخَرَجَت أزِمَّةُ العَساكِر فارِسها وراجِلها ، ونُدِبَ الحاجِبُ الذي بيده الدَّعْو لترتيب صُفوفها من باب القصر إلى المُصلَّىٰ . ثم حَضَرَ إلى الدَّار المأْمُونية الشُّيوخُ المميَّزون ، وجَلَسَ المَأْمُون في مَجْلِسه وأوْلادُه بهيئة العيد وزينَتِه ، ورُفِعَت السُّتور ، وابتدأ المُقْرِئون ، وسَلَّم مُتَوَلِّي الباب والشُّيوخ ، ولم يَدْخُل المجْلِس غير كاتِب الدَّسْت ومُتَوَلِّي الحُجْبَة ، وبالَغ كلٌّ منهما في [d]هَيْئتِه وخَرَجَ لوَقْتِه وتواصَلَت الأُمَرَاءُ والمُشْرفون بالحُجْبَة وقد بالَغَ كُلٌّ منهم في[d] زِيِّه وملبوسه ، وجَرَوْا على رَسْمِهم في تَقْبيل الأرض وعَتَبَة المجْلِس .

ووَصَلَ إلى الدَّار المَأْمُونية التَّجمُّل الخاصّ ـ الذي برَسْم الخَليفَة ـ جَميعه : القُضُب الفضَّة ، والأعْلام ، والمَنْجوقات ، والعقبات[e]، والعَمَّاريَّات ، ولواءي حَمْد الوَزارَة[f] [d]وجَميعُ ذلك بالذَّهَب والفضَّة والرُّقومات المُذَهَّبات والحَريريات والخَيْل المُسَوَّمَة المختارة[d] لركوب الخَليفَة بالمِظَلَّة بالطَّميم والمراكيب الذَّهَب المُرَصَّعَة بالجَوْهَر ، وغير ذلك من التَّجمُّلات .

ورَكِبَ الأَجلُّ[g] المأمُون من دارِه ، وجَميع التَّشْريف[h] الخاصّ بين يَدَيْه ، وخَدَمت الرَّهَجِيَّةُ ومن جملتهم الغَريبَة ـ وهي أبواقٌ لِطافٌ عَجيبَة غَريبَة الشَّكل ، تَضْرب كلَّ وَقْت يركب فيه الخَليفَة ، ولا تَضْرب قُدَّام الوَزير إلَّا في المواسِم خاصَّة وفي أيام الخَلْع عليه ـ والأُمَرَاءُ مُصْطَفُّون عن يَمينه وعن

---

a) بولاق والنسخ : الوزير والمثبت من مسودة المواعظ . b) زيادة من مسودة المواعظ . c) بولاق : وشرفوا . d-d) ساقط من بولاق . e) ساقطة من مسودة المواعظ . f) بولاق : لواء الوزارة ، النسخ : لواءي الوزارة ، والمثبت من المسودة . g) زيادة من المسودة . h) بولاق : التشاريف .

شِماله ، ويليهم إخْوته ، وبعدهم أولاده . ودَخَلَ إلى الإيوان وجَلَسَ على المَرْتَبَة المُخْتَصَّة به ، وعن يَمينه جَميعُ الأجِلَّاء ، والمميَّزون وُقُوفٌ أمامَه ، ومن انحطَّ عنهم من باب المُـلْك إلى الإيوان قِيام .

وخَرَجَ[a] خاصَّةُ الدَّوْلَة رَيْحان إلى المُصَلَّى بالفَرْش الخاصّ وآلات الصَّلاة ، وعَلَّقَ المِحْراب بالشُّروب المُذَهَّبَة ، وفَرَشَ فيه ثلاث سَجَّادات متراكبة ، وبأعلاها السَّجادَة اللطيفة التي كانت عندهم مُعَظَّمَة - وهي قِطْعَةٌ من حَصيرٍ ذُكِرَ أنَّها كانت من جُمْلَة حَصيرِ الجَعْفَر بن محمد الصَّادِق - عليهما السَّلام - يُصَلِّي عليهما - وفَرَشَ الأرض جَميعها بالحُصُر المحاريب . ثم عَلَّقَ على جانبي المِنبر ، وفَرَشَ جَميع دَرَجِه ، وجَعَلَ أعْلاه المخادّ التي يَجْلِس عليها الخَليفَة ، وعُلِّقَ اللِّواءان عليه ، وقَعَدَ تحت القُبَّة خاصَّةُ الدَّوْلَة رَيْحان والقاضِي ، وأطلق البَخور ، ولم يفتح من أبوابه إلَّا بابٌ واحِد وهو الذي يدخل منه الخَليفَة . ويَقْعُد الدَّاعِي في الدِّهْليز ونُقَباءُ المؤمنين بين يديه ، وكذلك الأُمَراءُ والأشْرافُ والشُّيوخُ والشُّهُود ومن سِواهم من أرْباب الحِرَف ، ولا يُمكَّن من الدخول إلَّا مَنْ يعرفه الدَّاعي ويكون في ضَمانِه .

واستُفْتِحَت الصَّلاةُ ، وأَقْبَل الخَليفَةُ من قُصُوره بغاية زِيِّه ، والعَلَم الجَوْهَر في مِنْديله ، وقَضِيبُ المُـلْك بيده ، وبنو عمِّه وإخوته وأسْتاذوه في رِكابِه ، وتلقَّاهُ المُقْرِئون عند وُصُوله والخَواصُّ ، واستدعى بالمَـأْمُون ، فتقدَّم بمفرده وقَبَّلَ الأرض ، وأخذَ السَّيْفَ والرُّمْحَ من مُقَدَّمي خَزائِن الكُسْوَة ، والرَّهَجِيَّة تَخْدِم ، وحَمَلَ لِواء الحَمْد بين يديه إلى أن خَرَجَ من باب العيد ، فوَجَدَ المِظَلَّة قد نُشِرَت عن يمينه ، والذي بيده الدَّعْو في ترتيب الحُجْبَة لمن شَرُفَ بها لا يَتَعَدَّى أحَدٌ حُكْمَه .

وسَارَ المَوْكِب[b] بالجَنائِب الخاصّ / وخَيْل التَّخافيف ومَصَفَّات العَساكِر ، والطَّوائف جَميعها ٤٥٤:١ بزيِّها وراياتها وَراءَ الموكب إلى أن وَصَلَ إلى قريب المُصَلَّى ، والعَمَّاريات و الزَّرافات . وقد شَدَّ على الفِيَلَة بالأسرة مملوءَةً رجالًا مُشَبَّكة بالسِّلاح لا يَتَبَيَّنُ منهم إلَّا الأحْداق ، وبأيديهم السُّيوف المجرَّدة والدَّرَق الحَديد الصِّيني ؛ والعَساكِرُ قد اجتمعت وترادَفت صُفُوفًا من الجانبين إلى باب المُصَلَّى ، والنَّظَّارةُ قد مَلأت الفَضاء لمشاهَدَة ما لم يَأْلَفوه[c] ، والموكِبُ سائِرٌ بهم . وقد أحاطَ بالخَليفَة والوَزير صِبْيانُ الخاصّ ، وبعدهم الأجْنادُ بالدُّروع المُسْبَلَة ، والزَّرَديات بالمغافِر مُلَثَّمَة ، والتُّروك[d] الحَديد بالصَّماصِم والدَّبابيس .

---

a) بولاق : ويخرج . b) بولاق : وسائر المواكب . c) بولاق : يبلغوه . d) بولاق : البروك .

ولمَّا طَلَع المَوكِبُ من رَبْوَة المُصَلَّى ، تَرَجَّلَ مُتَوَلِّي الباب والحُجَّاب ، ووَقَفَ الخَليفَةُ بجمعه بالمِظَلَّة إلى أن اجتازَ المأمُون راكِبًا بمن حَوْل رِكابِه ، وردَّ الخَليفَةُ السَّلامَ عليه بكُمِّه ، وصارَ أمامَه ، وترجَّل الأُمَرَاءُ المُمَيَّزون والأُسْتاذون المُحَنَّكون بعدهم وجَميعُ الأجلَّاء ، وصارَ كلٌّ منهم يبدأ بالسَّلام على الوَزير ثم على الخَليفَة إلى أن صارَ الجَميعُ في رِكابِه .

ولم يَدْخُل من باب المُصَلَّى راكِبًا غير الوَزير خاصَّةً ، ثم تَرَجَّلَ على بابِه الثاني إلى أن وَصَلَ الخَليفَةُ إليه ، فاستدعى به ، فسَلَّم وأَخَذَ الشَّكِيمَةَ بيده إلى أن تَرَجَّل الخَليفَةُ في الدِّهْليز الآخر ، وقَصَدَ المِحْراب والمُؤَذِّنون يُكَبِّرون قُدَّامَه .

واسْتَفْتَح الخَليفَةُ في المِحْراب ، ومُسامته فيه وَزيرُه ، والقاضي والدَّاعي عن يَمينه وشِماله ، ليُوَصِّلوا التَّكْبير لجَماعَة المؤذِّنين من الجانبين ، ويَتَّصل منهم التَّكْبيرُ إلى مُؤَذِّني مُصَلَّى الرِّجال والنِّساء الخارجين على المُصَلَّى الكبير ، وكاتِب الدَّسْت وأهله ومُتَولِّي ديوان الإنْشاء يُصَلُّون تحت عَقْد المِنْبَر ، ولا يُمَكَّن غيرهم أن يكون معهم .

ولمَّا قَضَى الخَليفَةُ الصَّلاة وهي رَكْعتان : قَرَأَ في الأولى بفاتِحَة الكتاب[a] و ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الغَاشِيَةِ﴾ [الآية ١ سورة الغاشية] ، وكَبَّر سَبْع تَكْبيرات ، ورَكَعَ وسَجَدَ ، وفي الثانية بالفاتِحَة وسورة ﴿والشَّمْسِ وضُحَاهَا﴾ [الآية ١ سورة الشمس] ، وكَبَّر خَمْس تَكْبيرات ـ وهذه سُنَّة الجَميع ومن يَنُوب عنهم في صَلاة العيدَيْن على الاستمرار ـ وسَلَّم وخَرَجَ من المِحْراب وعَطَفَ عن يمينه ، والحِرْصُ عليه شَديد ، ولا يصل إليه إلَّا مَنْ كان خَصيصًا به ، وصَعِدَ المنبر بالخُشُوع والسَّكينَة ، وجَميعُ مَنْ بالمُصَلَّى والبَرِيَّة[b] لا يسأم نظره ، ويُكْثِرون من الدُّعاء له . ولمَّا حَصَلَ في أعلى المِنْبَر أشار إلى الأَجَلّ[c] المأمُون فقَبَّلَ الأرْضَ ، وسارَعَ في الطُّلُوع إليه وأدَّى ما يجب من سَلامِه وتَعْظيم مَقامِه ووَقَفَ بأعلى دَرَجَة . وأشارَ إلى القاضي فتقدَّم وقَبَّلَ كلَّ دَرَجَةٍ إلى أن يَصِل إلى الدَّرَجَة الثالثة ، وَقَفَ عندها ، وأَخْرَجَ الدَّعْو من كُمِّه وقَبَّلَه ووَضَعَه على رأسه ، واستدعى[d] بمن تضمَّنه ، وهو ما جَرَت به العادَةُ من تسمية يوم العيد وسُنَّته والدُّعاء للدَّوْلَة ، وكانت الحالُ في أيَّام وُزَرَاء الأَقْلام والسُّيُوفِ إذا حَصَلَ الخَليفَةُ في أعلى بقي الوَزيرُ مع غيره ، وأشارَ الخَليفَةُ إلى القاضي ، فيُقَبِّل الأرض ويَطْلُع إلى الدَّرَجَة الثالثة ويُخْرِج الدَّعْوَ من كمِّه ويُقَبِّله ويَضَعُه على رأسه ، ويذكر يوم العيد وسُنَّته والدُّعاء للدَّوْلَة ، ثم يُسْتَدْعى بالوَزير بعد ذلك ، فيَصْعَد بعد القاضي . فراعَى الخَليفَةُ ذلك الأمر في حَقِّ الوَزير ، فجَعَلَ الإشارَة منه إليه أوَّلًا ، ورَفَعَه عن أن يكون مأمُورًا مثل غيره ، وجَعَلَها له مَيْزَة على غيره مِمَّن تقدَّمه ، واستمرَّت فيما بعد .

---

a) آياصوفيا : بالفاتحة . b) بولاق : التربة . c) زيادة من المسودة . d) بولاق : وأعلى .

واستَفْتَحَ الخَلِيفَةُ بالتكبير الجاري به العادَة في الفِطْر والخُطْبَتين إلى آخرهما ، وكَبَّرَ المؤذِّنون ، ورُفِعَ اللّواءان ، وترجّل كلُّ أحدٍ من موضعه ، كما كان رُكوبُه ، وصارَ الجَميعُ في رِكاب الخَليفَة ، وجَرَى الأمرُ في رُجُوعِه على ما تقدَّم شَرْحه ، ومضى إلى تُرْبَة آبائه [1] ، وهي سُنَّتُهم في كلِّ رَكْبَةٍ بِمِظَلَّة ، وفي كلِّ يوم جُمُعَة ، مع صَدَقاتٍ ورَسومٍ تُفَرَّق [2] .

وأمَّا الوَزيرُ المأمُون فإنَّه تَوَجَّه وخَرَجَ من باب العيد والأُمَراءُ بين يديه إلى أن وَصَلَ إلى باب الذَّهَب ، فدَخَلَ منه بعد أن أَمَرَ وَلَدَه الأكبر بالوُصُول إلى دارِه والجُلُوس على سِماطِ العيد على عادَته . ولمَّا حلَّ[a] المـأْمُونُ بقَاعَة الذَّهَب ، وَجَدَ الشُّروعَ قد وَقَعَ من المستخدمين بتَعْبِئَة السِّماط ، فأَمَرَ بتفرقة الرُّسوم على أرْبابها ، وهو ما يُحْمَل إلى مَجْلس الوَزارَة برَسْم الحاشِيَة . ولكلٍّ من حاشِيَة أوْلاده وإخْوته ، وكاتِب الدَّسْت ، ومُتَوَلِّي حُجْبَة الباب ، ومُتَوَلِّي الدِّيوان ، وكاتِب الدَّفْتَر ، والنَّائِب لكلٍّ منهم رَسْمٌ يُصْرَف قبل جُلُوس الخَليفَة ، وعند انْقِضاء الأسْمِطَة لغير المذكورين على قَدْر منزلة كلٍّ منهم .

ثم حَضَرَ أبو الفَضائِل بن أبي اللَّيْث [3] ، واستأذن على طَيافير الفِطْرَة الكِبار التي في مجلس الخَليفَة ، فأَمَرَه الوَزيرُ بأن يعتمد في تَفْرِقَتها على ما كان يَعْتَمده في الأيام الأَفْضَلِيَّة ، وهو لكلٍّ من يَصْعَد المِنْبَر مع الخَليفَة طَيْفُور .

فلمَّا أَخَذَ الخَليفَةُ راحَةً بعد مُضِيِّه إلى التُّرْبَة ، جَلَسَ على السَّرير وبين يديه المائِدَةُ اللَّطيفة الذَّهَب بالمينا معبَّأة بالزَّبادي الذَّهب ، واستدعى الوَزير ، واصطفَّ النَّاسُ من المُدَوَّرَة [4] ، إلى آخر السِّماط من الجانبين على طَبقاتِهم ، ورُفِعَت السُّتورُ واسْتَفْتَحَ المُقْرِئون ، ووَفِيُّ الدَّوْلَة إسْعاف مُتَوَلِّي المائِدَة مَشْدودُ الوَسَط ، ومُقَدَّم خِزانَة الشُّرْب بيده شَرْبَة في مَرْفَع ذَهَب وغِطاء مُرَصَّعَيْن

a) بولاق : دخل .

[1] أي التربة المعزية أو تربة الزَّعْفَران (انظر فيما تقدم ٣٥٢ و٤٦٢) .

[2] قارن مع أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٥: ١٧٦-١٧٨ ومصدره هو تاريخ ابن أبي المنصور المعروف بعلي بن ظافر الأزدي (انظر القاسي : العقد الثمين ٤: ٧٢، ٧٥) . والنّص غير موجود فيما وصل إلينا من كتاب أخبار الدول المنقطعة، ولعل أبا المحاسن نقله من كتاب «أساس السياسة» ، الذي نقل عنه أبو المحاسن في ترجمة المعز (النجوم الزاهرة ٤: ٤٩ س٦) .

[3] الشيخ أبو الفضائل هبة الله بن أبي اللَّيْث متولِّي الدَّفْتر .

[4] المُدَوَّرَة . انظر فيما تقدم ٢٩٤.

بالجَوْهَر والياقوت، ومُتَوَلّي خَزائِن الإنْفاق بيده خَريطَةٌ مَمْلوءَةٌ دنانير لمن يقف يَطْلُب صَدَقَةً وإنْعامًا، فيؤمر بما يُدْفَع / إليه، وتَفْرِقَة الرُّسُوم الجاري بها العادة. ١

ولَعِبَت المنافِقون[a] والبَخْتيارية[1]، وتَناوَبَ القُرَّاءُ والمُنْشِدُون وأُرْخِيَت السُّتُورُ، وعُبِّئ السِّماطُ ثانِيًا على ما كان عليه أوَّلًا، ثم رُفعت السُّتور، وجَلَسَ على المُدَوَّرَة والسِّماط من جَرَت العادَةُ به، وفُرِّقَت الدَّنانيرُ على المقرئين والمنشدين والبَخْتيارية والمنافِقين[a]، ومن هو معروفٌ بكثرة الأكل. ونُهِبَت قُصُورُه الحلاوَة[b]، [c]وانقضى حُكْم السِّماط[c] وأُرْخِيَت السُّتُورُ، وأَحْضَرَ مُتَوَلِّي خِزانَة الكُسْوَة الخاصّ للخَليفَة بَدْلَةً إلى أعلى السرير حَسْبَ ما كان أمرُه، فلَبِسَها وخَلَعَ الثِّياب التي كانت عليه على الوَزير بعد ما بالَغَ في شُكْره والثَّناء عليه.

وتَوَجَّه إلى داره، فوَصَلَ إليه من الخَليفَة الصَّواني الخاصّ المكلَّلة معبَّأة على ما كانت بين يديه، وغيرها من الموائِد، وكذلك إلى أوْلاده وإخْوَته صينية صينية، ولكاتِب الدَّشت ولمُتَوَلِّي[d] حُجْبَة الباب مثل ذلك. وبَكَّرَ[e] الوَزيرُ بجُلوسِه في دارِه مُعَلِّسًا[f]، ويُسارِع النَّاس على طبقاتهم لهنائِه[g] بالعيد والخِلَع، وبما جَرَى في صُعُود المنبر، وحَضَرَ الشُّعَراءُ[2] وأُسْنِيَت لهم الجَوائِز.

وجَرَى الحالُ يومئذٍ في جُلوس الخَليفَة وفي السَّلام لجَميع الشُّيوخ والقُضَاة والشُّهود والأُمَراء والكُتَّاب ومُقَدَّمي الرِّكاب والمتصدِّرين بالجَوامِع والفُقَهاء والقاهِريين والمصريين واليَهود برئيسهم والنَّصارَىٰ ببَطْرِيقهم، على ما جَرَت به عادَتهم، وخَتَم المقرئون، وقَدِمَت الشُّعَراءُ على طَبقاتِهم إلى آخرهم، وجُدِّدَ لكلٍّ من الحاضِرين سلامه.

وانكفأ الخَليفَةُ إلى الباذَهَنْج لأداءِ فَريضَة الصَّلاة والرَّاحَة بمقدار ما عُبِّئَت المائِدَةُ الخاصّ، واستحضر المأمُون وأوْلاده وإخْوته، [h]والخَليفَة جالِسٌ وأخواه جَعْفَر وعبد الصَّمد على يَساره، وأجلس المأمون عن يمينه وأوْلاده[h] على عادَتهم، واسْتُدْعي من شَرُفَ بحُضُور المائِدَة ـ وهم:

---

a) بولاق: المنافقون. b) بولاق: الخليفة. c-c) زيادة من مسودة المواعظ. d) بولاق: متولي. e) بولاق: يكبر. f) بولاق: معلنا. g) زيادة من المسودة. h-h) ساقطة من بولاق.

---

[1] البَخْتيارية (النختبارية). قومٌ لا نعرف على وجه التحديد دورهم أو وظيفتهم انفرد بذكرهم ابن المأمون وابن الطُّوَيْر، ويبدو من خلال نص ابن الطُّوَيْر (فيما يلي ٤٩٤، وكذلك ٥٥٦) أنهم كانوا يؤدون ألعابًا بهلوانية أثناء سير موكب الخليفة في موسم فَتْح الخليج.

[2] حدَّد المقريزي هؤلاء الشعراء في المسودة وهم: أحمد ابن مفرِّج بن سابِق وظافِر الحَدّاد والقاضي أبو الفتح بن قادوس ومجير الدين أبو جعفر ومسعود الدولة أبو عليّ حسن ابن حَيْدَرَة المقدّم على الشعراء.

الشَّيْخ أبو الحَسَن كاتِب الدَّسْت ، وأبو الرِّضَا سالِم ابنه ، ومُتَوَلِّي حُجْبَة الباب ، وظَهير الدِّين الكُتامي - على ما كان عليه الحالُ قبل الصِّيام ، وانقضَى حُكْمُ العيد [١] .

وقال ابنُ الطُّوَيْر : إذا قَرُبَ آخر العَشْر الأُخَر من شهر رَمَضان ، خَرَجَ الزِّيُّ من أماكِنه على ما وصَفْنا - يعني [a] في رُكوب أوَّل العام - ولكن فيه زيادات يأتي ذكرها ، ويركب في مستهلّ شَوَّال بعد تمام شهر رَمَضان ، وعِدَّته عندهم أبدًا ثلاثون يومًا [٢] . فإذا تهيَّأت الأُمورُ من الخَليفَة والوَزير والأُمَراء وأرْباب الرُّتَب على ما تقدَّم ، وصارَ الوزيرُ بجَماعَته إلى باب القصر ، رَكِبَ الخَليفَةُ بهيئة الخِلافَة من المِظَلَّة واليَتيمة والآلات المقدَّم ذكرها ، ولِباسُه في هذا اليوم - [b]الذي هو عيد الفِطْر[b] - الثِّياب البياض الموشَّحة المجُوَّمة وهي أجَلُّ لباسِهم ، والمِظَلَّة كذلك فإنَّها أبدًا تابعةٌ لثيابه كيف كانت الثياب كانت [٣] ، ويكون خُروجُه من باب العيد إلى المُصَلَّىٰ ، والزيادة ظاهرة في هذا اليوم في العَساكِر [c]والأجناد والفارس والراجل[c] ، وقد انتظم القومُ له صَفَّيْن من باب القصر إلى باب المُصَلَّىٰ .

ويكون صاحبُ بَيْت المال قد تقدَّم على الرَّسْم لفَرْش المُصَلَّىٰ - [c]كما عمل في الجوامع[c] - فيَفْرش الطَّرَّاحات على رَسْمها في المِحْراب مُطابقةً ، ويعلِّق أيضًا [d] سترين يَمْنَةً ويَسْرَةً : في الأيمن « البَسْمَلَة والفاتحة » و ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الآية ١ سورة الأعلى] ، وفي الأيسر مثل ذلك و﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الغَاشِيَةِ﴾ [الآية ١ سورة الغاشية] ، ثم يركز في جانِب المُصَلَّىٰ لواءَيْن مشدودين [c]مثل ذلك[c] على رُمْحَيْن ملبَّسين بأنابيب الفِضَّة ، وهما مستوران مَرْخيان .

---

a) زيادة من المسودة . b-b) ساقطة من بولاق . c-c) زيادة من المسودة . d) زيادة من المسودة .

---

[١] ابن المأمون : أخبار مصر ٨٤- ٨٩؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٢٢٩- ٢٣٩.

[٢] تبعًا للمذهب الإسماعيلي يتم صوم رمضان وفطره بالرؤية والحساب جميعًا ، واعتبروهما كالظاهر والباطن ، إذا أشكل الأمر في أحدهما التمس في الآخر . فالهلال كالظاهر لأنه مُشاهَد ، والحساب كالباطن لأنه معقول وهو يستعمل من أول كل سنة ثم يراعى طلوع الهلال ، فإن وافق الحساب الرؤية فقد اتَّفق الظاهر والباطن وزال الإشكال . (المجالس المستنصرية ، تحقيق محمد كامل حسين ، القاهرة ١٩٤٧، ١٢٨- ١٢٩؛ وانظر المقريزي : اتعاظ ٢ : ٦٧ ، ٨٧؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ٩٤؛ حميد الدين الكرماني : «الرسالة اللازمة في صوم رمضان وحينه» ، تحقيق وتقديم محمد عبد القادر عبد الناصر ، مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة ٣١ (١٩٦٩) ، ١- ٥٢؛ De Smet, D., «Comment déterminer le début et la fin du Jeûne de Ramadan ? un point de discorde entre sunnites et ismaéliens en Égypte fatimide», *Egypt and Syria in the Fatimid, Ayyubid and Mamluk Eras*, Leuven 1995, pp. 71-84؛ وفيما يلي ٥٩٨.

[٣] القلقشندي : صبح الأعشى ٣ :٤٦٩ ؛ وفيما تقدم ٤٦٩.

فيَدْخُل الخَلِيفَة من شَرقي المُصَلّىٰ إلى مكانٍ ليستريح فيه دَقيقَه، ثم يخرج مَحْفوظًا كما يُحْفَظ في جَامِع القاهِرَة - [a]يعني أنّه يَخْرُج ماشيًا وحَوالَيْه الأُسْتاذون المحَنَّكون والوَزيرُ وراءَه ومن يليهم من الخَواصّ وبأيديهم الأسلحة من صِبْيان الخاصّ وهم أُمَرَاءٌ وعليهم هذا الاسم[a] - فيصير إلى المِحْراب، ويُصَلّي صَلاةَ العيد بالتَّكْبيرات المسنونة، والوَزير وراءَه والقاضي، ويقرأ في كلّ رَكْعَةٍ ما هو مَرْقُومٌ في السترين تَذْكارًا[b].

فإذا فَرَغ وسَلَّم صَعِدَ المِنْبَر للخَطابَة العيدية يوم الفِطْر، فإذا جَلَس في الذُّرْوَة - وهناك[c] طُرّاحَة سامان أو دَبيقي على قَدْرها، وباقيه يُسْتَر ببياض على مقداره في تقطيع دَرَجه، وهو مضبوط لا يتغيَّر - فيراه أهلُ ذلك الجَمْع جالِسًا في الذُّرْوَة. ويكون قد وَقَفَ أَسْفَل المِنْبَر الوَزيرُ، وقاضي القُضَاة، وصاحِبُ الباب وإسْفِهْسَلارُ العَساكر، وصاحِبُ السَّيْف، وصاحِبُ الرِّسالَة، وزِمامُ القَصْر، وصاحِبُ دَفْتَر المجلس، وصاحِبُ المِظَلَّة، وزِمامُ الأَشْراف الأقارِب، وصاحِبُ بَيْت المال، وحامِلُ الرُّمْح، ونَقيبُ الأَشْراف الطَّالبيين، ووَجْهُ الوَزير إليه، فيُشير إليه بالصُّعود[d] فيَصْعَد إليه[d] ويَقْرُب وقوفه منه، ويكون وَجْهُه مُوازيًا رجليه فيقبّلهما بحيث يراهُ العالَم، ثم يقومُ ويقف على يَمْنَه الخليفة[e].

فإذا وَقَفَ أشارَ إلى قاضي القُضاة بالصُّعود[d]، فيَصْعَد إلى سابع دَرَجَة، ويتطلّع إليه صاغيًا لما يقول، فيُشير إليه بقوله[d]، فيُخْرِج من كُمِّه مُدْرَجًا قد أُحْضِر إليه أمس من ديوان الإنْشَاء بعد عَرْضه على الخَليفَة والوَزير، فيُعْلن بقراءَة مضمونه، فيقول:

«بِسْم الله الرَّحْمَن الرَّحيم، ثَبَتٌ بمن شَرُفَ بصُعُوده المِنْبَر الشَّريف في يوم كذا - وهو عيد الفِطْر من سنة كذا - من عَبيد أَمِير المؤمنين صَلَواتُ الله عليه وعلى آبائِه الطَّاهِرين وأَبْنائِه الأَكْرَمين، بعد صُعُود السَّيِّد الأَجَلّ، ونُعُوته المقرَّرَة ودُعائِه المحَرَّر».

فإن أرادَ الخَليفَةُ أن يُشَرِّف أحَدًا من أَوْلاد الوَزير وإخْوته، اسْتَدْعاه القاضي بالثَّبَت[f] المذكور، ثم يتلو ذلك ذِكْر القاضي المذكورُ[d] - وهو القارئ - فلا يَتَّسع له أن يقول عن نفسه نُعوتَه ولا دُعاءَه، بل يقول المملوك فُلان بن فُلان. وكان[d] قرأه مَرَّةً القاضى ابن أبي

---

a-a) زيادة من المسودة. b) زيادة من المسودة. c) المسودة: المذكورة. d) زيادة من المسودة. e) المثبت من المسودة، وفي بولاق على يمينه. f) بولاق: بالنعت.

عَقيل [1]، فلمَّا وَصَلَ إلى اسمه قال: «العَبْدُ الذَّليل المعترف بالصُّنْع الجَميل في المَقام الجَليل أحمد ابن عبد الرَّحْمَن بن/ أبي عَقيل»؛ فاسْتُحْسِن ذلك منه. ثم حَذا حَذْوَه الأَعَزُّ بن سَلامَة[2] ـ وقد ٤٥٦:١ اسْتُقْضِي في آخر الوقت ـ فقال: «المَمْلوكُ في مَحَلّ الكرامَة، الذي عليه من الوَلاء أَصْدَق عَلامَة، حسن بن عليّ بن سَلامَة»[2]. ثم يَسْتَدْعي مَنْ ذَكَرْنا وقوفَهم على باب المِنْبَر بنُعُوتهم وذِكْر خِدَمِهم ودُعائِهم على الترتيب.

فإذا طَلَعَ الجَماعَةُ ـ وكلٌّ منهم يعرف مَقامَه في المِنْبَر يَمْنَةً ويَسْرَة ـ [a]فإذا لم يبق أحدٌ ممن يَطْلُع[a] أشارَ الوَزيرُ إليهم، فأخذ مَنْ هو في[b] كلِّ جانب بيده نصيبًا من اللِّواء الذي بجانبه، فيَسْتُر الخَليفَة ويسترون، ويُنادي في النَّاس بأن يُنْصِتوا. فيَخْطُب الخَليفَةُ الخُطْبَة[c] من المسطور على العادَة، وهي خُطْبَة بَليغَة موافِقَة لذلك اليوم[3]. فإذا فَرَغَ أُلْقي كلُّ من في يده من اللِّواء شيءٌ خارج المنبر، فينكشفون [a]كما كانوا قَبْل يُسْترون[a]، وينزلون أوَّلًا فأوَّلًا الأَقْرَب فالأقرب إلى القَهْقَرَى.

فإذا خَلا المِنْبَر منهم، قام الخَليفَةُ هابِطًا، ودَخَلَ إلى المكان الذي خَرَج منه، فلبث يَسيرًا[d] ورَكِبَ في زِيِّه المفخَّم، وعادَ من طَريقِه بعينها إلى أن يَصِل إلى قَريبٍ من[c] القصر، فيتقدَّمه الوَزيرُ كما شَرَحْنا[4]. ثم يَدْخُل من باب العيد فيجلس في الشُّبَّاك وقد نُصِبَ منه إلى فَسْقِيَّه كانت في وَسَط الإيوان[e]، مِقْدار عشرين قَصَبَة سِماط من الخُشْكَنان والبَسَنْدود والبَرْماوَرْد مثل الجَبَل الشَّاهِق، وفيه القِطْعَة وَزْنُها من رُبْع قِنْطار إلى رطل. فيدخُل ذلك الجَمْع إليه، ويُفْطر منه

a-a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: من. c) زيادة من المسودة. d) المسودة: ثم يلبث لبثة يسيرة. e) المسودة: الفسقية التي كانت في وسط الإيوان.

[1] قاضي القضاة الأعز أبو المكارم أحمد بن عبد الرحمن ابن أحمد بن أبي عقيل تولى القضاء في المحرم سنة ٥٣١ إلى حين وفاته في شعبان سنة ٥٣٣. (ابن ظافر: أخبار ١٠١؛ ابن ميسر: أخبار ١٢٨، ١٣١؛ المقريزي: المقفى ١:٤٩١؛ واتعاظ ٣: ١٧٢؛ ابن حجر: رفع الإصر ٥٩ – ٦٠).

[2] القاضي الأعز أبو محمد الحسن بن عليّ بن سلامة المعروف بابن العُوَيرس، تولّى القضاء في شهر ربيع الأول سنة ٥٥٩ عوضًا عن أبي القاسم هبة الله المعروف بالقاضي المفضل ضياء الدين بن أبي كامل. (المقريزي: اتعاظ ٣:٢٧٨؛ ابن حجر: رفع الإصر ١٢٨ – ١٢٩؛ السيوطي: حسن المحاضرة ٢:١٥٣).

[3] انظر نص عدّة خُطَب للآمر بأحكام الله في عيد الفطر عند عماد الدين إدريس: عيون الأخبار ٧:٢٢٣ – ٢٣١.

[4] انظر فيما تقدم ٤٧٦: ١–٥، وقد أورد المقريزي بعد ذلك في المسودة ما سبق شرحه.

من يُفْطِر ، ويَنْقل منه من يَنْقل ، ويُباح ولا يُحْجَر عليه ، ولا مانِع دونه . فيمرُّ ذلك بأيدي النَّاس ، وليس هو ممَّا يُعْتَدُّ به ولا يُغْني عمَّا[a] يفرَّق للنَّاس ويُحْمَل إلى دورهم . ويُعْمَل في هذا اليوم سِماطٌ من الطَّعام في القاعَة - يعني قاعَة الذَّهَب[b] يَحْضُر عليه الخَليفَة والوَزير .

فإذا انقضى ذو القعدة ، وهَلَّ هِلالُ ذي الحجَّة ، اهتمّ برُكوب عيد النَّحْر فيجري حالُه كما جَرَى في عيد الفِطْر من الزِّيّ والرُّكوب إلى المُصَلَّى ، ويكون لِباسُ الخَليفَة فيه الأحمر الموشَّح ، ولا يَنْخَرِم منه شيءٌ[1] . انتهى .

وصَعِدَ مَرَّةً الخَليفَةُ الحافِظُ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد المِنْبَر يوم عيد ، فوَقَفَ الشَّريفُ بن أَنَس الدَّوْلَة بإزائِه ، وقال مُشيرًا إلى الحاضرين :

[الطويل]

خُشوعًا فإنَّ الله هذا مَقامُه ... وهَمْسًا فهذا وَجْهُهُ وكَلامُهُ
وهذا الذي في كلِّ وَقْتٍ بُرُوزُه ... تَحِيَّاتُه من رَبِّنا وسَلامُهُ

فضَرَبَ الحافِظُ الجانِبَ الأيسر من المِنْبَر ، فرقى إليه زِمامُ القصر ، فقال له : قُلْ للشَّريف حَسْبُك قَضَيْت حاجَتك ، ولم يَدَعه يقول شيئًا آخر .

وكانت تُكْتَب المُخَلَّقات[2] برُكوب أمير المؤمنين لصَلاة العيد ، ويُبْعَث بها إلى الأعمال . فممَّا كُتِبَ به من إنْشاء ابن الصَّيْرَفي :

« أما بَعْد ، فالحَمْدُ لله الذي رَفَع بأمير المؤمنين عِمادَ الإيمان وثَبَّت قَواعِدَه ، وأعَزَّ بخِلافَتِه مُعْتَقَده وأذلَّ بمَهابَته مُعانِدَه ، وأظْهَرَ من نُوره ما انْبَسَطَ في الآفاق وزالَ معه الإظْلامُ ، و نَسَخَ به ما تقدَّمه من المِلَل فقال : ﴿إنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإسْلامُ﴾ [الآية ١٩ سورة آل عمران] ، وجَعَلَ المُعْتَصِمَ بحَبْلِه مفضَّلًا على من يُفاخره ويُباهيه ، وأَوْجَبَ دُخولَ الجَنَّة وخُلودَها لمن عَمِلَ بأوامِره ونَواهِيه .

---

a) بولاق : ولا يعب مما . b) زيادة من المسودة .

---

[1] ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٧٦-١٨٣؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٢٠٨-٢١٣.

[2] عن المُخَلَّقات انظر فيما تقدم ٤٣٦.

وصَلَّى الله على سيِّدنا محمد نَبِيِّه الذي اصْطَفَى له الدِّين، وبَعَثَه إلى الأقْرَبين والأَبْعَدين، وأيَّدَه في الإرْشاد حتَّى صارَ العاصي مُطيعًا، ودَخَلَ النَّاسُ في التَّوْحيد فُرادَى وجميعًا، وغَدَوْا بعُرْوَتِه الوُثْقَىٰ مُتَمَسِّكين، وأنْزَلَ عليه: ﴿قُلْ إنَّني هَدَاني رَبِّي إلىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إبْراهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كانَ مِنَ المُشْرِكِينَ﴾ [الآية ١٦١ سورة الأنعام]. وعلى أخيه وابن عَمِّه أبينا أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب إمام الأُمَّة، وكاشِف الغُمَّة، وأوْجَه الشُّفَعاء لشِيعَتِه يوم العَرْض، ومن الإخْلاص في وَلائِه قِيامٌ بحقٍّ وأداءُ فَرْضٍ، وعلى الأئمَّةِ من ذُرِّيتهما سادَة البَرِيَّة، والعادِلين في القَضِيَّة، والعامِلين بالسِّيرَة المَرْضِيَّة، وسَلَّم وكَرَّم، وشَرَّف وعَظَّم.

وكِتابُ أمير المؤمنين هذا إليك يومَ الثُّلاثاء عيد الفِطْر من سنة ستٍّ وثلاثين وخمس مائة، وقد كان من قِيام أمير المؤمنين بحَقِّه وأدائِه، وجَرْيِه في ذلك على عادَته وعادَة من قَبْلَه من آبائِه، ما يُنْبِئُك به، ويُطْلِعك على مَسْتوره عنك ومُغَيَّبِه. وذلك أن دُنِّسَ ثَوْبُ اللَّيْل لمَّا بَيَّضَه الصَّباح، وعادَ المُحَرَّم المحظور بما أطْلَقَه المُحَلِّل المباح، تَوَجَّهَت عَساكِرُ أمير المؤمنين من مَظانِّها إلى بابِه، وأَفْطَرت بين يديه بعد ما حازَتْه من أجْر الصِّيام وثَوابِه.

ثم انْثَنَت إلى مَصافِّها في الهَيْئات التي يقصر عنها تَجْويد الصِّفات، وتُغْني مَهابَتُها عن تَجْريد المُرْهِفات، وتَشْهَد أسْلِحَتُها وعُدَدُها بالتنافُس في الهِمَم، وتُعَلِّق مَواضِيها في أغْمادها شَوْقًا إلى المُطْلى والقمم. وقد امتلأت الأرضُ بازْدِحام الرَّجْل والخَيْل، وثارَ العَجاجُ فلم يُرَ أَغْرَبُ من اجتماع النَّهار واللَّيل.

وبَرَزَ أميرُ المؤمنين من قُصوره، وظَهَرَ للأَبْصار على أنَّه مُحْتَجِبٌ بضيائِه ونُورِه، وتَوَجَّه إلى المُصَلَّىٰ في هَدْي جَدِّه وأبيه، والوَقار الذي ارْتَفَعَ فيه عن النَّظير والشَّبيه. ولمَّا انتهى إليه قَصَدَ المِحْرابَ واستقبله، وأدَّى الصَّلاةَ على وَضْعٍ رَضِيَه الله وتَقَبَّله، وأَجْرَى أمرَها على أفْضل المعهود، ووَفَّاها حَقَّها من القِراءَة والتَّكْبير والرُّكُوع والسُّجود.

وانتهى إلى المِنْبَر فَعَلَا وكَبَّر/ الله ، وهَلَّلَه على ما أوْلاه ، وذَكَرَ الثَّوابَ على إخْراج الفِطْرَة وبَشَّرَ به ، وأنَّ المسارَعَة إليه من وَسائِل المحافَظَة على الخَيْر وقُرْبه ، ووَعَظَ وَعْظًا ينتفعُ قَابِلُه في عاجِلَته ومُنْقَلبه . ثم عادَ إلى قُصُوره الزَّاهِرَة ، مَشْمُولًا بالوِقايَة ، مَكْنوفًا بالكِفاية ، مُنْتَهِيًا في إرْشاد عَبِيدِه ورَعاياه أَقْصَى الغاية . ٧:١

أَعْلَمَك أميرُ المؤمنين خَبَرَ هذا اليوم لتَعْلَم منه ما تَسْكُن إليه ،وتُعْلِن بتِلاوَتِه على الكافَّة ليشتركوا في مَعْرِفَتِه ويَشْكُروا الله عليه فاعْلَمْ هذا ، واعْمَل به إن شاءَ الله » .

وكان مِنْ أهل بَرْقَة طائِفَةٌ تُعْرَف بـ « صِبْيان الخُفّ » ، لها إقْطاعاتٌ وجِراياتٌ وكُسْواتٌ ورُسومٌ . فإذا رَكِبَ الخَلِيفَةُ في العيدين مَدُّوا حَبْلَيْن مَسْطوحين من أعْلى باب النَّصْر إلى الأرْض : حَبْلًا عن يمين الباب ، وحَبْلًا عن شِماله . فإذا عادَ الخَلِيفَةُ من المُصَلَّى ، نَزَلَ على الحبلين طائِفَةٌ من هؤلاء على أشكال خَيْل من خَشَبٍ مَدْهُون ، وفي أيديهم راياتٌ ، وخَلْفَ كُلِّ واحدٍ منهم رديف ، وتحت رِجْلَيْه آخر مُعَلَّق بيديه ورِجْلَيْه . ويعملون أعمالًا تُذْهِل العُقول .

ويركب منهم جَماعَةٌ في المَوْكِب على خُيولٍ ، فَيَرْكُضون وهم يَتَقَلَّبون عليها ، ويَخْرُج الواحِدُ منهم من تَحْت إبط الفَرَس وهو يَرْكُض ، ويعود يَرْكَب من الجانِب الآخَر ، ويعود وهو على حالِه لا يَتوقَّف ، ولا يَسْقُط منه شيءٌ إلى الأرض ، ومنهم من يَقِف على ظَهْرِ الحِصان فَيَرْكُض به وهو واقِفٌ [1] .

---

[1] هذه إشارة نادرة إلى محترفي الألعاب البهلوانية في العصر الفاطمي ، وإن لم يُحَدِّد لنا المقريزي المصدر الذي نَقَل عنه هذه المعلومات ، وانظر فيما تقدم ٤٨٨ ؛ وفيما يلي ٥٥٦ (البختيارية) .

ذِكْرُ القَصْرِ الصَّغيرِ الغَرْبيّ

وكانَ تجاهَ القَصْر الكبير الشَّرْقي ـ الذي تقدَّم ذكره ـ في غربيه، قَصْرٌ آخر صغيرٌ يُعْرف بـ « القَصْر الغَرْبي »[١]. ومكانُه الآن حيث المارِسْتان المَنْصوري وما في صَفِّه من المَدارِس، ودارِ الأمير بَيْسَري، وباب قَبْو الخُرُنْشُف، ورَبْع الملك الكامل المُطِلّ على سوق الدَّجَّاجين اليوم ـ المعروف قَديمًا بالتَّبَّانين ـ وما يُجاوره من الدَّرْب المعروف اليوم بدَرْب الخُضَيْري تجاه الجامِع الأَقْمَر، وما وَرَاء هذه الأماكِن إلى الخَليج[٢].

وكان هذا القصرُ الغربي يُعْرَف أيضًا بـ « قَصْر البَحْر »، والذي بَنَاهُ العَزيزُ بالله نِزار بن المُعِزّ قال المُسَبِّحيّ: ولم يُبْنَ مثلُه في شرقٍ ولا في غرب[٣].

وقال ابنُ أبي طَيّ في « تاريخ حَلَب »[a]: أخبار سنة سبعٍ وخمسين وأربع مائة: ففيها تَمَّمَ الخَليفَةُ المُسْتَنْصِرُ[b] بِناءَ القَصْر الغَرْبي وسَكَنَه، وغَرِمَ عليه ألفي ألف دينار، وكان ابتداءُ بُنْيانه في سنة خمسين وأربع مائة. وكان سَبَبَ بِنائِه أنَّه عَزم[c] على أن يجعله منزلًا للخَليفَة القائِم بأمْر الله صاحِب بَغْداد، ويَجْمَع بني العَبَّاس إليه، ويجعله كالمَجْلِس لهم. فخانَه أَمَلُه، وتَمَّمَه في هذه السنة، وجَعَلَه لنفسه وسَكَنَه[٤].

وقال ابنُ مُيَسَّر: إنَّ سِتَّ المُلْك أخت الحاكِم كانت أكبر من أخيها الحاكِم، وإنَّ والدَها العَزيز بالله كان قد أفْرَدَها بسُكْنَى القَصْر الغَرْبي، وجَعَلَ لها طائِفَةً برَسْمها كانوا يسمون بـ « القَصْرِيَّة »[٥].

وهذا يدلُّك على أنَّ القَصْرَ الغَرْبي كان قد بُنِيَ قبل المُسْتَنْصِر وهو الصَّحيح، وكان هذا القصرُ يشتمل أيضًا على عِدَّة أماكِن.

---

a) زيادة من المسودة. b) المسودة: صاحب مصر. c) المسودة: عَوَّل.

---

[١] عن القصر الفاطمي الغربي الصغير انظر Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de L'Égypte*, pp. 300-22.

[٢] المقريزي: مسودة المواعظ ٥٢، ١٢٧، وفيما تقدم ٦:٢٤٧.

[٣] المسبحي: نصوص ضائعة ١٧، وقارن: ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥: ٣٧٢؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ١١٣.

[٤] المقريزي: مسودة المواعظ ١٢٨.

[٥] نفسه، ١٢٧، وحدد أنه ذكر ذلك في ترجمة سِتّ المُلْك، وقارن مع ابن ميسر: أخبار ١٧٣.

المَيْدَان

كان بجوار القَصْر الغَرْبي ومن حُقوقِه المَيْدانُ، ويعرف هذا المَيْدان اليوم بالخُرُنْشُف وإسْطَبْل القُطْبِيَّة [1].

البُسْتَانُ الكافُوري

وكان من حُقُوق القَصْر الصَّغير الغَرْبي البُسْتانُ الكافُوري، وكان بُسْتانًا أنشأه الأَميرُ أبو بَكْر محمد بن طُغْج بن جَفّ الإخْشيد أمير مصر، وكان مطلًّا على الخَليج، فاعتنَى به الإخْشيدُ وجَعَلَ له أبوابًا من حَديد، وكان يَنْزِلُ به ويُقيمُ فيه الأيَّام. واهتمَّ بشأْنه من بعد الإخْشيد ابناه الأميرُ أبو القاسِم أُونُوجور بن الإخْشيد، والأميرُ أبو الحسَنَ عليُّ بن الإخْشيد في أيام إمارتهما بعد أبيهما. [a]فلمَّا استبدَّ من بعدهما[a] الأستاذ أبو المِسْك كافُور الإخْشيدي بإمارَة مصر، كان كثيرًا ما يتنزَّه به، ويُواصِل الرُّكوب إلي المَيْدان الذي كان فيه، وكانت خُيولُه بهذا المَيْدان. فلمَّا قَدِمَ القائِدُ جَوْهَر من المغرب بجُيوش مَوْلاه المُعِزّ لدين الله لأخْذ ديار مصر، أناخَ بجوار هذا البُسْتان وجَعَله من جُمْلَة القاهِرَة.

وكان متنزَّهًا للخُلَفاء الفاطِميين مُدَّة أيَّامِهم، وكانوا يَتَوَصَّلون إليه من « سَراديب مبنية تحت الأرْض »، ينزلون إليها من القَصْر الكبير الشَّرْقي، ويَسيرون فيها بالدَّواب إلى البُسْتان الكافُوري ومَنَاظِر اللُّؤْلُؤَة بحيث لا تَراهُم الأَعْيُنُ.

وما زال البُسْتانُ عامِرًا إلى أن زالَت الدَّوْلَةُ فحُكِرَ، وبُنِيَ فيه في سنة إحدى وخمسين وستّ مائة، كما يأتي ذكره إن شاءَ الله، عند ذِكْر الحارَات والخِطَط من هذا الكتاب [2].

وأمَّا الأَقْباءُ والسَّراديبُ فإنَّها عُمِلَت أَشْرِبَةً للمَراحِيض [3]، وهي باقية إلى يومنا هذا تَصُبُّ في الخَليج.

---

a-a) ساقطة من ظ.

---

[1] المقريزي: مسودة المواعظ ١٣١ وفيما يلي ٢: ١٩٧.

[2] نفسه ١٣١، ٣٥٩، وفيما يلي ٢: ٢٥.

[3] المقريزي: مسودة المواعظ ٣٢٨– ٣٢٩، وعن هذه الأقباء والسّراديب راجع، Zaki Pacha, Ahmad, «Les nouveaux égouts du Caire et les passages souterrains des Khalifes fatimides», *BIE* 5e série =VI (1912), pp. 1-10, 195-97; Fu'âd Sayyid, A.,

[1] كانت للخُلَفاء الفاطِميين مَمَرَّاتٌ من تحت الأرْض معقودةٌ عُقُودًا مُحْكَمَةً ليسيروا فيها رُكْبانًا من القَصْر إلى الميْدان والبُسْتان الكافُوري ومَنْظَرة اللُّؤْلؤة وغيرها . فلمَّا زالَت الدَّوْلةُ الفاطِمية هُجِرَت المَسارِبُ فتُرِكَت . وكان من جملة ما أُحْدِث في الدولة التركية من جِهات المكوس التي استَجَدَّها على النَّاس الوَزيرُ الفائزي[2] في سَلْطَنة الملك المُعِزّ أيْبَك التُّرْكُماني أوَّل ملك من مُلوك التُّرْك بمصر ، ضَرائِبُ مُقَرَّرَةٌ في ديوان السُّلْطان على كَسْح المراحيض تُعْرَف بمُقَرَّر المَشاعِليَّة[3] . فلمَّا رَاكَ الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون الديار المصرية في سنة خمس عشرة وسبع مائة ، أبْطَلَ عِدَّةَ مُكوسٍ منها « مَكْس الأَشْرِبَة »[4]: وقد سُلِّطَت مَراحِيضُ المارِسْتان المَنْصوري والجامِع الحاكِمي وغيره من المَسامِط والمَسالح وغيرها على الأَسْرِبَة التي كانت مَمَرًّا للخُلَفاء وصارَت تخرُج من الأَسْرِبَة إلى الخَليج الكبير الذي تُسَمِّيه العامَّةُ « الخَليج الحاكِمي » .

قال ابنُ الطُّوَيْر عن الخُلَفاء الفاطِميين : وكان من قَضاياهم أنَّه لا سَبيل أن يركب أحَدٌ في القَصْر سوى الخَليفَة ولا ينصرف ليلًا ولا نهارًا إلَّا كذلك ، وله في الليل شَدَّادات من النِّسْوَة يَخْدمن البَغْلات والحَمير الإناث للجَواز في السَّراديب القَصيرَة الأقْباء ، والطُّلوع على الزَّلَّاقات إلى أعالي المناظِر والمساكِن[5] .

وقال ابن عبد الظَّاهر : وكان للخُلَفاء تحت الأرض مكانٌ يركبون من القَصْر إلى المَيْدان منه ، ولمَّا بُنِيت المَدارِسُ الصَّالحية رأيته[a] ، وهو مكانٌ واسعٌ كبيرٌ وجُعِل مَصْرِفًا لما يخرج من المياه وغيرها من المَدارس[6] .

---

a) عند ابن عبد الظاهر : رأيت أنا هذا المكان .

= *op.cit.*, pp. 215-17.

[1] وردت النصوص التالية حتى نهاية ص ٤٩٨ في مسودة المواعظ والاعتبار ٣٢٨-٣٣٠ تحت عنوان «أَسْرِبَة القاهِرة» وهي غير موجودة في الإِصْدار الأخير للمَواعظ والاعتبار . وقد رأيت أن أثبتها هنا لاتصالها بموضوع تحويل الأقبية والسَّراديب التي كانت تربط القصر الفاطمي الشرقي بالبستان الكافوري ، إلى أَسْرِبَة للقاهرة .

[2] الوزير الصاحب الأسعد شرف الدين أبو سعيد هبة الله ابن صاعد الفائزي المتوفى سنة ٦٥٥هـ . (المقريزي : السلوك ١ : ٤٠٦-٤٠٧، العيني : عقد الجمان - عصر سلاطين المماليك ١ : ٦٨، ١٦٣، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٧ : ٥٨) .

[3] مقرّر المشاعلية : هو ما يجب لهم على تنظيف الشرابات التي في البيوت والحمامات والمسامط وغيرها مما يلي مجراها (فيما يلي بعد أسطر) .

[4] فيما تقدم ١ : ٢٤١ .

[5] ابن الطوير : نزهة المقلتين ٢١٠، وفيما تقدم ٢٩٢- ٢٩٣ .

[6] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٦٢، المقريزي : مسودة المواعظ ٣٥٨ .

وقال في « السِّيرَة النَّاصِرية » ، وقد ذَكَرَ ما أبْطَلَه النَّاصِرُ من المُكوس عندما عَمِل الرَّوْك في سنة خمس عشرة وسبع مائة : وأيضًا مُقَرَّر المَشاعِلِيَّة ، وهو ما لَهم على تنظيف السَّرَّابات التي في البيوت والحَمَّامات والمَسامِط وغيرها مما يجري في مَجْراها . وكان إذا امتلأ سَرَب في مكانٍ ، حتى في المَدارس والخَوانِق والمساجِد ، لا يمكن أن يتصرَّف في شيْله إلَّا بحُضُور أحَدٍ من جِهَة ضامِن الجِهَة ليُقاول عليه [1] . فإذا حَضَرَ أحَدٌ من جِهَة الضَّامِن قَدَّرَ في أُجْرَة شَيْله ما يجب ويَخْتار بحَسب ما يَراه ، فإن لم يُوافقْه صاحِبُ المكان فارَقه[a] وتَرَكَ السَّرَب مملوءًا حتى يحتاج إلى مُساءَلته ويَبْذُل له ما طَلَب ، فأبْطَلَ ذلك السُّلْطانُ .

ونُودي بأن لا يُمْكَّن مَشاعِلي من عَمَل شيءٍ من ذلك فانْفَرَجَ النَّاسُ في أَمْرِهم وصاروا يَرْفَعون أشرِبَتهم إلى الكيمان من غير حُجَّيَّة عليهم فيها ولا زيادة كُلْفَةٍ من ضَريبَةٍ سُلْطانيةٍ تُؤْخَذ منهم على ذلك وكانوا في غُمَّة من ذلك المَكْس ،واستمرَّ إبْطالُ هذه الجِهَة حتى بَطَلَت ولله الحَمْد .

ولقد سمعت من غير طَريقٍ أنَّ السَّرَب الذي بمئذنة الجامِع الحاكِمي ممَّا يلي باب الفُتُوح نَزَل فيه شَخْص فانتهى به المسير في مَكانٍ مُتَّسِع ، إلى أن سمع قَرْع نِعال الخَيْل بعَتَبَة باب النَّصْر ولم يَنْتَه إلى آخره فغَلَبَ عليه الوَهْم ورَجَع .

وسمعنا مَشايِخَ من أدركنا يقولون : إنَّ هذا السَّرَب ينتهي بسالكِه إلى الجَبَل الأحمر . وانْخَسَف مَرَّةً مكانٌ من الشَّارِع المسلوك فيه تجاه قَبْو الخُرُنْشُف فرُئي منه سَرَبٌ كبيرٌ ثم عَمَدَ النَّاسُ إليه فسَدُّوه ، وكذلك بخارج باب زَوِيلَة سَرَبٌ عَظيم قد سُلِّط عليه ما هنالك من الأشرِبَة التي للمَسامِط والجوامِع وغيرها . وأخبرني من تَوَلَّى الإشْراف على كَسْحِه أنَّه نَزَلَ إليه الفَعَلَة لتخليص ما سَدَّ الماء عن المرور فيه وأنَّه وُجِد في غايَة الكِبَر والسَّعَة ، فلمَّا فُتِحَ السَّدُّ مَرَّ ما كان محبوسًا هنالك كالسَّيْل العَظيم . وهذا السَّرَب ينتهي إلى الخَليج أيضًا وعهدت قَديمًا ، أيامَ كان الماءُ قَريبًا من بَرِّ القاهِرَة ، قبل أن يَنْحَسِر عن ما هو الآن من الرِّمال ، إذا جاءَت زيادةُ النِّيل في سنةٍ كبيرةٍ وكان نِيلًا عاليًا ، أنَّ البَلاليعَ التي خارِج باب زَوِيلَة تَطُفّ حتى تَفيض على الطُّرُقات [2].

---

a) خزينة : وإلّا فارقه .

---

[1] المقريزي : السلوك ٢: ١٥٢.

[2] المقريزي : مسودة المواعظ ٣٢٨- ٣٣٠.

القَاعَـةُ

وكان من جُمْلَة القَصْر الغَرْبي قاعَةٌ كبيرةٌ ـ هي الآن المارِسْتان المَنْصوري حيث المَرْضَىٰ ـ كانت سَكَنَ سِتّ المُـلْك أخت الحاكِم بأمر الله[1] وكانت أحوالُها مُتَّسِعَة جدًّا.

قَالَ في كتاب «الذَّخائِر والتُّحَف»: ٤٥٨:١ وأَهْدَت/ السَّيِّدَةُ الشَّريفَة سِتّ المُلْك[a] أُخْت الحاكِم بأمْر الله إلى أَخيها في[a] يوم الثلاثاء التاسع من شَعْبان سنة سَبْع وثمانين وثلاث مائة، هَدَايا من جُمْلَتِها ثلاثون فَرَسًا بمَراكِبها ذَهَبًا، منها مَرْكِبٌ واحِدٌ[b] مُرَصَّع ومَرْكِبٌ من حَجَر البِلَّوْر، وعشرون بَغْلَة بسُروجِها ولُجُمِها، وخمسون خادِمًا منهم عشرة صَقالِبَة، ومائة تَخْت من أَنْواع الثِّياب وفاخِرِها، وتاجٌ مُرصَّعٌ بنفيس الجَوْهَر وبَديعه،

مُخَطَّط قاعَة سِتّ المُـلْك (عن Gabriel)

---

a) ساقطة من بولاق. b) نهاية نسخة الظاهرية (ظ).

---

[1] حُفِظَت لنا بقايا هذه القاعة بسبب اتصالها بمجموعة قلاوون الأثرية، قبة ومدرسة ومارستان، (فيما يلي ٣٧٩:٢- ٣٨٢، ٤٠٦). ففي خلال الحفائر التي قام بها هرتس باشا في مطلع القرن العشرين في المارستان المنصوري كشفت قاعة ست الملك، الأمر الذي مكّن بعد ذلك كلًّا من ألبير جابرييل وإدموند بوتي من إعادة بناء التخطيط الأصلي لهذه القاعة التي تتكون من نظام هندسي قائم على محورين متعامدين يلتقيان في وسط «صَحْن» مكشوف مستطيل، في كل جنب من جوانبه «رواق» ذو ثلاث فتحات تختلف في الضيق والسعة، فالفتحة الوسطى أوسع من الفتحتين الجانبيتين ويفصلها عنهما كتفان مبنيان بالآجر، ويتراوح عرض هذا الرواق بين متر وثمانين سم ومترين. وفي سمت الرواق «القاعة»، وهي قاعة كبيرة مستطيلة وتكتنفها من جانبها حجرتان صغيرتان منعزلتان عنها. وفي الجوانب الثلاثة الأخرى من الصَّحْن ـ في محور كل جانب ـ «أواوين» تختلف في الامتداد إلى الداخل. وأطلق الباحثون على هذا=

وشاشِيَة مُرَصَّعة ، وأسْفاط كثيرةٌ من طِيبٍ من سائِر أنْواعِه ، وبُسْتانٌ من الفِضَّة مَزْروع من أنْواع الشَّجَر [١].

قال : وخَلَّفت [السَّيِّدة ستّ مصر بنت الحاكِم بأمْر الله][a] حين ماتَت ، في مستهلّ جُمادىٰ الآخِرَة من سنة خمسٍ وخمسين[b] وأربع مائة ، ما لا يُحْصَى كَثْرَةً ، وكان إقطاعُها في كلّ سنة يُغِلُّ خمسين ألف دينار ، ووُجِدَ لها بعد وَفاتِها ثمانية آلاف جارية ، [c]منها بُلَّنيات ألف وخمس مائة[c]. وكانت سَمْحَةً نَبيلةً كَريمَةَ الأخْلاق والفِعْل . وكان في جُمْلة مَوْجودها نَيِّف وثلاثون زِيرًا صينيًّا مملوءًا جميعها مِسكًا مَسْحُوقًا ، ووُجِدَ لها جَوْهَرٌ نفيسٌ من جملته قِطْعَةُ ياقُوت ذُكِرَ أنَّ فيها عشرة مَثاقيل [٢].

قال المُسَبِّحي : وُلِدَت بالمغرب في ذي القعدة سنة تسع وخمسين وثلاث مائة [d].

ولمَّا زالَت الدَّوْلَةُ عُرِفَت هذه الدار بالأمير فَخْر الدِّين جَهارْكَس ثم [e] [f] مَوْسَك ثم الملك المُفَضَّل قُطْب الدِّين [f] ابن الملك العادِل .

فلمَّا كان في شهر ربيع الآخَر من سنة ثلاثٍ وثمانين وستّ مائة ، شَرَعَ الملكُ المَنْصورُ قَلاوون الألْفي في بنائها مارِستانًا ومَدْرَسَةً وتُرْبَةً ، وتولَّى عِمارَتَها الأميرُ عَلَمُ الدِّين سِنْجِر الشُّجاعي مُدَبِّر الممالك [٣]. ويُقالُ : إنَّ ذَرْعَ هذه الدَّار عشرة آلاف وست مائة ذراع .

---

a) زيادة من الذخائر والتحف . b) في جميع النسخ : وعشرين ، والتصويب من الذخائر . c-c) هذه العبارة ساقطة من الذخائر . d) بولاق : سنة خمس وثلاث مائة . e) ثم : ساقطة من بولاق . f) هكذا بياض في جميع النسخ .

=العنصر The T-Plan أي المخطط على شكل الحرف T. (راجع Gabriel, A., *Les fouilles d'al-Fustat et les origines de la maison arabe en Égypte*, Paris 1927, pp. 64-68; Pauty, Ed., *Les palais et les maisons d'époque musulmane au Caire»*, *MIFAO* LXII, 1932, pp. 64-68; Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 306-11).

[١] الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ٦٨.

[٢] نفسه ٢٤٠.

[٣] انظر فيما يلي ٢:٣٧٩– ٣٨٢، ٤٠٦– ٤٠٨.

أبوابُ القَصْرِ الغَرْبيّ

كان لهذا القَصْر عِدَّةُ أبْوابٍ : منها بابُ السّاباط ، وبابُ التَّبّانين ، وبابُ الزُّمُرُّد [١].

بابُ السّاباط

هذا البابُ موضعه الآن باب سِرّ المارِسْتان المَنْصوري الذي يُخْرَج منه الآن إلى الخُرُنْشُف وكان من الرَّسْم أن يذبح في باب السّاباط المذكور مدَّة أيام النَّحْر وفي عيد الغَدير ، عِدَّةُ ذَبائح تُفَرَّق على سَبيل الشَّرَف .

قال ابنُ المأمون في سنة ستّ عشرة وخمس مائة : وجُمْلَة ما نَحَرَه الخَليفَةُ الآمِر بأحْكام الله وذَبَحَه خاصَّة في المَنْحَر وباب السّاباط دون الأجلّ - يعني المأمُون وأولاده وإخوته - في الثلاثة الأيام ألف وسبع مائة وست وأربعون رأسًا ، فذَكَرَ ما كان بالمَنْحَر .

قال : وفي باب السّاباط ، ممَّا يُحْمَل إلى مَنْ حَوَتْه القصور وإلى دار الوَزارَة والأصحاب والحَواشِي ، اثنتا عشرة ناقَة ، وثمانية عشر رأس بَقَر ، وخمسة عشر رأس جاموس ، ومن الكِباش ألف وثمان مائة رأس ويُتَصَدَّق كل يوم في باب السّاباط بسَقْط ما يُذْبَح من النُّوق والبَقَر [٢].

وقال ابنُ عبد الظّاهِر : كان في القَصْر بابٌ يُعْرَف بباب السّاباط ، كان الخَليفَةُ في العيد يخرج منه إلى المَيْدان - وهو الخُرُنْشُف الآن - ليَنْحَر فيه الضَّحايا [٣].

بابُ التَّبّانين

هذا البابُ مكان باب الخُرُنْشُف الآن ، وجُعِلَ في موضعه دار العِلْم التي بناها الحاكِمُ ، الآتي ذكرها إن شاءَ الله تعالَى .

بابُ الزُّمُرُّد

كان مَوْضِعَ إسْطَبْل القُطْبيَّة قَريبًا من باب البُسْتان الكافوري الموجود الآن [٤].

---

[١] راجع ، Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 303-5.

[٢] ابن المأمون : أخبار مصر ٤١ ، ٤٢؛ المقريزي : مسودة المواعظ ١٧٨-١٧٩ ، وفيما تقدم ٤٣٣.

[٣] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٠٢؛ وفيما يلي ٢ : ٨٠.

[٤] وانظر فيما يلي ٥٣١ باب رابع للقصر الصغير =

ذِكْرُ دارِ العِلْم

وكان بجوار القَصْر الغَرْبي من بَحْريه دارُ العِلْم ، ويُدْخَل إليها من باب التَّبَّانين - الذي هو الآن يُعْرَف بقَبْو الخُرُنْشُف - وصارَ مكانَ دار العِلْم الآن الدَّارُ المعروفة بدار الخُضَيْري ، الكائِنَةُ بدَرْب الخُضَيْري المُقابل للجَامِع الأَقْمَر . ودارُ العِلْم هذه اتَّخذَها الحاكِمُ بأمر الله [١] ، فاستمرَّت إلى أن أَبْطَلَها الأَفْضَلُ بن أمير الجُيوش [٢] .

قال الأميرُ المُخْتار عِزُّ المُـلْك مُحَمَّد بن عبيد الله (a بن أحمد بن إسماعيل بن عبد العزيز a) المُسَبِّحي (a في تاريخه الكبير ومنه نَقَلْتُ من الجزء الرابع والثلاثين ما نَصُّه a): وفي يوم السَّبْت هذا - يعني العاشر من جُمادَى الآخرة سنة خمسٍ وتسعين وثلاث مائة - فُتِحَت الدَّارُ المُلَقَّبة بدار الحِكْمَة بالقاهِرَة ، وجَلَسَ فيها الفُقَهاءُ ، وحُمِلَت الكُتُبُ إليها من خِزائِن القُصُور المعمورة . ودَخَلَ النَّاسُ إليها ، ونَسَخَ كلُّ من الْتَمَسَ نَسْخ شيءٍ مِمَّا فيها ما الْتَمَسَه ، وكذلك مَنْ رأى قِراءَة شيءٍ مِمَّا فيها . وجَلَسَ فيها القُرَّاءُ والفُقَهاءُ b) والمُنَجِّمون وأصحابُ النَّحْو واللُّغَة والأطِبَّاء ، بعد أن فُرِشَت هذه الدَّار وزُخْرِفَت ، وعُلِّقَت على جَميع أبوابها ومَمَرَّاتها السُّتور ، وأُقيمَ قُوَّامٌ وخُدَّامٌ وفَرَّاشون وغيرهم وُسِمُوا بخِدْمَتِها .

وحَصَلَ في هذه الدَّار من خَزائِن أمير المؤمنين الحاكِم بأمْر الله ، من الكُتُب التي أَمَرَ بحَمْلِها إليها من سائِر العُلُوم والآداب والخُطُوط المَنْسوبة ، ما لم يُر مثله مجتمعًا لأحدٍ قَطّ من الملوك ، وأباحَ ذلك كلَّه لسائِر النَّاس على طَبقاتِهم مِمَّن يُؤْثر قِراءَة الكُتُب والنَّظَر فيها . فكان/ ذلك من المَحَاسِن المأثورة أيضًا التي لم يُسْمَع بمثلها ، من إجراء الرِّزْق السَّنِيّ لمن رُسِمَ له بالجُلُوس فيها والخِدْمَة لها ، من فَقيهٍ وغيره . وحَضَرَها النَّاسُ على طَبَقاتهم : فمنهم من يَحْضُر لقِراءَة الكُتُب ،

a-a) زيادة من المسودة . b) ساقطة من بولاق .

= هو «باب مُراد» .

[١] عن دار العلم ودورها الثقافي راجع، Eche, Y., *Les bibliothèques arabes publiques et semi - publiques en Mésopotamie, en Syrie et en Égypte au Moyen - Age*, Damas 1967, pp. 74-97; Halm, H., «Al-Hakim's House of Knowledge and Scientific Institutions under the Fatimids» in *The Fatimids and their Traditions of Learning*, London 1997, pp. 71-93; Walker, P., «Fatimid Institutions of Learning», *JARCE* 34 (1997), pp. 179-200؛ أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية في مصر ٥٨٣– ٥٩٠.

[٢] انظر فيما تقدم ٤٦٠ – ٤٦١.

ومنهم من يَحْضُر للنَّسْخ، ومنهم من يَحْضُر للتَّعَلُّم، وجُعِلَ فيها ما يَحْتَاج النَّاسُ إليه من الحِبْر والأَقْلام والوَرَق والمحابِر. وهي الدَّارُ المعروفة بمُخْتار الصَّقْلَبي[1].

قال: وفي سنة ثلاثٍ وأربع مائة، أُحْضِرَ جَماعَةٌ من دار العِلْم من أهل الحِساب والمَنْطِق، وجَماعَةٌ من الفُقَهاء منهم عبد الغَني بن سَعيد[2]، وجَماعَةٌ من الأطِبّاء، إلى حَضْرَة الحاكِم بأمر الله، وكانت كلُّ طائفةٍ تَحْضر على انفرادها للمُناظَرَة بين يديه، ثم خَلَعَ على الجَميع ووَصَلَهم[3].

ووَقَفَ الحاكِمُ بأمر الله أماكِنَ في فُسْطاط مصر على عِدَّة مواضِع، وضَمَّنَها كِتابًا ثُبِّت على قاضِي القُضاة مالِك بن سَعيد ـ وقد ذُكِرَ عند ذِكْر الجامِع الأَزْهَر[4] ـ وقال فيه وقد ذَكَرَ دار العِلْم:

« ويكون العُشْر وثُمن العُشْر لدار الحِكْمَة، لما يُحْتاج إليه في كلِّ سَنَةٍ من العين المغربي مائتان وسبعة وخمسون دينارًا. من ذلك لثَمَن الحُصْر العَبَداني وغيرها لهذه الدَّار عشرة دنانير، ومن ذلك لوَرَق الكاتِب ـ يعني النَّاسِخ ـ تسعون دينارًا، ومن ذلك للخَازِن بها ثمانية وأربعون دينارًا، ومن ذلك لثَمَن الماء اثنا عشر دينارًا، ومن ذلك للفَرّاش خمسة عشر دينارًا، ومن ذلك للوَرَق والحِبْر والأَقْلام لمن ينظر فيها من الفُقَهاء اثنا عشر دينارًا، ومن ذلك لمَرَمَّة السِّتارَة دينارٌ واحِد، ومن ذلك لمَرَمَّة ما عَسَى أن يَتَقَطَّع من الكُتُب وما عَسَاه أن يَسْقُط من وَرَقِها اثنا عشر دينارًا، ومن ذلك لثَمَن لُبُود للفَرْش في الشِّتاء خمسة دنانير، ومن ذلك لثَمَن طَنافِس في الشِّتاء أربعة دنانير ».

---

[1] المسبحي: نصوص ضائعة ٢٢؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٣٠٠-٣٠١؛ واتعاظ الحنفا ٢: ٥٦.

[2] الحافظ أبو محمد عبد الغني بن سعيد بن علي الأزدي المصري، محدِّث وفقيه مصري لم يكن بعد الدَّارقطني أحْفَظ منه، استتر بعد أن قتل الحاكم زميليه في دار الحكمة: ابن أبي أسامة جنادة اللغوي وأبو علي المقرئ الأنطاكي، وظل مختفيًا حتى ظهر له الأمن، وتوفي سنة ٤٠٩هـ/١٠١٨م وكانت له جنازةٌ عظيمة بالفسطاط (ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣: ٢٢٣-٢٢٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٧: ٢٦٨-٢٧٣؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٩: ٢٩؛ Bianquis, Th., «ʿAbd al-Ghanî Ibn Saʿîd, un savant sunnite au service des Fatimides» dans *Actes du XXIXᵉ Congrès International des Orientalistes. Études arabes et islamiques*, I-Histoire et Civilisation, Paris 1975, I, pp. 39-47).

[3] المسبحي: نصوص ضائعة ٢٢؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٣٠١، واتعاظ الحنفا ٢: ٥٧، وفيما يلي ٢: ٢٨.

[4] فيما يلي ٢: ٢٧٣-٢٧٥، وابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٤٣-١٥٠.

وقال ابنُ المأمُون : في هذا الشهر - يعني شهر ذي الحِجَّة سنة ستَّ عشرة وخمس مائة - جَرَت نَوْبَةُ القَصَّار - وهي طَويلة وأوَّلها من الأيام الأَفْضَلِيَّة ، وكان فيهم رجُلان يُسَمَّى أحَدُهما بَرَكات ، والآخَر حَميد بن مَكّي الإطْفيحي القَصَّار - مع جَماعةٍ يُعْرَفون بالبَديعِيَّة ، وهم على الإسْلام والمذاهِب الثلاثة المشهورة ، وكانوا يجتمعون في دار العِلْم بالقاهِرَة . فاعْتَمدَ بَرَكاتُ من جُمْلتهم أن اسْتَفْسَد عُقولَ جَماعَةٍ ، وأَخْرَجَهم عن الصَّواب - وكان ذلك في أيام الأَفْضَل - فأمر للوقت بغَلْق دار العِلْم والقَبْض على المذكور ، فهَرَب .

وكان في[a] جُمْلَة من اسْتَفْسَد عقله بَرَكات المذكور أسْتاذان من القصر . فلمَّا طُلِبَ بَرَكاتُ المذكور واسْتَتَر ، دَقَّقَ الأُسْتاذن الحيلَة إلى أن أدْخَلاه عندهما في زِيِّ جاريةٍ اشترياها ، وقامَا بحَقِّه وجَميع ما يَحْتاج إليه ، وصارَ أهْلُه يَدْخُلون إليه في بعض الأَوْقات . فمَرِضَ بَرَكاتُ عند الأُسْتاذَيْن ، فحارا في أَمْره ومُداوَاته ، وتَعَذَّر عليهما إحْضار طَبيبٍ له ، واشْتَدَّ مَرَضُه ومات ، فأَعْمَلاَ الحيلَة ، وعَرَّفا زِمامَ القَصْر أن إحدى عَجائِزهما قد تُوُفِّيَت ، وأنَّ عَجائِزهما يُغَسِّلنها على عادَة القُصُوريات[b] ويُشَيِّعنها إلى تُرْبَة النُّعْمان بالقَرافَة[1] ، وكَتبا عِدَّة من يَخْرج . ففُسِحَ لهما في العِدَّة ، وأخَذا في غُسْله ، وأَلْبساه ما أَخَذاه من أهله - وهو ثِيابٌ مُعلَّمة وشاشِيَّة ومِنْديل وطَيْلَسان مُقَوَّر - ودَرَّجُوه[c] في الدَّبيقي ، وتَوَجَّه مع التَّابوت الأُسْتاذان المشار إليهما . فلمَّا قطَعُوا به بعض الطَّريق أراد تَكْميل الأَجْر له على قَدْر عقولِهما ، فقالا للحَمَّالين : هو رَجُلٌ تربيته عندنا ، فنادوا عليه نِداءَ الرِّجال واكْتُموا الحال ، وهذه أربعةُ دنانير لكم ، فسُرَّ الحَمَّالون بذلك . فلمَّا عادوا إلى صاحِب الدُّكَّان عَرَّفوه بما جَرَى وقاسَمُوه الدَّنانير ، فخَافَت نفسُه ، وعَلِمَ أنَّها قَضِيَّةٌ لا تَخْفَى ، فمضى بهم إلى الوالي وشَرَحَ له القَضِيَّة . فأَوْدَعَهم في الاعْتِقال ، وأخَذَ الذَّهَبَ منهم ، وكَتَب مُطَالَعةً بالحال .

فمن أوَّل ما سَمِعَ القائِدُ أبو عبد الله بن فاتِك - الذي قيل له بعد ذلك المأْمُون - بالقَضِيَّة - وكان مُدَبِّر الأُمور في الأيام الأُفْضَلِيَّة - قال : هو بَرَكاتُ المطلوب . وأَمَرَ بإحْضار الأُسْتاذَيْن والكَشْف عن القَضِيَّة ، وإحْضَار الحَمَّالين والكَشْف عن القَبْر بحُضورهم ؛ فإذا تَحقَّقوه أَمرَهم

---

a) بولاق : من . b) بولاق : القصور . c) بولاق : أدرجوه .

---

[1] هذه الإشارة الوحيدة إلى تربة النعمان بالقرافة في كتاب الخطط نقلًا عن ابن المأمون ، ولم يفردها المقريزي بمدخل مستقل عند حديثه على القرافة .

بلعْنه : فمَنْ أجابَ إلى ذلك منهم أَطْلَقوه ، ومَنْ أبى أَحْضَروه فحقَّقُوا معرفته : فمنهم من بَصَقَ في وَجْهِه وتَبَرَّأ منه ، ومنهم من هَمَّ بتَقْبيله ولم يتبرَّأ منه .

فجلسَ الأَفْضَلُ واستدعى الوالي والسَّيَّاف ، واستدعى مَنْ كان تحت الحَوْطَة من أصحابِه ، فكُلُّ من تَبَرَّأ منه ولَعَنَه أَطْلَقَ سَبيلَه ، وبَقِي من الجَماعَة ممَّن لم يتبرَّأ منه خمسة نَفَرٍ وصَبِي لم يَبْلُغ الحلُم ، فأمَرَ بضَرْب رقابِهم ، وطَلَبَ الأُسْتاذَيْن فلم يقدر عليهما . وقال للصَّبيّ من لفْظه : تَبَرَّأ منه وأُنْعِم عليك وأُطْلِق سَبيلك . فقال له : الله يُطالبك إن لم تُلْحقني بهم ، فإنِّي مُشاهِدٌ ما هم فيه . وأَخَذَ بسَيْفه على الأفْضَل ، فأَمَرَ بضَرْب عُنُقه[a].

فلمَّا توفِّي الأفْضَلُ أَمَرَ الخَليفَةُ الآمِرُ بأحكام الله وَزيرَه المأْمُون بن البَطائِحي ، باتِّخاذ دار العِلْم وفَتْحها على الأَوْضاع الشَّرْعية .

ثم عادَ حَميدُ القَصَّار المُثَنَّى بذكره ، وظَهَرَ ، وسَكَنَ مصر يَدُقّ الثِّيابَ بها ، ويَطَّلِع إلى دار العِلْم ، وأفْسَد عَقْل أسْتاذٍ وخَيَّاط وجَماعَةٍ وادَّعى الرُّبوبية . فحَضَر الدَّاعي ابن عبد الحَقيق إلى الوَزير المأمون ، وعَرَّفه بأن هذا قد تعلَّق[b] بطَرَفٍ من عِلْم الكَلام على مَذْهَب أبي الحَسَن الأَشْعَري [1] ، ثم انْسَلَخ من[c] الإسلام وسَلَكَ طريق الحَلَّاج [2] في التَّمْويه ،/ فاستهوى من ضَعُفَ ٤٦٠:١
عَقْلُه وقَلَّت بَصيرَتُه ، فإنَّ الحَلَّاجَ في أَوَّل أَمْره كان يدَّعي أنَّه داعية المَهْدي ، ثم ادَّعى أنَّه المَهْدي ، ثم ادَّعى الإلهية وأنَّ الجِنَّ تَخْدمه ، وأنَّه أحيا عِدَّةً من الطُّيور .

وكان هذا القَصَّارُ تَنَمَّس بالدِّين[d] ، وجَرَت له أُمورٌ في الأيام الأَفْضَلِيَّة ، ونُفِيَ دَفْعَةً واعْتُقِلَ أخرى ، ثم هَرَبَ بعد ذلك ، ثم حَضَرَ وسارَ يُواصِل طُلوع الجَبَل ، واسْتَصْحَبَ مَنْ اسْتَهْواه من

---

a) المسودة : ضرب رقبته . b) بولاق : تعرف . c) بولاق : عن . d) بولاق : شيعي الدين .

---

[1] المذهب الأشعري (ويقال لأتباعه الأَشْعَرِيَّة والأشاعِرَة) نسبة إلى الإمام أبي الحسن عليّ بن إسماعيل الأَشْعَري المتوفى في بغداد سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م مؤسِّس مدرسة علم الكلام السنّي (راجع ، Montgomery Watt, W., EI^2 art. *al-Ash'arî* I, pp. 715-16; id., art. *Ash'ariyya* I, pp. 717-18؛ جلال محمد موسى : نشأة الأشعرية وتطورها ، بيروت – دار الكتاب اللبناني ١٩٧٥؛ Gimaret, D., *La doctrine d'al-Ash'arî*, Paris 1991، وانظر فيما يلي ٣٥٦:٢–٣٦٠ ما كتبه المقريزي عن الأشعرية .

[2] الحَلَّاج ، أبو المغيث الحسين بن منصور بن مَحْمي البيضاوي متكلِّم ومتصوِّف إسلامي عاش في القرن الثالث الهجري ، تعدُّ حياتُه وتجربتُه نقطة تحوُّل هامة في تاريخ حركة التصوُّف الإسلامي ، توفِّي سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م . (الصفدي : الوافي بالوفيات ١٣:٧٠–٧٤ وما فيه من مصادر؛ Massignon, L. & Gardet, L., art. *al-Hallâdj* III, pp. 102-106.

أصْحابِه . فإذا أَبْعَدَ قال لبعضهم بعد أن يُصَلِّي ركعتين : نَطْلُب شيئًا تأكله أصحابُنا . فيمضي ولا يلبث دون أن يعود ومعه ما كان أَعَدَّه مع بعض خاصَّتِه الذين يَطَّلِعون على باطنه . فكانوا يَهابُونَه ويُعَظِّمونَه حتى إنَّهم يخافُون الإثم في تأمُّل صُورَته ، فلا ينكفُّون مُطْرقين بين يديه . وكان قَصيرًا دَميمَ الخِلْقَة ، وادَّعى مع ذلك الرُّبوبية . وكان ممَّن اخْتَصَّ بحَميد رَجُلٌ خيّاطٌ وخَصِيٌّ ، فرَسَم المأمُون بالقَبْض على المذكور وعلى جَميع أصْحابه . فهَرَبَ الخَيَّاطُ وطُلِبَ فلم يُوجَد ، ونودِيَ عليه ، وبُذِلَ لمن يَحْضر به مالٌ فلم يقدر عليه ، واعْتُقِل القَصَّارُ وأصحابُه ، وقُرِّروا فلم يُقِرُّوا بشيءٍ من حالِه .

وبعد أيام تَماوَت في الحَبْس فلمَّا اسْتُؤْمِر عليه أَمَر بدَفْنه ، فلمَّا حُمِلَ لِيُدْفَن ظَهَرَ أنَّه حَيٌّ ، فأُعيد إلى الاعْتِقال ، وبقي كلٌّ من تَبَرَّأ[a] منه مُعْتَقَلًا ، ما خَلا الخَصِيّ فإنَّه لم يتبرَّأ منه . وذَكَرَ أنَّ القَتْلَ لا يَصِل إليه ، فأُمِر بقَطْع لِسانِه ورُمِيَ قُدَّامه وهو مُصِرٌّ على ما في نفسه ، فأُخْرِج القَصَّارُ والخَصِيُّ ومَنْ لم يتبرَّأ منه من أصْحابه ، فصُلبوا على الخَشَب وضُرِبوا بالنُّشَّاب ، فماتُوا لوقتهم . ثم نُودِيَ على الخَيَّاط ثانيًا ، فأُحْضِرَ وفُعِلَ به ما فُعِلَ بأصحابه بعد أن قيل له : ها أنت تَنْظُره . فلم يتبَرَّأ منه ، وصُلِبَ إلى جانبه .

وذُكِرَ أنَّ بعضَ أصْحاب هذا القَصَّار ـ ممَّن لم يُعْرَف[b] ـ كان يشتري الكافُور ، ويَرْميه بالقُرْب من خَشَبته التي هو مَصْلوبٌ عليها ، فيستقبل رائِحَته من سلَكَ تلك الطَّريق ، ويَقْصد بذلك أن يَرْبِط عُقُولَ من كان القَصَّارُ قد أضَلَّه . فأَمَرَ المأمُون أن يُحَطُّوا عن الخَشَب ، وأن تُخْلَط رِمَمُهم ويُدْفَنوا متفرِّقين حتى لا يُعْرف قبرُ القَصَّار من قُبورهم .

وكان قَتْلُهم في سنة سبع عشرة وخمس مائة ، وابْتِداءُ هذه القَضِيَّة سنة ثلاث عشرة وخمس مائة .

قال : وكان الشَّريفُ عبد الله يُحَدِّث عن صَديقٍ له مأمُون القَوْل ، أنَّه أَخْبَرَه أنَّه لمَّا شاعَ خَبَرُ هذا القَصَّار وما ظَهَرَ منه ، أرادَ أن يَمْتَحنه ، فتَسَبَّب إلى أن خالَطَه ، وصارَ في جملة أصحابه ومن يُعَظِّمه ويَطْلُع معه إلى الجَبَل ، فأَفْسَدَ عَقْلَه وغيَّر معتقده ، وأخرَجَه عن الإسْلام . وأنَّه لامَه على ذلك ورَدَعَه ، فحَدَّثه بعَجائِب منها أنَّه قال : والله ما من الجَماعَة الذين يَطْلُعون معه إلى الجَبَل أحَدٌ إلَّا ويسأله ويستدعيه ما يُريدُ على سَبيل الامْتِحان ، فيُحْضره إليه لوَقْته . وأنَّ بيده سِكِّينًا لا

---

a) بولاق : من لم يتبرأ . b) بولاق : ممن لم يعرف أنه ، وفي المسودة : وكان بعض أصحاب القصار يشتري ....

تَقْطَع إلَّا بيديه ، وإذا أَمْسَكَ طائِرًا وقَبَضَه أحَدٌ من الحاضِرين ، يَدْفَع السِّكين التي معه له ويقول له : اذْبَحه ، فلا تَمْشي في يده ، فيأْخُذَها هو ويَذْبَحُه بها ويَجْري دَمُه ، ثم يعود ويمسكه بيده ويُسَرِّحه فيطير ، ويقول : إنَّ الحَديدَ لا يَعْمَل فيه ، ويُوَسِّع القَوْل فيما يُشاهده منه ويسمعه .

فلمَّا اعْتُقل القَصَّارُ ، بقي هذا الرَّجُلُ مُصِرًّا على اعْتِقادِه ، فلمَّا قُتِلَ وخَرَج إليه وشاهَدَه وتحقَّق مَوْتَه ، عَلِمَ أنَّ ما كان فيه سِحْرٌ وزُورٌ وإفْكٌ ، فتصدَّق بجملةٍ من مالِه ، وعادَ إلى مَذْهَبِه وصَحَّ معتقدُه [1].

وقال ابنُ عبد الظَّاهِر : دارُ العِلْم كان الأَفْضَلُ بن أمير الجُيُوش قد أبْطَلَها ، وهي بجوار باب التَّبَّانين ، وهي مُتَّصِلة بالقصر الصَّغير ، وفيها مَدْفُونٌ الدَّاعِي المُؤَيَّد في الدِّين هِبَة الله بن موسَىٰ الأَعْجمي [2]، وكان لإبطالِها أُمورٌ سَبَبُها اجتماعُ النَّاس والخَوض في المذاهِب ، والخَوْف من الاجْتِماع على المَذْهَب النِّزاري .

ولم يزل الخُدَّامُ يتَوَصَّلون إلى الخَليفَة الآمِر بأحْكام الله حتى تحَدَّث في ذلك مع الوَزير المَـأْمُون ، فقال : أين تكون هذه الدَّار ؟ فقال بعضُ الخُدَّام : تكون بالدَّار التي كانت أوَّلًا ؛ فقال المَأْمُونُ : هذا لا يكون لأنَّه بابٌ صارَ من جملة أبواب القصور[a] وبرَسْمِ الحَوائِج ، ولا يُمكن الاجْتِماع ، وما[b] يُؤْمَن من غَريبٍ يَتحصَّل به . فأشار كُلٌّ من الأُسْتاذين بشيءٍ ، فقال[c] بعضُهم : أن تكون في بَيْت المال القَديم ؛ فقال المَأْمُون : يا سُبْحانَ الله قد مَنَعْنا أن تكون متاخِمَةَ القصر[d] الكبير الذي هو سَكَنُ الخَليفَة نجعلها ملاصِقَته[e]! فقال الثِّقَةُ زِمامُ القُصُور : في جواري مَوْضِعٌ ليس مُلاصِقًا للقصر ولا مُخالِطًا له ، يجوز أن يُعَمَّر ويكون دارَ العِلْم . فأجابَ المَأْمُونُ إلى ذلك

a) بولاق : القصر . b) بولاق : ولا . c) بولاق : فأشار . d) بولاق : متاخمة للقصر . e) بولاق : ملاصقة .

[1] ابن المأمون : أخبار مصر ٤٤- ٤٦؛ المقريزي : المسودة ٣٠٣-٣٠٧ ، وراجع أخبار بركات وحميد القصّار عند ، ابن ميسر : أخبار مصر ٩٥؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣: ٣٦٢؛ المقريزي : المقفى الكبير ٢: ٥٧١- ٥٧٢، ٣: ٦٨٤- ٦٨٥.

[2] داعي الدعاة الفاطمي المؤيّد في الدين أبو نصر هبة الله ابن موسى بن داود الشيرازي ، المتوفى في شوال سنة ٤٧٠هـ (راجع ، سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة - ترجمة حياته بقلمه ، تقديم وتحقيق محمد كامل حسين ، القاهرة - دار الكاتب المصري ١٩٤٩؛ ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة ، تقديم وتحقيق محمد كامل حسين ، القاهرة - دار الكاتب المصري ١٩٤٩؛ عماد الدين إدريس : عيون الأخبار ٧: ٣٧- ٨٣؛ Poonawala, I.K., *EI* [2] art. *al-Mu'ayyad fil-Dîn* VII, pp. 272-73) .

وقال : بشَرْط أن يكون مُتوليها رَجُلَ دين[a]، والدَّاعي النَّاظِرَ فيها ، ويُقامُ فيها مُتَصَدِّرون برَسْم قِراءَة القُرْآن . فاسْتُخْدم فيها أبو محمد حَسَن بن آدَم فتولاَّها ، وشُرِطَ عليه ما تَقَدَّم ذكره ، واسْتُخدم فيها مُقْرئون[1].

ذِكْرُ دارِ الضِّيافَة

خَرَّجَ مالِكُ في « المُوَطَّأ » عن يحيى بن سَعيد ، عن سَعيد بنُ المُسَيَّب ، أنَّه قال : كان إبراهيمُ - عليه السَّلام - أوَّل من ضَيَّفَ الضَّيْف .

وأوَّلُ من اتَّخَذَ دارَ ضيافَةٍ في الإسْلام أميرُ المؤمنين عمرُ بن الخَطَّاب - رضي الله عنه - في سنة سبع عشرة ، وأَعَدَّ فيها الدَّقيق والسَّمْن والعَسَل وغيره ، وجَعَلَ بين مَكَّة والمَدينَة من يحمل المنقطعين من ماءٍ إلى ماءٍ حتى يُوَصِّلوهم[b] إلى البَلَد .

فلمَّا اسْتُخْلِف عُثْمانُ بن عَفَّان - رضي الله عنه - أقامَ الضِّيافَة لأبْناءِ السَّبيل والمُتَعَبِّدين في المَسْجِد .

وأوَّل من بَني بمصر دارَ الضِّيافَة للنَّاس عُثْمان بن قَيْس بن أبي العَاص السَّهْمي ، أَحَدُ من شَهِدَ فَتْح مصر من الصَّحابَة[2].

وكان مَيْدانُ القَصْر الغَرْبي - الذي هو الآن الخُرُنْشُف - دارَ الضِّيافَة بحارَة بَرْجَوان . وكانت هذه الدَّارُ أوَّلًا تُعْرَف بدار الأُسْتاذ بَرْجَوان ، وفيها كان يَسْكُن حيث المَوْضِع المعروف بحارَة بَرْجَوان . ثم لمَّا قَدِمَ أميرُ الجُيُوش بَدْرٌ الجَمالي في أيام الخَليفَة المُسْتَنْصِر من عَكَّا واستبدَّ بأمْر الدولة ، أنشأَ هناك دارًا عَظيمَةً وسَكَنَها ، ولم يسكُنْ بدار الدِّيباج التي كانت دارَ الوَزارَة القَديمَة .

فلمَّا ماتَ أميرُ الجُيُوش بَدْرٌ ، واستقرَّ في[c] سَلْطَنة ديار مصر ابنُه الأَفْضَلُ شاهِنْشاه بن أمير الجُيُوش ، وأنشأ دارَ القِباب - التي عُرِفَت بدار الوَزارَة الكُبْرَى - قَريبًا من رَحْبَة باب العيد ، أقَرَّ أخاه أبا محمد جَعْفَرًا المنعوت بالمُظَفَّر بن أَمير الجُيُوش بدار أمير الجُيُوش من حارَة بَرْجَوان ،

---

a) بولاق : رجلًا دينًا . b) بولاق : يوصلهم . c) بولاق : استولى على .

---

[1] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٣٢-٣٣، ٤٥-٤٦؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٣٠١-٣٠٣.

[2] ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٢٣١.

فعُرِفَت بدار المُظَفَّر ، وما زالَ بها حتى ماتَ وقُبِرَ بها ،وإلى اليوم قَبْرُه بها ، وتُسَمِّيه العامَّة جَعْفرًا الصَّادِق [١].

ولمَّا ماتَ المُظَفَّرُ اتُّخِذَت دارُه المذكورة دارَ ضِيافَةٍ بِرَسْم الرُّسُل الواردين من الملوك ، واستمرَّت كذلك إلى أن انْقَرَضَت الدَّوْلَةُ ، فأَنْزَلَ بها السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين أَوْلادَ العاضِد ، إلى أن نَقَلَهم إلى قَلْعَة الجبَل الملكُ الكامِلُ محمد بن العادِل أبي بكر بن أيُّوب .

فلمَّا كان في سنة تسعٍ وسبعين وست مائة ، تقدَّم أَمْرُ الملكُ المنصورُ قَلاوون لوَكيل بَيْت المال القاضي مَجْد الدِّين عيسَىٰ بن الخَشَّاب ، ببَيْع دار المُظَفَّر ، فباعَ القاعَة الكبرىٰ وما هو من حُقوقِها ، وبيعت دارُ المُظَفَّر الصُّغرىٰ ، وهَدَمَها النَّاسُ وبَنَوْا في مَكانِها دُورًا .

وموضعُها الآن دارُ قاضي القُضاة شَمْس الدين محمد الطرابُلُسي الحَنَفي ، وما بجوارها إلى الدار التي بها سَكَني اليوم [٢]، وهي من حُقوق دار المُظَفَّر الصُّغْرىٰ ، على ما في كُتُبِها القَديمَة .

ولمَّا أنشأ قاضي القُضاة شَمْسُ الدين المذكور دارَه في سنة سبعٍ ، أو سنة ثمانٍ وثمانين وسبع مائة ، ظَهَرَ من تحت الأرضِ عند حَفْر الأساس حَجَرٌ عَظيمٌ ، قيل إنَّه عَتَبَة دار المُظَفَّر الكبرىٰ . وكان إذ ذاك الأميرُ جَهارْكَس الخَليلي يتولَّى عِمارَة مَدْرَسَة الملك الظَّاهِر بَرْقوق التي في خُطّ بَيْن القَصْرَيْن [٣]، فلمَّا بَلَغه خَبَرُ هذا الحَجَر بَعَثَ إليه ، وأَمَرَ بجَرِّه إلى العِمارَة ، فعُمَل عَتَبَة باب المُزَمَّلَة التي للمَدْرَسَة .

وكان من وَراءِ هذه الدَّار رَحْبَةُ الأَفْيال ، أدْرَكتها ساحَةً ثم عُمِّر فيها .

قال ابنُ الطُّوَيْر : الخِدْمَةُ المعروفة بـ « النِّيابَة للقاء المترسِّلين [a]» ـ وهي خِدْمَةٌ جليلةٌ ـ يُقالُ لمُتَولِّيها : « النَّائِب » ، ويُنْعَت بـ « عَديّ المُـلْك » ، وهو يَنُوب عن صَاحِب الباب [٤] في لِقاء الرُّسُل الوافِدين عن مَسافَةٍ ، وإنزال كلِّ واحِدٍ في دارٍ تَصْلُح له ، ويُقيمُ له من يقوم بخِدْمَتِه ، وله نَظيرٌ في دار الضِّيافَة ـ وهو يسمَّى اليوم بِمِهْمَنْدار ـ ويرتِّب لهم ما يحتاجون إليه ، ولا يُمَكِّن أحَدًا من

---

a) بولاق : المرسلين .

---

[١] فيما يلي ٢: ٥٢ - ٥٣.

[٢] عن دار المقريزي بحارة برجوان انظر فيما يلي ٢: ٢٥٣، ومقدمة المجلد الأول ١: ٣٩*.

[٣] فيما يلي المسودة .

[٤] صاحب الباب . من الأمراء المُطَوَّقين وهي وظيفة تلي رتبة الوزارة ويقال لها : الوزارة الصغرى (ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٢٢؛ Ayman F. Sayyid, *EI*² art. *Sâhib al-bâb* VIII p. 860؛ وفيما تقدم ٣٣٩).

الاجتماع بهم، ويُذَكِّر صاحِبَ الباب بهم، ويُبالِغ في نَجازِ ما وَصَلُوا فيه.

وهو الذي يُسَلِّم بهم أبدًا عند الخَليفَة والوَزير، ويَنْفُذ بهم ويستأذن عليهم. ويَدْخُل الرَّسولُ وصاحِبُ الباب قابضٌ على يده اليُمْنَى، والنَّائِب بيده اليُسْرَى، فيَحْفَظ ما يقولون وما يُقالُ لهم، ويجتهد في انْفِصالهم على أحْسَن الوُجوه، وبين يديه من الفَرّاشين المقدَّم ذكرهم عَدَّةٌ لإعانته، وإذا غابَ أقامَ عنه نائِبًا إلى أن يعود، وله من الجاري خمسون دينارًا في كلِّ شهر، وفي اليوم نصف قِنْطار خُبْز، وقد يَهْدي إليه المُرْسَلون طُرَفًا فلا يتناولها إلَّا بإذن [1]. انتهى.

وفي هذه الدولة التركية يُقالُ لمتولِّي هذه الوَظيفَة: «مِهْمَنْدار»، ولا يَليها عندهم إلَّا صاحِبُ سَيْفٍ من الأُمَراء العَشْراوات. وكانت في الدولة الفاطِمية، على ما ذَكَرَه ابنُ الطُّوَيْر، لا يليها إلَّا أعْيانُ العُدول وأرْبابُ العَمائِم، ويُنْعَت أبدًا بـ «عَدِيّ المُلْك». وأَصْلُ هذه الكلمة بالفارسية مِهْمان دار (ومعناها: مُتَلَقِّي الضُّيُوف).

ذِكْرُ إسْطَبْل الحُجَرِيَّة

وكان بجوارِ دار الضِّيافة إسْطَبْلُ الصِّبْيان الحُجَرِيَّة المُقَدَّم ذكرهم [2]. ومَوْضِعُ هذا الإسْطَبْل اليوم يُعْرَف بخان الوِرَاقَة، داخل باب الفُتُوح القَديم بسُوق المُرَحِّلين، على يَسْرَة من أرادَ الخُروج من باب الفُتُوح القَديم، تِجاه زيادة الجامِع الحاكِمي.

ومن حُقوق هذا الإسْطَبْل أيضًا المَوْضِعُ الذي فيه الآن القَيْسارية المعروفة بقَيْسارية السُّتّ [3]، التي هي اليوم تِجاه المَدْرَسَة الصَّيْرَمِيَّة والجَمَلون الصَّغير. وكانت بهذا الإسْطَبْل خُيولُ الصِّبْيان الحُجَرِيَّة، إحدى طوائِف العَساكِر في زَمَن الخُلَفاء الفاطِميين.

/ ذِكْرُ مَطْبَخ القَصْر ١

وكان بجوار القَصْر الغَرْبي، قُبالَة باب الزُّهُومَة من القَصْر الكبير «مَطْبَخُ القَصْر» وموضعه الآن الصَّاغَة تِجاه المَدارِس الصَّالِحِيَّة. ولمَّا كانت مَطْبَخًا كان يُخْرَج إليه من باب الزُّهُومَة. وذَكَرَ

---

[1] ابن الطوير: نزهة المقلتين ١١٨؛ ابن الفرات: تاريخ الدول ٤/١: ١٤٧؛ القلقشندي: صبح ٣: ٤٨٤؛ المقريزي: المسودة ٢٥٠-٢٥١ واتعاظ الحنفا ٣: ٣٤٢؛ وفيما تقدم ٣٣٩.

[2] فيما تقدم ٤٥٣ - ٤٥٤.

[3] لم يفردها المقريزي في ذكر القياسر.

ابنُ عبد الظَّاهِر أنَّه كان يَخْرُج من المَطْبَخ المذكور مدَّة شهر رَمَضان ، ألف ومائتا قِدْر من جَميع ألوان الطَّعام ، تُفَرَّق كلَّ يوم على أرْباب الرُّسوم والضُّعَفاء [1] .

دَرْبُ السِّلْسِلَة

وكان بجوار مَطْبَخ القَصْر دَرْبُ السِّلْسِلَة [2] . قال ابنُ الطُّوَيْر : ويبيتُ خارجَ باب القصر في كلِّ لَيْلَة خمسون فارِسًا . فإذا أُذِّن بالعشاء الآخرة داخِل القَاعَة ، وصَلَّى الإمامُ الرَّاتبُ بها بالمقيمين فيها من الأُسْتاذين وغيرهم ، وَقَفَ على باب القصر أميرٌ يُقالُ له سِنانُ الدَّوْلَة بن الكَرْكَنْدي [3] ، فإذا علم بفَراغ الصَّلاة أَمَرَ بضَرْب النَّوْبات من الطَّبْل والبُوق ولَوَاحِقهما من عِدَّة وافِرَة ، بطَرائق مستحسنة مُدَّة ساعَة زمانية [4] . ثم يَخْرُج بعد ذلك أُسْتاذٌ برسْم هذه الخِدْمَة فيقول : أميرُ المؤمنين يَرُدّ على سِنان الدَّوْلَة السَّلام ، فيَصْقَع [5] ويَغْرِس حَرْبَةً على الباب ، ثم يَرْفَعها بيده ، فإذا رَفَعَها أُغْلِقَ البابُ ، وسارَ حواليّ القصر سَبْع دورات . فإذا انتهى ذلك جَعَلَ على الباب البَيَّاتين والفَرَّاشين المقدَّم ذكرهم ، وانضوى[a][6] المؤذِّنون إلى خِزانَتِهم هناك ، وتُرْمَى السِّلْسِلَة عند المضيق آخر بَيْنَ القَصْرَيْن من جانب السُّيوفيين [7] فينقطع المارُّ من ذلك المكان إلى أن تُضْرب النَّوْبةُ سَحَرًا قرب الفَجْر ، فتنصرف النَّاسُ من هناك بارتفاع السِّلْسِلَة [8] .

---

a) بولاق : انصرف .

---

[1] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٥٨؛ المقريزي : المسودة ٢٤١؛ القلقشندي : صبح ٣: ٣٤٦، ٤٧٦؛ أبو المحاسن : النجوم ٤: ٥٣؛ وفيما يلي ٢: ١٠٢؛ و Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 237-39.

[2] فيما يلي ٢: ٣٨.

[3] أضاف القلقشندي أنه يقوم مقام أمير جانْدار في عصر المماليك (صبح ٣: ٥١٨) ، وانظر فيما يلي ٢: ٢٢٢.

[4] منع الحاكم بأمر الله في سنة ٤٠٣هـ من ضرب الطبول والأبواق حول القصر في الليل ـ لأنها كانت تؤرّق النائمين في أغلب الظن ـ فصار الحرّاس يطوفون بغير طبل ولا بوق . (المقريزي : اتعاظ ٢: ٩٦) .

[5] يَصْقَع أي يصيح (الزبيدي : تاج العروس ٥: ٤١٤) .

[6] انضوى أي لجأ (الفيروزأبادي : القاموس المحيط ١٦٨٤) .

[7] المقصود سوق السيوفيين الذي كان يقع عند المدخل الجنوبي الغربي لميدان بين القصرين . وكانت السلسلة تقع في الموضع الذي يحدّده اليوم التقاء شارع المعز لدين الله مع شارع جوهر القائد .

[8] ابن الطوير : نزهة ٢١٠- ٢١١؛ المقريزي : المسودة ٧٥-٧٦، وفيما يلي ٢: ٢٨، وقارن مع القلقشندي : صبح ٥١٨، ٥١٩؛ ناصر خسرو : سفرنامه ٨٩ (كيفية حراسة القصر سنة ٤٤٠هـ)؛ Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 298-99.

وقال ابنُ عبد الظَّاهِر : دَرْبُ السَّلْسلَة الذي هو الآن إلى جانب السُّيوفيين ، كانت عنده سِلْسِلَةٌ منه إلى قُبالَته تُعَلَّق كلّ يوم من الظهر حتى لا يَعْبُر راكبٌ تحت القصر . وهذا الدَّرْبُ يُعْرَف ببِستان الدَّوْلة بن الكَرْكَنْدِي . وهذا الدَّرْبُ هو المختص بالنَّقيرَة[a].

وهذه النَّقيرَة[a] أمرها مستظرف لا من قِبَل الحُسْن بل من قِبَل التعجُّب من العُقُول ، ولها خمسة أوْقات ،وهي : ليالي العيدَيْن ، وغُرَّة السَّنَة ، وغُرَّة شهر رَمَضان ، ويَوْم فَتْح الخَليج . وهو أنّه يقف راكبًا في وَسَط الزُّلاقَة التي لباب الذَّهب قُبالَة الدار القُطْبِيَّة ، فيخرج إليه السَّلامُ من الخَليفَة ، ثم تخدم الرَّهَجِيَّةُ ، ثم يَصْعَد على كَنْدجَةٍ[b][1] باب الزُّهومة وقُدّامه دَوابُّ المِظَلَّة يَمْنَةً ويَسْرَةً ، والرَّهَجِيَّةُ تَخْدم ، وأرْباب الضَّوْء ومستخدمو الطُّرُق على السَّلْسِلَة .

فإذا كان الطَّوْف وَصَلُوا إليه ، واجتمعت الرَّهَجِيَّةُ كلُّهم ، ورَكِبَ فَرَسًا وعليه ثِيابٌ حَسَنَة ، وكَشَفَ عن راياتِه وأَخَذَ بيده رُمْحًا ، واجتمعت الرَّهَجِيَّةُ حَوْلَه ، ويعبر مشورًا وأولئك خَلْفَه بالصُّراخ والصِّياح بشِعار الإمام ، ثم يسير بذلك الجَمْع وخَيْل المِظَلَّة إلى أبواب القصر ، فيقف عند كلِّ بابٍ وتخدم الرَّهَجِيَّةُ إلى أن يعودوا إلى باب الذَّهَب ، ثم إلى دارِ الوَزارة للهَنَاء . فلم يزالوا كذلك إلى قُبالَة باب[c] ابن الكَرْكَنْدِي فبَطَلَت هذه السُّنَّة في الأيام الآمِرِيَّة .

وصاحِبُ النَّقيرَة[a] ممَّن وَصَل آباؤه صُحْبَة المُعِزّ لدين الله من بلاد المغرب ، فكانت هذه سُنَّتهم[2].

ذِكْرُ الدَّارِ المَأْمُونِيَّة

وكان بجوار دَرْب السَّلْسِلَة الدارُ المَأْمُونِيَّة وهي المَدْرَسَة السُّيُوفِيَّة[3]، وكانت هذه الدَّارُ سَكَنُ المَأْمُون بن البَطائِحي ، وعُرِفَت قَديمًا بقَوام الدَّوْلَة حَبُوب ثم عُرِفَت بالمَأْمُون محمد بن فاتِك .

---

a) بولاق وسائر النسخ : التقفيزة ، والمثبت من ابن عبد الظاهر . b) بولاق : كندرة . c) بولاق وسائر النسخ : ولاية ، والمثبت من ابن عبد الظاهر .

---

[1] كَنْدَجَة . كَمَرَةٌ تستخدم لبناء الأقبية والعقود (عبد الرحيم غالب : موسوعة العمارة الإسلامية ٣٢٧) .

[2] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٥٩ - ٦٠.

[3] فيما يلي ٢ : ٣٦٥.

ذِكْرُ [a] **المـأمُون البَطائِحي** ـ هو أبو عبد الله محمد بن الأمير نُور الدَّوْلَة أبي شُجاع فاتِك بن الأمير مُنْجِد الدَّوْلَة أبي الحَسَن مُخْتَار المُسْتَنْصِري [1]. اتَّصَل بخدمة الأَفْضَل بن أمير الجُيُوش في شهر شَوَّال سنة إحدى وخمس مائة عندما تَغَيَّر على تاج المعالي مُخْتار الذي كان اصْطَنَعَه وفَخَّم أَمْرَه وسَلَّم إليه خَزائن أمْوالِه وكُسْواتِه، وسَلَّم ما كان بيده من الخِدْمَة لمحمد بن فاتِك، فتصَرَّف فيها.

وقَرَّرَ له الأَفْضَلُ ما كان باسم مُخْتار من العَيْن خاصَّةً دون الإقْطَاع، وهو مائة دينار في كلِّ شهر وثلاثون دينارًا عن جاري الخَزائِن، مُضافًا إلى الأَصْنافِ الرَّاتِبَة مُياوِمَةً ومُشاهَرَةً ومُسانَهَةً. فحَسُنَ عند الأَفْضَل مَوْقِعُ خِدْمَته فاعْتَمَد عليه وسَلَّم له جَميعَ أُموره، وصَرَّفه في كلِّ أَحْوالِه. فلمَّا كَثُرَ عليه الشُّغْل، استعان بأَخَوَيْه أبي تُراب حَيْدَرة وأبي الفَضْل جَعْفَر، فأَطْلَقَ الأَفْضَلُ لهما ما وَسَّع به عليهما من المُياوَمَة والمُشاهَرَة والمُسانَهَة. ونَعَته الأَفْضَل بـ «القَـــائِد»، فصارَ يُخاطَب بـ «القائِد» ويُكاتَبُ به، وصارَ عنده بمَنْزِلَة الأُسْتاذار.

فلمَّا قُتِلَ الأَفْضَلُ ليلة عيد الفِطْر من سنة خمس عشرة وخمس مائة، قام القائِدُ أبو عبد الله بن فاتِك لخِدْمَة الخَليفَة الآمِر بأحكام الله، وأَطْلَعه على أمْوالِ الأَفْضَل، وبالَغَ في مُناصَحَته حتى لقد اتُّهِم أنَّه هو الذي دَبَّر في قَتْل الأَفْضَل بإشارَة الخَليفَة. /فخَلَعَ عليه الآمِرُ في مستهلِّ ذي القعدة ٤٦٣:١ بمَجْلس اللُّعْبَة من القصر [2]، وهو المَجْلِس الذي يجلس فيه الخَليفَة، ولم يُخْلع قَبْلَه على أَحَدٍ فيه، وحَلَّ المِنْطَقَة من وَسَطه، وخَلَعَ على وَلَدِه وحَلَّ مِنْطَقته، وخَلَع على إخْوته.

---

a) ساقطة من بولاق.

---

[1] المصدر الرئيس لترجمة الوزير محمد بن فاتك المعروف بالمأمون بن البطائحي هو كتاب «أخبار مصر» أو «السيرة المأمونية» الذي كتبه ابنه الأمير جمال الملك أبو عليّ موسىٰ بن المأمون، المتوفى سنة ٥٨٨هـ (المقريزي: السلوك ١:١١١). وحَفِظَ لنا المقريزي القسم الأكبر من هذه السيرة فيما نقله عنها في الخطط واتعاظ الحنفا والترجمة المطوّلة التي خصّصها للوزير المأمون البطائحي في كتابه المقفى الكبير. (راجع، ابن المأمون: أخبار مصر ٣– ١٠٥؛ ابن الصيرفي: الإشارة إلى من نال الوزارة ١٠٣– ١٠٧؛ ابن ميسر: أخبار مصر ٨٧– ١٠٥؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨:٢٨٨– ٢٩٢؛ المقريزي: المقفى الكبير ٦:٤٧٨– ٥٠٠؛ Dunlop, D. M., *EI*[2] art. *al-Batâ'ihî*, I, pp. 1124; Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 483-537؛ وفيما تقدم ٤٤٦– ٤٤٧).

[2] انظر فيما تقدم ٤٤٦.

واستمرَّ تنفيذُ الأُمُور إليه إلى أنْ استهلَّ ذو الحِجَّة ، ففي يوم الجُمُعَة ثانيه خُلِعَ عليه من الملابس الخاصّ [الشَّريفَة][a] في فَرْد كُمّ مَجْلِس اللُّعْبَة ، [وطُوِّق بـ][a] طَوْقِ ذَهَب مُرَصَّع وسَيْفِ ذَهَب كذلك ، وسَلَّمَ على الخَليفَة .

وتَقَدَّم الأَمْرُ للأُمَرَاء وكافَّة الأُسْتاذين المُحَنَّكين بالخُروج بين يديه ، وأن يركب من المكان الذي كان الأَفْضَلُ يركب منه ، ومَشَى في رِكابِه القُوَّادُ على عادَة من تقدَّمه ، وخَرَجَ بتَشْريف الوَزارَة ، وَدَخَلَ من باب العيد راكِبًا . ووَصَلَ إلى دَارِه ، فضاعَف الرُّسوم وأطلق الهِبات .

فلمَّا كان يوم الاثنين خامسه ، اجتمع الأُمَرَاءُ بين يدي الخَليفَة ، وأُحْضِرَ السِّجلُّ في لُفافَة خاصّ مذهبة ، فسَلَّمه الخَليفَةُ له من يده ، فقَبَّله وسَلَّمه لزِمام القصر ، فأَمَرَه الخَليفَةُ بالجُلُوس إلى جانبه عن يمينه ، وقُرِئَ السِّجلُّ على باب المَجْلس ، وهو أَوَّلُ سِجِلٍّ قُرِئَ هناك ، وكانت سِجِلاّتُ الوَزَرَاء قبل ذلك تُقْرَأ بالإيوان[1] .

ورُسِمَ للشَّيْخ أبي الحَسَن بن أبي أُسامَة ، كاتِب الدَّسْت ، أن يَنْقِل نِسْبَة الأُمَرَاء والمُحَنَّكين من الآمِري إلى المَأْموني ، وكذا النَّاس أَجْمَع ، ولم يَكُن أَحَدٌ ينتسب إلى الأَفْضَل ولا لأَمير الجُيُوش ، وقُدِّمَت له الدَّواةُ فعَلَّم في مَجْلِس الخَليفَة . ونُعِت بـ « السَّيِّد الأَجَلّ المَأْمُون تاج الخِلافَة ، وَجِيه المُلْك ، فَخْر الصَّنائِع ، ذُخْر أمير المؤمنين عِزّ الإسْلام ، فَخْر الأنام نِظام الدِّين ، أمير الجُيُوش ، سَيْف الإسْلام ناصِر الإمام[b] ، كافِل قُضاة المُسْلمين ، وهادِي دُعاة المُؤْمنين » .

وكان يجلسُ بداره في يومي الأَحَد والأَرْبَعاء للراحَة و النَّفَقَة في العسكر الفارِس[c] البساطِيَّة إلى الظُّهْر ، ثم يَرْفَع النَّفَقَة ويَحُطّ السِّماط ، ويجلس بعد العَصْر والكُتَّاب بين يديه ، فيُنْفِق في الراجِل إلى آخر النَّهار .

وفي يوم الجُمُعَة يُطْلَق للمُقْرِئين بحَضْرَتِه خمسة دَنانير ، ولكلٍّ من هو مستمرّ القِراءَة على بابه من الضُّعَفاء والأُجَرَاء ممَّا هو ثابِتٌ بأسمائهم خمس مائة درهم ، ولبَقِيَّة الضُّعَفاء والمساكين خمس مائة درهمٍ أخرى . فإذا تَوَجَّه يومَ الجُمُعَة إلى القَرافَة يكون المبلغ المذكور مستقرًّا لأَرْبابِه .

---

a) زيادة من المقفى الكبير . b) بولاق : الأنام . c) ساقطة من بولاق .

---

[1] فيما تقدم ٤٤٧ .

ولم يَزَل إلى ليلة السَّبْت الرابع من رَمَضان سنة تسع عشرة وخمس مائة ، فقَبَضَ الآمِرُ المذكور عليه وعلى إخْوَته الخمسة مع ثلاثين رَجُلًا من خَواصِّه وأهله واعتقله ، ثم صَلَبَه مع إخْوَته في سنة اثنتين وعشرين . وقيل : إنَّ سَبَبَ القَبْض عليه ما بَلَغ الآمِرَ عنه أنَّه بَعَثَ إلى الأمير جَعْفَر بن المُسْتَعْلِي يُغْريه بقَتْل أخيه ليُقيمه مكانَه في الخِلافَة ، وكان الذي بَلَّغَ الآمِرَ ذلك الشَّيخُ أبو الحَسَن بن أبي أُسامَة . وبَلَغَه أيضًا عنه أنَّه سَيَّرَ نَجيب الدَّوْلَة أبا الحَسَن إلى اليَمَن ليَضْرب سِكَّةً عليها « الإمام المُخْتار محمد بن نِزار » . وذُكِرَ عنه أنَّه سَمَّ شيئًا ودَفَعَه لفَصَّاد الخَليفَة فنَمَّ عليه الفَصَّادُ .

وكان مَوْلِدُ المأْمون في سنة ثمانٍ وسبعين وأربع مائة ، وكان من ذَوي الآراء والمعرفة التامَّة بتَدْبير الدُّول ، كريمًا واسِعَ الصَّدْر ، سَفَّاكًا للدِّماء ، كَثيرَ التحرُّز والتطلُّع إلى معرفة أحوالِ النَّاس من العَامَّة والجُنْد ، فكَثُرَ الوُشاةُ في أيَّامِه .

حَبْسُ المَعُونَة

وكان بجِوار الدَّار المأْمونية حَبْسُ المَعُونَة ، وموضعه اليوم قَيْسارِيَّة العَنْبَر[1] .

قال ابنُ المأْمُون : في سنة سبع عشرة وخمس مائة ، تقدَّم أَمْرُ المأْمُون إلى الواليين بمصر والقاهِرَة[a] بإحْضَارِ عُرَفاء السَّقَّائين وأَخْذِ الحُجَج على المتعيِّشين[b] منهم بالقاهِرَة بحضورهم مَتى دَعَت الحاجَةُ إليهم ليلًا ونَهارًا ، وكذلك يعتمد في القِرَبيِّين ـ [c]الذين يحملون الماءَ في القِرَبِ[c] ـ وأن يبيتوا على باب كل مَعُونَة ومعهم عشرة[d] من الفَعَلَة بالطَّواري والمساحي ، [c]وألزم الواليين[c] أن يَقُوما لهم بالعَشَاء من أموالهما بحُكْم فَقْرِهم[2] . انتهى .

وكان حَبْسُ المَعُونَة هذا يُسْجَن فيه أرْبابُ الجَرائِم كما هو اليوم السِّجْن المعروف بخِزانَة شَمائِل[3] ، وأمَّا الأُمَراءُ والأعْيَانُ فيُسْجَنون بخِزانَة البُنُود كما تقدَّم[4] . ولم يَزَل هذا المَوْضِعُ سِجْنًا مُدَّة الدولة الفاطِمية ومُدَّة دولة بني أَيّوب ، إلى أن عَمَّره الملك المنصور قَلاوون

a) المسودة : لكل من والبي القاهرة ومصر . b) المسودة : والزام المتعيشين . c-c) زيادة من المسودة . d) المسودة : عدة .

[1] فيما يلي ٢ : ٨٩.

[2] ابن المأمون : أخبار مصر ٦٩ - ٧٠؛ المقريزي : المسودة ٤٢٧ ، وقارن اتعاظ الحنفا ٣ : ١٠٠.

[3] هدم هذا السجن في سنة ٨١٨هـ عندما بدأ السلطان المؤيد شيخ في بناء المدرسة المؤيدية على يسار الداخل من باب زويلة ، مما يدل على أن المقريزي كتب هذا القسم من الخطط قبل هذا التاريخ ، وانظر فيما يلي ٢ : ٣٢٨.

[4] فيما تقدم ٣٩٧ - ٣٩٨.

قَيْسارِيَّةٌ أُسْكِنَ فيها العَنْبَرانِيينَ في سنة ثمانين وست مائة [١].

ذِكْرُ الحِسْبَة ودار العِيار

وكان بجوار حَبْس المَعُونَة دِكَّةُ الحِسْبَة ومكانُها اليوم يُعْرَف بالأَبازِرَة ومَكْسَر الحَطَب، بجوار سُوق القَصَّارين والفَحّامين [٢].

قال ابنُ الطُّوَيْر: وأمَّا الحِسْبَةُ فإنَّ مَنْ تُسْنَد إليه لا يكون إلَّا من وُجُوه المُسلمين وأعْيان المعدَّلين؛ لأنَّها خِدْمَةٌ دينية، وله اسْتِخْدام النُّوَّاب عنه بالقاهِرَة ومصر وجَميع أعْمال الدولة كنُوَّاب الحُكْم، وله الجُلُوسُ[a] بجامعي القاهِرَة ومصر يومًا بعد يوم [٣].

ويَطُوفُ نُوَّابُه على أَرْباب الحِرَف والمعايِش، ويأمُرُ نُوَّابه بالخَتْم على قُدُور الهَرّاسين ونَظَر لَحْمِهم ومعرفة من جَزّاره، وكذلك الطَّبّاخون، ويتتبَّعون الطُّرُقات، ويمنعون من المُضايَقَة فيها، ويُلْزِمون رُؤَساء المراكِب ألَّا يحملوا أكثر من وَسْق[b] السَّلامَة، وكذلك مع الحَمّالين على البَهائِم.

/ويأخُذون[c] السَّقّائين بتغطية الرَّوايا بالأَكْسِية - ولهم عِيارٌ وهو أربعة وعشرون دلوًا، كلّ دَلْو أربعون رطلًا - وأن يلبسوا السَّراويلات القَصيرة الضّابِطَة لعَوْراتهم وهي زُرْق، ويُنْذِرون مُعَلِّمي المكاتب بألَّا يَضْربوا الصِّبْيان ضَرْبًا مبرِّحًا ولا في مَقْتَل، وكذلك مُعَلِّمُو العَوْم بتحذيرهم من التَّغْرير بأوْلادِ النّاس، ويقفون على من يكون سيِّئ المعاملة فيَنْهونَه بالرَّدْع والأَدَب، ويَنْظُرون المكاييل والمَوازين.

---

a) مسودة المواعظ: جلوس. b) المسودة: حد. c) بولاق: ويأمرون.

---

[١] انظر فيما يلي ٢: ٨٩، ١٠٢، ١٨٨، والمقريزي: مسودة المواعظ ٣٩٥، ٤٢٨.

[٢] المقريزي: المسودة ٣٢٠، وفيما يلي ٢: ٣٦. ويعادل موقع خط دكة الحِسْبَة اليوم المكان الواقع بين جامع الأشرف برسباي عند تقاطع شارع القائد جوهر مع شارع المعز لدين الله، والمكان القائم عليه الآن جامع الغوري وما وراءه تجاه الجنوب.

[٣] عن وظيفة المحتسب في العصر الفاطمي راجع، المسبحي: أخبار مصر ١٣-١٤؛ المقريزي: إغاثة الأمة ١٣-١٤، واتعاظ الحنفا ١: ١٢٠، ٢: ١٣٥، ١٦٤، ١٦٥؛ سهام مصطفى أبو زيد: الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكي، القاهرة ١٩٨٦، ٧٢، ٧٨؛ أيمن فؤاد سيد: «تنظيم العاصمة المصرية وإدارتها في زمن الفاطميين»، حوليات إسلامية ٢٤ (١٩٨٨)، ١٢.

وللمُحْتَسِب النَّظَرُ في دار العِيار ، ويُخْلَع عليه ويُقْرأ سِجِلُّه بمصر والقاهِرَة على المِنْبَر ، ولا يُحالُ بينه وبين مَصْلَحَةٍ إذا رآها ، والوُلاةُ تَشُدّ منه[a] إذا احتاج إلى ذلك ، وجاريه ثلاثون دينارًا في كلِّ شهر[1] . انتهى .

وكان للعِيار مَكانٌ يُعْرَف بدار العِيار تُعَيَّر فيه الموازين بأسرها وجَميع الصَّنَج . وكان يُنْفَق على هذه الدَّار من الديوان السُّلْطاني فيما تَحْتاج إليه من الأصْناف ، كالنُّحاس والحَديد والخَشَب والزُّجاج ، وغير ذلك من الآلات وأَجْر الصُّنّاع والمُشارِفين ونحوهم . ويَحْضُر المُحْتَسِبُ أو نائبُه إلى هذه الدار لِيُعَيِّر المعمول فيها بحُضُوره ، فإن صَحَّ ذلك أمْضَاه ، وإلّا أَمَرَ بإعادَة عَمَلِه حتى يَصِحّ .

وكان بهذه الدار أَمْثِلَةٌ يُصَحَّح بها العِيار ، فلا تُباعُ الصَّنَجُ والموازينُ والأكْيالُ إلّا بهذه الدَّار ، ويحضر جميع الباعَة إلى هذه الدَّار باسْتِدْعاء المُحْتَسب لهم ، ومعهم مَوازينُهم وصِنَجُهم ومَكاييلُهم ، فتُعَيَّر في كلِّ قَليل . فإن وُجِدَ فيها النَّاقِصُ اسْتُهْلِك وأُخِذَ من صاحِبِه لهذه الدَّار ، وأُلْزِمَ بشِراء نَظيره ممَّا هو مُحَرَّر بهذه الدَّار والقِيام بثمنه . ثم سُومِحَ النَّاسُ ، وصارَ يَلْزَم من يَظْهَر في ميزانه أو صِنَجِه خَلَلٌ بإصْلاح ما فيها من فَسَادٍ فَقَط والقيام بأُجْرَتِه فقط .

وما زالَت هذه الدَّارُ باقيةً جَميع الدَّوْلَة الفاطِمية ، فلمَّا استولَى صَلاحُ الدِّين على السَّلْطَنَة ، أقَرَّ هذه الدَّار ، وجَعلَها وَقْفًا على سُور القاهِرَة مع ما كان جاريًا في أوْقاف السُّور من الرِّباع والنَّواحي الجارية في ديوان الأسْوار[2] . وما زالَت هذه الدار باقية إلى b)[3] .

وكانت بدار العِيار خَراريبُ يُعْرَف بها الأوْزان منها أن السُّمّاق زِنَة الأردب منه ما بين مائة قِنْطار مصري وثلث إلى مائة وأربعين رطلًا ، والقُلَّة الزيت الحار مائة واثنا عشر رطلا مصريا ، والحمل الحَطَب السَّنْط مائة وعشرة أرطال ، والبُنْدُق يصح من الجيد فيه ثلاثة أرطال ونصف

---

a) بولاق : معه . b) ساقطة من بولاق ، وبعدها في آياصوفيا بياض مقدار سطرين .

---

[1] ابن الطوير : نزهة ١١٦– ١١٧؛ ابن الفرات : تاريخ الدول ١٤٦:١/٤– ١٤٧؛ القلقشندي : صبح ٣: ٤٨٣، وأضاف : «ورأيت في بعض سجلاتهم إضافة الحسبة بمصر والقاهرة إلى صاحبي الشرطة بهما أحيانًا» ؛ المقريزي : المسودة ٣٢٠–٣٢١ ، واتعاظ ٣: ٣٤٢.

[2] المقريزي : مسودة المواعظ ٣٢١– ٣٢٢؛ وانظر أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٥٤٨– ٥٤٩.

[3] موضع هذه العبارة في مسودة المواعظ : «وكانت هذه الدَّار في الموضع الذي يعرف اليوم [بياض]» .

وربع من الثلث، واللَّوْز يصح من قلبه نحو ألفي رطلٍ من كل قنطار، والفُسْتُق يصح من كل عشرة أرطال أربعة أرطال من القلب، والبيعة العَنْبَر بمصر سبع مثاقيل ونصف ورُبْع، وبالإسْكَنْدَرية عشرة مَثاقيل، والزَّعْفَران الشَّعر كل مَنٍّ منه مائتان وستون درهمًا عنها أربعة وعشرون أوقية كلّ أوقية عشرة دراهم ونصف وثلث. والطحون المَنّ مائتان وأربعون درهمًا، أربعة وعشرون أوقية كلّ أوقية عشرة دراهم. والحمل البَقْم الآمِري، وهو الرَّقيق منه والكولمي وهو الجافي منه ست مائة رطل بالمصري. والحَمْل الفُلْفُل خمس مائة رطل، والحَمْل القُطْن المَحْلوج خمس مائة وخمسون رطلًا وثلث رطل، والراوية القطران مائتان وثمانون رطلًا جرويًّا والمطر الزيت بالإسكندرية أحد وعشرون رطلًا وثلث رطل جَرْوي وهو أربعة أقساط وثلث كل قسط خمسة أرطال وثلث بالجَرْوي، والأرز الروي الويبة ستة عشر قَدَحًا وزنها ثلاثون رطلا بالجَرْوي يكون القِنْطار ثلاث وَيْبات وثلث والأردبّ مائة وثمانين رطلا بالجَرْوي، والأرز الغشيم الزاحي بغير تبييض يصح إذا بُشر أرز بياض بالمِلح خمس وَيْبات عن المائة أردب ثلاثة وثمانون أرْدَبًّا، والذّراع الحام ثلاثةُ أشبار وذِراع الحصر شبران والذراع الذي يُقاسُ به الحَبْل السميل ثلاثة أَذْرُع [١].

إسْطَبْلُ الجُمَّيْزَة

وكان بجوار القَصْر الغربي من قبليه[a] «إسْطَبْلُ الجُمَّيْزَة»، من جانِب باب السّاباط الذي هو الآن باب سِرّ المارِسْتان المنصوري. وقيل له إسْطَبْل الجُمَّيْزَة من أجل أنَّه كان في وَسَطِه شَجَرَة جِمِّيز كبيرة [٢].

وكان مَوْضِعُ هذا الإسْطَبْل تجاه من يخرج من باب السّاباط، فينزل من الحَدْرَة التي هي الآن تِجاه باب سِرّ المارِسْتان المتوصِّل منها إلى حارَة زَوِيلَة، ويمتدُّ فيما حاذاه يسارك إذا وَقَفْت بأوَّل هذه الحَدْرَة حيث الطَّاحُون الكبيرة التي هي الآن في أوْقافِ المارِسْتان وما وَراءَها، ويُحاذيها إلى المَوْضِع المعروف اليوم بالبُنْدُقانيين.

---

a) في المسودة: كان غربي القصر الصغير.

---

[١] هذه الفقرة أضافها المقريزي في مسودة المواعظ في طيارة غير واضحة كتبت بطول الورقة ولم يثبتها في المبيضة.

[٢] قارن المقريزي: مسودة المواعظ ٤٥، ونصه في غاية الاختصار، وأيضًا Fu'âd Sayyid, A., *op. cit.*, pp. 305-6.

وكانت بِئْرُه تُعْرَف بِبِئْر زَوِيلَة، وعليها ساقية تَنْقل الماء لشُرْب الخُيُول ومَوْضِعُ هذه البِئْر اليوم قَيْساريَّة تُعْرَف بقَيْساريَّة يُونُس تجاه دَرْب الأَنْجَب. وقد شاهَدْتُ هذه البِئْر لمَّا أنْشأ الأمير يُونُس الدَّوادار هذه القَيْساريَّة والرَّبْع علوّها، فرأيتُ بِئْرًا كبيرةً جدًّا، وقد عُقِدَ على فُوَّهَتها عَقْدٌ رُكِّب فوقه بعضُ القَيْساريَّة، وتُرِكَ منها شيء؛ ومنها الآن النَّاسُ تَسْقِي بالدِّلاء.

وما زالَ هذا الإسْطَبْلُ باقيًا إلى أن انقرضت الدَّوْلَةُ الفاطِمية فحُكِر، وبُنِيَ في مكانِه الآدُرُ التي هي موجودة الآن، وحِكْرُه جارٍ في أوقاف الصَّلاح الإرْبلي[a] الكامِلي[b]، وقد تقدَّم ذِكْرُ هذا الإسْطَبْل عند ذكر إسْطَبْل الطَّارِمَة، فانْظُر رُسُومَه هناك[1].

دارُ الدِّيباج

وكان بجوار إسْطَبْل الجُمَّيزَة[c] من غربيه دارُ الدِّيباج، وهي حيث المَدْرَسَة الصَّاحِبِيَّة بسُوَيْقَة الصَّاحِب، وما جاوَرَها من جانبها وما خَلْفَها إلى الوَزِيريَّة، وكانت هي دارَ الوَزارَة القَديمَة[2].

وأوَّلُ من أنشأها الوَزِيرُ يَعْقُوبُ بن يُوسُفُ[d] بن كِلِّس وَزِيرُ العَزِيز بالله، ثم سَكَنَها الوَزِيرُ النَّاصِرُ للدِّين قاضي القُضَاة وداعي الدُّعاة عَلَمُ المَجْد أبو محمد الحَسَن بن عليّ بن عبد الرَّحْمَن اليازوري.

وما زالَت سَكَنَ الوُزَراء إلى أن قَدِمَ أميرُ الجُيُوش بَدْرٌ الجَمَالي من عَكَّا، ووَزَرَ للمُسْتَنْصِر[e]، وصارَ وَزِيرًا مستبدًّا، فأنشأ دارَه بحارَة بَرْجَوان وسَكَنَها[3]، وسَكَنَ من بعده ابنُه الأفْضَلُ بن أمير الجُيُوش بدار القِباب التي عُرِفَت بدار الوَزارَة الكبرىٰ[4].

وصارَت هذه الدَّارُ تُعْرَف بدار الدِّيباج، لأنَّه يُعْمَل فيها الحَرير الدِّيباج، ويَتَوَلَّاها الأماثِلُ والأعْيانُ. فممَّن وَلِيهَا أبو سَعيد بن قِرْقَة الطَّبيب مُتَوَلِّي خَزائِن السِّلاح وخَزائِن السُّروج والصِّناعات[5].

---

a) بولاق: الأزبكي. b) إضافة من المسودة. c) في بولاق وسائر النُّسَخ: الطارمة وهو سبق قلم. d) بولاق: يونس. e) بولاق: ووزره المستنصر.

---

[1] فيما تقدم ٤٥٧ – ٤٥٩.
[2] فيما يلي ٢: ٣٧١.
[3] فيما يلي ٢: ٥٢.
[4] فيما تقدم ٤٣٨.
[5] فيما يلي ٢: ٦٣، ٨١.

فلمَّا انقرضت الدَّوْلَةُ الفاطِمية ، بَنَى النَّاسُ في مكانِ دار الدِّيباج المَدْرَسَة السَّيْفِيَّة ، وما وراءَها من المواضِع التي تُعْرَف أماكنُها اليوم بدَرْب الحَريري ، وما جاوَر هذا الدَّرْب إلى المَدْرَسَة الصَّاحِبيَّة وما بجوارها وما هو في ظَهْرِها . فصارَ يُعْرَف خُطُّ دار الدِّيباج في زَمَننا بخُطِّ سُوَيْقَة الصَّاحِب [١].

الأهْـرَاءُ السُّلطَانِيَّة

وكانت أَهْراءُ الغِلالِ السُّلْطانية ، في دَوْلَة الخُلَفَاء الفاطِميين ، حيث المواضِع التي فيها الآن خِزانَة شَمائِل [٢]، وما وَراءَها إلى قُرْب الحارَة الوَزِيريَّة .

قال ابنُ الطُّوَيْر : وأمَّا الأَهْرَاءُ فإنَّها كانت في عِدَّة / أماكِن بالقاهِرَة هي اليوم إسْطَبْلات ومُناخات ، وكانت تحتوي على ثلاث مائة ألف أرْدَبّ من الغلَّات وأكثر من ذلك . وكان فيها مَخازِن يسمَّى أحدها بَغْداد [a]، وآخر الغول ، وآخر القَرافَة . ولها الحُماةُ من الأُمَراء والمُشارِفون [b] من العُدول ، والمراكِبُ واصلة إليها بأصناف الغَلَّات إلى سَاحِل مصر وسَاحِل المَقْس ، والحَمَّالون يحملون ذلك إليها بالرَّسائل على يد رُؤَساء المراكِب وأُمنائِها من كلِّ ناحيةٍ سُلْطانية ، وأكثر ذلك من الوَجْه القِبْلي .

ومنها إطلاقُ الأَقْوات لأرْباب الرُّتَب والخِدَم وأرْباب الصَّدَقات وأرْباب الجَوامِع والمَساجِد ، وجِرايات العَبيد السُّودان بتَعْريفات [c]، وما يُنْفَق في الطَّواحين المُعَلَّقَة [d] برَسْم خاصّ الخَليفَة ، وهي طَواحينُ مداراتها [e] سِفْل وَطواحينُها عُلْو حتى لا تُقارب زَبْل الدَّواب [٣]، ويُحْمَل دقيقُها للخاصّ ، وما يختصُّ بالجِهات في خَرائِط من شُقَق حَلَبِيَّة .

ومن الأَهْراء [f] تَخْرُجُ جِراياتُ رجال الأُسْطُول ـ وفيها ما هو قَديمٌ يُقْطَع بالمَساحي ، ويُخْلَط في بعض الجِرايات بالجَديد بجِرايات المذكورين ـ وجِرايات السُّودان ، ومنها ما يُسْتَدْعَى بدار الضِّيافَة

---

a) بولاق : بغـداي . b) بولاق : المشارفين . c) المسودة : بتعريفات المجرمين . d) زيادة من مسودة المواعظ . e) النسخ وبولاق : مدارها والمثبت من المسودة . f) مسودة المواعظ : ومنها .

---

[١] فيما يلي ٢ : ٣٢، ١٠٤؛ المقريزي : مسودة المواعظ ١٣٢-١٣٣، ٣٦٨.

[٢] خزانة شمائل حل محلها بعد سنة ٨١٨هـ المدرسة المؤيدية التي أنشأها السلطان المؤيد شيخ المحمودي على يسار الداخل من باب زويلة . (فيما يلي ٢ : ٣٢٨، وفيما تقدم ٥١٥) .

[٣] القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٤٧٦ .

لأخباز الرُّسُل ومن يتبعهم ، وما يُعْمَل من القَمْح برَسْم الكَعْك لزاد الأُسْطُول . فلا يفتر مستخدمُوها من دَخْل وخَرْج ، ولهم جامَكِيّات[a] مميّزة وجرايات برَسْم أقواتِهم وشَعير لدَوابّهم[b] . وما يُقْبَض من الواصِلين بالغِلال[c] إلّا ما يُماثل العُيون المختومة معهم ، وإلّا ذُرّي وطُلِبَ العَجْزُ بالنسبة [1] .

وذكر ابنُ المأمون أنَّ غَلّاتَ الوَجْه القِبْلي كانت تُحْمَل إلى الأَهْرَاء . وأمّا الأعمال البَحْرية والبُحَيْرة والجزيرتان[2] والغَرْبيّة والكُفُور والأعمال الشَّرْقيّة ، فيُحْمَل منها اليَسير ، ويُحْمَل باقيها إلى الإسْكَنْدَرية ودِمْياط وتِنّيس ، ليُسَيَّر إلى ثَغْر عَسْقَلان وثَغْر صُور . وأنّه كان يُسَيِّر إليهما في كلِّ سنة مائة وعشرون ألف أردب : منها لعَسْقَلان خمسون ألفًا ، ولصُور سبعون ألفًا ، فيصير هناك ذَخِيرة ، ويُباعُ منها عند الغِنَى عنها . قال : وكان يَتَحَصَّلُ للدِّيوان في كلِّ سنة ألف ألف أردب [3] .

وذَكَرَ جامِعُ « السِّيرَة اليَازورية » أنَّ المَتْجَرَ كان يُقامُ به للديوان من الغَلَّة ، وأنَّ الوَزيرَ أبا محمد اليَازوري قال للخَليفَة المُسْتَنْصِر ـ وهو يومئذٍ يتقلّد وظيفَة قاضي القُضَاة ، وقد قَصُر النِّيل في سنة أربع وأربعين وأربع مائة ، ولم يكن بالمخازِن السُّلْطانِيّة غِلالٌ فاشتدت المَسْغَبَة ـ : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّ المَتْجَرَ الذي يُقامُ بالغَلَّة فيه أوْفَى مَضَرّة على المسلمين ورُبَّما انْحَطَّ[d] السِّعْرُ من مُشْتَراها ، ولا يمكن

---

a) بولاق : جامكية . b) المسودة : والشعير برسم دوابهم . c) المسودة : بالغلات . d) بولاق : أقحط .

---

[1] ابن الطوير : نزهة ١٣٩ - ١٤٠؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٢٤٦ - ٢٤٧ .

[2] الجزيرتان . هما جزيرة بني نصر وجزيرة قوسنيا ، وكانتا تقعان بين فُرْقَتي النيل الشرقية والغربية . كانت جزيرة بني نَصْر ـ وهي من المدن المندرسة الآن ـ تشمل المنطقة الواقعة على الشاطئ الشرقي لفرع رشيد من محلة اللبن التي بمركز كفر الزيات شمالًا إلى زاوية رزين بمركز منوف جنوبًا . ذكر المقريزي أنها منسوبة إلى بني نَصْر بن معاوية بن بَكْر بن هَوازِن ، كانت لهم شوكة شديدة بأرض مصر وكثروا حتى ملئوا أسفل الأرض وغلبوا عليها حتى قويت عليهم قبيلة لَواتَة فتركوا الخيام وصاروا أهل قرى في مكان عرف بهم وسط النيل هو هذه الجزيرة (فيما تقدم ١: ٢٢٦) . وسمِّيت جزيرة لأن ماء النيل كان يحيط بها فكان يحدها من الغرب فرع رشيد ومن الشرق ترعة الباجورية وفروعها (ابن مماتي : قوانين الدواوين ٩٥؛ القلقشندي : صبح ٣: ٥٠٤ - ٥٠٥؛ أبو المحاسن : النجوم ٩: ٣٨هـ[2]؛ محمد رمزي : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ١: ٢١٣ - ٢١٤) .

أما جزيرة قوسنيا أو قوسينا فهي مدينة قويسنا الحالية أحد أعمال الغربية (ابن مماتي : قوانين ١٦١؛ المقريزي : اتعاظ ٣: ٨٨؛ محمد رمزي : القاموس الجغرافي ق٢ ج٢ ص٢٠٤) .

[3] ابن المأمون : أخبار مصر ٩٥ - ٩٦؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٢٤٧ - ٢٤٨ مع خلاف في العبارة .

بَيْعُها ، فتتغيَّر في المخازِن وتتلَف . وأنَّه يُقامُ مَتْجَرٌ لا كُلْفَةَ فيه على النَّاس ، ويُفيد أضعاف فائِدة الغَلَّة ، ولا يُخْشَى عليه من تَغَيُّرٍ في المخازن ولا انْحِطاط سِعْر ، وهو الخَشَب والصَّابون والحَديد والرَّصاص والعَسَل وما أشبه ذلك . فأمْضَى الخَليفَةُ ما رآه ، واستمرَّ ذلك ، ودامَ الرَّخاءُ على النَّاس وتوسَّعوا [1] .

ذِكْرُ المَناظِر التي كانت للخُلَفاءِ الفاطميِّين ومَواضِع نُزَهِهم وما كان لهم فيها من أمورٍ جميلة

وكان للخُلَفاءِ الفاطِميين مَناظِرُ كثيرةٌ بالقاهِرَة ومصر والرَّوْضَة والقَرافَة وبِرْكَة الحَبَش وظَواهِر القاهِرَة ، وكانت لهم عِدَّةُ مُتَنَزَّهات أيضًا . فمن مَناظِرهم التي بالقاهِرَة : مَنْظَرَةُ الجامِع الأَزْهَر ، ومَنْظَرَةُ اللُّؤْلُؤَة على الخَليج ، ومَنْظَرَةُ الدُّكَّة ، ومَنْظَرَةُ المَقْس ، ومَنْظَرَةُ باب الفُتُوح ، ومَنْظَرَةُ البَعْل ، ومَنْظَرَةُ التَّاج والخَمْس وُجُوه ، ومَنْظَرَةُ الصِّناعَة بمصر ، ودارُ المُلْك ومَنازِلُ العِزّ والهَوْدَج بالرَّوْضَة ، ومَنْظَرَةُ بِرْكَة الحَبَش والأَنْدَلُس بالقَرافَة ، وقُبَّةُ الهَوَاء ، ومَنْظَرَةُ السُّكَّرَة .

وكان من مُتَنَزَّهاتِهم : كَسْرُ خَليج أبي المُنَجَّا ، وقَصْرُ الوَرْد بالخَرْقانِيَّة ، وبِرْكَةُ الجُبّ .

مَنْظَرَةُ الجامِع الأَزْهَر

وكان بجوار الجامِع الأَزْهَر من قِبْليه مَنْظَرَةٌ تُشْرِفُ على الجامِع الأَزْهَر [2] يَجْلِسُ الخَليفَةُ فيها لمُشاهَدَةِ ليالي الوَقُود .

ذِكْرُ ليالي الوَقُود ـ قال [a]الأمير المُخْتار عِزّ المُلْك محمد بن عبيد الله بن أحمد[a] المُسَبِّحِيُّ في [a]« تاريخه الكبير » ، ومنه نَقَلْتُ[a]: شهر رَجَب من سنة ثمانين وثلاث مائة وفيه ـ يعني خَرَجَ

a-a) زيادة من مسودة الخطط .

[1] المقريزي : إغاثة الأمة ٢٠ والاتعاظ ٢ : ٢٢٥ ، وفيما تقدم ١ : ٢٩٤؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٤٩٤ - ٤٩٥.

[2] وهي غير المنظرة الموجودة بالجامع والتي كان الخلفاء يجلسون فيها حين يأتون إلى الجامع للخطابة في شهر رمضان (المقريزي : المسودة ٢٧٩) .

النَّاسُ في لياليه ، على رَسْمِهم في ليالي الجُمَع ولَيْلَة النِّصْف ، إلى جامِع القاهِرَة - يعني الجامِع الأَزْهَر - عِوضًا عن القَرافَة ، وزِيدَ فيه في الوَقيد على حافات الجَامِع وحَوْل صَحْنه التَّنانير والقَناديل والشَّمْع على الرَّسْم في كلِّ سنة ، والأطعمة والحَلْوى والبَخور في مَجامِر الذَّهَب والفِضَّة وطِيفَ بها .

وحَضَرَ القاضي محمد بن النُّعْمان في لَيْلَة النِّصْف في المَقْصورَة[a] ومعه شهودُه و[b]جماعَة من[b] وُجوه البَلَد ، وقُدِّمَت إليه سِلالُ الحلوى والطَّعام ، وجَلَسَ بين يديه القُرَّاءُ وغيرهم والمُنْشدون والنَّاحَة . وأقامَ إلى نِصْف الليل ، وانْصَرفَ إلى دارِه بعد أن قَدَّم إلى من معه أطعمةً من عنده وبَخَّرَهم .

وقال في شَعْبان : وكان النَّاسُ في كلِّ لَيْلَة جُمُعَة ولَيْلَة النِّصْف ، على مثل ما كانوا عليه في رَجَب وأَزْيَد . قال[c] : وفي ليلة النِّصْف من شَعْبان كان/ (٤٦٦:١) للنَّاس جَمْعٌ عَظيمٌ بجامِع القاهِرَة من الفُقَهاء والقُرَّاء والمُنْشِدين ، وحَضَرَ القاضي محمَّد بن النُّعْمان في جَميع شُهودِه ووُجوه البَلَد ، ووُقِدَت التَّنانيرُ والمَصابيحُ على سَطْح الجامِع ودَوْر صَحْنه ، ووُضِعَ الشَّمْعُ على المَقْصورَة وفي مَجالِس العُلَماء ، وحَمَلَ إليهم العَزيزُ بالله الأطعمة والحَلْوى والبَخور ، فكان جَمْعًا عَظيمًا [1] .

قال : وفي شهر رَجَب سنة اثنتين وأربع مائة قُطِعَ الرَّسْمُ الجاري من الخُبْز والحَلْوى الذي يُقامُ في هذه الثلاثة الأشهر لمن يبيت بجامِع القاهِرَة في ليالي الجُمَع والأنْصاف ، وحَضَرَ قاضي القُضَاة مالِكُ بن سَعيد الفارِقي إلى جَامِع القاهِرَة لَيْلَة النِّصْف من رَجَب ، واجتمع النَّاسُ بالقَرافَة على ما جَرَت به رُسومُهم من كَثْرَة اللعب والمزاح[d] [2] .

رَوَى الفاكِهي في كتاب « [تاريخ][e] مَكَّة » أنَّ عُمَرَ بن الخَطَّاب - رضي الله عنه - كان يَصيح في أهل مَكَّة ويقول : يا أهلَ مَكَّة أَوْقِدوا لَيْلَة هِلال المُحَرَّم ، فأَوْضِحُوا فِجاجَكم لحاجّ بَيْت الله ، واحْرُسُوهم لَيْلَة هِلال المحرَّم حتى يُصْبحوا . وكان الأَمْرُ على ذلك بمَكَّة في هذه الليلة حتى كانت وِلايةُ عبد الله بن محمد بن دَاود على مَكَّة ، فأَمَر النَّاسَ أن يُوقِدوا لَيْلَة هِلال رَجَب ، فيحرسوا

a) بولاق والنسخ : بالمقصورة والمثبت من مسودة الخطط . b-b) زيادة من مسودة الخطط . c) زيادة من مسودة الخطط .
d) بعد ذلك بياض في الأصل . e) زيادة اقتضاها السياق .

[1] المسبحي : نصوص ضائعة ١٢-١٣؛ المقريزي : مسودة المواعظ ١٢٠ظ (بطاقة) .
[2] نفسه ٣٠؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٨٩ .

عُمّار أهْل اليمن ، ففَعَلوا ذلك في ولايته ، ثم تركوه بعد [١] .

وفي لَيْلَة النصف من رَجَب سنة خمس عشرة وأربع مائة ، حَضَر الخَليفَةُ الظّاهِر لإعْزاز دين الله أبو هاشِم عليّ بن الحاكِم بأمْر الله ومعه السَّيِّدات ، وخَدَمَ الخاصَّة وغيرهم وسائِر العامَّة والرَّعايا ، فجَلَسَ الخَليفَةُ في المَنْظَرَة [٢] .

وكان في لَيْلَة شَعْبان أيضًا اجتماعٌ لم يُشْهَد مثله من أيام العَزيز بالله ، وأُوْقِدَت المساجِدُ كلُّها أحسن وَقيد ، وكان مَشْهَدًا عَظيمًا بَعُدَ عَهْدُ الناس بمثله [٣]، لأنَّ الحاكِمَ بأمْر الله كان أَبْطَلَ ذلك فانقطع عمله .

وقال ابنُ المأمون : ولمَّا كانت لَيْلَةُ مستهلّ رَجَب ـ يعني من سنة ستٍّ عشرة وخمس مائة ـ عُمِلَت الأسْمِطَةُ الجاري بها العادَة ، وجَلَسَ الخَليفَةُ الآمِرُ بأحْكام الله عليها ، والأجَلُّ المأمون الوَزيرُ ومن جَرَت عادَته بين يديه . وأظْهَرَ الخَليفَةُ من المَسَرَّة والانْشِراح ما لم تَجْرِ به عادَتُه ،وبالَغ في شُكْرِ وَزيره وإطْرائِه ، وقال : قد أَعَدْت لدَوْلَتي بَهْجَتها ، وجَدَّدْت فيها من المَحَاسِن ما لم يكن ، وقد أَخَذَت الأيَّامُ نصيبَها من ذلك ، وبقيت اللَّيالي ـ وقد كان بها مَواسِمُ قد زالَ حُكْمُها ، وكان فيها تَوْسِعَةٌ وبِرٌّ ونَفَقات ـ وهي « ليالي الوَقود الأرْبَع » ، وقد آنَ وَقْتهنّ ، فأشتهي نَظَرهُنّ . فامْتَثَل الأمْرَ ، وتقدَّم بأن يُحْمَل إلى القاضي خمسون دينارًا يصرفها في ثَمَن الشَّمْع وأن يعتمد الرُّكوب في الأرْبَع اللَّيالي ـ وهي لَيْلَة مستهلّ رجَبَ ، ولَيْلَة نصفه ، ولَيْلَة مستهلّ شَعْبان ، ولَيْلَة نصفه ـ وأن يتقدَّم إلى جَميع الشُّهود بأن يركبوا صُحْبَتَه ، وأن يُطْلِق للجَوامِع والمَساجِد تَوْسِعَةً في الزَّيْت برَسْم الوَقود ، ويتقدَّم إلى مُتَوَلِّي بَيْت المال بأن يهتم برَسْم هذه اللَّيالي من أصْناف الحَلاوات ، ممَّا يجب برَسْم القُصُور ودار الوَزارَة خاصَّةً [٤] .

وقال : في سنة سبع عشرة وخمس مائة وفي اللَّيْلَة التي صَبيحتها مستهلّ رَجَب ، حَضَرَ القاضي أبو الحَجّاج يوسُف بن أيُّوب المَغْرِبي [٥] ، ووُقِّعَ له بما استجدَّ إطْلاقُه في العام الماضي ، وهو

---

[١] وليَ أبو العَبَّاس عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى العَبّاسي ولاية مكة سنتي ٢٤٠ و٢٤١ ، وأورد الفاسي هذا الخبر أيضًا عن الفاكهي . (الفاسي : العقد الثمين ٥: ٢٤٥) .

[٢] المسبحي : أخبار مصر ٤٨؛ المقريزي : اتعاظ ٢: ١٥١؛ مسودة الخطط ١٢٠ظ ؛ وانظر وصف ناصر خسرو لليالي الوقود سنة ٤٤٠هـ (سفرنامه ١٠٢) .

[٣] نفسه ٤٨؛ نفسه ٢: ١٥١، نفسه ١٢٠ظ .

[٤] ابن المأمون : أخبار مصر ٣٦؛ المقريزي : اتعاظ ٣: ٨٢.

[٥] القاضي أبو الحجاج يوسف بن أيوب بن إسماعيل=

خمسون دينارًا من بَيْت المال لابْتياع الشَّمْع برَسْم أوَّل ليلة رَجَب . واستدعى ما هو برَسْم [a]الخَليفَة وجِهاتِه ووزيره ممَّا يُصْنَع بالإيوان وهي عِدَّةُ أصناف وكذلك[a] ما هو برَسْم القَعْبَتين[b]: إحداهما للقُصُور[c]، والأخرى للدَّار المأمُونية ـ بحُكْم الصِّيام من مستهلّ رَجَب إلى سَلْخ رَمَضان ـ ممَّا يُصْنع في دار الفِطْرَة خُشْكَنانْج صَغير وبَسَنْدود، في كلِّ يوم قِنْطار سكر ومِثْقالان مِسْكًا وديناران مؤونة .

وكان يُطْلَق في الأَرْبع لليالي الوَقود ـ برَسْم الجَوامِع الستة : الأَزْهَر والأَنْوَر والأقْمَر بالقاهِرَة والطُّولوني والعَتيق بمصر، وجَامِع القَرافَة، والمَشاهِد التي تضمَّنَت الأعضاء الشَّريفة[1]، وبعض

a-a) ساقط من بولاق . b) بولاق : التعبتين . c) بولاق : إحداهما للمقصورة .

= الأندلسي كان قد أقرأ المؤتمن حيدرة بن فاتك أخا المأمون القرآن والنحو فولاه قضاء الغربية، ثم قرَّره الوزير المأمون في القضاء في ذي القعدة سنة ٥١٦. ولُقِّب «جلال الملك تاج الأحكام»، واشتمل سجله على توليته القضاء والخطابة والصلاة وديوان الأحباس ودار الضرب . وكانت وفاته في جمادى الآخرة وقيل في شوال سنة ٥٢١هـ . (ابن ميسر: أخبار مصر ١٠٦؛ المقريزي: اتعاظ ٢: ١١٩؛ ابن حجر: رفع الإصر ٤٧٣ - ٤٧٤) .

[1] المَشاهِد . هذه أقدم إشارة إلى منطقة المشاهِد الواقعة على الطريق المُوَصِّل بين القاهرة والفسطاط (امتداد الشارع الأعظم) تمثل مشهد السيدة سكينة ومشهد عاتكة والجعفري ومشهد السيدة رقية، بالإضافة إلى المشاهد الثلاثة المعلَّقة التي شيَّدها الخليفة الحاكم بأمر الله (فيما يلي مسودة) . وعرفت هذه المنطقة ازدهارًا عمرانيًا مع مطلع القرن السادس الهجري. (أبو عبيد البكري: جغرافية مصر من كتاب المسالك والممالك ٧٥؛ مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار ٨٣؛ الإدريسي: أنوار علوي الأجرام في الكشف عن أسرار الأهرام ٥٤؛ ابن دقماق: الانتصار ٤: ١٢١؛ المقريزي: السلوك ٢: ٥٤٣؛ Ragib, Y., «Les mausolées fatimides du quartier d'al-Masâhid», *An. Isl.* XVII (1981), pp. 1-30; Williams, C., «The Cult of ʿAlid Saints in the Fatimid Monuments of Cairo»- Part II: «The Mausolea», *Muqarnas* III (1985), pp. 39-60).

وتقع هذه المشاهد اليوم على يمين ويسار شارع الأشرفية فيما بين مشهد السيدة نفيسة جنوبًا وشارع الصليبة شمالًا .

ويطلق لفظ «المشاهد» أيضًا على تسعة من المشاهد الشريفة المدفون بها رفات آل بيت رسول الله ﷺ، تقع بين جبل المقطم والقرافة الكبرى هي : مشهد القاسم الشبيه، ومشهد السيدة كلثوم، ومشهد يحيى الشبيه، ومشهد الحسن والحسين (أو المحسن)، ومشهد السيدة آمنة، ومشهد علي بن عبد الله، ومشهد محمد بن عبد الله، ومشهد السيدة أم كلثوم، ومشهد السيدة زينب (راجع، ابن المأمون: أخبار مصر ٣٥، ٦٠، ٦٢، ٦٣، ٦٩؛ ابن ميسر: أخبار مصر ٩١؛ المقريزي: اتعاظ ٣: ٨١ والمقفى الكبير ٦: ٤٩٣ وفيما يلي ٢: ٢٦٤ و٤٣٦- ٤٤٢؛ Ragib, Y., «Les Sanctuaires des gens de la famille dans la cité des morts du Caire», *RSO* LI (1977), pp. 47-76; Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 644-57).

المساجِد التي لأرْبابها وَجاهَة ـ جملة كبيرة من الزَّيْت الطَّيِّب ، ويختص بجامِع راشِدَة ، وجامِع سَاحِل الغَلَّة بمصر[١] ، والجامع بالمَقْس ، يسير[٢] .

قال : ولقد حَدَّثني القاضي المكين بن حَيْدَرَة ـ وهو من أعْيان الشُّهود ـ أنَّ من جملة الخِدَم التي كانت بيده مُشارَفَةُ الجامِع العَتيق ، وأنَّ القَوَمَة بأجمعهم كانوا يجتمعون قبل لَيْلَة الوَقُود بمُدَّة إلى أن يُكْمِلوا ثمانية عشر ألف فَتيلَة ، وأنَّ المُطْلَقَ برَسْمه خاصَّة ، في كلِّ ليلة برَسْم وَقُوده ، أحَدَ عشر قِنْطارًا ونصف قِنْطار زَيْت طَيِّب[٣] .

وذَكَرَ رُكُوب القاضي والشُّهود في الليلة المذكورة على جاري العادة قال : وتوجَّه الوَزيرُ المأمُون يوم الجُمُعَة ثاني الشهر بمَوْكِبِه إلى مَشْهَد السَّيِّدَة نفيسَة وما بَعْدَه من المَشَاهِد ، ثم إلى جَامِع القَرافَة ،وبعده إلى الجَامِع العَتيق بمصر . وقد عَمَّ معروفُه جَميعَ الضُّعَفاء وقَوَمَة المَساجِد والمَشاهِد ، وصَلَّى الجُمُعَة . وعند انْقِضَاء الصَّلاة ، أَحْضَرَ إليه الشَّريفُ الخَطيبُ المُصْحَفَ الذي بخَطِّ أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فوَقَّعَ بإطْلاق ألف دينار من مالِه ، وأن يُصاغَ عليه فوق الحِلْيَة[a] الفِضَّة حِلْيَة ذَهَب ، وكَتَبَ عليه اسمه .

وفي الخامس عشر من الشهر المذكور لَيْلَة الوَقود ، جَرَى الحَالُ في رُكُوب القاضي وشُهودِه على التَّرتيب الذي تقدَّم في أوَّل الشهر . ولمَّا وَصَلَ إلى الجَامِع وَجدَه قد عُبِّئَ في الرِّواق الذي عَنْ يمين الخارج منه ، سِماطُ كَعْكٍ وخُشْكَنانَج وحَلْوَى ، فجلَس عليه بشُهُوده ،/١ ونَهَبَه الفُقَراءُ والمساكينُ ، وتَوَجَّه بعده إلى ما سِواه من جَامِع القَرافَة وغيره ، فوَجَدَ في رِواق الجامِع المذكور سِماطًا مثل السِّماط المذكور ، فاعتمد فيه على ما ذُكِرَ . وله أيضًا رَسْمُ صَدَقَة في هذا النصف للفُقَراء وأهْل الرُّبَط ، ممَّا يُفَرِّقه القاضي ، عشرة دنانير [b]وخمس مائة ـ درهم ، ولمَسْجِد الفَتْح وغيره تسعة دنانير[b] يُفَرِّقها القاضي[٤] .

وقال ابنُ الطُّوَيْر : إذا مَضَى النِّصْفُ من جُمادى الآخرة ـ وكان عَدَدُه عندهم تسعةً وعشرين يومًا ـ أُمِرَ أن يُسْبَك في خَزائن دار أَفْتكين ستُّون شَمْعَة ، وَزْن كلِّ شَمْعَة منها سُدْس قِنْطار

---

a) بولاق : حلية . b-b) ساقطة من بولاق .

---

[١] جامع ساحل الغلة هو جامع العَسْكَر ، فقد كان العَسْكَر قد خرب في ذلك الوقت وحملت أنقاضه وصار الجامع بساحل مصر (فيما يلي ٢٦٤:٢) .

[٢] ابن المأمون : أخبار مصر ٦٩، وفيما يلي ٢: ٢٦٤.

[٣] نفسه ١٠٤، وفيما يلي ٢: ٢٥٦.

[٤] ابن المأمون : أخبار مصر ٦٣- ٦٤.

بالمصري ، وحُمِلَت إلى دار قاضي القُضاة لِرُكوب لَيْلَة مستهلّ رَجَب . فإذا كان بعد صَلاة العَصْر من ذلك اليوم اهتم الشُّهودُ أيضًا ، فمنهم من يركب بثلاثِ شَمْعَات إلى اثنتين إلى واحِدَة . ويمضي أهْلُ مصر منهم إلى القاهِرَة ، فيُصَلُّون المغرب في الجَوامِع والمَساجِد ، ثم ينتظرون رُكوبَ القاضي ؛ فيَرْكَبُ من دَاره بهيئته وأمامَه الشَّمْعُ المحمول إليه مَوْقُودًا مع المَنْدوبين لذلك من الفَرّاشين من الطَّبَقَة السُّفْلى ، من كلِّ جانِبٍ ثلاثون شَمْعَة ، وبينهما المُؤَذِّنون بالجَوامِع يَذْكُرون الله تعالى ، ويَدْعون للخَليفَة والوَزير بترتيبٍ مُقَدَّرٍ مَحْفُوظ [1] . ويَنْدب في حُجْبته ثلاثة من نُوّاب الباب ، وعَشَرَة من الحُجّاب ، خارِجًا عن حُجّاب الحُكْم المستقرِّين وعدَّتهم خمسة في زِيّ الأُمَرَاء ، وفي رِكابِه القُرّاءُ يُطَرِّبون بالقِراءَة ، والشُّهودُ وراءَه على التَّرْتيب في جُلوسهم بمَجْلس الحُكْم الأَقْدَم فالأَقْدَم ، وحواليْ كلِّ واحدٍ ما له من شَمْع ؛ فيشُقُّون من أوَّل شارِع فيه دار القاضي إلى بَيْن القَصْرَيْن ، وقد اجتمع من العالَم في وَقْت جَوازهم ما لا يُحْصَى كَثْرَةً رجالًا ونساءً وصِبْيانًا ؛ بحيث لا يُعْرَف الرَّئيس من المرءوس وهو مارٌّ إلى أن يأتي هو والشُّهود باب الزُّمُرُّد من أبوابِ القصر في الرَّحْبَة الوَسيعَة تحت المَنْظَرَة العالية في السَّعَة العَظيمَة من الرَّحْبَة المذكورة ، وهي التي تُقابل دَرْب قَراصْيَا .

فيَحْضُر صاحِبُ الباب ووَالي القاهِرَة والقُرّاءُ والخُطَباءُ ـ كما شَرَحْنا في المواليد السِّتَّة [2] ـ ويترجَّلون تحتها رَيْثما يجلس الخَليفَةُ فيها وبين يديه شَمْعٌ ويبين شخصه ، ويحضر بين يديه الخُطَباءُ الثلاثة ويخْطُبون كالمواليد ، ويذكرون استهلال رَجَب وأنَّ هذا الرُّكوب علامَته ، ثم يُسَلِّم الأُسْتاذ من الطَّاقَةِ الأخرى اسْتِفْتاحًا وانْصِرافًا كما ذكرنا .

ثم يَرْكَبُ النَّاسُ إلى دار الوَزارَة ، فيدخُل القاضي والشُّهود إلى الوَزير فيجلس لهم في مَجْلِسِه ويُسَلِّمون عليه ، ويَخْطُب الخُطباءُ أيضًا بأَخَفّ من مَقام الخَليفَة ، ويَدْعون له ويَخْرُجون عنه ، فيَشُقُّ القاضي والجَماعَةُ القاهِرَة ، وينزل على باب كلِّ جَامِع بها ويُصَلّي ركعتين ؛ ثم يَخْرُجُ من باب زَوِيلَة طَالِبًا مصر بغير نِظام ، ووالي القاهِرَة في خِدْمَةِ القَوْم [a] ، مستكثرًا من الأعْوان والحَفَظَة

a) بولاق : في خدمته اليوم .

[1] حاشية بخط المؤلِّف : «كانت عادةُ خلفاء بني العَبّاس ببغداد أن تعمل دَعْوَة في رَجَب لجماعة من أهل العلم وأهل التَّصَوُّف ويعمل السَّماع ، فيقيمون يومين وليلة ؛ فلما ولي النَّاصِر أبْطَلَ ذلك ثم أعادَه . وكان يفرق في العلماء والفقهاء والصوفية عشرة آلاف ، فسار يقال للدار التي يجتمعون بها : دار الدَّعْوَة والسماع!» .

[2] فيما تقدم ٤٢٢ - ٤٢٥.

في الطُّرُقات إلى جامِع ابن طُولون ، فيدخُل القاضي إليه للصَّلاة فيجد والي مصر عنده للقِاء القَوْم وخِدْمَتهم ، فيدخُل المَشاهِدَ التي في طَريقِه أيضًا . فإذا وَصَلَ إلى باب مصر تَرَتَّب كما تَرَتَّب في القاهِرَة ، وصارَ شاقًّا الشَّارِعَ الأعْظَم إلى باب الجامِع من الزِّيادَة التي يَحْكُم فيها ، فيُوقَد له التَّنُّور الفِضَّة الذي كان مُعَلَّقًا فيه ، وكان مَليحًا في شكله وتَعْليقه غير مُنافِر في الطُّول والعَرْض ، واسِع التَّدْوير ، فيه عَشْر مَناطِق في كلِّ مِنْطَقَة مائة وعشرون بُزاقة ، وفيه سَرَوات بارِزة مثل النَّخيل ، في كلِّ واحِدَةٍ عِدَّة بُزاقات ، تقرب عِدَّةُ ذلك من ثلاث مائة ، ومعلَّق بدائِر سِفْله مائة قِنْديل نجومية . ويَخْرُجُ من الجامِع[a] فإن كان ساكِنًا بمصر استقرَّ بها ، وإن كان ساكِنًا بالقاهِرَة وَقَفَ له والي القاهِرَة بجَامِع ابن طُولون ، فيودِّعه والي مصر ، ويسير معه والي القاهِرَة إلى دارِه .

فإذا مَضَى من رَجَب أربعة عشر يومًا ، رَكِبَ ليلة الخامِس عشر كذلك ، وفيه زيادة طُلُوعه ـ بعد صَلاته بجامِع مصر ـ إلى القَرافَة ليُصَلِّي في جامِعها ، والنَّاسُ يجتمعون له لينظروه ومَنْ معه في كلِّ مكان ، ولا يَمَلُّون من ذلك .

فإذا انْقَضَت هذه الليلة ، اسْتُدْعي منه الشَّمْع ليُكْمَل نَقْصُه[b]، حتى يركب به في أوَّل شَعْبان ونصفه على الهَيْئَة المذكورة ، والأسْواق معمورة بالحَلْواء ، ويتفرَّغ النَّاسُ لذلك هذه الأربع اللَّيالي [1] .

مَنْظَرَةُ اللُّؤْلُؤَة

وكان للخُلَفاء الفاطِميين مَنْظَرَةٌ ـ تُعْرَف بقَصْر اللُّؤْلُؤَة ، وبمَنْظَرَة اللُّؤْلُؤَة ـ على الخَليج بالقُرْب من باب القَنْطَرَة . وكان قَصْرًا من أحسن القُصُور وأعْظَمِها زَخْرَفَةً ، وهو أحَدُ متنزَّهات الدُّنْيا المذكورة ، فإنَّه كان يُشْرِف من شرقيه على البُسْتان الكافُوري ، ويُطِلّ من غربيه على الخَليج [2] . وكان غربيُّ الخَليج إذ ذاكَ لَيْس فيه من المباني شيءٌ ، وإنَّما كان فيه بَساتِينُ عَظيمَةٌ وبِرْكَةٌ تُعْرَف

a) بولاق : ويخرج له الحاكم . b) بولاق : بعضه .

[1] ابن الطوير : نزهة ٢٢٠ - ٢٢٣.
حاشية بخط المؤلِّف : «قال ابن كثير : أُبْطِل الوقيد بجامع دمشق في ليلة النصف من شعبان ـ يعني سنة إحدى وخمسين وسبع مائة ـ بمَرْسُوم السُّلْطان ، وكنت رأيت فُتْيا عليها خط (؟) وجمال الدين الزُّمْلكاني بإبطال هذه البِدْعة وقد كانت قد استمرت بين أظهر الناس من نحو سنة خمسين وأربع مائة وإلى زمننا هذا» .

[2] يدل على موضع منظرة اللؤلؤة اليوم مدرسة الفرير بالخرنفش المطلة على شارع بورسعيد بالقرب من ميدان باب الشعرية . (انظر أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ٤٦، ٢٥٤-٢٥٥) .

بِبَطْن البَقَرَة ، فيَرَى الجالِسُ في قَصْر اللُّؤْلُؤَة جَميعَ أرْض الطَّبَّالَة وسائِر أرض اللُّوق وما هو من قِبْليها ، ويَرَى بحرالنِّيل من وَرَاء البَساتين .

قال ابنُ مُيَسَّر : هذه المَنْظَرَةُ بَنَاها العَزيزُ بالله ، ولمَّا وَلِيَ بَرْجَوان وَزارَة الحاكِم بأمْر الله ، بعد أمين الدَّوْلَة ابن عَمّارٍ الكُتاميّ ، سكَن بمَنْظَرةِ اللُّؤْلُؤَة في جُمادَى الأولى سنة ثمانٍ وثمانين وثلاث مائة إلى أن قُتِل [1] .

وفي السَّادِس والعشرين من رَبيع الآخَر سنة اثنتين وأربع مائة ، أمَرَ الحاكِمُ بأمْر الله بهَدْم اللُّؤْلُؤَة ونَهْبِها ، فهُدِمَت ونُهِبَت وبيع ما فيها .

٤٦٨:١ وقال المُسَبِّحي/ : وفي سادس عشري رَبيع الآخر ـ يعني سنة اثنتين وأربع مائة ـ أمَرَ الحاكِمُ بأمرالله بهَدْم الموضع المعروفِ باللُّؤْلُؤَة على الخَليج مُوازاة المَقْس ، وأَمَرَ بنَهْب أنْقاضِه ، فنُهِبَت كلُّها ، ثم قُبِضَ على من وُجِدَ عنده شيءٌ من نَهْب أنْقاض اللُّؤْلُؤَة واعتقلوا [2] .

وقال ابنُ المأْمون : ولمَّا وقَعَ الاهتمامُ بسَكَن اللُّؤْلُؤَة والمُقام فيها مُدَّة النِّيل على الحُكْم الأوَّل ـ يعني قبل وَزارَة أمير الجُيوش بَدْر وابنه الأفْضَل ـ أُمِرَ بإزالَة ما لم تكن العادَةُ جارية به من مُضايقتها بالبِناء [3] .

ولمَّا بَدَت زيادَةُ النِّيل ، وعَوَّلَ الخَليفَةُ الآمِر بأحكام الله على السَّكَن باللُّؤْلُؤَة ، أمَرَ الأجَلّ الوَزير المأمُون بأخْذ جَماعَة الفَرَّاشين ، الموقوفين برَسْم خِدْمَتِها ، بالمبيت بها على سَبيل الحِراسَة لا على سَبيل السَّكَن بها ، (a ثم أحْضَرَ وَكيلَه أبا البَرَكات محمد بن عثمان وأَمَرَه أن يَمْضي إلى داري الفَلَك والذَّهَب اللتين على شاطئ الخَليج ويُصْلِح ما فَسَدَ منهما ويضيف إليهما دار الشَّابورَة a).

وعندما بَلَغَ النِّيلُ ستة عشر ذِراعًا أَمَرَ بإخراج الخِيَم ؛ وعندما قارَبَ النِّيلُ الوَفاء تَحَوَّلَ الخَليفَةُ في اللَّيْل من قُصُوره ، بجَميع جِهاتِه وإخوته وأعْمامه والسَّيِّدات كرائِمه وعَمَّاته ، إلى اللُّؤْلُؤَة ، وتَحَوَّل المأمونُ إلى دار الذَّهَب [4] ، وأَسْكَن الشَّيْخَ أبا الحَسَن محمد بن أبي أُسامَة الغَزالَة على شاطئ

---

a-a) إضافة من المسودة .

---

[1] هذا النّصّ في الجزء الأول من تاريخ ابن ميسر الذي لم يصل إلينا . مما يدل على أن ابن ميسر تناول الفترة التي دَوَّنها المُسَبِّحي ؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٢٨٠.

[2] المسبحي : أخبار مصر ٣٠ ؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٢٨٠.

[3] فيما يلي ٢ : ٢٤.

[4] دار الذهب . انظر فيما يلي ٢ : ٦٣.

الخَليج[١]، [a]ولم يسكن أحَدٌ قبله فيها ممَّن يجري مَجْراه ولا كانت إلَّا سَكَنَ الأمير أبو القاسم ابن الإمام المُسْتَنْصِر والِد الخَليفَة الحافِظ[a]، وسَكَنَ حُسامُ المُلْك صاحِبُ[b] الباب دارَه على الخَليج.

وأَمَرَ مُتَوَلّي المَعونَة[٢] أن يَكْشِف الآدُرَ المُطِلَّة على الخَليج قِبْلي اللُّؤْلُؤَة، ولا يُمكِّن أحَدًا من السَّكَن في شيء منها إلَّا مَنْ كان له مِلْك، ومن كان ساكِنًا بالأُجْرَة يُنْقَل، ويُقامُ بالأُجْرَة لرَبّ المِلْك ليُسْكَن بها حَواشي الخَليفَة مُدَّة سنة.

وقُرِّرَ من التوسِعَة في النَّفَقات، وما يكون برَسْم المستخدمين في المبيتات، وما يختصّ برَواتب القُصُور مُدَّة المقام في اللُّؤْلُؤة في أيام النِّيل، مُياوَمَةً من الغَنَم والحَيَوان وجَميع الأصْناف، وهي جملةٌ كبيرة. وأُمِرَ مُتَوَلّي الباب أن يَنْدُب في كلِّ يوم [c]حاجِبًا وثلاثين من صِبْيان الرِّكاب إلى مَسْجِد الليمونة قِبْلي اللُّؤْلُؤة ويُطْلَق لهم في كلِّ يوم[c] خَروف شِواء وقِنْطار خُبْز. وكذلك جَميع الدُّروب من بَحْريها[d]، ويُطْلَق لهم برَسْم الغَداء مثل ذلك، وتكون نَوْبَةً دائرةً بينهم، وبقيَّة مُسْتَخْدِمي الرِّكاب مُلازمون لأبْواب القَصْر على رَسْمِهم، وفي يومي الرُّكوب يجتمعون للخِدْمَة إلَّا مَنْ هو في نَوْبَته فيما رُسِمَ له.

وأُمِرَ مُتَوَلّي زَمّ[e] المماليك الخاصّ أن يكونوا بأجْمَعِهم حيث يكون الخَليفَة، وفي اللَّيْل يَبيت منهم عِدَّةٌ برَسْم الخِدْمَة تحت اللُّؤْلُؤَة، ولهم في كلّ يوم مثل ما تقدَّم. والرَّهَجِيَّةُ تُقْسَم قسمين: أحَدُهما على أبواب القُصور، والآخَر على أبواب اللُّؤْلُؤَة، وأصْحاب الضَّوْء مثل ذلك. وقُرِّرَ للجَماعَة المقدَّم ذِكْرُها في اللَّيْل، عن رَسْم المبيت وعن ثَمَن الوَقُود، ما يَخْرُج إليهم مَخْتُومًا بأسماء كلٍّ منهم. ويَعْرِضهم مُتَوَلّي الباب في كلِّ ليلة بنَفْسه عند رَواحِه وعَوْدِه. وكذلك ما يختصُّ بدار الذَّهَب من الحَرَس عليها من باب سَعادَة ومن باب الخُوخَة، ولَهم رُسُومٌ كما تقدَّم

---

a-a) إضافة من المسودة. b) النسخ وبولاق: حاجب. c-c) ساقطة من بولاق. d) بولاق من يحرسها. e) بولاق: زمام.

---

[١] منظرة الغزالة. انظر فيما يلي ٥٣٣ – ٥٣٦.

[٢] متولي المعونة. موظف يعاون متولي (صاحب) الشرطة في إقامة الأحكام وتثبيت الأيدي في الأملاك أو انتزاعها بناءً على أحكامه. (ابن المأمون: أخبار ١٨؛ المقريزي: اتعاظ ٣: ٦٩؛ عبد العزيز الدوري: «المؤسسات العامة في المدينة الإسلامية»، مجلة الأبحاث ٢٧ (١٩٧٨-١٩٧٩)، ١٧-١٨).

لغيرهم، والمتفرِّجون يَخْرُجون كلَّ ليلة للنُّزهَة عليهم، ويُقيمون إلى بعض اللَّيْل حتى يَنْصرفوا، من غير خُروجٍ في شيءٍ من ذلك عمَّا يوجِبه الشَّرْعُ.

وفي يومي السَّلام يَمْضِي الخَليفَةُ من قُصُوره بحيث لا يَراهُ إلَّا أُستاذُوه وخَواصُه، إلى قاعَة الذَّهَب من القَصْر الكبير الشَّرْقي ويَحْضَر الوَزيرُ على عادَته إليه ويكون السَّلامُ بها عليه[a] على مستمرّ العادَة، والأسْمِطَة بها في يومي الاثنين والخَميس، وتكون الرُّكوبات من اللُّؤْلُؤَة في يومي السَّبْت والثُّلاثاء إلى المُتَنَزَّهات[1].

وقال في سنة سبع عشرة وخمس مائة: ولمَّا جَرَى النِّيلُ وبَلَغَ خمسة عشر ذراعًا، أُمِرَ بإخراج جَميع[b] الخيام والمَضارِب الدَّبيقي والدِّيباج، وتَحَوَّل الخَليفَة الآمِر بأحكام الله إلى اللُّؤْلُؤَة بحاشيته[2]. وأُطْلِقَت التَّوْسِعَة في كلِّ يوم لما يَخُصّ الخاصّ والجِهات والأُسْتاذين من جَميع الأصْناف. وانضاف إليها ما يُطْلَق كلَّ ليلة عَيْنًا ووَرِقًا وأطعمة للبَيَّاتين بالنَّوْبَة برَسْم الحَرَس بالنَّهار والسَّهَر في طُول الليل، من باب قَنْطَرَة بهادُر[c] إلى مَسْجِد اللَّيْمونَة، من البَرَّيْن[d] من صِبْيان الخاصّ والرُّكاب والرَّهَجِيَّة والسُّودان والحُجَّاب، كلُّ طائفةٍ بنَقِيبها. والعَرْضُ من مُتَوَلِّي الباب واقعٌ بالعـدة في طرفَيْ كل ليلة، ولا يُمَكَّن بعضُهم بعضًا من المنام، والرَّهَجِيَّة تَخْدِم على الدَّوام[3].

وتَحَوَّل الوَزيرُ المأمُونُ إلى دار الذَّهَب، وأُطْلِقَت التَّوْسِعَةُ، والحالُ في إطْلاق الأسْمِطَة لهم في اللَّيْل والنَّهار مستمرّ.

وقال ابنُ عبد الظَّاهِر: المَنْظَرَةُ المعروفة باللُّؤْلُؤة على بَرّ الخَليج، بَنَاها الظَّاهِرُ لإعْزاز دين الله بن الحاكِم ـ يعني بعد ما هَدَمَها أبوه الحاكِم ـ وكانت مُعَدَّة لنُزْهَة الخُلَفاء، وكان التَّوَصُّل إليها من القَصْر ـ يعني القَصْر الغَرْبيّ ـ من باب مُراد[4]. وأظُنُّه، فيما ذَكَرَه لي عَلَمُ الدِّين بن مَمَّاتي الوَرَّاق، أنَّه شاهَدَ في كُتُب دار ابن كوخيا العَتيقة أنَّه بابُها.

---

a) زيادة من المسودة. b) زيادة من المسودة. c) بولاق والنسخ والمسودة: القنطرة بما دار، والتصويب مما يلي ٢: ٢٥. d) بولاق: التزين.

---

[1] ابن المأمون: أخبار مصر ٩٨- ٩٩؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٢٨١- ٢٨٤.

[2] فيما يلي ٥٤١.

[3] ابن المأمون: أخبار مصر ٥٧، وفيما يلي ٢: ٢٤-٢٥ وقارن المقريزي: مسودة المواعظ ٢٨٤-٢٨٥، واتعاظ الحنفا ٣: ٨١.

[4] حَدَّدَ محمد رمزي موضع باب مراد في عرض مدخل شارع سوق السمك بالخرنفش لجهة الشرق من مدخل شارع خان أبي طاقية بقسم الجمالية (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ٢٥٤ هـ[4]؛ Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, p. 303).

وكانت عادَةُ الخُلَفاء أن يُقيمُوا بها أيام النِّيل ؛ ولمَّا حَصَلَ التَّوَهُّم من النِّزارِيَّة والحَشِيشِيَّة قَلَّ[a] تَصَرُّفُهم ـ لا سيَّما إليها[b] لصغَر سِنّ الخَليفَة وقِلَّة حواشيه ـ وأُمِرَ بسَدّ باب مُراد المذكور ـ الذي يُتَوَصَّل منه إلى الكافُوري وإلى اللُّؤْلُؤَة ـ وأسْكَنَ في بعضها فَرَّاشون[c] لحِفْظِها .

فإذا كان في صَبيحَة كَسْر الخَليج ، استؤذن الأفْضَلُ بن أَمير الجيوش في فَتْح باب مُراد ، الذي يُتَوَصَّل منه إلى اللُّؤْلُؤَة وغيرها ، فيُفْتَح ويَرُوح الخَليفَةُ ليتفرَّج هو وأهْلُه من النِّساء ، ثم يعود ويُسَدّ الباب ، هذا إلى آخر أيام الأفْضَل . فلمَّا رُوجِعَ[d] الوَزيرُ المأمُون في ذلك سارَع / إليه ، فأُصْلِحَت وأُزيل ما كان أنشئ قُبالَتها على ما سيُذْكَر في مَكانِه إن شاءَ الله[1] ، انتهى .

وماتَ بقَصْر اللُّؤْلُؤَة من خُلَفاء الفاطِميين الآمِرُ بأحكام الله ، والحافِظُ لدين الله ، والفائِزُ ؛ وحُمِلُوا إلى القَصْر الكبير الشَّرْقي من السَّراديب[2] .

ولمَّا قَدِمَ نَجْمُ الدِّين أيُّوبُ بن شاذي من الشَّام على وَلَده صَلاح الدِّين يوسُف ، وخَرَج الخَليفَةُ العاضِدُ لدين الله إلى لقائِه بصَحْراء الهِليلَج بآخر الحُسَيْنِيَّة عند مَسْجد تِبْر و[e]أُكرم غاية الإكرام[e]، أُنْزِل بمَنْظَرَة اللُّؤْلُؤَة ، فسَكَنها حتى ماتَ في سنة سبع وستين وخمس مائة . واتَّفَق أن حَضَر يومًا عنده الفَقيهُ نَجْمُ الدِّين عُمارَة اليَمَني ، والرَّضِيُّ أبو سالِم يحيى الأَحْدَب بن أبي حُصَيْنَة[3] الشَّاعِر في قَصْر اللُّؤْلُؤَة بعد موت الخَليفَة العاضِد ، فأنْشد ابنُ أبي حُصَيْنَة نَجْمَ الدِّين أيُّوب فقال[4] :

[البسيط]

يا مالِكَ الأَرْضِ لا أَرْضَى له طَرَفًا ... منها وما كان منها لم يَكُنْ طُرَفا
قد عَجَّلَ الله هَذي الدَّار تَسْكُنها ... وقد أَعَدَّ لكَ الجنَّاتِ والغُرَفا
تَشَرَّفَت بكَ عَمَّن كان يَسْكُنُها ... فالْبَس بها العِزّ وَلْتَلْبَس بك الشَّرَفا
كانُوا بها صَدَفًا والدَّارُ لُؤْلُؤةٌ ... وأنت لُؤْلُؤةٌ صارَت لها صَدَفا

---

a) بولاق : قبل . b) ساقطة من بولاق . c) النسخ : فراشين . d) بولاق : راجع . e-e) زيادة من المسودة .

---

[1] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١١٠-١١١ ، وانظر كذلك ١٢٣-١٢٤؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٢٨٠-٢٨١ ، وقارن أبا المحاسن : النجوم ٤ : ٢٥٤ .

[2] انظر ابن ميسر : أخبار ١١٠ ، وفيما تقدم ٤٩٦ .

[3] يحيى بن سالم بن أبي حصينة الأَحْدَب الشَّاعر المتوفى سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م (العماد الكاتب : خريدة القصر (قسم مصر) ٢ : ١٥٧؛ ابن شاكر : فوات الوفيات ٤ : ٢٧٢-٢٧٥؛ ابن سعيد : النجوم الزاهرة ٣٣٩) .

[4] عمارة اليمني : النكت العصرية ٢٩٣؛ ابن واصل : مفرج الكروب ١ : ١٨٧ .

فقال الفَقيهُ عُمارَة يَرُدّ عليه [١]:

[البسيط]

أَثِمْتَ يا مَنْ هَجَا السّادات والخُلَفَا ... وقُلْتَ ما قُلْتَه في ثَلْبِهم سَخَفا
جَعَلْتَهم صَدَفًا حَلُّوا بلُؤْلُؤةٍ ... والعُرْفُ ما زالَ سُكْنى اللُؤلؤ الصَّدَفا
وإنّما هي دارٌ حَلَّ جَوْهَرُهُم ... فيها وشَفَّ فأسْناها الذي وَصَفَا
فقال لُؤْلُؤةٌ عُجْبًا بِبَهْجَتها ... وكَوْنِها حَوَت الأشْرافَ والشَّرَفَا
فهم بسُكْنائها[a] الآياتُ إذ سَكَنوا ... فيها ومِنْ قَبْلِها قد أُسْكِنوا الصُّحُفَا
والجَوْهَرُ الفَرْدُ نُورٌ ليس يَعْرِفُهُ ... من البَرِيَّة إلَّا كُلُّ مَنْ عَرَفَا
لَوْلا تَجَسُّمهم فيه لكانَ على ... ضَعْفِ البَصائِر للأَبْصار مُخْتَطِفَا
فالكَلْبُ يا كَلْبُ أسْنَى منك مَكْرُمةً ... لأنَّ فيه حِفاظًا دائِمًا ووَفَا

فلله دَرُّ عُمارَة ، لقد قامَ بحَقِّ الوَفاء ، ووفَّى بحُسْن الحِفاظ كما هي عادَته ! لا جَرَم أنَّه قُتِلَ في حُبِّ[b] من يَهْوَى كما هي سُنَّة المُحِبِّين ، فالله يَرْحَمُه ويتجاوَز عنه [٢].

مَنْظَرةُ الغَزالَة [١]

وكان بجوار مَنْظَرَة اللُّؤْلُؤَة مَنْظَرَةٌ تُعْرَف بالغَزالَة على شاطئ الخَليج ، تُقابِل حَمَّام ابن قِرْقَة ، وقد خَرِبَت هذه المَنْظَرَةُ أيضًا ، وموضعُها الآن تِجاه باب جامِع ابن المَغْرِبي [٣] الذي من ناحية الخَليج . وقد خَرِبَت أيضًا حَمَّامُ ابن قِرْقَة ، وصارَ مَوْضِعُها فُنْدُقًا بجوار حَمَّام السُّلْطان [٤] التي هناك يُعْرَف بفُنْدق عِماد . ومَوْضِعُ مَنْظَرة الغَزالَة اليوم رَبْعٌ يُعْرَف برَبْع غَزالَة ، إلى جانِب قَنْطَرة المُوسْكي في الحَدّ الشرقي [٥].

وكان يَسْكُن بهذه المَنْظَرَة الأميرُ أبو القاسِم بن المُسْتَنْصِر والِد الحافِظ لدين الله ، ثم سَكَنَها أبو الحَسَن بن أبي أُسامَة كاتِب الدَّسْت ، وكان بعد ذلك ينزلها من يتولّى

---

a) بولاق : بسكناهم والنكت العصرية : فهي بسكانها . b) بولاق : واجب .

---

[١] عمارة اليمنى : النكت العصرية ٢٩٢ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ١ : ١٨٧.

[٢] المقريزي : مسودة المواعظ ٢٨٥ - ٢٨٦.

[٣] انظر فيما يلي ٢ : ٣٢٨. [٤] انظر فيما يلي ٢ : ٨١.

[٥] وهو يُعادل الآن المنطقة الواقعة شمال تقاطع شارع الأزهر مع شارع بورسعيد.

الخِدْمَة في الطِّراز أيام الخُـلَفاء[١].

قال ابنُ المَأْمُون، لمَّا ذَكَرَ تَحَوُّل الخَليفَة الآمِر بأحْكام الله إلى اللُّؤْلُؤَة: وأُسْكِنَ الشَّيْخُ أبو الحَسَن ابن أبي أُسَامَة، كاتِب الدَّسْت، الغَزالَة التي على شاطئ الخَليج، ولم يَسْكُن أحَدٌ قبله فيها مِمَّن يجري مَجْراه، ولا كانت إلَّا سَكَنَ الأمير أبي القاسِم وَلَد المُسْتَنْصِر والد الإمام الحافِظ[٢].

قال: وأمَّا تذكِرَةُ الطِّراز فالحُكْمُ فيها مثل الإشتيمار[٣]، والشَّائِعُ فيها أنَّها كانت تشتمل في الأيام الأفْضَلِيَّة على أحد وثلاثين ألف دينار، فمن ذلك السُّلَف خاصَّة خمسة عشر ألف دينار، قيمة الذَّهَب العِراقِي، والمصري ستة عشر ألف دينار. ثم اشتملت في الأيام المأمونية على ثلاثة وأربعين ألف دينار، وتضاعَفَت في الأيام الآمِرِيَّة[٤].

وقال ابنُ الطُّوَيْر: الخِدْمَةُ في الطِّراز ويُنْعَت بالطِّراز الشَّريف[٥]، ولا يتولَّاه إلَّا أعْيانُ

---

[١] المقريزي: مسودة المواعظ ٢٨٧، وقارن ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٢٤.

[٢] ابن المأمون: أخبار مصر ١٠٠؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٢٨٢–٢٨٣.

[٣] انظر عن تذكرة الطراز والإستيمار فيما تقدم ٣٢٣.

[٤] نفسه ٧٠، ١٠٠؛ المقريزي: المسودة ٢٨٨، وفيما تقدم ٣٢٦.

[٥] الطِّراز. كلمة فارسية مُعَرَّبة تعني في الأصل المدَبَّج (البرودري) أو المُوَشَّى أو المُزَرْكَش، ثم أصبح يقصد بها بعد ذلك ملابس الخليفة الرسمية وأصبحت رمزًا من رموز السيادة، فمتى تولَّى الإمام أو سُمِّي وليّ العهد «نُقِش اسمه على الطِّراز»، وتُطْلَق كذلك على ملابس كبار الشخصيات المطرَّزة وعلى الأخصّ المزدانة بشرائط الكتابة المزركشة. وتُطْلَق أخيرًا على الدار التي تَصْنَع هذه الملابس وهذه المنسـوجات. (Bahgat, ʿA., «Les manufactures d'étoffes en Égypte au Moyen Âge», *BIE* (1903) pp. 351-361; Grohmann, A., *EI*², art. *Tirâz* IV, pp. 825-834, Suppl. pp. 266-68; Serjeant, R. B., *Islamic Textiles*, Beirut 1972, pp. 138-160, 261-262; Marzouk, M. ʿAb., «The Tirâz Institution in Mediaeval Egypt» in *Studies in Islamic Arts and Architecture in Honour of K. A. C. Creswell*, London 1965, pp. 157-162; Yedida K. Stilman & Paula Sanders, *EI*² art. *Tirâz* X, pp. 573-78.)

وكانت العادة في الدولة الإسلامية أن يصحب سجل تولية كبار رجال الدولة منحهم خِلْعَة أو أكثر على سبيل التشريف، كما كانوا يمنحون على الأقل خِلْعَة في كل مناسبة أو عيد على مدار السنة. وكانت هذه الخِلَع تُصْنَع عادة، في العصر الفاطمي، في دار الطِّراز بدمياط وتِنِّيس وشَطًا وغيرها، والقماش الشائع استخدامه في عملها هو عادة ما يُطْلَق عليه الدَّبيقي (نسبة إلى مدينة دَبِيق من ضواحي دمياط الحالية، وكانت تقع هي وشَطًا وتونة في الموضع الذي غمرته بحيرة المَنْزَلة الآن، فيما تقدم ٦١٢:١–٦١٣). وتبعًا لما وصل إلينا من المنسوجات الفاطمية فيمكننا التمييز بين نوعين من دور الطِّراز: طِراز الخاصَّة حيث كانت تُعْمَل ملابس الخليفة وخواصّه. (Combe, E., & Wiet, G., *RCEA* n° 1852, 1886, 1899, 1924, 1957, 2013, 2023, 2045, 2053, 2055)، وطراز العامَّة حيث كانت تعمل ملابس بقية رجال الدولة (Ibid., n°. 2041, 2048, 2056). =

المُسْتَخْدمين من أرباب العَمائِم أو السُّيوف ، وله اخْتِصاصٌ بالخَليفَة دون كافَّة المستخدمين ، ومُقامُه بدِمْياط وتِنِّيس وغيرهما ، وجاريه أمْيَزُ الجواري ، وبين يديه من المَنْدوبين مائة رَجُل لتنفيذ الاستعمالات بالقُرَى ، وله عُشارى ديماس مجرَّد معه ، وثلاثة مَراكِب من الدُّكَّاسات [١] ، ولها رُؤساء ونَواتية لا يَبْرَحون ، ونَفَقاتُهم جارية من مال الدِّيوان .

فإذا وَصَلَ بالاستعمالات الخاصَّة التي منها : المِظَلَّة وبَدْلَتها والبَدَنَة [٢] واللِّباس الخاصّ الجُمَعي وغيره ، لُقِي[a] بكرامة عَظيمَة ، ونُدِبَ له دابَّة من مَراكيب الخَليفَة لا تزال تحته حتى يعود إلى خِدْمَته ، وينزل في « الغَزالَة » على شاطئ الخليج ـ وكانت من المناظِر السُّلْطانية ، وجَدَّدها شُجاعُ[b] بن شَاوَر ـ ولو كان لصَاحِب الطِّراز في القاهِرَة عَشْر دُور لا يُمَكَّن من نُزوله إلَّا بالغَزالَة ، وتجري عليه الضِّيافَة كالغُرَباء الواردين على الدَّوْلَة . فيَمْثُل[c]/ بين يدي الخَليفَة بعد حَمْلَ ٤٧٠:١
الأشفاط المشدودة على تلك الكَساوي العَظيمَة ، ويَعْرِض جَميع ما معه ، وهو يُنَبِّه على شيءٍ فشيءٍ بيد فَرَّاشي الخاصّ في دار الخَليفَة مكان سَكَنه ، ولهذا حُرْمَةٌ عَظيمَة ، ولا سيَّما إذا وافَقَ استعماله غَرَضَهم . فإذا انقضى عَرْضُ ذلك بالمُدْرَج الذي يحضره ، سُلِّم لمستخدمي خَزائِن[d] الكُسْوات ، وخُلِعَ عليه بين يدي الخَليفَة باطِنًا ، ولا يُخْلَع على أحَدٍ كذلك سواه ، ثم ينكفئ إلى مَكانِه .

---

a) بولاق : هيئ . b) بولاق : شعاع . c) بولاق : فيتمثل . d) ساقطة من بولاق .

= وراجع كذلك ، Wiet, G., «Un nouveau tissu fatimide», *Orientalia* V (1936), pp. 388; Kühnel, E. & Bellénger, L., *Catalogue of Dated Tiraz Fabrics in the Textile Museum*, Washington 1952; Marzuk, M. ᶜAbd al-ᶜAziz, «Four Dated Tiraz Fabrics of the Fatimid Kalif al-Zâhir», *Kunst des Orients* II (1955), pp. 45-51; El-Habib, Mustafa, «Notes sur un Tirâz au nom de Abil-Mansûr al-ᶜAzîz bil-Lâh, le fatimide (365-386 H./ 975-996 ap. J. C.)», *La Revue du Louvre* 23° année (1973), pp. 299-302; Lombard, M., *Les Textiles dans le Monde musulman du VII au XII siècle* (Etudes d'Economie Médièval III), Paris 1978, pp. 164-166; Bierman, I., *Art and Politics : The Impact of Fatimid Uses of Tiraz Fabrics*, Ph. D. Dissertation, The Univ. of Chicago 1980.

[١] دُكَّاسَة جـ. دُكَّاسات . لم يرد هذا المصطلح في أي مصدر سوى ما ذكره ابن الطوير هنا . ويبدو من وصفه أنه نوعٌ من المراكب النيلية المخصصة لاستخدام كبار رجال الدولة في العصر الفاطمي .

[٢] البَدَنَة . ثوبٌ من ثياب الخليفة الفاطمي كان يصنع بطراز تنيس ولا يدخل فيه من الغزل سداء ولحمة غير أوقيتين وينسج باقيه بالذهب بصناعة محكمة لا تحوج إلى تفصيل ولا خياطة ، وتبلغ قيمته ألف دينار (فيما تقدم ١٧٧:١ ، وفيما يلي ٥٥٦).

وله في بعض الأوْقات التي لا يَتَّسع له فيها[a] الانْفصال « نائِبٌ » يعمل عنه بذلك غير غَريب منه ، ولا يُمْكن أن يكون إلّا وَلَدًا أو أخًا ، فإنَّ الرُّتْبَة عَظيمَة ، والمُطْلَق له من الجامَكِيّة في الشهر سبعون دينارًا ، ولهذا « النّائِب » عشرون دينارًا ؛ لأنَّه يتولّى ذلك[a] عنه إذا وَصَلَ بنفسه ، ويقوم إذا غابَ في الاستعمال مَقامَه .

ومن أدَواتِه أنَّه إذا عَبّأ ذلك في الأَسْفاط ، استدعى والي ذلك المكان ليُشاهِده عند ذلك ، ويكون النّاسُ كلُّهم قِيامًا لحُلُول نفس المِظَلَّة وما يليها من خاصِّ الخَليفَة في مَجْلس دار الطِّراز ، وهو جالِسٌ في مرتبته ، والوالي واقِفٌ على رأسِه خِدْمَةً لذلك . وهذا من رُسُوم خِدْمَتِه ومَيْزَتها [1] .

دارُ الذَّهَب

وكان بجوار الغَزالَة دارُ الذَّهَب ، وموضعها الآن على يَسْرَة الخارج من باب الخُوخَة فيما بينه وبين باب سَعادَة ، وكانت مُطِلَّةً على الخَليج ، وفي مكانِها اليوم دارٌ تُعْرَف ببهادُر الأَعْسَر [2] . وبقي منها عَقْدٌ بجوار دار الأَعْسَرِ ، يُعْرَف الآن بقَبْو الذَّهَب ، من خُطِّ[b] بَيْنَ السُّورَيْن [3] .

قال ابنُ المأْمُون لمَّا ذَكَرَ تَحَوُّل الخَليفَة الآمِر بأحكام الله إلى اللُّؤْلُؤَة : ثم أَحْضَر الوَزيرُ المأْمون وكيلَه أبا البَرَكات محمد بن عُثْمان ، وأَمَرَه أن يَمْضي إلى دارَيِ الفَلَك والذَّهَب اللتين على شاطئ الخَليج - فالدّارُ الأولى التي من حَيِّز باب الخُوخَة ، بَناها فَلَك المُلْك - وذَكَرَ أنَّه من الأُسْتاذين الحاكِمِيَّة - ولم تَكُن تُعْرَف إلّا بدار الفَلَك . ولمَّا بَنَى الأفْضَلُ بن أمير الجُيُوش الدّارَ المُلاصِقَة لها التي من حَيِّز باب سَعادَة ، وسمَّاها بدار الذَّهَب ، غَلَب الاسْمُ على الدّارَيْن - ويُصْلِح ما فَسَدَ منهما ويُضيف إليهما دار الشّابورَة [4] . وذكر أنَّ هذه الدّار لم تُسَمّ بهذا الاسم إلّا لأنَّ جزءًا منها بيع في أيام الشِّدَّة في زَمَن المُسْتَنْصِر بشابُورَة حَلْواء[a] .

---

a) زيادة من المسودة . b) بولاق : خطة .

---

[1] ابن الطوير : نزهة ١٠١- ١٠٤؛ المقريزي : المسودة ٢٨٨- ٢٩٩؛ وانظر كذلك ابن مماتي : قوانين الدواوين ٣٣٠- ٣٣١؛ محمد عبد العزيز مرزوق : الزخرفة المنسوجة ٤٦- ٤٩؛ ونقل سرجنت هذه الفقرة إلى الإنجليزية Serjeant, R. B. *Islamic Textiles* p. 152.

[2] فيما يلي ٢: ٧٤.

[3] فيما يلي ٢: ٦٣- ٦٤، ٣٢٨. ويحدِّد موضعها اليوم المكان الواقع بين محكمة باب الخلق وجامع الفخري (جامع البنات) في شارع بورسعيد.

[4] دار الشّابورة انظر ابن عبد الظاهر : الروضة ١١٣.

قالَ : وعندما قارَبَ النِّيلُ الوَفاء تَحَوَّل الخَليفَةُ في الليل من قُصُوره بجَميع جِهاتِه وإخْوتِه وأعْمامِه والسَّيِّدات كرائِمه وعَمَّاته ، إلى اللُّؤْلُؤَة ، وتَحَوَّل الأجَلُّ المأمُون بالأجِلَّاء أوْلادِه إلى دارِ الذَّهَب وما أُضيف إليها [1].

وقال ابنُ عبد الظَّاهِر : دارُ الذَّهَب بناها الأفْضَلُ بن أمير الجُيُوش ، وكانت عادَةُ الأفْضَل أن يَسْتَريحَ بها إذا كان الخَليفَةُ باللُّؤْلُؤَة يكون هو بدار الذَّهَب ، وكذلك كان المأْمُونُ من بَعْده . وكان حَرَسُ دار الذَّهَب يُسَلِّم للوَزيرية : من باب سَعادَة يُسَلَّم لهم ، ومن باب الخُوخَة للمَصامِدَة أرْباب الشُّعور وصِبْيان الخاصّ . وكان المُقَرَّرُ لهم في كلِّ يوم سِماطَيْن : أحَدُهُما بقاعَة الفَلَك للمماليك الخاصّ والحاشية وأرْبابِ الرُّسوم ، والآخَر على باب الدَّار برَسْم المَصامِدَة ، حتى إنَّه من اخْتارَ ورأَى أنَّه يَجْلِسُ معهم على السِّماط لا يُمْنَع ، والضُّعَفاءُ والصَّعاليكُ يقعدون بعدهم ، وفي أوَّل الليل بمثل ذلك . ولكلٍّ منهم رَسْمٌ لجَميع من يَبيت من أرْباب الضَّوْء إلى الأعلى [2].

مَنْظَـرَةُ السُّكَّرَة [a]

وكان من جُمْلَة مَناظِر الخُـلَفاء ، مَنْظَرةٌ تُعْرَف بمَنْظَرَة السُّكَّرَة في برِّ الخَليج الغَرْبي ، يجلس فيها الخَليفَةُ يوم فَتْح الخَليج ، وكان لها بُسْتانٌ عَظيمٌ ، بَناها العَزيزُ بالله بن المُعِزّ .

وقد دَثَرَت هذه المَنْظَرَةُ ، ويُشْبه أن يكون مَوْضِعُها في المكانِ الذي يُقالُ له اليوم المَرِيس [3] قَريبًا من قَنْطَرة السَّدّ .

---

a) آياصوفيا : ذكر السكرة .

---

[1] ابن المأمون : أخبار مصر ١٠٠؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٢٩١- ٢٩٢.

[2] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١١٣؛ المقريزي : المسودة ٢٩٠- ٢٩١؛ وانظر فيما يلي ٢: ٦٤.

[3] المَرِيس . هو مكان بستان الخَشَّاب وعرف بذلك لأن كثيرًا من السودان والمريس والنوبة كانوا يسكنون به فعرف بهم (ابن دقماق : الانتصار ٤:١٢١)، ويحدد موضع «المريس» اليوم المنطقة التي يَحُدها من الشرق شارع بورسعيد ومن الغرب شارع علي يوسف بالقرب من القصر العيني . (أبو المحاسن : النجوم ٩:١٩٦هـ [1]، ١١:١٣٨هـ [1]) . أما قنطرة السّدّ التي أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٣هـ ، على خليج القاهرة بالقرب من فمه فكانت تقع تجاه النقطة التي يتلاقى فيها شارع الخليج (بورسعيد) بشارع مدرسة الطب (نفسه ٦:٣٨١) .

وكانت السُّكَّرَةُ من جَنَّات الدُّنْيا المزخْرَفة ، وفيها عِدَّةُ أماكِن مُعَدَّة لنُزول الوَزير وغيره من الأُسْتاذين .

ذِكْــرُ ما كان يُعْمَل يَوْم فَتْح الخَليج ـ قال ابنُ زُولاق في كتاب « سيرة المُعِزّ لدين الله » : وفي ذي القعدة ـ يعني من سنة اثنتين وستين وثلاث مائة ، وهي السنة التي قَدِمَ فيها الخَليفَةُ المُعِزُّ لدين الله إلى القاهِرَة من بلاد المَغْرب ـ رَكِب المُعِزُّ لدين الله ـ عليه السَّلام ـ لكَسْر خَليج القنْطَرة ، فكُسِرَ بين يديه . ثم سارَ على شاطئ النِّيل حتى بَلَغ إلى بني وائِل ، ومَرَّ على سَطْح الجُرْف في موكبٍ عَظيمٍ ، وخَلْفَه وُجوهُ أهل الدَّوْلَة ، ومعه أبو جَعْفَر أحمد بن نَصْر يسير معه ، ويُعَرِّفه بالمواضِع التي يَجْتازُ عليها ، وتَجَمَّعَت[a] له الرَّعيَّة بالدُّعاء ؛ ثم عَطَفَ على بِرْكَة الحَبَش ، ثم على الصَّحْراء على الخَنْدَق الذي حَفَره القائِدُ جَوْهَر ، ومَرَّ على قَبْر كافُور[١] وعلى قَبْر عبد الله بن أحمد بن طَباطَبا الحَسَني[٢] وعُرِّفَ[b] به ، ثم عادَ إلى قَصْره .

---

a) بولاق : وتجمعت .   b) بولاق : وعَرَّفَه .

---

[١] ذكر أبو المحاسن (النجوم ٤ : ١٠) أن كافورًا بعد وفاته حمل تابوته إلى القُدْس فدفن بها ! ولم يحدد المقريزي في ترجمته لكافور (فيما يلي ٢:٢٦-٢٧) موضع قبر كافور وإن اتفق مع أبي المحاسن في أنه وجد مكتوبًا عليه :

مــا بالُ قَبْرِك يا كافُــورُ منفردًا
بالصَّحْصَح المَرْت بعد العَسْكَر اللَّجِبِ
يَدوس قبــركَ آحادُ الرِّجال وقد
كانت أُسُودُ الشَّرَى تخشاك في الكُتُبِ

وحَدَّدَ الموفق بن عثمان موضع قبر كافور شرق قُبَّة الإمام الشافعي بالقرب من تُرْبة الشيخ أبي عمرو عثمان بن مرزوق ابن سلامة القرشي (مرشد الزوار ٥١٣، ٥٢٣) وعند الخندق الذي حفره عبد الله بن جحدم سنة ٨٦هـ وأعاد حفره القائد جوهر الصقلي (فيما يلي ٢:٤٥٨) .

[٢] الشريف عبد الله بن أحمد بن علي بن الحسن بن إبراهيم طباطبا ، «كان عَيْنَ بني عليّ كلهم بمصر» توفي سنة ٣٤٨هـ/٩٥٩م (ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣:٨١- ٨٣؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٥:٤٩٦- ٤٩٧؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١٧:٤٢- ٤٣؛ المقريزي : المقفى الكبير ٤:٤٤١-٤٤٩) . وقبره يقع في الموضع المعروف الآن بمشهد آل طباطبا ، والذي دفن فيه مجموعة من أشرف آل طباطبا والذي يرجع تاريخه إلى سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٣م . ويقع الآن على بعد ٥٠٠ متر غربي قبة الإمام الشافعي ونحو ٢٣٠ مترًا شمالي عين الصِّيرَة . وهو الأثر الوحيد الباقي من الفترة الإخشيدية . ويحتفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة تحت رقم ٣٩١٤ بكتابة محفورة على الخشب قادمة من هذا المشهد ، تحدد تاريخ وفاة الشريف أبي محمد عبد الله بن طباطبا (راجع ، الموفق بن عثمان : مرشد الزوار ٢٤٩- ٢٥٣؛ ابن الزيات : الكواكب السيارة ٥٩- ٦٣؛ سيدة إسماعيل كاشف : مصر في عصر الإخشيديين ٢٩٩- ٣٠١؛ فريد شافعي : العمارة العربية في مصر الإسلامية ٥١٥؛ Creswell, K. A. C., *MAE* I, pp. 11-15; Weil, I. D., *Les bois à épigraphes jusqu'à l'époque mamelouke*, p. 49 et pl. n° IX; Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 70-71) .

وذَكَرَ الأميرُ المُسَبِّحِيُّ في « تاريخه الكبير » رُكوبَ العَزيز بالله بن المُعِزّ ، ورُكوبَ الحاكِم بأمْر الله بن العزيز ، ورُكوبَ الظَّاهِر لإعْزاز دين الله بن الحاكِم ، في كلِّ سنةٍ لفَتْح الخَليج [١].

وقال ابنُ المَـأْمُون في سنة ستّ عشرة وخمس مائة : وعندما بَلَغَ النِّيلُ ستة عشر ذراعًا ، أُمِرَ بإخْراج الخِيَم ، وأن يُضْرَب الثَّوْبُ الكبيرُ الأفْضَلي المعروف بـ « القَاتُول » ـ وهو أعظم ما في الحاصِل [٢] ـ بأربعة دَهاليز / وأربع قاعات خارجًا عن القاعَة الكبيرة ، ومِساحَته على ما ذُكِرَ ألف ألف ذِراع وأربع مائة ذراع [٣] بالذِّراع الكبير خارجًا عن سُرادِقه ، وعمودُ القاعَة الكبيرة منه ارتفاعه خمسون ذراعًا . ٤٧١:١

ولمَّا كَمُلَ استعمالُه في أيام الأفْضَل ونُصِبَ ، تأذَّى منه جَماعةٌ وماتَ رجلان ، فسُمِّي بـ«القاتُول» لأجل ذلك . وما صارَ[a] يُضْرَب إلَّا بحُضُور المهندسين ، وتُنْصَب له أساقيلُ عِدَّة بأخشابٍ كثيرة ، والمستخدمون يكرهون ضَرْبَه ويرغبون في ضَرْب أحد الثَّوْبَيْن الجُيُوشيين ، وإن كانا عَظيمين إلَّا أنَّهما لا يصلان بجملتهما إلى مُقَايَسته ولا مَئونَتِه ولا صَنْعَتِه ، وأقامَ هذا الثَّوْبُ في الاستعمال عِدَّةَ سنين مع جَمْع الصُّنَّاع عليه ، وما يُضْرَب منه سوى القاعِدَة الكبرى[b] لا غير والأربعة الدَّهاليز وبعض السُّرادق الذي هو سُوِّر عليه ، لضيق المكان الذي يُضْرَب فيه ، وكونه لا يَسَعُه بجملته [٤].

قَالَ : ولمَّـا[c] وَصَلَت كُسْوَةُ مَوْسِم فَتْح الخَليج ، وهي ما يختصُّ بالخَلِيفَة وأخيه وبعض جِهاتِه

---

a) بولاق : ومازال لا . b) بولاق : القاعة الكبيرة . c) ساقطة من بولاق .

---

[١] المسبحي : نصوص ضائعة ٤٠.

[٢] ذكر المقريزي فيما تقدم ٣٨٤ أنه أخرج من بين ما أخرج من القصر الفاطمي وقت الشِّدَّة فسطاطٌ كبيرٌ يسمى «المُدَوَّرَة» أمر بعمله الوزير الحسن بن عبد الرحمن اليازوري على مثال «القاتول» الذي كان العزيز بالله أمر بعمله أيام خلافته وأنه سُمِّي بـ«القاتول» لأنه ما نصب قطّ إلَّا وقَتَل رجلًا أو رجلين ممن يتولَّى إتقانه . وهو يشبه بذلك «القاتول» الذي أمر بعمله بعد ذلك الوزير الأفضل والذي يشير إليه نصُّ ابن المأمون . وانظر عن خيمة «القاتول» التي عملها الوزير الأفضل والتي تعرف أيضًا بـ«خيمة الفَرَج» : ابن المأمون : أخبار مصر ١٠٢- ١٠٣؛ النويري : نهاية الأرب ٢٨:٢٨٥- ٢٨٧؛ ابن ميسر : أخبار مصر ٨٥- ٨٦؛ المقريزي : اتعاظ ٣:٧٢- ٧٣؛ ابن الصيرفي : الأفضليات ٢٠٩- ٢١٩. وقارن كذلك مع القلقشندي : صبح ٢: ١٣٨، ٣: ٤٧١.

[٣] حاشية بخط المؤلِّف : «كذا ذُكِر ، وعندي في هذا القول نظر ، فلعله مائة ألف ذراع» .

[٤] ابن المأمون : أخبار مصر ٥٥- ٥٦.

والوَزير . فأمّا ما يختصّ بالخَليفَة خاصّةً فبَذْلَةٌ ، شرحها : بَدَنَة طَميم ، مِنْديل سُلَفِه مائة وعشرون دينارًا ، أحد طَرَفَيْه ثلاثة عشر ذراعًا ذَهَبًا عراقِيًّا دَمْجًا لَوْحًا واحدًا ، و الثاني ثلاثة أَذْرُع سُلَفُه أربعة وعشرون دينارًا .، ثَوْبٌ طَميمٌ سُلَفُه خمسون دينارًا ، والذَّهبُ الذي في الثَّوْب والمِنْديل والحَنَك ألف دينار وخمسة دنانير . فتكون جملتها بالسُّلَف ألف دينار ومائة وخمسة وسبعون دينارًا .

شاشِيَّة طَميم للسُّلَف ديناران وسبعون قَصَبَة ذهبًا عراقيًّا ، فتكون جملة سُلَفِها وقيمَة ذَهَبها ثمانية دنانير . مِنْديلُ سَلامٍ سُلَفُه ديناران وسبعون قَصَبَة ، قيمته كذلك . وَسَط برَسْم المِنْديل بخُوص ذَهَب سُلَفُه اثنا عشر دينارًا وسبعون قَصَبَة ، قيمة ذلك عشرون دينارًا . شُقَّة دَبيقي وَسْطَاني حَريري ، السُّلف اثنا عشر دينارًا . غِلالَة دَبيقي حَريري السُّلَف عشرة دنانير .

مِنْديلُ كُمّ مُذَهَّب السُّلف خمسة دنانير ومائتا قَصَبَة وأربع قَصَبات ذَهَبًا عِراقيًّا ، قيمة ذلك خمسة وعشرون دينارًا ، مِنْديلُ كُمّ ثان حَريريٍ خمسة دنانير ، حَجْزه[a] أربعة دَنانير ، عَرَضي لُفافَة خاصّ خمسة دَنانير وستة عشر مِثْقالاً ذهبًا مصرية ، فيكون سُلَفُه وذَهَبُه خمسة وعشرين دينارًا ، عَرَضي ثان برَسْم تغطية التَّخْت دينارٌ واحِدُ ونصف .

تَخْت ثان ضمنه بَذْلَة خاص حَريري برَسْم العَوْد من السُّكَّرَة ، شرحها : مِنْديلُ حَريري سُلَفُه ستون دينارًا ، وَسَط شَرْب رَسْمه اثنا عشر دينارًا ، شُقَّة دَبيقي وكُمّ عشرون دينارًا ، شُقَّة وَسْطاني اثنا عشر دينارًا ، غِلالَة خمسة عشر دينارًا ، غِلالَة عشرة دنانير ، مِنْديل سَلام ديناران ، مِنْديل كُمّ خمسة دنانير ، مِنْديل كُمّ ثان أيضًا خمسة دَنانير ، شاشِيَّة حَريري ديناران ، حَجْزَه[a] أربعة دَنانير ، عَرَضي لُفافَة خمسة دنانير ، عَرَضي ثان برَسْم لُفافَة التَّخْت دينارٌ واحدٌ ونصف .

قال : ورأيتُ شاهِدًا أنَّ قيمَةَ كلِّ حُلَّة من هذه الحُلَل وسُلَفِها إذا كانت حَريري ثلاث مائة وستة دنانير ، وإذا كانت مُذَهَّبَة ألف دينار . واخْتُصِر ما باسم أبي الفَضْل جَعْفَر أخي الخَليفَة وأربع جِهات .

وأمّا ما يختصّ بالوَزير فبَذْلَةٌ مُذَهَّبَة شرحها : مِنْديل سُلَفُه سبعون دينارًا وخمس مائة وسبعون قَصَبَة عراقي ، جملة سُلَفِه وذَهَبِه مائتة وأربعة عشر دينارًا ، شُقَّة دَبيقي وكُمّ السُّلَف ستة عشر دينارًا وثمانية وعشرون مِثْقالاً ذَهَبًا عاليًا ، يكون جملةُ ذلك خمسين دينارًا ، نصف شُقّة دَبيقي

a) بولاق : حجره .

[a]للعَجزْ ثلاثة دنانير ، شُقَّة ديبقى[a] وَسْطاني اثنا عشر دينارًا ، ونصف شُقَّة وَسْطاني بِرَسْم العَوْد ثلاثة دَنانير ، غِلالَة دَيبقي سبعة دَنانير ، ونصف شُقّة بِرَسْم الغِلالة ديناران ، ونصف مِنْديل كُمّ سبعة دَنانير واثنا عشر مِثْقالًا ذَهبًا ، تكون قيمته تسعة عشر دينارًا ، حجزه[b] ثلاثة دنانير ، عرضي أربعة دنانير وأحد عشر مِثْقالًا ، تكون سُلْفُه وذَهَبُه سبعة عشر دينارًا .

ثم ذَكَر بعد ذلك ما يكون لجِهَة الوَزير ، وما يكون بِرَسْم صِبْيان الحَمَّام ، وما يُفَصَّل بِرَسْم المماليك الخاصّ صِبْيان الرَّايات والرِّماح : خمس مائة شُقَّة سَقْلاطون داري تكون قيمتُها سبع مائة وخمسين قَبَاءً ، يُحْمَل منها بِرَسْم غِلْمان الوَزير مائة قَبَاء ، ويفرَّق جَميعُ ذلك .

قال : ولم يَكُن لأحَدٍ من الأصْحاب والحَواشي وغيرهم في هذا المَوْسِم شيءٌ فيُذْكَر ، بل لهم من الهِبات العَيْن والرُّسوم الخارِجَة عن ذلك ما يأتي ذِكْرُه في مَوْضِعِه .

وفي صَبيحَة هذا المَوْسِم خُلِعَ على ابن أبي الرَّدَّاد[1] وعلى رُؤَسَاء المراكِب وغيرهم ، وحُمِلَ إلى المِقْياس ـ بِرَسْم المبيت ، ورُكُوب الخَليفَة بتجمُّله ومواكِبه إلى السُّكَّرَة[c] ـ ما فَصَّلَه وبَيَّنَه ممَّا يطول ذكره .

وقال في سنة سبع عشرة وخمس مائة : ولمَّا جَرَى النِّيلُ وبَلَغَ خمسة عشر ذراعًا ، أُمِرَ بإخْراج الخِيام والمَضارِب الدَّبيقي والدِّيباج ، وتَحَوَّل الخَليفَةُ إلى اللُّؤْلُؤَة بحاشيته ، وتَحَوَّل المأمونُ إلى دار الذَّهَب .

ووَصَلَت كُسْوَةُ المَوْسِمِ المذكور من الطِّراز ، وإن كانت يسيرة العُدَّة فهي كثيرةُ القيمة ، ولم تكن للعُمُوم من الحاشية والمستخدمين ، بل للخَليفَة خاصَّةً وإخْوَانه وأرْبع من خواصِّ جِهاتِه والوَزير وأوْلادِه وابن أبي الرَّدَّاد .

a-a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : حجره . c) بولاق : الكرة .

[1] ابن أبي الرَّدَّاد متولِّي قياس النيل . كانت النَّصارىٰ تتولّى قياس ماء النيل حتى عزلهم المتوكل العباسي بإشارة القاضي بكار بن قُتَيْبَة . ثم رتَّب والي مصر يزيد بن عبد الله التركي فيه أبا الرَّدَّاد عبد الله بن عبد السلام المؤدب في سنة سبع وأربعين ومائتين ، واستقر قياس النيل في بنيه إلى العصر العثماني ، وصار كل من يتولَّى أمر المقياس يعرف بابن أبي الرَّدَّاد (الكندي : ولاة مصر ٢٢٩؛ المسبحي : أخبار مصر ٣٧- ٣٩، ٤١؛ ابن خلكان : وفيات ٣: ١١٢؛ الصفدي : الوافي ١٧: ٢٥٧؛ القلقشندي: صبح ٣: ٢٩٥؛ أبو المحاسن: النجوم ٢: ٣٧٥- ٣٧٦؛ Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 89-91؛ وفيما تقدم ١: ١٥٢ ، وفيما يلي ٢: ١٨٥).

فلمَّا وَفَّى النِّيلُ ستة عشر ذراعًا ، رَكِبَ الخَليفَةُ والوَزيرُ إلى الصِّناعَة بمصر ، ورُمِيَت العُشاريات بين أيديهما ، ثم عَدَّيا في إحداها إلى الـمِقيَاس وصَلَّيا ، ونزل الفَقيه[a] صَدَقَة ابن أبي/ الرَّدَّاد منزلته وخَلَّق العَمُود[١] . ٤٧٢:١

وعادَ الخَليفَةُ على فَوْره ، ورَكِبَ البَحْر في العُشاري الفِضِّي والوَزيرُ صُحْبَته ، والرَّهَجِيَّةُ تَخْدم برًّا وبحرًا ، والعَساكِرُ طول البَرّ قُبالَته إلى أن وَصَلَ إلى المَقْس .

ورُتِّب الـمَوْكِبُ ، وقَدِمَ العُشاري للخَليفَة[b] الآمِر بأحْكام اللَّه والوَزير المأمُون ، وسارَ الموكِبُ والرَّهَجِيَّةُ تخْدِم والصَّدَقاتُ والرُّسومُ تُفرَّق ، ودَخَلَ من باب القَنْطَرَة وقَصَد باب العيد ، واعتمد ما جَرَت به العادَة من تَقْدِيم الوَزير وترجُّلِه في رِكابه إلى أن دَخَلَ من باب العيد إلى قَصْره .

وتقدَّم بالخَـلْع على ابن أبي الرَّدَّاد : بَدْلَةٌ مُذَهَّبة ، وثَوْبٌ دَبيقي حَريري ، وطَيْلَسانٌ مُقَوَّر بياضٌ مُذَهَب ، وشُقَّة سَقْلاطون ، وشُقَّة عَتَّابي[c] ، وشُقَّة خَزّ ، وشُقَّة دَبيقي ، وأربعة أكياس دراهم . ونُشِرَت قُدَّامَه الأعلامُ الخاصّ الدَّبيقِي المُجاوَمة بالألوان المختلفة التي لا تُرَى إلَّا قُدَّامه لأنَّها من جملة تجمُّل الخَليفَة ، وأُطْلِق له برَسْم المبيت من البَخور والشُّموع والأغنام والحَلاوات كثيرٌ . و[d]ذَكَرَ من التَّجَمُّلات وترتيب العَساكِر في الرُّكوب ونزول الخَليفَة بالسُّكَّرَة إلى أن كُسِرَ الخليج ما قد اختصرنا ذكره[d]

قال : وهُيِّئَت المَقْصُورَةُ في مَنْظَرَة السُّكَّرَة برَسْم راحَة الخَليفَة وتغيير ثِيابِه[٢] ، وقد وَقَعَت المبالغة في تَعْليقها وفَرْشها وتعبئتها ، وقُدِّم بين يَدَيْه الصَّواني الذَّهَب التي وَقَع التناهي فيها من هِمَم الجِهات ، من أشكال الصُّوَر الآدَمِيَّة والوَحْشِيَّة من الفِيَلَة والزَّرافات ونحوها ، المعمولة من الذَّهَب والفِضَّة والعَنْبَر والمَرْسِين المشدود والمَظْفور عليها ، المكلَّل باللُّؤْلُؤ والياقوت والزَّبَرْجَد ، ومن[e] الصُّوَر الوَحْشِيَّة ما يُشْبه الفِيَلَة جَميعها عَنْبَر معجون كخِلْقَة الفيل ، ونَاباه فِضَّة وعَيْناه جَوْهَرتان كبيرتان في كلٍّ منهما مِسْمار ذَهَب مجرى بسواد[f] ، وعليه سَرير مَنْجور من عُود بمتكآت فِضَّة وذَهَب ، وفيه[g] عِدَّة من الرجال رُكْبان ، وعليهم اللَّبوس تشبه الزَّرْديات ، وعلى

---

a) بولاق : الثقة . b) بولاق : بالخليفة . c) بولاق : تحتاني . d-d) هذه العبارة ساقطة من بولاق . e) الواو ساقطة من بولاق . f) بولاق مجرى سواده . g) بولاق : عليه .

---

[١] هو ما يعرف بركوب تَخْليق المقياس (انظر فيما يلي ٥٥٥ - ٥٥٢) .

[٢] فيما تقدم ٥٣٧.

رءوسهم الخُوَذ ، وبأيديهم السُّيوف المجرَّدة والدَّرَق ، وجَميعُ ذلك فِضَّة . ثم شَبَه[a] صُوَر السِّباع مَنْجورة من عُود ، وعَيْناه ياقوتتان حَمْراوان وهو على فَريسته ، وبقية الوَحْش[b] وأصْناف تُشَدّ من المَرْسين المكلَّل باللؤْلؤ شَبَه الفاكِهَة .

قال : ومن جُمْلَة ما وَقَعَ الاهتمامُ به في هذا المَوْسم ما صارَ يُسْتَعْمَل في الطِّراز ، وإن لم يتقدَّم نَظيرُه للوَلائم التي تُتَّخذ برَسْم تغطية الصَّواني ، عِدَّة من عَراضي دَبيقي ، ثم قَوَّارات شَرْب تكون من تحت العَراضي على الصَّواني ، مَفْتَح كلّ قَوَّارَة منهن دَوْر[c] أربعة أشْبار ، سُلَف كلّ واحدةٍ منهن خمسة عشر دينارًا ، ورُقِمَ في كلّ منهن سَجْفُ ذَهَب عراقِي ثمنه من أربعين إلى ثلاثين دينارًا ، تكون الواحِدَة بخمسين دينارًا .

ويُسْتَعْمَل أيضًا برَسْم الطُّرَح ، من فوق القَوَّارات الإسْكَنْدراني التي تُشَدّ على الموائِد التي تُحْمَل من عند كلّ جِهَةٍ ، قَوّاراتٌ دَبيقي مقصور من كل كلّ لَوْن مُجاوَمَة بالرُّقُوم الحَريري ، مَفْتَح كلّ قَوّارة أربعة أذرع ، يكون الثَّمَن عن كلّ واحدة أربعين دينارًا .

ولقد بيعت عِدَّةٌ من القَوّارات الشَّرْب ، فسارَع التجّارُ العِراقيون إلى شِرائِها ، ونهاية ما بَلَغ ثَمَنُ كلّ واحدة منهن ستة عشر دينارًا ، وسافَروا بها إلى البلاد ، فلم يُبَع لهم منها سوى اثنتين ، وعادوا بالبقيَّة إلى الديار المصرية في سنة ستٍّ وثمانين وخمس مائة[1] وحَمَلُوا[d] منهن شيئًا عن السُّوق فلم يُحْفَظ لهم رأسُ مالهنّ .

قال : وكان ما تقدَّم من الزَّبادي في الطَّيافير من الصِّيني إلى آخر أيام الأَفْضَل بن أمير الجُيُوش وأيام المأمُون ، وإنما اسْتُجِدَّت الأواني الذَّهَب في أواخِر الأيام الآمِرية . والذي يُعَبَّأ بين يدي الخَليفَة قوائميَّة ضِمْنها عدَّة من الطَّيافير المحمولة بالمرافِع الفِضَّة برَسْم الأطْباق الحارَّة .

وليس في المواسِم مائِدَةٌ بغير سِماط للأُمَراء ويجلس عليها الخَليفَة ، غير هذا المَوْسِم . وإن كان يجري مَجْرَى الأعياد ، وله البَخور مُطْلَق مثلها ، وينفرد بالجُلُوس معه الجُلَساءُ المميَّزون والمستخدمون . وعند كمال تعبئتها وبَخورها جَلَسَ الخَليفَة عليها ، عن يمينه وَزيرُه ، وعن يَساره

---

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : الوحوش . c) بولاق : دون . d) بولاق : حفظوا .

---

[1] هذا التاريخ يدل على أن ابن المأمون كتب تاريخه جمادى الأولى سنة ٥٨٨هـ (المقريزي : السلوك ١:١١١) .
وأضاف إليه حتى آخر أيامه فقد توفي بعد ذلك بعامين في ١٦

أَخُوه ومن شَرُفَ بحُضُوره ؛ وفي آخرها فُرِّق منها ما جَرَت به العادَةُ على سَبيل البَرَكَة [1].

وقال في سنة ثمان عشرة وخمس مائة : ووَصَلَت الكُسْوَةُ المختصَّة بفَتْح الخَليج ، وهي برَسْم الخَليفَة تَحْتان ضمنهما بَدْلَتان : إحداهما مِنْديلُها وثَوْبُها طَميمٌ برَسْم المضيّ ، والأخرىٰ جَميعُها حَريري برَسْم العَوْد . وكذلك ما يخصّ إخوته وجهاته بَدْلَتان مذهَّبتان ، وأربع حُلَل مُذَهَّبة . وبرَسْم الوَزير بَدْلَةٌ مُوْكِبية مذهَّبة . وبرَسْم جِهَته حُلَّةٌ مذَهَّبَة في تَخْت . وهؤلاء المُمَيَّزون لكلّ منهم تَخْت ، وبقيّة ما يخصُّ المستخدمين وابن أبي الرَّدّاد في تُخُوت ، كلّ تَخْت فيه عِدَّةُ بَدْلات .

وحَضَر مُتَوَلّي الدَّفْتَر ، واستأذن على ما يُحْمَل برَسْم الخَليفَة ، وما يُفرَّق وما يُفَصَّل برَسْم الخِلَع ، وما يَخْرج من حاصِل الخَزائِن غير الواصل ، وهو ما يُفَصَّل برَسْم الغِلْمان الخاصّ عن سبع مائة قَباء خمس مائة وشُقَّتان سَقْلاطون داري ، وبرَسْم رُؤَساء العُشَاري من الشُّقَق الدِّمْياطي والمناديل السُّوسي والفُوَط الحَرير الحُمْر[a] ، وبرَسْم النَّواتية التي برَسْم الخاصّ من العُشارِيَّة من الشُّقَق الإسْكَنْدَراني والكَلُّوتات .

فوَقَّع بإنفاق جَميع ذلك وتَفْصيل ما يجب منه ، ثم اتْبَع ذلك بمُطالَعَةٍ ثانية ، برَسْم ما هو مستمرّ العُمُوم من الهِبَة[b] العَيْن والوَرِق للمَوْسم المذكور ، وهو من العَيْن أربعة آلاف وخمس مائة/ دينار ، ومن الوَرِق خمسة عشر ألف درهم . فوقَّع بإطلاق ذلك . وذَكَر تَفْصيل الكُسْوات والهِبات بأسماء أربابها . ٤٧٣:١

وحَضَرَ مُتَوَلّي المائِدَة الآمِرية بمُطالَعَةٍ يستدعي ما جَرَت به العادَةُ في هذا المَوْسِم من الحَيَوان الضَّأن والبقَر ، وغير ذلك من الأصْناف ، برسْم التفرقة والأسْمِطَة . وحَضَرَ مُتَوَلّي دار التَّعْبِئَة يستدعي ما يَبْتاع به الثَّمَرَة والزَّهْرَة وهِبَة[c] المتعَيِّنين لتعبئة السُّكَّرَة ، لأجل حُلُول الرُّكاب بها ومُقامِه فيها ، وتَعْبِئَة جَميع مَقاصيرها التي برَسْم الأُسْتاذين والأصحاب والحَواشي ، وهو مائة دينار ، فوَقَّع بإطْلاقها .

وفي العاشر من الشهر المذكور - يعني شهر رَجَب - وَفَّى النِّيلُ ستة عشر ذراعًا ، فتوجَّه المأمونُ إلى صِناعَة العَمائِر بمصر ، ورُمِيَت العُشارِيَّاتُ بين يَدَيْه ، وقد جُدِّدَت وزُيِّنَت جَميعُها بالسُّتور

---

a) بولاق : الأحمر. b) بولاق : النقد. c) بولاق : هيئة.

---

[1] ابن المأمون : أخبار مصر ٧١- ٧٣.

الدِّيبقي الملوَّنة والكَوابج[a] والأَهِلَّة الذَّهَب والفِضَّة، وشَمَل بالإنعام[b] أَرْباب الرُّسوم على عادَتهم.

وعَدَّى في إحدى العُشاريات إلى المِقْياس، وخَلَّق العَمُود بما جَرَت به عادَتُه[c] من الطِّيب [1]، وفُرِّقَت رُسُومُ الإطْلاق، وانكفأ إلى دار الذَّهب، وأَمَرَ بإطْلاق ما يخصّ المبيت في المِقْياس بجميع الشُّهود والمُتَصَدِّرين وهي العشَرات: من الخُبْز عشرة قَناطير، وعشرة خِراف شَوْي، وعَشْر جامات حَلْوى، وعشر شَمْعات.

وأوَّل من يَحْضُر المبيت الشَّريفُ الخَطيبُ سَيِّدُ المقرِّبين وإمام المتصدِّرين، وله وللجمَاعَة من الدَّراهم التي تُفرَّق أوفى نَصيب.

قال: وخَرَجَ الخَليفَةُ بزِيّ الخلافَة ووَقارِها وناموسِها: بالثِّياب الطَّميم التي تُذْهِل الأَبْصار، والمِنْديل بالشَّدَّة الغَريبة[d] التي ينفرد بلباسِها في الأَعْياد والمَواسم خاصَّة لا على الدَّوام - وكانت تُسَمَّى عندهم «شَدَّةُ الوَقَار» [2] - مُرَصَّعَة بغالي الياقوت والزُّمُرُّد والجَوْهَر؛ وعند لِباسِها [e]يَتَحقَّق لها الاسْم[e] ويُتَجَنَّب الكلامُ ويُهاب، ولا يكون سَلامٌ قَريبٌ منه وجَليلٌ غير الوَزير إلَّا تَقْبيل الأرض من بعيد من غير دُنُو، ثم بين يديه من مقدَّمي خَزائِنِه من يحمل سَيْفَه ورُمْحَه المرصَّعين بأفخر ما يكون، ثم المَذَابُ التي كلٌّ منها عَمُودها ذَهَبٌ وينفرد بحملها الصَّقالِبَة.

ويمشي بين الصَّفَّيْن المرتَّبين راجِلًا على بُسُطٍ حَرير فُرِشَت له، وكلٌّ من الصَّفَّيْن يتناهى في مُواصَلَة تقبيل الأرض، إلى أن وَصَل إلى مَجْلس خِلافَتِه، وصَعِد على الكرسي المُغَشَّى بالدِّيباج المنصوب برَسْم رُكُوبه. وقد صَفَّت الرُّوَّاضُ وأَزِمَّةُ الإسْطَبْلات خَيْل المِظَلَّة بعد أن أزالت الأَغْشية الحَرير والشُّقَق الدِّيبقي المذهَّبة عن السُّروج، وبقيت كما وَصَفَها الله تعالى في كتابه [3]، فقُدِّم إليه ما وَقَع اختيارُه عليه، وأمر بأن تُجَنَّب البقيَّة في المَوْكِب بين يديه.

ولمَّا عَلا ما قُدِّم إليه اسْتَفْتَح مُقْرِئُو الحَضْرَة، وتَسَلَّم جميعُ مقدَّم الرِّكاب رِكابَه والرُّوَّاض الشَّكيمة، وزال حُكْم الأُسْتاذين المستخدَمين في الرِّكاب وعادَت الموالي والأقارب إلى مَحالِّهم،

---

a) بولاق: الكوامخ. b) بولاق: الإنعام. c) بولاق: عادتهم. d) بولاق: العربية. e-e) بولاق: تخفق لها الأعلام.

---

[1] انظر الاحتفال بتخليق المقياس فيما يلي ١: ٤٧٦-٤٧٧.

[2] عن شَدَّة الوَقار، انظر فيما تقدم ٤٣٣، ٤٦٨.

[3] يقصد الآية الكريمة ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾ [الآية ٣١ سورة ص].

واسْتُدْعي بالوَزير بجَميع نُعوتِه، فواصَلَ تقبيل الأرض إلى أن قَبَّلَ رِكابَه، وشَرَّفَه بتَقْبيل يده بحُكْم خُلُوِّها من قَضيبِ المُلْك في هذا المَوْسِم[a].

ولمَّا أدَّى ما يجب من فَرْض السَّلام، أَخَذَ السَّيْف من الأمير افْتِخار الدَّوْلَة - أَحَد الأمَراء الأُسْتاذين المُمَيَّزين المُحَنَّكين - مُتَوَلِّي خِزانَة الكُسْوَة الخاصّ، وسلَّمه بعد أن قَبَّله لأخيه الذي يتولَّى حمله في المَوْكِب بعد أن أُرْخِيَت عَذَبَتُه تَشْريفًا له مُدَّة حَمْله خاصَّة وتُرْفَع بعد ذلك، وشَدَّ وَسَطَه بالمِنْطَقَة الذَّهب تأدُّبًا وتَعْظيمًا لما معه، وسَلَّم الرُّمْح والدَّرَقَة لمن يتولَّى حَمْلهما بلواء المَوْكِب. ولم يكن للخِدْمَة المذكورة عَذَبَةٌ مُرْخاةٌ ولا مِنْطَقَة. واستدعى رُكوب الوَزير وأولاده من عند باب قاعَة الذَّهَب.

وخَرَجَ الخَليفَةُ من القاعَة المذكورة إلى أَوَّل دِهْليز، فتلقَّته جَماعَةُ صِبْيان رِكابِه العشرة المقدَّمين أرْباب المَيْمَنَة والمَيْسَرَة، وصِبْيانٌ وراء صِبْيان الرَّسائل، وصِبْيانُ السَّلام، كلٌّ منهم في الخِدْمَة المعيَّنة لا يخرج عنها لسواها، وجَميعُهم بالمناديل الشُّروب المُعَلَّمَة، وبأوْساطِهم العَراضي الدَّبيقي المقصورة، وليس الجميعُ عَبيدًا بشِراء ولا سُودان، بل مُوَلَّدة وأوْلاد أعْيان وأَهْل فَهْم ولِسان.

ثم احْتاطَ بركابه بَعْدهم مَنْ هو على غير زِيِّهم، بل بالقناديز[b] المُفَرَّجة والمناديل السُّوسي، وهم المتولُّون لحَمْل السِّلاح الخاصّ - الذي لا يكون إلَّا في مَوْكِبه خاصَّةً على الاستمرار - من الصَّوارِي والفَرَنْجِيّات والدَّبابيس واللُّتوت والصَّماصِم بالدَّرَق الصِّيني واليَمَنى بالكوابج[c] الفِضَّة والذَّهَب.

ويَحْصُل الاستدعاء من صِبْيان السَّلام في مَسافَة الدَّهاليز، لكلِّ من هو مُسْتَخْدَم في المَوْكِب ركوبه من محلّ حُجْبته إلى أن خَرَجَ الخَليفَةُ من باب الذَّهَب، وقد ضُرِبَت الغَرِيبَة[1] وأبْواق السَّلام، واجتمع الرَّهَجُ من كلِّ مكان، ونُشِرَت المِظَلَّةُ، فاجتمع إليها الزُّوَيليَّة بالعُدَد الغَريبَة، وظُلِّل بها عليه[d] وسارَت بسَيْره، والقُرْآنُ الكَريم عن يَمينه ويَساره، والحُجَرِيَّة الصِّبْيانُ المُنْشدون. واجْتَمَعَ المَوْكِبُ بجملته على ما ذُكِرَ أَوَّلًا، والترتيب أمامَه لمتولِّى الباب وحُجَّابِه وتِلْوه لمتولِّى السِّتْر، وكلٌّ منهم على حُكْم المَدارِج التي وَصَلَت إليه، لا سَبيل إلى الخُروج عمَّا رُسِمَ فيها.

---

a) بولاق: هذه المواسم. b) بولاق: القنابيز. c) بولاق: بالكوامخ.

---

[1] الغريبة. بوق لطيف من ذهب معوج الرأس مُتَّخَذ من الذهب صوته مخالف لصوت الأبواق. (فيما تقدم ٣٠٤).

وسَارَ بجملة مَوْكِبِه على ترتيب أوْضاعِه بين حِصْنَيْن مانعين من طَوارِق عَساكِره فارِسِها

٤٧ وراجِلها/ كلُّ طائِفةٍ يَقْدُمها زِمامُها ، وقد ازْدَحَموا في المَصَفَّات بالعُدَد المذهَّبة الحربية والآلات المانِعَة المضيئة ، وليس بينهم طَرِيقٌ لسالك ؛ وقد زُيِّن لهم جَميعُ ما يكون تلوهم[a] من الطُّرُق جَميعها ، حوانيتها وآدرّها وجَميع مَساكِنها وأبواب حاراتها ، بأنواعٍ من السُّتور والدِّيباج والدَّبيقي على اختلاف أجْناسها ، ثم بأصْنافِ السِّلاح .

وملأت النَّظَّارةُ الفِجاج والبِطاح والوِهاد والرُّبىٰ ، والصَّدَقاتُ والرُّسوم تَعُمّ أهل الجانبين من أرباب الجَوامِع والمساجِد ، وبَوّابِي الأبْواب والسَّقَّائين والفُقَراء والمساكين في طُول الطريق ، إلى أن أَطَلَّ على الخيام المَنْصورة[b] فوَقَفَ بمَوْكِبه ، واسْتَدْعى الوَزيرَ بِعِدَّة[c] من مُقَدَّمي رِكابِه ، فاجتازَ راكِبًا بمفرده ، وجَميع[d] حاشيتِه بسلاحهم رَجَّالة في رِكابِه ، بعد أن بالغَ في الإيماء بتَقْبيل الأرض أمامَه ، فرَدَّ عليه بكُمِّه[e] السَّلام .

وعادَ الخَليفَةُ في سَيْره بالمَوْكِب بعد أن حَصَلَ الوزيرُ أمامَه ، وترجَّل جَميعُ من شَرُفَ بحُجْبته في رِكابِه وآخرهم مُتَوَلّى حَمْلِ سَيْفِه ورُمْحِه ، وصِبْيان السِّلام يَسْتَدْعون كلًّا[f] منهم إلى تَقْبيل الأرض بجَميع نُعوته ؛ إكبارًا له وتَمْييزًا واحْتاطوا برِكابِه ، ووَصَلَ إلى المَضارِب في الحَرَس الشديد على أبْوابها وسُرادِقاتها من كلِّ جانب ، وقد تبيَّن وَجاهَة من حَصَلَ بها ومُكِّن من الدُّخول إليها .

وترجَّل الوَزيرُ في الدِّهْليز الثَّالث من دَهاليزها ، وتقدَّم إلى الخَليفَة وأَخَذَ شَكِيمَة الفَرَس من يد الرُّوَّاض ، وشَقَّ به الخيام التي جَمَعَت جَميع الصُّوَر الآدمية والوَحْشية ، وقد فُرِشَت جَميعُها بالبُسُط الجَهْرمي والأندلُسي[g] ، إلى أن وَصَلَ إلى القاعَة الكبرىٰ فيها . وترجَّل على سَرير خِلافَتِه ، وجَلَسَ في مَحَلِّ عَظَمَتِه ، وأَجْلَسَ وَزيرَه على الكُرْسي الذي أُعِدَّ له ، واحْتاطَ المستخدمون حَمَلَة السِّلاح المنتصب جميعه ، وحَجَبُوا العُيونَ عن النَّظَر إليه ، وصُفَّ بين يديه الأُمَرَاءُ والضُّيوفُ والمُشَرَّفون بحُجْبته ، وخَتَمَ المُقْرِئون القُرْآن العَظيم ، وقَدَّم عَدِيُّ المُلْك النَّائِب شُعَراء المَجْلس على طَبَقاتِهم .

وعند انْقِضَاء خِدْمَة آخرهم ، عادَت المستخدمون والرُّوَّاضُ مُقَدِّمَةً ما أُمِروا به من الدَّواب ، فعَلاه الخَليفَة والوَزير يُمْسك الشَّكِيمَة بيده ، وانتظمَ مَوْكِبًا عَظيمًا ، والقُرَّاءُ عِوَض الرَّهَجِيَّة ،

---

a) بولاق : أمامهم . b) بولاق : المنصوبة . c) بولاق : بعده . d) بولاق : وجمع . e) بولاق : بكلمة . f) بولاق : كل . g) بولاق : الجهرمية والأندلسية .

والجَماعَة في رِكابه رجّالة على حُكْم ما كانوا عليه أوّلًا ، وصَعِدَ من القاعَة التي[a] دَهاليز الباب القِبْلي فيها[b]، فخَرَج منه ، وانفصلت خِدْمَةُ جَميع الأُمَراء والضُّيوف من رِكابه بأحْسَن وَداعٍ من تَقْبيل الأرض .

وصَعِدَ الخليفَةُ ووَزيرُه وأولادُه وإخوتُه والأصحابُ والحَواشي إلى السُّكَّرَة ـ وهي من جَنَّات الدنيا المزخرفة ـ وتَلَقَّاه أخوه بعَظَمَةِ سَلامِه وتَقْبيل الأرْض بين يديه ، وجَلَسَ لوَقْتِه ، وفُتِحَت الطاقاتُ التي في المَنْظَرَة ، وعن يَمينه وَزيرُه وعن يَساره أخوه جالسان ، واعتمد النَّاسُ جَميعهم عند مُشاهَدَته تَقْبيل الأرض له وإدامَة النَّظَر نحوه . والمستخدمون جَميعُهم على السَّدّ مَشْدودو الأوْساط واقِفون عليه ، فلمَّا أَمَرَهُم الوَزيرُ أن يَكْسِروه ، قَبَّلوا الأرض جَميعًا وانصرفوا عنه ، وتولَّته الفَعَلَةُ في البَساتين السُّلْطانية بالفَتْح من الجانبين ، والقرآنُ والتَّكْبيرُ من الجانِب الغربي حيث الخَليفَة ، والرَّهَجُ واللَّعِبُ من الجانب الشرقي[١] .

ولمَّا كَمُلَ فَتحُهُ انحدرت العشارِيَّاتُ منه عن آخرهم[c]، اللَّطيفُ منها يَقْدُم الكبير ، والجَميعُ مُزَيَّنة بالذَّهب والفِضَّة والسُّتور المرقومة ، ورؤساؤهم وخُدَّامُهم بالكُسْوات الجميلة .

وبعد ذلك غُلِّقت الطاقاتُ ، وحَلَّ الخَليفَةُ بالمَقْصورَة التي لراحته ، وكذلك الوَزيرُ وأولادُه وإخْوتُه ، وجَميعُ الأُمَراءُ الأسْتاذين والأصْحاب والحَواشي . واسْتُدْعي للوَقْت والي مصر من البَرّ الشَّرْقي ، وخَلَع عليه بَذْلَةً مِنْديلها وثَوْبها مذهَّبان ، وثَوْبان عتَّابي وسَقْلاطون ، وقَبَّل الأرض من تحت المَنْظَرَة ، وعَدَّى في البحر إلى حِفْظ مكانِه . ثم اسْتُدعي بعدَه حامي البَساتين ومُشارِفُها ، فخَلَع عليهما بَذْلَتَين حَريري وثَوْبين سَقْلاطون وعَتَّابي . ثم مُتَوَلِّي ديوان العَمائر كذلك[٢]، ثم مُقَدَّمي الرُّؤساء كذلك .

واعتمد كلُّ من سُلِّم إليه الإثْباتات المشتملة على أصناف الإنْعام من العَيْن والوَرِق وصَواني الفِطْرَة[d]، والموائِد التي يهتَمُّ بها جَميعُ الجِهات ، والخِراف الشُّواء[e]، والجامات الحَلْوى ، تفرقة ذلك على ما رُسِمَ ، وهو شامِلٌ غير مخصَّص : من أخي الخَليفَة والوَزير ، إلى الأصْحاب

---

a) بولاق : التي في . b) بولاق : منها . c) بولاق : العشاريات على آخرها . d) بولاق : البطرة . e) بولاق : المشوية .

---

[١] هو الاحتفال بركوب كَسْر (فَتْح) الخليج (فيما يلي ٥٥٥، ٢: ١٤٣).

[٢] أي : متولي ديوان الجهاد المشرف على الأسطول (فيما يلي ٥٧١ ، ٢: ١٩٣) .

والحَواشي من أرْباب السُّيُوف والأقْلام ، ثم الأُمَرَاء الغَيْر مُسْتَخْدَمين[a] والضُّيوف المميَّزين من الأجْناد ، وغيرهم من الأَذْوان ممَّن يتعلَّق به خِدْمَةٌ تختصّ بالمَوْسِم من البَحّارة ، وأرْباب اللَّعِب وغيرهم .

وعُبّيَت الأَسْمِطَةُ في المُسَطَّحات المنصوبة لها بالجانِب من الباب الغربي من الخيام ، وأَمَرَ الوَزِيرُ أخاه بالمضيّ إليها والجلُوس عليها ، فتوجَّه وبين يديه مُتَوَلّي حُجْبَة الباب ونُوَّابه والمعروفية والحُجّاب ، واسْتُدعيت الأُمَرَاء والضُّيوف بالسُّعاة[b] من خِيامِهم ، وأُجْلِسَ كلٌّ منهم على السِّماط في مَوْضِعه على عادَتهم ، وتَلاهم العَساكِرُ على طَبَقاتِهم ، ولم يَمْنَع حضورهم ما يسير لكلٍّ منهم من جَميع ما ذكر على حكم مَيْزَته .

ولمَّا انقضى حُكْمُ الأَسْمِطَة المختصَّة بالأُمَرَاء الكِبار ، عادَ أخو الوَزير إلى حيث مقرّ الخِلافَة ، وبقي مُتَوَلّي الباب/ جالِسًا لأسْمِطَة العَبيد وجميع المستخدمين من الرَّاجِلِ والسُّودان ، وعُبّيَت المائِدَةُ الخاصّ بالسُّكَّرَة التي ما يحضرها إلا العَوالي الخاصّ المستخدمون في الخِدَم الكِبار ، ويُجْمَع له حالتان : حُضُوره في أَشْرف مُقام ، وجُلوسه في مَحَلٍّ تَحْصُل له به حُرْمَة وذمام . ٤٧٥:١

وجَلَسَ الخَليفَةُ عليها ، وأخوه على شِماله ووَزيرُه على يَمِينه ، بعد أن أدَّى كلٌّ منهما ما يجب من سَلامِه وتَعْظِيمه ، وحَضَرَ أولادُ الوَزير وإخْوَته ، والشَّيْخ أبو الحَسَن كاتِب الدَّسْت وابنه سالِم ، ومن الأُسْتاذين المحَنَّكين أرْبابُ الخِدَم . وجَرَى الحالُ في المائِدَة الشَّرِيفَة على ما هو مألوفٌ ، وفُرِّقَ من جملتها لكلٍّ من أرْباب الخِدَم الذين لم يحضروا عليها ما هو لكلٍّ منهم على سَبيل الشَّرَف .

وتَميَّز في ذلك اليوم خاصَّةً ما يختصُّ بالقاضي وشُهوده والدَّاعي ورجاله[c] ، الذين يُخَصَّصون عن سواهم بمُقامِهم دون غيرهم في قاعَة الخَيْمَة الكبرى أمام سَرير الخِلافَة المنصوب مُدَّة النهار ، مع ما يُحْمَل إليهم من الموائِد وغيرها ممَّا هو بأسمائهم في الإثْباتات مذكور . ولمَّا تكامَلَ وَضْعُ المائِدَة وانقضى حُكْمُها قَبَّلَ كلٌّ من الحاضرين الأرض ، وانصرفَ بعد أن استصحب منها ما تَقْتضيه نَفْسُه على حُكْم الشَّرَف والبَرَكَة . ويقضي بعد ذلك الفَرائِض الواجِبَة في وَقْتها ، ولا بدّ من راحَةٍ بعدها .

وحَضَرَ مُقَدَّما الرِّكاب وحاسَبا كاتِب الدَّفْتَر على ما معهما بِرَسْم تَفْرِقَة الرُّسوم والصَّدَقات في مَسافَةِ الطَّريق ، فكَمَّلَ لهما على ما بقي معهما مثل ما كان أوَّلًا . ولمَّا استحق العَوْد ، عادَ كلٌّ من

---

a) بولاق : المستخدمين . b) بولاق : السقاة . c) بولاق : وابن خاله .

المُسْتَخْدَمين إلى شُغْله من تَرْتيب المَوْكِب ومَصَفَّات العساكِر ، وتَرْتيب من يُشَرَّف بالحُجْبَة[a] من الأُمَرَاء والضُّيوف .

وفُرِّقَت الصَّواني الخاصّ التي تكون بين يديِ الخَليفَة مدَّة النَّهار ، الجامِعَة للثروة من كلّ جهة ، والزِّينَة من كِلّ معنى ، والغَرْبَة من كلّ صَنْعَة[b]؛ وقد جَمَعَت مَلاذّ جَميع الحَواسّ ، والعُدَّة منها يسيرة ، وليس ذلك لتَقْصيرٍ من هِمَم الجِهات التي تتنوَّع فيها بالغَرائب ، بل للتَّعَب الشَّديد عليها ، ثم لضيق الزَّمان ، لأنَّ كلًّا منها لا مَنْدوحَة أن يكون فيها زَهْرَة وثَمَرَة ، وطول المُكْث كذلك يُتْلِف ما فيها . وإذا شَمِلَت ـ مع قِلَّتها ـ من له الوَجاهَة العالية من أخي الخَليفَة والوَزير ، لم يكُن له غير صينيَّة واحِدَة .

وأَخَذَ كلٌّ من الحاشية أُهْبَة تَجَمُّله لموضع ميزته ، وغَيَّرَ الخَليفَةُ ثِيابَه بما يقتضيه الموكبُ وهو بَدْلَة حَريري بشَدَّة الوَقار وعَلَم الجَوْهَر .

وسُيِّر إلى الوَزير ، صُحْبَه مقدَّم خِزانَة الكُسْوة الخاصّ على يد المستخدمين عنده من الأُسْتاذين ، من جُمْلة بَدْلات الجُمَع التي يَتَوَجَّه فيهن إلى رَبِّه[c] ويوم يَمُرُّ[d] يسعى إليه ، بَدْلَة مكمَّلة حَريري ومنْديلها بَياض بالشَّدَّة الدَّائمية غير الغَريبة[e]. ولمَّا لَبِسَ ما سُيِّرَ إليه ، وحَضَرَ بين يديه لشُكْر نِعْمَته ، أَمَرَه برُكُوب أخيه في إحدى العُشارِيَّات ، فامْتَثَلَ أمْرَه ، وتوجَّه صُحْبته من السُّكَّرَة بجَميع خَواصِّه وحَواشيه ، وفُتِحَ لهم البابُ الذي هو منها بشاطئ الخَليج ، وقُدِّم له إحدى العُشاريات الموكبية ، وفيها مُقَدَّم رئاسة البَحْرية فرَكِب فيها بجَمْعه ، والوَزير واقِفٌ راجلٌ على شاطئ الخليج خِدْمَةً له ، إلى أن انْحَدَرت العُشارِيَّاتُ جَميعُها قُدَّامه ، ومَراكِب اللَّعِب بغير أَحَدٍ من أرباب الرَّهَج ، والمستخدمون في البَرَّيْن يمنعون من يُقاربه ، والمتفرّجون لا يَصُدّهم ويرُدّهم ما يحلّ بهم ، بل يَرْمون أنفسهم من على الدَّواب ، ويَسيرون بسَيْره .

وعادَ الوَزيرُ إلى السُّكَّرَة ، فلمَّا شاهَدَ الخَليفَةُ الدَّواب الخاصّ التي برَسْم رُكُوبه ، أَمَرَه بما وَقَعَ عليه اختياره منها وعَلاه ، فاحْتاطَ برِكابِه مُقَدَّمو الرِّكاب ، واستفتح القُرَّاءُ ، وخَرَجَ من باب السُّكَّرَة ، ودَخَلَ من باب الخَيْمَة[f] القِبْلي وشَقَّ قاعَتَها على سَرير مملكته ، وخَصّ بالسَّلام فيها شُيوخ الكُتَّاب العَوالي والقاضي والدَّاعي ومن معهما ، ولهم بذلك مَيْزَةٌ عَظيمَةٌ يَختصُّون بها دون

---

a) بولاق : بالحضرة . b) بولاق : والغـرابة من كل صنف . c) بولاق : منها إلى زيه . d) بولاق : ما يؤمر به من . e) بولاق : الدانيه غير العربية . f) بولاق : الخليفة .

غيرهم. وخَرَجَ منها إلى البُشتان المعروف بِنزار، وسارَ في مَيْدانه وجَميعه من الجانبين سُورٌ معقودٌ من شَجَرِ نارِنْجِ أصولُها مُفَرَّقَة[a] وفروعُها مُجْتَمِعة قد[b] ظَلَّلَت الطَّريق، وعليها من الثَّمَرة التي آخِر جَمِعها في وَقْته[c] إلى هذا اليوم، وقد خَرَجَت بَهْجَتُها عن المعتاد، وحَصَلَ عليها ثَمَرَةُ سنتين: إحداهما انتهت، والأخرى في الابتداء. وهو بهيئته وزِيِّه وتَرتيب عَساكِره وأُمَرائِه، وخَرَجَ من الباب بعد أن عَمَّ مَنْ له رَسْم بإنْعامِه، وعاد الرَّهَجُ والمَوْكِبُ على ما كان عليه، فلمّا وَصَلَ إلى السَّدّ الذي على بِرْكَة المقسي[d] كُسِرَ بين يديه[١].

وقال في كتاب «الذَّخائر»: إنَّ مِمَّا أُخْرِج من القصر في سنة إحدى وستين وأربع مائة في خِلافَة المُسْتَنْصِر، قُبَّةُ العُشَاري وفازَتُه[e] وكُسْوةُ رَحْله. وهو مِمَّا استعمله الوَزيرُ أحمد بن عليّ الجَرْجرائي في سنة ستٍّ وثلاثين وأربع مائة، وكان فيه مائة ألف وسبعة وستون ألفًا وسبع مائة دِرْهَم فِضَّة نُقْرَة. وأنَّ المُطْلَق للصُّنّاع الصّاغَة من أُجْرة ذلك وفي ثَمَن ذَهَبٍ لِطلائِه خاصَّةً، ألفان وسبع مائة دينار.

وعَمِلَ [f]أبو سَعْد إبراهيم بن[f] سَهْل التُّسْتَري لوالِدةِ المُسْتَنْصِر عُشارِيًّا يُعْرَف بالفِضِّي، وحَلَّى رِواقَه بِفِضَّة تقديرها مائة ألف وثلاثون ألف درهم، ولَزِمَ ذلك أُجْرَة للصِّباغَة[g] ولِطِلاء بعضه ألفان وأربع مائة دينار، واستعمل كُسْوة برَسْمه/ بمالٍ جَليل. ٤٧٦:١

وأَنْفَقَ على العُشاريّات التي برَسْم النُّزَه البَحْرية ـ التي عِدَّتُها ستة وثلاثون عُشارِيًّا بالتقدير، بجَميع آلاتها وكُساها وحُلاها من مَناطق ورءوس مَنْجوقات وأَهِلَّة وصُفْرِيات وغير ذلك ـ أربع مائة ألف دينار[٢].

وقال ابنُ الطُّوَيْر: إذا أَذِنَ الله سبحانه وتعالى بزيادة النِّيل المبارَك، طالَعَ ابن أبي الرَّدّاد بما استقرَّ عليه أَذْرع القاع في اليوم الخامِس والعشرين من بَؤُونَة، وأرَّخه بما يُوافقه من أيام الشَّهر[h] العربي. فعَلِمَ ذلك من مُطالَعته، وأُخْرِجَت إلى ديوان المكاتَبات، فنَزَلت في المَسير المرتَّب بأصْل القاع، والزيادة بعد ذلك كلَّ يوم مُؤَرَّخًا بيومه[i] من الشهر العربي، وما وافَقَه من أيام الشهر القِبْطي، لا

a) بولاق: مفترقة. b) بولاق: و. c) بولاق: أخرجها من. d) بولاق: الحبش. e) بولاق: قاربه. f-f) ساقطة من بولاق. g) بولاق: الصناعة. h) بولاق: الشهور. i) بولاق: في كل يوم تؤرخ بيومه.

[١] ابن المأمون: أخبار مصر ٧٤ـ ٨٠.

[٢] هذا النص غير موجود فيما وصل إلينا من كتاب «الذخائر والتحف»، وأعاد المقريزي استخدام نفس النص فيما يلي ٥٦٠.

يزال كذلك وهو مُحافِظٌ على كِتْمان ذلك لا يَعْلَم به أحَدٌ قبل الخَليفَة وبعده الوَزير. فإذا انتهى في ذِراع الوَفَاء، وهو السَّادس عشر، إلى أن يبقى منه إصْبَع أو إصْبَعان، وعَلِمَ ذلك من مُطالعته، أَمَرَ أن يُحْمَل إلى المِقْياس في تلك الليلة من المطابخ عشرة قناطير من الخُبْز السَّميذ، وعشرة من الخِراف المشوية، وعشرة من الجَامات الحَلْوى، وعَشْر شَمْعات.

ويُؤْمَر بالمبيت في تلك الليلة بالمِقْياس، فيحضر إليه قُرّاءُ الحَضْرَة والمتصدِّرون بالجَوامِع بالقاهِرَة ومصر، ومن يجري مَجْراهم. فيستعملون ذلك، ويَقِدُون الشَّمْع عليهم من العِشاء الآخرة، وهم يَتْلون القرآن برِفْق ويُطَرِّبون مَكان التَّطْريب، فيَخْتمون الخَتْمة الشَّريفَة. ويكون هذا الاجتماعُ في جامِع المِقْياس[١]، فيوفِّي الماء ستة عشر ذِراعًا في تلك اليلة.

ولوَفَاءِ النِّيل عندهم قَدْرٌ عَظيمٌ، ويبتهجون به ابتهاجًا زائِدًا. وذلك لأنَّه عِمارَة الديار، وبه التِئامُ الخَلْق على فَضْل الله، فيَحْسُن عند الخَليفَة موقعُه، ويهتم بأُموره[a] اهتمامًا عَظيمًا أكثر من كلِّ المَواسِم. فإذا أصبح الصُّبْحُ من هذا اليوم، وحَضَرَت مُطالعةُ ابن أبي الرَّدَّاد إليه بالوَفاء، رَكِبَ إلى المِقْياس لتَخْليقه، فيُسْتَدْعي الوَزير على العادة فيَحْضُر إلى القَصْر، فيركب الخَليفَةُ بزِيّ أيام الرُّكوب، من غير مِظَلَّة ولا ما يجري مَجْراها بل في هَيْئَة عَظيمَة من الثِّياب، والوَزير تابعُه في الجَمْع الهائل على ترتيب المَوْكِب. ويخرج شاقًّا القاهِرَة[b] من بابِ زَويلَة، وسالِكًا الشَّارع إلى آخر الرُّكْن من بُسْتان عَبَّاس المعروف اليوم بسَيْف الإسلام[٢]، فيَعْطِف سالِكًا على جامع ابن طُولون - والجِسْر الأَعْظَم بين البِرْكتين[c] - إلى السَّاحِل بمصر، إلى الطَّريق المَسلوكة على طَرَف الخَشَّابين الشَّرقي على دار الفاضِل إلى باب الصِّناعَة[d] بجوارها - وله دِهْليز مادّ بمَساطِب مفروشة بالحُصْر العَبْداني بُسُطًا وتأزيرًا - فيشقّها والوَزيرُ تابعه، ويخرج منها مُنْعَطفًا على الصِّناعَة[٣] الأخرى - وكانت برَسْم المَكْس - إلى السُّيوفيين، ثم على مَنازِل العِزّ التي هي اليوم مَدْرَسة[٤]،

a) بولاق: بأمره. b) ساقطة من بولاق. c) بولاق: الركنين. d) بولاق: الصاغة.

[١] عن جامع المقياس انظر فيما يلي ٢: ٢٩٠.

[٢] حاشية بخط المؤلف: «بستان عباس هذا موضعه اليوم يعرف بدرب ابن البابا تجاه المدرسة البندقدارية وجوار حمّام الفارقاني قرب الصليبية». وفي صبح الأعشى ٣: ٥١٣ بعد ذلك: «عند رأس الصليبية بالقرب من الخانقاه الشيخونية الآن».

[٣] حاشية بخط المؤلف: «منظرة الصناعة موضعها الآن بستان يعرف ببستان الطواشي على يسرة السالك من المراغة إلى مصر».

[٤] انظر فيما يلي ٥٧٦، ٢: ٣٦٤.

ثم إلى دار المُلْك [١]، فيَدْخُل من الباب المُقابِل لسُلوكه، فيترجَّل الوَزيرُ عنده للدُّخول بين يَدَيْه ماشيًا إلى المكان المعدّ له. ويكون قد حُمِلَ أَمْس ذلك اليوم من القَصْر البيت المُتَّخَذ للعُشاري الخاصّ [٢]. وهو بَيْت مُثَمَّن من عاج وأَبَنوس، عَرْض كلّ جزء ثلاثة أذرع، وطولُه قامَة رجل تامّ، فيُجْمَع بين الأجزاء الثمانية فيصير بيتًا دَوْره أربعة وعشرون ذراعًا، وعليه قُبَّة من خَشَب مُحْكَم الصِّناعَة، وهو وقُبَّته مُلَبَّس صَفائح الفِضَّة المُذَهَّبة[a] فيتسلَّمه رئيسُ العُشاريات الخاصّ، ويُرَكِّبُه على العُشاري المُخْتَصّ بالخَليفَة، ويُجْعَل باكِر ذلك اليوم الذي يركب الخَليفَة فيه على الباب الذي يَخْرُج منه للرُّكوب إلى المِقْياس.

فإذا استقرَّ الخَليفَةُ بالمَنْظَرَة بدار المُلْك التي يَخْرُج من بابها إلى العُشاري وأسند إليه، استدعى الوَزير من مَكانه، فيَحْضُر إليه ويَخْرُج بين يَدَيْه إلى أن يركب في العُشاري، فيدخل البَيْت المُذَهَّب وَحْدَه، ومعه من الأُسْتاذين المُحَنَّكين من يأمره من ثلاثة إلى أربعة، ثم يَطْلُع في العُشاري خَواصُّ الخَليفَة خاصَّةً، ورَسْم الوَزير اثنان أو ثلاثة من خواصِّه؛ وليس في العُشاري مَنْ هو جالِسٌ سوى الخَليفَةِ باطِنًا والوَزيرِ ظاهِرًا في رِواق من باب البيت الذَّهبي[b] بغرانيس من الجانبين قائمةً مَخْروطةً من أُخَفّ الخَشَب، وهي مدهونة مذهَّبة، وعليها من جانبيها سُتورٌ معمولةٌ برَسْمها على قَدْرِها.

فإذا اجتمع في العُشَاري مَنْ جَرَت عادتُه بالاجتماع، انْدَفَعَ من باب القَنْطَرَة طالبًا باب المِقْياس العالي على الدَّرَج التي يعلوها النِّيل[c]، فيدخل الوَزيرُ ومعه الأُسْتاذون بين يدي الخَليفَة إلى الفَسْقِيَّة، فيُصَلِّي هو والوَزير رَكْعات كلٌّ واحِدٍ بمفرده. فإذا فَرَغ من صَلاته، أُحْضِرَت الآلةُ التي فيها الزَّعْفَران والمِسْك، فيُديفُها في إناء بيده بآلة معه[d]، ثم[e] يتناولها صاحِبُ بَيْت المال، فيناولها لابن أبي الرَّدَّاد، فيُلْقي نفسه في الفَسْقِيَّة وعليه غِلالَته وعِمامَته، والعَمُودُ قَريب من دَرَج الفَسْقِيَّة، فيتعلَّق فيه برجليه ويده اليُسْرى، ويُخَلِّقُه بيده اليُمْنى، وقُرَّاءُ الحَضْرَة من الجانب الآخر يَقْرأون القُرْآن نَوْبَة بنَوْبَة؛ ثم يَخْرُج على فَوْره راكِبًا في العُشاري المذكور، وهو بالخيار: إمَّا أن

---

a) بولاق: بصفائح الفضة والذهب. b) بولاق: الذي هو. c) ميونخ: والذي يعلوها الماء فيه. d) بولاق وآياصوفيا: فيدنيها بيده بآلة والمثبت من نسخة ميونخ. e) بولاق وآياصوفيا: ويتناولها والتصويب من ميونخ.

---

[١] حاشية بخط المؤلف: «دار الملك بجوار المدرسة المعزية ... جدار يجلس إليه تجّار الحنّاء ...». وانظر فيما يلي ٥٧٣-٥٧٦.

[٢] انظر عن العشاريات فيما يلي ٥٥٩.

يعود إلى دار المُلْك ويركب منها عائِدًا إلى القاهِرَة ، أو يَنْحَدِر في العُشاري إلى المَقْس فتتبعه المراكِبُ[a] إلى القاهِرَة ؛ ويكون في البَحْر في ذلك اليوم ألف قُرْقُورة[1] مشحونة بالعالَم فرَحًا/ بوَفَاء ٤٧٧:١ النّيل وبنَظَر الخَليفَة . فإذا استقرّ بالقَصْر اهتمّ برُكوب فَتْح الخَليج ، وفيه هِمّةٌ عَظيمَةٌ ظاهِرَةٌ للابْتِهاج بذلك .

ثم يَصيرُ ابن أبي الرَّدّاد باكِر ثاني ذلك اليوم ، إلى القصر بالإيوان الكبير الذي فيه[b] الشُّبّاك إلى باب المُلْك بجواره ، فيجد خِلْعَةً معبَّأة هناك ، يُؤْمر بلُبْسها ، ويخرج من باب العيد شاقًّا بها بَيْن القَصْرَيْن من أوّله قَصْدًا لإشاعَة ذلك ـ فإنّ ذلك من عَلامَة وَفَاء النّيل ، ولأهل البلاد إلى ذلك تَطَلُّع ـ وتكون خِلْعَةً مُذَهَّبَةً .

وإذا كان من العُدول المحَنَّكين ، فيُشَرَّف في الخِلْعَة بالطَّيْلَسان المُقَوَّر ، ويُنْدَب له من التَّغْبيرات[2] ولمن يُريده خَمْس تَغْبيرات مركَّبات بالحُلِيّ ، ويُحْمَل أمامَه على أربع بِغال مع أربعة من مُسْتَخْدمي بيت المال أربعة أكياس في كلّ كيس خمس مائة دِرْهَم ظاهرة في أَكُفّهم ، وتحْجُبه[c] أقاربُه وبنو عمّه وأصدقاؤه ، ويُنْدَب له الطبْلُ والبُوق ، ويَلْتف إليه[d] عدةٌ كبيرةٌ من المتصرّفين الرجّالة . فيَخْرُج من باب العيد ، ويَرْكَب إحدى التَّغْبيرات ـ وهي أَمْيَزها ـ وشُرّف أمامَه بجملين من النَّقّارات التي قَدَّمْنا ذكرها ـ يعني في رُكوب أوّل العَام ـ من زِيّ المَوْكِب[3] فيسير شاقًّا القاهِرَة ، والأبْواقُ تضرب أمامَه كِبارًا وصِغارًا والطَّبْل وراءَه مثل الأُمَرَاء ، وينزل على كلّ باب يدخل منه الخَليفَة ، ويخرج من باب القصر فيُقَبِّله ويركب ، وهكذا يعمل كلُّ مَنْ يُخْلَع عليه من كبير وصَغير من الأُمَرَاء المُطَوَّقين إلى مَنْ دونهم سَيْفًا وقَلَمًا .

---

a) بولاق : فيتبعه الموكب . b) بولاق : في . c) بولاق : وتصحبه . d) بولاق : ويكتنف به .

---

[1] قُرْقُورَة جـ. قَرَاقِر وقَراقير . ورد اللفظ في معظم المعاجم العربية وبعض المصادر خاليًا من الهاء في آخره : قُرْقُور كعُصْفور : السفينة (الفيروزأبادي : القاموس ٥٩٣) . وذكر الجواليقي أنه ضرب من السفن أعجمي وقد تكلّمت به العرب . (المعرب ٢٧١) .

وتفيد المصادر الإسلامية - كما ذكرها النخيلي - أن القراقر كان منها الكبير والصغير وأنها تستخدم في التجارة . وإشارة ابن الطوير هنا هي الوحيدة التي تفيد استخدام هذا النوع من السفن بغرض النزهة في النيل (النخيلي : السفن الإسلامية ١٢٠-١٢٥) .

[2] حاشية بخط المؤلّف : «التَّغْبيرات خيول تحضر من الإسْطَبْلات يركبها من يُخلَع عليه أو يَرْكَب في ركوبات الخليفة ثم تُعادُ إلى مكانها» .

[3] فيما تقدم ٤٦٥ .

ويَخْرُج من باب زَوِيلَة طالبًا مصر من الشَّارِع الأعْظَم إلى مَسْجِد عبد الله[١] إلى دار الأنْماط[٢]، جائزًا على الجامِع إلى شاطئ البحر، فيعدِّى إلى المِقْياس بخِلَعه وأكْياسه. وهذه الأكْياسُ مُعَدَّة لأرْباب الرُّسُوم عليه في خلَعه ولنَفْسه ولبني عمِّه بتقرير من أوَّل الزَّمان[٣].

فإذا انقضى هذا الشأنُ شَرِعَ في الرُّكوبِ إلى «فَتْح الخَليج» ثاني يوم ـ وقد كان وَقَعَ الاهتمامُ به منذ دَخَلَت زيادةُ النِّيل ذراع الوَفاء اهتمامًا عَظيمًا ـ فيُعْمل في بَيْت المال مَوائِد[a]) من التَّماثيل شَكْل الوُحوش من الغِزْلان والسِّباع والفِيَلَة والزَّرافات عِدَّةٌ وافرة: منها ما هو مُلَبسٌ بالعَنْبَر، ومنها ما هو مُلَبَّس بالصَّنْدَل، ثم شَكْل التُّفَّاح والأُتْرُج اللِّطاف، والوُحوش مُفَسَّرة الأَعْيُن والأَعْضاء بالذَّهَب إلى غير ذلك.

ثم تَخْرُجُ الخَيْمَة التي يقال لها: «القَــاتُول»[٤] ـ لأنَّ فَرَّاشًا سَقَط من أعلى عَمودِها فمات فسُمِّيت بذلك ـ وطُولُه سبعون ذراعًا، وأعلاه صُفَّرية فِضَّة تَسع راوية ماء، وعليه الفَلَكَة التي كانت في الإيوان إلى قريب. ثم يُعْمَل في أوَّل العمود شُقَّة دائرة، ثم أَوْسع منها، ويتوالى ذلك إلى إحدى عشرة شُقَّة، فتَصير سَعَة الخَيْمَة ما يزيد على فَدَّانين مستديرة، وتُنْصَب في برِّ الخَليج الغربي على حافَته مكان بُسْتان المحَلِّى[b]) اليوم[٥].

وكانت ثَمَّ مَنْظَرَةٌ يُقالُ لها السُّكَّرَة، برسْمِ جُلوس الخَليفَة لفَتْح الخَليج في مثل هذا اليوم[٦]. ويَنْصب أرْبابُ الرُّتَب من الأُمَراء من بَحْريّ تلك الخَيْمَة الكبرى خِيامًا كثيرة، ويَتَمايزون فيها على قَدْر رُتبهم[c])، وضَرْبِهم إيَّاها في الأماكِن الأَقْرَب فالأَقْرَب على قَدْر رُتَبِهم.

فإذا تَمَّ ذلك، وعَزَم الخَليفَةُ على الرُّكوب ثالث يوم التَّخْليق أو رابعه، أَخرج كلٌّ من المُسْتخدمين في المواضِع المقدَّم ذكرها ـ [d])يعني خَزائن السِّلاح وخَزائن السُّرُوج وغير ذلك من الخَزائن ـ من السِّلاح والمَرْكبات الحُلِيّ للتَّغْييرات وجَنائِب الخَليفَة المقدَّم ذكرها[d]) في رُكوب أوَّل

---

a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: الحلي. c) بولاق: هممهم. d-d) ساقطة من بولاق.

---

[١] عن مسجد عبد الله انظر فيما تقدم ١٢٥.

[٢] حاشية بخط المؤلف: «دار الأنماط من جملة زقاق القناديل الذي تخرَّب اليوم».

[٣] ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٨٩ - ١٩٥؛ القلقشندي: صبح ٣: ٥١٢ - ٥١٤.

[٤] انظر فيما تقدم ٣٨٤، ٥٣٩.

[٥] حاشية بخط المؤلِّف: «بستان المحلي هذا موضع يعرف اليوم بالمريس وما جاوَرَه إلى نحو قنطرة السَّدّ من حافَة الخليج» وانظر ابن دقماق: الانتصار ٤: ١١٩، ١٢٠، ١٢١.

[٦] فيما تقدم ٥٣٧.

العام و[a]آلات المواكِب على تمامِه[b]، ويُزاد فيه إخراج أربعين بوقًا ، عشرة من الذَّهَب وثلاثون من الفِضَّة ، ويكون بَوَّاقُوها رُكْبانًا ، وأرْبابُ الأبْواق النُّحاس مُشاةً ، ومن الطُّبول الكِبار التي مكان خَشَبِها فِضَّة عشرة .

فإذا حضَر الوَزيرُ إلى باب القَصْر خرَجَ الخَليفَةُ في هَيْئَةٍ عَظيمَةٍ وهِمَّةٍ عالية ، وقد تضاعفَت عُدَدُ[c] الأجْناد في ذلك اليوم فارِسُها وراجِلُها ، ويخرج زِيُّ الخَليفَة من المِظَلَّة والسَّيْف والرُّمْح والأَلْوية والدَّواة ، وغير ذلك من الأُسْتاذين المحَنَّكين .

ويَرْكَب في ذلك اليوم من الأقارِب المقيمين بالقَصْر عشرون أو ثلاثون ، وهم بالنَّوْبَة في كلِّ سَنَة فيتقدَّمون إلى المَنْظَرَة في مكانٍ لهم صُحْبَة أُسْتاذَيْن لخدمتهم وحِفْظهم ، ويكون قد لُفَّ عَمُودُ الخَيْمَة الكبرى المشار إليها إمَّا بدِيباج أَبْيضَ أو أَحْمَر أو أَصْفَر من أعلاه إلى أسْفله ، ويُنْصَب مُسْنَدًا إليه سريرُ المُلْك ، ويُغَشَّى بقُرْقُوبي ، وعَرانيسُه ذَهَب ظاهرة .

فيَخْرُج الخَليفَةُ للرُّكوب ويركب ، فيخرُج من باب القصر وعليه ثَوْبٌ يُقالُ له : «البَــدَنَة»[1] ـ وهو كلُّه ذَهَب وحَريرٌ مَرْقوم ، والمِظَلَّة من شَكْله ، ولا يَلْبَس هذا الثَّوْب في غير هذا اليوم ـ ويَسير المَوْكِبُ الهائِلُ ، شاقًّا القاهِرَة من الطَّريق التي ركب منها لتَخْليق المِقْياس ، إلَّا أنَّه لا يَدْخُل طُرُق مصر من الخَشَّابين ، بل خارجها من طريق السَّاحِل . فإذا جازَ على جامع ابن طُولون ، وَجَدَ قد رُبِط من رأس المنارَة ـ من مَكان العُشارِي النُّحاس ـ حَبْلًا طَويلًا قويًّا موضوعًا آخره في الطَّريق ، وفيه قَوْمٌ يُقال لهم البَخْتِيارية[2] ، واحدٌ في زيّ فارس على شَكْل فَرَس وفي يده رُمْحٌ وبكتفه دَرَقة ، فينحدر على بَكَرَة وفي رجليه آخَرُ يُمْسكها ، وهو يتقلَّب في الهَواء بَطْنًا وظَهْرًا حتى يصل إلى الأرض .

ويكون قاضي القُضاة وأعْيانُ الشُّهود جُلوسًا في باب الجامِع من هذه الجهة ، فإذا وَازاهُم الخَليفَةُ ـ وكانوا قد رَكِبُوا ـ وَقَفَ لهم وَقْفَةً ، فيُسَلِّم على القاضِي ، ثم يَدْخُل فيُقَبِّل الرِّجْل التي من جانبه لا غير ، ويدخل بالشُّهود/ في الفُرْجَة أمام وجه الدَّابة بمقدار قَصَبَة المساحة ، فيُسَلِّم ٤٧٨:١ عليهم ، ويَرْجِعون إلى دوابِّهم فيركبون .

---

a) الواو ساقطة من بولاق . b) بولاق : على عادته . c) بولاق : همم . d) بولاق : حبل ... موضوع .

---

[1] فيما تقدم ٥٣٥. [2] البختيارية (أو النختيارية) ، انظر عنهم فيما تقدم ٤٨٨ ، ٤٩٤.

ويكون قد نُصِبَ لهم بالقُرْب من الخَيْمَة الكُبْرَىٰ خَيْمَتان : إحداهما دِيباجٌ أحمر ، والأخرى دَبيقي أبيض بصَفاري فِضّة لكلٍّ واحِدَة ، فيتم الخَليفَة بهيئته إلى أن يَدْخُل من باب الخَيْمَة ، ويكون الوَزيرُ قد تقدَّمه على العادَة ليخدمه ، فيجدُه راجِلًا على باب الخَيْمَة ، فيَمْشي بين يَدَيْه إلى سَرير المُلْك ؛ فيَنْزِل ويَجْلس على المَرْتَبَة المنصوبة فيه ، ويُحيطُ به الأُستاذون المُحَنَّكون والأُمَراءُ المُطَوَّقون بعدهم . ويوضَع للوَزير الكُرْسي الجاري به عادَته ، فيجلس عليه ورِجْلاه تَحُكّ الأرض ، ويقف أربابُ الرُّتَب صافين من ناحية سَرير المُلْك إلى ناحية الخَيْمَة ، والقُرّاءُ يقرأون القرآن ساعَةً زمانية ؛ فإذا خَتَمُوا قِراءَتهم ، استأذن صاحِبُ الباب على حُضُور الشُّعَراء للخِدْمَة بما يُطابِق[a] هذا اليوم ، فيؤمَر بتقديمهم واحِدًا بعد واحِدٍ ، ولهم مَنازِلُ على مِقْدار أقدارهم ، فالواحِدُ يتقدَّم الوَاحِد بخُطْوَة في الإنْشاد ، وهو أمْرٌ معروفٌ عند مُسْتَخْدم يُقالُ له «النَّائِب» [1] . وتَقَدَّمَ شَاعِرٌ يُقال له ابن جَبْر [2] ، وأَنْشَدَ قَصيدةً منها :

[الكامل]

فُتِحَ الخَليجُ فسال منه الماءُ ... وعَلَت عليه الرّايَةُ البَيْضاءُ
فصَفَت موارِدُه لنا فكأنّه ... كَفُّ الإمام فعُرْفُها الإعْطاءُ

فانْتَقَدَ النَّاسُ عليه في قوله : «فسَالَ منه الماءُ» ، وقالوا : أيُّ شيءٍ يَخْرُج من البَحْر غير الماء ؟ فضَيَّعَ ما قالَه بعد هذا المَطْلَع .

وتقدَّم شاعرٌ ، يُقالُ له مَسْعُودُ الدَّوْلَة بن حُرَيْز[b] [3] ، وأَنْشَد :

[الكامل]

ما زالَ هذا السَّدُّ ينظُر فتحه ... إذْنُ الخَليفَة بالنَّوال المُرْسَل
حتى إذا بَرَزَ الإمامُ بوَجْهه ... وسَطا عليه كلُّ حاملِ مِعْوَلِ
فجَرَى كأن أُديف[c] فيه عَنْبَرٌ ... يعلوه كافُورٌ لطيب المَنْدَلِ

فانْتُقِد[d] عليه أيضًا قَوْلُه في البيت الثاني ، وقالوا : أَهْلَكَ وَجْه الإمام بسَطَوات المعاوِل عليه ،

a) بولاق : يطلق . b) بولاق : ابن جرير . c) بولاق : قد ديف . d) بولاق : فانتقدوا .

[1] انظر فيما تقدم ١ : ٤٦١ ، ومسودة المواعظ ٢٥٠ .

[2] شَرَفُ الدولة أبو محمد يحيى بن حسن بن جبر ، شاعرٌ معاصرٌ للوزير الفاطمي الصالح طلائع بن رُزّيك (العماد الكاتب : خريدة القصر (قسم مصر) ٢ : ٢٣١ - ٢٣٢ ؛ ابن سعيد : النجوم ٣٤٤-٣٤٥) .

[3] انظر ترجمته عند العماد الكاتب : الخريدة ٢ : ٢٢٥ ؛ ابن سعيد : النجوم ٣٤٤ .

وإن كان قَصَدَ فَتْح السَّدّ بالمعاول، لكنَّه ما نَظَمَه إلَّا قَلِقًا.

ثم تقدَّم له شَاعِرٌ شاهِدٌ يُقالُ له كافِي الدَّوْلَة أبو العَبَّاس أحمد، وأَنْشَدَ قصيدةً شَهِدَ له جَماعَةٌ منهم القاضي الأَثير بن سِنان، أنَّه[a] عَمِلَها بحُضوره بَديهًا:

[الكامل]

لمن اجْتِماعُ الخَـلْق في ذا المَشْهَدِ   للنّيل أَمْ لَكَ يابْنَ بنت مُحَمَّدِ
أَمْ لاجتماعِكما مَعًا في مَوْطِنٍ   وافَيْتُما فيه لأَصْدَقِ مَوْعِدِ
لَيس اجْتِماعُ الخَلْق إلَّا للذي   حَازَ الفَضِيلَةَ منكما في المَوْلِد
شَكَرُوا لكُلٍّ مِنْكُما لوَفائِه   بالسَّعْي لكنْ مَيْلُهم للأَجْوَدِ
ولمن إذا اعْتَمَدَ الوَفَاء ففِعْلُه   بالقَصْد ليس كَمَن لم يَقْصِدِ
هذا يَفي ويَعُودُ يَنْقُص تارَةً   وتَسُدّ أنت النَّقْصَ إنْ لم يَزْدِدِ
وقُوَاهُ إن بَلَغَ النّهايَةَ قَصَّرت   وإذا بَلَغْت إلى النّهاية تَبْتَدي
فالآن قد ضاقَت مَسالِكُ سَعْيِه   بالسَّدّ فهو به بحالٍ مُقَيَّدِ
فإذا أَرَدْت صَلاحَه فافْتَح له   لترى جنانًا مُخصبًا وتَرَى نَدي
وأمُرْ بفَصْد العِرْق منه فما ابْتُلي[b]   جِسْمٌ فصَحَّ الجِسْمُ إن لم يُفْصَدِ
واسْلم إلى أمثال يَوْمِك هكذا   في عَيْشٍ مَغْبوطٍ وعِزٍّ مُخْلَدِ

فأَمَرَ له على الفَوْر بخمسين دينارًا، وخَلَعَ عليه وزيد في جارية.

ثم يَقُومُ الخَلِيفَةُ عن السَّرير راكبًا، والوَزيرُ بين يديه، حتى يَطَّلِع على المَنْظَرَة المعروفة بالسُّكَّرَة، وقد فُرِشَت بالفُرُش المعدَّة لها، فيجلس فيها، ويتهيأ أيضًا للوَزير مَكانٌ يجلس فيه، ويُحيط بالسَّد حامي البَساتين ومُشارِفُها لأنَّه من حُقُوق خِدْمَتها، فتُفْتَح إحدى طاقات المَنْظَرَة، ويطلُّ منها الخَلِيفَة على الخَليج، وطاقةٌ تُقاربها يتطلَّع منها أُسْتاذٌ من الخَواصّ، ويُشير بالفَتْح فيُفتَح بأيدي عُمَّال البَساتين بالمعاوِل، ويُخْدَم بالطَّبْل والبُوق من البَرَّيْن.

فإذا اعتدل الماءُ في الخَليج، دَخَلَت العُشاريَّاتُ اللِّطاف ـ ويُقال لها السُّماريَّات[c][1] ـ وكأنَّها

---

a) بولاق: فإنه. b) بولاق: شكا. c) بولاق: السماويات.

---

[1] السُّمارية ويقال أيضًا سُمَيْرية جـ. سُماريات وسميريات. تطلق في مصر على نوع من العشاريات اللِّطاف ـ أي الصغار ـ ونص ابن الطوير هو الوحيد الذي يشير إليها (النخيلي: السفن الإسلامية ٦٩- ٧٠، ٩٩).

خَدَمٌ بين يدي العُشاريّ الذَّهَبيّ المقدَّم ذكره ، ثم العُشاريَّات الخاصّ الكبار[1] وهي ستَّة : الذَّهبيّ المذكور ، والفِضّي ، والأَحْمَر ، والأَصْفَر ، واللَّازَوَرْدي ، والصِّقِلّي ـ وكان أنشأه نَجَّارٌ من رُؤَساء الصِّناعَة صِقِلّي ، وزادَ فيه على الإنْشاء المعتاد فنُسِبَ إليه ـ وهذه العُشارِيَّات لا تَخْرُج عن خِدْمَة[a] خاصّ الخليفَة في أيام النِّيل وتَحَوُّله إلى اللُّؤْلُؤَة للفُرْجَة ، وسارَت في الخَليج ، وعلى بَيْت كلٍّ منها السُّتور الدَّبيقي الملوَّنة ، وبرءوسها وفي أعناقِها الأَهِلَّة وقلائِد من/ ٤٧٩:١ الخَرَز ، فتُسْنَد إلى البَرّ الذي فيه المَنْظَرَة الجالِس فيها[b] الخَليفَة .

فإذا استقرَّ جُلُوسُ الخَليفَة والوَزير بالمَنْظَرَة ودَخَلَ قاضي القُضاة والشُّهود الخَيْمَة الدَّبيقي البيضاء ، وَصَلَت المائِدَةُ من القصر في الجانب الغربي من الخَليج ، على رءوس الفَرَّاشين صُحْبَة صاحِب المائِدَة ، وعِدَّتها مائة شَدَّة في الطَّيافير[2] الواسِعَة ، وعليها القَوَّارات الحرير ، وفَوْقَها الطَّرَّاحات[3] ، ولها رِواءٌ عَظيمٌ ومِسْكٌ فائِحٌ ، فتُوضع في خَيْمَةٍ واسعةٍ منصوبةٍ لذلك . ويُحْمَل للوَزير ما هو مستقرٌّ له بعادة جاريه ومن صَواني التَّماثيل المذكورة ثلاث صَوانٍ ، ويُخَصَّصُ منها أيضًا لأولاده وإخوته خارجًا عن ذلك إكرامًا وافتقادًا ، ويُحْمَل إلى قاضي القُضاة والشُّهود شَدَّة من الطَّعام الخاصّ من غير تَماثيل توقيرًا للشَّرْع ، ويُحْمَل إلى كلِّ أميرٍ في خَيْمَته شَدَّة طَعام وصينية تماثيل ، ويَصِل من ذلك إلى النَّاس شيءٌ كثيرٌ .

ولا يزالون كذلك إلى أن يُؤَذَّن بالظُّهْر ، فيُصَلُّون ويُقيمون إلى العصر ، فإذا أُذِّن به صَلَّىٰ ، ورَكِبَ الموكب كلّه لانتظار رُكوب الخَليفَة ، فيركب لابِسًا غير البَدَنَة بل بهيئته ، والمِظَلَّة مُناسبة لِثيابِه التي عليه ، والبَتيمَة والترتيب بأجمعه على حالِه . ويَسيرُ في البَرّ الغربي من الخَليج ، شاقًّا

---

a) ساقطة من بولاق . b) بولاق : فيه .

---

[1] عُشاري ج. عُشاريات . نوع من السفن كان يستخدم في البحر المتوسط والبحر الأحمر والنيل . ويبدو أن المستخدم منه في البحر نوع من القوارب الصغار التي تلحق بالمراكب الكبيرة بغرض نقل المسافرين فيها من الساحل وإليها والعكس .

أمّا النوع المشار إليه في نص ابن الطوير فهو من المراكب النيلية وخاص باستخدام الخلفاء الفاطميين وعلى الأخص في موسم الاحتفال بوفاء النيل وكسر الخليج . ويفهم مما أورده المسبحي (أخبار مصر ٤٥) أن العشاريات كانت تستخدم كذلك مع المراكب الحربية حيث أرسلت في عام ٤١٥هـ لحفظ الحصون الشامية . (راجع ، المسبحي : أخبار مصر ١١، ٢٣، ٤٣، ٤٦، ٩٥؛ درويش النخيلي : السفن الإسلامية ٩٥-١٠١) .

[2] الطَّيَافير انظر فيما تقدم ٣٢٨ ، ٤٠٥ .

[3] القَوَّارات والطَّرَّاحات ، انظر فيما تقدم ٤٠٣ .

للبَساتين هناك ، حتى يدخُل من باب القَنْطَرة [فيعَطْفُ على يمينِه ويسيرُ][a] إلى القَصْر ، والوَزيرُ تابعه على الرَّسْم المعتاد ، ويمرُّ فيه للقَوْم أحسن الأيام ويمضي الوَزيرُ إلى دارِه مَخْدومًا على العادة [1] .

وقال في كتاب «الذَّخائر والتُّحَف» : إنَّ المُسْتَعْمَلَ من الفِضَّة في[b] قُبَّة العُشَاري المعروف بالمُقَدَّم وفازته[c] وكُسْوة رَحْله ، في سنة ستٍّ وثلاثين وأربع مائة في وَزارَة عليّ بن أحمد الجَرْجَرائي ، مائة ألف وسبعة وستون ألفًا وسبع مائة دِرْهَم نُقْرَة . وإن المُطْلَقَ للصُّنَّاع عن أُجْرَة الصِّياغَة[d] ، وفي ثمن ذَهَبٍ لطلائه خاصَّة ، ألفان وتسع مائة دينار ، وسِعْرُ الفِضَّةِ في ذلك الوقت كلُّ مائة درهم ستة دنانير ورُبْع ، سعر ستة عشر درهمًا بدينار .

ولمَّا تولَّى أبو سَعْد [إبراهيم بن] سَهْل التُّسْتَري الوَساطَة سنة ستٍّ وثلاثين وأربع مائة ، استعمل لأُمِّ المُسْتَنْصِر عُشارِيًّا يُعْرَف بالفِضِّي ، وحُلِّيَ رُواقُه بفِضَّة تقديرها مائة ألف وثلاثون ألف درهم ، ولزم ذلك أُجْرَة الصِّياغة[d] ولطِلاء بعضه ألفان وأربع مائة دينار ، سوى سَنْوَة له بمالٍ جَليل .

والمُنْفَق على ستة وثلاثين عُشارِيًّا برَسْم النُّزَه البَحْرية لآلاتِها وحُلاها ، من مَناطِق ورءوس مَنْجوقات وأَهِلَّة وصُفَّريات وغير ذلك ، أربع مائة ألف دينار [2] .

وكانت العادَةُ عندهم إذا حَصَلَ وَفاءُ النِّيل أن يُكْتَب إلى العُمَّال . فممَّا كُتِبَ من إنْشاء تاجِ الرِّئاسَة أبي القاسِم عليّ بن مُنْجِب بن سُلَيْمان الصَّيْرَفي :

«أمَّا بَعْدُ ، فإنَّ أَحَقَّ ما وَجَبَت به التَّهْنِئَة والبُشْرى ، وغَدَت المَسار منتشرة تتوالى وتَتْرَىٰ ، وكان من اللَّطائِف التي غَمَرت بالمِنَّة العظمىٰ والنِّعْمَة الجَسيمَة الكبرىٰ ، ما استدعى الشُّكْر لمُوجِد العالَم وخالِقه ، وظَلَّت النِّعْمَةُ به عامَّة لصامِت الحَيَوان وناطِقه . وتلك المَوْهَبة بوَفاء النِّيل المبارَك الذي يَسَّره اللّٰه تعالى ـ وله الحَمْد ـ يوم كذا ؛ فإنَّ هذه العَطِيَّة تؤدِّي إلى خِصْبِ البلاد وعِمارَتها ، وشُمولِ المصالِح وغَزارَتها ، وتُفْضي بتَضاعُف المنافع

a) زيادة من صبح الأعشى . b) ساقطة من بولاق . c) بولاق : قاربه . d) بولاق : الصناعة .

[1] ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٩٥ - ٢٠٣ ، وقارن القلقشندي : صبح ٣ : ٥١٤ - ٥١٧ ؛ أبا المحاسن : النجوم ٤ : ٩٩ - ١٠٠ ؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٤٤٧ - ٤٦٠ .

[2] هذا النص غير موجود في نسخة «الذخائر والتحف» التي وصلت إلينا ، وقد استخدمه المقريزي فيما تقدم ٥٥١ .

والخَيْرات ، وتَكاثُر الأرْزاق والأقْوات ، ويتساهَم الفائِدَة فيها جَميعُ العِباد . وتنتهي البرَكةُ بها إلى كلِّ دانٍ وناءٍ وكلِّ حاضِرٍ وباد . فأَذِع هذه النِّعْمَة قِبَلك ، وانْشُرها في كلِّ من يَتَدَبَّر عَمَلَك ، وحُثَّهم على مُواصَلَة الشُّكْر لهذه الألْطاف الشّامِلَة لهم ولك . فاعْلَم هذا ، واعْمل به إن شاءَ الله .

وكَتَبَ أيضًا:

«أَوْلَى ما تَضاعَف به الابتهاجُ والجَذْلُ ، وانْفَتَح فيه الرَّجاءُ واتَّسَع الأَمَلُ ، ما عَمَّ نَفْعُه صامِت الحَيوان وناطِقه ، وأَحْدَث لكلِّ أحَدٍ اغْتِباطًا لَزِمَه وأبى أن[a] يُفارِقَه . وذلك ما مَنَّ الله به من وَفَاء النِّيل المُبارَك الذي تَحْيا به كلُّ أرضٍ مَوات ، وتكتسي بعد اقْشِعْرارها حُلَّة النَّبات ، ويكون سَبَبًا لتوافرُ الأقْوات . فإنَّه وَفَّى المِقْدار الذي يُحْتاج إليه . فلتُذِع هذه المِنَّة في القاصي والدَّاني ، لتَسْتَعْمِل الكافَّة بينهم ضُروبَ البَشَائِر والتَّهاني ، إن شاءَ الله» .

وكَتَبَ أيضًا:

«مِنْ لُطْف الله الوَاجِب حَمْده ، اللّازِم شُكْره وفَضْله ، الذي لا يُمَلّ بِشْره ، ولا يُسْأم ذكره ومَنُّه ، الذي اسْتَبْشَر به الأنامُ ، وتضاعَف فيه الإنعامُ ، ومَثَّل الله الحياةَ به في قَوْله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ ﴾ [الآية ٢٤ سورة يونس] ، أَمْر النِّيل المُبارَك الذي يعم النُّجود والتَّهائِم ، وتنتفعُ به الخَلائِقُ ، وتَرْتَع فيما يُظْهره البَهائِم .

وقد تَوَجَّه إليك بهذا الكِتاب بهذه البُشْرَىٰ فُلان ، فأَجْره على رَسْمِه في إظْهارِه مُجْمَلًا وإيصاله إلى رَسْمِه مكمَّلًا ، وإذاعَة هذه النَّفَقَة على الكافَّة ليتساهموا الاغْتِباط بها ، ويُبالِغوا في الشُّكر لله سبحانه وتعالى بمُقْتَضاها وعلى حَسْبِها . فاعْلَم ذلك ، واعْمَل به إن شاءَ الله» .

---

a) بولاق : وآلى ألّا .

مَنْظَرَةُ الدُّكَّة

وكان من جُمْلَة مَناظِر الخُلَفاء الفاطِميين مَنْظَرةٌ تُعْرَف بالدُّكَّة [1]، لها بُسْتانٌ عَظيمٌ بجوار المَقْس، فيما بينه وبين أراضي اللُّوق، وما زالَت باقية حتى زالت الدَّوْلة، وحُكِرَ مكان البُسْتان وصارَ خِطَّةً تُعْرَف إلى اليوم/ بِخُطِّ الدُّكَّة، فخَرِبَت المَنْظَرةُ وزالَ أثَرُها. ٤٨٠:١

قال ابنُ عبد الظَّاهِر: الدُّكَّةُ بالمَقْس كانت [أوّلًا][a] بُسْتانًا، وكان الخَليفَةُ إذا رَكِبَ من كَسْر الخَليج من السُّكَّرَة بِمظَلَّته يَسير في البَرّ الغربي، ومَضارِبُ النَّاس والأُمَراء وخِيَمُهُم عن يمينه وشِماله، إلى أن يصل إلى هذا البُسْتان المعروف بالدُّكَّة، وقد غُلِّقَت أبوابُه ودَهاليزُه، فيدخُل إليه بمفرده، ويَسْقي منه الفَرَس الذي تحته- وهي قَضِيَّةٌ ذَكَرَ المُؤرِّخ للسِّيرَة المأمونية[2] أنَّهم كانوا يعتمدونها إلى آخِر وَقْت، ولم يُعْلَم سببُها- ثم يَخْرُج ويسير إلى أن يَقِف على التُّرْعَة الآتي ذكرها [3]، ويدخُل من باب القَنْطَرَة، وينزل إلى القصر.

والدُّكَّةُ الآن آدُرٌ وحاراتٌ شُهْرتها تُغْني عن وَصْفِها، فسُبْحان من لا يَتَغَيَّر [4]!

وقال ابنُ الطُّوَيْر عن الظَّاهِر لإعزاز دين الله أبي هاشِم عليّ بن الحاكِم بأمر الله: كان بمَنْظَرَة يُقالُ لَها الدُّكَّة بسَاحِل المَقْس- يعني أنَّه ماتَ بها.

ذِكرُ مَنْظَرةِ المَقْس

وكان من جُمْلَة مَناظِرِهم أيضًا مَنْظَرةٌ بجوار جامِع المَقْس الذي تُسَمِّيه العامَّةُ اليوم جامِع المَقْسي [5]، وكانت هذه المَنْظَرةُ بَحْري الجامِع المذكور، وهي مُطِلَّة على النِّيل

---

a) زيادة من ابن عبد الظاهر.

---

[1] مَنْظَرةُ الدُّكَّة. يحدّد موضعها اليوم الموضع الذي يمر به شارع قنطرة الدكة عند تلاقيه بشارع عماد الدين قرب شارع رمسيس حيث كان يجري النيل قديمًا.

[2] أي جمال الدين أبو علي موسى بن المأمون مؤلّف «السيرة المأمونية» أو «أخبار مصر».

[3] حاشية بخط المؤلف: «هذه الترعة كان يقال لها بَطْن البَقَرة وقد ذُكِرَت في ظواهر القاهرة فانظرها». (فيما يلي ٢: ١٦٣).

[4] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٢٥؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٣٠٧.

[5] كان جامع المقس الذي أصبح يعرف بعد ذلك بجامع أولاد عنان يقع في أول شارع الجمهورية من جهة ميدان=

الأَعْظَم، وكان حينئذٍ ساحِلُ النِّيل بالمَقْس.

وكانت هذه المَنْظَرَةُ مُعَدَّة لنُزول الخَليفَة بها عند تَجْهيز الأُسْطول إلى غَزْو الفِرنْج، فتَحْضُر رُؤساءُ المراكب بالشَّواني[1] وهي مُزَيَّنة بأنْواع العُدَد والسِّلاح ويلعبون بها في النِّيل، حيث الآن الخَليج النَّاصِريّ تِجاه الجامِع، وما وَرَاء الخَليج من غربيه[2].

قال ابنُ المأْمُون، وذَكَرَ تجهيز العَساكر في البَرّ عند وُرود كُتُب صاحِبَيْ دِمَشْق وحَلَب، في سنة سبع عشرة وخمس مائة، ما يحث على غَزْو الفِرنْج ومَسيرها مع حُسَام المُلْك: ورَكب الخَليفَةُ الآمِر بأحْكام الله وتوجَّه إلى الجامِع بالمَقْس، وجَلَسَ بالمَنْظَرة في أعْلاه، واستدعى مُقَدَّم الأُسْطول الثاني، وخَلَعَ عليه، وانْحَدَرَت الأساطيلُ مشحونةً بالرِّجال والعُدَد والآلات والأَسْلِحَة، واعْتُمِد ما جَرَت العادَةُ به من الإنْعام عليهم. وعادَ الخَلِيفَةُ إلى البُسْتان المعروف بالبَعْل إلى آخر النَّهار، وتَوَجَّه إلى قَصْره بعد تفرقة جَميع الرُّسوم والصَّدَقات والهِبات الجاري بها العادَة في الرُّكوبات[3].

وقال ابنُ الطُّوَيْر: فإذا تَكَمَّلت النَّفَقَةُ، وتجهَّزَت المراكِبُ وتهيَّأت للسَّفَر، رَكِبَ الخَليفَةُ والوَزيرُ إلى ساحِل النِّيل بالمَقْس[a]. وكان هناك على شاطئ البَحْر بالجامِع مَنْظَرةٌ يجلس فيها الخَليفَةُ برَسْم وَداعِه- يعني الأُسْطول- ولِقائِه إذا عاد. فإذا جَلَسَ هو والوَزيرُ للوَداع، جاءَت القُوَّادُ بالمراكِب من مصر إلى هناك للحَرَكات في البحر بين يديه، وهي مُزَيَّنة بأسلحتها ولُبُوسها، وفيها المَنْجَنيقات تلعب، فتَنْحَدر وتقلع بالمجاديف كما يُفْعَل في لِقاء العَدُوّ بالبحر المِلْح.

---

a) بولاق والنسخ: ساحل المقس، والمثبت مما يلي ٢: ١٩٣.

=رمسيس، وحلّ محله الآن جامع الفتح المطل على ميدان رمسيس، وكان النيل في العصر الفاطمي يمر إلى الغرب حيث شارع عماد الدين الآن.

[1] شيني جـ. شواني (ويقال أيضًا شاني أو شينية أو شونة). السفينة الحربية الكبيرة، وكانت تطلق عليها أحيانًا أسماء معينة مثل «الغراب» الذي ذكر ابن مماتي أنه كان يجدف بمائة وأربعين مجدافًا وفيه المقاتلة والجذّافون. (قوانين الدواوين ٣٤٠) والطريدة والجفنة والحرّاقة. كانت مزوّدة بأبراج وقلاع تستخدم لأغراض الدفاع والهجوم، ولعظمها كانت تشتمل على أهراء لخزن الماء العَذْب. وكان يرمي فيها النار والنِّفْط على العدو؛ وانظر كذلك: درويش النخيلي: السفن الإسلامية ٨٣- ٨٥؛ أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٧٤٤.

[2] المقريزي: مسودة المواعظ ٢٩٣، ٣٢٥- ٣٢٦.

[3] ابن المأمون: أخبار مصر ٦٩؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٣٢٦؛ وفيما يلي ٥٦٨.

ثم[a] يَحْضُر بين يديِ الخَليفَة «المُقَدَّم» و«الرَّئيس» فيوصيهما ويَدْعو للجَماعَة بالسَّلامَة والنُّصْرَة[b]، ويُعْطِي المقدَّم مائةَ دينار، والرَّئيس عشرين دينارًا. وينحدر إلى دِمْياط ويَخْرُج إلى البحر المِلْح، فيكون لها ببلاد العَدُوِّ صيتٌ وهَيْبَة. فإذا وَقَعَ لهم مركبٌ لا يسألون عمَّا فيه سوى الصِّغار والرِّجال والنِّساء والسِّلاح، وما عَدَا ذلك فللأُسْطول.

واتَّفَق مَرَّةً أن قُدِّمَ على الأسطول سَيْفُ المُـلْك الجَمَل فكُبِسَت[c] بُطْسَةٌ[1] عَظيمَةٌ فيها ألف وخمس مائة شَخْص بعد أن شَنعت عليهم بالقتال، وقُتِلَ منهم نحو من مائتين[d] وعشرين رجلًا، وحَضَرَ إلى القاهرة. ففَرِحَ الخَليفةُ ورَكِبَ إلى المَـقْس وجَلَسَ بالمَنْظَرَة للقائِهم، وأَطْلَقوا الأَسْرَىٰ بين يديه تحت المَنْظَرَة من جانِب البَرّ. فاسْتُدْعِيَت الجِمالُ لرُكوبهم، وشُقَّ بهم القاهِرَة ومصر، [e]فما وُجِدَت في الحال جمالٌ كعدتهم فركَّبوا الرجال[e] منهم كلّ اثنين على جَمَل ظَهْرًا لظَهْر. وعادَ الخَليفَةُ إلى القصر [e]وما كفاه نَظَرُه لهم في المَنْظَرة فرحًا بهم[e]، فجَلَس في إحدى مناظره لنَظَرهم في جَوازِهم.

فلمَّا عادُوا من مصر، صاروا بهم إلى المُناخات، فصَحَّ منهم ألف رجل. فانضافوا إلى مَنْ في المُناخ. وأمَّا النِّساءُ والصِّبْيانُ فإنَّهم دَخَلُوا بهم إلى القَصْر، بعد أن حُمِلَ منهم للوَزير نَصيبٌ وافِرٌ، وأَخَذت الجِهاتُ والأقارب بقيتهن، فيستخدمونهن ويعلمونهن الصَّنائِع، ويتولَّى الأُسْتاذون تربية الصِّبْيان وتعليمـهم الخَطّ والرِّماية [e]ويموت أكثرهم لتَغَيُّر العادات[e]، ويُقال لهم: «التَّرابي». [e]فمن هؤلاء التَّرابي من كَبِرَ وانْتَشَا وتَمَيَّز في الرِّماية والمعارف فصار أميرًا من صِبْيان خاص الخَلِيفَة منهم: غلامُ الله وباتكين وشُومان وميمون وتَرُّوس القصْريان[e] [2].

---

a) بولاق: و. b) بولاق: بالنصرة والسلامة. c) بولاق: فكسب. d) بولاق: مائه. e-e) زيادة من مسودة المواعظ.

---

[1] بُطْسَة أو بَطْسَة ويقال أحيانًا: بَطْشَة. وتجمع على بَطْسات وبُطَس. تعني مركبا حربية أو تجارية بلغة الأسبان، وهي سفينة كبيرة الحجم كثيرة القلوع، قد يصل عدد القلوع في البَطْسَة الواحدة إلى أربعين قلْعًا، وكانت تختص بشحن الغلال والأقوات والميَر والإمدادات الحربية. (ابن واصل: مفرج الكروب ٢: ٧٧ هـ[1]؛ النخيلي: السفن الإسلامية ١٤-١٧) وقد تحمل عددًا كبيرًا من الرجال كما في النص قد يصل إلى ألفين وخمسمائة شخص. (ابن واصل: مفرج ٢: ١١٣-١١٤).

[2] أسماء هؤلاء الأعلام غير واضحة ولم ترد سوى في مسودة المواعظ.

ومن اشتُريب به من الأَسْرىٰ، ونُبِّه عليه بقوّة، أُوقِعَ به؛ والشَّيْخ الذي لا يُنْتَفع به يُمْضَى فيه حُكْم السَّيْف بمكانٍ يقال له: «بِئْر المَنَامَة» في الخَراب قَريب مصر [١]. ولم يُسْمَع على الدَّوْلَة قَطّ أنَّها فادَت أَسيرًا بمالٍ ولا بأسيرٍ مثله [٢]. وهذه الحالُ في كلِّ سَنَة آخِذَةٌ في الزيادة لا النَّقْص.

وقُدِّمَ على الأُسْطول مَرّة أميرٌ يُقال له حَرْب بن فَوْز، صاحِب الحاجِب لُؤْلُؤ، فكَبَسَ بُطْسَةً حَصَّلَ فيها خمس مائة رجل [٣] [a]فاعتمد فيها كذلك [a]. انتهى.

وقد خَرِبَت هذه المَنْظَرَةُ، وكان موضعها بُرْجٌ كبيرٌ صارَ يُعْرَف في الدَّوْلَة الأيُّوبية بقَلْعَة المَقْس، مُشْرِفٌ على النِّيل. فلمَّا جَدَّدَ الصَّاحِبُ الوَزيرُ شَمْسُ الدِّين عبد الله المَقْسي جامِعَ المَقْس، على ما هو عليه الآن في سنة سبعين وسبع مائة، هَدَمَ هذا البُرْج وجَعَلَ مكانَه جُنَيْنَة شرقيّ الجامِع، وتحدَّث النَّاسُ أنَّه وَجَدَ فيه مالًا، والله أَعْلَم [٤].

مَنْظَرةُ البَعْل

وكان من مَناظِرهم بظاهِر القاهِرَة مَنْظَرَةٌ في بُسْتانٍ أنيقٍ يُعْرَف بالبَعْل، أنشأه الأَفْضَلُ شاهِنْشاه بن أمير الجُيُوش بَدْر الجَمالي. ومَوْضِعُ هذا البُسْتانِ إلى اليوم يُعْرَف بالبَعْل، وصارَت أرْضُه مَزْرَعَةً/ في جانِب الخَليج الغربي بَحْري أرْض الطَّبَّالة في كُوم الرِّيش مُقابِل قناطِر الإوَزّ [٥]. ٤٨١:١
وقد خَرِبَت المَنْظَرَةُ وبقي منها آثارٌ أدركتُها يَعْطِن بها الكَتَّان، تَدُلُّ على عِظَمِها وجَلالَتِها في حالِ

a-a) زيادة من مسودة المواعظ.

[١] يغلب أن يكون في المنطقة المعروفة بعمل فَوْق، شمال شرق الفسطاط.

[٢] انظر عن فداء الأسرى فيما يلي ٢: ١٩١-١٩٣.

[٣] ابن الطوير: نزهة المقلتين ٩٧-١٠٠؛ المقريزي: المسودة ٢٩٧-٢٩٩؛ وفيما يلي ٢: ١٩٣.

[٤] كانت أجزاء من سور القاهرة الذي أقامه صلاح الدين بين باب الشعرية وباب البحر قائمة في مطلع القرن العشرين، مبينة على خريطة آثار القاهرة، وبما أن قلعة المقس كانت واقعة في نهاية هذا السور على امتداده من الجهة الغربية، وموقع جامع المقس حل محله الآن جامع الفتح المطل على ميدان رمسيس، فيكون مكان القلعة اليوم عمارة الأوقاف المجاورة لجامع الفتح بأول شارع الجمهورية (أبو المحاسن: النجوم ٤: ٣٩هـ [٤]، ٧: ٣٠٨هـ [٢] تعليقات محمد رمزي بك).

[٥] البَعْل. كل شجر أو زرع لا يسقى، ودَخَلَ أغلب أرض منظرة البَعْل في الترعة الإسماعيلية وبقيتها مع سائر المناظر الأخرى الموجودة بهذا المكان، يحدد مكانها اليوم الأرض الممتدة بين منطقة غمرة وشارع رمسيس والوايلي الكبير على الترعة الإسماعيلية المعروفة الآن بالسوَّاح. (أبو المحاسن: النجوم ١٠: ١١٤هـ [٣]، تعليقات محمد رمزي بك).

عِمارَتِها . وكانت مَنْظَرَةُ البَعْل من أجَلِّ مُتَنَزَّهاتهم ، وكان لهم بها أوقاتٌ عميمة المبرَّات جَليلةُ الخَيْرات .

قال ابنُ المأمُون : فأمَّا يومُ السَّبْت والثُّلاثاء فيكون رُكوبُ الوَزير من داره بالرَّهَجِيَّة ، ويتوجَّه إلى القصر . فيركب الخَليفَةُ إلى ضَواحِي القاهِرَة للنُّزْهَةِ في مثل الرَّوْضَة والمُشْتَهى ودار المُلْك والتَّاج والبَعْل وقُبَّة الهَواء والخَمْسَة والأَوْجه[a] والبُسْتان الكبير . وكان لكلِّ مَنْظَرَةٍ منهن فَرْشٌ معلومٌ مستقرٌّ فيها من الأيام الأَفْضَليَّة للصَّيْف والشِّتاء .

وتُفرَّق الرُّسوم ، وتُسَلَّم لمقدَّمي الرِّكاب اليمين والشمال لكلِّ واحِدٍ عشرون دينارًا وخمسون رُباعيًا ، ولتالي مُقَدَّم الرِّكاب اليمين مائة كاغَدَة في كلِّ كاغَدَة ثلاثة دراهم ، ومائة كاغَدَة في كلِّ كاغَدَة درهمان ، ولتالي مُقَدَّم الشمال مثل ذلك . أمَّا الدَّنانيرُ فلكلِّ بابٍ يَخْرُج منه من البلد دينارٌ ، ولكلِّ باب يَدْخُل منه دينارٌ ، ولكلِّ جامِعٍ يَجْتاز عليه دينارٌ ، ما خَلَا جامِعَ مصر فإنَّ رَسْمَه خمسةُ دنانير ، ولكلِّ مسجد يَجْتازُ عليه رُباعي ، ولكلِّ من يَقِف ويَتْلو القرآن كاغَدَة ، والفُقَراء والمساكين من الرِّجال والنِّساء لكلِّ من يقف كاغَدَة ، ولكلِّ فَرَسٍ يَرْكبه[b] الخَليفَةُ ديناران . ويكون مع هذا مُتَولِّي صناديق الإنْفاق يَحْجُب الخَليفَة ، وبيده خَريطَةُ دِيباج فيها خمس مائة دينار لما عَساه يُؤْمَر به .

فإذا حَصَلَ في إحدى المَناظِر المذكورة ، فَرَّقَ من العَيْن ما مبلغه سبعة وخمسون دينارًا ، ومن الرُّباعية مائة وستة وثمانون دينارًا للحَواشي والأُسْتاذين وأصْحاب الدَّواوين والشُّعراء والمُؤَذِّنين والمُقْرِئين والمُنَجِّمين وغيرهم ، ومن الخِراف الشِّواء خمسون رأسًا : منها طَبَقان حارَّة مُكَمَّلَة مَشورة برَسم المائِدَة الخاصّ - مُضافًا لما يُحْضَر من القُصُور من الموائِد الخاصّ والحَلاوات - وطَبَقٌ واحِدٌ برَسْم مائِدَة الوَزير ، وبقيَّة ذلك بأسماء أرْبابِه ، ورأسا بَقَر برَسْم الهَرائِس .

فإذا جَلَسَ الخَليفَةُ على المائِدَة ، استدعى الوَزير وخَواصَّه ومن جَرَت العادَةُ بجُلُوسه معه . ومن تأخَّر عن المائِدَة ممَّن جَرَت عادَتُه بحُضُورها ، حُمِلَ إليه من بين يدي الخَليفَة على سبيل التَّشْريف ، وعند عَوْد الخَليفَة إلى القصر ، يُحاسِب مُتَوَلِّي الدَّفْتَر مقدَّمي الرِّكاب على ما أُنْفِق عليه في مَسافَة الطَّريق من جامِع ومَسْجد وباب ودابَّة . وأمَّا تَفْرِقَةُ الصَّدَقات فهم فيها على حُكْم الأمانَة .

---

a) بولاق : وجوه . b) بولاق : ولكل من يركب .

قالَ : وإذا وَقَعَ الرُّكوبُ إلى الميادين ، جَرَى الحالُ فيها على الرَّسْم المستقرّ من الإنعام ، ويُؤْمَر مُتَوَلِّي خَزائِن الخاصّ وصَناديق الإنْفاق أن يكون معه خَريطَةٌ في السَّرْج ديباج ، تسمَّى «خَريطَة المَوْكِب» ، فيها ألف دينار معدَّة لمن يُؤْمَر بالإنْعام عليه في حال الرُّكوب [١] .

مَنْظَـرَةُ التَّاج

هي من جُمْلَة المَنَاظِر التي كانت الخُـلَفاءُ تنزلها للنُّزْهَة ، بَنَاها الأَفْضَلُ بن أمير الجُيُوش ، وكان لها فَرْشٌ مُعَدّ بها[a] للشِّتاء والصَّيْف . وقد خَرِبَت ولم يَبْق لها سوى أَثَرُ كُومٍ ، تُوجَد تحته الحِجارةُ الكبار ، وما حَوْلَها هذا الكُوم صارَ مَزارِعَ من جملة أراضي مُنْيَة السِّيرج .

قال ابنُ عبد الظَّاهِر : وأمَّا التَّاجُ فكان حَوْلَه من[b] البَساتين عِدَّة ، وأَعْظَمُ ما كان حولَه قُبَّةُ الهَوَاء ، وبعدها الخَمْس وُجوه التي هي باقية الآن[b].

مَنْظَـرَةُ الخَمْـس الوُجُوه [c]

كانت أيضًا من مَناظِرهم التي يتنزَّهون فيها ، وهي من إنْشاء الأَفْضَل بن أمير الجُيُوش ، وكان لها فَرْشٌ مُعَدٌّ لها ، وبقي منها آثارُ بِناءٍ جَليل على بِئْرٍ متَّسعة كان بها خَمْسَةُ أَوْجه من المَحال الخَشَب التي تَنْقِل الماء لسَقْي البُسْتان العَظيم الوَصْف البَديع الزِّيّ البَهيج الهَيْئة . والعامَّةُ تقول : التَّاجُ ، والسَّبْعُ وُجوه . إلى الآن .

ومَوْضِعُها إلى وقتنا هذا من أعظم مُفْتَرَجات القاهِرَة ، ويَنْبُت هناك في أيام النِّيل عندما يعمّ تلك الأَراضي البَشْنين [٣] ، فتَفْتِن رؤيته وتُبْهج النُّفوس نَضارتُه وزينتُه ، فإذا نَضُبَ ماءُ النِّيل زُرِعَت تلك البَسْطَة قُرْطًا وكَتَّانًا يقصر الوَصْفُ عن تِعْداد حُسْنه . وأدركت حَوْل الخَمْس الوجوه[c] غُروسًا من نَخْلٍ وغيره تُشْبه أن تكون من بقايا البُسْتان القَديم ، وقد تلاشَت الآن [٤] .

---

a) بولاق : لها . b) ساقطة من بولاق . c) بولاق : وجوه .

---

[١] ابن المأمون : أخبار مصر ٩٦- ٩٨.

[٢] ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٢٨؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٣١٩؛ ويحدد مواقع التاج وقبة الهواء اليوم المنطقة المعروفة بمَهْمَشَة غرب القاهرة .

[٣] البَشْنين هو النَّيْلوفَر .

[٤] يقع مجموع هذه المناظر التي أنشأها الوزير الفاطمي =

ثم إنَّ السُّلْطانَ الملكَ المُؤيَّد شَيْخ المَحْمودي الظَّاهِرِي، جَدَّدَ عِمارَة مَنْظَرَةٍ فَوْق الخَمْس الوُجُوه، ابتدأ بناءَها في يوم الاثنين أوَّل شهر ربيع الآخَر سنة ثلاثٍ وعشرين وثمان مائة [١].

مَنْظَرَةُ بابِ الفُتُوح

وكان للخُلَفاء الفاطِميين مَنْظَرَةٌ خارج باب الفُتُوح، وكان يومئذٍ ما خَرَجَ عن باب الفُتُوح بَراحًا فيما بين الباب وبين البَساتين الجُيُوشية. وكانت هذه المَنْظَرَةُ مُعَدَّة لجُلوس الخَليفَة فيها عند عَرْض العساكِر ووَدَاعِها إذا سارت في البَرّ إلى البلاد الشَّامية [٢].

قال ابنُ المأمُون: وفي هذا الشهر - يعني المحرَّم سنة سبع عشرة وخمس مائة - وَصَلَت رُسُلُ ظَهير الدِّين طُغْتَكين صاحِب دِمَشْق، وآقْ سُنْقُر صاحِب حَلَب، بكُتُبٍ/ إلى الخَليفَة الآمِر ٤٨٢:١ بأحْكام الله وإلى الوَزير المأمُون إلى القصر، فاسْتُدْعوا لتَقْبيل الأرض كما جَرَت العادَةُ من إظْهار التَّجَمُّل.

وكان مَضْمُونُ الكُتُب - بعد التَّصْدير والتَّعْظيم والسُّؤال والضَّراعة - أنَّ الأخْبارَ تظافَرَت بقِلَّة الفِرِنْج بالأعمال الفِلَسْطينية والثُّغور الساحِلية، وأنَّ الفُرْصَةَ قد أَمْكَنَت فيهم والله قد أَذِنَ بهلاكِهم، وأنَّهم ينتظرون إنْعَام الدَّوْلَة العَلَوِيَّة وعَوائِد أفضالها، ويَسْتَنْصِرون بقُوَّتها، ويَحُثُّون على نُصْرَة الإسْلام، وقَطْع شأْفَة[b] الكُفْر، وتَجْهيز العَساكِر المنصورة والأساطيل المُظَفَّرَة، والمُساعَدَة على التَّوَجُّه نحوهم لئلَّا يَتَواصَل مَدَدُهم، وتعودَ إلى القُوَّة شَوْكَتُهم.

فقَوِي العَزْمُ على النَّفَقَة في العساكِر فارِسها وراجِلها وتَجْريدها، وتقدَّم إلى الأزِمَّة بإحضار الرِّجال الأقْوياء، وابتدئ بالنَّفَقة في الفُرْسان بين يدِي الخَليفَة في قاعَة الذَّهَب، وأُحْضر

---

a) بولاق: الخمس وجوه. b) النسخ وبولاق: دابر والمثبت من مسودة المواعظ.

= الأفضل شاهنشاه وزير المستعلي والآمر بأحكام الله، على الشاطئ الغربي للخليج المصري الذي حَلَّ محله الآن بعد ردمه سنة ١٨٩٦ شارع بورسعيد (الخليج المصري سابقًا) في المسافة ما بين كوبري غَمْرَة وشارع مصر والسودان وما بين الوايلي الكبير على الترعة الإسماعيلية. وانظر عن المناظر التي أنشأها الوزير الأفضل Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 477-82.

[١] المقريزي: السلوك ٤: ٥٢٦، وأضاف أنه جعل ذلك عوضًا عن قصور سِرْياقوس وليسرح إليها كما كانت الملوك تسرح إلى سرياقوس؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٤: ٩٤؛ وانظر فيما يلي ٢: ٤٢٢.

[٢] المقريزي: مسودة المواعظ ٣٢٣.

الوَزّانون وصَناديقُ المال ، وأُفْرِغَت الأكْياسُ على البِساط . واستمرّ الحالُ بعد ذلك في الدار المَـأْمُونية ، وتردّد الرأيُ فيمن يتقدّم ، فوَقَع الاتّفاقُ على حُسام المُلْك البَرْنيّ ، وأُحْضِر مُقَدَّم الأساطيل الثانية لأنّ الأساطيلَ توجّهت في الغَزْو ، وخُلِعَ عليه ، وأُمِرَ بأن ينزل إلى الصِّناعتين بمصر والجَزيرَة ، ويُنْفِق في أربعين شينيًّا ، ويُكْمِل نَفَقاتِها وعُدَدَها ، ويكون التَّوَجُّه بها صُحْبَة العَسْكَر .

وأَنْفَقَ في عشرين من الأُمَرَاء للتَّوَجُّه صُحْبته فكَمُلَت النَّفَقَة في الفارسِ والراجِل ، وفي الأُمَرَاء السَّائرين ، وفي الأَطِبّاء والمؤذّنين والقُرّاء ، ونَدَبَ من الحُجّاب عِدَّةً ، وجُعِلَ لكلٍّ منهم خِدْمَة : فمنهم من يتولّى خِزانَة الخيام ، وسُيِّرَ معه من حاصِل الخَزائِن ـ بَرَسْم ضُعَفاء العَسْكَر ومن لا يقدر على خَيْمَة ـ خِيَم ، ومنهم حاجِبٌ على خَزائِن السِّلاح . وأَنْفَقَ في عِدَّة من كُتَّاب ديوان الجَيْش لعَرْض العَساكِر ، وفي كُتَّاب العُرْبان . وأحضر مُقَدَّمو الجُذامِيين بالجِفَار[a]، وتَقَدَّم إليها بأنَّه من تأخّر عن العَرْض بعَسْقَلان وقَبْض النَّفَقَة ، فلا واجِبَ له ولا إقْطاع .

وكُتِبَت الكُتُب إلى المستخدمين بالثُّغور الثلاثة : الإسكَنْدَرية ودِمْياط وعَسْقَلان ، بإطْلاق وابْتِياع ما يُسْتَدْعى برَسْم الأَسْمِطَة على ثَغْر عَسْقَلان للعساكِر والعُرْبان من الأصْناف والغِلال ، ووَقَعَ الاهتمامُ بنَجاز أمْر الرُّسُل الواصلين .

وكُتِبَت الأَجْوِبَة عن كُتُبِهم ، وجُهِّزَ المالُ والخِلَع المذهَّبات ، والأَطْواق والسُّيوف والمناطِق الذَّهَب ، والخَيْل بالمراكب الحُلِيّ الثِّقال وغير ذلك من التجمُّلات . وخُلِعَ على الرُّسُل ، وأُطْلِق لهم التَّشفير[b]، وسُلِّمَت إليهم الكُتُب والتَّذاكير ، وتوجَّهوا صُحْبَة العَسْكَر .

ورَكِبَ الخَليفَةُ الآمِرُ بأحكام الله إلى باب الفُتُوح ونَزَلَ بالمَنْظَرَة ، واستدعى حُسامَ المُـلْك وخَلَع عليه بَدْلَةً جَليلَةً مُذَهَّبَة وطَوَّقَه بطَوْقٍ ذَهَب ، وقَلَّدَه ومَنْطَقَه بمثل ذلك . ثم قال الوَزيرُ المَـأْمُونُ للأُمَراء ، بحيث يَسْمَع الخَليفَة : هذا الأميرُ مُقَدَّمكم ومُقَدَّمُ العَساكِر كلِّها ، وما وَعَد به أنجزته ، وما قَرَّره أمْضَيْته فقَبَّلوا الأرضَ ، وخَرَجوا من بين يديه .

وسَلَّم متولّي بَيْت المال وخَزائِن الكُسْوَة لحُسام المُـلْك الكُتُب بما ضُمِّنَته الصَّناديق من المال وأعْدال الكُسْوات ، وحُمِلَت قُدّامه .

---

a) بولاق : الحراسين بالجفار . b) بولاق : التغير . c) بولاق : نظر .

وفُتِحَت طاقُ[a] المَنْظَرَة ، فلمَّا شاهَدَ العَساكِرُ الخَليفَة قبَّلوا الأرض ، فأشارَ إليهم بالتوجُّه ، فساروا بأجمعهم . ورَكِبَ الخَليفَةُ وتَوَجَّه إلى الجامِع بالمَقْس وجَلَسَ بالمَنْظَرة ، واستدعى مُقَدَّم الأُسْطولِ وخَلَعَ عليه ، وانْحَدَرَت الأساطيلُ مَشْحُونَةً بالرجال والعُدَّة [1] .

مَنْظَرَةُ الصِّناعَة

وكان من جُمْلَة مَناظِر الخُلَفاء مَنْظَرَةٌ بالصِّناعَة في السَّاحِل القَديم من مصر ، يجلسُ بها الخَليفَةُ تارَةً حتى تُقَدَّم له العُشاريَّات ، فيركبها ويَسير للمِقْياس حتى يُخَلِّق بين يديه عند الوَفاء . وكان بهذه الصِّناعَة ديوانُ العَمائِر [2] .

وأَنْشَأ هذه المَنْظَرَة ـ والصِّناعَة التي هي فيها ـ الوَزيرُ المأمُون ، ولم تَزَل إلى آخِر الدولة ، ودِهْليزُها مادٌّ بمَساطِب مَفْروشَة بالحُصْر العَبَداني بَسْطًا وتأزيرًا . وقد خَرِبَت هذه الصِّناعَةُ والمَنْظَرة ، وصارَ موضِعُها الآن بُسْتانًا كان يُعْرَف بِبُسْتان ابن كَيْسان ، ويُعْرَف في زَمَنِنا هذا الذي نحن فيه الآن بِبُسْتان الطَّواشي ، وهو بأوَّل مَراغَة مصر تجاه غِيط الجُرْف ، على يَسْرَة من يَسْلُك من المَراغَة يُريد الكَبارَة وباب مصر [3] .

قال ابنُ المأمُون : وكانت جَميعُ مَراكِب الأساطيل ما تَنْشَأُ إلَّا بالصِّناعَة التي بالجزيرَة ، فأنْكَر الوَزيرُ المأمون ذلك وأَمَرَ بأن يكون إنشاءُ الشَّواني [4] وغيرها من المراكِب النِّيلية الدِّيوانية بالصِّناعة بمصر ، وأضافَ إليها دارَ الزَّبيب ، وأنشأ المَنْظَرَة بها ، واسمه باقٍ إلى الآن عليها . وقَصَدَ بذلك أن يكون حُلولُ الخَليفَة يوم تَقْدِمَة الأساطيل ورَمْيها بالمَنْظَرَة المذكورة ، وأن يكون ما يُنْشأ من الحَرابي[b][5] والشَّلَنْديات [6] في الصِّناعَة بالجَزيرَة .

---

a) بولاق : طاقات . b) بولاق : الجراني .

---

[1] ابن المأمون : أخبار مصر ٦٠- ٦٢؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٣٢٣- ٣٢٥.

[2] انظر عن هذا الديوان الذي يعرف أيضًا بديوان الجهاد ، ابن الطوير : نزهة المقلتين ٩٤- ١٠٠ ، القلقشندي : صبح ٣ : ٥١٩؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٧٤٠- ٧٤٢ ، وفيما يلي ٥٧١ ، ٢ : ١٩٣.

[3] عن بستان الطواشي انظر فيما يلي ٢ : ١٣٣ ، ١٩٧.

[4] الشيني . انظر فيما تقدم ٥٦٣هـ [1] .

[5] الحَرْبي والحربية (جـ. حرابي وحربيات) نوع من المراكب الحربية التي استخدمها الفاطميون منذ كانوا بإفريقية ونقلوها معهم إلى مصر (النخيلي : السفن الإسلامية ٣٧-٤٠) .

[6] الشَّلَنْدي جـ. الشَّلَنْديات . ذكر ابن مماتي (قوانين=

قال : ولمَّا وَفَّى النيلُ ستة عشر ذراعًا ، رَكِبَ الخَليفَةُ والوزيرُ إلى الصِّناعَة بمصر ، ورُمِيَت العُشاريَّات بين أيديهما ، ثم عَدَّيا في إحداها إلى المِقْياس [١].

وقال ابنُ الطُّوَيْر : الخِدْمَةُ في «ديوان الجِهَاد» [٢] - ويُقال له «ديوانُ العَمَائِر» - وكان مَحَلُّه بصِناعَة الإنْشاء بمصر للأُسْطول والمراكِب الحامِلَة للغَلَّات السُّلْطانية والأحْطاب وغيرها ، وكانت تَزيد على خمسين عُشاريًّا ، ويليها عشرون دِيماسًا /، منها عشرة برَسْم خاصّ الخَليفَة أيام الخَليج ٤٨٣:١
وغيرها . ولكلٍّ منها رئيسٌ ونَواتي لا يبرحون يُنْفَق فيهم من مال هذا الدِّيوان .

وبقية العُشارِيَّات الدَّواميس برَسْم ولاة الأعمال المميَّزة ، فهي تُجَرَّد لهم ، ويُنْفَق في رؤسائها ورجالها أيْنَما كانوا من مالِ هذا الدِّيوان ، وتقيم مع أحدهم مُدَّة مقامه ، فإذا صُرِفَ عادَ فيه ، وخَرَجَ المتولِّي الجَديد في العُشاري المرسي بالصِّناعَة ، ولا يخرج إلَّا بتَوْقيعٍ بإطلاقه والإنْفاق فيه ، وللمُشارفين بالأعمال عُشاريَّات دون هذه .

وفي هذا الدِّيوان ، برَسْم خِدْمَة ما يجري في الأساطيل ، نائِبان من قِبَل مُقَدَّم الأُسْطول ، وفيه من الحَواصِل لعِمارَة المراكِب شيءٌ كثيرٌ ، وإذا لم يفِ ارْتِفاعُه بما يحتاج إليه استدعى له من بَيْت المال ما يَسُدّ خَلَلَه [٣].

قال : وكان من أهَمِّ أُمورهم احتفالُهم بالأساطيل والأجْناد ، ومُواصَلَة إنْشاء المراكِب بمصر والإسْكَنْدَرية ودِمْياط ، من الشَّواني الحربية [٤] والشَّلَنْدِيَّات [٥] والمُسَطَّحات [٦] ،

=الدواوين ٣٤٠) أنه مركب مُسَقَّف تقاتل الغُزاة على ظهره والمجدِّفون يجدِّفون تحتهم ، وهي تعادل في أهميتها الشونة والحرَّاقَة . عرفها الأوربيون وهي في اللاتينية Chelandium وحَرَّفها العرب عنهم فقالوا أيضًا : صَنْدَل ونقلوه عن البيزنطيين (درويش النخيلي : السفن الإسلامية ٧٨- ٨١؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٧٤٤).

[١] ابن المأمون : أخبار مصر ١٠٠- ١٠١.

[٢] استجدّ هذا الديوان الوزير السُّنّي رضوان بن وَلَخْشي في ذي القعدة سنة ٥٣١هـ/ ١١٣٧م (ابن ميسر : أخبار مصر ١٢٨- ١٢٩؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣: ١٦٣؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية ٧٤٠-٧٤٢) . وأورد القلقشندي : صبح الأعشى ١٠: ٤٠٦-٤١٦ نسخة تقليد للإمارة على الجهاد صادرة عن أحد الخلفاء الفاطميين .

[٣] ابن الطوير : نزهة المقلتين ٩٤- ٩٥؛ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ٤/١: ١٤٩؛ القلقشندي : صبح ٣: ٤٩٢.

[٤] الشَّواني ، انظر فيما تقدم ٥٦٣هـ [١].

[٥] الشَّلَنْدي جـ. الشَّلَنْديات . انظر هـ [٦] صفحة ٥٧٠ .

[٦] المُسَطَّح جـ. مُسَطَّحات . نوعٌ من السفن الحربية الكبيرة يشبه بالشَّلَنْدي ، كان يسع نحو خمسمائة راكب . وذكر المقريزي (فيما يلي) أن عدد مراكب الأسطول=

[وإنفاذها][a] إلى بلاد السَّاحِل حين كانت بأيديهم، مثل صُور وعَكًّا وعَسْقَلان [1].

وكانت جَريدَةُ قُوَّادِه أكثر من خمسة آلاف مُدَوَّنَة: منهم عشرة أعْيان [b]يُقالُ لهم: «القُوَّاد» واحِدُهم «قائِد»[b] تَصِلُ جامَكِيَّةُ كلٍّ منهم إلى عشرين دينارًا، ثم إلى خمسة عشر، ثم إلى عشرة دنانير، ثم إلى ثمانية، ثم إلى دينارين وهي أَقَلُّها. ولهم إقْطاعاتٌ تُعْرَف بـ «أبْواب الغُزاة» بما فيه من النَّطْرون، فيصل دينارُهم بالمناسبة إلى نصف دينار وحواليه. ويُعَيَّن من هؤلاء القُوَّاد العشرة من يَقَع الإجْماعُ عليه لرئاسة الأُسْطول المتوجِّه للغَزْو[c]، فيكون معه المُقَدَّم[d] والفانُوس، وكلُّهم يَهْتَدون به، ويُقْلعون بإقْلاعِه، ويَرْسون بإرسائِه.

ويُقَدَّم على الأُسْطول أميرٌ كبيرٌ من أعْيان الأُمَراء وأقْواهم نَفْسًا و[d]جِنانًا، ويتولَّى النَّفَقَة فيهم للغَزْو الخَليفَة بنفسه بحضُور الوَزير؛ فإذا أرادَ النَّفَقَة فيما تعيَّنَ من عِدَّة المراكِب السائِرَة ـ وكانت آخِر وَقْت تَزِيد على خمسة وسبعين شينيًّا، وعَشْر مُسَطَّحات، وعشر حَمَّالات[e][2] ـ فيتقدَّم إلى النُّقَباء بإحضار الرجال، ويَسْمَع بذلك من هو خارج مصر والقاهِرَة، فيَدْخُل إليها. ولهم المُشاهَرَة والجِرايات المُسْتَقِرَّة[f] مُدَّة أيام السَّفَر، وهم معروفون عند عشرين نقيبًا، ولا يَعْتَرِضُ أحَدٌ أحَدًا إلَّا مَنْ رَغِبَ في ذلك من نفسه.

فإذا اجتمعت العِدَّةُ المغلقة للمراكِب المطلوبة، أَعْلَمَ المُقَدَّمُ بذلك الوَزير، فطالَع الخَليفَة بالحال، وقُرِّرَ يومٌ للنَّفَقة، فحَضَرَ الوَزيرُ بالاستدعاء على العادَة. فيَجْلس الخَليفَةُ على هَيْئته في مَجْلس، ويجلس الوَزيرُ في مكانِه، ويحضر صاحِبا ديوان الجَيْش وهما المُسْتَوْفي، وهو أميرُهما[g]، ويجلس داخِل عَتَبَة المَجْلِس ـ وهذه رُتْبَةٌ له مُمَيَّزَة ـ وكاتِبُ الجَيْش الأَصْل ويجلس

---

a) زيادة يستقيم بها المعنى. b-b) إضافة مما يلي ٢: ١٩٣. c) مسودة المواعظ: أسطول الغزو. d) زيادة من مسودة المواعظ. e) النسخ وبولاق: حمالة والتصويب من المسودة. f) بولاق: المتقررة. g) بولاق: أميرهما.

= الفاطمي في آخر عهده بلغت خمسة وسبعين شينيًّا وعشر مُسَطَّحات وعشر حمَّالات. وعرف المسلمون والفرنج في العصور الوسطى هذا الضرب من السفن واستعملوه في مياه البحر المتوسط. (النخيلي: السفن الإسلامية ١٤١- ١٤٣؛ أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية ٧٤٤).

[1] انظر كذلك فيما يلي ٢: ١٩٣.

[2] حَمَّالة جـ. حَمَّالات. من مراكب الثِّقل المخصصة في الأساس لنقل الغلال، وتضاف كذلك إلى ملحقات الأسطول العربي لتقوم بنقل مئونة الجيش وأزواده. وكانت الواحدة منها تسع ١٢٥ رجلا، وكانت الحمالات تستخدم كذلك في حمل الخيول (درويش النخيلي: المرجع السابق ٤٠-٤١).

بجانبه تحت العَتَبَة على حُصْرٍ مفروشة بالقاعَة . ولا يخلو المُسْتَوْفي أن يكون عَدْلًا ، أو من أعْيان الكُتَّاب المسلمين . وأمَّا كاتِبُ الجَيْش فيَهُوديٌّ في الأَغْلَب!

ويُفْرَش أمام المجْلِس أَنْطاعٌ تُصبُّ عليها الدَّراهم ، ويحضر الوزَّانون ببَيْت المال بذلك . فإذا تهيَّأ الإنْفاقُ أُدْخِلَ القابِضُون مائةً مائة ، ويَقِفُون في آخِر الوقوف بين يديِ الخَليفة من جانِبٍ واحِد نِقابَةً ، وتكون أسماؤهم قد رُتِّبَت في أوْراقٍ لاستدعائهم بين يديِ الخَليفَة ويَسْتَدْعي مُسْتَوْفي الجَيْش من تلك الأَوْراق [a]المُتَّفَق عليها[a] واحِدًا واحِدًا ، فإذا خَرَج اسمُه عَبَرَ من الجانِب الذي هو فيه إلى الجانب الخالي ، فإذا تَكَمَّل عشرة رجال وَزَنَ الوَزَّانون لهم النَّفَقَة - وكانت لكلِّ واحِدٍ خمسة دنانير ، صَرْف كلِّ دينار ستة وثلاثون دِرْهَمًا - فيتسلَّمها[b] النَّقيبُ ، وتُكْتَب بيده وباسمه وتَمْضي النَّفَقَة كذلك إلى آخِرها .

فإذا تَمَّ ذلك اليوم ، رَكِبَ الوَزيرُ من بين يديِ الخَليفَة ، وانْفَضّ ذلك الجَمْع ، فيُحْمَل من عند الخَليفَة مائِدَةٌ يُقال لها «غَداء الوَزير» ، وهي سَبْع مَخْفيَّات[c] أوْساط ، إحداها بلَحْم دَجاج وفُسْتُق والبَقِيَّة من شِواء ، وهي مَكْمُورَة بالأزهار ، فتكون هذه عِدَّة أيام تارَةً متوالية وتارَةً متفرقة .

فإذا تَكَمَّلَت النَّفقة ، وتَجَهَّزَت المراكِبُ وتهيَّأت للسَّفَر ، رَكِبَ الخَليفَةُ والوَزيرُ إلى ساحِل المَقْس[1] .

وذَكَرَ ابنُ أبي طَيّ أنَّ المُعِزَّ لدين الله أَنْشَأَ ست مائة مركب لم يُر مثلها في البحر على مَدينَة ، وعَمِلَ دارَ صِناعَة بالمَقْس[2] .

دارُ المُلْك

وكان من جُمْلَة مَناظِرهم دارُ المُـلْك بمصر ، وهي من إنْشاء الأَفْضَل بن أمير الجُيُوش . ابتدأ في بِنائِها وإنْشائِها في سنة إحدى وخمس مائة ، فلمَّا كَمُلَت تَحَوَّل إليها من دار القِباب بالقاهِرَة وسَكَنَها ، وحَوَّل إليها الدَّواوين من القصر فصارَت بها ، وجَعَلَ فيها الأَسْمِطَة ، واتَّخَذ بها مَجْلِسًا سمَّاه «مَجْلِس العَطَايَا» كان يجلِسُ فيه .

a-a) زيادة من مسودة المواعظ . b) المسودة : فيسلمها لهم . c) النسخ وبولاق : مجنفات والمثبت من المسودة .

[1] ابن الطوير : نزهة ٩٥- ٩٨؛ المقريزي : مسودة المواعظ ٢٩٤- ٢٩٧؛ وانظر فيما تقدم ٥٧٠ - ٥٧١ وفيما يلي ٢:١٩٣ ، وقارن مع القلقشندي : صبح ٣: ٥١٩.

[2] المقريزي : مسودة المواعظ ٢٩٩.

فلمَّا قُتِلَ الأَفْضَلِ صارتْ دارُ المُلْك هذه من جملة متنزَّهات الخُلَفَاء، وكان بها بُسْتانٌ عَظيمٌ، وما زالَت عَظيمَةً إلى أن انقرضت الدَّوْلَة، فجَعَلَها الملكُ الكامِلُ محمد بن العادِل أبي بكر بن أيُّوب دَارَ مَتْجَر، ثم عُمِلَت في أيام الظَّاهِر رُكْن الدِّين بَيْبَرس البُنْدُقْداري دارَ وَكالَة. ومَوْضِعُ دار المُلْك ما وَرَاءَ رَحْبَة الخَرُّوب بجوار المَدْرَسَة المُعِزِّيَّة، وبقي منها جِدارٌ يجلس تحته بَيَّاعو الحِنَّاء[1].

قال ابنُ المَأْمُون: ومن جُمْلَة ما قَرَّره القائِدُ أبو عبد الله من تعظيم المملكة، وتفخيم أَمْر السَّلْطَنَة، أنَّ/ المجْلِسَ الذي يجلس فيه الأَفْضَلُ بدار المُلْك يُسَمَّى «مَجْلس العَطايا»[2]، فقال ٤٨٤:١ القائِدُ: مجلسٌ يُدْعَى بهذا الاسْم ما يُشَاهَد فيه دينارٌ يُدْفَع لمن يَسْأَل! وأَمَرَ بتَفْصيل ثمانية ظُروف دِيباج أَطْلَس من كلِّ لَوْنٍ اثنين، وجَعَلَ في سبعةٍ منها خمسة وثلاثين ألف دينار، في كلِّ ظرف خمسة آلاف دينار سَكْب، وبطاقَة بوَزْنه وعَدَده وشَرَّابة حَرير كبيرة: من ذلك ستة ظروف دنانير بالسَّوِيَّة عن اليمين والشمال في مَجْلسِ العَطَايا الذي برَسْم الجُلوس، وعند مَرْتَبَة الأَفْضَل بقاعَة اللُّؤْلُؤَة ظَرْفان: أحدُهما دنانير، والآخر دَراهم جُدُد. فالذي في اللُّؤْلُؤَة برَسْم ما يَسْتدعيه الأَفْضَلُ إذا كان عند الحَرَم. وأمَّا الذي في مَجْلس العَطايا فإنَّ جَميعَ الشُّعَراء لم يكن لهم في الأيام الأَفْضَلِيَّة ولا فيما قَبْلَها على الشِّعْر جارٍ؛ وإنَّما كان لهم، إذا اتَّفَق طَرَبُ السُّلْطان واستحسانُه لشِعْر من أَنْشَدَ منهم، ما يُسَهِّلُه الله على حُكْم الجائِزَة. فرأى القائِدُ أن يكون ذلك من بين يديه مِن الظُّروف. وكذلك من يتضرَّع ويسأل في طَلَب صَدَقة أو يُنْعَم عليه ابتداءً بغير سُؤال يُخْرج ذلك من الظُّروف. وإذا انْصَرَفَ الحاضِرون نَزَّلَ القائدُ المبلغ بخَطِّه في البِطاقَة، ويكتب عليه الأَفْضَلُ بخَطِّه «صَحّ»، ويُعاد إلى الظَّرْف ويُخْتَم عليه.

فلمَّا استهلَّ رَجَبُ من سنة اثنتي عشرة وخمس مائة، وجَلَسَ الأَفْضَلُ في «مَجْلس العَطايا» على عادَته، وحَضَرَ الأَجَلُّ المُظَفَّر أخوه للهَنَاء وجَلَسَ بين يديه، وشاهَدَ الظُّروف، والقائِدُ ووَلَدُه وأخوه قِيامٌ على رأسه، وتقدَّمت الشُّعراءُ على طَبَقاتِهم ـ أَمَرَ لكلٍّ منهم بجائِزَة. وشاعَ خَبَرُ

---

[1] ابن ميسر: أخبار مصر ٧٦- ٧٧؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٢٧٤- ٢٧٥؛ المقريزي: اتعاظ ٣: ٣٧؛ أبو المحاسن: النجوم ٤: ٩٢هـ°.

ولم تزل المدرسة المعزية التي أنشأها الملك المعز أيبك التركماني في سنة ٦٥٤ خارج حدود دار الملك معروفة، حيث حلّ محلها اليوم جامع عابدي بك الشهير بجامع الشيخ رويش في آخر شارع مصر القديمة من جهة النيل، فيكون موضع دار الملك مجموعة المباني المجاورة للجامع المذكور.

[2] انظر كذلك عن مجلس العطايا فيما تقدم ٤١٩.

الظُّروف ، وكَثُرَ القَوْلُ فيها ، واسْتُعْظِم أمْرُها ، وضُوعِفَ مبلغُها . واتَّسَعَ هذا الإنْعامُ بالصَّدَقات الجاري بها العادَة في مثل هذا الشَّهْر لفُقَهاء مصر والرُّباطات بالقَرافَة وفُقَرائِها [1].

وقال ابن الطُّوَيْر ، وقد ذَكَرَ رُكُوب الخَليفَة في أوَّل العام وحُضُور الغُرَّة : ولا يَنْقَطِع[a] الرُّكوب بعد هذا اليوم الذي هو أوَّل العام ، فيركبون في آحادِ الأيام إلى أن يَكْمُل شهر ، ولا يتعدَّى ذلك يومي السَّبْت والثُّلاثاء . فإذا عَزَم الخَليفَة على الركوب في أحَد هذه الأيام أُعْلِم بذلك ـ وعلامَتُه إنْفاق الأسْلِحَة في صِبْيان الرِّكاب من خِزانَة السِّلاح خاصَّةً دون ما سواها ، وأكثر ذلك إلى مصر ـ ويركب الوَزيرُ صُحْبَته من ورائِه على أخْصَر من النِّظام المُتَقَدِّم ـ يعني في رُكُوب أوَّل العام ـ وأقل جَمْع ، فيخرج شاقًّا القاهِرَة وشوارعها على الجَامِع الطُّولوني على المَشاهِد[2]، إلى دَرْب الصَّفا ـ ويُقالُ له : «الشَّارِع الأَعْظَم» ـ إلى دار الأنْماط إلى الجامِع العَتيق[3].

فإذا وَصَلَ إلى بابِه ، وَجَدَ الشَّريفَ الخَطيب قد وَقَفَ على مَسْطَبَة بجانبه فيها مِحْراب ، مفروشة بحُصْرٍ مُعَلَّق عليها سِجَّادَة ، وفي يده المُصْحَف المنسوب خَطُّه إلى عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وهو من حاصِله ؛ فإذا وازاه وَقَف في موضعه وناوَلَه المُصْحَف من يده ، فيتسلَّمه منه ويُقَبِّله ويتبرَّك به مِرارًا ، ويُعْطيه صَاحِب الخَريطة المَوْسومة للصَّلات ثلاثين دينارًا ، وهي رَسْمُه متى اجتاز به ، فيُوَصِّلُها الشَّريفُ إلى مُشارِف الجامِع ، فيكون نَصيبهما منها خمسة عشر دينارًا ، والباقي للقَوَمَة والمُؤَذِّنين دون غيرهم . ويَسيرُ إلى أن يصل دارَ المُلْك فينزلها والوَزير معه . ومنذ يَخْرُج من باب القَصْر إلى أن يَصِل إلى دار المُلْك ، لا يَمُرُّ بمَسْجِدٍ إلَّا أعطى قَيِّمَه من الخَريطَة دينارًا .

فلا يزالُ بدار المُلْك نهارَه ، فتأتيه المائِدَةُ من القصر ، وعِدَّتها خمسون شَدَّة على رءوس الفَرَّاشين مع صَاحِب المائِدَة[4] ـ وهو أُسْتاذٌ جَليلٌ غير مُحَنَّك ـ وكلّ شَدَّةٍ فيها طَيْفور فيها الأواني الخاصّ ، وفيها من الأطعمة الخاصّ من كلِّ نَوْع شَهِيّ وكلِّ صِنْفٍ من المطاعِم العالية ، ولها رُواءٌ ورائِحَةُ المِسْك فائِحَة منها ، وعلى كلِّ شَدَّة طَرْحَة حَرير تعلو القَوَّارَة التي هي الشَّدَّة . فيُحْمَل إلى

---

a) النسخ وبولاق : وينقطع ، والمثبت من المسودة .

---

[1] ابن المأمون : أخبار مصر ١٠١ـ ١٠٢.

[2] المشاهد . انظر فيما تقدم ٥٢٥.

[3] الشارع الأعظم ، انظر فيما تقدم ٨٦.

[4] صاحب المائدة هكذا أطلق عليه أيضًا ابن الطوير في موضع آخر (فيما يلي ٢:١٤٣) ، أما ابن المأمون فسمَّاه «متولِّي المائدة» ، وذكر أن متولِّي المائدة في زمن الخليفة الآمر كان يدعى وفيّ الدولة إسعاف (فيما تقدم ٣٦٣:١٢، ٤٨٧:١٧، ٥٤٤:١٦، ٤٥٤، ٤٧٣).

الوَزير منها جزءٌ وافِر ، ولِمَن صَحِبَه وللأُمَرَاء ولكافَّة الحاضِرين في الخِدْمَة ، ويصل منها إلى النَّاس بمصر من بعضهم بعضًا شيءٌ عَظيمٌ (a).

ولا يزال إلى أن يُؤَذَّن عليه بالعَصْر فيُصَلِّي ، ويتحرَّكُ إلى العَوْد إلى القاهِرَة ، والنَّاسُ في طَرِيقِه لنَظَره ، فيركب وزيُّه في هذه الأيام أنَّه يَلْبس الثِّياب المُذَهَّبَة البَيَاض والملوَّنة ، والمِنْديل من النسبة ، وهو مَشْدودٌ شَدَّةً مُفْرَدَة عن شَدَّات النَّاس ، وذُؤَابَتُه مُرْخاة من جانبه الأيسر ، ويتقلَّد بالسَّيْف العربي المُجَوْهَر بغير حَنَك ولا مِظَلَّة ولا يَتيمَه ، فإنَّ ذلك في أوْقات مخصوصة .

ولا يمرُّ أيضًا بمَسْجِدٍ في سُلوكِه في هذه الطَّريق بالسَّاحل إلَّا ويُعْطي قَيِّمَه دينارًا أيضًا كما جَرَى في الرَّواح ، وينعطف من الخَرْق(b) ويَدْخُل من باب زَوِيلَة ، شاقًّا القاهِرَة حتى يدخُل القَصْر ، فيكون ذلك من المحرَّم إلى شهر رَمَضان إمَّا أرْبَعَ مَرَّات أو خَمْس مَرَّات [1].

ومن شِعْر الأَسْعَد أَسْعَد بن مُهَذَّب بن زَكَرِيّا بن أبي مَليح مِمَّا في دار المُلْك هذه [2] :

[الطويل]

حَلَلْتُ بدار المُلْكِ والنِّيلُ آخِذٌ   بأَطرافِها والمَوْجُ يُوسِعُها ضَرْبَا
فخُيِّلْته قد غارَ لَمَّا وَطِئْتُها   عليها فأَضْحَى عند ذاك لها حَرْبَا

مَنَازِلُ العِزّ

/بَنَتْها السَّيِّدَةُ تَغْريدُ أُمُّ العزيز بالله بن المُعِزّ [3] ، ولم يكن بمصر أحْسَن منها ، وكانت مُطِلَّةً على ٤٨٥:١
النِّيل لا يحجبها شيءٌ عن نَظَره . وما زالَ الخلفاءُ من بعد المُعِزّ يتداولونها ، وكانت مُعَدَّةً لنُزْهَتهم ، وكان بجوارها حَمَّامٌ ، ولها منها بابٌ ، ومَوْضِعُها الآن مَدْرَسَةٌ تُعْرَف بالمَدْرَسَة التَّقَوِيَّة ؛ منسوبة للملك المُظَفَّر تَقِيّ الدِّين عُمَر(c) ابن شاهِنْشاه بن نَجْم الدِّين أيُّوب بن شاذي [4] .

---

a) بولاق : كثير . b) بولاق : باب الخرف . c) بولاق : عمرو .

---

[1] ابن الطوير : نزهة ١٦٨- ١٧١؛ وقارن مع القلقشندي : صبح ٣: ٥١٧، أبي المحاسن : النجوم ٤: ٩١- ٩٢ .

[2] وردت هذه الأبيات عند الإدريسي : أنوار علوي الأجرام في الكشف عن أسرار الأهرام ٥٤ .

[3] عن السيدة تغريد أمّ العزيز بالله نِزار ، وتدعى دُرْزان (انظر فيما يلي ٥٨٠، ٢: ٣١٨) .

[4] اشترى الملك المعظم تقي الدين عمر بن شاهنشاه منازل العِزّ بمصر في شعبان سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م (أبو المحاسن : النجوم ٥: ٣٨٦) ، بعد أن أنزله بها السلطان صلاح الدين=

الهَوْدَجُ

وكان من مُتَنَزَّهاتهم العَظيمَة البِناء الغريبة البديعة الزِّيّ ، بناءٌ في جَزيرَة الفُسطاط ـ التي تُعْرَف اليوم بالرَّوْضَة ـ يُقال له : «الهَـوْدَج» . بَنَاهُ الخَليفَةُ الآمِر بأحْكام الله لمحبوبته البَدَوِيَّة التي غَلَبَ عليه حُبُّها بجوار البُسْتان المُخْتار ، وكان يترَدَّدُ إليه كثيرًا ، وقُتِلَ وهو مُتَوَجِّهٌ إليه [1] ، وما زال مُتَنَزَّهًا للخُلَفاء من بعده .

قال ابنُ سَعيد في كِتاب «المُحَلَّى بالأَشْعار» : قال القُرْطي في تاريخه : تَذاكَرَ النَّاسُ في حَديث البَدَوِيَّة وابن مَيَّاح من بني عَمِّها ، وما يَتَعَلَّق بذلك من ذِكْر الآمِر ، حتى صارَت رواياتُهم في هذا الشَّأن كأحاديث البَطَّال وأَلْف لَيْلَة ولَيْلَة وما أَشْبَه ذلك . والاخْتِصارُ منه أن يُقال : إنَّ الآمِرَ كان قد بُلِيَ بعِشْق الجَوارِي العَرَبِيَّات ، وصارَت له عُيونٌ بالبَوادِي . فبَلَغَه أنَّ جارِيَةً بالصَّعيد من أكْمَل العَرَب وأظْرَفهم شاعِرَةً جَميلَةً ، فيُقال إنَّه تزيَّا بزيّ بُداةِ الأعْراب ، وكان يَجُول في الأحياء ، إلى أن انتهى إلى حَيِّها ، وباتَ هناك في ضائِفَةٍ ، وتَحَيَّل حتى عايَنَها هنالك ، فما مَلَكَ صَبْرَه ، ورَجَعَ إلى مَقَرِّ مُلْكِه ، وأرْسَلَ إلى أهْلِها يَخْطِبها وتَزَوَّجَها .

فلمَّا وَصَلَت صَعُبَ عليها مُفارَقَة ما اعتادته ، وأَحَبَّت أن تُسْرِح طَرْفَها في الفَضاء ولا تَنْقَبِض نَفْسُها تحت حِيطان المَدينَة . فبَنَى لها البِنَاء المشهور في جَزيرَة الفُسْطاط المعروف بالهَوْدَج ، وكان غَريبَ الشَّكْل ، على شَطِّ النِّيل [2] .

وبقيت متعلِّقة الخاطِر بابن عَمٍّ لها رُبِّيَت معه يُعْرَف بابن مَيَّاح ، فكَتَبَت إليه من قَصْر الآمِر :

[الرمل]

يا ابن مَيَّاح إليك المُشْتَكَى ‌ ‌ ‌ ‌ مالِكٌ من بعدكم قد مُلِكا

=يوسف بن أيوب ، ولما ولّاه نيابة حماة وما معها سنة ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م ، وقفها على فقهاء الشافعية (فيما يلي ٢:٣٦٤) ؛ وهي التي يقول فيها عمارة اليمني :

مَنـازِلُ العِـزّ يُبْكـيني تَشَعُّثُها
مَنازِلٌ لم تَزَل عندي عَزيزات

وكانت منازل العز تقع على شاطئ النيل بمصر القديمة (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥:٣٨٦هـ[1]) .

[1] ابن سعيد : النجوم الزاهرة ٨٥.

[2] كتاب «المُحَلَّى بالأشعار» لابن سعيد لم يصل إلينا ؛ وانظر المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣: ١٣١؛ وفيما يلي ٢:١٨١- ١٨٢.

كنتُ في حَيِّي مُطْلَقًا آمِرًا[a] نائِلًا ما شِئتُ منكم مُدْرِكا
فأنا الآن بقَصْرٍ مُرْصَدٍ لا أرَى إلَّا حَبِيسًا[b] مُمْسَكَا
كم قد[c] تَثَنَّيْنا كأغْصَان اللّوا حيث لا نَخْشَى علَيْنا دَرَكا

فأجابَها : [الرمل]

بِنْتُ عَمِّي والتي غَذَّيْتُها بالهَوَى حتى عَلا واحْتَنَكا[d]
بُحْتِ بالشَّكْوَى وعندي ضِعْفُها لو غَدَا يَنْفَعُ مِنَّا المُشْتَكَى
مالِكُ الأَمْر إليه أشْتَكي مالِكًا[e] وهو الذي قد مَلَكا

قال : وللنَّاس في طَلَب ابن مَيَّاح واخْتِفائِه أخْبَارٌ تطول . وكان من عَرَبِ طيِّئ في عَصْر[f] الآمِر طَرَّاد بن مُهَلْهِل السِّنْبِسي ، فبَلَغَتْه هذه القَضِيَّة فقال : [المتقارب]

أَلَا بَلِّغوا الآمِر المُصْطَفَى مَقالَ طَرَّاد ونِعْم المَقَال
قطعتَ الأليفَيْن عند أُلفةٍ بها سَمَرُ الحيّ بين الرجالِ
كذا كان آباؤكَ الأكْرَمُون[g] سألت فقل لي جوابَ السُّؤَال

فقال الخَليفَةُ الآمِر لمَّا بَلَغَتْه الأبيات : جوابُ سؤالِه قَطْعُ لِسانِه على فُضُولِه . وطُلِبَ في أَحْياء العَرَب فلم يُوجَد ، فقالت العَرَبُ : ما أَخْسَرَ صَفْقَة طَرَّاد ، باعَ أبْيات الحَيّ بثلاثةِ أبْيات[1] !

وكان بالإسْكَنْدَرية مَكِينُ الدَّوْلة أبو طالبِ أحمد بن عبد المجيدِ بن أحمد بن الحَسَن بن حَديد ، له مُرُوءَةٌ عَظِيمَةٌ ، ويحتذي أفْعَال البَرامِكَة ، وللشُّعَراء فيه أمْدائحُ كثيرة ، مَدَحَه ظَافِرُ الحَدَّاد ، وأُمَيَّةُ بن أبي الصَّلْت وغيرهما[2] .

وكان له بُسْتانٌ يَتَفَرَّج فيه به جُرْنٌ كبيرٌ من رُخام ، وهو قطعة واحِدَة ، وينحدر فيه الماءُ فيبقى كالبِرْكَة من كِبَره . وكان يجدُ في نفسه برؤيته زيادة على أهْل التَّنَعُّم والمباهاة في عَصْره . فوُشِيَ

---

a) بولاق : مطاعًا آمرًا ، وفيما يلي ٢: ١٨٢ آمرا مطلقا . b) بولاق : خبيئًا . c) ساقطة من بولاق . d) بولاق : واحتبكا . e) بولاق : مالك . f) بولاق : قصر . g) فيما يلي ٢: ١٨٢: الأقدمون . h) بولاق : ينفرج .

---

[1] فيما يلي ٢: ١٨٢.

[2] القاضي مكين الدولة وأمينها أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن أحمد بن الحسن بن حديد بن حمدون الكناني قاضي الإسكندرية ، توفي بثَغْر رَشيد وهو عائد من مصر في جُمادَى الآخرة سنة ٥٢٨هـ/ ١١٣٤م (راجع ، ابن ميسر : أخبار مصر ١٢٠؛ السلفي : معجم السَّفَر ٤٣-٤٤؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣: ١٥١؛ المقفى الكبير ١: ٥٠٥-٥٠٧، ٢: ٢٩٧-٢٩٨) .

به للبَدَوِيَّة محبوبة الآمِر ، فسألَت الخَليفَةَ الآمِر في حَمْل الجُوْن إليها ، فأَرْسَلَ إلى ابن حَديد بإحْضَار الجُوْن ، فلم يجد بُدًّا مِن حَمْله من البُسْتان . فلمَّا صارَ إلى الآمِر ، أَمَرَ بعَمَله في الهَوْدَج . فقَلِقَ ابنُ حَديد ، وصارَت في قَلْبه حَرارةٌ من أخْذ الجُوْن ، فأخَذَ يَخْدِم البَدَوِيَّة ومَنْ يَلُوذ بها بأنْواعِ الخِدَم العَظيمَة الخارجة عن الحَدّ في الكثرة ، حتى قالت البَدَوِيَّةُ : هذا الرَّجُلُ أَخْجَلَنا بكَثْرَة تُحَفِه ، ولم يكلِّفنا قطّ أمْرًا نَقْدر عليه عند الخَليفَة مَوْلانا .

فلمَّا قيل له هذا القَوْل عنها قال : ما لي حاجَة ، بعد الدُّعاء لله بحِفْظ مَكانِها وطُولِ حَياتِها في عِزٍّ ، غير رَدّ الفَسْقيَّة التي قُلِعَت من داري التي بنيتها/ في أيَّامهم من نِعْمَتهم ، تُرَدّ إلى مَكانِها . ٤٨٦:١ فتعجَّبت من ذلك ، ورَدَّتها عليه ، فقيل له : حَصَلْت في حَدّ أن خَيَّرَتْك البَدَوِيَّة في جَميع المطالِب ، فتَزَلَت هِمَّتُك إلى قِطْعَة حَجَر! فقال : أنا أَعْرَفُ بنفسي ، ما كان لها أَمَلٌ سوى ألَّا تُغْلَب في أَخْذ ذلك الحَجَر من مَكانِه ، وقد بَلَّغَها الله أَمَلَها [1] .

وكان هذا المكينُ يَتَوَلَّى قَضَاء الإسْكَنْدَرية ونَظَرَها في أيام الآمِر ، وبَلَغَ من عُلُوّ هِمَّتِه وعِظَم مروءته أنَّ سُلْطانَ الملوك حَيْدَرَة ، أخا الوَزير المأمُون بن البَطائِحي ، لَمَّا قَلَّدَه الآمِرُ وِلاية ثَغْر الإسْكَنْدَرية في سنة سبع عشرة وخمس مائة ، وأضافَ إليه الأعمال البَحْرية ، ووَصَلَ إلى الثَّغْر ، ووَصَفَ له الطَّبيبُ دُهْن شَمْع بحُضُور القاضي المذكور ، فأَمَرَ في الحال بعض غِلْمانه بالمُضِيّ إلى دارِه لإحْضَار دُهْن شَمْع . فما كان أكثر من مَسافَة الطَّريق إلى[b] أن أَحْضر حُقًّا مَخْتومًا فُكَّ عنه ، فوُجِدَ فيه مِنْديلٌ لَطيفٌ مُذَهَّب على مُذَاف بِلَّوْر فيه ثلاثة بيوت ، كلّ بيت عليه قُبَّة ذَهَب مُشَبَّكة مرصَّعة بياقوتٍ وجوهرٍ : بيت دُهن بمِسْك ، وبيت دِهْن بكافور ، وبَيْت دُهْن بعَنْبَر طَيِّب . ولم يكن فيه شيءٌ مصنوعٌ لوقته .

فعندما أَحْضَرَه الرَّسُول ، تعجَّب المُؤْتَمَنُ والحاضرون من عُلُوّ هِمَّته . فعندما شاهَد القاضي ذلك بالَغ في شُكْر إنْعَامه ، وحَلَفَ بالحَرَام إن عادَ إلى مُلْكه . فكان جَوابُ المُؤْتَمَن : قد قَبِلْته منك لا لحاجَةٍ إليه ، ولا لنَظَرٍ في قيمته ، بل لإظْهار هذه الهِمَّة وإذاعَتها . وذُكِرَ أَنَّ قيمةَ هذا المُذَاف وما عليه خمس مائة دينار .

---

a) بولاق : متولي. b) بولاق : إلَّا .

---

[1] فيما يلي ٢: ١٨٢.

فانظر - رَحِمَكَ الله - إلى مَنْ يكون دُهْن الشَّمْع عنده في إناءٍ قيمته خمس مائة دينار، ودُهْنُ الشَّمْع لا يكاد أكثرُ النَّاس يحتاجُ إليه ألبتَّة، فماذا تكون ثِيابُه وحُليّ نِسائِه وفَرْش داره وغير ذلك من التَّجمُّلات. وهذا إنَّما هو حالُ قاضي الإسْكَنْدَرية، ومَنْ قاضي الإسْكَنْدَرية بالنسبة إلى أعْيَان الدَّوْلَة بالحَضْرَة، وما نِسْبَة أعْيان الدَّوْلَة - وإن عَظُمَت أحوالُهم - إلى أمْر الخِلافَة وأُبَّهتها إلَّا يَسيرٌ حَقيرٌ.

وما زال الخَليفَةُ الآمِر يتردَّد إلى الهَوْدَج المذكور، إلى أن رَكِبَ يوم الثلاثاء رابع ذي القِعْدَة سنة أربعٍ وعشرين وخمس مائة يُريد الهَوْدَج، وقد كَمُنَ له عِدَّةٌ من النِّزاريَّة في فُرْنٍ عند رأس الجِسْر من ناحية الرَّوْضَةِ، فوَثَبُوا عليه وأثْخنوه بالجراحة حتَّى هَلَكَ، وحُمِلَ في العُشاري إلى اللُّؤْلُؤة فماتَ بها، وقيل قبل أن يصل إليها[١].

وقد خَرِبَ هذا الهَوْدَجُ وجُهِلَ مكانُه من الرَّوْضَة، ولله عاقبةُ الأمُور.

قَصْرُ الأنْدَلُس بالقَرافَة[a]

وكان لهم بالقَرافَة قَصْرٌ بَنَتْه السَّيِّدَةُ تَغْريد أمّ العَزيز بالله بن المُعِزّ في سنة ستٍّ وستين وثلاث مائة على يد الحُسَيْنُ بن عبد العَزيز الفارِسي المُحْتَسِب، هو والحَمَّام الذي في غربيه، وبَنَت البِئْرَ والبُسْتانَ وجامِعَ القَرافَة[٢].

وكان هذا القَصْرُ نُزْهَةً من النُّزَه من أحسن الآثار في إتقان بُنْيانه وصِحَّة أرْكانِه، وله مَنْظَرَةٌ مَليحَةٌ كبيرةٌ محمولةٌ على قَبْوٍ مادٍّ تجوز المارَّة من تحته، ويَقيلُ المسافرون في أيام القَيْظ هناك، ويركب الراكِبُ إليه على زَلَّاقَة. وكان كأحسن ما يكون من البِنَاء، وتحته حَوْضٌ لسَقْي الدَّواب يوم الحُلول فيه، وكان مَكانُه بالقُرْب من مَسْجِد الفَتْح[٣].

ولمَّا كان في سنة عشرين وخمس مائة[b] جَدَّده الخَليفَةُ الآمِر، وعمل تحته مَسْطَبَةً للصُّوفية، وكان يجلسُ في الطَّاق بأعلى القصر، ويَرْقُص أهْلُ الطَّريقَة من الصُّوفية، والمَجامِر بالألوية

---

a) النسخ وبولاق: قصر القرافة، والصواب ما أثبتناه كما في آخر الفقرة. b) بولاق والنسخ: وأربع مائة، وهو غير صواب.

---

[١] حول وفاة الخليفة الآمر وتفاصيل مقتله انظر ابن الطوير: نزهة المقلتين ٢٤- ٢٦؛ ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سَلَف من أخبار الزمان. تحقيق محمود علي مكي، بيروت ١٩٩٠، ٢١٧- ٢٢١، ٢٣١- ٢٣٣؛ المقريزي: اتعاظ ٣: ١٢٨- ١٢٩؛ أبا المحاسن: النجوم ٥: ١٨٤- ١٨٥؛ وفيما يلي ٢: ١٨٢، ٢٩٠.

[٢] انظر فيما يلي ٢: ٣١٨، ٤٥٣.

[٣] فيما يلي ٢: ٤٤٧.

موضوعة بين أيديهم ، والشُّموع الكثيرة تزهر ، وقد بَسَط تحتهم حُصْر من فوقها بُسُط ، ومُدَّت لهم الأَسْمِطَةُ التي عليها كلُّ نوعٍ لذيذ وشَهيّ من الأطعمة والحَلْوى أصنافًا مصنَّفة .

فاتَّفق أن تواجَد الشيخُ أبو عبد الله [a] بن الجَوْهَري الواعِظ [1] ، ومَزَّق مُرَقَّعته ، وفُرِّقَت على العادَة خِرَقًا ، وسأل الشيخ أبو إسحاق إبراهيم ـ المعروف بالقارِح المُقْرئ ـ خِرْقَةً منها ووَضَعَها في رأسه . فلمَّا فَرَغ التمزيقُ قال الخَليفَةُ الآمِرُ بأحكام الله من طاق بالمَنْظَرَة : يا شَيْخ أبا إسحاق ؛ قال : لَبَّيْك يا مولانا ؛ قال : أين خِرْقَتي؟ فقال مُجيبًا في الحال : ها هي على رأسي يا أمير المؤمنين . فاسْتَحْسَن الآمِرُ ذلك وأَعْجَبَه مَوْقِعه ، فأَمَرَ في السَّاعَة والوَقْت مَنْ أَحْضَر من خَزائِن الكُسْوات ألف نِصْفِيَّة ، ففُرِّقَت على الحاضِرين وعلى فُقَراء القَرافَة ، ونَثَرَ عليهم مُتَوَلِّي بيت المال من الطَّاق ألف دينار ، فتخاطَفَها الحاضِرون ، وتعاهَد المُغَرْبلون الأرض التي هناك أيامًا لأخْذ ما يُواريه التُّراب [2] .

وما بَرِحَ قَصْرُ الأَنْدَلُس بالقَرافَة حتى زالَت الدَّوْلَةُ ، فهُدِمَ في شَهْر رَبيع الآخر سنة سبعٍ وستين وخمس مائة .

المَنْظَرَةُ بِبِرْكَة الحَبَش

وكانت لهم مَنْظَرَةٌ تُشْرِفُ على بِرْكَة الحَبَش . قال الشَّريفُ أبو عبد الله محمد [بن أَسْعَد][b] الجَوَّانيّ في كتاب «النُّقط على الخِطط» : إنَّ الخَليفَة الآمِر بأحكام الله بَنَى على المَنْظَرة التي يُقالُ لها بِئْر دِكَّة الحَزْكاة ، منظرةً من خَشَب مدهونة فيها طاقات تُشْرف على خُضْرَة بِرْكَة الحَبَش ، وصَوَّر فيها الشُّعَراء كلَّ شاعِرٍ وبَلَدَه ، واستدعى من كلِّ واحِدٍ منهم قطعةً من الشِّعْر في المَدْح وذِكْر الحَرْكاة ، وكُتِبَ ذلك عند رأس كلِّ شَاعِر ، وبجانِب صورة/ كلٌّ منهم رَفٌّ لَطيفٌ ٤٨٧:١ مُذَهَّب .

---

a) بياض بالأصول . b) زيادة اقتضاها السياق .

---

[1] الشيخ أبو عبد الله الحسين بن أبي الفضل عبد الله بن الحسين الزاهد الناطق بالحكم ، ابن بُشْرَى ، المعروف بابن الجَوْهَري ، قال ابن مُيَسَّر : «واعِظٌ ابن واعِظ ابن واعِظ ابن واعِظ ، قرأ عليه السِّلَفي وكان حُلْو الوَعْظ لم يكن في بيتهم أحلى كلامًا منه ، وتعرَّض في آخر عمره لما يعنيه ، فوشي به إلى الخليفة فسيَّره إلى دمياط ، وبها مات في جمادى الأولى سنة ٥٢٨هـ» (ابن ميسر : أخبار مصر ١٢٠ ؛ المقريزي : اتعاظ ٣: ١٥١-١٥٢ ، والمقفى الكبير ٣: ٥١٦ ؛ وفيما يلي ٢: ٤٤٨) .

[2] المقريزي : اتعاظ ٣: ١٣١ .

فلمَّا دَخَلَ الآمِرُ وقرأ الأشْعَار، أَمَرَ أن يُحَطّ على كلِّ رَفٍّ صُرَّة مختومة فيها خمسون دينارًا، وأن يدخل كلُّ شَاعِر ويأخُذ صُرَّته بيده. فَفَعلوا ذلك وأخذوا صُرَرَهم، وكانوا عِدَّة شُعَرَاء.

البَسَاتِين

وكان للخُلَفَاءِ عِدَّةُ بَساتين[1] يتنزَّهون بها، منها البَساتينُ الجُيُوشِيَّة، وهما بُسْتانان كبيران: أحَدُهما من عند زُقاق الكَحْل خارج باب الفُتُوح إلى المَطَرِيَّة، والآخَر يمتدُّ من خارج باب القَنْطَرَة إلى الخَنْدَق وكان لهما شأنٌ عظيم[2].

ومن شِدَّة غَرام الأفْضَل بالبُسْتان الذي كان يجاوِر بُستان البَعْل، عَمِلَ له سُورًا مثل سُور القاهِرة، وعَمِلَ فيه بحرًا كبيرًا وقُبَّة عُشاري تَحْمل ثمانية أرادبّ، وبَنَى في وَسَط البحر مَنْظَرَةً محمولةً على أَرْبع عَواميد من أحْسَن الرُّخام، وحَفَّها بشَجَر النارِنْج، فكان نارِنْجُها لا يُقْطع حتَّى يَتَساقَط، وسَلَّط على هذا البحر أرْبع سَواق، وجَعَلَ له مَعْبَرًا من نُحاس مخروط زنته قِنْطار، وكان يُملأ في عِدَّة أيام. وجَلَبَ إليه من الطُّيُور المسموعَة شيئًا كثيرًا، واستخدم للحَمَام الذي كان به عِدَّة مُطَيِّرين، وعَمَّر به أبْراجًا عِدَّة للحَمَام والطُّيور المسموعة، وسَرَّح فيه كثيرًا من الطَّاووس.

وكان البُسْتانان اللَّذان على يَسار الخَارِج من باب الفُتُوح بينهما بُسْتانُ الخَنْدق، لكلٍّ منهما أربعة أبواب من الأربع جِهات، على كلٍّ منها عِدَّةٌ من الأرْمَن. وجَميعُ الدَّهاليز مُؤَزَّرَة بالحُصْر العَبَداني، وعلى أبْوابها سَلاسِلُ كثيرة من حَديد، ولا يدخل منها إلَّا السُّلْطان وأولادُه وأقاربُه[3].

قال ابنُ عبد الظَّاهِر: واتَّفقَت جَماعَةٌ على أنَّ الذي يشتمل عليه بيوعهما[a] في السَّنَة، من زَهْر وثَمَر، نَيِّف وثلاثون ألف دينار، وأنَّها لا تُقَوِّم بمُؤَنِهما على حُكْم اليقين لا الشك. وكان

---

a) بولاق: مبيعهما.

---

[1] حاشية بخط المؤلِّف: «البستان أصله بالفارسية براستان ومعناه معادن الروائح، وذلك أن منوشجهر ابن إيرج ابن فريدبُنْت بن أتفنيان (كذا) أحد ملوك الفُرْس الأول الذين يقال لهم النيشدانية نقل من الجبال أنواعًا من الرياحين وأحاط عليها فلما فاحت روائحها سمّي تلك الحيطان براستان».

[2] يعادل زقاق الكحل اليوم الشارع المعروف بسكة الظاهر أو شارع المنسي خارج باب الفتوح وجنوب جامع الظاهر بيبرس. والخندق يُعادل منطقة الدَّمِرْداش الآن خلف شارع رمسيس.

[3] هذا النص نقله المقريزي بتصرف عن ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٣٩؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٣٩٠.

الحاصِلُ بالبُسْتان الكبير والمحصَّل إلى آخر الأيام الآمِرية ـ وهي سنة أربعٍ وعشرين وخمس مائة ـ ثمان مائة وأَحَدَ عشر رأسًا من البَقَر، ومن الجِمال مائة وثلاثة رءوس، ومن العُمّال وغيرهم ألف رجل.

وذَكَرَ أنَّ الذي دار سُور البَساتين[a]، ومن سَنْط وجِمّيز وأَثْل، من أوّل حَدِّهما الشرقي ـ وهو رُكْن بِرْكَة الأَرْمَن ـ مع حَدِّهما البَحْريّ والغَرْبيّ جميعًا، إلى آخِر زُقاق الكَحْل في هذه المسافَة الطَّويلَة سبعة عشر ألف ألف[b] ومائتي شَجَرَة، وبقي قِبلهما جميعًا لم يُحَصَّن. وأنَّ السَّنْطَ تَعَطَّن[c] حتى لَحِقَ بالجِمّيز في العِظَم، وأنَّ معظمَ قُرْظه يسقط إلى الطَّريق فيأخُذه النَّاسُ، وبعد ذلك يُباع بأربع مائة دينار. وكان به كلُّ ثَمَرَة لها دُوَيْرَة مفردة، وعليها سِياجٌ، وفيها نَخْلٌ منقوشٌ في أَلْواح عليها بِرَسْم الخاصّ، لا تُجْنى إلَّا بحُضُور المُشارِف، وكان فيهما لَيْمون تُفَّاحِي يؤكل بقِشْره بغير سُكَّر.

وأقامَ هذان البُسْتانان بيد الوَرَثَة الجُيُوشية مع البلاد التي لهم مُدَّة أيام الوَزير المَأْمُون، لم تَخْرُج عنهم، وكُشِفَ ذلك في أيام الخَليفَة الحافِظ، فكان فيها ستّ مائة رأس من البَقَر، وثمانون جَمَلًا. وقُوِّم ما عليهما من الأَثْل والجِمّيز، فكانت قيمَتُه مائتي ألف دينار.

وطَلَبَ الأميرُ شَرَفُ الخِلافَة بَنا[d] ـ وكانت له حُرْمةٌ عظيمةٌ ـ من الخَليفَة الحافِظ قَطْع شَجَرَة واحدة من سَنْط، فأَبَى عليه، فتَشَفَّع إليه وقُوِّمَت بسبعين دينارًا، فرَسَم الخَليفَةُ إن كانت وَسَط البُسْتان تُقْطَع وإلَّا فلا.

ولمَّا جَرَى في آخر أيام الحافِظ ما جَرَى من الخُلْف، ذُبِحَت أَبْقارُه وجِمالُه، ونُهِبَت ما فيه من الآلات والأَنْقاض، ولم يَبْق إلَّا الجِمّيز والسَّنْط والأَثْل لعَدَم من يشتريه[1]. انتهى.

وكان هذان البُسْتانان من جملة «الحَبْس الجُيُوشي»؛ وهو أنَّ أَميرَ الجُيُوش بَدْرًا الجَمالي حَبَسَ عِدَّة بلادٍ وغيرها ـ منها في البَرّ الشَّرْقي ناحية بَهْتيت والأَميريَّة والمُنْيَة، وفي البَرّ الغربي ناحية سَفْط ونَهْيا ووَسيم ـ مع هذين البُسْتانين المذكورين على عَقِبه. فاسْتأْجر هذا الحَبْس الوُزَراءُ

---

a) بولاق: البستانين. b) ألف الثانية ساقطة من ابن عبد الظاهر. c) النسخ: تعقر، بولاق: تغصن والمثبت من ابن عبد الظاهر. d) بولاق: الأمير شرف الدين.

---

[1] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٣٩- ١٤٠؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٣٨٩- ٣٩١.

مُدَّة سنين بأُجْرة يَسيرَة، وصارَ يُزْرَع في الشَّرْقي منه الكَتَّان، ومنه ما تبلغ قطيعتُه ثلاثة دنانير ونصفًا ورُبْعًا عن كلِّ فَدَّان، فيتناولون فيه ربْحًا جَزيلًا لأنفسهم. فلمَّا بَعُدَ العَهْدُ انْقَرَضَت أعْقابُه، ولم يَبْقَ من ذُرِّيته سوى امرأةٌ كبيرة، فأفتى الفُقَهَاءُ بأنَّ هذا الحَبْس باطِلٌ، فصارَ للدِّيوان السُّلْطاني يتصرَّف فيه، ويَحْمِل مُتَحَصَّله مع أمْوال بَيْت المال. وتلاشَت البَساتينُ، وبُنِيَ في أماكِنِها ما يأتي ذكره إن شاءَ الله تعالى[1].

وبَنَى العَزيزُ بالله بُسْتانًا بناحية سَرْدوس.

قُبَّةُ الهَوَاء

وكان من أحسن متنزَّهات الخُلَفاء الفاطِميين قُبَّةُ الهَوَاء، وهي مُسْتَشْرَف بَهِج بَديع فيما بين التَّاج والخَمْس وُجوه، يُحيط به عِدَّةُ بَساتين لكلِّ بُسْتانٍ منها اسْم، ولهذه القُبَّة فُرُشٌ مُعَدَّة في الشِّتاء والصَّيف، ويركب إليها الخَليفَةُ في أيَّام الرُّكوبات التي هي يَوْمي السَّبْت والثُّلاثاء.

بَحْرُ أبي المُنَجَّا

وكان من مُتَنَزَّهات الخُلَفَاء يَوْم فَتْح بَحْرِ أبي المُنَجَّا. قال ابنُ المَأْمون: وكان الماءُ لا يَصِلُ إلى الشَّرْقيَّة إلَّا من السَّرْدوسي ومن الصَّماصِم ومن المواضِع البعيدة، فكان أكثرُها يَشْرُق في أكثر السِّنين. وكان أبو المُنَجَّا اليَهودي مُشارِفَ الأعمال المذكورة[2]، فتَضَوَّرَ المُزارِعون إليه، وسألوا في فَتْح تُرْعَة يصل الماءُ منها في ابتدائه إليهم، فابتدأ بحَفْر خَليج أبي المُنَجَّا في يوم الثلاثاء السَّادس من شَعْبان سنة ستٍّ وخمس ومائة[3].

٤٨٨:١ ورَكِبَ الأَفْضَلُ بن أَمير/ الجُيوش ضُحًى وصُحْبَتُه القائِدُ أبو عبد الله محمد بن فاتِك البَطائِحي وجَميعُ إخْوته، والعَساكِر تُحاذيه في البَرّ، وجُمِعَت شُيُوخُ البلاد وأوْلادها، ورَكِبُوا في المراكِب ومعهم حِزَم البُوص في البَحْر، وصارَ العُشاريُّ والمراكِبُ تَتْبعها إلى أن رَماها المَوْجُ إلى

---

[1] فيما تقدم ١:٢٩٦، وفيما يلي ٢:١٢٩–١٣٠، وقارن: ابن مَمَّاتي: قوانين الدواوين ٣٣٦–٣٣٩، ومحمد رمزي: القاموس الجغرافي ١: ٤٤.

[2] ورد اسمه في أوراق الجنيزه Cairo Geniza Documents ثقة الملك وسني الدولة وأمينها أبو المُنَجَّا شلومو بن شعيا (Goitein, S. D., *A Med. Soc.* pp. 356, 358, 377).

[3] المقريزي: اتعاظ ٣: ٥٠.

المَوْضِع الذي حَفَروا فيه البحر، وأقامَ الحَفْرُ فيه سنتين، وفي كلِّ سنة تتبيَّن الفائِدَةُ فيه، ويتَضاعَفُ من ارْتِفاعِ البلاد ما يُهَوِّن الغَرامَة عليه.

ولمَّا عُرِضَ على الأَفْضل جُمْلَة ما أُنْفِق فيه اسْتَعْظَمَه، وقال: غَرِمْنا هذا المال جَميعَه والاسم لأبي المُنَجَّا. فغُيِّر اسمه ودُعي بـ «البَحْر الأَفْضلي» فلم يتمّ ذلك، ولم يُعْرف إلَّا بأبي المُنَجَّا[1].

ثم جَرَى بين أبي المُنَجَّا وبين ابن أبي اللَّيْث صاحِب الدِّيوان، بسبب الذي أُنْفِقَ، خُطوبٌ أدَّت إلى اعْتِقال أبي المُنَجَّا عِدَّة سنين، ثم نُفِيَ إلى الإسْكَنْدَرية بعد أن كادَت[a] نفسه تتلف، ولم يَزَل القائِدُ أبو عبد الله بن فاتِك يتلطَّف حالَه إلى أن[b] تَضاعَف من عِبْرَة البلاد ما سَهَّلَ أَمْرَ النَّفَقَة فيه[2].

ورَأَيْتُ بخَطِّ ابن عبد الظَّاهِر: وهذا أبو المُنَجَّا هو جَدّ بني صُفَيْر الحُكَماء اليَهود، والذين أَسْلَمُوا منهم[3].

ولمَّا طالَ اعْتِقالُ أبي المُنَجَّا في الإسْكَنْدَرية في مكانٍ بمفرده مُضَيَّقًا عليه، تَحَيَّل في تَحْصيل مُصْحَفٍ وكَتَب خَتْمَةً، وكَتَبَ في آخرها: «كَتَبَهَا أبو المُنَجَّا اليَهودي»، وبَعَثَها إلى السُّوق ليبيعها. فقامَت قِيامَةُ أهْل الثَّغْر، وطُولِعَ بأَمْره إلى الخَليفَة، فأُخْرِج وقيل له: ما حَمَلك على هذا؟ فقال: طَلَبُ الخَلاص بالقَتْل. فأُدِّب، وأُطْلِق سَبيلُه.

وقيل: إنَّه كان في مَحْبَسِه حَيَّةٌ عَظيمَةٌ، فأُحْضِر إليه في بعض الأيام لَبَن، فرأى الحَيَّةَ وقد شَرِبَت منه ودخلت جُحْرَها، فصارَ في كلِّ يوم يُحْضِر لها لَبَنًا فتخرج وتَشْرَب منه وتَدْخُل مكانَها ولم تُؤْذه.

ولمَّا وَلِيَ المَأْمُون البَطائِحيّ وَزارَة الآمِر بأَحْكام الله، بعد الأَفْضَل بن أمير الجُيُوش، تحدَّث الآمِرُ معه في رؤية فَتْح هذا الخَليج، وأن يكون له يومٌ كخَليج القاهِرَة. فنَدَبَ المَأْمونُ[c] معه عَدِيّ المُلْك أبا البَرَكات بن عُثْمان وَكيلَه، وأَمَرَه بأن يبني على مكان السَّدّ مَنْظَرَةً متَّسعةً تكون من بَحْري السَّدّ، وشَرَعَ في عِمارَتها بعد كمال النِّيل.

---

a) بولاق: كانت. b) ساقطة من بولاق. c) بولاق: الآمر معه.

---

[1] المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٥٠.

[2] ابن المأمون: أخبار مصر ١١؛ ابن عبد الظاهر: الروضة ١٢٩؛ ابن دقماق: الانتصار ٥: ٤٦.

[3] ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٢٩؛ ابن دقماق: الانتصار ٥: ٤٦.

وما زالَ يومُ فَتْح سَدِّ هذا البحر يومًا مشهودًا إلى أن زالَت الدولةُ الفاطِمية ؛ فلمَّا استولى بنو أَيُّوب من بعدهم على مملكة مصر أَجْروا الحال فيه على ما كان [1].

قال القاضي الفاضِل في «مُتَجَدِّدات» سنة سبع وسبعين وخمس مائة : ورَكِبَ السُّلْطانُ الملكُ النَّاصِرُ صَلاحُ الدِّين يُوسُف بن أَيُّوب لفَتْح بَحْر أبي المُنَجَّا وعاد [2].

وقال : وفي سنة تسعين وخمس مائة ، كُسِرَ بَحْرُ أبي المُنَجَّا بعد أن تأخَّر كَسْره عن عيد الصَّليب بسبعة أيام [3]، وكان ذلك لقُصُور النِّيل في هذه السَّنَة ، ولم يُباشِر السُّلطانُ الملكُ العزيزُ عُثْمان بن السُّلْطان صَلاح الدِّين بنَفْسه ، ورَكِبَ أَخُوه شَرَفُ الدِّين يَعْقُوب الطَّواشي لكَسْره .

وبَدَت في هذا اليوم من مَخايل القُنُوط ما يُوجبه سُوءُ الأفْعال ، من المُجاهَرَة بالمُنْكَرات ، والإعْلان بالفَواحِش . وقد أَفْرَط هذا الأَمْرُ ، واشترك فيه الآمِرُ والمأْمُور ، ولم يَنْسلِخ شهرُ رَمَضان إلَّا وقد شَهِدَ ما لم يَشْهَدَه رَمَضان قبله في الإسْلام .

وبدا عِقابُ الله في الماء الذي كانت المعاصي على ظَهْره ، فإنَّ المراكبَ كان يَرْكَب فيها في رَمَضان الرِّجالُ والنِّساءُ مُختلطين مُكَشَّفات الوُجوه ، وأَيْدي الرِّجال تَنالُ منها ما تَنال في الخَلَوات ، والطُّبُول والعِيدان مُرْتَفِعات الأَصْوات والصُّنْجات ، واسْتنابُوا في الليل عن الخَمْر بالماء والجُلَّاب ظاهِرًا ، وقيل : إنهم شَرِبوا الخَمْرَ مستورًا ، وقَرُبَت المراكِبُ بعضها من بعض ، وعَجَز المُنْكِر عن الإنْكار إلَّا بقلبه . ورُفِعَ الأمْرُ إلى السُّلْطان ، فنَدَبَ حاجِبَه في بعض اللَّيالي ، ففَرَّق منهم من وَجَدَه في الحالة الحاضِرَة ، ثم عادُوا بعد عَوْدِه . وذُكِرَ أنَّه وَجَدَ في بعض المعادي خَمْرًا فأَراقَه .

ولمَّا استهلَّ شَوَّالٌ ، وهو مطموعٌ فيه ، تَضاعَفَ هذا المُنْكَر ، وفَشَت هذه الفاحِشَة . ونسأل الله العَفْو والعافِيَة عن الكَبائِر ، والتَّجاوُز عَمَّا تَسْقُط فيه المعاذِر .

وقال في سنة اثنتين وتسعين وخمس مائة : كُسِرَ بَحْرُ أبي المُنَجَّا ، وباشَرَ العَزِيزُ كَسْره ، وزادَ النِّيلُ فيه أصْبعًا وهي الأَصْبَع الثامنة عشرة من ثماني عشر ذراعًا ؛ وهذا الحَدُّ

---

a) بولاق : القبوط .

---

[1] ابن عبد الظاهر : الروضة ١٢٩- ١٣٠؛ ابن دقماق : الانتصار ٥: ٢٦؛ ابن المأمون : أخبار مصر ١١- ١٢؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣: ٥٠؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣: ٣٠١- ٣٠٢.

[2] المقريزي : السلوك ١: ٧٣.

[3] نفسه ١: ١١٩، وانظر عن عيد الصَّليب فيما تقدم ١: ٧٢١- ٧٢٤.

يسمَّى عند أهل مصر «اللُّجّة الكُبْرَى»[١].

وقد تلاشَى في زَمَننا أمْرُ الاجتماع في يوم فَتْح سَدّ بحْرِ أبي المُنَجّا، وقَلَّ لاحتفالُ به لشُغْل النَّاس بهَمّ المعيشة.

قَصْرُ الوَرْد بالخَاقَانِيَّة

وكان من أيَّام مُتَنزَّهات الخُلَفَاء يوم قَصْر الوَرْد بناحية الخَاقَانِيَّة[٢]، وهي قريةٌ من قُرَى قَلْيُوب كانت من خاصّ الخَلِيفَة، وبها جِنانٌ كثيرةٌ للخَلِيفَة، وكانت من أَحْسَن المتنزَّهات المصرية، وكان بها عِدَّة دُوَيْرات يُزْرَع فيها الوَرْد. فيسير إليها الخَلِيفَةُ يومًا، ويُصْنَع له فيها قَصْرٌ عَظيمٌ من الوَرْد، ويُخْدَم بضِيافَةٍ عَظيمَة.

قال ابنُ الطُّوَيْر عن الخَلِيفَة الآمِر بأحكام الله: وعُمِلَ له بالخاقانية - وكانت من خاصّ الخَلِيفَة - قَصْرٌ من وَرْد، فسارَ إليها يومًا، وخُدِمَ بضِيافَةٍ عَظيمَةٍ. فلمَّا استقرَّ هناك خَرَجَ إليه أميرٌ - يُقال له: حُسامُ المُلْك - من الأُمَرَاء الذين كانوا مع المُؤْتَمَن أخي المأمُون البَطائِحي وتخاذَلوا عنه، فوَصَلَ إلى الخاقانية وهو لابِسٌ لأْمَة حَرْبه[٣] /، والتَمَسَ المُثول بين يديه - يعني الخَلِيفَة. ٤٨٩:١

فاسْتُثْقِل ما جاءَ به في ذلك الوَقْت، ممَّا يُنافي ما فيه الخَلِيفَة من الرَّاحَة والنُّزْهَة، وحِيل بينه وبين مَقْصُوده، فقال لجَماعَةٍ من حَواشي الخَلِيفَة: أنتم مُنافِقون على الخَلِيفَة، إن لم أَصِل إليه فإنَّه يُعاقِبُكم بذلك. فأَطْلَعوا الخَلِيفَة على أَمْره وحِلْيَته بالسِّلاح وقَوْله، فأَمَر بإحْضارِه. فلمَّا وَقَعت

---

[١] المقريزي: السلوك ١:١٣٨، وانظر فيما تقدم ١:١٦١.

[٢] الخاقانية أو الخَرْقانية. من أعمال القليوبية على الشاطئ الشرقي للنيل، تقرب من القناطر الخيرية .... وهي من القرى القديمة ورد اسمها محرّفًا في كثير من المصادر، فهو يرد تارة الخرقانية وتارة أخرى الحرقانية، بينما ذكرها ابن مماتي وابن الجيعان والمقريزي وقبلهم ابن الطوير باسم الخاقانية، ويبدو أن هذا هو اسمها الذي عرفت به في العصر الإسلامي. وعرفت باسمها الحالي: الخرقانية ابتداءً من سنة ١٢٢٨هـ/١٨١٣م (راجع، أبا شامة: الروضتين ١: ٤٥٠؛ ابن مماتي: قوانين ٨٥؛ ابن واصل: مفرج ١: ١٧٦؛ ابن الجيعان: التحفة السنية ٤٨؛ المقريزي: اتعاظ ٣: ٢٦، ١٢١، ٢١٠، ٢٦٠، ٣١٢؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ١٠: ٩٧؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافي ق٢ ج١ ص٥٤).

وذكر ساويرس بن المقفع أن الخرقانية كانت إقطاعًا لمؤتمن الخلافة في زمن خلافةِ العاضد الفاطمي (تاريخ بطاركة الكنيسة ٣/٢: ٦٥).

[٣] لأْمَة وجمعها لُؤَم كصُرَد. الدِّرْع (الفيروزأبادي: القاموس المحيط ١٤٩٢-١٤٩٣).

عينُه عليه قال: يا مولانا لمن تركت أعداءك ـ يعني الوَزير المأمُون بن البطائِحي وأخاه، وكان الآمِرُ قد قبَضَ عليهما واعْتَقَلهما ـ وهذا والعَهْدُ قَريبٌ غير بعيد، أأَمِنْت الغَدْرَ؟ فما أجابَه إلّا وهو على الرَّهاويج من الخَيْل. فلم تَمْض ساعَةٌ إلّا وهو بالقصر، فمَضَى إلى مكانِ اعتقال المأمُون وأخيه، فزادَهما وَثاقًا وحِراسَةً.

وفي أثناء ذلك وَصَل ابنُ نَجيب الدَّوْلَة[١] الذي كان سَيَّرَه المأمُون في وَزارَته إلى اليَمَن، ليُحقِّق[a] نَسَبه أنَّه وُلِدَ من جارية نِزار بن المُسْتَنْصر لمَّا خَرَجَت من القَصْر وهي به حامِل، ويدعو إليه بقيَّة النَّاس. وأُحْضِر إلى القاهِرَة على جَمَلٍ مَشُّوه به[b]، فأُدْخِل خِزانَة البُنود، وقُتِلَ هو والمأمُون وجَماعَةٌ في تلك الليلة وصُلِبوا ظاهِر القاهِرَة[٢].

بركة الجب

بظاهِر القاهِرَة من بَحْريها، وتُسَمِّيها العامّة في زَمَنِنا هذا الذي نحن فيه «بِرْكَة الحاج»، لنُزُول الحُجّاج بها عند مَسيرهم من القاهِرَة إلى الحَجّ في كلِّ سنة، ونزولُهم عند العَوْد بها، ومنها يَدْخلون إلى القاهِرَة[٣].

ومن النَّاس من يقول: جُبُّ يوسُف، وهو خَطَأ، وإنَّما هي أرضُ جُبِّ عُمَيْرَة. وعُمَيْرَة هذا هو ابن تَميم بن جَزْءٍ التُّجيبي من بني القَرْناء، نُسِبَت هذه الأرض إليه، فقيل لها: «أَرْضُ جُبِّ عُمَيْرَة»، ذَكَرَه ابنُ يُونُس.

---

a) بولاق: لتحقيق   b) بولاق: مشوه.

---

[١] انظر عن علي بن نجيب الدولة ومهمته في اليمن، عمارة اليمني: تاريخ اليمن ٧٥- ٨٠؛ عماد الدين إدريس: عيون الأخبار ٧: ٢٣٩- ٢٤٣؛ أيمن فؤاد: تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن ١٦٠- ١٦٤.

[٢] ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٨- ١٩؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك - خ ١: ٢٠٧ظ-٢٠٨و؛ المقريزي: اتعاظ ٣: ١٢١- ١٢٢.

[٣] بركة الجب أو بركة الحاج. محلها اليوم القرية التي تعرف باسم البركة من قرى مركز شبين القناطر بمحافظة القليوبية في الشمال الشرقي من القاهرة شرقي محطة المَرْج وبالقرب منها. عرفت قديمًا بجُبّ عُمَيْرَة نسبة إلى عُمَيْرَة بن تميم التجيبي صاحب الجب المعروف باسمه في الموضع الذي يبرز إليه الحجاج عند خروجهم من مصر إلى مكة. (أبو المحاسن: النجوم ٥: ١٨هـ[١]؛ المسبحي: أخبار مصر ٦٩هـ[١]، وفيما يلي ٢: ١٦٣).

وكان من عادَة الخَليفَة المُسْتَنْصر بالله أبي تَميم مَعَدّ بن الظَّاهر بن الحاكِم ، في كلِّ سنة أن يركب على النُّجُب مع النِّساء والحَشَم إلى جُبّ عُمَيْرَة هذا ـ وهو مَوْضِع نُزْهَة ـ بهيئة أنَّه خارجٌ إلى الحَجّ على سَبيل اللَّعب والمجَانَة ، ورُبَّما حَمَل معه الخَمْرَ في الرَّوايا عِوَضًا عن الماء ، ويَسْقيه من معه [١].

وأَنْشَدَه مرَّةً الشَّريفُ أبو الحَسَن عليُّ بن الحُسَيْن بن حَيْدَرَة العُقَيْلي [٢] في يوم عَرَفَة [٣] :

[البسيط]

قُمْ فانْجِزِ الرَّاحَ يوم النَّحْرِ بالماء ... ولا تُضَحِّ ضُحًى إلَّا بصَهْباءِ

وادْرِك حَجيجَ النَّدامى قبل نَفْرِهِمُ ... إلى مِنًى قَصْفَهِمْ مع كلِّ هَيْفاءِ

وعُجْ على مكَّة الرَّوْحاءَ مُبْتَكِرًا ... فطُفْ بها حَوْل رُكْنِ العُود والنَّاءِ

قال ابنُ دِحْيَة : فخَرَجَ في ساعَته بروايا الخَمْر تُزْجى بنَغَمات حُداة الملاهي وتُساق ، حتى أناخَ بعَيْن شَمْس في كَبْكَبَةٍ من الفُسّاق ، فأقامَ بها سُوقَ الفُسُوق على ساق . وفي ذلك العام أَخَذَه الله تعالى وأَهْل مصر بالسِّنين ، حتَّى بيع في أيَّامِه الرَّغيفُ بالثَّمَن الثَّمين ، وعادَ ماءُ النِّيل بعد عُذوبته كالغِسْلين ، ولم يَبْق بشاطِئَيْه أَحَدٌ بعد أن كانا مَحْفوفين بحُور عين [٤].

وقال ابنُ مُيَسَّر : فلمَّا كان في جُمادَى الآخرة ـ من سنة أربع وخمسين وأربع مائة ـ خَرَجَ المُسْتَنْصرُ على عادَتِه إلى بِرْكَة الجُبّ ، فاتَّفَق أنَّ بعضَ الأتراك جَرَّدَ سَيْفًا في سُكْرٍ منه على بعض عَبيد الشِّراء ، فاجتمع عليه طائِفَةٌ من العَبيد وقَتَلوه . فاجْتَمَع الأَتْراكُ بالمُسْتَنْصِر ، وقالوا : إن كان هذا عن رِضاك فالسَّمْعُ والطَّاعَة ، وإن كان عن غير رِضاك فلا نَرْضَى بذلك ؛ فأَنْكَر المُسْتَنْصِرُ ما وَقَعَ وتبرَّأ ممَّا فعله العَبيد ، فتجمَّع الأتراكُ لحَرْب العَبيد ، وبَرَزَ بعضُهم إلى بعض . وكان بين الفَريقين قِتالٌ شَديدٌ على كُوم شَريك [٥] انْهَزَم فيه العبيدُ ، وقُتِلَ منهم عَدَدٌ كبيرٌ .

---

[١] ابن ميسر : أخبار مصر ٢٤؛ المقريزي : اتعاظ ٢ : ٢٦٥.

[٢] شاعر مصري من أهل الفسطاط توفي بعد سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م ، راجع العماد الكاتب : خريدة القصر (قسم مصر) ٢ : ٦٢؛ ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب (قسم مصر) ٢٠٥- ٢٤٩؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٢٠ (تحت الطبع) ؛ ابن شاكر : فوات الوفيات ٣ :١٨- ٢٣، ونَشَرَ ديوانه زكي المحاسني في القاهرة دون تاريخ.

[٣] وردت الأبيات في الديوان ٤٢ وعند ابن سعيد : المغرب ٢٠٧؛ ابن شاكر : فوات الوفيات ٣ :١٨- ١٩، وانظر فيما يلي ٢ :١٦٣- ١٦٤.

[٤] ابن دحية : النبراس في تاريخ بني العباس ١٤١.

[٥] كوم شريك . إحدى قرى مركز كوم حمادة بمحافظة البحيرة ، عرف هذا الكوم بشريك بن سمي عبد يغوث بن جزء المرادي أحد صحابة رسول الله ﷺ ، كان على مقدمة جيش عمرو بن العاص عند فتح الإسكندرية (أبو المحاسن :=

وكانت أمُّ المُسْتَنْصر تُعين العبيدَ وتُمُدُّهم بالأموال والأسْلِحَة ، فاتَّفق في بعض الأيام أنَّ بعضَ الأتراكِ ظَفِرَ بشيءٍ ممَّا تَبْعَث به أمُّ المُسْتَنْصِر إلى العَبيد ، فأَعْلَمَ بذلك أصْحابَه ـ وقد قَوِيَت شوكَتُهم بانهزام العَبيد ـ فاجتمعوا بأَسْرِهم ، ودَخَلُوا على المسْتَنْصِر ، وخاطَبوه في ذلك وأغْلَظُوا في القَوْل وجَهَروا بما لا يَنْبغي . وصارَ السَّيْفُ قائمًا ، والحُروبُ متتابعة ، إلى أن كان من خَراب مِصر بالغَلاء والفِتَن ما كان . وكان مَنْ قَبْل المُسْتَنْصِر يتردَّدون إلى بِرْكَة الجُبِّ [1].

قال المُسَبِّحيُّ : ولاثنتي عشرة خَلَت من ذي القعدة سنة أربع وثمانين وثلاث مائة ، عَرَضَ العَزيزُ بالله عَساكِرَه بظاهِر القاهِرَة عند سَطْح الجُبِّ ، فنُصِبَ له مَضْرَبُ ديباج رومي فيه ألف ثَوْب بصُفَّرية فِضَّة ، ونُصِبَت له فازَة مُثْقَل وقُبَّة مُثْقَل بالجَوْهَر ، وضُرِبَ لابنه الأمير أبي عليّ مَنْصور مَضْرَبٌ آخر . وعُرِضَت العَساكِرُ ، وكان عِدَّتُها مائة عَسْكري ، وأَقْبَلَت أسارَى الرُّوم وعِدَّتهم مائتان وخمسون ، فطيفَ بهم . وكان يومًا عَظيمًا حَسَنًا لم تَزَل العَساكِرُ تَسير بين يَدَيْه من ضَحْوَة النَّهار إلى صَلاة المغرب [2].

وما زالت بِرْكَةُ الجُبِّ مُتَنَزَّهًا للخُلَفاء والمُلُوك من بني أيُّوب ، وكان السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين يَبْرُز إليها للصَّيْد ويُقيم فيها الأيام ، وفَعَلَ ذلك المُلُوك من بَعْدِه . واعتنى بها الملكُ النَّاصِرُ محمد بن قَلاوون ، وبَنَى بها أحْواشًا ومَيْدانًا كما سيأتي ذكره إن شاءَ الله [3].

[a]وبِرْكَةُ الجُبِّ وما يليها في أدْرَاك بني صَبْرَة . وهم يُنْسبون إلى صَبْرَة/ بن بطيح بن مغالة بن ٤٩٠:١ دَعْجان بن غَميت بن الكُلَيْب بن أُبَيّ بن عَمْرو بن دَميمَة بن حَدَس بن أُرَيْش بن أراش بن جَزيلَة ابن لَخْم . فهم أَحَدُ بُطون لَخْم ، وفيهم بنو جُذام بن صَبْرَة بن نَضْرَة بن غَنْم بن غَطَفان بن سَعْد بن مالِك بن حَرام بن جُذام أخي لَخْم [a].

المُشْتَهَى

وكان من مَواضِعِهم التي أُعِدَّت للنُّزْهَة المُشْتَهَى [4].

---

a-a) هذه الفقرة حاشية بخط المؤلف .

=النجوم ٥:١٨هـ[2]، وفيما تقدم ١:٤٩٦). وعند ابن الأثير: الكامل ١٠:٨٢ أن هذه الواقعة كانت على كوم الريش ، وهي بلدة فيما بين أرض البَعْل ومُنْيَة السِّيرج .

[1] ابن ميسر: أخبار مصر ٢٤-٢٥؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢:٢٦٥-٢٦٧.

[2] المسبحي : نصوص ضائعة ١٤، وفيما يلي ٢: ١٦٣.

[3] أعاد المقريزي هذا الخبَر فيما يلي ٢:١٦٣-١٦٤.

[4] انظر فيما يلي ٢: ١٤٣.

ذِكْرُ الأيّام التي كانَ الخُلَفاءُ الفاطِمِيُّون يَتَّخِذُونَها أَعْيادًا ومَواسِمَ تَتَّسِعُ بِها أَحْوالُ الرَّعِيَّةِ وتَكْثُرُ نِعَمُهُمْ

وكان للخُلَفَاءِ الفاطِمِيين في طُول السَّنَة أعيادٌ ومَواسِمُ [1]، وهي : مَوْسِمُ رَأْس السَّنَة ، ومَوْسِمُ أَوَّل العام ، ويَوْمُ عاشُوراء ، ومَوْلِدُ النَّبِيّ ﷺ ، ومَوْلِدُ عليّ بن أبي طالِب - رضي الله عنه ، ومَوْلِدُ الحَسَن ، ومَوْلِدُ الحُسَيْن - عليهما السَّلام ، ومَوْلِدُ فاطِمَة الزَّهْراء - عليها السَّلام ، ومَوْلِدُ الخَليفَة الحاضِر ، ولَيْلَةُ أوَّل رَجَب ، ولَيْلَة نِصْفه ، ولَيْلَةُ أوَّل شَعْبان ، ولَيْلَةُ نصفه ، ومَوْسِمُ لَيْلة رَمَضان ، وغُرَّة رَمَضانَ ، وسِماط رَمَضانَ ، ولَيْلَةُ الخَتْم ، ومَوْسِمُ عيد الفِطْر ، ومَوْسِمُ عيد النَّحْر ، وعيدُ الغَدير ، وكُسْوَة الشِّتاء ، وكُسْوَة الصَّيْف ، ومَوْسِمُ فَتْح الخَليج ، ويَوْمُ النَّوْروز ، ويَوْمُ الغِطاس ، ويَوْمُ الميلاد ، وخَميسُ العَدَس ، وأيّامُ الرُّكوبات .

مَوْسِمُ رَأْسِ السَّنَة

وكان للخُلَفَاءِ الفاطِمِيين اعْتِناءٌ بلَيْلَة أوَّل المحرَّم في كلِّ عام لأنَّها أوَّلُ ليالي السَّنة وابتداء أوقاتها . وكان من رُسُومهم في لَيْلَة رأس السَّنَة أن يُعْمَل بمَطْبَخ القصر عِدَّةٌ كثيرةٌ من الخِراف المَقْموم ، والكثيرُ من الرُّءوس المَقْموم ، وتُفَرَّق على جَميع أرْباب الرُّتَب وأصحاب الدَّواوين من العَوالي والأدْوان أرْباب السُّيوف والأقْلام ، مع جِفانِ اللَّبَن والخُبْز وأنواع الحَلْواء . فيعم ذلك سائِر النَّاس من خاصِّ الخَليفَة وجِهاته والأُسْتاذين المُحَنَّكين إلى أرْباب الضَّوْء وهم المَشاعِلِيَّة ، ويَنْتَقِل ذلك في أيدي أهل القاهِرَة ومصر .

---

[1] انظر حول هذا الموضوع مقال دي سميت الذي خَصَّصَه فقط للأعياد الشيعية في مصر الفاطمية وهي : عيد عاشُوراء وعيد غَدير خُمّ والموالِد الستة De Smet, D., «Les fêtes Chiites en Égypte fatimide», *AOB* X (1995-96, pp. 187-96؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٤٦٠- ٤٦٤؛ وكذلك مقال إسبيرونييه عن الأعياد القومية في العصر الفاطمي Espéronnier, M., «Les fêtes civiles et les cérémonies d'origine antique sous les Fatimides d'Égypte», *Der Islam* 65 (1988), pp. 46-59؛ أيمن فؤاد : المرجع السابق ٤٤٧- ٤٦٠.

مَوْسِم أَوَّل العَام

وكان لهم بأوَّل العام عناية كبيرة ، فيه يَرْكَبُ الخَلِيفَةُ بزيِّه المُفَخَّم وهَيْئَتِه العَظِيمَة كما تقدَّم ، ويفرِّق فيه دَنانيرُ الغُرَّة التي مَرَّ ذكُرها عند ذكر دار الضَّرْب ، ويُفَرِّق من السِّماط الذي يُعْمَل بالقصر لأعْيان أرْباب الخِدَم من أرْباب السُّيوف والأقْلام ، بتَقْرِيرٍ مُرَتَّب : خِرْفان شِواء ، وزَبادِي طَعام ، وجامات حَلْواء وخُبْز ، وقِطَع مَنْفُوخة من سُكَّر ، وأُرْز بلَبَن وسُكَّر . فيتناول النَّاسُ من ذلك ما يجلُّ وَصْفُه ، ويتبسَّطون بما يصل إليهم من دَنانير الغُرَّة من رُسُوم الرُّكوب كما شُرِحَ فيما تقدَّم [١] .

يَوْم عَاشُورَاء

كانوا يَتَّخِذُونه يوم حُزْن تتعطَّل فيه الأسْواق ، ويُعْمَل فيه السِّماط العظيم المسمَّى «سِماطَ الحُزْن» . وقد ذُكِرَ عند ذِكْر المَشْهد الحُسَيْني فانظره . وكان يَصِلُ إلى النَّاس منه شيءٌ كثيرٌ [٢] .

فلمَّا زالَت الدَّوْلَةُ ، اتَّخَذ الملوكُ من بني أيُّوب يوم عاشُوراءَ يَوْم سُرور ، يُوَسِّعون فيه على عِيالِهم ، ويتَبَسَّطون في المطاعِم ، ويَصْنَعون الحَلاوات ، ويَتَّخِذون الأواني الجديدة ، ويَكْتَحِلون ويدْخُلون الحَمَّام ، جَرْيًا على عادَة أهْل الشَّام التي سَنَّها لهم الحَجَّاج في أيام عبد الملك بن مَرْوان ، ليُرْغِموا بذلك آناف شِيعَة عليّ بن أبي طالب ـ كَرَّم الله وجهه ـ الذين يتَّخذون يوم عاشُوراء يوم عَزاء وحُزْن فيه على الحُسَيْن بن عليّ ؛ لأنَّه قُتِلَ فيه . وقد أدركنا بقايا ممَّا عمله بنو أيُّوب من اتِّخاذ يوم عاشُوراء يوم سُرورٍ وتَبَسُّط . وكِلا الفِعْلَيْن غير جَيِّد ، والصَّوَابُ تَرْك ذلك والاقْتِداء بفِعْل السَّلَف فَقَط [٣] .

وما أَحْسَنَ قَوْل أبي الحُسَيْن الجَزَّار الشَّاعِر [٤] يُخاطِبُ الشَّريف شِهاب الدِّين ناظِر الأَهْراء ، وكَتَبَ بها إليه لَيْلَة عاشُورَاء عندما أَخَّر عنه ما كان من جاريه في الأهْرَاء :

[الرجز]

قُلْ لِشهاب الدِّين ذِي الفَضْل النَّدِي   والسَّيِّد بن السَّيِّد بن السَّيِّدِ

---

[١] فيما تقدم ٤٦١ - ٤٧٧.

[٢] فيما تقدم ٤١٧ - ٤٢١.

[٣] راجع عن احتفال عاشوراء وصومه عند أهل السنة *EI*² art. *ʿĀshūrāʾ* I, p.

[٤] أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم الجزار (ابن سعيد : المغرب (قسم مصر) ٢٩٦-٣٤٨؛ ابن شاكر: فوات الوفيات ٤:٢٧٧-٢٩٣).

أُقْسِم بالفَرْد العَلِيّ الصَّمَد إنْ لم يُبادِر لِنَجاز مَوْعدي
لأَحْضُرَنّ لِلهَنَاءِ في غَدِ مُكَحَّلَ العَيْنَيْن مَخْضُوبَ اليَدِ

يُعَرِّض للشَّريف بما يُرْمَى به الأشْراف من التَّشَيُّع ، وأنَّه إذا جاءَه بهيئة السُّرور في يوم عاشُوراء غاظَه ذلك ، لأنَّه من أَفْعَال أهل النَّصْب [a]. وهو من أَحْسَن ما سَمِعْتُه في التَّعْرِيض فلله دَرُّه !

عِيدُ النَّصْر

وهو السَّادِس عشر من المحرّم ، عَمِلَه الخَليفَةُ الحافِظُ لدين الله ؛ لأنَّه اليوم الذي ظَهَر فيه من مَخْبَئِه ، ويُفْعَل فيه ما يُفْعَل في الأعياد من الخُطْبَة والصَّلاة والزِّينَة والتَّوْسِعَة في النَّفَقَة [1].

وكَتَبَ فيه أبو القاسم عليّ بن الصَّيْرَفي إلى بَعْض الخُطَباء :

«عيدُ النَّصْر ، وهو أَفْضَلُ الأعياد وأسْناها وأعْلاها ، وأَدَلُّها على تَقْصير الوَاصِف/ إذا بَلَغ وتَناهَى . ونحن نأمرك أن تَبْرُز في يوم الأحد السَّادِس ٤٩١:١ عشر من المحرَّم سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة على الهَيئَة التي جَرَت العادَةُ بمثلها في الأعْياد ، وتُوعِد بأن تَقْرأ على النَّاس الخُطْبَة التي سَيَّرْناها إليك قَرين هذا الأَمْر بشَرْح هذا اليوم وتَفْصيله وذِكْر ما خَصَّه الله به من تَشْريفه وتَفْضيله ، وتَعْتَمِد في ذلك ما جَرَى الرَّسْمُ فيه في كلّ عيد ، وتنتهي فيه إلى الغايَة التي ليس عليها مَزيد . فاعْلَم هذا واعْمَل به إن شاءَ الله» .

المواليدُ السِّتَّة

كانت مَواسِمَ جَليلَةً يَعُمّ[b] النَّاسَ فيها مَبَرّات[c] من ذَهَب وفِضَّة وخُشْكَنانج وحَلْواء كما مَرَّ ذكره[d][2] .

---

a) بولاق : الغضب . b) بولاق : يعمل . c) بولاق : ميزات . d) بولاق : ذلك .

---

[1] فيما تقدم ٣٠٢ - ٣٠٣؛ وابن الطوير : نزهة المقلتين ٣٤- ٣٥؛ المقريزي : مسودة المواعظ ١١٢- ١١٣.

[2] فيما تقدَّم ٤٢٣ - ٤٢٥.

لَيَالِي الوُقُود الأَرْبَع

كانت مِن أَبْهَج اللَّيالي وأحسنِها، يُحْشَر النَّاسُ لمشاهَدَتها من كلِّ أَوْب، ويَصِلُ إلى النَّاس فيها أنْواعٌ من البِرّ، وتَعْظُمُ فيها مَيْزَة أهل الجَوامِع والمَشاهد، فانظرْه في مَوْضِعِه تجده [1].

مَوْسِمُ شَهْر رَمَضَان

وكان لهم في شَهْر رَمَضان عِدَّةُ أنْواعٍ من البِرّ، منها كَشْفُ المساجِد. قال الشَّريفُ الجَوَّاني في كتاب «النُّقَط»: كان القُضاةُ بمصر إذا بَقِيَ لشهر رَمَضان ثلاثةُ أيام، طافُوا يومًا على المَشاهِد والمَساجِد بالقاهِرَة ومصر، فيبدأون بجامِع المَقْسِ، ثم بجَوامِع القاهِرَة، ثم بالمَشاهِد، ثم بالقَرافَة، ثم بجامِع مصر، ثم بمَشْهَد الرأس لنَظَر حصير[a] ذلك وقَناديله وعِمارَته وإزالَة شَعَثِه وكان أكثرُ النَّاس، ممَّن يَلُوذ بباب الحُكْم والشُّهود والطُّفَيْليون، يتعيَّنون لذلك اليوم والتَّطْواف[b] مع القاضي لحُضُور السِّماط.

إبْطَالُ المُنْكَرات[c]

قال ابنُ المَأْمُون: وكانت العادَةُ جارِيَةً من الأيام الأَفْضَلِيَّة، في آخر جُمادَى الآخرة من كلِّ سنة، أن تُغْلَق جَميعُ قاعات الخَمَّارين بالقاهِرَة ومصر وتُخْتَم، ويُحْذَر من بَيْع الخَمْر. فرأى الوَزيرُ المأمون لمَّا وَلِيَ الوَزارَة بعد الأَفْضَل بن أمير الجُيُوش أن يكون ذلك في سائِر أعْمال الدَّوْلَة. فكَتَب به إلى جَميع وُلاة الأعْمال، وأن يُنادَى بأنَّه من تَعَرَّض لبَيْع شيءٍ من المُسْكِرات أو لشرائها سِرًّا أو جَهْرًا، فقد عَرَّض نفسَه لتلافِها، وبَرِئَت الذِّمَّةُ من هَلاكها [2].

ومنها غُرَّةُ رَمَضان

وكان في أوَّل يوم من شهر رَمَضان يُرْسَل لجَميع الأُمَرَاء وغيرهم من أرْباب الرُّتَب والخِدَم، لكُلِّ واحِدٍ طَبَق، ولكلِّ واحِدٍ من أوْلاده ونِسائِه طَبَق، فيه حَلْواء وبوَسَطِه صُرَّة

a) بولاق: حصر. b) بولاق: الطواف. c) بولاق: المسكرات.

[1] فيما تقدم ٥٢٢ - ٥٢٨.

[2] ابن المأمون: أخبار مصر ١٠٤.

من ذَهَب . فيعمّ ذلك سائِر أهْل الدولة ، ويُقالُ لذلك : «غُرَّة رَمَضان» .

ومنها رُكوبُ الخَليفَة في أوَّل شَهر رَمَضان

قال ابن الطُّوَيْر : فإذا انقضَى شَعْبان ، اهتم بركوب أوَّل شهر رَمَضان ـ وهو يَقُوم مَقام الرُّؤْيَة عند المُتَشَيِّعين ـ فيجري أمْرُه في اللِّباس والآلات والأسلحة والعَرْض والرُّكوب والتَّرْتيب والمَوْكِب والطَّريق المَسْلوكة ، كما وَصَفْناه في أوَّل العام ، لا يَخْتَلُّ بوَجْهٍ ويُكْتَب إلى الوُلاة والنُّوَّاب والأعْمال بمَساطير مُخلَّقَة يُذْكَر فيها رُكوبُ الخَليفَة [١].

ومنها سِماطُ شَهر رَمَضان

وقد تَقَدَّم ذِكْر السِّماط في قاعَة الذَّهَب من القصر [٢].

سُحُورُ الخَليفَة

قال ابنُ المأمُون ـ وقد ذَكَرَ أسْمِطَةَ رَمَضان وجُلوس الخَليفَة بعد ذلك في الرَّوْشَن إلى وَقْت السُّحور ، والمُقْرِئون تحته يَتْلون عَشْرًا ويُطَرِّبون بحيث يُشاهِدهُم الخَليفَةُ ـ : ثم حضَر بعدهم المؤذِّنون وأخَذُوا في التَّكْبير وذِكْر فَضَائِل السُّحور ، وخَتَمُوا بالدُّعاء ، وقُدِّمَت المَخاد للوُعَّاظ ، فذَكَروا فضَائِل الشَّهر ومَدْح الخَليفَة والصُّوفيَّات ، وقامَ كلٌّ من الجَماعَة للرَّقْص ؛ ولم يزالوا إلى أن انْقَضَى من اللَّيْل أكثرُ من نِصْفه ، فحَضَرَ من[a] بين يديِ الخَليفَة أُسْتاذٌ بما أنْعَم به عليهم وعلى الفَرَّاشين ، وأُحْضِرت جِفانُ القَطائِف وجِرارُ الجُلَّاب برَسْمِهم ، فأكلوا ومَلأُوا أكْمامَهم ، وفَضَلَ عنهم ما تَخَطَّفه الفَرَّاشُون .

ثم جَلَسَ الخَليفَةُ في السِّدِلَّا[٣] التي كان بها عند الفُطور ، وبين يديه المائِدَةُ معبَّأة جَميعها من جَميع الحَيَوان وغيره ، والقَعْبَة الكبيرة الخاصّ مملوءة أوْساط بالهمَّة المعروفة ، وحَضَر الجُلَساءُ

a) ساقطة من بولاق .

[١] ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٧١.

[٢] فيما تقدم ١: ٣٨٧.

[٣] السِّدِلَّا ويقال : السَّهْدلي والسِّدِلي : لفظ فارسي معرّب (الجواليقي : المعرب ٢٣٥) . وذكر ابن منظور أن «السِّدِلِّي على فِعِلِّي معرّب وأصله بالفارسية سهدلة ، كأنه ثلاثة بيوت في بيت كالحيري بكُمَّيْن» (لسان العرب ١٣: ٣٥٥) .=

واستعمل كلٌّ منهم ما اقتدر عليه، وأَوْمأ الخَليفَةُ بأن يُسْتَعْمَل من القَعْبَة فيُفَرِّق الفرّاشون عليهم أجمعين. وكلُّ من تناوَل شيئًا قامَ وقَبَّل الأرض وَأَخَذَ منه على سَبيلِ البَرَكَة لأَوْلادِه وأهله ـ لأنَّ ذلك كان مُسْتفاضًا عندهم غير مَعيب على فاعِله ـ ثم قُدِّمَت الصُّحونُ الصِّيني مملوءةً قَطائِف، فأَخَذَ منها الجَماعَةُ الكفاية.

وقامَ الخَليفَةُ وجَلَس بالباذَهَنج، وبين يديه السُّحورات المُطَيَّبات من لَبابين[a] رُطَبٍ ومُحَمَّص[b]، وعِدَّةُ أنْواع عصارات واقْطَلْوات، وسُوَيْق ناعِم وجَريش جَميعُ ذلك بقُلوبات ومَوْز، ثم يكون بين يديه صينية ذَهَب مملوءةٌ شُفُوفًا. وحَضَرَ الجُلَساءُ، وأَخَذَ كلٌّ منهم في تَقْبيل الأرض والسُّؤَال بما يُنْعَم عليه منه. فتناوَله المستخدمون والأُسْتاذون/ وفَرَّقُوه، فأَخَذَه القَوْمُ في أَكْمامِهِم، ثم سَلَّم الجَميعُ وانْصَرَفُوا[1]. ٤٩٢:١

ومنها الخَتْمُ في آخر رَمَضَان

وكان يُعْمَل في التَّاسِع والعشرين منه، [c]الأَصْلُ في عَمَل الخَتْم في شهر رَمَضان ما رواه ابن وَهْب: حدَّثني يحيى بن أزهر عن الحَجَّاج بن شَدَّاد، أنَّ أبا صالح سعيد بن عبد الرَّحمن الغِفاري أخبره أنَّ أبا هُرَيْرَة كان إذا كانت ليلة ثلاث وعشرين من رمضان ذَبَحَ جَزْرَة فعرقها ثم أحضر أَهْلَه الصَّغير منهم والكبير ليلة ثلاث وعشرين[c]. قال ابنُ المَأْمُون: ولمَّا كان التَّاسِعُ والعشرين من شهر رَمَضَان، خَرَجَ الأَمْرُ بأَضْعاف ما هو مستقرّ للمُقْرِئين والمؤذِّنين في كلِّ ليلة برسْمِ السُّحور، بحُكْم أنَّها لَيْلَة خَتْم الشَّهْر. وحَضَرَ الأَجَلُّ الوَزيرُ المَأْمُونُ في آخِرِ النَّهار إلى القصر للفُطور مع الخَلِيفَة والحُضُور على الأَسْمِطَة على العادَة، وحَضَرَ إخْوتُه وعُمومتُه وجَميعُ الجُلَساء، وحَضَرَ المُقْرِئون والمؤذِّنون وسَلَّموا على عادَتهم، وجَلَسوا تحت الرَّوْشَن.

وحُمِلَ من عند مُعْظَم الجِهات والسَّيِّدات والمُمَيَّزات من أَهْل القُصُور ثلاجي ومَوْكِبيات مملوءةٌ ماءً ملفوفةٌ في عَراضي دَيبقي، وجُعِلَت[d] أمام المذكورين لتَشْمَلَها بَرَكةُ خَتْم القُرْآن

a) بولاق: لبثين. b) بولاق: مخص. c-c) حاشية بخط المؤلف. d) بولاق: جعلها.

= والسَّدِلّا الفاطمية أشبه ببناء مغلق من ثلاثة جوانب ومفتوح من الجانب الرابع حيث كان يوجد «الشُّبّاك». وكانت تقع على التقريب في وسط القصر بين باب العيد وباب البحر.

[1] ابن المأمون: أخبار مصر ٨٢-٨٣.

الكريم، واسْتَفْتَحَ المُقْرِئون من الحَمْد إلى خاتِمَة القُرْآن تِلاوَةً وتَطْرِيبًا.

ثم وَقَفَ بعد ذلك من خَطَب فأَسْمَع، ودَعَا فأَبْلَغ، ورَفَعَ الفَرّاشون ما أَعَدُّوه برَسْم الجِهات، ثم كَبَّرَ المؤذِّنون وهَلَّلوا، وأخَذوا في الصُّوفيّات إلى أن نُثِرَ عليهم من الرَّوْشَن دَنانير ودَراهم ورُباعيات، وقُدِّمت جِفانُ القَطائِف على الرَّسْم مع البَسَنْدود والحَلْواء، فجَرَوْا على عادَتهم ومَلأوا أَكْمامَهم. ثم خَرَجَ أُسْتاذٌ من باب الدَّار الجَديدَة بخِلَع خَلَعَها على الخَطيب وغيره، ودراهم تُفرَّق على الطائِفتين من المُقْرِئين والمؤذِّنين[1].

ذِكْرُ مَذاهِبِهِم في أوائل [a] الشُّهُور

اعْلَم أنَّ القَوْمَ كانوا شِيعَةً، ثم غَلَوْا حتى عُدُّوا من غُلاة أهل الرَّفْض. وللشِّيعة في أثناء الشُّهور عَمَلٌ أحسن ما رأيت فيه ما حَكَاهُ أبو الرَّيْحان محمد بن أحمد البيرُوني في كِتاب «الآثار الباقِيَة عن القُرون الخَالِيَة» قال: [b]ثم منذ سنين نَبَتَت نابِتَةٌ ونَجَمتْ ناجِمَةٌ ونَبَغَت فِرْقَةٌ جاهليةٌ فنَظَروا إلى[b] أَخْذِهم بالتأويل، [c]ووُلوعهم بسَبَب الآخِذين بالظَّاهر بزَعْمِهم[c] إلى اليَهود والنَّصارىٰ، فإذا لهم جَداول وحُسْبانات يَسْتَخْرِجون بها شهورَهم، ويَعْرِفون منها صِيامَهم - والمسلمون مُضْطَرُّون إلى رؤية الهِلال، وتَفَقُّد ما اكْتساه القَمَر من النُّور [c]واشْتُرِكَ بين نِصْفِه المَرْئي ونِصْفِه المَسْتور[c] - ووَجَدوهم شاكّين في ذلك، مختلفين فيه، مقلِّدين بعضهم بعضًا في عمل رؤية الهِلال بطريق الزِّيجات.

فرجَعوا[d] إلى أصْحاب عِلْم الهَيْئة، فأَلْفَوا زيجاتهم وكتبهم مفتتحة بمعرفة أوائِل ما يُراد من شُهُور العَرَب بصُنُوف الحُسْبانات [c]وأنواع الجداول[c]، فظَنُّوا أنَّها معمولة لرؤية الأَهِلَّة، فأَخَذُوا بعضَها ونَسَبوه إلى جَعْفَر بن محمد الصَّادِق - عليهما السَّلام، وزَعَمُوا أنَّه سِرٌّ من أسْرار النُّبُوَّة.

وتلك الحُسْباناتُ مَبْنِيَّةٌ على حَرَكات النَّيِّرَيْن[e] الوُسْطَى دون [c]المُعَدَّلَة - أو معمولة على أنَّ[c] سَنَةَ القَمَر التي هي ثلاث مائة وأربعة وخمسون يومًا وخُمْس يوم وسُدْس يوم، وأنَّ ستَّة

---

a) بولاق: أول. b-b) بولاق: وفي سنين من الهجـرة نجمت ناجمة لأجل، والعبارة المثبتة من الآثار الباقية للبيروني. c-c) زيادة من الآثار الباقية. d) عند البيروني: ثم رجعوا. e) بولاق: التدبير.

---

[1] ابن المأمون: أخبار مصر ٨٣، وفيما تقدم ٤٨١ - ٤٨٢.

أشهر من السنة تامَّة، وسِتَّة أشهر ناقِصَة، وأنَّ كلَّ ناقِصٍ منها فهو تالٍ لتام.

فلمَّا قَصَدوا استخراج (a)أوَّل الصَّوْم وأوَّل(a) الفِطْر بها، خَرَجَت قبل الواجِب بيوم في أغْلَب الأحْوال، فأوَّلوا قوله عليه السَّلام: «صُومُوا لرُؤْيَتِه وأَفْطِرُوا لرُؤْيته». وقالوا: معنى صُومُوا لرؤيته، أي صُومُوا اليوم الذي يُرَى الهلالُ(b) في عشيته، كما يُقال تهيَّأوا لاستقبالِه، فيُقدِّم التهيُّؤ على الاستقبال. قالوا(c): و(a)إنَّ شهر(a) رَمَضانَ لا يَنْقُص عن ثلاثين يومًا أبدًا[١].

قَافِلَة الحَاج

قالَ في كتاب «الذَّخائِر والتُّحَف»: إنَّ المُنْفَق على المَوْسم كان في كلِّ سنة تُسافِر فيها القَافِلَة مائة ألف وعشرين ألف دينار: منها ثَمَن الطِّيب والخَلوق(d) والشَّمْع راتِبًا في كلِّ سنة عشرة آلاف دينار، ومنها نَفَقَة الوَفْد الواصِلين إلى الحَضْرَة أربعون ألف دينار، ومنها في ثَمَن الحِمايات والصَّدَقات وأُجْرَة الجِمال ومعونة من يَسير من العَسْكرية وأمير(e) المَوْسِم وخَدَم القافِلَة وحَفْر الآبار وغير ذلك ستون ألف دينار. وأنَّ النَّفَقَة كانت في أيَّام الوَزير اليَازوري قد زادَت في كلِّ سنة، وبَلَغَت إلى مائتي ألف دينار، ولم تَبْلُغ النَّفَقَةُ على المَوْسِم مثل ذلك في دَوْلَةٍ من الدُّوَل[٢].

مَوْسِم عيد الفِطْر

وكان لهم في مَوْسم عيد الفِطْر عِدَّةُ وجوهٍ من الخَيْرات: منها تَفْرِقَةُ الفِطْرَة، وتَفْرِقَةُ الكُسْوَة، وعَمَلُ السِّماط، ورُكوبُ الخَليفَة لصَلاة العيد. وقد تَقَدَّم ذكر ذلك كلّه فيما سَبَق[٣].

---

a-a) زيادة من البيروني b) زيادة من البيروني. c) بولاق: قال. d) بولاق: الحلواء. e) بولاق: كبير.

---

[١] البيروني: الآثار الباقية عن القرون الخالية ٦٤-٦٥، والبيروني توفي سنة ٤٤٠هـ فقوله: ثم منذ سنين نبتت ... يعني به التعديلات التي أدخلتها الدولة الفاطمية؛ وانظر فيما تقدم ٤٨٩.

[٢] لا وجود لهذا النص في الذخائر والتحف الذي وصل إلينا.

[٣] فيما تقدم ٢٩٣ - ٢٩٤، ٤٠١ - ٤٠٥، ٤٧٨ - ٤٩٤.

عِيدُ النَّحْر

فيه تَفْرِقَةُ الرُّسُوم من الذَّهَب والفِضَّة، وتَفْرِقَة الكُسْوَة لأرْباب الخِدَم من أهْل السَّيْف والقَلَم، وفيه رُكُوبُ الخَلِيفَة لصَلاة العيد، وفيه تَفْرِقَةُ الأضاحي (aوعَمَل الأسْمِطَةa)، كما مَرَّ ذلك مُبَيَّنًا في موضعه من هذا الكِتاب[1].

عِيدُ الغَدير

فيه تَزْويجُ الأيامىٰ، وفيه الكُسْوَة وتَفْرِقَةُ الهِبَات لكُبَراء الدَّوْلَة ورُؤسائِها وشُيوخِها وأُمَرائِها وضُيوفِها والأسْتاذين المُحَنَّكين والمُمَيَّزين، وفيه النَّحْرُ أيضًا وتَفْرِقَة النَّحائِر على أرْباب الرُّسُوم، وعَتْقُ/ الرِّقاب وغير ذلك كما سَبَقَ بيانُه فيما تقدَّم[2]. ٤٩٣:١

كُسْوَةُ الشِّتاء والصَّيف

وكان لهم في كلٍّ من فَصْلي الشِّتاء والصَّيف كُسْوَةٌ تُفَرَّق على أهْل الدَّوْلَة وعلى أوْلادِهم ونِسائِهم. وقد مَرَّ ذِكْرُ ذلك[3].

مَوْسِمُ فَتْح الخَليج

وكانت لهم في مَوْسِم فَتْح الخَليج وُجُوهٌ من البِرّ: منها الرُّكوبُ لتَخْليق المِقْياس، ومَبيتُ القُرَّاء بجامِع المِقْياس، وتَشْريفُ ابن أبي الرَّدَّاد بالخِلَع وغيرها، ورُكوبُ الخَليفَة إلى فَتْح الخَليج، وتَفْرِقَةُ الرُّسُوم على أرْباب الدولة من الكُسْوَة والعَيْن والمآكِل والتُّحَف. وقد تقدَّم تَفْصيلُ ذلك[4].

---

a-a) ساقطة من بولاق.

---

[1] فيما تقدم ١: ٤٣٦- ٤٣٨.

[2] فيما تقدم ٢٩٨ - ٣٠٥.

[3] فيما تقدم ٣٥٩.

[4] فيما تقدم ٥٣٨ - ٥٥١.

ذِكْرُ النَّوْروز

وكان النَّوْروزُ القِبْطِيُّ في أيامهم من جُمْلَة المَواسِم ، فتَتَعَطَّلُ فيه الأسْواقُ ويَقِلُّ فيه سَعْيُ النَّاس في الطُّرقات ، وتُفَرَّق فيه الكُسْوَة لرجال أهْل الدَّوْلَة وأوْلادهم ونِسائِهم والرُّسُوم من المال وحَوائج النَّوْروز

قال ابنُ زُولاق : وفي هذه السَّنَة ـ يعني سنة ثلاثٍ وستين وثلاث مائة ـ مَنَعَ المُعِزُّ لدين الله من وَقُود النِّيران ليلة النَّوْروز في السِّكَك ، ومن صَبِّ الماء يوم النَّوْروز [1].

وقال في سنة أربعٍ وستين وثلاث مائة : وفي يوم النَّوْروز زادَ اللَّعِب بالماء ووَقُود النِّيران ، وطافَ أهْلُ الأسْواق ، وعَمِلُوا فِيَلَة وخَرَجوا إلى القاهِرَة بلعبهم ، ولَعِبُوا ثلاثة أيام ، وأظْهَروا السَّماجات [2] والحُلِيّ في الأسواق . ثم أَمَرَ المُعِزُّ بالنِّداء بالكَفّ ، وألَّا تُوقَد نارٌ ، ولا يُصَبَّ ماءٌ ، وأُخِذَ قَوْمٌ فحُبِسُوا وأُخِذَ قَوْمٌ فطيفَ بهم على الجِمال [3].

وقال ابنُ مُيَسَّر في حَوادِث سنة ستّ عشرة وخمس مائة : وفيها أرادَ الآمِرُ بأحكام الله أن يَحْضُر إلى دار المُلْك في النَّوْروز الكائِن في جُمادَى الآخرة في المراكِب ، على ما كان عليه الأَفْضَلُ بن أمير الجيُوش ، فأعادَ المَأْمون عليه أنّه لا يُمْكن ، فإنَّ الأَفْضَلَ لا يَجْري مَجْراه مَجْرَى الخَليفَة ، وحَمَلَ إليه من الثِّياب الفاخِرَة بِرَسْم النَّوْروز للجِهات ما له قِيمَةٌ جَليلَةٌ [4].

وقال ابنُ المأْمُون : وحَلَّ مَوْسِمُ النَّوْروز في التاسع من رَجَب سنة سبع عشرة وخمس مائة ، ووَصَلَت الكُسْوَةُ المختصَّةُ به من الطِّراز وثَغْر الإسْكَنْدَرية ، مع ما يُبْتاع من اللاذات[a][5] المُذَهَّبَة والحَريري والسَّوادِج ، وأُطْلِقَ جَميعُ ما هو مستقرّ من الكُسْوات الرِّجالية والنِّسائية والعَيْن والوَرِق ، وجَميع الأصناف المختصَّة بالمَوْسِم على اخْتِلافِها بتَفْصيلها وأسْماء أرْبابِها .

---

a) بولاق : المذاب .

---

[1] فيما تقدم ١: ٧٢٧.

[2] انظر عن السَّماجات فيما تقدم ١: ٥٦٤.

[3] فيما تقدم ١: ٧٢٧.

[4] ابن ميسر : أخبار مصر ٩٢؛ المقريزي : اتعاظ الحنفا ٣: ٨٧.

[5] اللاذ جـ. اللاذات . نسيج حرير أحمر .

وأصنافُ النَّوْروز : البِطِّيخ ، والرُّمّان ، وعَراجين المَوْز ، وأفراد البُسْر ، وأقْفاص التَّمْر القُوصي ، وأقْفاص السَّفَرْجَل ، وبُكَل الهَرِيسَة المعمولة من لَحْم الدَّجاج ولَحْم الضَّأْن ولَحْم البَقَر ، من كلِّ لَوْنٍ بُكْلَة مع خُبْزٍ بُرٍّ مازِق [1].

قال : وأَحْضَر كاتِبُ الدَّفْتَر الإثْباتات بما جَرَت العادَةُ به من إطْلاق العَيْن والوَرِق والكُسْوات على اخْتلافها في يوم النَّوْروز ، وغير ذلك من جَميع الأصْنَاف ، وهو أربعة آلاف دينار وخمسة عشر ألف دِرْهَم فِضَّة ، والكُسْوات عِدَّة كثيرة من شُقَق دَبيقي مُذَهَّبات وحَريرات ومَعاجِر وعَصَائِب نِساوِيَّات[a] مُلَوَّنات وشُقَق لاذ مُذَهَّب وحَريري ومُشَفَّع ، وفُوَط دَبيقي حَريري .

فأمَّا العَيْنُ والوَرِقُ والكُسْوات ، فذلك لا يَخْرُج عمن تَحوزُه القُصُورُ ودارُ الوَزارَة والشُّيوخُ والأَصْحابُ والحَواشي والمستخدمون ورُؤساء العُشارِيَّات وبَحارَتها ، ولم يكن لأحَدٍ من الأُمَرَاء على اختلاف دَرَجاتهم في ذلك نَصيبٌ .

وأمَّا الأصنافُ من البِطِّيخ والرُّمَّان والبُسْر والتَّمْر والسَّفَرْجل والعِنَّاب والهَرائِس على اخْتلافِها ، فيَشْمَل ذلك جَميع مَنْ تقدَّم ذكرهم ، ويَشْرُكهم في ذلك جَميعُ الأُمَرَاء أرْباب الأطْواق والأَقْصاب وسائِر الأماثِل ، وقد تقدَّم شَرْحُ ذلك ، فوَقَّعَ الوَزيرُ المأمون على جَميع ذلك بالإنْفَاق [2].

وقال القاضي الفاضِلُ في «تَعْليق المُتَجَدِّدات» لسنة أربع وثمانين وخمس مائة : يَوْمُ الثلاثاء رابع عشر رَجَب يَوْم النَّوْروز القِبْطي ، وهو مستهلّ تُوت ـ وتُوت أوَّل سَنَتهم ـ وقد كان بمصر في الأيَّام الماضِيَة والدَّوْلَة الخالية ـ يعني دَوْلة الخُـلَفاء الفاطِميين ـ من مَواسِم بَطالاتهم ، ومَوَاقيت ضَلالاتهم . فكانت المُنْكَراتُ ظاهِرَةً فيه ، والفَواحِشُ صَريحَةً في يومه . ويَرْكَبُ فيه أَميرٌ مَوْسُومٌ بأَمير النَّوْروز ومعه جَمْعٌ كبيرٌ[b] ، ويتسلَّطُ على النَّاس في طَلَب رَسْم رُتِّبه على دور الأكابِر بالجُمَل الكِبار ، ويكتب مَناشير ، ويَنْدُب مترسِّمين ، كلُّ ذلك يخرج مَخْرَج الطَّنْز[3][c] ، ويَقْنَع بالميسور من الهِبات .

---

a) بولاق : مشاومات .   b) بولاق : كثير .   c) بولاق : الطيز .

---

[1] انظر فيما تقدم ١: ٧٢٧- ٧٢٨.

[2] ابن المأمون : أخبار مصر ٦٥ ، وفيما تقدم ١: ٧٢٨.

[3] الطَّنْز : السخرية .

ويَتَجَمَّع المُؤَنَّثون والفاسِقَاتُ تحت قَصْر اللُّؤْلُؤَة بحيث يُشاهِدُهم الخَلِيفَة ، وبأيديهم المَلاهي ، وترتفعُ الأَصْواتُ ، وتُشْرَب الخَمْرُ والمِزْرُ شُرْبًا ظاهِرًا بينهم وفي الطُّرُقات ، وَيَتَراش النَّاسُ بالماء ، وبالماءِ والخَمْر ، وبالماءِ ممْزوجًا بالأَقْذَار . فإن غَلِطَ مَسْتورٌ وخَرَج من داره ، لَقِيَه مَنْ يَرُشُّه ويُفْسِدُ ثِيابَه ، ويستخفُّ بحُرْمته ، فإمَّا فَدَى نَفْسَه وإما فُضِح . ولم يجر/ الحالُ في هذا النَّوْروز على ٤٩٤:١ هذا ، ولكن قد رُشَّ الماءُ في الحارات ، وأُحْيا المُنْكَرَ في الدُّور أَرْبابُ الخُسارات [١] .

وقال في [متجدِّدات][a] سنة اثنتين وتسعين وخمس مائة : وجَرَى الأَمْرُ في النَّوْروز على العادَة من رَشِّ الماء ، واستُجِدّ فيه هذا العام التَراجُم بالبَيْض والتَّصافُح بالأَنْطاع ، وانْقَطَع النَّاسُ عن التَّصَرُّف ، ومن ظُفِرَ به في الطَّريق رُشَّ بمياهٍ نَجِسَة وخُرِقَ به [٢] .

وقال كاتِبُهُ[b] : إنَّ أَوَّلَ مَنْ اتَّخَذ النَّوْروز جَمْشيد ـ ويُقال في اسْمه أيضًا : جَمْشاد ـ أَحَدُ مُلوك الفُرْس الأُوَل ، ومعناه : «اليومُ الجَديد» . وللفُرْس فيه آراءٌ وأَعْمَالٌ على مُصْطلَحِهم ، غير أنَّه في غير هذا اليوم .

وقد صَنَّفَ عليُّ بن حَمْزَة الأَصْفَهاني كِتابًا مفيدًا في أَعْياد الفُرْس [٣] .

وذكر الحافِظُ أبو القاسِم بن عَساكِر ، من طَريق حَمَّاد بن سَلَمَة ، عن محمد بن زِياد ، عن أبي هُرَيْرَة قال : كان اليومُ الذي رَدَّ الله فيه إلى سُلَيْمان بن دَاود خاتَمَه يوم النَّوْروز ، فجاءَت إليه الشَّياطينُ بالتُّحَف ، وكانت تُحْفَةُ الخَطاطيف أن جاءَت بالماء في مَناقيرها فَرَشَّته بين يدي سُلَيْمان . فاتَّخذ النَّاسُ رَشَّ الماء من ذلك اليوم [٤] .

وعن مُقاتِل بن سُلَيْمان قال : سُمِّيَ ذلك اليوم نَيْروزًا ، وذلك أَنَّه وافَقَ هذا اليوم الذي يُسَمُّونَه النَّيْروز ، فكانَت الملوكُ تتيمَّن بذلك اليوم ، واتَّخذوه عِيدًا ، وكانوا يَرُشُّون الماءَ في ذلك اليوم ويُهدون كفعل الخُطَّاف ، ويتيمَّنون بذلك .

ولله دَرُّ القائِل :

---

a) إضافة مما تقدم . b) بولاق : مؤلفه .

---

[١] فيما تقدم ١:٧٢٨ - ٧٢٩ .

[٢] المقريزي : السلوك ١:١٣٦- ١٣٧، وفيما تقدم ١:٧٢٩.

[٣] أورد المقريزي ذلك فيما تقدم ١:٧٢٦ نقلًا من كتاب «أعياد الفرس» لحمزة الأصفهاني .

[٤] فيما تقدم ١: ٧٢٥.

[البسيط]

كيف ابْتهاجُك بالنَّوْروز يا سَكَني وكلُّ ما فيه يَحْكيني وأَحْكيه
فنارُه كلَهيب النّار في كَبِدي وماؤه كتوالي دَمْعتي فيه

وقال آخر :

[الرمل]

نَوْرَزَ النَّاسُ ونَوْرَزْ تُ ولكنْ بدُموعي
وذَكت نارُهم والنّـ ـارُ ما بين ضُلوعي

وقال غيرُه :

[الطويل]

ولمَّا أَتى النَّوْروزُ يا غايَةَ المُنى وأنْتَ على الإعْراضِ والهَجْرِ والصَّدِّ
بَعَثْتَ بنارِ الشوق ليلًا إلى الحَشَى فنَوْرَزْتُ صُبْحًا بالدُّموع على الخَدِّ[1]

المِيلادُ

وهو اليوم الذي وُلِدَ فيه عبدُ الله ورَسُولُه المَسيحُ عَيسَىٰ ابن مَرْيَمَ صلى الله عليه وسلم. والنَّصارىٰ تتَّخذُ ليلة يوم الميلاد عيدًا، وتعمله قِبْطُ مصر في التاسع والعشرين من كِيَهك، وما بَرِحَ لأهِل مصر به اعْتِناءٌ.

وكان من رُسوم الدَّولة الفاطِمية فيه تَفْرِقَةُ الجَامات المملوءَة من الحَلاوات القاهِرية، والمَتارِد التي فيها السَّمَك، وقَرَابات الجُلّاب وطَيافير الزُّلابية والبُوري. فيشمل ذلك أَرْبابَ الدولة أصحابَ السُّيوف والأقْلام، بتقريرٍ معلومٍ على ما ذَكَرَه ابنُ المأمُون في تاريخه[2].

الغِطَاسُ

ومن مَواسِم النَّصارَىٰ بمصر عَمَلُ الغِطاسِ في اليوم الحادي عشر من طُوبَة.

قال المَسْعُودِي في «مُرُوجِ الذَّهَب»: ولِلَيْلَة الغِطاس بمصر شأنٌ عَظيمٌ عند أهلها لا ينامُ النَّاسُ فيها، وهي ليلة إحدى عشرة من طُوبَة. ولقد حَضَرْتُ سنة ثلاثين وثلاث مائة لَيْلَة الغِطاس بمصر

---

[1] فيما تقدم ١: ٧٢٩.

[2] ابن المأمون: أخبار مصر ١٠٤، وقارن القلقشندي: صبح ٢: ٤٢٦؛ وفيما تقدم ١: ٧١٧.

والإخْشِيد محمد بن طُغْج في دارِه المعروفة بالمُخْتار في الجَزِيرَة الراكبة على النِّيل، والنِّيلُ مُطَيَّف بها. وقد أَمَرَ فأُسْرِجَ من جانِب الجَزِيرَة وجانِب الفُسْطاط ألف مِشْعَل غير ما أَسْرَج أهلُ مصر من المشاعِل والشَّمْع.

وقد حَضَرَ النِّيلَ في تلك الليلة مئو ألوف من النَّاس من المسلمين والنَّصارَىٰ، منهم في الزَّواريق، ومنهم في الدُّور الدانية من النِّيل، ومنهم على الشُّطوط. لا يتناكَرون [الحضور ويُظهرون][a] كلَّ ما يمكنهم إظهاره في المآكِل والمَشارِب [والملابِس][a] وآلات الذَّهَب والفِضَّة والجَواهِر والملاهي والعَزْف والقَصْف. وهي أَحْسَنُ لَيْلَةٍ تكون بمصر وأَشْمَلُها سُرورًا، ولا تُغْلَق فيها الدُّروب، ويَغْطُس أكثرهم في النِّيل، ويَزْعُمون أنَّ ذلك أمانٌ من المَرَض ونُشْرَةٌ للداء[1].

وقال المُسَبِّحيُّ في سنة ثمانٍ وثمانين وثلاث مائة: كان غِطاسُ النَّصارَىٰ، فضُرِبَت الخِيامُ والمَضارِبُ والأَشْرِعَةُ في عِدَّة مَواضِع على شاطئ النِّيل، فنُصِبَت أَسِرَّةٌ للرئيس فَهْد بن إبراهيم النَّصْراني كاتِب الأستاذ بَرْجَوان، وأُوقِدَت له الشُّموعُ والمشاعِلُ، وحَضَرَ المُغَنُّون والمُلْهون، وجَلَسَ مع أَهْله يَشْرَب إلى أن كان وقت الغِطاس، فغَطَّس وانْصَرَف[2].

وقال في سنة خمسَ عشرة وأربع مائة: وفي لَيْلَة الأربعاء رابع ذي القعدة، كان غِطاسُ النَّصارَىٰ، فجَرَى الرَّسْمُ من النَّاس في شِراء الفَوَاكِه والضَّأْن وغيره، ونَزَلَ أميرُ المؤمنين الظَّاهِر لإعْزاز دين الله بن الحاكِم لقَصْر جَدِّه العَزيز بالله بمصر، لنَظَر الغِطاس ومعه الحَرَم.

ونودي أَلَّا يَخْتَلِط المسلمون مع النَّصارَىٰ عند نُزولهم إلى البحر في الليل، وضَرَبَ بَدْرُ الدولة الخادِمِ الأسود، مُتَوَلِّي الشُّرْطَتَيْن خَيْمَةً عند الجِسْر/ وجَلَسَ فيها. ٤٩٥:١

وأَمَرَ الخَليفَةُ الظَّاهِر لإعْزاز دين الله بأن تُوقَد المَشاعِلُ والنارُ في الليل، فكان وَقيدًا كثيرًا، وحَضَرَ الرُّهبان والقُسوس بالصُّلْبان والنيران، فقَسَّسُوا هناك طَويلًا إلى أن غَطَّسوا[3].

---

a) إضافة من مروج الذهب.

---

[1] المسعودي: مروج الذهب ٢: ٦٩- ٧٠؛ وفيما تقدم ١: ٧١٨.

[2] المسبحي: نصوص ضائعة ١٨-١٩، وفيما تقدم ١: ٧١٨.

[3] المسبحي: أخبار مصر ٧٠؛ وفيما تقدم ١: ٧١٩.

وقال ابنُ المـأْمُون : إنّه كان من رُسُوم الدَّوْلَة أنّه يُفَرَّق على سائِر أهل الدَّوْلَة التُّرُنْج والنَّارِنْج واللَّيْمون المراكبي ، وأطْنانُ القَصَب والسَّمَك البوري ، برُسُوم مقرَّرة لكلّ واحدٍ من أرْباب السُّيوف والأقلام [1].

خميس العَهْد

ويُسَمِّيه أهلُ مصر من العامَّة خَميسَ العَدْس ، ويعمله نَصارَىٰ مصر قَبْل الفِصْح بثلاثة أيام ، ويتهادون فيه . وكان من جُمْلَة رُسُوم الدَّوْلَة الفاطِمية في خَميس العَدَس ضَرْب خمس مائة دينار ذَهَبًا عشرة آلاف خَرُّوبة ، وتَفْرِقتها على جَميع أرْباب الرُّسوم كما تقدَّم [2].

أيَّام الرّكوبات

وكان الخَليفَةُ يَرْكَبُ في كلّ يوم سَبْتٍ وثُلاثاء إلى مُتَنَزَّهاتِه بالبَساتين والتَّاج وقُبَّة الهَوَاء والخَمْس وُجوه وبُشتان البَعْل ودار المُلْك ومَنازِل العِزّ والرَّوْضَة ، فيعمّ النَّاسَ في هذه الأيام من الصَّدَقات أنواعٌ ما بين ذَهَبٍ ومآكِلَ وأشْرِبَةٍ وحَلاوات ، وغير ذلك كما تَقَدَّم بيانُه في مَوْضِعِه من هذا الكتاب [3].

صَلاةُ الجُمُعَة

وكان الخَليفَةُ يركب في كلّ سنة ثلاث رَكْبات لصَلاة الجُمُعَة بالنَّاس : في جامِع القاهِرَة ـ الذي يُعْرَف بالجامِع الأَزْهَر ـ مَرَّة ، وفي جامِع الخُطْبَة ـ المعروف بالجامِع الحاكِمي ـ مَرَّة ، وفي جامِع عَمْرو بن العَاص بمصر أُخرى . فينال النَّاسَ منه في هذه الجُمَع الثلاث رُسُومٌ وهِباتٌ وصَدَقاتٌ ، كما ستقف عليه إن شاءَ الله تعالى عند ذِكْر الجامِع الأَزْهَر [4].

ولله دَرُّ الفَقيه عُمَارَة اليَمَني ، فقد ضَمَّنَ مَرْثِيَّته أهلَ القَصْر جُمَلًا ممَّا ذُكِر ؛ وهي

---

[1] ابن المأمون : أخبار مصر ٦٣؛ وفيما تقدم ١: ٧١٩.

[2] فيما تقدم ١: ٧١٩- ٧٢٠.

[3] فيما تقدم ٥٦٢ - ٥٧٦.

[4] ذكر المقريزي هيئة صلاة الجمعة في أيام الخلفاء الفاطميين فيما يلي ٢: ٢٨٠-٢٨٢ عند ذكر الجامع الأنور (جامع الحاكم) لا الجامع الأزهر.

القَصيدَةُ التي قال ابنُ سَعيد فيها : «ولم يُسْمَع في ما بُكِيَت به[a] دَوْلَةٍ بعد انْقِراضِها أحْسَن منها»[1] :

[البسيط]

رَمَيْتَ يا دَهْرُ كَفَّ المَجْدِ بالشَّلَلِ ... وجِيدَهُ بعد حُسْن الحَلْي بالعَطَلِ
سَعَيْتَ في مَنْهَجِ الرَّأْيِ العَثُورِ فإن ... قَدَرْتَ من عَثَرَات الدَّهْرِ فاسْتَقِلِ
جَدَعْتَ مارِنَكَ الأَقْنَى فأَنفُكَ لا ... يَنْفَكُّ ما بين قَرْعِ الشَّين والخَجَلِ
هَدَمْتَ قاعِدَة المَعْرُوفِ عن عَجَلٍ ... شَقِيتَ، مَهْلًا أَمَا تَمْشي على مَهَلِ
لَهْفي ولَهْفَ بَني الآمَالِ قاطِبَةً ... على فَجيعَتِهَا في أَكْرَم الدُّوَلِ
قَدِمْتُ مِصْرَ فأَوْلَتْني خَلائِقُها ... من المَكارِمِ ما أَرْبَى على الأَمَلِ
قَوْمٌ عَرَفْتُ بهم كَسْبَ الأُلُوف ومِنْ ... كَمالِهَا أنَّها جاءَت ولم أَسَلِ
وكُنْتُ من وُزَرَاء الدَّسْت حين سَمَا ... رَأْسُ الحِصانِ بهَادِيه على الكَفَلِ
ونِلْتُ من عُظَماء الجَيْش مكرمَةً ... وخُلَّةً حُرِسَت من عارِضِ الخَلَلِ
يا عاذِلي في هَوَى أَبْنَاءِ فَاطِمَةٍ ... لَكَ المَلامَةُ إن قَصَّرْتَ في عَذَلي
بالله! زُرْ ساحَةَ القَصْرَيْن وابْكِ مَعي ... عَلَيْهما لا على صِفِّينَ والجَمَلِ
وقُلْ لأَهْلِيهما : والله ما التَحَمَتْ ... فيكم جِراحي ولا قَرْحي بمُنْدَمِلِ
ماذا عَسَى كانت الإفْرِنْجُ فاعِلَةً ... في نَسْلِ آلِ أَمِيرِ المُؤمنينَ عَلي
هَلْ كانَ في الأَمْرِ شيْءٌ غير قِسْمَة ما ... مَلَكْتُمُو بَيْنَ حُكْمِ السَّبْي والنَّفَلِ
وقَدْ حَصَلْتُم عليها، واسْمُ جَدِّكُمُ ... مُحَمَّدٌ وأَبُوكُمْ غير مُنْتَحِلِ
مَرَرْتُ بالقَصْر والأَرْكانُ خالِيَةٌ ... من الوُفُودِ وكانت قِبْلَة القُبَلِ
فَمِلْتُ عنها بوَجْهي خَوْفَ مُنْتَقِدٍ ... من الأعادي، ووَجْهُ الوُدِّ لم يَمِلِ
أَسْبَلْتُ من أَسَفي دَمْعي غَدَاةَ خَلَت ... رِحابُكُم وغَدَتْ مَهْجورَةَ السُّبُلِ
أَبْكِي على مأثُرَاتٍ من مَكارِمِكُم ... حَالَ الزَّمانُ عليها وهْي لم تَحُلِ
(دارُ الضِّيافَة) كانت أُنْسَ وافِدِكُم ... واليَوْمَ أَوْحَش من رَسْمٍ ومن طَلَلِ
و(فِطْرَةُ الصَّوْمِ) إذا أضحت مكارِمُكُم ... تَشْكُو من الدَّهْر حَيْفًا غير مُحْتَمَلِ

---

a) بولاق : فيما بكتب في.

---

[1] نص ابن سعيد (النجوم الزاهرة ٩٨) : «ولم أسمع في ما بُكِيَت به دولة بعد انقراضها أحسن من قصيدة عمارة اليمني» .

و(كُسْوَةُ النَّاسِ) في الفَصْلَيْن قد دَرَسَت … ورَثَّ منها جَديدٌ عندهم وبَلِي
ومَوْسِمٌ كان في (يَوْمِ الخَليج) لَكُمْ … يأتي تَجَمُّلُكُم فيه على الجُمَلِ
و(أَوَّلُ العام) و(العيدَيْن) كَمْ لَكُمُ … فيهنَّ من وَبْلِ جُودٍ لَيْسَ بالوَشَلِ
/والأَرْضُ تَهْتَزُّ في (يوم الغَدِيرِ) كما … يهتزُّ ما بين قَصْرَيْكُم من الأَسَلِ ٤٩٦:١
والخَيْلُ تُعْرَضُ في وَشْيٍ وفي شِيَةٍ … مثلَ العَرائِسِ في حَلْيٍ وفي حُلَلِ
وما[a] حَمَلْتُم قِرَى الأَضْيافِ من سَعَةِ الأَطْـ … ـباقِ إلَّا على الأكْتافِ والعَجَلِ
وما خَصَصْتُم ببِرٍّ أَهْلَ مِلَّتِكُم … حتَّى عَمَمْتُم به الأَقْصَى من المِلَلِ
كانت رَوَاتِبُكُم للذمتين وللضـ … ـيفِ المُقيم والطَّاري من الرُّسُلِ
ثم (الطِّرَازُ) بتِنِّيس الذي عَظُمَت … منه الصِّلاتُ لأهل الأرض والدُّوَلِ
وللجَوامِعِ من إحسانِكُم[b] نِعَمٌ … لمن تَصَدَّر في عِلْمٍ وفي عَمَلِ
ورُبَّما عادَت الدُّنْيا فمَعْقِلُها … منكم وأَضْحَت بكم محلُولَةَ العُقَلِ
والله! لا فَازَ يومَ الحَشْرِ مُبْغِضُكُمْ … ولا نَجَا من عَذابِ الله غيرُ وَلِي
ولا سُقِيَ الماءَ من حَرٍّ ومن ظَمَأٍ … من كَفِّ خَيْرِ البَرَايَا خَاتَمِ الرُّسُلِ
ولا رأَى جَنَّةَ الله التي خُلِقَتْ … مَنْ خان عَهْدَ الإمام العاضِدِ بن عَلي
أئِمَّتي وهُداتي والذَّخيرةُ لي … إذا ارْتُهِنْتُ بما قَدَّمتُ من عَمَلي
تالله لم أُوَفِّهِم في المَدْحِ حَقَّهُمُ … لأنَّ فَضْلَهُمُ كالوَابِلِ الهَطِلِ
ولو تَضاعَفَت الأَقْوالُ واتَّسَعَتْ … ما كُنْتُ فيهم بحَمْدِ الله بالخَجِلِ
بابُ النَّجاةِ هُمُ دُنْيا وآخِرَةً … وحُبُّهُم فَهْوَ أَصْلُ الدِّين والعَمَلِ
نُورُ الهُدَى ومَصَابِيحُ الدُّجَى ومَحَـ … ـلُّ الغَيْثِ إن رَبَت الأَنْوَاءُ في المَحَلِ
أَئِمَّةٌ خُلِقُوا نُورًا فنُورُهُم … من مَحْضِ خَالِصِ نُور الله لم يَفُلِ
والله ما زُلْتُ عن حُبِّي لهم أبَدًا … ما أَخَّرَ الله لي في مُدَّةِ الأَجَلِ[1]

وبسَبَب هذه القَصيدَة قُتِلَ عُمارَة ـ رحمه الله ـ وتُمُحِّلَت له الذُّنُوب .

a) بولاق واتعاظ : ولا حملتم ، والمثبت من صبح . b) اتعاظ : أحباسكم ، وصبح : أحماسكم .

[1] انظر ديوان عمارة اليمني ٦١٢- ٦١٦؛ أبا شامة : الروضتين ١: ٥٧٠- ٥٧١؛ ابن واصل : مفرج ١: ٢١٢- ٢١٦؛ القلقشندي : صبح ٣: ٥٢٦- ٥٢٨؛ المقريزي : اتعاظ ٣: ٣٣٢- ٣٣٤؛ عماد الدين إدريس : عيون الأخبار ٧: ٣١٧- ٣١٨.

عُمــارَة [1]

ذِكْرُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ القَصْرَيْن والمَنَاظِر بعد زَوَال الدَّوْلَة الفَاطِمِيَّة

ولمَّا ماتَ العاضِدُ لدين الله في يوم عاشُورَاء سنة سبعٍ وستين وخمس مائة، احتاطَ الطَّواشيُّ قراقُوش على أهْل العاضِد وأوْلادِه - فكانَت عِدَّةُ الأشْراف في القُصُور مائة وثلاثين، والأطفال خمسة وسبعين - وجَعَلَهم في مكانٍ أُفْرِدَ لهم خارجَ القَصْر، وجَمَعَ عُمُومَتَه وعتْرَتَه[a] في إيوانٍ بالقَصْر واحْتَرزَ عليهم، وفرَّقَ بين الرِّجال والنِّساء لئلَّا يَتَناسَلوا، وليكون ذلك أَسْرَعُ لانْقِراضِهم.

وتسلَّم السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّين يوسُف بن أيُّوبَ القَصْر بما فيه من الخَزائِن والدَّواوين وغيرها من الأمْوال والنَّفائِس، وكانت عَظيمةَ الوَصْف، واسْتَعْرَضَ مَنْ فيه من الجَوَاري والعَبيد، فأَطْلَق من كان حُرًّا، ووَهَبَ واسْتَخْدَمَ باقيهم، وأَطْلَق البَيْع في كلِّ جَديدٍ وعَتيقٍ، فاستمرَّ البَيْعُ فيما وُجِدَ بالقَصْر عَشْر سنين.

وأَخْلَى القُصُورَ من سُكَّانِها، وأَغْلَق أبْوابَها، ثم مَلَّكَها أُمَرَاءَه وضَرَبَ الألْواحَ على ما كان للخُلَفَاء وأتْباعِهم من الدُّور والرِّباع، وأَقْطَع خَواصَّه منها وباعَ بعضها، ثم قَسَم القُصُور: فأعْطَى القَصْر الكبير للأُمَرَاء فسَكَنُوا فيه، وأسْكَنَ أباه نَجْم الدِّين أيُّوب بن شَاذي في قَصْر اللُّؤْلُؤَة على الخَليج، وأَخَذَ أَصْحابُه دُور من كان يَنْتَسِب[b] إلى الدَّوْلَة الفاطِمية، فكان الرجلُ إذا اسْتَحْسَنَ دارًا أَخْرَجَ منها سُكَّانَها ونَزَلَ بها[2].

قال القاضي الفاضِلُ: وفي ثالث عشرينه - يعني رَبيعًا الآخر سنة سبعٍ وستين - كُشِفَ حاصِلُ الخَزائِن الخاصَّة بالقصر، فقيل: إنَّ الموجود فيه مائة صُنْدوق كُسْوَة فاخِرَة من مُوشَّح ومُرَصَّع وعُقُودٍ ثَمينَة وذَخائر فَخْمَة وجَواهِر نَفيسَة، وغير ذلك من ذَخائِر جَمَّة الخَطَر، وكان الكاشِفَ بَهاءُ الدِّين قَرَاقُوش وبَيَان[3].

وأُخْلِيَت أَمْكِنَةٌ من القَصْر الغَرْبي سَكَنَ بها الأَمير مَوْسَك، والأَمير أبو الهَيْجاء السَّمين[c] وغيره من الغُزّ، ومُلِئَت المَنَاظِرُ المَصونَة عن النَّواظِر[d]، والمُنْتَزَهات التي لم يَخْطُرِ ابتذالُها في

---

a) بولاق: عشيرته. b) بولاق: ينسب. c) بولاق: السمني. d) بولاق: الناظر.

---

[1] كتب المقريزي اسم عمارة على أن يترجم له في نسخته، وتركت النُّسَخ المنقولة عن أصله بعد ذلك بياضًا كان في الأصل.

[2] قارن المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٣٣٠- ٣٣١.

[3] فيما تقدم ٣٧٠.

الخَواطِر[a]، فسُبْحان مُظْهر العَجَائِب ومُحْدِثها، ووَارِث الأرضِ ومُوَرِّثها!

قال: ومِقْدارُ ما يُحْدَس أنَّه خَرَجَ من القَصْر، ما بين دينار أُخِذ[b] ودِرْهم ومَصاغ وجَوْهَر ونُحاس ومَلْبوس وأثاث وقُماش وسِلاح، ما لا يفي به مُلْك الأكاسِرَة ولا تتصوَّره الخَواطِرُ الحاضِرَة، ولا يشتمل على مثله الممالِك العامرة، ولا يَقْدِر على حِسابِه إلَّا مَنْ يَقْدر على حِسَاب الخَلْق في الآخرة.

وقال الحافِظُ جمالُ الدين يوسُف اليَغْموري[1]: وَجَدْتُ بخَطِّ المُهَذَّب أبي طالِب محمد بن عليّ بن الخَيَمي:/ حَدَّثني الأميرُ عَضُدُ الدِّين مُرْهَف بن مَجْد الدين مُؤَيَّد[c] الدَّوْلَة بن مُنْقِذ، أنَّ ٤٩٧:١ القَصْرَ أُغْلِق على ثمانية عشر ألف نَسَمَة: عشرة آلاف شَريف وشَريفَة، وثمانية آلاف عَبْد وخادِم وأَمَة ومُوَلَّدة وتَرْبِيَة.

وقال ابنُ عبد الظَّاهِر عن القَصْر لمَّا أَخَذَهُ صَلاحُ الدِّين وأَخْرَجَ مَنْ به: كان فيه اثنا عشر ألف نَسَمَة ليس فيهم فَحْــلٌ إلَّا الخَليفَة وأهلُه وأوْلادُه، ولمَّا أخرجَهم[d] منه أسْكِنُوا في دارِ المُظَفَّر [e]بحارَة بَرْجَوان، وكانت تُعْرَف بدار الضِّيافَة[e] [2].

وقَبَضَ أيضًا صَلاحُ الدِّين على الأَمير دَاود بن العاضِد ـ وكان وَلِيَّ العَهْد، ويُنْعَت بالحامِد لله ـ واعْتَقَلَ معه جَميعَ إخْوَتِه: الأمير أبو الأمانة جِبْرِيل، وأبو الفُتُوح، وابنه أبو القاسِم، وسُلَيْمان ابن داود، وعبد الظَّاهِر بن[b] حَيْدَرَة بن العاضِد، وعبد الوهَّاب بن إبراهيم بن العاضِد، وإسماعيل بن العاضِد، وجَعْفَر بن أبي الظَّاهِر بن جِبْرِيل، وعبد الظَّاهِر بن أبي الفُتُوح بن جِبْرِيل ابن الحافِظ، وجَماعَةٌ من بني أعْمامِه. فلم يَزالوا في الاعْتِقال بدار الأَفْضَل من حارَة بَرْجَوان، إلى أن انتقل الملكُ الكامِلُ محمد بن العَادِل أبي بكر بن أيُّوب من دار الوَزارة بالقاهِرَة إلى قَلْعَة الجَبَل، فنَقَلَ معه وَلَد العاضِد وإخْوَته وأولاد عَمِّه واعتقلهم بالقَلْعَة، وبها مات [f]داود بن[f] العاضِدِ؛ واستمرَّ البَقِيَّةُ حتى انقرضت الدَّوْلَةُ الأَيُّوبية [3].

---

a) بولاق: الخاطر. b) ساقطة من بولاق. c) بولاق: سويد. d) بولاق: أخرجو. e-e) زيادة من مسودة المواعظ وممَّا تقدَّم ٢٨٥. f-f) ساقطة من بولاق.

---

[1] فيما تقدم ١: ١٦.

[2] ابن عبد الظاهر: الروضة ١١٤؛ المقريزي: مسودة المواعظ ٦٨، ١٣٠.

[3] فيما تقدم ٢٨٦.

ومَلَكَ الأَتْراكُ إلى أن تَسَلْطَن الملكُ الظَّاهِرُ رُكْنُ الدِّين بَيْبَرْس البُنْدُقْداري، فلمَّا كان في سنة ستين وستّ مائة أشْهَد على من بقيَ منهم ـ وهم: كَمالُ الدِّين إسْماعيل بن العاضِد، وعِمادُ الدين أبو القاسِم بن الأمير أبي الفُتُوح بن العاضِد، وبَدْرُ الدين عبد الوهَّاب بن إبراهيم العاضِد ـ أنَّ جَميعَ المواضِع التي قِبْليّ المدارِس الصَّالِحِيَّة من القَصْر الكَبير، والمَوْضع المعروف بالتُّرْبَة ظاهِرًا وباطِنًا بخُطّ الخُوخ السَّبْع، وجَميعَ المَوْضِع المعروف بالقَصْر النَّافِعي بالخُطّ المذكور، [a]وجَميع الموضع المعروف بالجبَّاسَة بالخُطّ المذكور[a]، وجَميعَ المَوْضِع المعروف بسَكَن أوْلاد شَيْخ الشُّيوخ وغيرهم من القَصْر الشَّارع بابُه قُبالة دار الحَديث النَّبَوي ـ الكامِلية، وجَميعَ المَوْضِع المعروف بالقَصْر الغربي، وجَميعَ المَوْضِع المعروف بدار الفِطْرَة بخُطّ المَشْهَد الحُسَيْني، وجَميعَ الموضع المعروف بدار الضِّيافَة بحارَة بَرْجَوان، [a]وجَميعَ الموضع المعروف بدار الذَّهَب بظاهِر القاهِرَة[a]، وجَميعَ المَوْضِع المعروف باللُّؤْلُؤة، وجَميعَ قَصْر الزُّمُرُّد، وجَميعَ البُسْتان الكافُوري مِلْكٌ لبَيْت المال بالنَّظَر[a] المَوْلَوي السُّلْطاني المَلَكي الظَّاهِري من وَجْهٍ صَحيحٍ شَرْعي لا رَجْعَة لهم فيه، ولا لواحِدٍ منهم في ذلك ولا في شيءٍ منه، ولا مَثْنَوِيَّة[b] بسبب يَدٍ ولا مِلْكٍ ولا وَجْهٍ من الوجوه كلِّها، خَلا ما في ذلك من مَسْجِدٍ لله أو مَدْفَنٍ لآبائهم.

وؤرِّخ ذلك الإشْهادُ بثالث عشر جُمادَى الأولى[c] سنة ستين وستّ مائة، وأُثْبِتَ على قاضي القُضاة الصَّاحِب تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن بنت الأَعَزّ الشَّافِعي. وتقرَّرَ مع المذكورين أنَّه مهما كان قَبَضُوه من أثْمان بعض الأماكِن المذكورة التي عاقَدَ عليها وُكَلاؤُهم، واتَّصَلوا إليه، يُحاسَبوا به من جُمْلَة ما يُحْرَز ثمنُه عند وَكيل بَيْت المال.

وقُبِضَت أيدي المَذْكورين عن التَّصَرُّف في الأماكِن المذكورة وغيرها ورُسِمَ بِبَيْعها. فباعَها وَكيلُ بَيْت المال كَمالُ الدِّين ظَافِر أَوَّلًا فأَوَّلًا، ونُقِضَت شيئًا بعد شيء[d]، وبُنِيَ في أماكِنها ما يأتي ذكره إن شاءَ الله.

واشترى قاعَةَ السِّدْرَة بجوار المَدْرَسَة والتُّرْبَة الصَّالِحِيَّة قاضِي القُضاة شَمْسُ الدِّين محمد بن إبراهيم بن عبد الواحِد بن عليّ بن مَسْرور المَقْدِسي الحَنْبَليّ، مُدَرِّس الحَنابِلَة بالمَدْرَسَة

---

a-a) ساقطة من بولاق. b) بولاق: مثوبة. c) بولاق: ربيع الأول، وانظر فيما تقدَّم ٢٨٧. d) بولاق: فشيئا.

الصَّالِحِيَّة[١]، بألفٍ وخمسة وتسعين[a] دينارًا في رابع شهر رَبيع الآخر[b] سنة ستين وستّ مائة، من كمال الدِّين ظَافِر بن الفَقيه نَصْر وَكيل بَيْت المال، ثم باعَها المذكور للملك الظَّاهر[c] رُكْن الدِّين[c] بَيْبَرْس في حادي عشرين رَبيع الآخر[b] المذكور.

وقاعَةُ السِّدْرَة هذه [c]هي قاعَة الذَّهَب[c]، وقد صارَت هي وقَاعَةُ الخِيَم المَدْرَسَة[d] الظَّاهِريَّة الرُّكْنِيَّة البَيْبَرسيَّة البُنْدُقْدارِيَّة.

قال القاضي الفاضِلُ [e]في «تعليق المُتَجدِّدات» لسنة أربعٍ وثمانين وخمس مائة ومن خطِّه نَقَلْتُ ما نَصُّه[e]: يوم[f] الاثنين سادس رَجَب[g]، يعني من سنة أربعٍ وثمانين وخمس مائة: فيه ظَهَرَ تَسَحُّب رَجُلَين من المعتقَلين في القَصْر: أحدُهما من أقارِب المُسْتَنْصِر، والآخر من أقارِب الحافِظ؛ وأكبرهما سِنًّا كان معتقلًا بالإيوان، حَدَثَ به مَرَضٌ وأُثْخِن فيه، ففُكَّ حديدُه ونُقِلَ إلى القَصْرِ الغَرْبي في أوائِل سنة ثلاثٍ وثمانين، واستمرَّ لما به ولم يَسْتَقِل من المرض، وطُلِبَ ففُقِدَ واسمه مُوسَىٰ بن عبد الرَّحْمَن بن حَيْدَرَة بن أبي الحَسَن أخي الحافِظ. واسْمُ الآخر مُوسَىٰ بن عبد الرَّحْمَن بن أبي محمد بن أبي البِشر[i] بن مُحْسِن بن المُسْتَنْصِر، وكان طِفْلًا في وَقْت الكائِنَة بأهله، وأقامَ بالقَصْر الغَرْبِي فعمّر به[j] إلى أن كَبُرَ وشَبَّ.

قال: وذُكِرَ أنَّ القَصْرَ الغربي قد استولى عليه الخَرَابُ، وعَلَا على جُدْرَانه التَّشَعُّثُ والهَدْم، وأنَّه يُجاوِر إسْطَبْلات فيها جماعَةٌ من المُفْسدين، وربُمَّا تُسُلِّق إليه للتطرُّق للنِّساء المُعْتَقَلات. والمُتَسَلِّق منه إذا قَوِيَت نفسُه على التَّسَحُّب لم تكن عَقْلَتُه في القصر المذكور مانِعَةً من التَّسَحُّب[k].

---

a) بولاق وليدن: سبعين. b) بولاق: جمادى الآخرة. c-c) ساقطة من بولاق. d) بولاق: أصل المدرسة. e) زيادة من مسودة المواعظ. f) بولاق: وفي يوم. g) بولاق وليدن: شهر رجب. h) ساقطة من بولاق. i) بولاق: ابن أبي اليسر. j) بولاق: مع من أسر به. k) مسودة المواعظ: مانعة منه.

---

[١] القاضي شمس الدين أبو بكر محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن عليّ بن سرور بن رافع المقدسي الجَمّاعيلي الحَنْبلي، قاضي قضاة الحنابلة بالديار المصرية وشيخ الشيوخ بخانقاه سَعيد السُّعَداء. دِمشقي الأصل قدم إلى مصر سنة أربعين وستّ مائة وهو في السابعة والثلاثين من عمر وتولى تدريس المدرسة الصالحية النجمية. وهو أول من تولى قضاء القضاة الحنابلة بمصر عندما قرّر السلطان الظاهر بيبرس في سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٥م إمامة قضاة أربعة، وتوفي سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م (ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة، وقف على طبعه وصححه محمد حامد الفقي، القاهرة ١٩٥٣، ٢: ٢٩٤-٢٩٥؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٢: ٩-١٠؛ المقريزي: المقفى الكبير ٥: ١٠٣-١٠٧).

قال : وعَدَدُ من بقيَ من هذه الذُّرِّيَّة بدار المُظَفَّر والقصْر الغَرْبي والإيوان ، مائتان واثنان وخمسون شخصًا . ذُكور ثمانية وتسعون ، وإناث مائة وأربعة وخمسون ، تَفْصيلُ ذلك :

المقيمون بدَار المُظَفَّر أحَدٌ وثلاثون : / ذكور أحَد عشر كلّهم أوْلادُ العاضِد لصُلْبِه ، إناثٌ : ٤٩٨:١
عشرون بناتُ العاضِد ، خمس : إخْوَتُه ، أَرْبع : جهات العاضِد ، أَرْبع . بَنَات الحافِظ ، ثلاثة : جِهات يوسُف ابنه ، وجِبْريل عمّه أربع .

المُعْتَقَلون بالإيوان خمسة وخمسون رَجُلًا ، منهم الأمير أبو الطَّاهِر بن جِبْريل بن الحافِظ .

المقيمون بالقَصْر الغَرْبي مائة وستة وستون شَخْصًا : ذكور اثنان وثلاثون أكبرُهم عمره عشرون سنة ، وأَصْغَرُهُم عمره سبعَ عشرة سنة ؛ إناثٌ مائة وأربع وثلاثون ؛ بناتٌ أربع وستون ؛ خالاتٌ وعَمَّاتٌ وزَوْجاتٌ سبعون .

قال : وفي جُمادَى الآخِرَة سنة ثمانٍ وثمانين وخمس مائة ، كانت عِدَّةُ مَنْ في دار المُظَفَّر بحارَة بَرْجَوان والقَصْر الغربي والإيوان ، من أوْلاد العاضِد وأقارِبِه ومَنْ معهم مُضافًا إليهم : ثلاث مائة واثنان وسبعون نَفْسًا ؛ دارُ المُظَفَّر أحْرار ومَماليك : مائة وستَّةٌ وستون نَفْسًا . القَصْرُ الغربي أحْرارٌ مائة وأربعون نَفْسًا ؛ الإيوانُ تسعة وسبعونَ رَجُلًا بالِغون [1] .

وأمَّا مَنازِلُ العِزِّ فاشْتَراها الملكُ المُظَفَّرُ تَقِيُّ الدِّين عُمَرُ بن شاهِنْشاه بن نَجْم الدِّين أيُّوب بن شاذي في نصف شَعْبان سنة ستٍّ وستين وخمس مائة ، وجَعَلَها مَدْرَسَةً للفُقَهاء الشَّافِعِيَّة واشْتَرَى الرَّوْضَة وجَعَلَها وَقْفًا على المَدْرَسَة المذكورة [2] .

هذا آخِرُ ما وَجَدته في هذا الجُزْء المبارَك المَنْقُول منه

هـذا الجُـزْء والـذي يليه وهو بخَـطّ مُـؤَلِّفه

تَغَمَّده الله برَحْمَتِه آمين ، وصلَّى الله على سَيِّدنا محمَّدٍ وآله .

ووافَـقَ الفَـراغُ مـن كِتابَتِه يـوم الأحَـد المبـارَك

الموافق للثامِن والعشرين من شهر رَجَب الفَرْد

سنة ثمانٍ وسبعين وثمان مائة

---

[1] المقريزي : مسودة المواعظ ١٢٩- ١٣٠؛ Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 300-303. آخر الموجود في المجلد الثاني من المواعظ والاعتبار ، وجاء بعد ذلك : يتلوه فوائد إذا المستحق الطلق ....

[2] فيما تقدم ٥٧٦ ، وفيما يلي ٢: ٣٦٤.

على يد الفَقير إلى الله تعالى أبي الحَسَن عليّ
ابن حَسَن بن عليّ بن أحمد بن نُعَيْم الأَزْهَري
الشّافِعيّ الخَطيب البَشْبيشي الجَدّ المعروف
بالسَّـرْوي ، غَفَرَ الله له
ولوالدَيْه ولكلّ المسـلمين . آمين
ولمن كان السَّبَب في ذلك ولمن نَظَر فيه
ودَعا لكاتِبه بالمَـغْفِرَة ولكلّ
المسلمين أجْمَعين
آمـين[1] .

* * *

آخر الجزء الثّاني ، تَمّ بحَمْد الله وعَوْنِه وحُسْن تَوْفيقه
على يد فقير رَحْمَة ربّه علي بن عيسىٰ المَرْحومي
لَطَفَ الله به وغَفَرَ له وللمسلمين أجمعين
وكان الفَراغُ من كِتابَتِه في يوم الأَحد المبارَك
الثّالِث والعشرين من شهر ربيع الآخر
سنة خمس وثمانين و[ثمان] مائة[2] .

---

[1] نصّ خرد المتن (Colophon) نسخة الأصل المعتمدة في النشر .

[2] نصّ خرد المتن (Colophon) نسخة مكتبة حسين جلبي .

*

* *

تَمَّ الجزء الثَّاني من خطِّ مُؤَلِّفِه رحمه الله
وبتمامه تَمَّ النِّصْفُ الأَوَّل ، وحَسْبُنا الله
ونِعْم الوَكيل وصلى الله على سَيِّدْنا
محمد وعلى آلِه وصَحْبِه وسَلَّم
تَسْليمًا كثيرًا دائمًا إلى يَوْم
الدين [1].

*

* *

تَمَّ الجزء الثَّاني من خطِّ مُؤَلِّفِه رحمه الله تعالى
وبتمامه تَمَّ النِّصف الأَوّل على يد أَقَلّ عبيد رَبِّه
وأَحْوَجهم إلى غَفْر ذَنْبِه الفقير سالم
السَّنْهوري المالكي لَطَفَ الله تعالى به
وغَفَرَ له ولوالديه ولجميع المسلمين
آمين . وحَسْبُنا الله ونِعْم الوكيل
وصَلَّىٰ الله على سيِّدنا محمد وآلِه وصَحْبه وسَلَّم .
وكان الفَراغُ من ذلك بُعَيْد عَصْر الجُمُعَة المبارك سادس محرَّم
الحرام سنة سَبْعٍ وسبعين وتسع مائة [2].

---

[1] نَصُّ حَرْد مَتْن (Colophon) نسخة مكتبة جامعة ليدن .

[2] نَصُّ حَرْد مَتْن (Colophon) نُسْخَة مكتبة باريس .